

# بِلَاجِنْجِ الْتَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيِّيِّةِ

فِي الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ

تألِيفُ

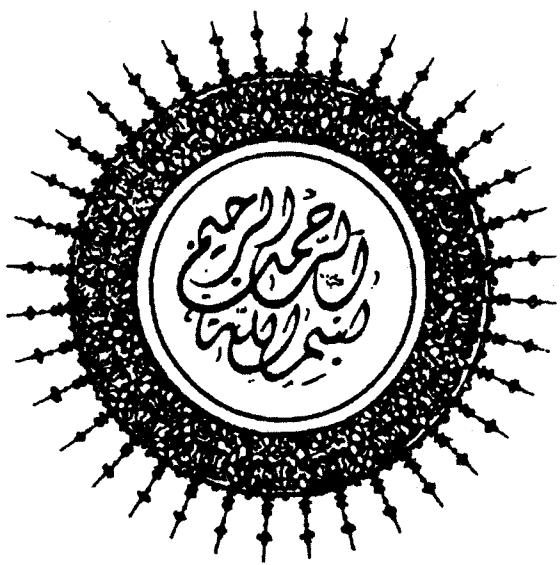
الْرَّكْنُدُورُ مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَلَدُ آبَاهُ



# جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظٌ

الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م إيسيسكو

الطبعة الثانية 1429 هـ - 2008 م بيروت - لبنان





مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرْبِ

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

## تقديم المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .. 17

### مقدمة :

19	الخطوات الأولى ..
20	حركة إحياء النحو ..
21	محاولات التيسير ..
22	المدف من هذا الكتاب ..
22	المنهج المعتمد ..
23	الصور النحوية ..
26	كيف نتعامل مع التراث النحوي ؟ ..
28	محاولات التبسيط والتسهيل ..
29	السماع ..
31	نظرية العامل ..
33	القياس ..
36	التعليق ..

### القسم الأول : النحو في المشرق

#### الباب الأول : النشأة والتأسيس

43	نشأة علم النحو ..
43	الإمام علي بن أبي طالب يضع أصول النحو ..
45	أبو الأسود الدؤلي ..
49	لاميذ أبي الأسود يتبعون خطاه :
50	أ) نصر بن عاصم الليشي ..
52	ب) يحيى بن يعمر ..
52	ج) عنبرة ومبمون ..
52	د) أين مكان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ؟ ..

5. عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء :

- 55 ..... أ) ابن أبي إسحاق .....  
57 ..... ب) أبو عمرو بن العلاء .....

**الباب الثاني : عصر التدوين**

63 ..... 1. عيسى بن عمر .....

66 ..... 2. يونس بن حبيب الضبي .....

69 ..... 3. الأخفش الكبير .....

72 ..... 4. الخليل بن أحمد .....

5. ظاهرة كتاب سيبويه :

80 ..... أ) مؤلف الكتاب .....

82 ..... ب) مصطلحات الكتاب .....

83 ..... ج) ترتيب الكتاب وعناوينه .....

85 ..... د) أبنية الكتاب وأمثاله .....

94 ..... ه) شواهد الكتاب .....

6. شيوخ مدرسة الكوفة :

100 ..... أ) بين البصرة والكوفة .....

103 ..... ب) أبو جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء .....

105 ..... ج) الكسائي : الأستاذ الجامع .....

109 ..... د) أبو زكريا الفراء .....

7. الوصل والفصل بين مذهبي البصرة والكوفة :

115 ..... أ) دور الأخفش الأوسط .....

117 ..... ب) آراؤه في مذهبيه القديم والمحدث .....

121 ..... ج) اضطراب آرائه والأراء فيه .....

121 ..... د) كليات الأخفش .....

8. ترسیخ المذهب البصري عند اتباع الأخفش :

123 ..... أ) الجرمي .....

125 ..... ب) المازني .....

## الباب الثالث . عصر البيان والتحصيل

129	أبو العباس المبرد :
130	أ) توثيقه في الرواية .....
131	ب) أهم مصنفاته .....
132	ج) موقفه من القراءات .....
133	د) تأثره بكتاب سيبويه .....
134	هـ) مسائل الغلط، ورد ابن ولاد عليها .....
138	و) المسائل التمرينية .....

### 2. أبو العباس ثعلب :

139	أ) التنافس مع المبرد .....
141	ب) المناظرات بينهما .....
143	ج) انتقاد الزجاج لشعلب، ورد ابن خالويه .....
144	د) نقد ثعلب للبصرىين وانتصاره للفراء .....
146	هـ) طرائف ثعلب .....

## الباب الرابع . عصر التقويم والتأصيل

150	1. أبو إسحاق الزجاج .....
156	2. أبو بكر ابن السواج .....
165	3. أبو القاسم الزجاجي :
170	أ) كتاب الجمل .....
171	ب) حروف المعاني .....
173	ج) أضاح العلل .....
175	4. أبو سعيد السيرافي :
178	أ) شرح الكتاب .....
178	ب) استدراك أبي سعيد على سيبويه .....
178	ج) النطق والتحو .....

180	<b>5. أبو الحسن الرمانى :</b>
181	أ) النحو عند الرمانى .....
182	ب) السماع والقياس .....
183	ج) العلل .....
183	د) شرح الكتاب .....
183	هـ) مذهبة النحوى .....
185	وـ) بين الرمانى والزجاجى .....
185	<b>6. أبو علي الفارسي :</b>
185	أ) ملامح شخصيته .....
188	ب) مذهبة العام .....
188	جـ) حول انتقامه للبصرىين .....
191	دـ) بعض الاعتراضات عليه .....
193	<b>7. أبو الفتح بن جنبي :</b>
193	أ) حياته .....
194	بـ) كتاب الخصائص .....
197	جـ) سر الصناعة .....
198	دـ) كتاب اللمع .....
199	هـ) مذهبة العام .....
202	وـ) السماع عنده .....
203	زـ) القياس .....
204	حـ) التعليل .....
205	<b>8. أبو البركات بن الأنبارى :</b>
205	أـ) الإنصاف في مسائل الخلاف .....
206	بـ) رسالة الإغراب .....
208	جـ) لمع الأدلة .....
211	دـ) نظم تلخيص الإنصاف .....

## القسم الثاني : النحو في الغرب الإسلامي

### الباب الأول . رحلة النحو إلى الغرب الإسلامي

- |           |                        |
|-----------|------------------------|
| 223 ..... | 1. النحو الكوفيي ..... |
| 224 ..... | 2. النحو البصري .....  |

### الباب الثاني . تبصر النحو في الغرب الإسلامي

- |           |                                   |
|-----------|-----------------------------------|
| 227 ..... | 1. الأعلم الشنتمري .....          |
|           | 2. تأقلم النحو البصري في المغرب : |
| 232 ..... | أ) ابن الطراوة .....              |
| 240 ..... | ب) ابن السيد البطليوسى .....      |
|           | 3. نظريات الإمام السهيلي :        |
| 244 ..... | أ) السمع عند السهيلي .....        |
| 248 ..... | ب) نظرية العامل .....             |
| 250 ..... | ج) القياس .....                   |
| 251 ..... | د) التعليل .....                  |
| 253 ..... | هـ) مناظرته مع ابن خروف .....     |

### الباب الثالث . ثورة ابن مضاء الظاهري

- |           |                         |
|-----------|-------------------------|
| 257 ..... | 1. شخصية ابن مضاء ..... |
| 260 ..... | 2. آراء ابن مضاء .....  |

### الباب الرابع . النحو والمنطق والاختصار

- |           |   |
|-----------|---|
| 265 ..... | 1. حياة أبي موسى الجزولي .....          |
| 266 ..... | 2. مقدمة الجزولي وآراء الناس فيها ..... |

### الباب الخامس . إعادة الاعتبار للتصريف

- |           |                               |
|-----------|-------------------------------|
| 273 ..... | 1. حياة ابن عصفور .....       |
| 276 ..... | 2. منهجه في عرض التصريف ..... |
| 284 ..... | 3. مذهبة النحوين .....        |
| 286 ..... | 4. بعض الاستدراكات عليه ..... |

## **الباب السادس : في طريق المدرسة المالكية**

1. يحيى بن معطي الزواوي والغيته ..... 289
2. الأستاذ أبو علي الشلوبين :
أ) السماع والأصول والجدل ..... 296
ب) التعليل ..... 298
ج) الخصائص ..... 299
3. ابن أبي الوبيع السبتي :
أ) شيوخه وتلاميذه ..... 302
ب) البسيط في شرح الجمل للزجاجي ..... 305
ج) كتاب الكافي في الإفصاح عن نكت كتاب الإيضاح ..... 305
د) القوانين النحوية ..... 306
ه) مذهب النحوي ومناظرته مع ابن المرحل ..... 307

## **القسم الثالث : مدرسة ابن مالك النحوية**

### **الباب الأول : ابن مالك شيخ المدرسة**

1. دراسته وشيوخه ..... 313
2. مؤلفاته ..... 314
3. منهجه :
أ) القياس ..... 316
ب) التعليل ..... 318
4. أسلوبه ..... 319

### **الباب الثاني : نحو ابن مالك في المدارس المصرية**

1. نحو الفقهاء في موازنة نحو ابن مالك :
أ) جمال الدين بن الحاج ..... 322
ب) شهاب الدين القرافي ..... 324

## 2. أثير الدين أبو حيان :

- 328 ..... أ) شخصيته وعلمه  
329 ..... ب) بين ابن مالك وأبي حيان  
331 ..... ج) دفاع ابن هشام عن ابن مالك  
333 ..... د) دفاع ناظر الجيش  
333 ..... ه) تقدير أبي حيان لابن مالك  
335 ..... و) من طرائف أبي حيان
- 338 ..... 3. جمال الدين بن هشام
- 343 ..... 4. بهاء الدين بن عقيل
- 347 ..... 5. ابن أم قاسم المرادي
- 350 ..... 6. جمال الدين الأسنوي
- 352 ..... 7. ابن مكتوم
- 354 ..... 8. ابن الدمامي

## 9. الإمام السيوطي :

- 357 ..... أ) نشاطه العلمي  
360 ..... ب) أهم مؤلفاته النحوية  
373 ..... ج) رأي النقاد في كتبه النحوية
- 375 ..... 10. نور الدين الأشموني

## الباب الثالث . مدرسة ابن مالك في الروايات المغربية

- 379 ..... 1. ابن آجريم
- ..... 2. أبو زيد المكودي :
- 382 ..... أ) شخصيته ومؤلفاته ..  
384 ..... ب) نموذج من شرحه للألفية : باب التنازع
- ..... 3. ابن زكري :
- 388 ..... أ) علمه ومكانته ..  
390 ..... ب) شرحه للفريدة ..  
395 ..... ج) من طرائفه ..

**4. ابن غازي :**

- 397 ..... أ) حياته وشيوخه  
398 ..... ب) مصنفاته .....  
399 ..... ج) أمثلة من تصويباته .....  
399 ..... د) بحثه في نقله عن المرادي والشاطبي .....

**5. المرابط الدلائي :**

- 403 ..... أ) نهضة الزوايا .....  
404 ..... ب) مكانة المرابط الدلائي وشيوخه وشعره .....  
406 ..... ج) مؤلفاته .....  
410 ..... د) أمثلة من انتصاره لابن مالك .....  
411 ..... ه) انتقاده لابن الدماميني .....  
412 ..... و) استطراداته الغربية .....  
412 ..... ز) نموذج من شرحة .....  
414 ..... 6. ابن الطيب الشرقي .....

**7. ابن الحاج :**

- 416 ..... أ) نماذج من حاشيته على المكودي .....  
419 ..... ب) من طرائفه .....  
420 ..... 8. أبو إسحاق التادلي .....

**9. السلطان المولى عبد الحفيظ العلوي :**

- 422 ..... أ) مؤلفاته .....  
423 ..... ب) مصنفاته النحوية .....  
429 ..... ج) نماذج من نظمه لقواعد للمغني .....  
436 ..... د) جدول تعاقب حروف البر .....

## **باب الرابع : مدرسة ابن مالك في المحاضر الشنقيطية**

1. محاضر بلاد شنقيط ..... 437
2. أدبيات الخلاصة :
أ) انتشار الخلاصة ..... 441
ب) المقررات المنهجية في المحاضر ..... 442
ج) خصائص المدرسة النحوية الشنقيطية ..... 443
د) الأحاجي والألغاز ..... 446
3. النهاة الأولياء :
أ) ابن الأعمش وشرح الفريدة ..... 449
ب) المختار بن الأمين، الملقب "المجبنان"، وكتاب شافي الغليل ..... 450
4. المختار بن بونا المعلم الثاني :
أ) جانب من حياته ..... 452
ب) محظرته ابن بونا وتلاميذه ..... 455
ج) مصنفاته ..... 456
د) نموذج من شرح الاحمرار في الأبواب المزيدة ..... 460
5. ابن الحاج حماد الله الغلاوي ..... 466
6. محاضر التدريس :
أ) محظرة حرمه بن عبد الجليل ..... 470
ب) مدرسة بلا بن الفاضل ..... 471
7. عبد الودود بن عبد الله يروض حرون ابن بونا :
أ) ملامح حياته ..... 473
ب) نماذج من أنظمته ..... 473
ج) روض الحرون ..... 477
8. بعض المحاضر الموازية للمدرسة البوئية :
أ) محاضر بابه بن عبيد ..... 480
ب) الشيخ سيديا الكبير ..... 483

9. مدرسة ولاته النحوية :	
489 ..... أ) الفقيه محمد يحيى الولاتي .....	
492 ..... ب) محمد يحيى بن سلیمة .....	
10. مدرسة ابن عبد المظاہر :	
495 ..... أ) ابن عبد المظاہر .....	
496 ..... ب) محمد بن المختار .....	
498 ..... ج) البراء بن بگی المظاہر .....	
499 ..... د) الأمین بن سیدی .....	
11. الشیخ محمد المامی :	499
12. مدرسة محمد فال بن مثالي :	500
13. مواهی ابن حبی وکتاب المواهی :	
501 ..... أ) موسوعة المواهی .....	
503 ..... ب) اختصار المواهی لابنه الشیخ .....	
505 ..... ج) مقارنة بآراء المختار بن ابی الحکمی .....	
14. محمد عالی بن سبده بن سعید الملقب مع :	
508 ..... أ) کتاب التنبیه .....	
509 ..... ب) خروجه عن تقلید سبیویه .....	
15. محمد تقی اللہ بن الشیخ ما العینین :	
510 ..... أ) ملامح شخصیتھ .....	
510 ..... ب) غرذج من کتاب "تبیین ما یعنون" .....	
16. الحسن بن زین وتطور المدرسة البوئیة :	
517 ..... أ) غاذج من نظمھ .....	
519 ..... ب) توشیح اللامیة .....	
17. محمد مولود بن احمد فال الیعقوبی وشواهد الحديث ...	520
18. مدرسة یحظیه بن عبد الودود :	
522 ..... أ) استاذ الأساتذة یحظیه .....	
525 ..... ب) ابن الأمین الشنقطی .....	

529	ج) أحمد بن كداه .....
531	د) أحمد بن احمد .....
532	ه) مم الجكنى .....
535	و) محمد سالم بن آلام .....
536	19. مدرسة آل بيته .....
539	<u>مُلْحِقٌ : مسودة قائمة المؤلفين في النحو من الشناقطة</u> .....

## القسم الرابع : النحو في العهد المعاصر

### الباب الأول : اللسانيات والنحو العربي

546	1. قضية اللغة .....
546	2. دين سوسيير ونشأة علوم اللسان .....
549	3. مدرسة تشو مسكي .....
550	4. المنطق والنحو الصوري عند الدكتور طه عبد الرحمن .....
551	5. آراء الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري .....
553	6. اللسانيات الوظيفية .....
555	7. اللسانيات والنحو في نظر الدكتور عبد الرحيم الراجحي .....
558	8. اللسانيات واللغة العربية في نظر الدكتور نعيم حسان .....

### الباب الثاني : تيسير النحو

561	1. عبد الكريم خليفة .....
	2. شوقي ضيف :
566	أ) نقد شوقي ضيف لإحياء النحو .....
568	ب) أنس تيسير النحو .....
570	ج) الضوابط والتعرifات .....

## **الخاتمة:**

- |           |                               |
|-----------|-------------------------------|
| 575 ..... | 1. النحو والتفسير .....       |
| 576 ..... | 2. النحو والحديث الشريف ..... |
| 576 ..... | 3. النحو والشعر .....         |
| 577 ..... | 4. النحو والمنطق .....        |
| 578 ..... | 5. النحو والبيان .....        |
| 580 ..... | 6. النحو والنحاة .....        |
| 581 ..... | 7. النحو والمستشرقون .....    |

## تَقْمِيمٌ

لما كان الله تبارك وتعالى قد منَّ على البشرية جمعاً، بأن يبعث فيها رسوله محمدًا، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، وأنزل عليه الذكر الحكيم بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فإن اللغة العربية هي أشرف اللغات، وأغناها بالدلائل، وهي لغة الدين الحنيف، ولغة الثقافة والحضارة الإسلامية في مختلف العصور.

وقد شاءت حكمة الله تعالى أن ينزل هذا القرآن الكريم عربياً، مُعجزاً بلفظه، متبعداً بتلاوته، فكان من ثم مرتبطاً باللغة العربية أوثق ارتباطاً؛ إذ بها تُفهم معانيه، وتُفهَّم مقاصده، وتنطبق حُكمه، وتُدرِك حِكمَه، وتَبَيَّن وجوهُ إعجازه.

ولهذا نشأت علوم اللغة العربية في خدمة القرآن الكريم، وانبثقت من مقتضيات الثقافة الإسلامية، التي كان هذا الكتاب المقدس - ولا زال - قطبهما الذي عليه تدور، منذ نزول القرآن إلى يوم النشور.

ومن أهم علوم اللغة العربية وأعظمها فائدة على الإسلام والمسلمين، علم النحو، الذي واكب هذه الثقافة منذ انطلاقتها الأولى؛ إذ أبدع أسسه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يزل يتسع هذا العلم بتوسيع مجال الحضارة الإسلامية، وتعدد روافدها، وتنوع ميادين إبداعها، فكان يجسد صورة فريدة لعطائها أشهدت في رسم لوانها الزاهية مختلف الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، واصطبغت بمميزات الأطوار الحضارية المتعاقبة على هذه الأمة عبر القرون.

ورغم ما كتب عن تاريخ هذا العلم العربي الإسلامي من دراسات عديدة، فقد كان بحاجة إلى عمل أكاديمي شامل متكامل، يبرز وحدة الأمة عبر الزمان والمكان، ويجلو علاقات التفاعل والإثراء، بين مختلف شعوبها، وينصف ذوي الجهد التميز من أغفلهم الدارسون السابقون جهلاً أو تجاهلاً.

وهذا هو الهدف السامي الذي توخاه الأستاذ الجليل الدكتور محمد المختار ولد اباه في كتابه الذي تتشرف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بنشره تحت عنوان "تاريخ النحو العربي في الشرق والغرب". المؤلف من أبرز رجالات العلم والثقافة العربية

الإسلامية، الذين أحاطوا علمًا وفقهاً واستيعاباً بجوانب متعددة من العلوم العربية والإسلامية، وأخذوا بحظ وافر من المناهج الحديثة في البحث والتأليف.

ولقد جمع المؤلف في هذا الكتاب بين العلم الواسع المعمق، والمنهج المنصف الرصين، والأسلوب الواضح الجذاب، وحرص كل الحرص على الشمول والاستقصاء، واعتمد أسلوب المعالجة الدقيقة والاستقراء، فجاء كتابه موسوعةً جامعةً باذخة، ومعلمةً فكريةً شامخة، سيكون لها - ولا ريب - تأثيرها الواضح في مستقبل الدراسات العربية الأكادémie المتعلقة بالموضوع.

وإني إذ أهنئ المؤلف أحرّ التهنئة على هذا العمل الجليل، لأرجو الله تعالى أن ينفع به كل المهتمين بالثقافة العربية الإسلامية، إنه سميع مجيب.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التريهري  
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

## الخطوات الأولى

### 1. الخطوات الأولى :

نشأ النحو العربي على ضفاف شط العرب، ورثته البصرة وليداً، وغذته الكوفة بلبانها، ورعاته دار السلام بين الرصافة والكرخ.

ثم امتد صوبه إلى الشام، ومصر وأفريقيا، والأندلس، والمغرب محتمياً بظلل القرآن، ومنضواً تحت راية الإسلام.

كانت انطلاقته الأولى على يد الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، حينما عهد إلى أبي الأسود الدؤلي، أن ينحو نحوه، فوضع أبو الأسود منه الأصول الأول. وتتابع تلامذته النبهاء عمله، مثل عنبرة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، ثم جاء ابن أبي إسحاق الحضرمي، ففتق أزهاره، وشرح عللها، ومد قياسه.

ويأتي دور أبو عمرو بن العلاء، ليوضح الأواصر بين اللغة والنحو، ويوثق الصلات بين أوجه القراءات القرآنية، وسماع العرب وبين القواعد النحوية.

وتتوالت حركة البحث والتأصيل مع جيل من علماء مثل عيسى بن عمر، ويونس ابن حبيب الضبي، والخليل بن أحمد الفرهودي، الذي يعود له الفضل الأكبر في جعل النحو "علمًا" اضبطت قواعده، واتضحت تعاليله، وظهرت أوجه قياسه، ثم أتيح لهذا العلم أن يتم تدوينه في كتاب شامل جامع، قال عنه النحاة : "إنه لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به بعده" ألا وهو كتاب سيبويه<sup>(1)</sup>.

وبعد هذا الكتاب، لم يغادر سيبويه للنحوة من متقدم، سوى تفريعات جزئية، لا تمس هيكل الصرح الشامخ، الذي وضع الخليل تصميماًه الهندسي، وقام سيبويه بتشييده، وكل من جاء بعده، لم يستطع سوى وضع لمسات تكميلية، كإضافات فرعية، أو اعترافات على بعض التراكيب الشافية، أو تبديل المصطلحات الأسمية أو اختيارات تعليمية.

صحيح أن أهل الكوفة، بذلوا جهوداً طيبة في توسيع ساحة هذا الصرح، وإثراه رصيده اللغوي، كما أن البغداديين والمغاربة، فكروا في تقويم أسسه، وتقريره من مناهج العلوم، وانتقاء أكثر القواعد اضباطاً في تقنيته.

(1) ابن النديم : الفهرس، ص 82 - السيرافي : أخبار النحويين، ص 64.

وتتبع خطوات النحو من المشرق إلى المغرب يقودنا إلى التطلع إلى بعض الظواهر التي تبرهن أن أمة الإسلام واحدة، كلما تبنته بها المناخي الجغرافية حرصت على توثيق العرى الدينية والحضارية. وهذه الظواهر تمثل بعد المد الإسلامي في ارتباط الأمة بأماكنها المقدسة، ومتابعها الحضارية. وهذا الارتباط حدا بالعلماء في المغرب على العلوم بالقيام بالرحلات إلى المشرق، والرحلات لأداء فريضة الحج ولزيارة المدينة المنورة، والسلام على الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام. كما أنها أيضاً رحلات علمية، يستقي القائمون بها من بنابع الثقافة الإسلامية، في كل فنٍ من فنون العلوم.

وحركة المد في الإسلام لم تسلك وجهة واحدة، فلقد أدى هذا المد إلى هجرة جماعات وقبائل وعلماء، كبار خارج الجزيرة العربية، بدأت بالصحابة الذين تفرقوا في الأمصار وبشروا فيها العلم، وكذلك فعل الأئمة ورجال الحكم من بعدهم، مثل ما عمل الشافعي في مصر وإدريس الأول في المغرب وعبد الرحمن الأموي في الأندلس، وسنتى أثر رحلة أبي علي القالي إلى الأندلس في تطور علوم اللغة وإثرائها، واستمر تطور النحو في نطاق هذه الحركة العلمية حتى اكتمل نضجه في نهاية القرن السابع الهجري.

## 2. حركة إحياء التراث النحوي :

ومنذ نصف قرن، والدراسات النحوية واللغوية تنموا وتتطور بسرعة، فنشأة الجامعات في البلاد العربية، وتأسيس المجامع اللغوية والعلمية ووسائل الاتصال العالمية، كل هذه العوامل أدت إلى تحريك نهضة ثقافية جددت دارس التراث العربي، وتناولته بالبحث والتنقيب، والتحقيق والنشر.

فاستطاع الباحثون والمحققون أن يضعوا بين يدي القراء، معظم الأصول النحوية القديمة، مثل كتاب سيبويه، وبعض كتب الأخفش الأوسط ومقتضب المبرد، وتصريف المازني، ومحالس ثعلب، وأصول ابن السراج، وجمل الزجاجي، ومسائل أبي علي الفارسي، وخصائص ابن جني ونكت الأعلم، وأمالی ابن الشجري، وكتب ابن عصفور والجزولي وابن مالك وأبي حيان.

ويعود الفضل في هذه الحركة المباركة إلى مجموعة من علماء أمثال عبد السلام هارون، ومحمد محبي الدين عبد الحميد، وأبي الفضل إبراهيم ومحمد علي النجار، ومحمد إبراهيم البنا وعبد الخالق عضيمه، ومازن المبارك وغيرهم كثير.

وكان لبعض المستشرقين إسهام مهم في تحريك هذه النهضة وضع منهاجيتها. ثم واكبت حركة التحقيق والنشر، بحوث من نوع آخر استهدفت العلماء أنفسهم بحثاً عن

حياتهم العلمية، وأثارهم، ومذاهبهم، وتحصيص كل واحد منهم بكتاب مستقل. ومن بين الذين برزوا في هذا الميدان د. شلبي وخديجة الحديشي وعبد القادر المهيري وعلي النجدي. زد على هذا مئات الرسائل الجامعية التي لم ينشر أغلبها بعد والتي استخرجت كثيراً من مخبأ التراث النحوي. بيد أن هذا النمو السريع، تسبب في طرح نوع جديد من القضايا الثقافية ومنها العقبات التي تعترض الطلاب والباحثين في منهجية التعامل المجدى مع هذا التراث الضخم.

كما أنه بحكم اتصال العالم العربي بالثقافة الغربية، تأثرت الدراسات العلمية والمناهج الجامعية بمذاهب نحوية جديدة، كان من أشهرها نظريات همبولت ودي سوسيير وإدوارد ساپير ويلومفید وتشومسكي.

وقد دفعت هذه النظريات بعض النحوين العرب المعاصرين إلى تقبل بعض هذه الآراء، ومحاولة تطبيقها على النحو العربي، فجاءت أعمال عبد الراجحي، وقمان حسان وإبراهيم أنيس، متأثرة بهذه النظريات في حدود متفاوتة. ومن أهم ما أبناه هذا النهج الجديد، اكتشاف الباحثين أن علماء النحو العربي الأوائل قاموا ببحوث واستنباطات مثيرة في علوم اللغة، فملاحظات الخليل، وأمثلة سيبويه ونظريات ابن جنی والجرجاني والفارخر الرازي يمكن اعتبارها آراء رائدة في مجال ما يسمى اليوم بعلم اللسانيات الحديث.

### 3. محاولات التيسير :

وبالرغم من تكامل علم النحو العربي، ونضج دراسته وإحكام قواعده، فإنه مع ذلك لا يخلو من تعقيبات جمة، تشكل عقبات أمام الطلاب والدارسين، وقد لازمت هذه الصعوبات تدرس النحو في العقود الأولى، فكان يقال من أراد قراءة كتاب سيبويه "هل ركب البحر؟"<sup>(١)</sup> كنایة عمّا تحتاجه هذه الدراسة من جهد ومشقة. ولذلك تابعت مؤلفات كثيرة استهدفت الإيضاح والاختصار.

فبعد كتاب سيبويه أراد المبرد أن "يقتضبه"، وعمد ابن السراج إلى أن "يعقله بالأصول"، واهتم الزجاجي بإعطاء "جمله"، والفارسي بإيضاحه، وابن مالك "يتسهيله"، وأبو حيان "بتقربيه". لكن علماء آخرين اعتقدوا أن تكرار التصنيف والتبويب ليس هو الطريق المثلثي التي تذلل هذه الصعاب، ورأوا من الضروري القيام بتبسيطه كما تجلى في إصلاح النطق لابن السكينة، والواضح للزبيدي والإيضاح لأبي علي الفارسي وفي العصر الحديث نجد إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ومناهج تجديد النحو لأمين الخلوي وكتابي تجديد النحو وتيسيره لشوقى ضيف وعبد الكريم خليفة.

(١) ابن الأنباري : نزهة الأنبا ، ص 55.

## 4. الهدف من هذا الكتاب:

وفي خضم هذه الأعمال الظاهرة، التي يسمى بها بعض المعاصرين بـ "الركام التراخي" قد يكون من المفيد أن نلقي نظرة على تاريخ النحو العربي، وأن نحاول استعراض هذا التاريخ في كتاب جديد. ولو كانت هذه المحاولة لا ترمي إلى الإثبات بشيء جديد، غير أن صحة هذا القول لا تحول دون تناول هذا الموضوع والكتابة فيه، ذلك أن دافع الكتابة قد تكون شخصية أولاً، ثم يأتي التفكير في تبريرها بعد ذلك. وإذا كان لابد من هذا التبرير، فإني سأذكر بما قاله أبو حيان في معرض مقاصد التأليف مبيناً أنها ثمانية وهي : "معدوم قد اخترع ومتفرق قد جمع، ونقض قد كمل ومجمل قد فصل، ومسهب قد هذب ومخلط قد قرب ومبهم قد عين وخطأ قد يسر".

فالذى أرمى إليه من هذا الكتاب أن أجمع في مؤلف واحد ملخصاً عن تاريخ النحو وتطوره، محاولاً أن أبين مجلماً للجهود التي قام بها علماؤه، مع إعطاء معلومات مقتضبة عن حياة هؤلاء العلماء وبالخصوص جوانبها التي لها علاقة أو تأثير في مناهجهم ومذاهبهم النحوية.

وليس الغرض إذن في هذا الكتاب جمع تراجم النحويين، وتبيان آثارهم، وإنما هو محاولة لانتقاء إسهام الأولئ الذين شيدوا الصرح وأسسوا الأصول، واجتهدوا الآخرون الذين فحصوا أعمال القدماء، واستجلوا غواصتها، وبينوا خفيتها، وأغروا مشكلتها وأسعفوا دارس العربية بعلم كامل النضج في القواعد، واضح الصور، وافر الفروع.

ولعلنا نرى في هذا التاريخ كيف تكامل هذا البناء، ومن هم أبرز مهندسيه الذين أحكموا صنعه، وما هي مناحيه الفكرية وصلاتها بالمحيط الشعافي والبيئي لكل مذهب. ولنذكر هنا أن تاريخ النحو يختلف عن تاريخ النحاة. لقد كتب الكثير عن النحويين، والقليل عن تاريخ النحو.

## 5. المنهج المعتمد:

والمنهج المعتمد في هذا الكتاب هو اعتبار ثلاثة معطيات تتضافر لتكون محاولة لرسم خطة التاريخ، وهذه المعطيات هي :

**أولاً : صلة الإنتاج العلمي بمناخه البيئي :** كاتصال علم النحو في القرن الثاني بعلوم القراءات التي كانت تدون آنذاك وصلته بعد ذلك بالمنطق الأرسطي وما مر به من تضخم في عصر التفريع. وتأثير دراسته أخيراً بالت刺ارات المعاصرة في أوروبا وأمريكا.

**ثانياً** : تعرف الأعلام الذين أسهموا في نشأته وتأصيله وتطويره مع الاقتصار غالباً على الجانب العلمي الذي يمس مادة النحو، اعتباراً منا أن كتب الطبقات والترجم قد كفت مؤونة الكتابة عن جوانب الحياة الأخرى لكل من هؤلاء الأعلام.

**ثالثاً** : محاولة تبيان مراحل التطور لهذا العلم. وهذا ما ينبغي أن يكون أهم شيء، في تاريخ العلوم، ولابد من محاولة تجاوز الصعوبات التي تعترض طريق الوصول إلى تمييز عناصر التطور وتصنيفها في إطار مذاهب مقتنة. وهذه الصعوبات منها ما يعود إلى توثيق الآراء، والتأكد من نسبتها لأول من قال بها، ومنها ما يعود إلى ضرورة التثبت في تصور المذاهب والمدارس التي اعتدنا أن نسميتها بصرية، وكوفية، وبغدادية، وأندلسية. نظراً لما يوجد بين علماء هذه المدارس من تداخل واحتلاط.

## 6. العصور النحوية :

إن تسلسل الظواهر النحوية عبر التاريخ يحتم علينا أن نحاول تمييز أبرز خصائص كل عصر، وكان من الأسهل أن نختار "القرن" لأنه وحدة زمنية معهودة، لتقديم سماته العامة ومكان تركيزه بين الشرق والغرب، ولا يغيب عن البال وجود قدر من التداخل بين هذه السمات مكاناً وزماناً، ولكن ثبيت الأفكار يحتاج دوماً إلى ربطها بفترات زمنية معينة، وحواضر معينة، مع اعتبار الغالب في كل هذه المقولات التقريرية، وهو هنا هو التحقيق الذي وصلنا إليه :

### أ) النشأة والتأسيس (القرن الثاني الهجري - الشطر الأخير) :

وانطلاقاً من هذا المصطلح أطلقنا على العهد الأول في القرن الأول، عصر النشأة والتكوين، من لدن الإمام علي بن أبي طالب إلى عهد ابن أبي إسحق الحضرمي. والمعروف أنه في هذا العهد، أي قرابة قرن من الزمن، تكامل وضع الأسس الأولية لهذا العلم، ورسمت أصوله، واستنبطت قواعده.

### ب) التدوين والتصنيف (القرن الثاني الهجري) :

يبتدئ هذا العهد بأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وينتهي بأبي زكريا الفراء، مروراً بالخليل وسيبوه، والكسائي، والأخفش الأوسط، والمعروف أن التدوين والتصنيف قد اكتملا في هذه الحقبة التي برع فيها كتاب لسيبوه، وألفت فيها كتب المسائل ومعاني القرآن.

### **ج) عصر البيان والتحصيل (القرن الثالث) :**

والعصر الثالث يسمى بعصر "البيان والتعليق" ترجمة لأعمال المبرد وثعلب اللذين حرصا على بسط آراء الخليل، وسيبوه والكسائي والفرا، وتوضيح غواصتها، وبين أنسها والتعليق على قواعدها، ورسم معالم أصولها المذهبية، بين البصريين والكوفيين.

### **د) الحصر والتنظير (القرن الرابع) :**

وفي القرن الرابع الهجري بلغت الدراسات النحوية أوجها وعمت أرجاء العالم الإسلامي. وبدأت فيه المذاهب تتخذ شكل النظريات المقننة. فلذلك أردنا أن ندعوه بعصر الحصر والتنظير. معأخذ تعدد التيارات الفكرية بعين الاعتبار. وكان من أبرزها :

#### **1. الاتجاه الانتقائي :**

وقد ظهر الاتجاه الانتقائي عند ابن كيسان وابن السراج وأترابهما مما يسمى بالمدرسة البغدادية، من جمعوا بين آراء المدرستين البصرية والكوفية.

#### **2. الحركة التفسيرية :**

ثم ظهرت الحركة التفسيرية عند السيرافي والرمانى، ومراميها وضع الموسوعات الأولية لحصر المذاهب المعتمدة، والتركيز على بسط آراء سيبوه في الكتاب، وتوضيحها، على أساس تقرب النهج النحوي من منهج المتكلمين.

#### **3. المحاولات التنظيرية :**

وهي المحاولات التي قام بها الزجاج وأبو القاسم الزجاجي وابن جني في كتاب الخصائص، واستمر صداها في العهود المتلاحقة عند ابن الأنباري في كتاب مع الأدلة والإمام السيوطي، في كتاب الاقتراح، وأساسها تقرب النهج النحوي من منهج الأصوليين.

### **هـ) عصر التأصيل والتقويم (القرن الخامس والسادس) :**

وحين نصل إلى القرن الخامس، يتحول مركز ثقل الدراسات النحوية من الشرق إلى المغرب. فنழد هر علوم اللغة بين ربوع الأندلس ثم تمت إلى المغاربة، لتستمر وضاعة أكثر من قرنين. ولقد أثبتنا أن هذا العصر كان عهد المراجعة والتأصيل. ولهذه النهضة العلمية في مجال النحو واسطة وطرفان.

فالواسطة هي الخط الذي رسمه الأعلم الشتتمري بعودته إلى أصول علم النحو، وتمثل ذلك السعي في إحكامه لكتاب سيبويه وتبخره في علم اللغة، فقرب القواعد من مادتها الأولى، التي هي اللغة والتاريخ، وشاركه في هذا النهج ابن سيده المرسي، وفي عهدهما بزرت معالم المدرسة النحوية-اللغوية، التي أخذت أصولها من الإفليلي والزيبيدي. وامتدت فروعها عند ابن الطراوة تلميذ الأعلم، والسهيلي تلميذ ابن الطراوة.

وخلال القرن السادس، جرت محاولاتان للتأثير في وجهة خط الوسط من قبل طرفين اثنين، وهما :

1. أبو موسى الجزوئي المراكشي الذي صاغ قانونه النحوي في قوالب المنطق التقليدي، مطورا بذلك الإشارات الصادرة من الزجاج في جمله، ومن تعاليم ابن بري، واستطاع الجزوئي أن يسيطر على الساحة بفضل قانونه المحكم، مدة قرن كامل، فكان طليقته في طليعة المقدمة.

2. أما الطرف الثاني، فقد أتى من عالم أندلسي مراكشي آخر، إلا وهو ابن مضاء، وذلك في جهده لتخلص النحو من أثقال العوامل والعلل والتمارين. ولكن كلتا المحاوالتين لم تدل أي منهما من قوة الطريق الوسطى التي اتبعها الأعلم وتلاميذه والتي عرفت تطورا إلى أن وصلت إلى جمال الدين بن مالك الجياني.

#### و) عصر التصحح والتثبيت (القرن السابع وما بعده) :

وفي القرن السابع اكتملت جهود البحوث النحوية بجميع أشكالها، وكان لابد من عملية انتقاء مذهب يرمي إلى اختيار النهج الصحيح وتثبيت هذا النهج وتعيمه. وتمت هذه المرحلة على يد ابن مالك الجياني الذي استطاع أن يفرض بحسن اختياره الصورة الحالية للنحو العربي التقليدي. ومنذ خمسة قرون والدراسات النحوية تتمحور حول كتبه وبالأخصوص كتاب الألفية أو "الخلاصة" الذي صار المرجع التدريسي في جميع الهيآت التعليمية.

ولم يبق من جاء من بعد ابن مالك سوى الصبر على تتبع منهجه وتناول كتبه بالشرح والتعليق. والانطلاق من مذهب ابن مالك لا يعني أن حركة الدراسات قد توقفت، بل العكس هو الصحيح. فمؤلفات أبي حيان وابن هشام أسهمت في تثبيت هذا النهج وتوسيع آفاقه المعرفية.

## ز) عصر التجديد والتيسير (العهد المعاصر) :

ثم إن هذا الإنتاج الهائل، وهذا التراث الضخم، طرح على الدارسين المعاصرين مجموعة من التساؤلات الأساسية منها مثلاً : ما هو مدى إلزام النحو المعاصر بتبني كل هذا التراث ؟ وكيف نتعامل معه ؟

## 7. كيف نتعامل مع التراث النحوي :

وإذا ما تقرر اعتماد هذا التراث باعتباره جزءاً من مقوماتنا الثقافية، فكيف نتغلب على استيعاب مادته الهائلة، ونوعياته البالغة التعقيد ؟

وبما أننا هنا لا نعني بإشكالية الإصلاح النحوي إلا من الناحية التاريخية، فإننا سنكتفي في عصر التجديد والتيسير باستعراض أبرز الآراء المطروحة حول التعامل مع هذا التراث.

وقد يكون من الأولويات لعلماء النحو اليوم أن يميزوا بين ما هو ضروري لل العامة، ومعين على إحكام اللغة العربية، وتدوتها، وتطوريها لتلبية الحاجات والرغبات الثقافية والعلمية، وبين ما هو شأن ذوي الاختصاص في التعمق والبحوث التي تهدف إلى إحياء التراث وتطويره، وإبراز قيمته العلمية، والتنويه بأعمال السابقين.

وهكذا جاءت حركة التجديد والتيسير تلبية لحاجة الدارسين اليوم إلى تصفية هذا التراث النحوي مما سماه الدكتور شوقي ضيف بـ "الأعشاب المضرة".

ذلك أن بعض هؤلاء العلماء في بعض التخريجات، وفي قضايا التمارين، ابتعدوا عن مستوى مستعملٍ للغة، وبالغوا في تقديرات غريبة، لا تعين القارئ على فهم كلام العرب، أو على إصلاح تعبيره.

فحين يصوغ لنا ابن العريف، جملة يمكن أن تعرب على 272.068 وجهاً، فإنه قد خرج عن حقل اللغة المتعارف عليه، وسار في متاهات الألغاز بعيداً عن أهداف العلم، وعن سلية اللغة، ومن الغريب أن نرى عالماً ولغوياً مثل المبرد يفتح له هذا الباب، ويقحم هذا النوع من التمارين في كتابه الذي كان من المفروض فيه أن يكون تبسيطًا لكتاب سيبويه، وهو نحن نقرأ في كتابه المقتصب : "الضارب الشاتم المكرم المعطيه درهما القائم في داره أخوك سوطاً أكرم الأكل طعامه غلامه زيد عمراً خالد بکرا عبد الله أخوك".

(1) السيوطي : بغية الوعاة، ج 1 ص 527.

(2) المبرد : المقتصب، ج 1 ص 22.

ويقول المبرد إنها من الصيغ التي تهدف إلى تمرين الدارسين.

وإذا ما جاوزنا المبرد إلى الشيوخ الأوائل، فإننا سوف نرى أيضاً بعض القضايا المثيرة للاستغراب في مجال التقديرات، وأبنية الألفاظ تبعاً لهذه التقديرات. حيث نراهم يفترضون أن شخصاً سمي بـ "مطايا" - وأن هذا الاسم ينبغي أن يصغر - فإن الخليل ويونس اتفقا على صيغة تصغير "مطايا" فقالوا مُطِيٌّ. لكنهما اختلفا اختلافاً شديداً في أصل ما حذف وما بقي.

فالخليل : يقول بحذف ألف التي قبل الياء فيصير "مُطِيٌّ" وتتقلب ألف الأخيرة ياء، فيصير "مطِيٌّ". وأما يونس فيحذف الياء التي بين الألفين، فتصير "مطاَهٌ". ثم يدخل ياء التصغير فتتقلب ألف التي بعدها ياء، في صيغة لا يصح النطق بها، ثم تنكسر ألف الثانية. وتقلب ياء بدورها، حتى نصل إلى "مطِيٌّ" في آخر المطاف، بعد أن مررنا بمراحل من الإعلال والإبدال لا نعتقد أن لها تأثيراً كبيراً في المعرفة النحوية<sup>(1)</sup>.

وقد يكون في استطاعة المتخصصين أن يتقبلوا هذه التقديرات إذا كان تطبيقها يؤثر في تصحيف أبنية الكلام. كما هو في المثال التالي :

إذا صارت "الذى" و "التي" قلت "اللذيا واللتها". وإذا ثنيت قلت اللذيان واللتين. واتفق سيبويه والأخفش على أن ألف الثنوية هي التي بقيت. وإلى هنا فالكلام واضح، والأمر سهل إن شاء الله. لكن سيبويه والأخفش اختلفا في شأن ألف الزائدة التي حذفت. فقال سيبويه تحذف ولا تقدر. وقال الأخفش تحذف وتقدر<sup>(2)</sup>.

وثرمة هذا الخلاف لا تظهر في الثنوية، ولكنها تبدو في الجمع. فإذا ما أتيح لنا أن نجمع "اللذيا" و "اللتها" في صيغة التصغير فإننا ينبغي أن نقول اللذين واللذين بضم الياء وكسرها وفقاً لرأي سيبويه الذي لا يقدر ألف المحذوفة، ونقول على رأي الأخفش اللذين، واللذين. بفتح الياء لمحى للألف المقدرة مثل، المصطفين، والأعلون، ولاشك أن هذه الصيغ من الأبنية المعقّدة التي لا تنس الحاجة إلى معرفتها.

وما يزيد في صعوبة البحوث النحوية ما يطالعنا من هذا القبيل في بعض آراء النحاة، مثل قول بعضهم إن كسرة الميم في مائة ليست هي الكسرة الموجودة في "مائون"، وإن ألف التي في تهامة ليست هي ألف في تهام.

(1) سيبويه : الكتاب، ج 3 ص 473

(2) سيبويه : الكتاب، ج 3 ص 488 المتن والسيراني في الحاشية.

## 8. محاولات التبسيط والتسهيل :

وهذه التعقيدات هي التي أثارت حركات متتالية، كان أشهرها "ثورة ابن مضاء" وما تلاها من محاولات لتسهيل علم النحو وتبسيطه. ومن المعروف أن حركة ابن مضاء استلهمها من آراء ابن حزم الظاهري الذي أراد أن يفرق بين ما على كل طالب أن يعرفه من النحو، وبين ما يكفي من النحو للعلما.

يعتقد ابن حزم أن ما في كتاب الواضح لأبي بكر الزبيدي هو الحد الأدنى مما يجب على الطالب أن يعرفه من النحو. وأن في كتاب الجمل للزجاجي الحد الأقصى الذي ينبغي له أن يدرسه. ولا منفعة للتزييد على المقدار الذي ذكر. لأن التعمق في علم النحو، في رأيه، فضول وتكلذيب، ومشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب<sup>(1)</sup> والأهم مع أن ابن حزم لا يمانع في إحكام كتاب سيبويه<sup>(2)</sup>.

وأهم ما أضافه الزبيدي في النحو، هو التأكيد في كتاب (الواضح) على أن النحو واللغة وحدة لا تتجزأ. وهذا ما جعله في كتابه يتحاشى الشواهد القديمة المألوفة، والتي أوردها العلماء الأوائل لاستنباط القواعد. بينما اتجه هو إلى تيسير النحو بإعطاء الأمثلة من كلام التخاطب العادي.

ولقد بين الدكتور عبد الكريم خليفة أن مشكلة المتعاملين مع علم النحو كونهم لم يفرقوا بصورة واضحة بين المصنفات التعليمية التي تهدف لا إلى تيسير النحو، ولكن لتيسير اللغة العربية، وبين المصنفات التي ترمي إلى التعمق في علوم النحو<sup>(3)</sup>.

وينبغي ألا ننسى أن هدف النحو هو إحكام اللغة وأنه قد يكون الإنسان خبيراً بنحو لغة ما، دون أن يعرف هذه اللغة، وقد يكون متمكناً من اللغة دون معرفة قواعدها التحورية فلغة النشأة غذاء يرضعه الصبي من ثدي أمّه وصدى للهوا الذي يتنفسه في بيته، فيتتحول مزاجاً يقدمه الفكر واللسان في آن واحد وبطريقة آلية.

هذا وإن توضيح تطور النحو عبر التاريخ يتطلب بيان مجموعة من المفاهيم التي تأسس في إطارها هذا العلم. وهذه المفاهيم هي :

(1) ابن حزم "مراكب العلوم نقاً عن عبد الكريم خليفة : تيسير العربية في القديم والحديث، ص 55.

(2) المصدر نفسه.

(3) تيسير التربية في القديم وال الحديث، ص 102.

## ٩. السِّمَاعُ :

لقد انتقى النحاة فنوجاً معيناً للعربية الفصيحة. ويتمثل هذا النموذج في أعلى درجاته في لغة القرآن الكريم، الذي هو المثل المعجز، فهو أرقى حدود البلاغة؛ واهتم النحاة الأوائل بسماع قراءاته التي وصلتهم على عدة أحرف؛ فصاروا يعتمدون من هذه الأحرف ما هو أقرب لسماعهم من فصحاء العرب.

ثم حصر هؤلاء الفصحاء، في الزمان والمكان. فالعرب الذين يستشهد بهم ابتدأ تاريخهم من الجاهلية إلى أواخر القرن الثاني. فآخر من استشهد به سيبويه هو إبراهيم بن هرمة المتوفى سنة 150هـ. أما الذين جاءوا بعده من محدثين ومولدين فقد تُركوا لفساد لغتهم، وانتقال اللغة من صيغتها الفصيحة إلى وضع العامية وهي حقيقة تؤكدها روايات تاريخية تبين أن القرن الثالث للهجرة شاعت فيه لهجات عامية، ليست معربة. حتى أن الإعراب في الكلام العادي صار مستقبحاً. ويقول ثعلب :

إن شئت أن تصبح بين السورى      ما بين شمام ومجتاب  
فكن عبوساً حين تلقاهم      وكلم الناس بإعراب

أما تحديد لغة السمع من ناحية المكان، فقد جاء حصره في وسط الجزيرة، بين صحراء السماوة، وأعلى نجد، وتهامة، والجاز. وبين اللغويون أسباب هذا التحديد وهو الابتعاد عن لغة أطراف القبائل التي خالطتها الفرس في أعلى العراق وعمان ومازجتها الروم في الشام<sup>(١)</sup>.

وتحاشى النحاة الأوائل الاستشهاد بالحديث، وجاء تعليل الذين تابعوهم من متأخري العلماء، بأن الحديث النبوي قد رواه المحدثون بالمعنى، مستدلين باختلاف الروايات في الحديث الواحد. وسوف نرى رد ابن مالك على هذا الاعتراض، مع أنها نعتقد أن هذا السحاشي جاء عن طريق الصدفة، إذ سنرى أن سيبويه الذي دون النحو في كتابه، واستمرت شواهده سارية في المصنفات، لم يكن ذا معرفة بالحديث. وقد يمكن أن يقال إنه بقيت في نفسه عقدة من تعلم الحديث لأنه طلبها أولاً، ولحن فيه فانصرف إلى النحو وابتعد عن الحديث<sup>(٢)</sup>.

ولقد قلد النحاة سيبويه في عدم الاستشهاد بالحديث، لأن قليلاً منهم كانوا من أهله. ثم صاروا فيما بعد يبحثون عن الحجج لعدم الاحتجاج به. فادعوا أنه روى بالمعنى وأن رواته كانوا من الأعاجم. والحقيقة أن هؤلاء الرواة سواء، أكانوا عرباً أم موالياً يحرضون

(١) السيوطي : الاقتراح، ص ١٩، والمهر، ص ١٢٨.

(٢) السيرافي : أخبار النحويين، ص بين ٥٩ و ٦٠، ابن الأنباري : نزهة الأنبار، ص ٥٤.

حرصاً شديداً على تبع الفاظ الحديث مخافة أن يكتنوا على رسول الله ﷺ لتواتر الحديث القائل "من كذب علي متعبداً فليتبوأ مقعده من النار" <sup>(1)</sup>. وإذا خامرهم الشك في عبارة بينما وجه ذلك، مثال ذلك ما نقرأه في الموطأ من حديث هشام بن عروة عن فاطمة بنت المذر عن أسماء بنت أبي بكر في حديث خسوف الشمس، إذ قال هشام قالت أسماء : "يؤتي أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فأما المون أو المون (لا أدري أي ذلك) قالت أسماء) فيقول، محمد رسول الله جاءنا بالبيانات والهدى فأجبنا واتبعنا فيقال له نعم صالحا قد علمنا إن كنت لمؤمنا وأما المنافق أو المرتاب (لا أدري أي ذلك) قالت أسماء) فيقول، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت له" <sup>(2)</sup>.

واختلاف اللفظ في الحديث الواحد، لا يعني بالضرورة أنه روى بالمعنى، ذلك أن الرسول ﷺ كان يكرر كلامه ثلاث مرات ليُسمع، ويجوز أن يكون هذا التكرار بصيغ مختلفة، كما أنه في بعض الأحيان يمكن إعادة الحديث في مناسبات أخرى.

ولنفرض أنه روى بالمعنى، فإن رواته أكثرهم من العرب، إما بالأصلية وإما بالولاء. وهذا ما يؤكده النظر في رجال موطأ الإمام مالك على سبيل المثال فإن أكثر أحاديثه رويت عن ثلاثة أجيال : وهم جيل صحابة رسول الله ﷺ ولا تحتاج إلى إثبات حجية لغتهم. ثم روى عنهم أبناءهم ومواليهم من ثقات العلماء. ثم جاءت طبقة شيوخ الإمام مالك من التابعين وأبناء المهاجرين والأنصار أمثال هشام بن عروة بن الزبير ومحمد ابن شهاب الزهري القرشي، وعبد الله بن دينار الأنصاري، وإسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة الخزرجي، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج الذي قيل إنه من أول من وضع العربية.

ولقد أوضح ابن مالك في كتابه "التوسيع والتصحيح لشواهد الصحيح" توجيهها وتفسيراً لكل ما أشكل على النحاة في أحاديث صحيح البخاري، والحق أن هذه الأحاديث لا تحتاج إلى شواهد من أجلاف شعراً، العرب لتصحيح انتمائها إلى العربية الفصحي <sup>(3)</sup>.

واللغة النموذجية، التي اعتمدتها أوائل النحاة كانت أساساً سمعاً للعرب نثراً ونظمًا. وهي المادة التي يدرسها العلماء ليتعرفوا على بنيتها التركيبية، وصور أدائها. فانكبوا على عمليات استقرائية استخلصوا منها مجموعة القواعد المعروفة. وبما أن هذه القواعد لا تسع جميع الصيغ المسماة اختفت مذاهب العلماء في أسس التعقيد، فمنهم

(1) متفق عليه.

(2) الموطأ في باب صلاة الكسوف.

(3) ابن مالك : انظر التوضيح كله، ورد ناظر الجيش على أبي حيان، نخلا عن خديجة الحديبي في كتاب "أبو حيان النحوى"، ص 558.

من اعتبر الأكثر والأغلب، وسمى ما عداه "لغات" لا ترقى إلى مستوى المثال الأصلي. ومنهم من جعل دائرة المسموع أوسع وجميعهم اعترفوا بوجود حروف شاذة، واستعمالات ضرورية، كما اتفقوا جميعاً على مبدأ القياس على هذه القواعد.

## 10. نظرية العامل :

وكان من أهم طرق استقراء القواعد، القول بأن الكلام يؤثر بعضه في بعض، من حيث التركيب، وهذا ما عبروا عنه بنظرية العامل وهي عند النحاة أساس لتفسير نظام الإعراب، ووسيلة إرساء القواعد التي أدت إلى استعمال الأقيسة واستنباط العلل.

ولقد أثارت هذه النظرية جدلاً بين القائلين بها فاختلقو في تصنيفها وأنواعها. ثم كان من بينهم من ألح أنها مجازية، لأن الذي يحدث الرفع والنصب والجزم هو المتكلم نفسه وفقاً لما يقول ابن جني، ولقد التقى ابن مضاء هذا الرأي في كتاب الرد على النحاة، وهاجم النظرية من أساسها، محاولاً هدمها وإبطالها، واعتقد استحالتها منطقياً، لأن تأثير العامل النحوي فيما يقول ابن مضاء لا يتم إلا بعد انتهاء الحدث، ومن المحال أن يأتي السبب بعد حدوث المسبب، ووصل به الأمر إلى القول بحرمتها شرعاً حينما يتعلق الكلام بالقرآن الكريم. لأنه قول برأي لا أساس له<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا الجدل قد نشأ عن غموض في مفاهيم المصطلحات التي استعملت في هذه النظرية، زيادة على تعقيدها حينما تنقسم إلى أنواع مختلفة منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو معنوي، ومنها ما يعمل مذكراً أو مخدوفاً. ولتوسيع هذه النظرية نستعرض باختصار مفهومها وأسباب التي دعت إلى وضعها.

يقول النحاة إن الإعراب تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديرأً، فإذا قلنا "أكرم زيدُ عمراً" فال فعل "أكرم"، عمل الرفع في "زيد" والنصب في "عمرو" وإذا قلنا إن زيداً قائم، فالحرف "إن" عمل النصب في "زيد"، والرفع في عمرو وهكذا. والمعنى المتبادر هنا أن هذا الإعراب حصل نتيجة المعنى الحادث، لوجود "أكرم" و"إن"، غير أن التأثير ليس سبباً بالمعنى الشرعي أو المنطقي، وإنما هو تقرير استقراره العلماء من سماع أهل اللغة، فلاحظوا ارتباطاً بين أنواع من الكلمات وتشبت بعضها ببعض واصطلحوا أن يسموه بـ"العامل"، كما سموا المغيرات التي بعده، بـ"المعلمات". والتأثير هنا ليس بالطبع "صنعاً" من العوامل، ويمكن أن نذكر ما قاله الغزالى في معرض الأسباب والمبنيات "عندها لابها"، هذا وقد ساق تصنيف العوامل النحوية إلى صور معقدة، وأمثلة ابتدعت عن الواقع اللغوي، وتقديرات لا يسهل على الطالب فهمها.

(١) ابن مضاء : الرد على النحاة، ص 81.

لنأخذ مثلاً رأي النحويين الذي يعتقدون أن العوامل تنقسم إلى صفين وهم الفعل والحرف اللذان يعملان بالأصلية، معللين ذلك بأن الفعل يعمل لأنه يدل على حدث في الاسم، وأن الحرف ي العمل لأنه يدل على معنى في نفسه، وإذا لوحظ عمله في المصدر واسم الفاعل فذلك لتضمنه معنى الفعل. لكن هذا المذهب حتم على معتنقيه أن يقدروا أفعالاً أو حروفاً في عدة مواضع لتفسير بعض حالات الإعراب. ففي باب الإضافة، اقتضى هذا الرأي أن ينوي حرف جر مثل ما يقول ابن مالك في باب الإضافة :

والثاني اجر وانو "من" أو "في" إذا لم يصلح الا ذاك و "اللام" خذا  
لما سوى ذينك .....

ثم إن النحويين اعتراضتهم قضية الرفع في الابتداء، وفي الفعل المضارع المجرد، فاضطروا أن يقولوا فيما يعامل معنوياً. وهو "الابتداء" في الاسم، و "التجرد" في الفعل. وقد أعطى سيبويه تفسيراً دلالياً للرفع، يمكن أن نطلق عليه "إظهار ما في النفس" مشيراً إلى كون العوامل النفسية تؤثر في الإعراب حيث قال : "قالوا صاحب معانٌ ومبرورٌ وأمّاجرٌ كأنه قال أنت صاحب وأنت مبرور. فإذا رفعت هذه الأشياء فالذى في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذى في نفسك غير ما أظهرت. وأما قولهم راشداً مهدياً فإنهم أضمروا اذهب راشداً مهدياً<sup>(1)</sup>. ومثله هنيناً فالرفع يدل على التقرير، والنصب على الدعاء..

ومن القضايا الجدلية في حذف العامل، ما يقوله جمهور النحاة من إعمال بعض الحروف مع وجوب حذفها، مثل نصب "أن" للمضارع، بعد "حتى" وبعد "الفاء" إذا كانت جواب نفي أو طلب. وهذا ما نظمه ابن مالك بقوله :

وبعد فا، جواب نفي أو طلب محضين "أن" وسترها حتم نصب

وهذا ما دعا أبا غسان داماً أن يتبرم من "أن" في أبيات طريفة بعث بها إلى المازني منها :

وقد خفت يا بَكْرُ من طول ما أفكِرَ في أمر "أن" أَجِن<sup>(2)</sup>

ومع ذلك فإن نظرية العامل أسهمت في ربط الكلام بعري منطقية ومكنته من تسهيل نظرية القياس النحوي.

(1) سيبويه الكتاب، ج 1 ص 271.

(2) الفتنطي : الإناء، ج 2 ص 5.

## 11. القياس:

مصطلح القياس يشمل عدة مفاهيم تختلف تبعاً للسياق، وللمادة العلمية التي يتناولها القياس، فهو مصطلح مشترك بين علوم مختلفة، وأدى استعماله في النحو إلى نوع من الخلط الذي يؤول إلى الالتباس والغموض.

ولمحاولة توضيح مفهوم القياس النحوى، فلا بد من تمييزه عن القياس المنطقي، والقياس الأصولي. والمعروف أن القياس الأرسطي، يتمثل في استنتاج شكلي من مقدمتين مسلم بهما؛ ومن أمثلة أشكاله المشهورة، إن كل إنسان فانٍ، وإن سقراط إنسان؛ والتنتجة إن سقراط فان. وهذا النمط من القياس إنما هو شكل صوري لا يستبعد تطبيقه في وسائل الإثبات بالبراهين العقلية، دون أن يصلح منها لعلم معين مثل النحو أو الفقه؛ وسنرى أن تأثر النحوة به لم يظهر بوضوح إلا في القرن الرابع الهجري. وكان اعتماده في التعريفات والحدود أكثر منه في القياس.

أما القياس الأصولي، وبالخصوص قياس العلة، فهو منهج خاص يستهدف معرفة علة الحكم الوارد في النص، أي الأصل، وإضفاء الحكم نفسه على المائل الذي لا نص فيه وهو الفرع وذلك بجماع العلة. ومن أشهر أمثلته إن علة تحريم الخمر هي الإسکار؛ وإن النبيذ مسكر، فالنبيذ محرم بسبب هذه العلة.

ولا أحد ينكر أوجه الشبه بين القياس الأصولي والقياس النحوى لأن كليهما حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه. وقد نسب إلى الكسائي قوله :

إنما النحو قياس يتبع

ويقول ابن الأنباري في أصوله إن النحو كله قياس. فإنه العلم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب. فإذا قال العربي "كتب زيد" فلنك أن تقيس في إسناد الفعل إلى كل فاعل. وكذلك العمل في سائر العوامل الداخلة على الأسماء والأفعال<sup>(۱)</sup>.

غير أن ابن الأنباري وتبعه السيوطي، تجاوزاً هذا الاستقراء النظري إلى المقارنة بين القياس النحوى اللغوى، والقياس الأصولي، فجعلوا أركانه أربعة وهي الأصل والفرع والحكم والعلة.

وأعطيا مثال رفع ما لم يُسم فاعله، قياساً على الفاعل، وقالا إن العلة الجامعة هي الإسناد.

(۱) ابن الأنباري : لمع الأدلة، ص 95.

ثم فصل السيوطي أنواع القياس النحوی قائلاً إنها<sup>(1)</sup> :

1. حمل فرع على أصل : مثل إعلال الجمع وتصحیحه حملًا على المفرد. كقولهم دِيمَ في جمع دِيَة، وثُورَة في جمع ثُور.
2. حمل أصل على فرع : ومثله إعلال المصدر لإعلال فعله وتصحیحه لتصحیح الفعل، مثل قمت قیاماً، وقاومْتُ قواماً.
3. حمل النظير على النظير : فالنظير في اللفظ مثل زيادة "إن" بعد "ما" المصدرية الظرفية والموصولة لأنهما بلفظ "ما" النافية، ودخول لام الابتداء على "ما" النافية حملًا لها في اللفظ على "ما" الموصولة والنظير في المعنى جواز "غير قائم الزيدان" حملًا على "ما قام الزيدان". أما النظير في اللفظ والمعنى، فهو أن يرفع أفعل التفضيل اسمًا ظاهراً لشبيه بأفعل التعجب، وجواز تصغير أفعل التعجب لشبيه بأفعل التفصیل.
4. حمل ضد على ضد : كالنصب "بِلَم" حملًا على الجزم بـ "أن" وفي الجزویة في باب البناء أن الشيء قد يحمل على مقابلة، وعلى مقابل مقابلة، وعلى مقابل مقابل مقابلة<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ هنا أن السيوطي وابن الأنباري قبله ابتعدا عن المنهج اللغوي الذي يعتبر في الحقيقة تصوّراً استقرائياً يرتكز أساساً على القاعدة اللغوية التي يتم تقريرها بعد رصد ظواهر السماع التي تصل إلى مستوى الأطراط. والأولى تصنيفه على ثلاثة أقسام<sup>(3)</sup> :

1. **القياس العام** : وبعضهم يسميه القياس الأصلي.

وهو إلحاد اللفظ بنظيره المسموع والماثل. ولقد استعمله النحوين في كثير من الأحكام. وبالخصوص، في أبنية المصادر والجموع، وتصريف الأفعال، والصيغ الصرفية.

2. **القياس النظري** : وهو إلحاد اللفظ، بنظير غير ماثل، أو بنظير غير مسموع، فمثال الأول قياس ترخيم المركب المجزي على الأسماء المنتهية بتاء التأنيث، أما الثاني فتراه في صيغ مفردة قرر النحوين أنها تدخل في باب القياس، مثل قولهم شنتي في النسبة إلى شنوة، ولو لم يكن لها نظير تقاس عليه.

(1) السيوطي : الاقتراح، ص 42-44.

(2) الجزویة، ص 243.

(3) راجع مبحث اللغة المقیسة، محمد إبراهيم البناء : أبو القاسم السهیلی ومذهب النحوی، ص 230.

3. القياس التعليلي : وهو ما يرد للتبسيه على علة الحكم، مثل قول النحويين إن الفعل المضارع أغرب قياساً على الاسم لتشابهه له في احتمال عدة معان لا يتبيّن المراد منها إلا بالإعراب.

وهذه المستويات الثلاثة في تصور القياس النحوبي. تبدو مواكبة تطور تاريخ نشأته ؛ فلقد قيل إن ابن أبي إسحق الحضرمي كان أول من مدَّ القياس. وهذا قد يعني أنه قرر استقراء القواعد حتى وصل إلى ثبيت القياس الأصلي، وفقاً لمعايير الشبه اللفظي.

وتجاوز الخليل هذه المرحلة، فافتراض القاعدة مجرد عن النظير المطرد، كما افترض أن اللغة الفصيحة كلها قياس ؛ فقياس المنادي المفرد على بناء قبل وبعد، تم تعويضاً عن الإضافة في كل الصيغتين. وقام "صيد عليه يومان" على قول العرب "يطوهم الطريق"، ولقد اضطر الخليل، دفاعاً عن نظرية عموم القياس، أن يلجأ إلى القول بنظرية "الطرح" إذلاحظ مثلاً أن القياس يمنع دخول التعريف على المصدر إذا كان حالاً. وفي قولهم، "أرسلها العراق"، ومررت بهم "الجماه الغفير"، قال الخليل إن العرب تكلمت بهذه الصيغ على نية طرح الأنف واللام<sup>(1)</sup>.

وكان للخليل أيضاً القسط الأول في إقرار نظرية التعليل، وأوضح النحاة تبعاً له أن القاعدة المطردة هي التي تعتبر في القياس، فبينما تقرر القاعدة مثلاً أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تُنْدِدْ، فإن النحوي يعطينا أمثلة من أوجه الإفاده المسوجة للابتداء بها. ثم يقول لنا ابن مالك في باب الابتداء :

ورغبة في الخير خير وعمل      بِرٌّ يزين وليس مالم يقل

ولكن النحويين على وعي بأن اللغة لا تضبطها قوانين دقيقة مثل التي نراها في الرياضيات، ولذلك يلاحظ الشاذ عن القواعد المطردة، والاستعمالات النادرة، والتعابير الضرورية في الأساليب الفنية.

ونتيجة لهذه الملاحظات، نقرأ عند ابن مالك استدراكات على بعض القواعد فتارة يقول بعد سرد قواعد النسب :

وغير ما أسلفته مقرراً      على الذي ينقل منه انتصرنا

ومرة يقول في صوغ أفعال التفضيل :

وبالن دور احكم لغير ما ذكر      ولا تقس على الذي منه أثر

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 375 (المتن والخاشية).

وإذا كانت القاعدة لاتفي بالصيغة المقصودة في بابها، مثل أوزان المصادر، يقول لنا الناظم :

وما أتى مخالفًا لما مضى      فبابة النقل كسخط ورضي

وعليه، فإن عملية القياس النحوية تتم وفقاً للمراحل التالية :

أولاً : رصد الظواهر اللغوية، وتصنيفها بحسب مثالها في التركيب الإعرابي، أو الصيغة الصرفية. وتقرير القاعدة اعتماداً على استقراء الغالب في السماع.

ثانياً : استبعاد كل صيغة لم ترد في السماع، ولو كانت موافقة للقياس النظري.

وهذا ما نظمه ابن المرحل من فصيح ثعلب حيث قال :

ولا تقل يعسو ولا ذا عاس      إن السماع مانع القياس

ثالثاً : اعتبار ما خرج عن القاعدة المطردة ساماً منقولاً، يحفظ ولا يقاس عليه مثل : الشاذ والنادر، وما دعت إليه الضرورة :

أ) فالشاذ مثل إعراب "سنين" بالحركات، ونصب الفعل المضارع مع حذف "أن" في قولهم "تسمعَ بالماعدي خير من تراه"، وجمع فارس على فوارس، واستعمال "يا" النداء مع "اللهم"، وتصغير "حرب" دون إلحاق التاء، وإضافة اسم الظاهر إلى "إيا"، وإلحاق "هاء" السكت فيما يبني ويعرب مثل قول الشاعر :

أرمضُ من فوقُ وأضحى من علْه

ب) والنادر وهو الذي لا يتسع استعماله في كل قبائل العرب، مثل لغة هذيل في إبدال ألف المقصور ياءً في حال إضافتها للياء المتكلم : نحو هويٌ في هواي، ومنه قراءة ﴿اتَّبَعَ هَدِي﴾ (طه . الآية 123)، وكذلك لغة بنى تميم في قولهم "خذ هذه مطبوخة به نفساً".

ج) الضرورة : وأنواعها كثيرة في الشعر، مثل ترخيق غير المنادي، وصرف ما لا ينصرف، وتأنيث المذكر كقول الشاعر :

أبوك خليفة ولدته أخرى      وأنت خليفة ذاك الكمال

## 12. التعليل :

لقد سلك التطور التاريخي للمنهج النحوبي في التعليل مراحل الطريق التي لاحظناها في تصور القياس، بدأ بالتعليق اللغوي عند الخليل وسيبويه، ثم تطور إلى التعليل المنطقي في عهد ابن السراج وعلى يد الزجاجي، ثم جاء دور التعليل الأصولي لدى ابن جنبي وابن الأباري والسيوطني من بعدهم.

لقد قلنا إن ابن أبي إسحق قد شرح العلل، ولكن الخليل هو أول من أبرز التصور الواضح لطبيعة هذه العلل، وطريقة استقرائها. والعلل في عهد الخليل جاءت بمثابة تفسير لغوي يستكشف من طبيعة الكلام، فكان :

أولاً : محاولة توضيح الخطاب، وهو ما سمي فيما بعد بعنة "الفرق" أو "أمن اللبس".

ثانياً: الميل إلى تسهيل النطق بالألفاظ، وبالخصوص إذا كانت هذه الألفاظ مماثلة استعماله، وهذا ما عرف بـ"استعمال الأخف" ولقد انتبه الخليل إلى أن العلل اللغوية لم تنتقل عن العرب نقلأً، وأنه قد استقرارها بتأمله وتفكيره، فقال :

"إن العرب نطقوا على سجيتها وطبعها، وعرفت موقع كلامها، وقام في عقولها عللها، وإن لم ينقل عنها ذلك، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علنته منه، فإن كنت أصبت العلة فهو الذي التمس، وإن تكون هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمه بانيها، بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللاحقة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا لعلة، ستحت له وخطرت بياله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير العلة ... فإن سمح لغيري علة لما علنته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليات به"<sup>(1)</sup>.

وسوف نتعرض لنهجه في التعليل في الفصل الخاص به، لنتبين أن التعليل عنده يهدف إلى توضيح أسس القواعد والأحكام التي سنها العرب في كلامهم. ولقد رسم الخليل للنهاية من بعده منهجاً للبحث عن العلل المناسبة، اعتماداً على الأسس اللغوية البحتة.

وفي بداية القرن الرابع الهجري تسررت إلى المناهج النحوية مذاهب المتكلمين، وأشكال المنطق الأرسطي، وأخذ البحث في العلل طابعاً يتجاوز التفسير الوصفي لقواعد اللغة. وهذا ما تناوله الزجاجي في كتاب الإيضاح حيث قال : "إنها على ثلاثة أضرب : علل تعليمية وعلل قياسية، وعلل جدلية"<sup>(2)</sup>.

(1) الزجاجي : الإيضاح، ص 65.

(2) المصدر نفسه، ص 64.

فالتعلمية يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، لأننا لم نسمع كل كلامهم. وسمينا بعضاً وقسنا عليه نظيره : وذكر من هذا القبيل صيغ اسم الفاعل. وأحكام الرفع والنصب بالنواسخ. وهو ما يطلق عليه "العلل الأول" جواباً لمن قال بمَ رفعت ونصبتم في مثل "إن زيداً قائم" ؟

أما العلل القياسية عنده، (وهي العلل الثانية) فمثالها أن يقال لمَ نصبتم "زيداً" بأنِ ؟ ولمَ وجب أن تنصب "إن" الاسم ؟ والجواب عند الزجاجي إنها ضارعت الفعل المتعدي فحملت عليه، فالمقصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً.

أما العلل الجدلية النظرية (وهي الثالثة) فمثالها أن يقال من أي وجه شابهت هذه الحروف الأفعال، وبأي الأفعال شبتهنها ؟ وهي أسئلة كثيرة يأخذ بعضها برقباب بعض، وإذا كان الزجاجي في كتاب العلل لم يبسط فيها الجواب، فإننا سنرى أبا البركات الأنباري يستقصيها بالبحث عن إعطاء تفسير منطقي لظواهر اللغة العربية، وفقاً لطريقة الأصوليين. والظاهر أن عمله كان وليد تفكير متعمق، قام به عالم متخصص في النحو ومتشبع بنهاج أصول الفقه، وليس من الغريب أن يسمى كتبه بأسرار اللغة، أو باللمع، ولعله فيها يشير إلى جهوده المتواصلة حتى اكتشف هذه الأسرار البعيدة، وذلك عن طريق لمع تبين نوعاً من الإلهام الصوفي، الذي يعتمد على التخرجات المنطقية.

بيد أن مشكلته الأساسية هي أن هذه الظواهر لا تخضع كلها لهذه التعاليل التي لم يقصدها العربي عن وعي، وإنما وردت وفقاً لنتطور النظام اللغوي العام، اللهم إلا إذا قررنا أن اللغة توقيف في جميع جزئياتها، فحينئذ نستطيع الحديث عن قوانين سبقت وضع اللغة، وهذا بحث يتتجاوز محاولة التاريخ النحوي.

لقد بینا أن ابن الأنباري اعتمد مذهب الأصوليين واصطلاحاتهم في التعاليل، وحاول تطبيقها في أصول النحو، وذلك في كتاب مع الأدلة، لكنه في كتاب "أسرار اللغة" استهدف إعطاء العلل الشوانية والشوالت للأحكام النحوية، والمسالك التي أقرها للوصول إلى هذه العلل تخلص في القاعدتين المذكورتين سابقاً : وهما الفرق والتخفيف، وقد أوضح ابن جني أن أكثر أنواع العلل تجري مجراهما. وقد زاد ابن الأنباري عليهم "علة الحمل" وهي قريبة من قياس الشبه.

في بعض هذه العلل، إذن، يتماشى مع ضوابط التفسير النحوي لأنه يساعد على حسن فهم التعبيرات اللفظية، وإدراك أسرار علاقاتها بالمعنى. وبعضها يعطي الباحث ملاحظات جد قيمة في مجال تفهم الظواهر الصوتية ولكن بعضها يبدو وكأنه مجرد افتراضات وتأويلات غريبة لا تُقرَّب الدارس من إدراك أسس التعريف ومراميه.

وسنعود إلى الحديث عن منهجه العام في باب "المراجعة والتأصيل".

وبعد رسم الإطار الزمني لتاريخ النحو، وبيان أصوله الإجمالية التي تأسست وتطورت عبر هذا التاريخ، فعلينا أن ننظر بشيء من التفصيل، في إطار كل حقبة، ما هي إضافتها في تأسيس القواعد، وإنشاء النظريات وتطويرها، ومن هم العلماء، الذين تم على أيديهم هذا التطور، وما هي العوامل الإقليمية والمذهبية التي أثرت في تحديد وجهتهم الفكرية.

ولقد كان من الإنصاف، أن نبرز إسهام المغرب العربي في إثراء النحو، وتطويره، دون أن نتناسي وحدة الجهد المعرفي بين علماء الأمة الإسلامية، في مجتمعها، أو أن نغفل تبادل الأخذ والعطاء، بين الشرق والمغرب.



**القسم الأول**

**النحو في المشرق**



## الباب الأول

# حصر النشأة والتأسيس

### 1. نشأة علم النحو:

يكتنف نشأة علم النحو العربي بعض الغموض وتختلف فيها الروايات، ذلك أنها عملية خلق يشتراك فيها عادة أكثر من عامل، ويسهم فيها أكثر من شخص، وربما تبرز الفكرة في عدة أماكن، وفي أزمنة متفاوتة، ويدعى كل فريق قصب السبق إليها. ومع ذلك فإن كل الروايات تجمع أن الإمام علي بن أبي طالب هو الذي وضع الخطة الأولى، وأن أباً الأسود الدؤلي بدأ بتنفيذها وأن أحد تلامذته وهو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي هو الذي أرسى التقواعد ومدَّ القياس وشرح العلل، وأن عيسى بن عمر قد جمعها في "جامعه"، وأكملها في "إكماله" وتواترت الجهود، حتى انتهى الأمر إلى كتاب سببويه.

وإذا كان بعض الباحثين ينكر هذه الروايات استناداً على الاختلاف الملاحظ فيها، واعتقاداً بأنها اختلقت لأسباب تتعلق بشخصية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن الذين يرون هذا الرأي لم يستطعوا إقامة البراهين العلمية على ما ادعوه، كما أنه ليس من المعقول أن تستبعد أن الإمام علي هو واسع هذا العلم.

### 2. الإمام علي بن أبي طالب يضع أصول النحو:

لقد تربى الإمام علي بن أبي طالب في مدرسة القرآن والبلاغة النبوية، واكتُب نزول القرآن وعرف فيما نزل، وأين نزل، وكيف نزل، واهتم بجمعه بعد التحاقه بالرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، فكان له مصحفه وقراءته. وملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام جعلته يستقي منابع اللغة من أُوتِي جوامِع الكلم، وكان حريصاً على معناها ومبناها مع أنه كان من كُتَّاب النبي عليه الصلاة والسلام المقربين.

هذا ولقد اشتهر أبو الحسن، من ضمن ما اشتهر به، بعقبية فذة جعلته متفوقةً في حل المعضلات، حتى ضرب به المثل، وهو : "قضية ولا أباً حسن لها"، فلا غرابة إذن أن

يعلم فكره في حفظ لغة القرآن، واختراع صناعة جديدة تحفظ لغة الذكر، وتسهل على المسلمين تقويم ألسنتهم وأقلامهم، فكان من حسناته العظام أن فتح الطريق لتأسيس هذا العلم.

وما يعزى لأبي الأسود قوله : "دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فرأيته مطروقاً مفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال إني سمعت ببلدكم هذا هنا ، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، فقلت إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين فقد أحبيتنا ، وبقيت فيينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلى صحيفة فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم و فعل و حرف، والاسم ما أنشأ عن المسمى، والفعل ما أنشأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنشأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال لي تتبعه، وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبو الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر، ومضرر، وشيء ليس بظاهر ولا مضرر فجمعته ضمن أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب فكان منها إن، وأن، وليت، ولعل، ولم ذكر لكن، فقال لي لم تركتها، فقلت لم أحسبها منها قال فزدها فيها. وكلما وضعت من أبواب النحو عرضته عليه رضي الله عنه، إلى أن جعلت ما فيه الكفاية، فقال ما أحسن هذا النحو الذي نحوطه"<sup>(1)</sup>.

وذكر القنطي أنه رأى في مصر في أيدي الوراقين جزءاً من أبواب النحو، يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود<sup>(2)</sup>.

ولقد حفظ أبو الفرج الإصبهاني في حداة سنة عن أبي جعفر بن رستم عن أبي عثمان المازني (ت 236 هـ) عن أبي عمر الجرمي (ت 255 هـ) عن أبي الحسن الأخفش (ت 215 هـ) عن سيبويه (ت 180 هـ) عن الخليل بن أحمد (ت 170 هـ) عن عيسى بن عمر (ت 149 هـ) عن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت 117 هـ) عن عنبرة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي (ت 129 هـ) أن أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) دخل على ابنته بالبصرة فقالت "ما أشد الحر" فقال لها شهرا ناجر، فقالت يا أبي إما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطة العجم وأوشك، إن تطاول عليه الزمان، أن تص محل، فقال وما ذلك ؟ فأخبره بخبر ابنته، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملأ علىه أن الكلام كله لا يخرج عن اسم و فعل و حرف جاء لمعنى.

(1) القنطي : إنباه الرواة، ج 1 ص 39.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 40.

ويروي صاحب الأغاني عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه أن أول باب وضعه والده في النحو هو "باب التعجب"، ولعل السبب في ذلك أن لحن ابنته كان في هذا الباب<sup>(1)</sup>.

ويذكر أبو الطيب اللغوي روايا عن أبي إسحق إبراهيم بن حميد قال أخبرنا أبو حاتم السجستاني، وأخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال حدثنا أبو عمر الجرمي عن الخليل، قالوا : وكان أبو الأسود أخذ ذلك (النحو) عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، لأنه سمع لحننا، فقال لأبي الأسود اجعل للناس حروفًا وأشار إلى الرفع والنصب والجر<sup>(2)</sup>.

ويأتي تأكيد هذه الرواية من ابن النديم في الفهرست، عازياً لمحمد بن إسحق قوله إن أكثر العلماء يعتقدون أن أبو الأسود أخذ النحو عن الإمام علي بن أبي طالب، مع أنه أورد رواية تتحدث عن دور نصر بن عاصم الدؤلي (أو الليثي) وعبد الرحمن بن هرمنز، لكن ابن النديم رجح نسبة التأسيس إلى أبي الأسود استناداً على قمطر من ورق صيني اطلع عليها ابن إسحق، فيها كتابات عهود بخط الإمام نفسه، كما تشمل خطوط الحسن والحسين رضي الله عنهما، وبعض خطوط علماء النحو، وكلاماً في الفاعل والمفعول عن أبي الأسود الدؤلي<sup>(3)</sup>.

وإذا كان من غير الغريب أن يكون الإمام ابن أبي طالب أعطى التصور الأول لهذا العلم، فليس من الغريب كذلك أن يكون أبو الأسود الدؤلي واضح أسسه، وعائد أصوله.

### 3. أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) :

لقد كان ظالم بن عمرو بن سفيان المشهور بكنيته من سادة العلماء في عصره، فقد اشتهر ذكره في مجموعات من الناس، وكان في مقدمة كل فئة منها، وكان من وجوه القراء، والمحدثين والشعراء والنحويين، كما يرتفع صيته بين الأشراف، والفرسان، وفي كل مجال له ذكر وصيت حتى بين الدهاء والبخلاء والصلع وأصحاب النوادر.

كل هذه الصفات، مكتنحة أن يعيش طيلة حياته مكرماً في البصرة بعدما كان عاملاً للإمام علي بن أبي طالب، وظل وفيأً له ومناصراً لعترته، دون أن يمسهسوء من قبل العثمانية أو من قبل عمال معاوية في العراق.

(1) الإصهاني : الأغاني، ج 11 ص 311.

(2) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين 4.

(3) ابن النديم : الفهرست، ص 66.

وإن اتصاله الوثيق بالإمام علي، وابن عمّه عبد الله بن عباس، كان مصدر إلهاء معارفه في القرآن ومنطلقاً للنهوض بملكته اللغوية، فانفتحت أمامه أبواب التفكير والإبداع، وكان من نتائج فكره المتميز أن وضع اللبنات الأولى في الخطة التي رسمها الإمام علي بن أبي طالب لهذا العلم. كما أن جمهور المؤرخين يتفقون على أهمية ما قام به في نشأة النحو.

يقول ابن سلام الجمحي في مقدمة طبقات الشعراء إن أبو الأسود كان أول من أسس العربية، وفتح بابها وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، وإنما قال ذلك حينما اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة فكان سارة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحرف الجر والرفع والنصب والجزم<sup>(1)</sup>.

وقد يكون أبو الأسود، حسب ما يذكره المؤرخون في أول أمره ضئيلاً بما أخذ عن الخليفة من علم، إذ لا يزيد أن يخرج شيئاً أخذه عنه إلى أحد. إلا أن عوامل استجدة فدعته إلى تجاوز التمسك بعلمه، فحينما أمتد اللحن إلى القرآن الكريم، وسمع من يقرأ قوله تعالى : «أَنَّ اللَّهَ بْرِيءُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» (التوبية - الآية 3) بكسر اللام، استجاب لأمر الأمير زياد وأتى بكاتب لقى، عهد إليه أبو الأسود أن ينقط على أعلى الحرف إذا فتح شفتة، ويجعل النقطة بين يدي الحرف حين يضمها، وأن يضع النقطة تحت الحرف إن كسر شفتة<sup>(2)</sup>.

كما أن حرصه على مساعدة الموالي الذين دخلوا في الإسلام وصاروا له إخوة دعاه أن يسعفهم، فوضع باب الفاعل والمفعول. ثم إن الروايات الأخرى تذكر أنه كان مدرساً لأبناء زياد ولبعض العلماء، وأن مجموعة من العلماء أخذت عنه النحو.

وقد اهتم الدكتور عبد العال سالم مكرم<sup>(3)</sup> بالتنقيب عما وجد من آثار أبي الأسود في مراجع النحو وكتب القراءات. واستخرج من ذلك مجموعة من القضايا التي لها صلة بالسائل النحوية، مثل القراءة المنسوبة إليه، وهي : «أَلَا إِنَّمَا تَشْنُونِي صَدْرُهُمْ لِي سَتَحْفُوا مِنْهُ» (هود - الآية 5) وهي قراءة شاذة، تقع فيها "تشنوني" على تفععلن. وقد وردت هذه الصيغة عند العرب مثل ما جاء في قول حميد بن ثور :

فَلَمَّا مَضِيَ عَامَانِ بَعْدِ انْفَصَالِهِ عَلَى الضرعِ وَاحْلَوْلِي دَمَاثَا يَرُودُهَا<sup>(4)</sup>

(1) الجمحي : طبقات الشعراء ، ص 29.

(2) ابن الأباري : نزهة الأنبلاء ، ص 20.

(3) الحلقة المفقودة من تاريخ النحو ، ص 9 وما بعدها.

(4) ابن جني : المحتسب ، ج 1 ، ص 318.

كما أورد استعمال أبي الأسود الماضي "ودع" في قوله :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه<sup>(1)</sup>

ويوافق هذا الاستعمال قراءة، من الشواذ بتخفيف "ودعك" في قوله تعالى : ﴿ما ودعك ربك وما قل﴾ (الضحى - الآية 3) واستدل بعض النحاة بها، وبما جاء في الحديث الشريف : "دعوا الحبسة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم".

ومما نسب إلى أبي الأسود أيضا قوله إن من العرب من يقول : لولي لكان كذا. مع إيراد شاهد ليزيد بن الحكم، وهو قوله :

وكم موطن لولي طحت كما هو بأجرامه من قلة النيق منهوى

وقد أشار سيبويه إلى هذا الاستعمال مبيناً أن لولا إذا أضمر الاسم بعدها جُر، وإذا ظهر ارتفع<sup>(2)</sup>. وقد أغفر هذا الحكم محض بابه بن عبيد الديلمي الشنقيطي بقوله :

وحرف إذا ما أسنده لمضممر فخفض وإن للظاهر ارتفع المحل

ومن الشواهد الشعرية المنسوبة إلى أبي الأسود نجد خمسة أبيات استدل بها النحاة على أحکام معينة، كان أبو الأسود العمدة فيها بصفته عربياً فصيحاً يستشهد بشعره، وعالما يتصرف وفق الأصول النحوية التي أسسها في وضع المبادئ النحوية. وهي قوله :

إذا جئت بواباً له قال مرحباً لا مرحباً واديك غير مضيق

ونبه سيبويه هنا على أن المصدر في "مرحب" صار بدلاً من "رجبت بلادك" كما كان "الحدر" بدلاً من احضر<sup>(3)</sup>.

وقوله :

فالفيتة غير مستعتبر ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وفي هذا البيت جواز حذف التنوين للضرورة مع التقاء الساكنين<sup>(4)</sup>.

وأورد له ابن الشجري في أماليه شاهدا على حذف الهمزة من "أبي فلان" إذا كان منادي. وذلك في قوله :

يا بالمحْيَّة رب أمر معرض فرجته بالذكر مني والدَّهَا<sup>(5)</sup>

(1) ابن جني : الخصائص، ج 1 ص 396.

(2) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 372.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 296.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 169.

(5) ابن الشجري : الأمالى، ج 2 ص 16.

ومن الشواهد المنسوبة إليه كذلك قوله :

وَمَا كُلَّ ذِي لَبْ بِمَؤْتِيكَ نَصَحَهُ      وَمَا كُلَّ مَؤْتَ نَصَحَهُ بِلَبِيبٍ<sup>(1)</sup>

والبحث في هذا البيت يتناول لفظة "كل" التي يجب مراعاة معناها إذا كانت مضافة إلى منكراً، فيعود عليها ضمير الإفراد إذا أضيفت إلى مفرد مثل قوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلَوْهُ فِي الزِّير﴾ (القمر - الآية 52)، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾ (المدثر - الآية 38). ويعود عليها ضمير التثنية في المثنى مثل قول الفرزدق :

وَكُلُّ رَفِيقٍ كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ هُمْ تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمًا هَمَّا أَخْوَانٌ

ومثل ذلك في الجمع مثل قوله تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون - الآية 53).

وقد أجاز ابن عاصم أن تكون : "مؤتيك" في بيت أبي الأسود جمعاً حذفت نونه  
للإضافة<sup>(2)</sup>.

وقد فصل ابن هشام في هذه القاعدة قائلاً<sup>(3)</sup> إن المضاف إلى المفرد يجب إفراده إن أريد به الحكم على كل فرد، نحو : كل رجل يشبعه رغيف، وإذا نسب الحكم إلى المجموع تعين الجمع مثل قول عنترة :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَةٌ فَتَرَكَنْ كُلُّ حَدِيقَةٍ كَالدرَّهُمْ

ومن الشواهد المنسوبة إلى أبي الأسود أيضاً ما روي عنه في إعادة الضمير على متأخر عنه في اللفظ والرتبة. وهو قوله :

جَزِيَّ رِبُّهُ عَنِي عَدِيُّ بْنُ حَاتَمٍ جَزِيَّ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ<sup>(4)</sup>

وقد وردت تأويلات لهذا الاستعمال ذكرها ابن الشجري في الأمالي وابن جني في الخصائص، واستطردتها الدكتور عبد العال سالم مكرم في كتاب الحلقة المفقودة<sup>(5)</sup>.

فقد كان إذن دور أبي الأسود حاسماً في نشأة النحو : لأنَّه استوعب التصور الأول الذي أوحى به الإمام علي بن أبي طالب، فاستكمَل رسمه، وبدأ بتنفيذِه ثم فتح أول مدرسة لتعليم النحو فعرفه المؤرخون أستاذة النحو.

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 441.

(2) ابن هشام المغني، ج 1 ص 216.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 216.

(4) ابن هشام : شذور الذهب، ص 125.

(5) الحلقة المفقودة، ص 41.

#### 4. تلاميذ أبي الأسود يتبعون خطاه :

تابع تلاميذ أبي الأسود نهجه في تأسيس علم النحو، وكان من أبرزهم، نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني وعنبسة الفيل وميمون الأقرن وعبد الرحمن بن هرمز.

##### (أ) نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ) :

لقد قال عنه ياقوت إنه كان فقيهاً عالماً يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو، وإن له كتاباً في العربية. وقد قيل إنه قد أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني وأخذ عنه أبو عمر ابن العلاء، وأنه كان يرى رأي الخوارج وتركه وقال في ذلك :

فارق نجدة والذين تزرقوا وابن الزمير وشيعة الكرابي

وهوى التجاريين قد فارقته وعطيه المتجر المتساب<sup>(1)</sup>

والكتاب المشار إليه لا يعرف عنه شيء.

ويذكر الدكتور عبد العال إسهام نصر بن عاصم في وضع المصطلحات وفي تنقيط المصحف، وبعض ما أثر عنه في القراءات القرآنية<sup>(2)</sup>.

كما أورد الزيدي قراءته لسورة الإخلاص دون تنوين "أحد"، سمع عنه فيها مصطلح "التنوين" الذي اعتمدته النحاة فيما بعد. ولقد ارتضى ابن أبي إسحاق الحضرمي هذه القراءة، وفضلها على ما روى عن عروة بن الزبير الذي كان يقرأ بالتنوين<sup>(3)</sup>.

أما إسهامه في تنقيط المصحف، فقد شاركه فيه يحيى بن يعمر والحسن البصري وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الشقفي، ويأتي هذا العمل إكمالاً لما قام به أبو الأسود، الذي وضع التنقيط الإعرابي، لبيان الشكل، في الحركات، أما نصر بن عاصم، فقد عهد إليه بتنقيط إعجام الحروف، لثلا يلتبس بعضها بعض. ويعمله تمييز الباء عن التاء والثاء والجيم عن أخواتها، وكذلك الدال. وسائل الحروف المتماثلة والتي لا يفرق بينها إلا هذا التنقيط<sup>(4)</sup>.

هذا وقد نسبت إليه قراءات شاذة انفرد بها منها : ﴿بعد آب بأس﴾ (الأعراف الآية 165) ويقول أبو الفتح إنها تخفيف لبنيس كقولك في سنم سام<sup>(5)</sup>.

(1) ياقوت : معجم الأدباج، ج 6 ص 2749.

(2) الحلقة المفقودة، ص 79.

(3) الزيدي : طبقات النحويين، ص 27.

(4) الحلقة المفقودة، ص 79 نقلأً عن الزركشي في البرهان.

(5) ابن جني المحتسب، ج 2 ص 266.

والثانية في قوله تعالى : ﴿ افمن أسس بنيانه ﴾ (التوبه . الآية 110) فقرأها نصر "أسس بنيانه" على أنها جمع أساس، وبهذا وجهها أبو الفتح في المحتسب<sup>(1)</sup>.

### ب) يحيى بن يسمو :

أما يحيى بن يصر (ت 129هـ) الذي عاش نحوها من خمسين سنة بعد أبي الأسود فقد عرف اتصاله بعد الله بن عمر بن الخطاب، وسؤاله عن القدرة، فيروى عنه حديثاً في الإيمان. وقد صاحبه في رحلته إلى الحجاز حميد بن عبد الرحمن الحميري، غير أن هذا الأخير كلف يحيى بن يصر بمحاورة ابن عمر لما عرف عنه من مهارة في اللغة والفصاحة في اللسان<sup>(2)</sup>، كما اشتهر أيضاً بما جرى بينه وبين الحاجاج بن يوسف الذي نفاه إلى خراسان. وفي بغية الوعاة للسيوطني أن سبب نفيه قوله للحجاج بعد بناء مدينة واسط إذ سأله عن عيбها فقال : "بنيتها من غير مالك وسكنها غير ولدك"<sup>(3)</sup> وروي ابن سلام أن الحاجاج سأله "أتسمعني أحن ؟" فبين له لحنه في قراءة قوله تعالى : ﴿ قد إن كان آباءكم وأبناءكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كсадها ومساكن ترثونها أحب إليكم من الله ﴾ (التوبه . الآية 24) بضم الباء في "أحب" فقال له الحاجاج "لن تسمعه بعد اليوم" ، فالحقه بخراسان<sup>(4)</sup>.

ويذكر الدكتور عبد العال، أن آثاره في الدراسات النحوية تمثلت في حديثه عن المصطلحات النحوية مثل قوله للحجاج أن "أحب" في الآية السالفة الذكر، خبر لـ "كان". وهذا قد يدل على أنه أول من روی عنه هذا المصطلح<sup>(5)</sup>، وقد نسبت إليه قراءات شاذة اقتضت من النحاة أن يتناولوها بالبحث وفقاً لقواعدهم العامة. فمنها أنه قرأ، ﴿ نعبد إلهك ولا إله أبيك ﴾ (البقرة . الآية 132) وأعربت "إبراهيم" بدلاً من "أبيك"<sup>(6)</sup>.

كما روی عنه ﴿ يرثني وأرث من آل يعقوب ﴾ (مریم، الآية 5) وقال ابن جني إنه ضرب غريب من العربية معناه التجريد، وأن مثله قوله تعالى : ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ (فصلت . الآية 27). وهي نفسها هي دار الخلد، فكانه جرد من الدار دارا<sup>(7)</sup> كما

(1) ابن جني : المحتسب، ج 1 ص 303.

(2) صحيح مسلم بباب الإيمان.

(3) السيوطني بغية الوعاة، ج 2 ص 345.

(4) الزبيدي : طبقات النحوين، ص 28.

(5) الحلقة المفقودة، ص 89.

(6) المصدر نفسه، ص 91.

(7) ابن جني المحتسب، ج 2 ص 32 . نقله عبد العال، الحلقة المفقودة، ص 92.

دافع ابن جني كذلك عن قراءته، ﴿قَمِصْهُ قَدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ (يوسف . الآية 26)، ومن قُبْلُ (يوسف . الآية 27)، قياساً على قوله تعالى من قُبْلُ ومن بَعْدُ، ومدعياً أن قُبْلُ ودُبُرٍ هنا ظرفان، مستدلاً بنصب "إدبار" على الظرفية في قوله تعالى : ﴿وَمَنَ اللَّيْلَ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَارَ السَّجُودَ﴾ (ق . الآية 26)<sup>(1)</sup>.

وبنفس الأسلوب، وجه ابن جني قراءته "قَمِرتْ" بالتحقيق في قوله تعالى : ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَتْ بِهِ﴾ (الأغراف . الآية 189) وقادها على ﴿قَرْنَ فِي بَيْوَتْكَن﴾ (الأحزاب . الآية 33)، وعلى قوله تعالى : ﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكْفَا﴾ (طه . الآية 97) ومثلها قول الشاعر :

خلا أن العتاق من المطايا      أحسن به فهن إله شوس<sup>(2)</sup>

وإذا كان أبو الفتح حاول الدفاع عن القراءات المنسوية إلى يحيى بن يعمر فإنه مع ذلك استضعف إعراب قراءته : ﴿مَامَا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ (الأنعام . الآية 155) بالرفع على تقدير "على الذي هو أحسن" ويقول ابن جني إن حذف المبتدأ العائد على "الذي" ضعيف بخلاف حذف الصلة إذا كانت منصوبة، نحو مرت بالذي ضربت. ولكن قد جاء نحوه، إذ حكى سيبويه عن الخليل "ما أنا بالذي قائل شيئاً، أي بالذي هو قائل".<sup>(3)</sup>

وفي نطاق دفاع أبي الفتح عن القراءات ابن يعمر، تصويبه لقراءته : ﴿وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تَقْسِطُوا﴾ (النساء . الآية 3) بفتح تاء المضارعة، مع أن ابن مجاهد قال إن هذه القراءة لا أصل لها، ووجهها أبو الفتح بزيادة "لا" فيكون وإن خفتم أن تجوروا. ومثل لزيسادة "لا" بقوله : ﴿لَثُلَاثَ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابَ﴾ (الحديد، الآية 28)، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَشْعُرُ كَمْ أَنْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يَوْمَنُونَ﴾ (الأنعام . الآية 110).<sup>(4)</sup>

ونسبت إلى يحيى بن يعمر القراءات أخرى تعود إلى اختلاف لغات العرب في صيغ النطق، مثل "ما سَأَلْتُمْ" بكسر السين. "وَرَدَتْ" إليها بكسر الراء. وهذا الحرف الأخير يناسب إلى بني ضبة، ويقول ابن جني إنها وردت في رواية بيت ذي الرمة حيث يقول :

دَنَا الْبَيْنَ مِنْ مَيْ فَرِدَتْ جِمَالَهَا      وَهَاجَ الْهَوَى تَقْوِيْضَهَا وَاحْتِمَالَهَا<sup>(5)</sup>

(1) ابن جني المحتب، ج 1 ص 338، نقله عبد العال، الحلقة المفقودة، ص 93.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 269 نقله عبد العال، الحلقة المفقودة ص 94.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 235 نقله عبد العال ص 95.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 180 نقله عبد العال، ص 97.

(5) المصدر نفسه، ج 1 ص 98 نقله عبد العال، ص 96.

## ج) عنبرة و ميمون :

أما ميمون الأقرن وعنبرة الفيل بن معدان، فيقول القفطي إن الناس اختلفت في تقديم كل واحد منها على الآخر في الفضل وسعة العلم<sup>(1)</sup>، واشتهر عنبرة بأن أبوه معدان كان راعياً لفيلة زياد في عهده، وأنه كان يروي أشعار جرير في الفرزدق، فقال فيه هذا الأخير :

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبرة الراوي على القصائد<sup>(2)</sup>

ويذكر صاحب الأغاني أنه زاد في النحو بعد أبي الأسود<sup>(3)</sup>، كما يروي أبو الطيب اللغوي عن الخليل، أنه كان أربع أصحاب أبي الأسود، وأن ميموناً الأقرن أخذ عنه بعد أبي الأسود، وأن ميموناً رأس الناس بعد عنبرة وزاد في الشر<sup>(4)</sup>.

## د) أين مكان عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ؟

إن من بين الذين نسب إليهم وضع العربية عبد الرحمن بن هرمز المشهور بالأعرج، ويقول الزبيدي إنه كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش<sup>(5)</sup>. غير أن المصادر لم تعط مزيداً من التفاصيل في إسهامه في وضع العربية، أو في تأصيل علم النحو، فلم يؤثر أنه من تلاميذ أبي الأسود، ولم يرد أن أحداً أخذ عنه من النحو شيئاً. وتقول بعض الروايات أن الإمام مالكاً اختلف إليه عدة سنين في علم لم يشهه للناس، وقيل إنه من علم أصول الدين وما يرد به مقالة أهل الزبغ والضلال<sup>(6)</sup>. المعروف أن الإمام مالكاً تكلم في أهل القدر والأهواء. ولكنه لم يعز شيئاً من ذلك إلى الأعرج في موطنه المعروف، ورواية مالك عن الأعرج في الموطأ، كلها كانت بواسطة أبي الزناد، عبد الله بن ذكوان. وليس فيها شيئاً من مسائل أصول الدين<sup>(7)</sup>.

كما أن أحاديثها لم تلفت انتباه النحويين ما عدا القليل، مثل حديث "يتناقبون فيكم ملائكة بالليل". وبه احتاج ابن مالك في صحة لغة "أكلوني البراغيث"<sup>(8)</sup>.

(1) القفطي : إباه الرواة، ج 2 ص 381.

(2) نفس المصدر والصفحة نفسها.

(3) الأغاني، ج 11 ص 311.

(4) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين، ص 30-31.

(5) الزبيدي : طبقات النحويين، ص 26.

(6) نفس المصدر والصفحة نفسها.

(7) راجع التنصي لابن عبد البر.

(8) ابن مالك : التوضيح والتصحيح، ص 192.

وشح المصادر بإسهام الأعرج في وضع النحو، جعل بعض الشك يحوم حول دوره في بنا، صرخ هذا العلم حتى أن الأصمسي يقول إن الأعرج لم يكن عالماً بالنحو<sup>(1)</sup>.

ولقد حاول عبد العال سالم مكرم، في كتاب الحلقة المفقودة، تتبع آثار الأعرج النحوية، معتمداً في ذلك على تعليل القراءات التي نسبت إليه.

وأورد أولاً إنكار ابن مجاهد لقراءة من قرأ : «أَفْحَكُمْ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ»  
(المائدة - الآية 52) وقول الأعرج "لا أعرف في العربية "أَفْحَكُمْ" ويعتقد الدكتور عبد العال أن في هذا النص دليلاً على تمكن الأعرج من اللغة واستيعابه لأساليبها<sup>(2)</sup>.

وإذا كان من المسلم به أن الأعرج من القراء، المشهورين ومن المحدثين الثقات فإننا لا نستطيع أن نتصور مدى إسهامه في علم النحو من خلال ما روي عنه في الحديث والقراءة.

والسبب في ذلك أن نصوص الكتاب والحديث يتم نقلها رواية عن النبي عليه الصلاة والسلام، وليس لعالم أن يتصرف من قبل علمه في هذه الرواية.

فالنحويون متذمرون على أن الرواية سنة متبعة وليس لأحد أن يقرأ غير ما روي. وبما أن القرآن تعددت قراءاته لأنه أنزل على سبعة أحرف فإن كل قراءة ثبتت بالإسناد إلى الرسول ﷺ تعتبر صحيحة، مثل القراءات السبع المتواترة في إجماع الأمة، والثلاث المتواترة عند القراء. وقد اعترف جمهور النحاة بأن كل قراءة سنة.

وإذا كان تعليل الرواية وبيان وجهها في مقاييس اللغة العربية يعد إسهاماً في إثارة النحو فإن مجرد الأخذ بالقراءة دون تعليل أو تأويل يعد خارجاً عن الوضع الوعي لعلم النحو.

غير أن هذا لا يقلل من شأن المجهود الذي قام به الدكتور عبد العال في تتبع القراءات المنسوبة إلى ابن هرمز. ولللاحظ أن منها ما يندرج في السبع، وليس فيها ما يستدعي بحثاً نحوياً سوى قراءة الرفع في المضارع بعد حتى في قوله تعالى : «حتى يقول الرسول والذين آتنيا معه»<sup>هـ</sup> (البقرة - الآية 212). وقد بين مكي في "الكشف عن وجود القراءات" أن الفعل المضارع ينتصب بعد حتى، إذا كانت معنى "كي" أو يعني "إلى أن" وأنه يرتفع في حالتين، إحداهما أن يكون السبب الذي أدى الفعل الذي قبل "حتى" قد مضى، والفعل المسبب لم يمض مثل : "مرض زيد حتى لا يرجونه" والثانية، أن

(1) الحلقة المفقودة، ص 57 نقلًا عن الرقف والابداء، لابن الأثباري.

(2) ابن جنني المحتبسب، ج 1 ص 289، الحلقة المفقودة ص 88.

يكون الفعلان جمِيعاً قد مضيا نحو قوله سرت حتى أدخلها أي سرت وقد دخلت وهي حكاية للحال. وعلى هذا الوجه يرتفع الفعل في هذه القراءة<sup>(1)</sup>.

أما القراءات التي لم ترد في السبع، وففيت إلى ابن هرمز، فمنها ما ذكر في مشكل الإعراب، مثل قراءة النصب. في ﴿فَيُغَفَّرَ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذَّبَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة - الآية 283)<sup>(2)</sup> وقراءة الرفع في قوله تعالى : ﴿إِنْ خَفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء - الآية 43)<sup>(3)</sup>. والنصب في قوله تعالى : ﴿يَا جَبَّالَ أُوبِي مَعَهُ وَالظَّيْر﴾ (سباء - الآية 10)<sup>(4)</sup> ﴿وَقَيْلَهُ يَارَبِ إِنْ هُؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَوْمَ نُون﴾ (الزخرف - الآية 88)<sup>(5)</sup>.

ولقد أوضح العلماء أوجه هذا الإعراب، وبالخصوص في كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب.

أما القراءات الشاذة المنسوبة إلى ابن هرمز، فإن منها ما يشير الانتباه، والتساؤل عن مدى صحة إسنادها إليه، وعمن أخذها هو، لأنه لن يتصرف فيها برأيه : ومنها على سبيل المثال، سكون الهاء في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَةُ عَلَى الْعَبَاد﴾ (يس - الآية 29). ويقول ابن جني فيها نظر لأنه لا يحسن الوقف عليها دون المتعلق بها. وإذا صحت عنه، فإن لها نظيرًا في قراءة نافع، بتسمين "محبائي" في قوله تعالى : ﴿قُدِّ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكِي وَمَحِيَّيِ وَهَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ (الأనعام - الآية 146)<sup>(6)</sup>. ومنها أيضًا ما نسب إليه، في قراءة : ﴿الَّتِي أَرْضَعْنَاهُمْ﴾ (النساء - الآية 23) بلفظ الواحد. ويقول ابن جني أنه ينبغي أن تكون "التي" هنا جنساً فيعود الضمير إلى معناه دون لفظه مثل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَقْوِنُون﴾ (الزمر - الآية 32)<sup>(7)</sup>. ونسبت إليه أيضًا قراءة : ﴿وَإِذَا أَخْذَ اللَّهُ مِياثِقَ النَّبِيِّيْنَ مَا آتَيْنَا كُمْرَ﴾ (آل عمران - الآية 80). وقد عللها أبو الفتح بزيادة من "فتكون لمن ما" ثم صارت لما فالتقت ثلاثة ميمات، فتشمل فحذفت الأولى وبقي لما<sup>(8)</sup>.

(1) مكي : الكشف، ج 1 ص 289، الحلقة المفقودة، ص 65-66.

(2) الحلقة المفقودة، ص 78.

(3) مكي : مشكل إعراب القرآن، ج 1 ص 181، الحلقة المفقودة ص 72.

(4) المصدر نفسه، ج 2 ص 204، الحلقة المفقودة، ص 73.

(5) المصدر نفسه، ج 2 ص 285، الحلقة المفقودة، ص 73.

(6) ابن جني : المحاسب. الحلقة المفقودة، ص 68.

(7) المصدر نفسه، ج 1 ص 185، الحلقة المفقودة، ص 69.

(8) المصدر نفسه، ج 1 ص 164.

والتكلف في هذا التوجيه واضح، والأصوب هو التثبت قبل كل شيء من صحة الرواية قبل محاولة التوجيه.

والخلاصة أن إسحاق ابن هرمز في وضع النحو ليس بواضح كل الوضوح فيما عدا إثارة انتباه العلماء ومحاولة توجيه القراءات الشاذة المنسوبة إليه.

## 5. عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء :

لقد عرفت الدراسات النحوية تطوراً جديداً في العقود الأولى من القرن الثاني الهجري على يد عالمين بارزين، وهما عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء. وقد كان دورهما متكاملاً إذ أن أحدهما، وهو من المولى، ركز جهده على تثبت القواعد، واعتبارها شاملة مطردة، واهتم الثاني، وهو من أصل عربي، بتتبع الحروف اللغوية وتنظيمها في إطار مرن يتسع لاستيعاب التنوع اللغوي.

### أ) ابن أبي إسحق :

اتفق مؤرخو اللغة أن ابن أبي إسحق "هو أول من بعث النحو ومدَّ القياس وشرح العلل"<sup>(1)</sup> فهو النحوي الأول الذي لم يقبل من العرب أن يخرقوا القواعد التي استقرها من كلامهم، واعتبرها ثابتة وملزمة، وهذا ما جعله يعيّب على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فلم يرض ابن أبي إسحق عن رفع كلمة "مجلف" لأنها معطوفة على ما قبلها ولا يجوز غير نصبها، واعتراض على الشاعر نفسه قوله :

مستقبلين شمال الشام تصريننا على زواحف تزجي مخها رير

ولقد غضب الفرزدق من هذا التلحين، وما كان منه إلا أن أطلق لسانه في ابن أبي إسحق قائلاً :

ولو كان عبد الله مولى هجوجته ولكن عبد الله مولى مواليا

وتقول بعض الروايات أن ابن أبي إسحق، لم ينكر على الفرزدق هجاً، أكثر ما أنكر عليه نصبه لكلمة "مواليا" في آخر البيت والتي كان من المفترض أن تكون مجرورة<sup>(2)</sup>، ولعل حرصه على الالتزام بالقواعد ومد للقياس جعله يبحث عن تعليل الإعراب فقال أن التكرار يبيح حذف الواو في العطف مثل ما يقول الشاعر :

(1) الزبيدي : طبقات النحوين، ص 31.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

إليك إياك المراء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب<sup>(1)</sup>

ونراه أيضاً يتحدث عن موانع الصرف، وعدم جوازه في "زيد" إذا كانت اسمأ لامرأة<sup>(2)</sup>. وله حروف في القراءات، مثل تحقيق الهمزين في نحو "قرأ أبوك"<sup>(3)</sup>، ونصب المضارع بالواو، قوله تعالى : «ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين»<sup>(4)</sup> (الأنعام - الآية 27).

وكان ابن أبي إسحق قيماً بالعربية، إماماً في القراءة، فاعتبر في عهده أعلم أهل البصرة. وقال يونس عنه إنه هو والبحر سوا<sup>(5)</sup>.

لقد أخذ عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وصاحب ميمون الأقرع وروى عن أبي حرب بن أبي الأسود.

وأوضح الدكتور عبد العال أن قياسه لم يكن قياساً أرسطياً ولا أفلاطونياً. وإنما كان قياس فطرة وعقل. مثل ما قال عمر بن الخطاب لأبي موسى أن يعرف الأشياء وأن يقيس عليها<sup>(6)</sup>.

وقد أورد أهل الفقه والحديث أمثلة من أقىسة الرسول عليه الصلاة والسلام. منها جوابه لامرأة سأله هل تقضي صوم رمضان عن أمها، فقال : "أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟" قالت "نعم". قال : "فدين الله أحق بالقضاء". ومنها جوابه لرجل قال له إن امرأته أتت بغلام أسود، فسألته النبي ﷺ عن ألوان إبله، وبين له إمكان اختلاف لون الأولاد لعرق ينزع فيها. وقد أوضحنا في المقدمة نوع القياس الذي كان مستخدماً في هذه المرحلة من تاريخ النحو، وكيف تطور فيما بعد.

ومن إسهام ابن أبي إسحق مشاركته في مناظرات في النحو واللغة تتناول أوجه القراءات مثل ما دار بينه وبين بلال بن أبي بردة في قراءة «بملكتنا أو بملكتنا»<sup>(7)</sup> (طه - الآية 87)، فقد روى ابن أبي إسحق عن مجاهد ضم الميم وقرأ بلال بفتحها، فأجازهما أبو عمرو ابن العلاء وفضل قراءة بلال<sup>(8)</sup>. ولقد أتت

(1) سيبويه الكتاب، ج 1 ص 279.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 242.

(3) المصدر نفسه، ج 3 ص 443، والمفرد : المقتضب، ج 1 ص 158.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 44، والزيدي مراتب النحوين، ص 33.

(5) الزيدي : طبقات النحوين، ص 31.

(6) الحلقة المفقودة، ص 109.

(7) مجالس العلماء، ص 241.

(8) المصدر السابق، ص 247.

الروايات بأنه أملٍ كتاباً في الهمز، هذا الكتاب يعتبر أول تأليف مستقل في النحو. كما أنه اختلف مع أبي عمرو في قراءة **﴿برق البصر﴾** (القيامة - الآية 72). فرأها ابن إسحق بفتح الراء وأبو عمرو بكسره<sup>(1)</sup>.

ومن القراءات المنسوبة إليه، المعروفة في الشواذ **﴿يَا بُشَّرَى﴾** (يوسف - الآية 19) وكذلك **﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى﴾** (طه - الآية 123)، وأوضخ ابن جني أنها لغة فاشية عند هذيل واستشهد بها روبي عن قطرب وهو قول الشاعر :

بطوف بي عكب في معد      ويطعن بالصلبة في قفيا  
فإإن لم تشارا لي من عكب      فلا أرويتما أبداً صديا<sup>(2)</sup>

ولقد تابع يحيى بن يعمر في قراءة **﴿مِنْ دُبُر﴾** (يوسف - الآية 27) بثلاث ضمات، وفي نصبه "ويتوب إليه"، وتابع ابن هرمز في قراءة **﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوق﴾** (البقرة - الآية 197) بالفتح<sup>(3)</sup>، وخالقه في قراءته **﴿حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾** (البقرة - الآية 214) لأنَّه قرأها بالنصب، فجعل قولَ الرسول غاية لحرف أصحابه ومنها قراءة **﴿هُؤُلَاءِ بْنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُم﴾** بالنصب<sup>(4)</sup> (هود - الآية 78).

### ب) أبو عمرو بن العلاء :

والعالم الثاني في هذا العهد، هو أبو عمرو ابن العلاء، واسمه زيان على أرجح الروايات، بدليل ما نسب إليه مخاطباً للفرزدق :

هجوتَ زَيَانَ ثُمَّ جَئْتَ مَعْتَذْرًا      منْ هَجَوْ زَيَانَ لَمْ تَهْجُوْ وَلَمْ تَدْعَ<sup>(5)</sup>

ويحتل أبو عمرو مكانة متميزة في تاريخ النحو واللغة، نظراً لانتماهه العربي الأصيل، فنسبه في مازن بن عمرو بن تميم وولاؤه فيبني ضبة. ولد بمكة ونشأ في محيط البصرة الثقافي، وطلب العلم قبل الاختتان، وتللمذ على علماء البصرة أمثال نصر بن عاصم، وابن أبي إسحق الحضرمي، والحسن البصري. ثم سعى إلى توسيع دائرة معارفه، فرحل إلى الحجاز وسمع من قرائه وشيخوه، ثم توجه إلى الشام وإلى اليمن، فاقتني ثروة علمية واسعة، مقدمتها القرآن العربي المبين، فأحكم روايته عن أئمة عصره، إذا أخذ القراءة والتفسير عن مجاهد وعكرمة، وحفظ من الشعر والغريب ما لا يعرفه غيره، وسمع

(1) الحلقة المفقودة، نقلأً عن مجالس العلماء.

(2) ابن جني المحتسب، ج 1 ص 76، ومكي : مشكل إعراب القرآن، ج 1 ص 426، الحلقة المفقودة، ص 130.

(3) الحلقة المفقودة، ص 128 نقلأً عن الكشف المكي.

(4) المصدر نفسه، ص 131.

(5) ابن الأباري : زهرة الأنبا ، ص 31.

لغات القبائل في أماكنها واستفسرها عن أقوالها. ويقول إنه عرف من النحو ما لا يستطيع الأعمش حمله<sup>(1)</sup>.

وهكذا جمع أبو عمرو بين السليقة والاكتساب، وأجمع أهل عصره على توثيقه، فكان إمام القراء، وأستاذ اللغويين والنحاة، فتصدر منابر التدريس، ومجالس المنازرات. وتتلذذ له العلماء الأعلام، فمن قرأ عليه يونس بن حبيب الضبي ومعاذ الهراء، وعبد الملك بن قريب الأصمسي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو محمد البزيدي، فاستحق بجدارة أن يحمل لقب "شيخ العلماء".

إن قراءته مازالت متداولة، حديثاً وقدياً أشناى عليها العلماء من ذلك قول أبي عبيد القاسم ابن سلام أن شجاع بن أبي نصر حدثه أنه رأى النبي ﷺ في المنام فعرض عليه أشياء من قراءة أبي عمرو فما ردَّ منها إلا حرفين، وهما ﴿وَأَرَنَا مِنْاسِكُنَا﴾ (البقرة - الآية 128)، باختلاس الكسرة في "أرنا". والثانية ﴿مَا نَنْسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَاهَا﴾ (البقرة - الآية 106)<sup>(2)</sup>.

وكان من مميزات قراءته الميل إلى تخفيف النطق في الأداء.

واشتهر بالإدغام الكبير وتسهيل الهمزة، بحذف إحدى الهمزتين في نحو ﴿جَا أَشْرَاطُهَا﴾ (محمد - الآية 18) ﴿يَا ذَكْرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ (مريم - الآية 7) وقرأ باختلاسها في مثل ﴿وَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة - الآية 54) وإبدالها بالياء في قوله تعالى : ﴿يَا صَالِحِ إِيْتَنَا﴾ (الأعراف - الآية 77).

وأما الإدغام الكبير، الذي عرف به، فكان يقرأ به ويقول إنه كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره<sup>(3)</sup>. ومن شواهده في كلامهم قول عدي بن زيد :

تذكر رب الخورنق إذ فكر يوماً وللملاك تفكير

فكarma التقى حرفان، متماثلين، أو متقاربين أدغم الأول في الثاني مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾، و ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾، لتماثلهما، ونحو : ﴿خَلَقْتُكُمْ﴾ في كلمة واحدة، وأمثلة كثيرة في كلمتين، لتعدد الحروف التي تقارب مخرجها ومنها : ﴿وَدَتْ طَائِفَةٌ﴾ (آل عمران - الآية 69) و ﴿أَخْرَجَ شَطَاءً﴾ (الفتح - الآية 29) ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين - الآية 36)<sup>(4)</sup>.

(1) النقطي : إحياء الرواية، ج 1 ص 132.

(2) ابن الجزي : غایة النهاية.

(3) النشر في القراءات العشر.

(4) النشر، ج 1 ص 275.

ولقد وضع أبو عمرو للإدغام الكبير ضوابط تدل على دقة إدراكه لأصول الكلم، فلم ير جواز الإدغام إذا كان أحد الحرفين ضميراً مثل قوله تعالى : «**كنت تراباً**» (النبا - الآية 40)، ورأى التخيير في نحو **وإن يك كاذباً**» (غافر - الآية 28) نظراً لأن النون قد حذف من الفعل المجزوم<sup>(1)</sup>.

ومن الجدير بالذكر، أن اختياراته في الأداء أتت على ما جرى على ألسنة العرب، دون تغيير في رواية القراءة، التي كان يحترمها أي احترام.

فقد روی عنه قوله : «لولا أن ليس لي أن أقرأ بغير ما قرئ لقرأت بكلذا»<sup>(2)</sup>.

وقد أخذ عنه أبو محمد البزيدي وعن البزيدي أخذ الرواة مثل الدوري والسوسي.

وزيادة على إمامته في القراءات فإنه لم يبلغ أحد رتبته في معرفة الشعر وغريب اللغة، لقد عرف من الشعر القديم مالما يصل إلى معاصريه، وقد قال إنه لو وصل لعرف الناس علمًا كثيرةً. وكان يقر أن في هذا القديم كلاماً دارساً، قال ذلك حينما سئل عن قول أمرئ القيس :

**نطعنهم سلكي ومخلوجة      كرك لامين على نابل**<sup>(3)</sup>

وكان لا يناقش العرب في تصرفها في اللغة إذا وضح له وجه الاستعمال، فلم ينك تأنيث «الكتاب» لما قال له أحد العرب إن الكتاب صحيحة<sup>(4)</sup>، وعرض على ذي الرمة أن يجيب عن الذين اعترضوا على قوله :

**رأيت الناس ينتجعون غيشا      فقلت لصيدح انتجعي بلا**

**بأن هذا من أنواع الجائز مثل قوله :**

**وقفت على الديسار فكلمتني**

**ولم يعرض على قول الفرزدق :**

**وعرض زمان يا بن مروان لم يدع**

**ولكنه لم يرض عن قول ذي الرمة :**

**حراجيج لا تنفك إلا مناخة**

**فما ملكت مدامعها القلوص**<sup>(5)</sup>

**من المال إلا مسحتاً أو مجلف**<sup>(6)</sup>

**على الخسف أو نرمي بها بدأً قفرا**

(1) ابن الباردش : الإقناع، ج 1 ص 222.

(2) غایة النهاية، ج 1 ص 291.

(3) الحلقة المفقودة، ص 209 نقلأً عن شرح الأنباري للقصائد السبع.

(4) نزهة الألب، ص 35.

(5) الحلقة المفقودة، ص 7 نقلأً عن الموضع، ص 282.

(6) المصدر نفسه، ص 251 نقلأً عن الموضع، ص 161.

ولا عن قول النابغة :

مقدوفة بدخيض النحض بازها      له صريف صريف القعر بالمسد

واعتراضه هنا لا يتعلق بخطأ لغوي، وإنما عاب عليه أن يذكر أن ناقته كانت ذات صريف، وهو ذم في النون، واستشهد أبو عمرو بقول الأعشى :  
كتوم الرغاء إذا هجرت      وكانت بقية ذود كُتم<sup>(1)</sup>

ونقده للشعر تبين أيضاً في استحسان جيده، ومن أمثلة ما كان يشيد به قول الشاعر :

وأدنيتنني حتى إذا ما سببتي      بقول يحل العصم سهل الأباطح

تجافيت عنني حين لا لي حيلة      وغادرت ما غادرت بين الجوانح

ومن احترامه للسماع في الرواية قرأته «خاشعاً أبصارهم» (القرآن - الآية 7)،  
واستدل لها بقول الفرزدق :

وكنا ورثناه على عهد تبع      طويلاً سواريه شديداً دعائمه<sup>(2)</sup>

وإذا لم تثبت عنده القراءة، وخالفت سماعه من العرب أنكرها. مثل قراءة ابن مروان السُّدِّيَّ «هؤلاء بناتي هن أظهرَ لِكُمْ» (هود - الآية 78) وقال ابن مروان احتبس في لحنه<sup>(3)</sup>.

فهو لم يك مثل معاصره عيسى بن عمر الذي ينزع إلى النصب في أكثر أوجه الإعراب، مع أنه رجع النصب في أمثلة منها "هذا زيد سيد الناس" و "أما أنت منطلقًا أنطلق معك" وفي قول القائل :

متى ترعيوني مالكاً وجرانه      وجنبيه تعلم أنه غير ثان

حضرجاً كأم التوأمين توكتات      على مرقيها مستهلة عاشر<sup>(4)</sup>

وكان من القائلين بإبدال الفعل من الفعل مستشهاداً بقول :

إن يجبنوا أو يبخلا      أو يغدروا لا يحفلوا

كأنهم لم يفعلوا<sup>(5)</sup>      يغدوا عليك مرجلين

(1) الحلقة، ص 204 نقلأً عن الموضع، ص 50.

(2) سيبويه الكتاب، ج 2 ص 43.

(3) الزبيدي مراتب التحريين، ص 41. أبو حيان البحر المحيط، ج 5 ص 247.

(4) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 71.

(5) المصدر نفسه، ج 3 ص 87.

ولقد أشرنا إلى نزعته التسهيلية في الأداء، وقد ظهرت عنده في النسبة والتصغير فكان يقول في النسبة إلى الطبية طببي، وإلى حية حي، وأنيس في تصغير ناس.

هذا ويعتقد بعض المؤرخين أنه لم يكن نحوياً بالمعنى الدقيق، وقد يعنون بها أنه لم يؤثر عنه كتاب في النحو. ولم يختص بالبحث عن تأسيس القواعد النحوية مثل ما كان من شيخه عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي. وأما كونه أسهم في تقدم الدراسات النحوية فهذا مما لا شك فيه. فلقد ظهرت آراؤه في بعض الجزئيات النحوية والصرفية، ونقلنا مقالاته أنه عرف من النحو ما لا يستطيع الأعمش حمله، وإذا كان أكثر نشاطه يتناول اللغويات، فذلك لأنه في عهد لم تنفصل فيه اللغة عن النحو، وفي مجال أصول النحو، فإنه أسهم بقسط وافر في وضع مقاييس السمع الملغوي الصحيح.

وعنken اختصار هذه المقاييس في ثلاثة أنس :

أولاً: نص التنزيل، الذي يمثل الفصيح المطلق، والمثل الأعلى، والمرجع الفصل حينما تثبت رواية القراءة، التي يمكن أداء نصها المروي والمرسوم وفق ما تجري عليه ألسنة العرب الفصحاء.

ثانياً: أن العربية التي يتكلم بها معاصروه لم تعد فصيحة كلها بسبب اختلاط العرب بغيرهم، ولذلك يقول الأصممي إنه جلس معه عشر سنوات ولم يسمعه يحتج إلا بشعر جاهلي. ولما سمع من أبي خيرة قوله "استأصل الله عرقاتهم" بفتح التاء. قال له : "لأن جلدك" فكان حريصاً على التمسك بالسماع الصحيح<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: قوله إن أفعص قبائل العرب، هم سكان السروات من الجبال المطلة على تهامة وهي : هذيل، وتنفيف، وأزد شنوة، وعلياً قيم، وسفلى قيس<sup>(2)</sup>.

وكل ما تعرفت فيه هذه الضوابط، فهو عنده مثال للعربية الفصيحة والسماع الصحيح، الذي يمكن اعتباره، وما سواه يسمى لها<sup>(3)</sup>.

إن سعة معرفة أبي عمرو بن العلاء اللغوية، أغنته عن التوسع في القياس، فاكتفى في اختياره للأفعص بالمقاييس التي ذكرنا آنفاً، معتمدًا على إحساس اللغوي المدعم من طرف استعمال من يشق بعربيتهم، معترضاً بتنوع أوجه اللغة، ومصوياً منها وجهين اثنين وهما في لغة قيم ولغة الحجاز.

(1) ابن جني : الخصائص، ج 1 ص 384.

(2) السيوطي : المزهر، ج 2 ص 483.

(3) الزبيدي : طبقات النحوين، ص 39.

وكان هذا الاتجاه واضحًا في مناظرته مع عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، حول إعراب "ليس الطيب إلا المسك" حين قال لمنافسه : "نم وأدلج الناس، ليس في الأرض قيمي إلا وهو يرفع، ولا حجازي إلا وهو ينصب"<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يؤثر عن أبي عمرو بن العلاء كتاب في النحو، فإنه هو الذي فتح باب التدوين لعيسي بن عمر ولمن جاء بعده.

---

(١) ابن هشام المغنى، ص 325

## الباب الثاني

### **عصر التدوين والتصنيف**

ليس من قبيل المبالغة القول بأن تدوين النحو بدأ بكتاب سيبويه وانتهى به، ولكن إعداد هذا التدوين، كان فيه الفضل الأولي للخليل، ومن قبله قد أعاده قوم آخرون. فأدت المحاولة الأولى على يد عيسى بن عمر الشقفي، وشارك في هذه التمهيدية يونس بن حبيب الضبي، وأبو الخطاب عبد الحميد المعروف بالأخفش الكبير، فكل واحد من هؤلاء أسهם في مرحلة ما قبل كتاب سيبويه إسهاماً ملحوظاً. فعيسى بن عمر جمع وأكمل في مؤلفيه، ويونس نظم دروسه في حلقاته المشهورة، والأخفش الكبير نبه سيبويه على مسائل نحوية دقيقة، أما الخليل فهو الذي زود إمام النحاة بألف ورقة من علمه، ولنا مع كل واحد منهم وقفة وكلمة، مذكرين بقول أبي الطيب اللغوي إن هؤلاء كانوا أفعص الناس وأعلمهم<sup>(1)</sup>.

#### **1. عيسى بن عمر :**

نبدأ بقول الخليل في عيسى بن عمر :

غير ما أحدث عيسى بن عمر	ذهب النحو جميعاً كله
وهما للناس شمس وقمر	ذاك إكمال وهذا جامع
وأراها من قياس ونظر <sup>(2)</sup>	وهما بابان صارا حكمة

هذان الكتابان هما أول ما تحدث عنه مؤرخوا النحو في مستهل عصر التدوين ويقول ابن الأثير إنه ما رأهـما<sup>(2)</sup> ولا رأى من رأهـما. غير أن أبي الطيب اللغوي روى أن أحدهما مبسوط، والآخر مختصر، وأن المبرد قدقرأ منها أوراقاً<sup>(3)</sup>. أما القسطي فيورد أن

(1) مراتب النحويين، ص 70.

(2) المصدر نفسه، ص 47.

(3) المصدر نفسه، ص 46.

عيسيٰ كتب نيفاً وسبعين كتاباً في النحو. وأن جامعه هو كتاب سيبويه، وإنما زاد فيه وحشاد، ولما أحضره للخليل قال فيه الآيات المذكورة، وإشارته في قوله "وهذا جامع" تدل على أن جامع عيسى بن عمر هو ما قدم سيبويه إلى الخليل<sup>(1)</sup>.

والرواية الأخيرة غير محتملة، لأن كل ما في الكتاب معزو لمن نقل عنه مثل الخليل ويونس وعيسيٰ بن عمر نفسه، وقد تكون هذه الرواية من اختلاف خصوم سيبويه الذين يسعون إلى التقليل من شأنه، مثل قولهم إن الكتاب اجتمع على تأليفه أكثر من أربعين عالماً<sup>(2)</sup>.

وصححة نسبة أصول الكتاب لسيبوه لا تنقص من قدر عيسى بن عمر الذي افتح به عصر التدوين النحوي. فقد كانت دراسة النحو من قبله تقتصر على تصورات أولية لقواعد اللغة العامة من خلال رصد الظواهر الإعرابية، ووضع المصطلحات المميزة لكل ما يوصل إليه القياس والتحليل من تنظيم وتبويب، وكان هذا النشاط متداولاً في شكل دروس ومناظرات، ومجالس وحلقات تحول مضمونها إلى روايات محفوظة، وقد يقل ما كان مكتوباً منها، لأن الاعتماد كان على الذاكرة والقياس والنظر، حتى جاء عيسى بن عمر وأراح الناس من "القياس والنظر".

وكتاب عيسى بن عمر، لم يره الناس، لأنهم استغفروا عنه بكتاب سيبويه الذي أكمل عملية التدوين. ولكن يبقى لعيسى بن عمر فضيلة السبق في التأليف. غير أن استغفار النحويين عن كتبه لا يعني أن ذكره قد اضمحل عندهم، لقد سجل المؤرخون مناظراته، وحفظوا كلماته في الغريب، ودونوا بعض آرائه واحتياراته.

سبقت الإشارة إلى مناظرته مع أبي عمرو بن العلاء في إعراب "ليس الطيب إلا المسك" وإلى إقرار انتصار خصمه فيها، ويروي الزبيدي له مناظرة أخرى مع الكسائي حول "همك ما أهمك" ولما جاء الكسائي باحتمالات إعرابها، قال له عيسى : "إنما أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به من كلامها" ، وكأنه بهذا الإنكار كان من رواد منتقدي الكسائي في التوسيع في دائرة السماع<sup>(3)</sup>.

(1) إنبأ الرواة، ج 2 ص 375.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 347.

(3) طبقات النحويين، ص 42.

ومن آرائه التي اشتهر بها أنه لا يسلم للعرب فصاحة كل ما قالوه، فقد عاب على النابغة قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلٌ من الرُّوشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعٌ

فقد قال إن من حق "ناقع" أن تكون منصوبة<sup>(1)</sup>، ويعىسى كان ميالاً إلى النصب، ولقد قرأ «هؤلاء بناتي هن أظهر لكم» (هود - الآية 77)، بنصب "أظهر" ولم يوافقه أبو عمرو في هذا الحرف، وإن كان قد اتفقا في نصب "والطير" من قوله تعالى : «يا جمال أوفي معه والطير» (سبأ - الآية 10) ولكنهما اختلفا في التوجيه، فيقول عىسى إنها عطف على محل النداء، بينما يرى أبو عمرو أنها نصبت بإضمار "وسخرنا"<sup>(2)</sup>.

ومما حفظ عنه من الغريب، قوله ليوسف بن عمر بن هبيرة، "إن كانت إلا أثياب في أسيفاط قبضها عشاروك"<sup>(3)</sup>، وقوله لأبي عمرو : "وما شعرت حتى وقع قرانهما في عنقي فلنج بي فافرنق عن الناس ينظرون"<sup>(4)</sup>. ومن الغريب حقاً أن يقول الناس أن أبا عمرو مليء غيظاً من فصاحة هذا القول الذي أصدق ما يمكن أن يقال عنه ما قاله الناس حينما سمعوا عىسى لما أفاق من صرعة وقعت به، فقال أحدهم "إن جنبي يتكلم بالهنديه"<sup>(5)</sup>. فليس هذا النوع من الغريب مصدر تقدير عىسى بن عمر، وإنما هو في دوره في التدرين، وفي كونه من الذين تابعوا خط ابن أبي إسحق الحضرمي، فكان من جملة شيوخ الخليل، ورواد مدرسة البصرة الذين عناهم يحيى بن المبارك اليزيدي في قوله :

بعد أبي عمرو وحماد	يا طالب النحو ألا فابكه
والدين في المشهد والنادي	وابن أبي إسحق في علمه
يأتي لهم دهر بآنداد	عىسى وأشياه لعىسى وهل
ولا خليلا جنة الودي <sup>(6)</sup>	ويونس النحوي لا تنسه

(1) الزبيدي : طبقات النحويين، ص 41.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

(3) طبقات النحويين، ص 42.

(4) المصدر نفسه، ص 44.

(5) القبطى إنباه الرواية، ج 2 ص 377.

(6) ابن الأباري : نزهة الأنبلاء، ص 30.

## 2. يونس بن حبيب الضبي :

إننا لن ننسى يonus النحوي ودوره في إعداد تدوين هذا العلم. لقد اتفق المؤرخون أنه كان مقدماً من أكابر النحاة البارعين. أخذ عن حماد بن سلمة وقال إنه أول من قرأ عليه النحو<sup>(1)</sup>. ثم درسه على ابن أبي إسحق الحضرمي، وعيسي بن عمر والأخفش الكبير. وأخذ اللغة عن أبي عمرو بن العلاء، واختص بالرواية عن رؤبة بن العجاج.

وقد كان شديد التثبت في تحصيله، موثوق الرواية قوي الحافظة، يقول الزبيدي إنه ليس عنده من العلم إلا مارآه بعينه<sup>(2)</sup>، وشبهه واصفوه بالجوز الذي لا يدخل فيه الشيء إلا بعسر ولكن لا يخرج منه ما دخل فيه، يعنون أنه لا ينسى ما علم<sup>(3)</sup>. وما حفظ عن ابن أبي إسحق الحضرمي من أمهات المسائل النحوية، قوله : إن أصل الكلام بناؤه على " فعل " ثم يبني آخره على عدد من فعل الفعل من المؤنث والمذكر ومن الواحد والاثنين والجميع قوله فعلت، وفعلنا، وفعلن، وفعلا، وفعلوا ويزاد في أوله ما ليس من بنائه فيزيدون الميم بدلاً من الألف كقولك أعطيت إغا أصلها أعطوت ثم يقولون معطى فيزيدون الميم بدلاً من الألف وإنما أصلها عاطي، ويزيدون في أوساط فعل افتتعل، وانفعل، واستفعل ونحو هذا<sup>(4)</sup>. وفي هذا الكلام نرى أول إشارة إلى وضع قواعد أصول الكلمات وزواياها، وززن مقابلاها بلفظ الفعل.

هذا عن ابن أبي إسحق، أما مع أبي عمرو فقد توطدت العلاقة العلمية بينهما، وتصدر طلابه في مجلسه.. ولقد روى عن أبي عمرو عدة حروف من معاني القرآن. منها تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرْدَنَا أَنْ نَهْلُكْ قَرْيَةً أَمْنَرَا مَتَرْفِيهَا﴾ (الإسراء . الآية 16 ، فيقول يonus ناقلا عنه، إن "أمرنا" يعني "أكثرنا" وأن العرب تقول "خير المال نخلة مأبورة، ومهرة مأمورة" أي كثيرة الولد<sup>(5)</sup>. ومنها توجيهه قوله تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء . الآية 3) إن الأعناق جاءت في موضع "هم" ، ومثاله في الشعر قوله :

طُولُ اللِّيَالِي أَسْرَعْتُ فِي نَضْيٍ طُوبِينَ طُولِي وَطُوبِينَ عَرْضِي<sup>(6)</sup>

(1) الزبيدي : طبقات النحويين، ص 51.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

(3) إنباه الرواية 74/4.

(4) أبو عبيدة مجاز القرآن، ج 1 ص 376.

(5) المصدر نفسه، ج 1 ص 373.

(6) المصدر نفسه، ج 2 ص 83.

وعلاقته بأبي عمرو أتاحت لها هذا الأخير أن يعترف له بما لم يكن ليقوله إلا لأصحابه. ذلك أنه في قوله إن "أنك" و"نكر" بمعنى وأنشد بيتاً معزواً للأعشى وهو :

فأنكَرْتُني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويُقْرُأ أبو عمرو أنه هو الذي وضع هذا البيت، وأنه يتوب إلى الله ما فعل<sup>(1)</sup>.

وبجانب أبي عمرو كان يونس يعتمد كثيراً في اللغة على رؤبة بن العجاج، الذي التقى به وهو في سن الطفولة لما بعثه إليه والده يسألة عن إعراب قول الشاعر :

أَبْنِي لِيْبِنِي لِسْتُم بِيَدٍ إِلَّا يَدٌ (أو يَدَا) لِيْسَ لَهَا عَضْدٌ<sup>(2)</sup>

ثم لازمه طيلة حياته يسمع منه أراجيزه وزخارفه وتوجيهاته. وظل وفياً له ومناصراً له ضدأً على خصومه. فروى عنه في إعراب قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مِثْلًا مَا بِعَوْضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة - الآية 25) أنها على رفع "بعوضة" وقال إن تيمماً يعملون آخر الفعلين وأخر الأداتين، وأنشد قول النابغة

قَالَتْ أَلَا لِيَتَمَّا هَذَا الْخَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامِنَا وَنَصْفَهُ فَقَدْ<sup>(3)</sup>

كما روی عنه الرفع في مثل : "ما جاءت حاجتك"<sup>(4)</sup> وقوله أن ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عَتْيَا﴾ (مریم - الآية 68) مرفوع على الابتداء، كما روی الرفع في قول الشاعر :

عَجَبُ لِتَلْكَ قَضِيَّةٍ إِقَامَتِي فِيكُمْ عَلَى تَلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبٌ<sup>(5)</sup>

ولعل يونس أخذ عن رؤبة الميل إلى الرفع على عكس ما رأينا عند عيسى بن عمر. لكن هذه التزعة لم تمنعه القول بالنصب على المدح في قراءة، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقول الشاعر :

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِي هُمْ سَمِّ الْعُدَاءِ وَآفَةُ الْجُزْرِ

النَّازِلُونَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ وَالطَّيْبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ<sup>(6)</sup>

ونشاط يونس النحوي في التدريس متميز، فاشتهرت حلقته التي وفد إليها طلبة العلم وفصحاء الأعراب، فأخذ ويعطي. ويقول أبو زيد الأنباري : ما رأيت أحداً أبذل

(1) أبو عبيدة مجاز القرآن، ج 1 ص 293.

(2) الحلقة المفقودة، ص 290 نقلاً عن شرح ما يقع فيه التصحيف، ص 263.

(3) ديوان النابغة.

(4) سببوبة الكتاب ج 1 ص 51.

(5) المصدر نفسه ج 1 ص 319.

(6) المصدر نفسه ج 2 ص 65.

للعلم من يونس<sup>(1)</sup> ، كما كان سبع البديهة في الاستفادة من كلام العرب، من ذلك أنه جاءه أعرابي مرة، وسأل الناس، قائلًا من ينصرني لله " فقال يونس " ها هي أنتكم عن قرب، إنه يعني يرزق " وهذا مثل قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَظْنَ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (الحج . الآية 15)<sup>(2)</sup>.

كانت هذه الحلقة مدرسة العلماء، مكث فيها أبو عيسى أربعين سنة، وخلف الأحمر عشرين وأبوزيد الأنباري عشر سنوات، وأخذ منها سببويه نحوًا من مائتي مسألة في كتابه. ولما رأى يونس كتابه، وقرأ ما روی عنه، قال : صدق في جميع ما قال، وهو قوله<sup>(3)</sup>.

ولم يك البصريون وحدهم هم الذين رووا عنه، فقد زاره أئمة الكوفة مثل الكسائي الذي سئل في مجلسه عن قول الشاعر :

غَدَةً أَحْلَتْ لَابْنَ أَصْرَمَ ضَرْبَةً      حَصِينٌ عَبِيطَاتُ السَّدَافَنَ وَالْخَمْرُ  
بِمَ رَفَعَ الشَّاعِرَ الْخَمْرَ؟ فَقَالَ إِنَّهُ عَلَى إِضْمَارٍ : وَحَلَتْ لَهُ الْخَمْرُ.

واستحسن يونس توجيهه ، غير أنه قال إنه روى البيت بمنصب " ضربة " ، ورفع عبيطات. وأن الشاعر جعل الفاعل مفعولاً مثل ما قال الخطبوطة :  
فلما خشيت الهون والعير مسكٌ      على رغمه ما أمسك الحبل حافرها<sup>(4)</sup>  
ومن روى عنه كذلك الفراء ، وقد أنسده :

رَبُّ حَلْمٍ أَضَاعَهُ دُمُّ الْمَالِ      وَجَهَلٌ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

ولم تمنع يونس مزاولة التدريس، من ممارسة التأليف فكان من رواده الأوائل، فروى عنه كتاب معاني القرآن، وبه افتتحت مجموعة من المصنفات تحمل هذا العنوان فتابعه فيها أبو عبيدة في المجاز وقد روى عنه غير مرة، وجاء بعده الأخشن والفراء ، وتواتت بعدهم المصنفات في هذا الموضوع، ومن أمثلة ما روى عنه أبو عبيدة :

وَكُمْ مَنْ مَاجِدٌ فِيهِمْ كَرِيمٌ      وَمَنْ لَيْثٌ يَعْزِزُ فِي النَّدِيِّ

وفسر التناوش بالتناول، واستشهد عليه، بقول غيلان بن حarith الريعي :

فَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نُوشًا مِنْ عَلَا      نُوشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازُ الْفَلَّا<sup>(5)</sup>.

(1) الزبيدي طبقات النحوين، ص 52.

(2) أبو عبيدة مجاز القرآن، ج 2 ص 46.

(3) السيرافي : أخبار النحوين، ص 64.

(4) القسطي : أباه الرواج، ج 4 ص 78.

(5) ابن الأباري : نزهة الأباء ، ص 49.

وله كتاب النواذر. ويقول السيوطي إنه لم يقف عليه، ولكن رأى بخط تاج الدين ابن مكتوم قوله إنه قليل الوجود كثير الفائدة، وروى عنه قوله إن أهل الحجاز ينطقون ببسطش بكسر الطاء وهيهاه بالهاء، ورضوان بكسر الراء، وإن قيما يضمون طاء ببسطش، وراء رضوان وبدلون هاء هيهاهات بالألف. وهذا الكلام أقرب إلى كتاب اللغات المعزوّل له أيضاً. وقد يكون من نوادره أن أعطاناً أسماء الأيام عند العرب، وهي الأول بدل الأحد ثم الأهون، وجبار، وديار، ومؤسس، والعروبة، وشيار<sup>(1)</sup>.

ويقول ابن الأثيري، إن ليونس بن حبيب أقيسة وآراء تفرد بها، وقد اشتهر من - أقواله - رد المذوق في التصغير، وإثبات التاء في النسبة لبنت، وإلحاق نون التوكيد الخفيفة للممثني في نحو أضريان<sup>(2)</sup>.

ولا ننس كذلك أن يونس كان ذا فكر ونقد، فهو الذي كان يتمنى أن يناقش آدم في خروج ذريته من الجنة، ويوفّر في عدم عودته إلى أبيه بعقوب، والزبير وطلحة في خروجها على الإمام علي<sup>(3)</sup>، أما نقه للشعر، فلنا عليه مثال، وهو أن مروان بن أبي حفصة عرض عليه قوله :

طرقتك زائرة فحي خيالها

فاستجادها وأمره أن يبتئها وزعم أنه فاق فيها أعشى قيس، لأن هذا الأخير قال في

شعره :

فرميـت غـفلـة عـيـنـه عـن شـاتـه فـاصـبـت حـبـة قـلـبـها وـطـحـالـها  
وقـال يـونـسـ وـصـدـقـ إـنـ الطـحـالـ لـا يـدـخـلـ فـيـ شـيـءـ إـلاـ أـفـسـدـهـ<sup>(4)</sup>.

### 3. الأخفش الكبير :

لقد كان الأخفش الكبير، أبو الخطاب من العلماء الذين وثقوا عرى الصلات بين أبي عمر وابن أبي إسحق الحضرمي وبين سيبويه، والحديث عنه في الكتاب، وإن كان قليلاً لا يقادس بما روى عن الخليل ويونس، فإنه مع ذلك يدل على أن سيبويه قرأ عليه، وتثبت ما قاله ووثقه فيما قال، فذكر أنه سأله غير ما مرة، عن لغةبني سليم وإعمالهم للقول بمعنى "الظن"<sup>(5)</sup> وعرف منه أنهم من يوثق بعربيتهم، وسأله عن عدم صحة استعمال "أيهم مررت

(1) راجع الحلقة المقرودة، ص 291، عزوًّا للمزهر، والملاحظ أن السيوطي في النوع العاشر من المزهر نسب المسألة إلى ابن دريد 1/219.

(2) ابن الأثيري نزهة الآباء، ص 47.

(3) المصدر نفسه، ص 49.

(4) الحلقة المقرودة، ص 304 نقلاً عن الموضع، ص 74.

(5) سيبويه الكتاب، ج 1 ص 124.

به" فقال له "لأن" أيهم حرف الاستفهام، لا تدخل عليه الألف. وإنما تركت الألف استغاء فصارت بمنزلة الابتداء، إلا ترى أن حد الكلام أن تؤخر الفعل في "أيهم رأيت" كما تفعل ذلك بالألف (ألف الاستفهام) فهي نفسها بمنزلة الابتداء<sup>(1)</sup>.

وسمع منه شواهد منها ما هو في باب التنازع مثل قول المار الأسيدي :

فرد على الفؤاد هو عميدا	وسُوئِلَ لَوْ يُبَيِّنُ لَنَا سُؤالا
وقد نغني بها ونرى عصورا	بها يقتادنا الخرد الخدالا <sup>(2)</sup>

ومنها في تعليق "حال" في قول اللعين :

أباالأرجيز يابن اللؤم توعدني	وفي الأرجيز خلت اللؤم والخور <sup>(3)</sup>
وأنشده في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل قول الحارث بن ظالم :	
فما قومي بشعيبة بن سعد	ولا بفرازة الشعير الرقايا <sup>(4)</sup>

وروى عنه :

أتوعدني بقومك يا ابن حجل	أشابات يخالون العبادا
بما جمعت من حصن وعمرو	وما حصن و عمر والجيادا <sup>(5)</sup>

وحدثه أنه سمع من يوثق بعربيته (وقد تكررت هذه العبارة فيما يعزوه له) يقول :

كأنا يوم قرئ إنما نقتل إيانا
قتلنا منهم كل فتى أبيض حسانا <sup>(6)</sup>

كما استفسر منه معنى لبيك وسعديك، فعرف منه أن لبيك من الإلباب وهو الدنو، وأن سعديك من المساعدة وهي متابعة الأمان<sup>(7)</sup>، وأوضح معنى «إيانا» إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (الفرقان - الآية 64)، وفيها معنى "البراءة" والتسليم، واستدل له بأن الآية مكية، وأن المسلمين حينئذ لم يؤمروا بالتسليم على المشركين وإنما هو قولهم :

لا خير بيننا ولا شر. وقال إنه قول أمية بن أبي الصلت :

سلامك ربنا في كل فجر بريأ ما تغتك الذموم

(1) سببويه الكتاب، ج 1 ص 126.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 78.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 120.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 201.

(5) المصدر نفسه، ج 1 ص 304.

(6) المصدر نفسه، ج 2 ص 111.

(7) المصدر نفسه، ج 1 ص 353.

أي برأتك ربنا من كل سوء<sup>(1)</sup>.

وأخذ عنه توجيهه قراءة من قال : ﴿ وَمَا يَشْعُرُ كُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يَؤْمِنُونَ ﴾<sup>(2)</sup>  
(الأنعام - الآية 110) " قائلًا بوجود وقف بعد قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَشْعُرُ كُمْ ﴾<sup>(3)</sup>. وبعد  
الوقف جيء بالابتداء بـإِنَّ المكسورة<sup>(4)</sup>.

وقليل ما خصصه مؤرخوا النحو لأبي الخطاب الأخفش الكبير، عبد الحميد بن عبد  
المجيد، سوى أنهم قالوا إنه من أكبر علماء العربية في عصره، وإنه سمع من العرب في  
ديارهم، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وإن سيبويه كان من تلامذته.

وهذه الإشارات المقتضبة لا تمثل في الحقيقة الدور الذي قام به أبو الخطاب في  
إعداد تدوين النحو. والرجوع إلى كتاب سيبويه وتتبع المسائل التي روى عنه تعطي صورة  
أوضحت عن أهمية هذا الدور، وإن كانت روايته عنه لا تتعذر نحواً من الأربعين، لكن قيمة  
مدلولاتها أعلى من عددها، ذلك أن أبو الخطاب نبه سيبويه على ثلاثة مستويات من اللغة  
التي تشكل أساساً للسماع :

الأول : مستوى الاستعمال عند من يوثق بعربيتهم وأعطى منه نماذج عددة.

الثاني : لغات تعتبر فصيحة، ولكنها غير مطردة أطراً تماماً، مثل ما نسب إلى  
أهل الحجاز في تشنية الكباء، بالواو<sup>(5)</sup>، وكسر عين نعم عند هذيل<sup>(6)</sup>  
وبعض هذه اللغات غير منسوب إلى قبيلة مخصوصة، مثل الذين يقولون  
"أرأهم" في مضارع رأيت<sup>(7)</sup>، ومن يقول "راعة" في "رایة"<sup>(8)</sup> ومن يقف  
على الياء والواو، في مثل رامي وغازي<sup>(9)</sup>، وكذلك الذين يجمعون أرضاً،  
على أرض بوزن أفعال<sup>(10)</sup>، ومن يقولون "ثوب" أكياش، يجعلونها مفرداً  
مثل الأنعام<sup>(11)</sup>.

الثالث : هو مستوى استعمال خارج من القواعد العامة وغير معروف إلا عند  
بعض قبائل العرب، على مستوى لهجات محلية، فذكر أبو الخطاب من

(1) سيبويه الكتاب، ج 1 ص 325.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 123.

(3) المصدر نفسه، ج 3 ص 387.

(4) المصدر نفسه، ج 4 ص 440.

(5) المصدر نفسه، ج 3 ص 546.

(6) المصدر نفسه، ج 3 ص 468.

(7) المصدر نفسه، ج 4 ص 183.

(8) المصدر نفسه، ج 3 ص 616.

(9) المصدر نفسه، ج 3 ص 230.

ذلك أن فزارة وناساً من قيس وطيء ، يقولوا في الوقف حبلي ، وأفعي<sup>(١)</sup> ، وكيد زيد أن يقوم و "ما زيل" بدلاً من كاد وزال<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من يقول هبي وهيبة يعني صبي وصبية<sup>(٣)</sup> ، وهي هيلى الصلاة ، بدلاً من حي على الصلاة<sup>(٤)</sup>.

وقد اعتبر سيبويه هذه المستويات ، فتحدث عن لغة من يوثق بهم ، وعن اللغات الفصيحة القليلة ، وعن اللغات الرديئة.

ومن الأفكار التي أخذ سيبويه عن أبي الخطاب ، فكرة التعليل بالتوهم ، وذكر ذلك في الكتاب راوياً عنه مرتين . إحداهما بما قال : وحدثني أبو الخطاب أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت :

يحدو ثمني مولعاً بلقاها      حتى همن بزيغة الأرطاج

فقاله إن الشاعر توهם أن ثمني جمع ثمينة ، فلم ينون<sup>(٥)</sup> .

الثانية ، قوله "وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون: ادعه من دعوت ، فيكسرن العين ، كأنها لما كانت في موضع الجزم توهموا أنها ساكنة ، إذ كانت آخر شيء في الكلمة في موضع الجزم فكسرها حيث كانت الدال ساكنة لأنه لا يتلقي ساكنان كما قالوا رد يا فتى . وهذه لغة رديئة . وإنما هو غلط كما قال زهير :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى      ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

وقول سيبويه "غلط" يعني به توهם ، دليله استشهاد ببيت زهير الذي عطفت فيه سابق بالجر على مدرك ، توهماً أنه قال لست بمدرك<sup>(٦)</sup> .

#### 4. الخليل بن أحمد:

حينما نبحث في تطور علم من العلوم ، نلاحظ أن نشأته تبرز نتيجة ظروف خاصة ، ثم نجد رواده يضعون لبناته شيئاً فشيئاً ، غير أن بناءه لا يكمل إلا على يد شخصية فذة تؤصل قواعده الأساسية ، وتحكم طرق استثمار فروعه ، والذي يقوم بهذا العمل يسمى عادة إمام هذا العلم ، وإمام علوم اللغة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي.

(١) سيبويه الكتاب ، ج 4 ص 181.

(٢) المصدر نفسه ، ج 4 ص 343.

(٣) المصدر نفسه ، ج 4 ص 412.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه ، ج 4 ص 160.

نشأ الخليل مع مستهل القرن الثاني الهجري، وملأ منه برهة ينظر ويقرىء. فكان من نتائج فكره أن أملأ علم النحو على تلميذه سيبويه الذي دونه باستقصاء في كتابه البديع. كما اخترع الخليل أيضاً علم العروض، ووضع أساس المعجم اللغوي عن طريق عملية حسابية تؤهله أن ينظر إليه وكأنه أول من رسم النظم التي تسير عليها الآلات الحاسبة بعد ألف ومائتي سنة من وفاته. فالآثار التي خلفها هذا العالم العبقري تبرهن على ما نعت به من ذكاء وعلم. فإذا كان من سبقه قد "يُضحك من علمهم ويثير الإعجاب ذكاؤهم"<sup>(١)</sup>. فإن الخليل جمع بين الذكاء والعلم حتى صار مضرب الأمثال فيهما. فلم ينزل عالم في عهد الخليل مثل ما نال من ثناء وإطراء. ولم يجمع مؤرخوا العربية على التنويم بأحد مثل إجماعهم على التنويم به، فيقول عنه أبو الطيب اللغوي : "إنه لم يك قبله، ولا بعده مثله، ولم يكن للعرب بعد الصحابة أذكي منه فكان أعلم الناس، وأفضل الناس وأتقى الناس، فكان مفتاح العلوم ومصرفها"<sup>(٢)</sup>. واتفقوا أنه كان آية في الذكاء غاية في استخراج مسائل النحو، مع تحليه بجميع الفضائل، فرووا عن سفيان الثوري قوله : "من أراد أن ينظر إلى رجل خلقه الله من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل"<sup>(٣)</sup>. وقد ضربوا الأمثال أيضاً بعلمه، فيقول إسحق الموصلي في هجا، الأصمعي :

أبا عمرو ويسأله الخليل  
ويزعم أنه قد كان يقتني

ويقول التجار في هجا، التوزي :

والله لو كنت الخليل  
لما كتبت عليك لفظه<sup>(٤)</sup>

أما الحكايات عن ذكائه فتکاد تكون من قبيل الأساطير، لو لا أن الذين نقلوها تكلموا بجدية واقتئاع، من ذلك أنه استطاع أن يفهم رسالة كتبت باليونانية، مع أنه لم يسبق له معرفة بهذه اللغة، إلا أنه افترض أنها مستفتحة ببسم الله، ومنها أنه تعرف على أخلاط دواء ركب من ستة عشر عنصراً، بينما شم الآنية التي استحضر فيها الدواء، ولم يفته من الأخلاط إلا واحد. وقيل في سبب وفاته، أنه صدمته سارية حينما كان يفكر في نوع من الحساب، تستطيع المرأة بفضله أن تحمي نفسها من ظلم القضاة<sup>(٥)</sup>. ويقول عنه شوقي ضيف : أنه لما لمس اللغة بعصاه السحرية انفتحت أمامه أغلاقها وفارقتها طlasmها<sup>(٦)</sup>.

(١) الجصحي : طبقات الشعراء ، ص .31.

(٢) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ، ص .54.

(٣) ابن الأباري : نزهة الأنبياء ، ص .47.

(٤) أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ، ص .9.

(٥) المرجع والصفحة نفسها.

(٦) المدارس النحوية ، ص .31.

وليس من شك أن الخليل نظر إلى اللغة نظرة جديدة. لقد كانت بين يديه مادة غزيرة، منها ماقرأ على أبي عمرو بن العلاء من مروياته في القراءة والشعر والغريب، ومنها ما سمعه من عيسى بن عمر من كتاباته النحوية التي يقال إنها بلغت سبعين، وأثنى الخليل نفسه على اثنين منها، وهما "الجامع" والإكمال" ثم سمع من فصحاء العرب في بوادي نجد وتهامة والحجاز، وقارن بين ما سمع وما رأى من جهود سابقيه في بناء الصرح النحوي، كل هذا جعله يخلص إلى أن اللغة صنعت صنعاً منطقياً، مثل له بدار محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام. وكل ما وضع فيها من رسوم وحدود وأبواب، جاء لعلل قامت في عقول العرب وإن لم تنقل عنهم لأنهم نطقوا على سجيتهم وطبعهم<sup>(١)</sup>.

فاستطاع الخليل في الأخير، أن يستنبط مقاييس التركيب العام للكلام العملي، وأن يفحص مادته التي صيغ منها وهي الحروف، ولبناته التي شيد منها وهي الكلمات، ونسقه المميز وهو التركيب الإعرابي. مرتكزاً في تحليله على الأساليب المطردة التي تعتبر نوذجاً مختاراً للاستعمال الصحيح، وحكم بالشذوذ على ما سواه، مبرزاً العلاقة بين تغير صور التراكيب اللفظية وبين معنى الكلام. وفيما يلي نماذج مقتضبة حول أعماله على مستويات الحروف، والمقاطع والكلمات والجمل.

#### أ) اعتبار الحروف :

عندما قرر الخليل تصنيف كتاب العين لاستيعاب مفردات اللغة العربية اعتمد على إعداد حروف الكلمة، مع تبديل مواضع حروفها حسب الحالات الممكنة حسابياً، وسميت هذه العملية بالاشتقاق الكبير، مثل علم، عمل، ملع، لعم، لمع. ثم بين المستعمل والمهمل من هذه المفردات وابتداً بحرف العين لأسباب تعود إلى طبيعة هذا الحرف من حيث مخرجيه وصفاته، ولهذا العمل صلة واضحة بالتفكير في دراسة مخارج الحروف كلها، واستظهار صفاتها، وهكذا لأول مرة، ضبطت مخارج الحروف وعرف منها ما هو حلقي، وللهوي، وشفوي إلخ، وما يوسم بالجهر والهمس والاستعلاء والانسفال، والشدة والرخاوة ونحوها.

وعلى غرار ما ضبطت للمستمع، استكمل كذلك ضبطها للقارئ، إذ أتم الخليل عمل أبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم، فوضع الشكل المتعارف بعلامات الفتح والكسر بخط فوق الحرف وتحته، بدل النقط، وجعل الضم واواً صغيرة ووضع علامات الأمداد، فنشأ عن هذا العمل ضبط أصوات اللغة ورسم حروفها على صورة، جعلت في وسع القراء

(١) الزجاجي : الإيضاح، ص 65.

أن يحفظوا كيفية اللغة من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، وقد يكون هذا من أسرار معجزة حفظ القرآن الحكيم، حيث شمل هذا الحفظ رسمه وأداؤه<sup>(١)</sup>.

### ب) اعتبار المقاطع :

انتبه الخليل، أثناء تحليله لأجزاء الكلمة أنها لا تتألف من أجزاء بسيطة، وهي الحروف التي تكون الوحدات الصوتية، بل إن فيها وحدات أخرى وهي المقاطع، فغير عنها الأسماك والأوتاد في وضعه لعلم العروض، للاحظ أن منها ما هو ذو مغزى إيقاعي فقط، إذا كان المقطع جزءاً لا يتجزأ من الكلمة المجردة، ومنها ما يدل على معنى زائد في الكلمة سواء كان هذا المقطع لفظاً مستقلاً كمعاني الحروف، أو كان من زوائد الكلمة التي تغير معناها في صيغتها الأصلية، مثال : "في" من "فيهم"، والسين والتاء من "استحسن".

وفي اعتباره للمقاطع، رأى أنها قد تتجمع في بعض الأحيان لتؤلف الكلمة مركبة فقال : إن "لن" أصلها "لا أن"<sup>(٢)</sup> وإن "مهما" مؤلفة من ماما وأبدل ألف "ما" الأولى هاء لتسهيل الأداء اللغطي<sup>(٣)</sup>، وقال : إن "هلم" مركبة من هاء التنبية و"لم" التي يعني أقبل<sup>(٤)</sup> وإن هذه التغييرات وقعت نتيجة كثرة الاستعمال. وما روی عنه قوله إن ليس أصلها "لأيس"<sup>(٥)</sup>. ومن الغريب إن لهذه الفكرة شواهد في عدة لغات غير العربية.

### ج) مستوى الكلمة :

أما على مستوى الكلمة، فقد عمل الخليل على تحديد مجموع حروفها، وصيغها وهذا ما قاده إلى استبيانه عدة مفاهيم جديدة وضع لها ما تقتضيه من ضوابط. فمن هذه المفاهيم التفرقة بين أصول الكلمة وزوائدها التي بينها ابن أبي إسحق، وأوضح الخليل تأثير هذه الزوائد على قواعد الصرف ومنعه، وعلى صيغ الثنائية وجمع التكسير، وعلى أمثلة التصغير<sup>(٦)</sup>.

فوطنق قاعدة وضع الأوزان من حروف لفظة " فعل" لمقابلة أصول الكلمة، مع إبراد الحروف الزائدة بلفظها. ونرى هنا منهج الخليل في التجريد والتعيم، في استعمال هذه الحروف كآلات قياسية، تيز الأصول من الزوائد، مثل ما استعملها في الأوزانعروضية.

(١) شوقي ضيف : المدارس النحوية، ص 35 نقاً عن الجزء المطبوع من كتاب العين.

(٢) سيبويه : الكتاب، ج 3 ص 5.

(٣) المصدر نفسه، ج 3 ص 59.

(٤) المصدر نفسه، ج 3 ص 529.

(٥) لسان العرب مادة ليس.

(٦) سيبويه : الكتاب، ج 3 ص 205.

ومن هذه المفاهيم استنبط إعلال الكلمات أي إبدال بعض حروفها ببعض، واستطاع أيضاً أن يضع لهذا الإعلال ضوابط حرفية تحكم قواعد الإبدال، والإدغام، والفك، والتغييرات التي تجري على الكلمة بسبب اللواحق، وصلاتها بحروف الإعراب، وعوامل البناء.

كل هذا يجعلنا نعتقد أن الخليل انتقل بالنحو من المرحلة الوصفية إلى تأسيس المعايير التي اعتمدت الاطراد وفتحت الطريق أمام القياس والتعليق.

#### د) مستوى التركيب في الجملة :

قد لاحظ الخليل أن لكلام العرب نسقاً يسير على قواعد محكمة، فعمل على تبيان تلك القواعد استقراءً من سماع فصيح اللغة، وعلى توضيح علل أقيستها وإبراز العوامل المؤثرة في إعزابها.

ولقد سبق أن أشرنا إلى دور ابن أبي إسحق الحضرمي في مد القياس وشرح العلل، وهو ما عنينا به تثبيته للقياس الأصلي والنظيري في اللغة، وهذا هو النسق الذي شبهه الخليل بالبناء المحكم. ثم إن الخليل تجاوز ما أقره سابقوه فجاء بفكرة القياس التعليلي.

لقد نظر إلى اللغة نظرة شمولية فافتراض أن قواعدها معللة بأسباب معقولة. فمن هذه القواعد الأصلية، أن الإعراب مقيس في الأسماء، وأن البناء مقيس في الأفعال. وأن هذه القاعدة لا تتغير إلا لعنة عارضة مثل شبه الاسم بالحرف، وشبه الفعل بالاسم<sup>(1)</sup>، ومنها أن التعريف لا يحتاج إلى أداتين، من أجل ذلك امتنع أن تقول "يا الغلام" لأن النداء وحده في معنى التعريف<sup>(2)</sup>. ومنها أيضاً أنه لا يجوز لك أن تندب من لا تعرف، فامتنع أن يندب المنكرو لأنه مبهم<sup>(3)</sup>. ومن هذه القواعد القياسية امتناع العطف على جزء من الكلمة، مما يجر إلى منع العطف على ضمير الرفع المتصل، فلا يجوز عنده قوله : " فعلت عبد الله" للتتصاق الضمير بالفعل، وإحداثه تغييراً في بنية الكلمة، بإسكان اللام فيها، فصارت مع الضمير كلمة واحدة<sup>(4)</sup>. لكنه صح أن يقال : "ما أشركنا ولا آباؤنا" ، بسبب الفصل بـ "لا" بين الفعل والمعطوف. واعتباراً لهذه القاعدة منع الخليل العطف على ضمير الخفظ دون

(1) الرجاجي : الإيضاح، ص 77.

(2) سببويه : الكتاب، ج 2 ص 197.

(3) سببويه : الكتاب، ج 2 ص 228.

(4) المصدر والصفحة نفسها.

إعادة الخافض قائلًا إن الضمير هنا بثابة التثنين<sup>(1)</sup>، وهي من المسائل التي خالفه فيها ابن مالك إذ يقول في الخلاصة في باب العطف.

ضمير خفض لازماً قد جعلا  
وعود خافض لدى عطف على  
وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنشر الصحيح مثبتاً  
ويشير ابن مالك إلى قراءة حمزة بن حبيب الزيات ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون  
به والأرحام ﴾ (النساء - الآية 1)، وإلى قول الشاعر :  
فالليوم قربت تهجنونا وتشتمنا فاذهب وما بك والأيام من عجب

### هـ) العوامل :

والإعراب عند الخليل ليس وضعاً اعتباطياً يقع دون أسباب معينة، لذلك أكد أن نسق الكلام لا يتغير إلا بسبب تأثير عوامل خاصة، واستخلص وجود أربعة أقسام من العوامل منها ما هو ظاهر، أو معنوي، أو محذوف، أو مفترض.

#### . العامل المعنوي :

قد يكون العامل المعنوي يتمثل في الوضع الأصلي للكلام قبل وجود العوامل الأخرى، ولذلك فهو الذي يعمل في المبتدأ، وفي المضارع المعرب والمجرد من النواصي والجوازم، ولارتباطه بالاستئناف ويدء الكلام استحق أن يكون "العامل الأول" الذي يستمد تأثيره من معناه ولذلك يسمى "العامل المعنوي"<sup>(2)</sup>.

#### . العوامل الظاهرة :

مثل الأفعال، والنواصي الفعلية والحرفية، وأدوات الشرط والجزاء، وحروف المعاني، وهذه العوامل تؤثر حسب رأيه في جميع أجزاء الجملة. فالفاعل والمفعول كلاهما معمول للفعل، والنواصي تعمل في المبتدأ والخبر، وأدوات الشرط تعمل في الشرط والجزاء. وهذا يدل على أمرين، أحدهما اعتباره لقوة العامل الظاهر في معموله، الثاني اعتباره أن الجملة وحدة متماسكة، مرتبطة العناصر، ويظهر هذا في قوله : إن ﴿ والنهر إذا تخلى وما خلق الذكر والأنثى ﴾ (الليل - الآيات 2-3) عطف على الآية الأولى. وليس قسماً مكرراً، لأن كل قسم يحتاج إلى جواب<sup>(3)</sup>.

(1) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 378.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 382.

(3) المصدر نفسه، ج 3 ص 501.

## ـ العوامل المحذوفة :

إذا ما رأينا تأثيراً في الإعراب، دون ظهور العوامل، فإن الخليل يدعو إلى تقديرها استناداً على دلالة السياق. ولذلك قدر الحذف في الأمثلة التالية، ففي قول الشاعر :

ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصلة تُبيَّت<sup>(1)</sup>

فقال إن "رجلاً" نصب بـ"أروني" ممحونة، ومثله :

وأؤوي إلى نِسْوَةٍ عُطَلٍ وشعنا مراضيَعَ مثلَ السَّعَالِي<sup>(2)</sup>

وقد يجب الحذف في بعض الحالات، مثل حذف "أن" الناصبة بعد حتى وبعد اللام، والواو، والفاء، في مواضيع معروفة. وجعل الخليل "إذن" مثلها غير أن سيبويه خالفه وقال إنها تنصب بنفسها دون اللجوء إلى تقدير "أن"<sup>(3)</sup>. وذكر في قوله تعالى : ﴿أَنْتُمْ خَيْرٌ لِّكُمْ﴾ (النساء - الآية 170) إن "خيراً" نصب بفعل يترك إظهاره<sup>(4)</sup> وأن "خانيك" مفعول مطلق من فعل ممحون دائمًا.

## ـ العوامل المفترضة :

إن لم يكن للإعراب عامل أساسى كالمعنى، أو عامل ظاهر أو ممحون يسهل تقديره، فإن الخليل لا يتخلى عن نظرية العامل، ويلجأ حينئذ إلى ما يمكن أن نسميه بالعوامل المفترضة. ومنها النصب على الترجم، والدعاة، والمدح والذم. وقد رأينا أن يونس كان يشير إلى بعضها في توجيهه قراءة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. غير أن الخليل قام بعملية التعميم فيها، منهاجاً على الفرق بين ما هو استثناف، وما هو طلب، وسرى تطبيق الفكرة عند سيبويه.

ومن هذه العوامل الخليلية، نزع الخافض، وهو لا يعمل إلا النصب، ومنها كذلك "الشوه" الذي سبق ذكره في معرض الحديث عن أبي الخطاب. وقد زاده الخليل شرحًا واستعمالاً، وبه فسر عدة استعمالات منها مثلاً قول الشاعر :

إن ترَكُوا فرُوكَوبُ الخليل عادُتُنا أو تنزلُونَ فَيَا مِعْشَرَ نُزُلٍ<sup>(5)</sup>

(1) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 308.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 66.

(3) المصدر نفسه، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 282.

(5) المصدر نفسه، ج 3 ص 51.

وقال إن العربي في بعض الأحيان يتوهם أنه تلفظ بما كان ينبغي أن يقول وبذلك يفرق الخليل بين الخلط، والخطأ، والتوهם.

هذا وإن فكرة تنوع العوامل عنده جعلته يجيز عدة احتمالات في توجيه الإعراب. فلنك مثلاً أن تقول : هذا رجل صدق معروف (أو معروفاً) صلاحه. تنصب "معروفاً" على الحال، وترفعها نعتاً. ومن هذا النوع، "يا زيد الطويل، ويا قيم أجمعون أو أجمعين"<sup>(1)</sup>.

ومرجوز القول أن الخليل جمع ثروة ضخمة من علوم اللغة، اكتسب أصولها باستيعاب كل ما استطاع أن يسمع، وفماها بتفكير أتاح له أن يستنبط ما لم يسمع. لقد تلقى معلومات أبي عمرو بن العلاء في المسموع ومعارف ابن أبي إسحق الحضرمي في المقاييس النحوية، فصاغ الجميع في شكل علم متكامل محكم الصنعة فاخترع للغة معجماً شاملًا وجعل من النحو علمًا قائماً.

واقتسم النحويون من بعده هذه الشروة، فكان نصيب الأسد منها لتلמידه الفذ سيبويه الذي ملا حياضه من معين الخليل. وإذا كان هذا التلميذ ظل وفياً لأستاذه. معترفاً بفضله، ومصرحاً بما أخذ عنه، ولم يخالفه إلا في مسائل قليلة جداً، فإن الذين جاءوا من بعده استبدلوا سيبويه بالخليل فنسبوا لصاحب الكتاب جل ما كان لأستاذة. ولم يدعوا للخليل إلا جميل الذكر والثناء. ثم اختطف منه كتاب "العين" فقالوا : إن الليث بن عاصم هو الذي أكمله، واستغلله محمد بن دريد في جمهرته حتى قيل عنه :

ابن دريد بقره، وفيه عيٌّ وشَرَّةٌ

ويدعى من جَهْلِهِ وضع كتاب "الجمهرة"

وهو كتاب "العين" إلا أنه قد غيره

فلم يبق للخليل من أعماله الإبداعية إلا علم العروض الذي حاول الأخشن الأوسط أن يشاركه فيه. ومع هذا فلم يسع الجميع إلا الإجماع على أن الخليل هو إمام النحو وأن النحو هو علم الخليل، ولعل هذا ما عناه المبرد حين يقول :

لم يدر ما علمُ الخليل فيقتدي ببيان ذاك ولا حدود المنطق

بيد أن الرواة سطوا على علم الخليل، فنسبوا لغيره ما له، ونسبوا إليه ما ليس له، مثل "كتاب الجمل" المنحول عليه، والذي يرد فيه العزو إلى الخليل وإلى علماء متأخرین عنه<sup>(2)</sup>.

(1) سيبويه : الكتاب، ص 184.

(2) راجع كتاب "المعلم" المعزز للخليل بتحقيق فخر الدين قباوة.

## 5. ظاهرة كتاب سيبويه :

### (أ) مؤلف الكتاب :

لقد رأينا أن الخليل بن أحمد هو العقري الفذ الذي استكمل تنظير علوم اللغة العربية وإرساء قواعدها، لكن الفضل الأكبر يعود إلى تلميذه سيبويه الذي جمع هذه الأفكار ورتبها في مدونة تعارف أهل الفن بتسميتها بـ "الكتاب". والنحاة حينما يشرون إلى الكتاب، فإنهم ينظرون إليه، وكأنه "المعجزة" النحوية التي ليس لأحد أن يأتي بمثلها. وليس من شك أن الكتاب ثروة علمية فريدة، إذ أنه جمع حصيلة قرن من ثمرات تفكير العلماء الذين سبقوه من أبي الأسود إلى الخليل.

ويتفق معاصروه أنه كان أميناً في نقله ودقيقاً في منهجه حتى أن يونس الضبي، لما نظر في كتاب سيبويه قال : يجب "أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه كما صدق فيما حكى عني" <sup>(1)</sup>.

اعتمد المؤلف في كتابه أساساً على ما أخذه من الخليل حتى قبل عنه إنه جمع ألف ورقة من علم الخليل، فتارة يذكره باسمه قائلاً : "وزعم الخليل" (ولفظة زعم لا تدل على التشكيك)، وتارة يقول "سألته" والإضمار هنا يدل على استمرار حضور الأستاذ في ذهن تلميذه، كما أنه روى عن يونس بن حبيب الضبي نحوها من مائتي مسألة، وعن أبي عمرو ابن العلاء زها، أربعين، وقرابة العشرين عن عيسى بن عمر، ونصفها عن ابن أبي إسحق الحضرمي، وروايته عن هؤلاء الثلاثة أكثرها عن طريق يونس.

وظهر الكتاب موسعة في النحو والصرف واللغة إذ أنه لم يقتصر على رسم أشكال وقوالب متحجحة، بل هو عرض يزخر بالأمثلة الحية، مبرزاً الصلة العضوية بين النظريات النحوية والاستعمالات اللغوية، فأذنَ بانطلاق هذا الفن انطلاقاً حرفاً، أوحى إلى الذين جاءوا من بعده أن يسيروا في طرق متنوعة، فمنهم من ركز جهده على استخلاص القواعد الأساسية، وثبتت عللها وقياساتها جاعلاً من النحو علمًا منطقياً مستقلًا، ومنهم من حرص أن يستكشف منه أسرار اللغة العربية وبيانها، وكلَّ من أولئك وهؤلاء يجد في الكتاب مرتکراً يستمد منه ما يريد، ولقد بلغ الإعجاب بدراسته أن الجرمي ذكر أنه ظل ثلاثين سنة يفتني في الفقه من كتاب سيبويه <sup>(2)</sup>.

وكتاب من هذا النوع، أنشئ في هذه المرحلة من تطور العلم، لا ننتظر منه أن يكون سهلاً على كل قارئ، هذا ما يعبر عنه العلماء بقوله لمن يريد دراسته "هل ركب البحر"

(1) الزبيدي : طبقات النحويين، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ص 75.

مثل ما كان يروى عن المبرد<sup>(1)</sup>. والشبه واضح بين البحر وبين الكتاب، فهو خضم، زاخر صعب، ولا غرو أن يعتقد النحاة أن اسم "الكتاب" صار علماً على هذا المصنف الفريد، أنه فريد في عصره وفي شكله.

ولا غرو أيضاً أن يعتقد مناهضوه في المدرسة الكوفية، أنه ليس في إمكان شخص واحد أن يقوم بمثل العمل العظيم، ويروى عن بعضهم قوله إنه قد اجتمع على صنعه اثنان وأربعون إنساناً منهم سيبويه<sup>(2)</sup>. ولا غرو كذلك أن يسميه أتباعه من البصريين "البحر" حتى إن المازني الذي تخرق هذا الكتاب في كمه يقول "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستع<sup>(3)</sup>".

هذا الكتاب شغل الناس طيلة قرون، فيقال إن الفراء، وهو من خصومه، مات والكتاب تحت وسادته. وكان أبو الطيب اللغوي يسميه "قرآن النحو" ويقول السيرافي عنه إنه لم يسبق إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده<sup>(4)</sup>، ومن أبلغ ما قيل فيه وفي مؤلفه قول الزمخشري :

ألا صلى الله صلاة صدق  
على عمرو بن عثمان بن قنبر  
فإن كتابه لم يغرن عنه  
بنو قلم ولا أنداء منبر<sup>(5)</sup>

والعناية المتواصلة التي أولاها النحويون لهذا الكتاب تعود إلى العوامل التالية :  
أولاً : وضعه التاريخي إذ أنه أول ما وصل إلينا من المؤلفات النحوية.

ثانياً : شموليته للمعارات النحوية، فهو موسوعة في النحو والصرف، وأبینة الكلام العربي.

ثالثاً : اتفاق معاصريه على أمانته في النقل.

رابعاً : أسلوبه المتميز وإن كان في بعض الأحيان لا يخلو من تعقيد وغموض حتى أنه احتاج إلى شروح كثيرة ما استطاعت كلها أن تستند جميع طاقات هذا المصنف<sup>(6)</sup>.

(1) راجع ابن النديم الفهرست 83 و ابن الأباري التزهه ص 55.

(2) ابن النديم الفهرست ص 82.

(3) ابن الأباري التزهه ص 56.

(4) السيرافي ص 64.

(5) السيوطي بغية الوعاة ج 2 ص 266.

(6) راجع دراسة كوركيس عواد. سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين ص 36.

ولقد كان الأخفش الأوسط والمازني والجرمي والسيرافي والأعلم والرماني من بين الذين اجتهدوا في شرحه وتبين نكته، ومع ذلك فإن السيرافي الذي كاد أن يستكمل شروح من سبقوه قال عن "باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور":  
هذا الباب فيه صعوبة وقال الزجاج: "هذا الباب لم يفهمه إلا الخليل وسيبوه"<sup>(١)</sup>، وفي هذا المقال مثال عن الصعوبات التي تواجه قارئه اليوم.

وسوف نحاول بإيجاز كبير أن نستعرض أهم ملامح هذا الكتاب، ونبين بعض الأمثلة التي نعتقد أنها من "المقاليد" المعينة على فتح أبوابه، اعتباراً أن غموضه يتمثل في عدة مواضع منها: المصطلحات التي اعتمدها والأمثلة النشرية وبعض الشواهد الشعرية التي جعلها حُججاً للقواعد التي بناها عليها.

### **ب) مصطلحات الكتاب :**

#### **الخبر = المسند :**

ففي الكتاب، يعبر سيبوه عن خبر المبتدأ بلفظ "المسند" حيث يقول "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يعني واحد منهما عن الآخر فمن ذلك الاسم المبتدأ والبني عليه وهو قوله عبد الله أخوك. وهذا أخوك"<sup>(٢)</sup>.

#### **التوكيد = التكرير والصفة :**

والتوكيد المعروف، يطلق عليه في بعض الأحيان اسم "التكرير" وذلك في قوله: "وتقول مررت بزید بن عمر إذا لم تجعل الابن وصفاً ولكنك تجعله بدلاً أو تكريراً كأجمعين"<sup>(٣)</sup>. وفي بعض الأحيان قوله في "باب ما ينتصب أنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم، وذلك قوله لهم أجمعين"، أو الصفة حيث يقول "وأما كلهم وجميعهم، وأجمعون، وعامتهم وأنفسهم فلا يكون أبداً إلا صفة"<sup>(٤)</sup>.

#### **المقصور = المنقوص :**

و"المقصور" يسميه بـ"المنقوص" فيقول في باب تثنية ما كان من المنقوص على ثلاثة أحرف. ومثل له بالعصا والقفاء والرضا<sup>(٥)</sup>.

(١) سيبوه : الكتاب، ج ١ ص 384 الهاشم رقم 3.

(٢) المصدر نفسه، ج ١ ص 23.

(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص 377.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣ ص 390.

و"المنقوص" المتعارف عليه يقول عنه : "هو ما آخره ياء تلي حرفًا مكسوراً، بدون أن يضع له اصطلاحاً خاصاً. إذ يقول هذا باب إضافة كل اسم آخره ياء تلي حرفًا مكسوراً إلى هذه الباء مثل : هذا قاضي، وهؤلاء جواري"<sup>(1)</sup>.

الإضافة = النسب :

وهنا يقول "هذا باب الإضافة" وهو باب النسبة ويسط فيه أحكام النسب المعروفة، وسمى ياء النسب بباء الإضافة<sup>(2)</sup>.

أسماء الإشارة = الأسماء المبهمة :

وأسماء الإشارة في الكتاب تسمى الأسماء المبهمة<sup>(3)</sup>.

### ج) ترتيب الكتاب وعناوينه :

جمع سيبويه في كتابه مباحث النحو والصرف، في قسمين متباعين، ولكن ترتيبه لأبواب النحو يختلف عما اعتدنا أن نراه اليوم في كتب النحو. ذكر عندما وقع الكتاب بين يدي لأول مرة، في طبعة قدية مبتدئة الأولى، قلت لأحد أساتذتي : لقد رأيت كتاباً في النحو لم ألف صنيعه، فقال لي : هل قدم النحو فيه متناثراً ؟ قلتُ : نعم، قال : ذلك كتاب سيبويه، إنه يبدو وكأنه متناثر لأن الدارسين تعودوا على ترتيب معين، يصنف الأبواب بعد الكلام عن الإعراب والبناء، والتنكير والتعريف، المرفوعات والمنصوبات، وال مجرورات. أما في كتاب سيبويه فنلاحظ كثرة الأبواب، وعدم وجود الفصول، وطول العناوين والغموض في العلاقة بين العنوان والمن.

ولقد تنبه دارسو الكتاب، قدماً وحديثاً، لهذه الصعوبات وتناولوها بالشرح والتفسير. وكان من اهتم بتعديل العناوين الرمانى في شرحه للكتاب، وسنى ذلك في الفصل المخصص له<sup>(4)</sup>.

ومن المحدثين اهتم علي النجدي ناصف ببيان الأسس التي رتب الكتاب على أساسها. فأوضح أنه بدأ بالمقاديم<sup>(5)</sup>، إذ تكلم عن أقسام الكلمة، وعن علامات الإعراب وعن أحوال اللفظ مع المعنى اختلافاً واتفاقاً، وعن علاقة المعنى في استقامته واستحالته، وفي حسنها وفي قبحه بتailيف الكلام وعما يحتمل الشعر من الضرائر.

(1) سيبويه : الكتاب، ج. 3.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 335.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 7.

(4) لمصدر نفسه.

(5) راجع النجدي : سيبويه إمام النعامة، 103 و 175 وما بعدها.

ثم بين أن الترتيب بعد هذه المقدمات، كان على أساس العوامل، لاعلى نسق المعمولات، إذ بدأ الكلام عن الأفعال في لزومها وتعديها، وفي بناتها للفاعل، وفي بناتها للمفعول، وفي تنازعها واشتغالها، وفي إلغائها، وفي قائمها ونقصها، وفي حذفها وذكرها، وتكلم على إعمال المصدر والمشتقات وأسماء الأفعال، وليس من البديهي الوصول إلى هذه النتيجة لأن عناوين هذه الأبواب تبدأ غالباً هكذا :

- باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولم يتعده فعله إلى مفعول آخر (الفعل المتعدي ولزومه).
- باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفعل الفاعل والمفعول فيه شيء واحد (كان وأخواتها).
- باب النعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك (التوابع).
- باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده (إن وأخواتها).
- باب حروف البدل من غير أن تدغم حرفًا في حرف.

ويزيد على النجدي، إن الفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويصدر عنها في تنزييع مباحث التحو وترتيب أبوابه، مدارها العامل أولاً وأخيراً، لأنه نظر في الجملة حين تكلم عن المسند والمسند إليه فإذا هي فعلية واسمية، فتكلم عن الفعل المذكور وما حمل عليه من العمل. وعني بذلك المرفوع في حالة المائلة من الفاعل ونائبه واسم كان وأخواتها، والمرفوع في أصله من منصوبات ظن وأخواتها، ثم تكلم عن الفعل المحذوف والمذكور وأنواع ما ينطوي على المفعولين وعن استعمالات المصدر وما حمل عليه ... ثم تكلم عن عامل الجر وطبق أعماله على التوابع.

ثم انتقل إلى النوع الآخر من الجملة الاسمية، فتكلم عن الابتداء ونواسه وانتظر الأدوات التي تجري على شبه منها في العمل.

ولاحظ على النجدي وجود بعض الأبواب في مواضع ليست بينها علاقة، كوضع القسم وحروفه بين التصغير ونون التوكيد دون أن تظهر الصلة بين هذه الأبواب، وقد يكون هذا من عمل النساخ، أو نتيجة لعدم مراجعة نهائية من قبل سيبويه لتنظيم الكتاب مما حدا ببعض المؤرخين أن يقول : "إن سيبويه لم يتم تنقيحه بدليل خلوه من مقدمة ولتدخل أدباه".

#### د) أبنية الكتاب وأمثلته :

إننا نجد في الكتاب مجموعة من الأبنية اللغوية، يفسرها المؤلف في باب من الكتاب، ثم يفترض أن هذا التركيب أصبح صيغة مفهومة الحكم، فيتمثل بها في الأبواب اللاحقة مع إشارة قد لا يستوعبها غير الذي وقف على الفقرة التي تضمنت إياها الحکم.

والأمثلة الشيرية التي استعملها سيبويه تدل أنه أراد أن يقدم النموذج الموثوق به في عصره وفي المنطقة المحيطة ببلده (البصرة)، ومنها ما سمعه بنفسه، ولقد روى أكثرها عن أستاذة الخليل، الذي رأينا أنه بقي أربعين سنة في قبائل العرب المعتمدة في نجد والنجاشي وتهامة، وأفرغ أربعين قنینة حبر، ثم أن سيبويه في كتابته عن العرب قام بعملية انتقاء، معتمداً فيها على آراء الخليل وأبن أبي إسحق ويونس، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، وعلى آرائه الشخصية. ومن أمثلة هذه الأبنية :

##### • صيد عليه :

ففي باب يكون فيه المصدر حيناً (ظرفاً) لسعة الكلام والاختصار (والسعة قد تعني الحذف). يقول سيبويه : وذلك قوله متى سير عليه ؟ فيقول مقدم الحاج، وخفق النجم، وخلافة فلان وصلة العصر، فإنما هو زمن مقدم الحاج، وحين خفق النجم، ولكنه على سعة الكلام والاختصار .

وإن قال : كم سير عليه ؟ فكذلك، وإن رفعته (يعني الجواب) أجمع كان عربياً كثيراً، وينتصب على أن يجعل "كم" ظراً، وليس هذا في سعة الكلام والاختصار بأبعد من "صيد عليه يومان" و"ولد له ستون عاماً".

وإدراك معنى هذه الفقرة يتوقف على معرفة ما يعني المصنف :  
أولاً : بالظرف، وهو الحين، الذي ينتصب فيه الاسم.

ثانياً : إنه يعني بالسعة والاختصار، التجوز في الألفاظ بالحذف إذا كانت الدلالة واضحة، مثل "أسأل القرية"، و"الليلة الهلال".

ثالثاً : إن الفقرة تحيل إلى باب سابق وهو باب استعمال الفعل في اللفظ لا المعنى لا تسعهم في الكلام والإيجاز والاختصار ويمثل له سيبويه بقوله "كم صيد عليه ؟". فيقول صيد عليه يومان، وإنما المعنى صيد عليه الوحش في يومين ولكنه اتسع واختصر ... ومن ذلك أن تقول كم ولد له ؟ فيقول ستون عاماً. فالمعنى ولد له الأولاد، ولد له الولد ستين عاماً، ولكنه اختصر وأوجز.

ويفسر المؤلف الحالات التي تكون فيها "كم" ظرفاً، وجوابها منتصب أو تكون غير طرف وجوابها مرفوع.

ثم يتكرر هذا التركيب في عدة أوجه، في جواب متى وأين، وتعود القاعدة الأساسية على حكم الجملة الأولى، وهي "كم صيد عليه؟" وعلى جوابها<sup>(1)</sup>.

### ● يا تيم عدي . يا طلحة أقبل . لا أبا لكم :

يقول سيبويه في باب ما يعمل فيه الفعل، فينتصب وهو حال وقع عليه الفعل وليس بفowler : "وسمعنا من العرب من يقول ، من يوثق به، اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول في كلامه، اجتمعت اليمامة فأنت الفعل في اللفظ إذ جعله في اللفظ لليمامة فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام".

ومثله في هذا : يا طلحة أقبل، لأن أكثر ما يدعوا طلحة بالترحيم فترك الماء على حالها ، ويا تيم عدي أقبل : وقال الشاعر جرير :

يا تيم عدي لا أبا لكم لايُلْقِنِكُمْ فِي سُوَءَ عَمَرٍ<sup>(2)</sup>

ويقول مرة أخرى، هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الإضافة ويكون الأول، بمنزلة الآخر، وذلك قوله : يا زيدَ زيدَ عمرو، ويا زيدَ زيدَ أخينا . زعم الخليل رحمه الله ويونس أن هذا كله سواء . وهي لغة للعرب جيدة وقال جرير : يا تيم تيم عدي إلخ.

وقال الخليل . رحمه الله . هو مثل "لا أبا لك" قد علم أنه لو لم يجيء بحرف الإضافة . أي حرف الجر . قال لا أباك فتركه على حاله الأولى واللام ها هنا بمنزلة الاسم الثاني في قوله : يا تيم تيم عدي ... وكذلك قول الشاعر إذا اضطر :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

إنما يريد "يا بؤس الحرب" وكان الذي يقول : يا تيم تيم عدي ...، وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم "يا طلحة أقبل" يشبه يا تيم تيم عدي من قبل أنهم قد علموا أنهم لو لم يجيئوا بالهاء لكان آخر الاسم مفتوحا فلما ألحقو الهاء تركوا الاسم على حاله التي كان عليها قبل أن يلحقوا الهاء ، وقال النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقصيه بطيء الكواكب

فصار يا تيم تيم عدي اسماء واحدا ، وكان الثاني بمنزلة الهاء تُحذفُ مرة وي جاء بها أخرى والرفع في طلحة و يا تيم تيم عدي القياس .

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 211 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 53.

فالقياس يقتضي ضم "تيم" في النداء، لكن لما ثني وأضيف ترك على حاله وكأنه اسم واحد. لأنه لو حذف لفظ "تيم" الثانية لكان القياس الفتح، وفتحت كذلك التاء في طلحة وأمية، لأنهما كثيراً ما تجذب ما تجذب، في الترخيم، والترخيم كثير في النداء، ولما أعيدت التاء بقية الحاء في طلحة مفتوحة، والميم في أمية، وتبعتها التاء فيهما، كما ترك التنوين في "لا أبا لك" لأنه لو حذف اللام لصار القياس عدم التنوين، ولما زيدت اللام ترك التعبير على حاله، لأنه دعاء يكثر على الألسنة، مثل كثرة النداء<sup>(1)</sup>.

ومرة ثالثة يعود سببويه إلى هذا المثال، وذلك ضمن الكلام على النفي بلا، فيقول : "هذا باب المنفي المضاف بلام الإضافة" ، وهو يعني بلام الإضافة لام الجر.

اعلم أن التنوين يقع من المنفي في هذا الموضع إذ قلت لا غلام لك كما يقع من المضاف إلى اسم، وذلك إذا قلت لا مثل زيد، والدليل على ذلك قول العرب : لا أبا لك ولا غلامي لك ولا مسلمي لك. وزعم الخليل . رحمة الله . أن التنوين إنما ذهب للإضافة، ولذلك أحقت ألف التي لا تكون إلا في الإضافة. وإنما كان ذلك من قبل أن العرب قد قنعوا لا أبا لك في معنى لا أبا لك، فعلموا أنهم لو لم يجيئوا باللام لكان التنوين ساقطاً كسقوطه في : لا مثل زيد. فلما جاءوا بلام الإضافة تركوا الاسم على حاله قبل أن يجيء اللام إذ كان المعنى واحداً وصارت اللام بمنزلة الاسم الذي ثني به في النداء ولم يغيروا الأول عن حاله في النداء ولم يغيروا آخر طلحة عما كان عليه قبل أن تتحقق، وذلك قولهم :

كليني لهم يا أميمة ناصب

ومثل هذا الكلام قول الشاعر إذ اضطر :

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام<sup>(2)</sup>

فنلاحظ في هذه الفقرات أن سببويه استخلص قاعدة مضمونها أن العرب حين ما يكترون من استعمال اسم في النداء أو في الدعاء، يتربكونه على حاله، ولو إذا اقتضى القياس تغييره طبقاً لعوامل أخرى.

● قالت حنان :

يمثل سببويه بهذا التعبير عن حكم اصطلاح عليه فيما بعد بـ "الأمر والشأن" ، ويفرق بين هذا الاستعمال في الإخبار والاستعمال في الدعاء فيقول في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء : "وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد الله وثناء عليه، فإنه يحمله على مضمر في نيته

(1) سببويه : الكتاب، ج 2 ص 205 و 208.

(2) المصدر نفسه ج 2 ص 276 و 278.

هو المظاهر، كأنه يقول : أمري وشأنني حمد الله وثناء عليه، ولو نصب لكان في نفسه الفعل، ولم يكن مبتدأ ليبني عليه، ولا يكون مبنيا على شيء هو أظهر.

وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه :

فقالت حنان ما أتي بك ها هنا      أذو نسب أم أنت بالحي عارف

لم ترد حنٌ، ولكنها قالت أمرنا حنان، أو ما يصيّبنا حنان، وفي باب آخر، وهو باب ما يجيئ من المصادر مثنى متنصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره.

يقول : "ومن العرب من يقول سمع وطاعة، أي أمري سمع وطاعة منزلة" :

فقالت حنان : ما أتي بك ها هنا.

وكما قال سلام : "والذي يرتفع عليه حنان وسمع وطاعة غير مستعمل"<sup>(1)</sup>.

فهذا المثال جعله نموذجا ، في حالة الإخبار عن أمر أضمر فصار مرفوعا ، بينما خص النصب بالمصادر التي جاءت للدعا .

ويظهر هذا في قوله تعالى : ﴿قَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ﴾ (هود - الآية 68) و(النزاريات - الآية 25)، فكان السلام الأول دعاء والثاني خبراً.

• ما رأيت أحدا أحسنَ في عينه الكحل منه في عينه :

أورد سيبويه هذا التعبير في "باب ما يكون من الأسماء صفة مفرداً وليس بفاعل كالحسن وأشباهه، وذلك قوله مرت بحية ذراع طولها"، ثم تحدث عن بعض أحكام فعل التفضيل فقال : وتقول ما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه إليه، وما رأيت أحداً أحسن في عينه الكحل منه في عينه، وليس هذا منزلة، خير منه أبوه، لأنه مفضل للأب على الاسم في منْ. وأنت في قولك أحسن في عينه الكحل منه في عينه لا تزيد أن تفضل الكحل على الاسم الذي في "من" ... ولكنك زعمت أن للکحل ها هنا عملاً وهيئة ليست له في غيره من المواضيع فكأنك قلت ما رأيت رجلاً عاملاً في عينه الكحل كعمله في عين زيد.

وإن شئت قلت ما رأيت أحداً أحسن في عينه الكحل منه تخبر ولا تخبر أنك فضلت الكحل عليه، ... وإنما فضلته في هذا الموضع على نفسه، - أي الكحل - في غير هذا الموضع، ولم تجعله خيراً من نفسه البتة، وقال سفيان بن ثليل :

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 319-320

مررت على وادي السباع ولا أرى  
كواodi السباع حين يُظلم واديا  
أقلّ به ركب أتوه تيّة (1)  
وأخوف، إلا ما وقي الله، ساريا (11)  
ويقول ابن مالك أن "أفعل التفضيل" يصح أن يرفع الاسم الظاهر إذا أمكن أن يحل محل الفعل، وفي نظمه بيتٌ سمى في المحاضر الشنقيطية "بيت الكحل" لمحاً للمثال السابق، وهو أول هذين البيتين :

ورفعه الظاهر نزر ومتى  
عاقب فعلاً فكثيراً ثبتا  
كلن ترى في الناس من رفيق  
أولى به الفضل من الصديق

• ليس الطيب إلا المسك، ليس خلق الله أشعر منه، إنه أمة الله ذاهبة،  
كان أنت خير منه :

هذه الأمثلة جاءت في الكتاب في بابين، وهما : باب الإضمار في "ليس" وكان كإضمار في "إن" (2) وفي باب المزدوج التي أجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي وذلك قوله "ما ضربت زيداً" (3).

فأراد سيبويه أن يفسر هذا الإضمار في قول بعض العرب "ليس خلق الله مثله" لأنه لو لم يكن فيه إضمار لم يجز أن تذكر الفعل بدون عمل، ولكن فيه إضمار مثل ما هو في "أنه أمة الله ذاهبة"، ومنه قول الشاعر :

وليس كل النوى تلقى المساكين

ومثله قول آخر :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وأخر مثن بالذى كنت أصنع  
وقال بعضهم "كان أنت خير منه"، كأنه قال "إنه أنت خير منه"، ومثله قوله تعالى :  
﴿كَاد تزيغ قلوب فريق منهم﴾ (التوبه . الآية 118)، وجاز هذا التفسير لأن معناه  
كادت قلوب فريق منهم تزيغ، كما قلت "ما كان الطيب إلا المسك"، على إعمال ما كان  
الطيب إلا المسك فجاز هذا إذ كان معناه ما الطيب إلا المسك. وقال هشام أخوه ذي الرمة :  
هي الشفاء لدائى لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول (4)

(1) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 31 - 33.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 69.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 147.

(4) المصدر نفسه، ج 1 والصفحة نفسها.

وفي الباب الثاني، أي في "باب الحروف التي أجريت مجرى الحروف التي أجريت مجرى حروف الاستفهام"، يقول : وزعم خلق الله أشعر منه وليس قالها زيد وقال حميد الأرقط.

وأصبحوا والنوى عالي معرسهم وليس كل النوى تلقى المساكين

هذا كله سمع من العرب، والوجه والحد أن تحمله على أن في "ليس" إضماراً وهذا مبتدأ قوله : "إن أمة الله ذاهبة وليس الطيب إلا المسك"<sup>(1)</sup>.

ومن هذه الأمثلة يمكن استنتاج رأي سيبويه في إعمال "ما" عمل ليس، وهو تفضيله للإضمار بدلاً من اعتبارها عاملة عمل الفعل، فقال إنه قليل لا يكاد يعرف، وإذا سمع في كلام العرب، فالوجه والحد أن تحمله على الإضمار.

• استوى الماء والخشبة، جاء البرد والطيسة، لو تركت النافة وفصيلها، إنك ما وخيرا، كيف أنت وقصعة من ثريد :

هذه الأمثلة أوردها سيبويه في باب أحدهما باب المفعول معه، قائلاً : إنه "باب ما يظهر فيه الفعل وينتصب فيه الاسم"<sup>(2)</sup>، ثانيةما باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأول إلا أنها تعطف الاسم هنا على ما لا يكون ما بعده إلا رفعاً على كل حال<sup>(3)</sup>.

في الباب الأول، ينتصب الاسم بالفعل الذي قبل الواو، لأنها لم تغير المعنى، وبرهن هنا على إعمال الفعل بأنه قبيح أن تقول : اقعد وأخوك، حتى تقول اقعد أنت وأخوك. أما في الباب الثاني فإن عمل الفعل لم يظهر في مثل قوله : كيف أنت وقصعة من ثريد.

مع أن سيبويه أقر هنا ثلث قواعد، وفقاً للأمثلة المذكورة، وهي : أولاً : النصب بعد الواو، التي يعني "مع" مثل جاء البرد والطيسة، ومثل قول الشاعر :

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال<sup>(4)</sup>

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 147.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 297.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 299.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 298.

**ثانياً** : النصب بعد "أن" و "ما" مع الواو، مثل قول العرب، إنك ما وخيرا، ومثل قول الشاعر :

فمن يك سائلاً عنني فإني وجروة لا تباع ولا تعار<sup>(1)</sup>  
وهنا ينتصب الاسم انتساباً إني وزيداً منطلقان".

**ثالثاً** : الرفع إذا لم يظهر الفعل، في مثل : كيف أنت وقصعةُ الشريد، ومثله قول الشاعر :

وكنت هناك أنتَ كريم قيس فما القيسي بعده والفحار<sup>(2)</sup>

وإننا هنا لاتزيد أن نستعرض آراء النحاة بعد سيبويه، وبالخصوص الزجاج، الذي خالقه في أعمال الفعل قبل الواو، وقال بتقدير فعل مضمر بعدها، لنصب الأمثلة المذكورة، والمهم عندنا أن نبين رسوخ هذه الأمثلة، التي صارت تردد حرفيًّا في جل الكتب التي ألفت بعد الكتاب.

### • ما جاءت حاجتك، عسى الغوير أبوسا، لدن غدوةً :

وفي باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول<sup>(3)</sup>، وهو يعني كان وأخواتها، يقول سيبويه : وتقول من كان أخاك ؟ كما تقول "من ضرب أباك إذا جعلت من الفاعل ومن ضرب أبوك، إذا جعلت الأب الفاعل ...

ومثل قولهم من كان أخاك قول العرب "ما جاءت حاجتك"، كأنه قال ما صارت حاجتك ولكنه أدخل التأنيث على "ما" حيث كانت الحاجة. كما قال بعض العرب "من كانت أمك ؟".

ومن يقول من العرب : "ما جاءت حاجتك كثيراً" كما يقول من كانت أمك ؟ .  
ومثل قولهم "ما جاءت حاجتك" إذ صارت تقع على مؤنث قراءة بعض القراء،  
﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ (الأنعم - الآية 24).

وهو يريد أن يبنيه على بعض الاستعمالات النادرة، حيث قال : "جاء" هنا حل محل "كان" كما أن "عسى" ينزلتها في قولهم "عسى الغوير أبوسا" وكما جعلوا "لدن" مع غدوة منونة في قولهم لدن غدوة، ويزيد قائلاً : ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام<sup>(4)</sup>.

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 302.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 300.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 45.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 51.

وهذا ما لاحظه في تعبير "ما جاءت حاجتك" لأن "ما" فيها اعتبرت مؤنثة، واستعمل فعل "جاء" بدلاً من "كان".

#### • وأمن حفر بئر زمزمهah :

في باب ما لا يجوز أن يندب، يقول سيبويه : "وذلك قوله، وارجلاه، وزعم الخليل - رحمة الله . ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال، وقال الخليل إنه قبيح لأنك أبهمت".

وزعم أنه "لا يستقبح وأمن حفر بئر زمزمهah ، لأن هذا معروف بعينه"<sup>(1)</sup>.

وهذا ما عنده ابن مالك حين قال :

ما للمنادي أجعل لمندوب وما نُكِرَ لم يندب ولا ما أبهما  
ويندب الموصول بالذى اشتهر كبشر زمم يلي وأمن حفر

#### • هذا جحر ضب خرب :

يقول سيبويه وما جرى نعتا على وجه الكلام : "هذا جحر ضب خرب فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم، وهو القياس لأن الخرب نعت الجحر، والجحر رفع، ولكن بعض العرب يجره"<sup>(2)</sup>.

ولقد بقي هذا المثال عند النحوين فيما بعد وسموه بالجبر بالمجاورة، ورأوا مثله في قول أمر، القياس :

كأن أبانا في أفانين ودقه      كبير أناس في بجاد مزمل

والطريف في الأمر هو التعليل الذي أعطاه سيبويه لهذا النوع من الاستعمال فهو يقول : "فجريه لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب منزلة واحدة، ألا ترى أنك تقول هذا حب رمان فإذا كان لك قلت هذا حب رماني، فأضفت الرمان إليك وليس لك الرمان، إنما لك الحب"<sup>(3)</sup>.

#### • خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها :

لقد أورد النحاة هذا المثال لبيان أن الحال قد تكون غير متنقلة، وإن كان الانتقال أغلب، مثل ما يقال جاء زيد راكباً، وغير المتنقل، وهو دعوت الله سميا. و"أطول" في المثال المذكور.

(1) سيبويه : الكتاب، ج 2 ص 227 - 228.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 436.

(3) المصدر والصفحة نفسها.

ثم يبدل مكان الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل الأول.  
أما سيبويه فقد أورده في باب قال عنه "هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول وذلك قوله رأيت قومك أكثرهم"<sup>(1)</sup>.

ثم شرح فيه مجموعة من أحكام البدل والتوكيد، وبين الموارد التي يختلف فيها الإعراب حسب تركيب الجملة، فقد تقول رأيت متابعاً بعضه فوق بعض، ورأيت متابعاً بعضه أحسن من بعض، ومررت متابعاً بعضه مرفوعاً، وبعضه مطروحاً، ثم بين أنه ما جاء في النصب على الحال : "أنا سمعنا من يوثق بعربته يقول : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها"<sup>(2)</sup>.

### • له علي ألف درهم عرفا :

هذا المثال أتى به سيبويه في باب "ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصباً"<sup>(3)</sup>.  
وذلك في قوله له : "علي ألف درهم عرفاً، ومثل ذلك قول الأحوص :  
إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل"<sup>(4)</sup>  
والذي يلفت النظر في هذا التركيب أنه ظل غواضاً، يستشهد به حتى وصل إلى ابن  
مالك الذي يقول في باب المصدر :

لنفسه أو غيره فالمبتدا والثاني كابني أنت حق صرفا	ومنه ما يدعونه مؤكدا نحو له علي ألف عرفا
---	---

### • الآتى بلى فا :

يقول سيبويه في "باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد"<sup>(5)</sup> وسمعت من العرب من يقول :  
آلاتا، بلى فا "فياماً أرادوا ألا تفعل وبلى فافعل، ولكنه قطع كما كان قاطعاً بالألف في  
أنا" وقال الراجز : وهو لقيم بن أوس :  
بالخير خيرات وإن شرّاً فـ <sup>(6)</sup> ولا أريد الشّرّ إلا أن تـ

(1) سيبويه : الكتاب، ج 1 ص 150.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 155.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 38.

(4) المصدر والصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ج 3 ص 320.

(6) المصدر نفسه، ج 3 ص 321.

ولعل سيبويه يلمح هنا لقصة رواها الأصمسي أنه كان أخوان متتجاوزان لا يكلم أحدهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي، فيقول أحدهما لصاحبه : "ألا تا" فيقول الآخر "بلى فا" يريد ألا تنهض، فيقول الآخر بلى فانهض .

### هـ) شواهد الكتاب :

وزيادة على هذه "الأبنية" التي اعتمدتها سيبويه في تقرير بعض القواعد، فإنه أسلب في الاستشهاد بالشعر، حيث أن شواهد تزيد على الألف، كما اعتمد أيضاً القراءات القرآنية فاستشهد بنحو من أربعة وخمسين آية من القرآن العظيم، وقال عنه : "إنا العباد كُلُّمَا بِكَلَامِهِمْ، وَجَاءَ الْقُرْآنَ عَلَى لِغَتِهِمْ، وَعَلَى مَا يَعْنُونَ"<sup>(1)</sup>. ويقول أبو حيان الغرناطي في أهمية الكتاب في فهم لغة القرآن . فالكتاب هو المرفأ إلى فهم الكتاب . إذ هو المطلع على فهم الإعراب ... فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير وترقت إلى التحقيق فيه والتحري أن يعتكف على كتاب سيبويه فهو في هذا الفن المعول عليه (البحر المحيط ج 1 ص 101).

أما الحديث، فلم يستدل فيه إلا ببضعة أحاديث لا تتجاوز العشرة، وتبعه جمهور النحاة في ذلك . والرأي السائد هو أن النحاة في عهده لم يستشهدوا بالحديث لجواز روایاته بالمعنى من غير العلماء ، وإننا لا نطمئن لهذا الرأي ولا لهذا التعليل لأسباب بدائية منها أن لغة الحديث تتجاوز فصاحتها جميع الأبنية والتركيب التي جمعت من الأعراب من حول البصرة، غير أن السبب الذي نفترضه هو أن هؤلاء النحاة عاشوا في عهد لم تستكمل فيه عملية تدوين الحديث . والأئمة الرواد الذين قاموا بتدوين السنة مثل الإمام مالك وابن جرير وابن أبي عروبة كانوا في الحجاز ولم تظهر كتبهم إلا في أواخر القرن الثاني، أما السفيانيان اللذان كانوا بالعراق فهما ابن عينية (ت 198هـ) ولم نعرف له كتاباً، وأما الشوري (ت 161هـ) فقد قيل إنه أحرق كتبه تورعاً.

والعالم الذي كان في إمكانه أن يعين سيبويه في النحو والحديث معاً هو حماد بن سلامة (ت 167هـ)، وبحكمي أن سيبويه حاول في أول مرة أن يكتب عنه الحديث، غير أن حادثتين صدتا سيبويه عن الحديث ووجهته إلى اللغة، إحداهما أنه قال أمام حماد أن الرسول صعد الصفا، فقال حماد : يا فارسي لا تقل الصفا<sup>(2)</sup>، وأما الحادثة الثانية فتلك المتعلقة بحديث "ليس أبا الدرداء"<sup>(3)</sup> وألى سيبويه على نفسه ألا يكتب شيئاً حتى يحكم

(1) سيبويه : الكتاب، ص 331.

(2) الزجاجي : مجالس العلماء ، ص 154.

(3) السيرافي : أخبار التحريين البصريين ص 59.

العربية، ففرق في بحراها، ونأى عن الحديث، مؤكدا بذلك اتجاه أهل البصرة في التخصص، وهو مما عابه عليهم أهل الكوفة في منافساتهم العلمية.

هذا وفي الإمكان أن نقسم شواهد سببويه الشعرية إلى ثلاثة أقسام :

قسم قليل منها يظهر أنه من صنع النحاة، للبرهنة على بعض القواعد التي وضعوها ولم يجدوا دليلاً على صحة استعمالها، وهذه العادة معروفة عند بعضهم، يؤكّد ذلك على سبيل المثال قصة اليزيدي مع الكسائي حين قال إنه عمل هذه الأبيات ليفهم الكسائي وليس تميل المهدى بدم أخواله اليمانيين وسنوردها في المنازرة بينهما<sup>(1)</sup>.

ومن الأبيات التي استشهد بها سببويه قبل أنها قد تكون من صنع النحاة قول

القائل :

إذا ما الخبر تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الشريد<sup>(2)</sup>

وقوله :

هم القائلون الخير والأمرؤنـه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظمـا<sup>(3)</sup>

وقوله :

هل أنت باعث دينار حاجتنا أو عبد رب أخاعون بن مخرّاق<sup>(4)</sup>

والقسم الثاني منها ما استشهد به ليبين أنه استعمل ضرورة في الشعر، لأن الأوزان والقوافي تلجمي الشاعر إلى استعمال ما لا يجوز في النثر. ومن أمثلة هذا القسم :

ما قد حذف منه مثل :

فلست بآتـيه ولا أـستطيعـه ولاك اـسقـني إنـ كانـ ماـؤـكـ ذـاـ فـضـلـ<sup>(5)</sup>

أـوـ ماـ زـيدـ فـيـهـ مـثـلـ :

تنـفيـ يـداـهاـ الحـصـيـ فـيـ كـلـ هـاجـرـةـ نـفـيـ الدـنـانـيرـ تـنـقـادـ الصـيـارـيفـ<sup>(6)</sup>  
ماـ أـعـلـ فـيـهـ وـأـعـمـلـ فـيـهـ مـاـ اـسـتـحـقـ الـكـفـ مـثـلـ :

صـدـدـتـ فـأـطـولـتـ الصـدـودـ وـقـلـماـ وـصالـ عـلـ طـولـ الصـدـودـ يـدـوـمـ<sup>(7)</sup>

(1) الزجاجي : الأمالى ص 41.

(2) سببويه : الكتاب، ج 3 ص 61.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 188.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 171.

(5) المصدر نفسه، ج 1 ص 27.

(6) المصدر نفسه، ج 1 ص 28.

(7) المصدر نفسه، ج 1 ص 31.

أما القسم الأول فهو ما يراه المؤلف جائزاً في الاستعمال، صحيحاً في اللغة سواء كان ذلك نثراً أو شعراً.

ولقد عني النحويون واللغويون بشواهد سيبويه وأقبل على شرحها أكثر من ثمانية عشر عاماً، من أشهرهم المبرد، وابن النحاس والأعلم، ولعل أكملهم شرح يوسف بن أبي سعيد السيرافي الذي نشر في دمشق بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، وكما أورد المحقق اعترافات الغندجاني على الشارح، في كتاب "فرحة الأديب".

ويقول العلماء أن أبو عمر الجرمي قال : نظرت في شواهد سيبويه، فوجدت بها ألفاً وخمسين بيتاً. وعرفت منها ألفاً، وبقيت خمسون<sup>(1)</sup>.

ويقيت هذه العبارة تردد عند مؤرخي النحو، ثم قيل إن محمد محمود بن التلاميد الشنقطي عرف واحداً منها، وهو :

قالت فطيمة جل شعرك مدحه      أو بعد كندة تمدحن قبلا  
وقيل إن قائله شاعر يدعى مقنعا الكندي<sup>(2)</sup>.

ولقد حاولنا مراجعة عدد الشواهد الموجودة في الكتاب المطبوع بتحقيق المرحوم عبد السلام محمد هارون، فكان نحوه من ألف ومائة شاهد. وكما يلاحظ في التحقيق أن ستين شاهداً منها قال إنها من الخمسين، وإذا ما زدنا عليها الأبيات غير المنسوبة، والتي نرى في التعليق على بعضها أن قائلها مجھول نجد ستين شاهداً أخرى. وبذلك يرتفع عدد الشواهد غير المنسوبة إلى قائلها ليبلغ مائة وعشرين. وبعد مراجعتها، أمكن عزو ثمانية عشر ما قيل أنه من الخمسين، كما استطعنا أيضاً معرفة قائل مجموعة من الأبيات غير المنسوبة.

(1) الزبيدي : طبقات النحويين ص 75.

(2) النحدني : سيبويه إمام النحاة 143.

وها هي الأبيات المعزوة، والتي قيل إنها من الخمسين :

حَكَمْ بِأَرْدِيَةِ الْمَكَارِمِ مَحْتَبِي	الفرزدق
وَيَا سِرْ فَتِيَّةِ سَمْحِ هَضْوَمْ	الأشهب بن رميلة
عَلَى فَرَتَاجِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ	البرج بن مهر
مِنَ الطَّوَافِنِ وَالْأَعْنَاقِ بِالْوَذْمِ	ساعدة بن جزية
تَقْلِبُ عَيْنِيهَا إِذَا مَرَ طَائِرْ	أبوالرس التعلبي
صَرْفُ الْبَلْيِ تَجْرِي بِهِ الرِّيحَانِ	رجل من باهلة
رَهْمُ الرَّبِيعِ وَصَابِبُ التَّهْتَانِ	رجل من باهلة
عَجَائِزًا مِثْلُ السَّعَالِي خَمْسًا	العجاج
حَتْوُفُ الْمَنَابِيَا أَكْثَرَتْ أَوْ أَقْلَتْ	ملبع بن علاق القعنبي
وَاللَّيلُ فِي قَعْرِ مَنْحُوتِ مِنَ السَّاجِ	الحرنش الطاني
وَجَنْبِيهِ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ثَائِرْ	
عَلَى مَرْفَقِيهَا مَسْتَهْلَةٌ عَاصِرْ	سماعة الناعمي
لَثْعَلْبَةُ بْنُ نُوفَلِ بْنُ حَسْرِ	الفارعة القيسرية
فَلَّيْ وَلَبَّيْ يَدِي مَسْوَرْ	رجل من بني أسد
مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلَّذِلِّ عَارِفْ	لقطيط بن زراة
أَوْ عَبْدُ رَبِّ أَخَا عَوْنَ بْنِ مَخْرَاقِ	جرير
أَوْ بَعْدَ كَنْدَةِ تَمْدَحْنِ قَبِيلَا	مقطع الكندي
وَمَؤْتَنِ بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينِ	أبوالأسد الولوي
بِشَهْلَانِ إِلَّا الْخَزِيِّ مَنْ يَقْوُدُهَا	مفلس بن لقطيط

كُمْ فِيهِمْ مَلْكُ أَغْرِيَ وَسُوقَةُ  
فَكُمْ قَدْ فَاتَنِي بَطْلُ كَمِي  
أَلْمَ تَسْأَلْ فَتَخْبِرُكَ الرَّسُومَ  
كَأَنَا يَقْعُدُ الْبَصَرِيُّ بَيْنَهُمْ  
وَمُثْلِكَ رَهْبَنِي قَدْ تَرَكَتْ رَذْيَةَ  
حَالَتْ وَحِيلَ بَهَا وَغَيْرُ آيَهَا  
رِيحُ الْجَنُوبِ مَعَ الشَّمَالِ وَتَارَةَ  
لَقَدْ رَأَيْتَ عَجَباً مَذْأَمِسَا  
فَلَسْتَ أَبَالِي بَعْدَ يَوْمِ مَطْرُوفَةِ  
أَمَا النَّهَارُ فِي قِيدِ وَسْلَسَلَةِ  
مَتَى تَرَعَيْنِي مَالِكُ وَجَرَانِهِ  
حَضْجَرَا كَأَمِ التَّوَأْمِينِ تَوْكَاتِ  
هِيَ ابْنَتُكُمْ وَأَخْتَكُمْ زَعْمَتِ  
دَعَوْتُ لَمَا نَابَنِي مَسْوَرَا  
فَحَالَفَ فَلَا وَاللَّهُ تَهْبِطُ تَلْعَةَ  
هَلْ أَنْتَ مَرْسَلُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا  
قَالَتْ فَطِيمَةُ جَلَ شِعْرَكَ مَدْحَهَ  
أَلَا رَبُّ مِنْ تَغْتَشِلَهُ لَكَ نَاصِحَّ  
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مَا كَانَ دَاءُهَا

أما الشواهد المعزوة التي لم يذكر المحقق أنها من الخمسين، ولم ترد نسبتها في

الكتاب، فهي الآتية :

إِلَّا رَوَاكِدُ جَمْرَهُنْ هَبَاءُ	
فَبَدَا وَغَيْرُ سَارِهِ الْمَعْزَاءُ	الشماخ
أَشَابَاتِ يَخَافُونَ الْعِبَادَا	
وَمَا حَضَنْ وَعَمَرُو وَالْجَيَادَا	شفيق الباهلي
وَلِلْعَزْبِ الْمُسْكِنِ مَا يَتَلَمَسْ	أبوالقطيف الهداء
مِنَ الذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِهَا لَحْقِيقَ	غيلان بن حرث

بَاتَتْ وَغَيْرُ آيَهَا مَعَ الْبَلِي  
وَمَشْجَعُ أَمَا سَوَاءُ قَذَالَهُ  
أَتَوْعَدْنِي بِقَوْمِكَ يَا حَبِيلَا  
بَا جَمَعَتْ مِنْ حَضَنْ وَعَمَرُو  
هَنِئَا لِأَرْبَابِ الْبَيْوَتِ بَيْوَتِهِمْ  
وَإِنِي بَا قَدْ كَلْفَتَنِي عَشِيرَتِي

على موطن لانخلط الجد بالهزل عمرو بن شاس  
 نجع معاً قالت وعاماً وقابلة حميد بن ثور  
 مكان الكليتين من الطحال شعبة المازني  
 أنتهن ءايرا وكمرا الأغر الكلبي  
 دأب بكار شايحت أبكارها غيلان بن حرث  
 إلا طري اللحم واستجزارها غيلان بن حرث  
 صبر جميل فكلانا مبتلى ابن حرملة  
 ولضفادي جمه نقانق قبل أنه مصنع لخلف  
 الآخر

ولما رأينا باديا ركباتنا  
 فقال امكثي حتى يسار لعلنا  
 فكونوا أنتم ويني أبيكم  
 أنت أغيارا رعين الخنزا  
 إذا رأتنى ساقطت أبصارها  
 لم يغذها الرسل ولايسارها  
 شكى إلى ج ملي طول السرى  
 ومنهل ليس له حوازن

وإذا كان لابد من إعطاء خلاصة عن مؤلف الكتاب، فإننا سنقتصر على الملاحظات  
 التالية :

لقد كانت آراء سيبويه، وهي كما يقال إنها من علم الخليل، مصباً للنظريات  
 اللغوية التي استقرّاها أبو عمرو بن العلاء، ووضع ابن أبي إسحق الحضرمي مقاييسها  
 وشرح عللها.

ولم يكتف سيبويه بوصف العربية في زمانه، وصفاً شاملًا يتماشى بالجملة، مع  
 أصول الخليل فوصف الكلام بأنه فيه :

- ما هو مستقيم وحسن مثل : أتيتك أمس وسأتيك غداً.
- وما هو مستقيم محال مثل : أتيتك غداً وسأتيك أمس.
- وما هو مستقيم وكذب مثل : حملت الجبل وشربت ماء البحر.
- وما هو مستقيم وقبيح مثل : زيداً رأيت، وقد زيداً يأتيك.
- وما هو محال وكذب مثل : سوف أشرب ماء البحر.

ثم انتقل من الجملة ليعطي الأشكال الصرفية للكلمة كوحدة، ثم انتقل من الكلمة  
 كوحدة ليتناول بالدرس والوصف كل حرف من حروف العربية، حتى يميز مخرجه في النطق،  
 وصفاته المميزة وفقاً لما ذكرنا في الفصل السابق في معرض الحديث عن الخليل.

وإننا نعتقد أن كتاب سيبويه اتسم كذلك بأصالة تثبت استقلال النحو العربي  
 كاختراع عربي، أخذه أبو الأسود عن الإمام علي بن أبي طالب، وتقوى من مادة أبي عمرو  
 ابن العلاء، ووضعت قواعده على يد ابن أبي إسحق الحضرمي واكتمل صنعه عند الخليل،  
 ودونه سيبويه ورتبه أروع ترتيب.

ويروز هذا الكتاب في هذه المرحلة أهم حدث عرفه تطور النحو العربي، والاعتقاد السائد يوحى بأنه ركز قواعد المدرسة البصرية التي اتسمت في رأي الجمهور بميزتين، إحداهما :

1. إقرار نظرية "العامل" التي وجهت المسار اللغوي من الوصفية إلى المعيارية.
2. فرض القواعد النحوية على طبيعة اللغة، وذلك باعتبار كل ما يدخل تحت قواعد هذه المدرسة، إما من الشاذ، أو من ضرورات التعبير كما نراه حالياً في الشعر.

غير أن دراسة الكتاب تبين أن هذه الأحكام يجب الاعتباراً مطلقاً.

ولاشك أن سيبويه، قد اختار نموذجاً عربياً معيناً، فكان يقول : "سمعت من يوثق بعربيته"، والعلماء يعترفون أن الأحرف القرآنية تمثل المثل الأعلى في هذا النموذج، ومع ذلك فإن صاحب الكتاب لم يضيق نطاق اللغة، ليجعلها مقتصرة على قوله محدودة، بل إنه اجتهد في توسيع التعبير المقبول، بدليل أنه زيادة على المادة التي استشهد بها، أورد في كتابه أكثر من ألف بيت من الشعر، ينتمي قائلوها إلى أكثر من قبيلة، وإلى أكثر من عصر، فبدأ تاريخياً بأمر، القيس، وانتهى بجرير والفرزدق اللذين ماتا بعد انتهاء القرن الأول.

كما أنه يفهم من تصريحاته ميله للغة التي يتكلم بها الناس في عصره، مع أنه فرق بين الكلام السليم سواء كان نثراً أم شرعاً، وبين الاستعمالات الضرورية التي لا تجوز إلا في الشعر، مثل ما يسمى بالاكتفاء والفك في محل الإدغام، مثل قول الشاعر :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي      أني لأجد أقوام وإن حضنوا

وفي ختام هذا الباب المتعلق بسيبويه نقول مع الدكتور عبد القادر المهيري : "خلاصة القول إن الإمعان في مادة الكتاب يكشف - كمارأينا من خلال بعض النماذج - تفاوتاً في توزيع المسائل على مختلف الأبواب، وتنوعاً في طرق المفاهيم وتقديمها واستنباط الأحكام وعميمها واستعمال المصطلحات. ولذا نرى أن دراسة الكتاب من النواحي التي ذكرنا بعضها تساعد على تصور مساهمة سيبويه في بناء صرح النحو العربي وتحديد الماضيع التي لم تتناول قبله أو لم تحظ عند المتقدمين على سيبويه بالعناية الكافية وتمكن من التمييز بين شخصية المتفَّعد الذي وجد أحكاماً جاهزة فألف بينها وبينها تبويباً تغلب عليه الصبغة النظرية، وشخصية الواصف الذي استنطَّ بعض جوانب المادة اللغوية وحللها واستنبط منها أحكاماً تقتضي تبويتها على حدة أو ضمها إلى الأبواب الحاصلة بعد" (١) .

(١) أعلام وأثار من التراث اللغوي ص 51.

## 6. نيوخ مدرسة الكوفة:

### أ) بين البصرة والكوفة :

قد اعتاد مؤرخو النحو العربي في نشأته أن يتحدثوا عن مدرستين أولاهما بصرية، أنسها ابن أبي إسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء، ووضع الخليل بن أحمد نظرياتها، دونها سيبويه في كتابه المعروف.

والثانية كوفية، رائدتها أبو جعفر الرؤاسي، وأبو مسلم معاذ الهراء، ومنظرها على ابن حمزة الكسائي، واكتملت قواعدها على يد أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.

وساعد على تركيز هذا التقسيم، ما كان يروى من تناقض بين القطرين وبين الأئمة فيهما، كما أظهر هذا التناقض جوا من المذاهب، والخلاف الذي يتناول أولاً بعض الجزئيات المحددة، ثم يتضاعف بعد ذلك ليصل إلى درجة خلاف مذهبي شامل.

مع أن مناظرة سيبويه والكسائي، التي أقامت الدنيا وأقعدتها لا تعدو أن تكون خلافاً في تقدير صحة الاستعمال في قولهم : "كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبرور، فإذا هو هي"، أو فإذا هو إياها، ثم يأتي التقدير بعد سواء عند من يعتقد أن "هي" خبراً لمبدأ، أو عند الذين يقولون بأن "هو" ضمير فصل، ينصب ما بعده (إياها) بفعل مقدر (ووجدت)<sup>(1)</sup>. ثم تطورت فروع هذا الخلاف، فكانت المساجلات الأدبية بين الكسائي واليزيدى، والجدل بين ثعلب والمبرد، حتى انتهى الأمر إلى أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الذي جمع في كتاب الإنفاق مائة وإحدى وعشرين مسألة من هذا الخلاف.

وحينما نعن النظر في هذين المذهبين فإننا نجد التباين بين المدرستين أقل مما يتصوره المؤرخون، حيث أن أكثرها يعود إلى العوامل التقديرية التي عللوا بها الإعراب مع أنهم متفقون غالباً في حكم الإعراب نفسه.

فمن ذلك أن البصريين يعتقدون أن الظرف، والجار وال مجرور، يرفعان الاسم الذي بعدهما. وهو عند البصريين مبتدأ. ولقد وافق المبرد الكوفيون في هذا الرأي<sup>(2)</sup>. ويرى نحاة الكوفة أن المفعول منصوب بالفعل والفاعل اللذين قبله، بينما يكتفي البصريون بالفعل وحده ناصباً. وحينما نقول "زيداً أكرمته" فكلمة "زيد" معمول لل فعل الظاهر عند الكوفيين، أما ناصبه عند البصريين فهو فعل سابق مقدر. واختلفوا في ناصب المستثنى

(1) راجع الزبيدي طبقات النحوين، ص 68.

(2) ابن الأنباري الإنفاق، ص 51.

بعد "إلا"، إذ يقر الكوفيون أن "إلا" هي عامل النصب هنا، وأيدهم المبرد والزجاج في هذا الرأي<sup>(1)</sup>، لكن سائر البصريين يقدرون فعلاً متوسطاً بين "إلا" وبين المستثنى. ونشير هنا أن للفرا رأيا في "إلا" لا يخلو من طرافة، فهو يعتقد أنها مركبة من "إن" و"لا"، ثم خفت "إن" وأدغمت في "لا" فصارت عامل نصب في الإيجاب مراعاة لعمل "إن"، وعطفوا بها في النفي اعتباراً لـ "لا"<sup>(2)</sup>. وينكر البصريون هذا النوع من الإعمال المركب. وهم في كل هذه الأمثلة متتفقون على الصيغة النحوية في الإعراب.

ومن الجدير بالذكر، أنه في عدة حالات نرى بعض أئمة البصريين يشاطر الفريق الآخر رأيه، فقد لاحظنا مثلاً أن المبرد يؤيد قولهم في عامل رفع المبتدأ ونصب المستثنى بـ "إلا" كما يؤيدهم في منع تقديم خبر "ليس"<sup>(3)</sup>.

ونرى إمام الكوفيين عليا بن حمزة الكسائي يوافق البصريين في منع ترخيم الاسم إذا كانت أحرفه لا تزيد على ثلاثة<sup>(4)</sup> وعلى أن "نعم" و"ليس" من الأفعال<sup>(5)</sup> وأن المنادي العلم المفرد مبني، وليس معرباً بحذف التنوين حسب ما يراه جمهور الكوفيين<sup>(6)</sup>.

وهناك رأي سائد يعتقد أن أهل الكوفة أخذوا غاذج اللغة عن أكلة الصواريز وباءة الكواميغ، دون تحري الأقصح، فاتسعوا في القياس على أمثلة رويت عنهم لا يوثق بعريستهم، بيد أنه لابد منأخذ هذه النظرية بشيء من الحذر لقلة أساس الخلاف بين الاتجاهين.

صحيح أننا نجد في مسائل الخلاف المحصورة نوعاً من المرونة في القياس وفي تركيب الجملة عند الكوفيين، فيجوز عندهم صوغ أفعال التفضيل من البياض والسود. بلفظ "ما أبيضه" و "ما أسوده" ويجزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بافضل ولو لم يكن ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، كما لا يمانعون في توكييد النكرة إذا كانت تدل على زمان معين، وبيبحون إضافة الشيء إلى نفسه إن اختلف اللفظ مثل "حق اليقين"، و "حب الحميد". ويجوز لديهم أن يعطى الاسم على الضمير المحفوظ وبذلك فسروا قوله تعالى: ﴿لَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْمُقْتَمِلُونَ الصَّلَاتَةَ﴾ (النساء . الآية 162)، فقالوا : "إن المقيمين في محل

(1) ابن الأباري الإنصال، ص 261.

(2) المصدر نفسه، ص 261.

(3) المصدر نفسه، ص 160.

(4) المصدر نفسه، ص 357.

(5) المصدر نفسه، ص 97.

(6) المصدر نفسه، ص 323.

الخوض عطفاً على ضمير (منهم)" كما أجازوا العطف على ضمير الرفع المتصل، وعلى هذا حملوا قوله تعالى : ﴿ذُو مَرْأَةٍ فَاسْتَوْى وَهُوَ بِالْأَفْقَ الْأَعُلَى﴾ (النجم - الآيات 6 و 7)، قائلين أن (هو) عطف على ضمير (استوى). والضمير الأول يعني رسول الله ﷺ، والثاني يعني جبريل عليه السلام، كما اعتبروا أيضاً قول جرير :

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه      ما لم يكن وأب له لينا<sup>(1)</sup>

ومع هذا فإننا نراهم أكثر تشددًا في بعض القواعد، من ذلك منعهم لتقديم "الحال" على الفعل، وهو جائز عند البصريين الذين قاسوا هذا التركيب على قول العرب "شتى تؤوب الخلبة" كما يمنعون صرف أ فعل التفضيل في الضرورة، ومنع صرف المنصرف في الشعر<sup>(2)</sup>.

فحينما نرى حصر مسائل الخلاف، وعدم تأثير أكثرها في الفروع، وتدخل الآراء بين الجانبين نتبين أن عبارة الدكتور شوقي ضيف في وصف هاتين المدرستين أقرب إلى الصواب حيث قال إنها "أفنان دوحة واحدة".

ومن النادر أن نجد بينهم خلافاً في حكم الإعراب، مثل ما أشرنا إليه في "المسألة الزنبورية"، ونرى مثلاً آخر، وهو أن الكوفيين يرون وجوب نصب الصفة إذا كانت خبراً بعد الظرف المكرر، في مثل قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (هود - الآية 108)، ويجوز الرفع عند البصريين<sup>(3)</sup>.

أما اختلافهم في المصطلحات، فهو أمر شكلي، لأن نشأة كل علم تستدعي وضع تعريفات أولية، تتطور حسب اتجاهات العلماء، وقد رأينا أن سببويه في الكتاب، كانت له مصطلحاته الخاصة، ولكن إذا عرفت المقاديد، فلا عبرة بالألفاظ. وكل الألفاظ المتعارف عليها اليوم من عهد ابن مالك، من أصل بصري، ما سوى "النعت" و"عطف النسق"، وفي القائمة الآتية نذكر أهم اصطلاحات الكوفيين، والذي يظهر أن أغلبها من وضع الفراء<sup>(4)</sup> :

1. الخلاف : عامل ينصب الخبر في نحو : زيد أمامك.
2. الصرف : عامل ينصب المفعول معه في نحو : جاء زيد وطلع الشمس.
3. التقريب : مثل : هذا زيد قائماً.

(1) ابن الأنباري الإنصال، ص 148، 427، 364451، 436، 463، 474.

(2) المصدر نفسه، ص 488.

(3) المصدر نفسه، ص 258.

(4) راجع شوقي ضيف : المدارس التحوية، ص 195.

4. الفعل الدائم : اسم الفاعل.
5. الكنية : الضمير.
6. المجهول : ضمير الشأن.
7. القطع : الحال في نحو : رأيت زيداً ظريفاً.
8. العماد : ضمير الفصل.
9. شبه المفعول : المفعول المطلق، والظرف، والمفعول به.
10. الصفة أو المحل : الظرف.
11. الترجمة : البدل.
12. التفسير : التمييز.
13. النعت : الصفة.
14. لا التبرئة : التي لنفي الجنس.

### **ب) أبو جعفر الرؤاسي و معاذ الهراء :**

يُروى أن الرؤاسي، وأسمه محمد بن أبي سارة، هو أول من وضع نحو الكوفيين، ويذكر من تصانيفه، كتاب "معاني القرآن" و"كتاب الفيصل"، وكتاب "التصغير والوقف والابتداء"<sup>(1)</sup>، وتُقلَّ أنه زار البصرة، ولكن علماءها لم يعطوا كتبه وأراءه اهتماماً يذكر، ويقول بعض المؤرخين: إن سببوبه كان يعنيه حينما يتكلم عن الكوفي، إلا أن هذه العبارة<sup>(2)</sup> لا تكاد توجد في الكتاب<sup>(3)</sup>.

واعتباراً لكون الرؤاسي ابن أخي معاذ بن مسلم الهراء، فمن الجائز أن توجد صلة علمية بينه وبين عمه، الذي يعد من أساتذة الإمام الكسائي. ولهذا فإنه بوسعينا أن نفترض أن معاداً والرؤاسي كانوا من الرواد الأوائل الذين رسموا معالم الاتجاه الكوفي في اللغة والنحو.

وفي لقاء بين هذين الأخيرين، كان الكسائي يصحح للفراء، المسائل التي أخذها من الرؤاسي. ويقول شوقي ضيف<sup>(4)</sup> إن الكسائي اختلف إلى حلقات الرؤاسي وقرأ كتابه "الفيصل" ولم يجد عنده ما يرجو<sup>(5)</sup>.

(1) ابن النديم : الفهرست، ص 102.

(2) القبطي : الإناء، 108/4.

(3) المصدر نفسه، 106/4.

(4) الفهرست لابن النديم، والنسخة المطبوعة بياض في محل "عم".

(5) المدارس التحوية، ص 172 نقلاً عن مجالس العلماء، التيجاني.

أخذ الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء وعن عيسى بن عمر الثقفي، وقيل: إنه أول كوفي وضع كتاباً في النحو. كما قرأ على زهير الفرقبي تلميذ ميمون الأقرن<sup>(1)</sup>.

أما معاذ الهراء فيقول بعض المؤرخين أنه كان من المعمرين الذين عاشوا نحو مائة وخمسين سنة، ويقادون يجمعون على أنه مات سنة 187هـ أو سنة 195هـ، حتى قال فيه محمد بن مناذر :

إن معاذ بن مسلم رجل  
قد شاب رأس الزمان واكتهل الده  
سر وأشواب عمره جدد  
يا بكر حواء كم تعيش وكم  
تخدم ثوب الحياة يا لبد  
فهذه دار آدم خربت  
وأنت فيها كأنك الوتد<sup>(2)</sup>

وقد ذكروا صلات بينه وبين الكميٰت وإن لم نطلع على شيوخه، كما يلمح السيوطي في "بغية الوعاة" أنه مؤسس علم التصريف<sup>(3)</sup>، وما يروى في معالجته للتصريف، أن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد نظر في النحو، ولما أحدث الناس التصريف، أنكره وقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني  
لما سمعت كلاماً لست أفهمه  
تركت نحوهم والله يعصمني  
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم  
كأنه زجل الغربان والبوم  
من الت quam في تلك الجراثيم<sup>(4)</sup>

فأجابه معاذ هذا :  
عاجلتها أمرد حتى إذا  
سميت من يعرفها جاهلا  
سهَّل منها كل مستصعب  
شبت ولم تحسن أبا جادها  
يصدِّرها من بعد إبرادها  
طود علا أقران أطْوَادها<sup>(5)</sup>

غير أن ثمار جهود الرؤاسي ومعاذ لم تظهر إلا بعد أن أخذها الكسائي من معاذ، وناقشها مع الخليل وأغناها برحلته في قبائل العرب، ثم أضاف إليها ما أخذ عن يونس الصبيّ، وعلى هذا فإن إمام المذهب الكوفي في النحو هو الكسائي.

(1) راجع إنباء الرواية، ج 6 ص 105-108.

(2) راجع إنباء الرواية، ج 3 ص 290.

(3) بغية الوعاة، ج 2 ص 291.

(4) الريبيدي : طبقات النحاة، ص 125.

(5) مكرر يقول الفراء في معاني القرآن (ج 2 ص 3) وحدثني الشقة عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن رجل أظنه عطاء عن ابن عباس أنه قرأ تثنوني صدورهم وهي بالعربية بمتزلة تثنى كما قال عنترة :  
وقولك للشيء الذي لا تناهه إذا ما هو احولني إلا ليت ذا ليا.

## ج) الكسائي : الأستاذ الجامع :

لعل أهم ما يمتاز به أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي عن سائر النحويين أن له باعاً طورياً في جميع العلوم الإسلامية، وهذا ما تشير إليه هذه الحادثة التي نستطرد بها فيما يلي :

قال أبو حاتم : "قدم علينا محمد بن سلمة الكوفي عاملاً على الخراج والصدقات، فصرت إليه، فقال لي من علماؤكم ؟ فقلت : المازني أعلمهم بالنحو، والرياشي باللغة، وهلال الرأي من أفقهم، وابن الشاذكوني من أعلمهم بالحديث، وابن الكلبي بالشروط، وأنا أنسب إلى القرآن. فقال لكاتبه اجمعهم لي غداً.

فلما جتمعوا، قال : أيكم المازني ؟ فقال أبو عثمان ها أنا ذاك أصلحك الله. فقال له : ما تقول في كفارة الظهار، أيجوز فيها عتق غلام أبور ؟ فقال وما علمي بهذا. هذا يحسنه هلال الرأي.

فالتفت إلى هلال وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ (المائدة - الآية 105)، بم انتصب هذا الحرف ؟ فقال أنا لا أحسن هذا، هذا يحسنه الرياشي.

فقال يا رياشي : كم حدثاً روى عن الحسن ؟ فقال الرياشي هذا يحسنه ابن الشاذكوني.

فقال لابن الشاذكوني : كيف تكتب كتاباً بين رجل وامرأة أرادت مخالعته على إبرائه من صداقها ؟ فقال له أعزك الله هذا يحسنه ابن الكلبي.

فقال لابن الكلبي : من قرأ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صَدْرَهُمْ﴾ (هود - الآية 5) فقال هذا يحسنه أبو حاتم.

فقال لأبي حاتم : كيف تكتب إلى أمير المؤمنين عن خصاصة أهل البصرة، وما جرى عليهم العام في ثمارهم ؟ فقال : إني لست صاحب بلاغة وكتب، إنما أنسب إلى القرآن.

فقال : انظروا إليهم كل واحد منهم أفنى ستين سنة في فن واحد لو سئل عن غيره لساوى الجبال، لكن عالمنا بالكوفة، يعني الكسائي - لو سئل عن كل هذا أصاب<sup>(1)</sup>.

قد يكون في هذه القصة نوع من المبالغة، يقصد منه إطاء الكسائي والرفع من شأن علماء الكوفة على أهل البصرة ومع ذاك فقد اشتهر الكسائي لكونه إماماً في القراءات وفي علوم اللغة، وقد يكون مشاركاً في الحديث. وقد سمع من أبي بكر بن عياش،

(1) القنطي الإنباء ج 2 ص 261، تاريخ بغداد ج 11 ص 403.

وسليمان بن أرقم، وسفيان بن عبيبة ولكن انتماً للفقهاء، فيه نوع من التجوز، ولقد جرت له مساجلات مع أبي يوسف بحضور الرشيد لما قال هذا الأخير : إن الكسائي لا يحسن إلا شيئاً من علوم العربية. فبادره الكسائي قائلاً : ما حكم من قال لأمرأته أنت طالق طالق ؟ ومن قال أنت طالق وطالق ؟، ثم كرر السؤال، بزيادة "أو" و"ثم" بدلاً من الواو.

وي بين الكسائي الحكمين من المسائل الخمسة، وذلك اعتماداً منه على مقتضى المعنى اللغوي، وعلى التفريق بين التأكيد، في التكرار، والتعاقب، والنون في هذه الحالات<sup>(1)</sup>.

أما ما يذكر من انتصاره على سيبويه في المسألة الزنبورية، فالمورخون يعللونه بأنه كان أمراً مدبراً، قضي بليل، وأن جماعة الأعراب الذين شهدوا للكسائي، وقد حفظت الكتب أسماءهم، لم يكونوا إلا من شيوخ قطربيل الذي قال عنهم يحيى بن المبارك

البيزيدي :

على لسان العرب الأول	كنا نقيس النحو فيما مضى
على لغى أشياخ قطريل	فجاء أقوام يقيسونه
به نصاب الحق لا يأتلى	فكلهم يعمل في نقض ما
يرقون في النحو إلى أسفل <sup>(2)</sup>	إن الكسائي وأصحابه

وقائل هذه الأبيات أحد نحاة البصرة الذي توطدت علاقته بالكسائي، فجمعهما الاختصاص، والمجدل في المسائل، كما لكل منها سند في الحلاقة، فالكسائي كان مؤدياً للأمين بن الرشيد، والبيزيدي مؤدياً ليزيد بن منصور الحميري (خال المهدي) ثم صار فيما بعد أستاذًا للમأمون. وقد لا تقتصر علاقتها على التنافس، بل كان كل منهما يعرف قدر الثاني ويقدر ما له من علم وذكاء .

ومن مناظراتهما أنهما كانا مرة أمام المهدي، فقال البيزيدي للكسائي : كيف تقول : إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بنت زيد ؟ فأطرق الكسائي مفكراً، فقال البيزيدي : لأن يجيب فيخطئ خيراً من هذه الإطالة، فقال الكسائي : إن من خير القوم زيداً.

فقال البيزيدي : أخطأ ، لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ونصبه بعد الرفع وهذا لا يجيء أحد، فقال أحد الحاضرين : أراد بـ (أو) بل.

فقال الكسائي ما أردت غيره. فقال البيزيدي أخطأنا جميعاً لأنه غير جائز أن يقال : إن من خير القوم وأفضلهم، بل خيرهم زيداً، فقال المهدي : يا كسائي ما مرّ بك مثل

(1) الفقطي، ج 2 ص 220 وفي البيزيدي (طبقات النحو 127) قصة مشابهة.

(2) بنية الوعاء، ج 2 ص 163.

السؤال السادس: سُئل اليزيدي عن الصواب عندَه، فقال: إن من خيرِ القوم وأفضلهم، أو خيرهم بـٌنَة زيد. فقال المهدى قد اختلفتما وأنتما عالمان فمن يفصل بينكما، قال اليزيدي: قلت علماء العرب، فبعث إلى أبي المطرق فعملت أبياتاً إلى أن يجيء، وكان المهدى يميل إلى أخواله من اليمين، وكان ابن المنصور الحميري حاضراً، قلت:

يا أيها السائلاني لأخبره  
عمن بصنوع من ذوي الحسب  
بالفضل طرا ججاج العرب  
فإن من خيرهم وأفضليهم  
فلمجاً أبو المطوق أنسدته الأبيات فوافقني<sup>(١)</sup>:  
حمير، ساداتها تقر لها  
أو خيرهم بتة أبو كرب

يستمر التنافس، والخلاف، والحيل، بين هذين العالمين، وبين يدي الخليفة الرشيد  
تتكرر القصة، ويسأل اليزيدي الكسائي، قائلاً: هل في هذا الشعر عيب؟ وأنشدَهْ :

ما رأينا خريراً نقر عنـه البيض صقر

لا يكون العير مهراً لا ي تكون المهر مهراً

قال الكسائي : لقد أقوى الشاعر، ولابد من نصب "المهر" في آخر البيت، فضرب اليزيدي بقلنسوته في الأرض، وقال : أنا أبو خالد، فقيل أتكتني بحضوره أمير المؤمنين، وتكشف رأسك ؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك.  
قال : لذة الغلبة أنسنتي من هذا ما أحسن<sup>(2)</sup>.

وإنصافاًً منا للبيزيدي، فلا بد أن نذكر قوله في رثاء الفقيه محمد بن الحسن الشيباني والكسائي في أبيات منها :

أسيت على قاضي القضاة محمد وأوجعني موت الكسائي بعده وأذهلني عن كل عيش ولذة هما عالمان أوديا وتخربما  
فأذربت دمعي والرؤاد عميد وكادت بي الأرض الفضاء تميد وأرق عيني والعيون هجود وما لهما في العالمين نديد<sup>(3)</sup>

واعتراف اليزيدي لخصمه ومنافسه في محله، حيث أن أبا بكر الأنباري يقول :  
"اجتمعت للكسائي أمور لم تجتمع لغيره فكان واحد الناس في القرآن يكتشرون عليه حتى  
لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلوا القرآن كاملاً وهم يستمعون،

(١) راجع سیبويه.

<sup>2</sup> (الأعمال، الزجاج، ص 40).

(3) طبقات النحو بين للنبي، ص 130.

حتى كان بعضهم ينقط المصاحف على قراءته، وأخرون يتابعون مقاطعه ومبادئه فيرسمونها في الواحهم وكتبهم، وكان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب<sup>(1)</sup>.

ويقول الشافعي عنه : "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي<sup>(2)</sup>، ويذكر الفراء أنه مرة أعجب بعمله، ورأى في نفسه المقدرة على مناظرة أستاذ الكسائي، ولما استشاره صار كمن يريد أن يغرف البحر بمنقاره<sup>(3)</sup>، وقيل إن يونس في البصرة، سأله عن قول الشاعر :

غداً أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف والخمر

ولما سمع منه الجواب قال : "إن الذين رأسوك، رأسوك باستحقاق"<sup>(4)</sup>.

والمنافسة بين مدرستي البصرة والكوفة، تجعلنا نعتقد أن الكسائي حاول أن يقوم بالدور الذي اضطلع به الخليل في إرساء قواعد النحو. ولعله كان المثال الذي أراد أن يحتذى به، ذلك أنه بعد لقائه به، أراد أن يقوم بالرحلة العلمية ليأخذ المادة اللغوية غصة من أفواه بدأة العرب فأنفق خمس عشرة قبينة من مداده في الكتابة عنهم، وعاد بعد موته الخليل وعرض ثروته اللغوية على يونس، حتى أحسن في نفسه برتبة الرئاسة في هذا الفن، فلا جرم أن تكون إضافته في النحو تمثل في زيادة السماع، واعتبار ما سمعه يدخل في القواعد الأصلية التي يجوز القياس عليها.

ولعله أول من اهتم بتحليل أوجه القراءة، وربط هذا التحليل بالقياس النحوي، ونذكر أن له كتابين في هذا الموضوع وهما : معاني القرآن، وكتاب القراءات.

وقد جُلّ كتبه يجعل من الصعب تصوّر مذهب الشامل، ويبقى المصدر الأساس عنده، ما يروي عنه تلميذه الفراء، ودراسة قراءاته الخاصة به. ومن الإشارة التي تومئ إلى رأيه في توثيق الصلة بين النحو والقراءة قوله في قصيده التي منها :

إذا النحو قياس يتبع	وبي كل علم ينتفع
إذا ما أبصر النحو الفتى	مر في المنطق مرا فاتسع
إذا لم يبصر النحو الفتى	هاب أن ينطق جبنا فانقطع
يقرأ القرآن لا يعرف ما	صرف الإعراب فيه وصنع
والذي يعرفه يقرؤه	إذا ما شك في حرف رجع

(1) إحياء الرواة، ج 3 ص 264.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 260.

(3) المصدر نفسه، ج 3 ص 264.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 265.

ناظراً فيه وفي إعرابه فإذا ما عرف اللحن صدع  
فهما فيه سواء عندكم ليست السنة منا كالبدع<sup>(1)</sup>

وإذا كان الكسائي لم يسلم من السنة خصومه ومنافسيه، فعلل السبب يعود إلى كونه حاول زعزعة الأركان التي بنى عليها علماء البصرة قواعدهم النحوية، ولكن ما حظي به من عنابة عند الخلفاء مثل المهدى، والرشيد والأمين، جعله عرضة لأنسنة الحاسدين.

وقد نبه د. شوقي ضيف على أهم اختباراته النحوية، أخذها لها من أمهات كتب النحو، وكذلك لخص ماذج من اختباراته في القراءات نكتفي هنا بالإحاللة إليها<sup>(2)</sup>.

وفي الحقيقة فإن الكسائي لم يرد هدم الصرح الذي شيده ابن أبي إسحق والخليل وإنما أثقل على أسسه بإضافات لا يتسع لها التصميم البصري. هذا ما جعل أحد تلاميذه يرى ضرورة إعادة النظر في هذا التصميم، ويعيد البناء على أساس النموذج اللغوي الذي قبله الكسائي، والعالم الذي قام بهذا الدور هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.

#### د) أبو زكرياء الفراء (144 هـ - 207 هـ) :

كان أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء إماماً في العربية، حتى قبل عنه "لولا الفراء ما كانت عربية لأنها حصنها وضبطها، ولو لا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعوها كل من أراد ويتعلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم تذهب"<sup>(3)</sup>.

وقد جمع الفراء علمي الكسائي وسيبويه الذي تخرق كتابه تحت وسادته، ولستنا ندرى هل نصدق ما يقوله عنه الجاحظ في هذا المجال، وهو أنه لم ينتفع بالنظر في هذا الكتاب كبير نفع لأنه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه ولا شاكر لمن وصل إليه العلم من جهته ولا صادق في روایته عنه ما أخذ منه، فإنه سرق بعضاً وادعاه لنفسه وستر حق صاحبه فلم يشكه ونقل عنه مسائل وعزتها إلى الخليل<sup>(4)</sup>.

ويعرف للفراء زهاء عشرين كتاباً، من أهمها كتاب الحدود الذي فصل ابن النديم محتوياته<sup>(5)</sup> وكتاب معاني القرآن الذي طبع بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

(1) إحياء الرواية، ج 3 ص 267.

(2) المدارس النحوية، ص 177.

(3) الزيبي: طبقات النحويين، ص 132.

(4) الإباء، ج 4 ص 14.

(5) الفهرست، ص 106.

وأغلب النحاة واللغويين في هذه الفترة كتبوا كثيراً من المؤلفات بعنوان "معاني القرآن"، وبعدهم يسمى كتابه "مجاز القرآن" أو "تأويل مشكل القرآن". ومن الكتب المتداولة المعروفة من هذا النوع، كتاب "مجاز القرآن" لعمير بن المثنى أبي عبيدة وكتاب معاني القرآن للأخفش، وكتاب "معاني القرآن" للفراء، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة.

والذي يهمنا في هذه الصفحات هو كتاب الفراء، بوصفه نموذجاً يمثل المنهج السائد في تلك الفترة، ويبسط آراء نحاة الكوفة. والكتاب لا يهتم بمعاني الألفاظ إلا في حالات نادرة يتعلّق أكثرها بالغريب، مثل "المن" و"السلوى" حيث قال ابن السلوى طائر<sup>(1)</sup>، كما فسر الجبت والطاغوت بأنهما حبي بن أخطب، وكعب بن الأشرف<sup>(2)</sup>، وقد تعرض كذلك لتوضيح الكلمات التي يتقارب معناها، مثل الظن والخوف، في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (سورة النوح - الآية 13). وقال إن الرجاء قد يأتي بمعنى الخوف مستشهاداً بقول الشاعر :

إذا لسعته التحل لم يرج لسعها      وخالفها في بيت نسب عوامل<sup>(3)</sup>  
كما فسر "العصف" ببقل الزرع<sup>(4)</sup>، والريحان بالرزق<sup>(5)</sup> و"النحاس" بالدخان، وأنشد  
قول الشاعر :

يضيء كضوء السراج السليط      لم يجعل الله منه نحاسا<sup>(6)</sup>  
و"العيكري" بالطنافس الشخان<sup>(7)</sup>.

ومادة الكتاب الأساسية هي الأحكام النحوية، فيه استعراض قد يكون شاملآً لآراء الكوفيين عامة، ولرأي المؤلف خاصة ذلك أنه حينما يذكر آية يتبع المنهج الآتي :  
1. يذكر أوجه الإعراب : مع بيان الأوجه المقرودة، والممكنة إذ يقول : "... ولو قرأ بكذا كان صواباً. ولا تقتصر أوجه الإعراب عنده على ما تظهر فيه العلامات المعروفة، بل يبين كذلك، في الحديث عن الأسماء والأفعال المبينة محل الإعراب، وعوامله، مع توسيع

(1) معاني القرآن، ج 1 ص 38.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 273.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 265 وخالفتها : هاجمها.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 113.

(5) المصدر نفسه، ج 3 ص 114.

(6) المصدر نفسه، ج 3 ص 7.

(7) المصدر نفسه، ج 3 ص 120.

دائرة العامل، حتى أنه يقول في إعراب قوله تعالى : ﴿الر كتاب﴾ (هود - الآية ١) إن "كتاب" مرفوعة بحرف "الر" ويسمىها "الهجاء"<sup>(١)</sup>.

2. يستدل بأوجه القراءات ولو كانت من غير العشر : ويقاد يستقصي قراءة عبد الله بن مسعود في جميع الآيات التي استعرضها. ويدل أصلها عليها أنها في عصره ما زالت مدونة، ولقد ذكر مرة أنه رأى مصحفه، فقال ورأيت في بعض مصاحف عبد الله ﴿وَثُمُودٌ فَمَا أَبْقَى﴾ بغير ألف (معاني القرآن ج ٣ ص ١٠٢) ومن المعروف أن ابن مسعود كان من استقر بالكوفة، وأخذ عنه قرأوها.

فمن ذلك قوله بحذف "القول" في عدة آيات منها ﴿وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الرَّوَاعِدُ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْمَاعِيلُ رَبِّنَا تَقْبِيلُ مَنَا﴾ (البقرة - الآية ١٢٧) فقبل "ربنا" حذفت "ويقولان" وهي في قراءة عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup>. ويرجع الفراء النصب بعد حتى في قوله تعالى : ﴿وَزَلَّلُوا حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ﴾ (البقرة - الآية ٢١٤) ويدرك أن في قراءة عبد الله بن مسعود "وزلّلوا ثم زلّلوا ويقول الرسول". وفي هذا حسب رأيه دليل على تطاول الفعل قبل حتى. وهذا ما يؤيد النصب<sup>(٤)</sup>.

3. كلما استعرض آية تتضمن حكما من النحو، بين أحكام أهم المسائل المماثلة معطياً أمثلة مشابهة من القرآن الكريم : وغالباً ما يستأنس بالشواهد الشعرية، ومن الأمثلة في هذا : عند قوله : ﴿زِينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (البقرة - الآية ٢١٢). أوضح جواز تذكير الفعل إذا كان الفاعل مؤنثاً واسمه مشتق من فعل في مذهب المصدر. ومثله عنده ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِّنْ رَّبِّهِ﴾ (البقرة - الآية ٢٧٥)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ (الأنيع - الآية ١٠٤). ﴿وَأَخْذُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصِّحَّةَ﴾ (هود - الآية ٦٧). لأن كل هذه الأسماء تنزل منزلة المصدر وهو مذكر غالباً، وبعدما يقول إن العرب لا تكاد تذكر الفعل المسند إلى الأسماء الموضوعة المؤنثة، والاسم الموضوع عنده هو ما يعرف باسم العين.

ويتوسع في البحث، ويستطرد قول الله جل وعلا : ﴿وَإِنَّ لِكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةٍ نَسْقِيَّكُمْ مَا فِي بَطْوَنَهُ﴾ (النحل - الآية ٦٦)، ويعلل عود الضمير المفرد المذكر على الأنعام باعتبار "نعم" وهو مذكر. ومثله في الشعر :

"ألا إن جيراني العشيّة رائح"

(١) معاني القرآن، ج ٢ ص ٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣ ص ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٣٣.

ويذكر أن يونس أنسده :

ترى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيمه كفأ مخضباً<sup>(1)</sup>

وفي معرض حديثه عن قوله تعالى : «**أَبْعَثُ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»  
(البقرة - الآية 246). يأتي بتفصيل أحکام فعلی الجزا، والجواب<sup>(2)</sup>

وعند قوله جل من قائل : «**وَمَا لَنَا أَلَا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»  
(البقرة - الآية 246). أوضح حدود "أن" وأن في حالي التشديد والتخفيف، وفي الخصوص إذا ما وردتا بعد إلا، كما بين مجمل حكم المستثنى بإلا، بعد قوله تعالى : «**فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**»  
(البقرة - الآية 249) وبعد ذلك أتى برأه في إعراب الأسماء التي تلي "كم" استفهامية كانت أو خبرية<sup>(3)</sup>.

4. وفي أثناء عرضه لنظرياته النحوية نراه يبسط آراء أستاذة الكسائي، موضحاً ما يكتنه له من إعجاب، فمرة يقول "حدثني الكسائي وكان والله ما علمته إلا صدوقاً"<sup>(4)</sup>، وعند قوله تعالى : «**إِنَا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نَدْعَوْنَا إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ**»  
(الطور - الآية 28)، يقول الفراء : "الكسائي يفتح راء وأنا أكسر، وإنما قلت أنه (أي الفتح) وجه حسن لأن الكسائي قرأه". وفي سورة الحديد يقول قرأ المذنيون : «**فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**»، وقراءتنا «**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**»  
(الحديد - الآية 24). بيد أن كثرة عزوه للكسائي، وتوثيقه، والتزامه بقراءته لم يمنعه مع مخالفته في كثير من المسائل، منها :  
أ) عند قوله تعالى : «**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**»  
(البقرة - الآية 48)، فيقول الفراء، أن فيه إضماراً للصفة وهو يعني بها الجار والمجرور، فتقول : لا تجزي "فيه" نفس عن نفس شيئاً.

ويزيد الفراء قائلاً : وكان الكسائي لا يجيز الصفة في الصلات ويقول لو أجزت إضمار الصفة ها هنا لأجزت : أنت الذي تكلمت وأنا أريد الذي تكلمت فيه. وقال غيره من أهل البصرة لا نجيز لها، ولا تكون (أي لها المحنوفة في رأي الكسائي في تحزيه) وإنما يضرم في مثل هذا الموضع الصفة.

(1) معاني القرآن، ج 1 ص 125-127.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 157.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 163-165.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 93.

وقد أنسدني بعض العرب :

قد صبحت صبحها السلام بكم خالطها سلام  
في ساعة يُحبها الطعام

ولم يقل يحب فيها. وليس يدخل على الكسائي ما أدخل على نفسه لأن  
لصفة والهاء في هذا الموضع متفق معناها<sup>(1)</sup>.

ب) وفي إعراب قوله تعالى : «إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (البقرة - الآية 111) فإنها (يعني فيكون) رفع، وكذلك قوله : «وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قُولَةُ الْحَقِّ» (الأنعام - الآية 73)، رفع لا غير. وأما التي في سورة النحل «إِنَّمَا قَوْلَنَا شَيْءٌ إِذَا أَرْدَنَا أَنْ نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (النحل - الآية 40) فإنها نصب وكذلك التي في يس، لأنها مردودة على فعل قد نصب بأن. وأكثر القراء على رفعها والرفع صواب ... وإنه لأحب الوجهين إلى وأن الكسانري لا يجيز الرفع فيهما ويدعوه إلى النسق<sup>(2)</sup>.

ج) وفي توجيهه لإعراب «**ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله**» (البقرة - الآية 246) يقول : قال الكسائي في إدخال "أن" في "مالك" هو منزلة قوله "ما لكم في أن لا تقاتلوا" ، ولو كان ذلك على ما قال جاز في الكلام أن يقول "مالك أن قمت" ، ومالك أنك قائم" لأنك تقول في قيامك ماضياً ومستقبلاً وذلك غير جائز لأن المنع إنما يأتي بالاستقبال ، تقول "منعتك أن تقوم" ولا تقول "منعتك أن قمت"<sup>(3)</sup>

(٤) **عَرَفَ مَا جَهَتْهُ** د) وعند قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفِرُوا﴾ (البقرة - الآية ٩٠) يقول الفراء : "ولا يصلح أن تولي نعم وبئس الذي ولا من ولا ما إلا أن تنوي بهما الاكتفاء دون أن يأتي بعد ذلك اسم مرفوع (وهو يعني المخصوص) من ذلك قولك بئسماً صنعت، فهذه مكتفية، وساء ما صنعت، ولا يجوز : ساء ما صنيعك، وقد أجازه الكسائي" في كتابه على هذا المذهب، قال الفراء ولا

(1) معانی القرآن، ج 3 ص 133.

(2) المصدر، نفسه، ج ١ ص ٧٤-٧٥

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 165

العنوان: 57 (المصدر نفسه، ج 1 ص 4)

وعند قوله تعالى : ﴿بِغَيْرِ أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (البقرة - الآية 90)، يقول الفراء : موضع "أن" جزاء وكان الكسائي يقول في أن "هي في موضع خفض وإنما هي جزاء".

ثم يفسر رأيه قائلاً : إذا كان الجزاء لم يقع عليه شيء قبله وكان ينوي بها الاستقبال كسرت "أن" وجزمت بها فقلت : أكرمك إن تاتيني. فإن كانت ماضية قلت : أكرمك أن تاتيني، وأين من ذلك أن تقول : أكرمك أن تاتيني، كذلك قال الشاعر :

أتجزع أن يان الخليط المودع      وجل الصفا من عزة المتقطع

يريد : أتجزع بأن، أو لأن كان ذلك، ولو أراد الاستقبال ومحضر الجزاء لكسر "أن" وجزم بها<sup>(1)</sup>، كقوله جل ثناء : ﴿فَلَعْلَكَ بَاخْرُونَ فَنَسِكْ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُوْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾ (الكهف - الآية 6) فقرأها القراء بالكسر، ولو قرأت بفتح "أن" على معنى "إذ لم يؤمنوا"، لأن لم يؤمنوا ومن أن لم يؤمنوا لكان صواباً. وتتأويل أن "أن" في موضع نصب لأنها إنما كانت أداة بمنزلة "إذ". فهي في موضع نصب إذا أقيمت الخافض، وتم ما قبلها فإذا جعلت لها الفعل أو أوقعت عليها فهي في موضع ما يصيّبها من الرفع والنصب والخفض<sup>(2)</sup>.

إن نظرة في كتاب معاني القرآن تبرهن على براعة هذا النحو الكبير وتمكنه من قضايا العربية حتى استحق جميل الثناء نثراً ونظمأً ومن ذلك قول محمد بن جهم السمرى :

من كتب القرآن والله  
من رطب يجني من النحله  
في الجانب الشرقي من دجله  
ولا رأينا بعده مثله  
أرهقنا قترأ ولا ذله<sup>(3)</sup>

يا حبذا ما حوت السله  
وعلمها أشهى إلى عالم  
أمله شيخ قديم لنا  
لم يمل أهل النحو أمثاله  
عنه عفا الله وعنا ولا

كما قال فيه يحيى بن زياد مولىبني أسد :

ألفه الفراء في تَحْوِهِ  
يعلم من قَبْلٍ ولم يَحْسُوه  
أَمْلَهَا بالحفظ من شدُوره

يا طالبَ النحوِ التمس علم ما  
أفاد من يأتِيه مالِمَ يكن  
ستَينَ حدَّاً قاسها عالماً

(1) معاني القرآن، ج 1 ص 58.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 32.

(3) الخطيب : تاريخ بغداد، ج 294/14

من كل منسوب إلى بدوه  
أرشدَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَغْوِهُ  
والوقف في القرآن أو بدوه  
في كل فن جاء من نشوته  
في أول الباب وفي حشوه  
وصنف المقصور والمد والتحويل في الخطيبين من شلوه  
تخطف البرق لدى ضروه  
من حسنِه والنهي عن سوءِ  
وأخذَ المعنى ولم يشوه  
يحيى مع الأبرار في علوه  
أروى الصدى بالسبب من نوه  
وصنه واستمتاع به واروه  
وقطرب مشتبه فازوه<sup>(1)</sup>  
صنفه الأحمر في زهوه  
من المعاني فاسمُ عن غروه  
كمثال من يؤمن من سهوه  
كالبحر إذ يُغرق في رهوه  
يحتل بالإشراف من سروه

على كلام العرب المنسقى  
سوى لغات ومعانٍ لقد  
وجمع ما احتاج إلى جمعه  
ومصدر الفعل، وتصريفه  
إلى حروف طرف أثبتت  
وصنف المقصور والمد والتحويل في الخطيبين من شلوه  
أو مثل بادي الرأي في قولهم  
وفي البهى الكلم المرتضى  
رام سواه وانشنى خائبا  
فرحمة الله على شيخنا  
كافأه الرحمن عنا، كما  
فاصطف ما أملاه من علمه  
وقول سيبويه وأصحابه  
عنك وما أملى هشام وما  
أو قاسم مولىبني مالك  
فليس من يغلط فيما روى  
ولا ذوق ضحك إذا ما اجتدوا  
ولا وضع القول مثل الذي

## 7. الوصل والفصل بين مذهبي البصرة والковفة :

### أ) دور الأخفش الأوسط :

إن من اتبع مراحل عهود التدوين الأولى من تاريخ النحو لا يصطدم بعقبات كثيرة، لأن أمامة ثلاثة معالم تثير له الطريق، سيمّر أولاً بعيسي بن عمر ليسمع عن جامعه وإكماله، ثم يمثل بين عينيه علمُ الخليل، إلى أن يصل إلى شاطئِ البحر الذي تجمعت فيه روافد هذا العلم، ألا وهو كتاب سيبويه. وبعد استجلاء ظاهرة الكتاب، واستكمال عملية التدوين، تستوقف الباحث عقبة مفاجئة ليس من السهل اجتيازها، هذه العقبة يضعها أمامنا عالم معاصر لسيبويه، شاركه في السماع من شيوخه، وتدرس معه الكتاب الذي

(1) تاريخ بغداد، 14/154.

لم يعرف إلا عن طريقه. هذا العالم هو أبو الحسن سعيد بن مساعدة البلخي الماجاشي بالولاء، والشهير بالأخفش الأوسط.

وليس من المبالغة أن نقول أنه ما من أحد تردد اسمه في مصادر النحو مثل ما تردد اسم أبي الحسن الأخفش. ولا غرابة في هذا إذا استذكينا أنه استوعب علم سيبويه لماقرأ عليه الكتاب وفي ذلك يقول "كان آنذاك أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه"<sup>(1)</sup> ثم إنه قبل دراسته تربى في بيضة عربية خالصة، وسمع من فصحاء بادية البصرة، وأفاد الكثير من علمائها، ثم انتقل إلى بغداد، وتوطدت العلاقة بينه وبين أستاذ الكوفة الكسائي الذي سمع منه كتاب سيبويه، وتأثر كل منهما بالآخر؛ ثم تتلمذ له علما من أجل أعلام المدرسة البصرية، وهما أبو عمرو الجرمي، وأبو عثمان المازني، فصار نحو الأخفش بثابة المجمع الذي انصبت فيه موارد مختلفة وانطلقت منه مصادر متشعبة، حملت بعض المؤرخين المعاصرين على القول بأنه أول من فتح الخلاف على سيبويه. كان ذلك رأي الأستاذ شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية، بيد أن البحث المستفيض الذي خصص له في هذا الكتاب لا يكشف كل ما يحيط بشخصية الأخفش من ضباب<sup>(2)</sup>.

ذاك أن الدكتور شوقي ضيف استنتاج من صلاته بالكسائي، وتأثيره على الفراء واعتماده مجموعة من الآراء خالفة فيها أئمة البصرىين، أنه أستاذ المدرسة الكوفية. والمسائل التي تأسس عليها هذا الحكم استخلصت من ثنايا ما روى عن ابن هشام في المغني، والسيوطى في الهمم، لكن لما نشر له كتاب معانى القرآن بتحقيق د. عبد الأمير الورى، وبعد الدراسة الشاملة التي خصص لها هذا المحقق في كتاب "منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية" صار في الإمكان إجراء مقارنة بين ما نسب إلى الأخفش في كتب المؤرخين وما هو مثبت في كتاب معانى القرآن. والذي يتضح من هذه المقارنة أن أكثر القضايا التي تناولها في كتاب معانى القرآن، تابع في أكثرها رأى البصرىين خلافاً لما ذكر عنه، إذ من المحتمل أن تكون آراؤه قد تعددت في القضية الواحدة. وضياع أصول أكثر مؤلفاته وبالخصوص كتاب المسائل الكبرى يؤيد هذا الاحتمال.

فهل للأخفش مذهبان : قديم وجديد؟ إن انتقاله من الوسط البصري الذي استكملا فيه ثقافته الأصلية واتصاله بعلماء الكوفة وعلاقته التي توطدت مع الكسائي وأتباعه، قد يؤدي إلى القول بأن له مذهبين، أحدهما بصري متصل والثاني ذو نزعة كوفية مفتوحة.

(1) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحرين، ص 112.

(2) المدارس النحوية ص 96.

## ب) آراءه في مذهبيه القديم والجديد :

ولقد أوضح مؤلف كتاب منهج الأخفش القضايا الخلافية التي تابع فيها الأخفش رأي الخليل وسيبوه، والمسائل التي خالفهم فيها. والمسائل التي خالف فيها الأخفش رأي سيبوه ليست كلها من اجتهاداته فقد تابع عيسى بن عمر في جواز فصل المضاف والمضاف إليه بأجنبه، وذكر أنه سمع منه قول الشاعر :

فرجرتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده<sup>(1)</sup>

وعزا إلى حمزة بن حبيب الزيات « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » (النساء - الآية 1) منصوبة أي « واتقوا الأرحام » وقال بعضهم و « الأرحام » جرا، والأول أحسن لأنك لا تجري الظاهر المجرور على المضر المجرور، وأنشد سيبوه :

فالليوم أصبحت تهجونا وتشتمنا فاذهب وما بك والأيام من عجب

والذى يتضح أن رأيه الخاص يختلف عما روى عن يونس إذ صرخ في معاني القرآن بأن النصب أحسن « لأنك لا تجري الظاهر المجرور على المضر المجرور »<sup>(2)</sup>.

ومن مسائل الخلاف بين سيبوه والأخفش إعراب ضمير النصب المتصل بـ « عسى » إذ يرى سيبوه أنها في هذه الحالة حرف مثل « لعل » أما الأخفش فيزعم أن ضمير النصب هنا عاقب ضمير الرفع، مثل ما هو الحال في « لولاك » حيث جاء الكاف بدلاً من ضمير الرفع إذ الحق أن يقال « لولا أنت »<sup>(3)</sup>.

وقد يكون من مذهبه القديم الذي بقي مستمسكاً به بعض القضايا التقديرية التي لا أثر لها في الإعراب، والتي خالف فيها الخليل وسيبوه، مثل قوله بأن حروف اللين في الجمع والثنية دلائل إعراب وليس حروف إعراب، والإعراب فيها يأتي بحركات مقدرات على الحرف الذي قبلها<sup>(4)</sup>. كما يقدر حركات إعراب قبل حروف اللين في الأسماء الخمسة وقبل الضمائر في الأفعال الخمسة<sup>(5)</sup>. ومنها أن العامل في النعت ليس العامل في المぬوت وإنما هو المぬوت نفسه، إذ يعرب بإعرابه<sup>(6)</sup>، وأن الرفع أصل في المبتدأ والفاعل معًا<sup>(7)</sup>.

(1) عبد الأمير محمد أمين الورد : منهج الأخفش الأوسط ص 36 نقلًا عن شرح الأبيات المشكلة الإعراب للفارقى.

(2) الأخفش معاني القرآن، ج 1 ص 430.

(3) مغني اللبيب، ص 203.

(4) شوقي صيف المدارس النوعية نقلًا عن همع الهوامع، ج 1 ص 51.

(5) المصدر نفسه نقلًا عن همع الهوامع 39/1.

(6) المصدر نفسه نقلًا عن أسرار العربية، ص 66.

(7) همع الهوامع، ج 1 ص 93.

ومنها كذلك منعه إيلاً "إن وأخواتها" معمول خبرها، ولو كان مجروراً. ولنذكر هنا  
قول ابن مالك :

ولا يلي العامل معمول الخبر      إلا إذا ظرفاً أتى أو حرف جر  
ف عند الأخفش لا يقاس على قول الشاعر :

فلا تلحنني فيها فـإـن بـعـبـهـا      أـخـاـكـ مـصـابـ الـقـلـبـ جـمـ بلاـبـلـهـ<sup>(1)</sup>  
وعلى قول الشاعر :

ولولا بنوها حولها لخطتها      كـخـبـطـةـ عـصـفـورـ وـلـمـ أـتـلـعـشـمـ<sup>(2)</sup>

أما في مذهبه الجديد فقد ساير فيه الاتجاه الكوفي دون أن ينسليغ من بصرته  
الأصلية، ومع ذلك فقد وسع أفق القياس. فنراه يجيز أفعل التفضيل في الألوان قياساً  
على قول الراجز :

جاربة في درعها الفضاض      أـبـيـضـ مـنـ أـخـتـ بـنـيـ اـبـاضـ<sup>(3)</sup>  
وقال بجواز العطف بالمرفع على اسم "إن" استدلاً بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ (المائدة - الآية 69).

ويقول البرجمي :

فمن يكْ أَمْسِيَ فِي الْمَدِينَةِ رَحِلَه      فـإـنـ وـقـيـارـ بـهـاـ لـغـرـبـ  
وَقَبْلِ عُودَ الضَّمِيرِ عَلَى مَتَأْخِرِ لِفَظَا وَرَتِبَةِ مَثْلِ مَا هُوَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ<sup>(4)</sup> :  
جزى رَبُّهُ عَنِي عَدَى بْنَ حَاتَمَ      جـزـاءـ الـكـلـابـ الـعـاوـيـاتـ وـقـدـ فعلـ<sup>(5)</sup>  
كما أباح زيادة الغاء في الخبر مطلقاً قياساً على قول الشاعر :  
وقائلة خولان فانكح فساتهم      وَأَكْرَوْمَةَ الْحَيْنَ خَلُوَ كَمَا هِيَا<sup>(6)</sup>  
ولعل من مذهبه الجديد التوسيع في القول بزيادة، وبالحذف والتقدير لإثبات اطراد  
القاعدة النحوية.

(1) همع الهوامع، ج 1/135.

(2) المغني، 2/431.

(3) ابن يعيش شرح المفصل، ج 7 ص 144.

(4) ابن يعيش، ج 8 ص 69.

(5) الأشنوني، ج 2 ص 59.

(6) ابن يعيش شرح المفصل 1/199 - المغني 219.

ولم يخص الزيادة بالحروف فقد يكون عنده الاسم زائداً مثل ما ورد في قول

## الشاعر:

فكلمة "اسم" هنا زائدة لأنها لا إضافة بين الاسمين إذا اتحد معناهما.

ويرى نوعاً من القياس في زيادة الأفعال الناسخة، فيما أن "كان" قد تزاد في حشو الكلام فإنه الحق بها بعض أخواتها، فكان يجيز "ما أصبح أبدها" و"ما أمسى أدفأها".  
أما الحروف فقد يرى أنها تزداد في حالات كثيرة جداً من أمثال هذه الزيادة "أن" في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرَ﴾ (يوسف - الآية 96)<sup>(١)</sup> و"إن" بعد "ما" كثيراً، والباء في مواضع متعددة، قوله جل وعلا ﴿تَبَيَّنَتْ بِالْدُّهْنِ﴾ (المومنون - الآية 20)، ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِيدِ بَظْلَمْ﴾ (الحج - الآية 25)، ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بَسُورَ﴾ (الحديد - الآية 13)، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمُثْلِهَا﴾ (يونس - الآية 27)، وتزداد "من" في مثل قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ لَنَا مَا تَبَيَّنَتْ أَرْضُهُ مِنْ بَقْلَاهَا وَقَثَائِهَا﴾ (البقرة - الآية 60) وتأتي الفاء زائدة في نحو ﴿وَإِذَا جَاءَكُ الظَّالِمُونَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُدْ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف - الآية 54) واللام في مثل ﴿قُدْ أَوْبَئَكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقُوا﴾ (آل عمران - الآية 15)، وفي القول هنا بزيادة اللام في "للذين" تكلف لا داعي إليه ويقول بزيادة "لا" في مثل ﴿وَلَا تَسْتُوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، ﴿وَلَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة - الآية ١)، والكاف في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَلَذِي مِنْ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ (البقرة - الآية 258). وفي قول الشاعر :

ولعبت طير بهم أبابيل فصّروا مثل كعصف مأكول

(١) عبد الأمير الورد : منهاج الأخشن الأوسط ، ص 225-248.

وتتأول الأخفش زيادة الواو و "ثم" إذا ما كانت بين الشرط وجوابه مثل ﴿ حتى إذا  
جاءوها ففتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ﴾ (الزمر - الآية 70). ومن قول الشاعر :

حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم أبناءكم شدوا  
وقلبتم ظهر المجن لنا إن اللثيم العاجز الخُبُّ

ونحوه ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم  
وظنوا ألامجاً من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ (التوبه - الآية 119).

ومن أشهر القضايا التي انفرد بقولها مسألة العطف على معمولي عاملين، وقد أوردها الأعلم الشت默ري في كتاب النكت على كتاب سيبويه، فيقول عنها الأعلم: "اعلم أن سيبويه لا يجوز ليس زيد بقائم، ولا قاعد عمرو، ويجوز ولا قاعد أبوه، لأنه لا يرى العطف على عاملين. ومعنى ذلك أنك إذا قلت ليس زيد بقاعد فزيد مرتفع بليس. وقاعد مجرور بالباء وليس والباء عاملان فإذا قلت ولا قائم عمرو فقد عطفت قائما على قاعد وعطفت عمرا على اسم ليس. فقد عطفت على شيئين مختلفين".

"ومثل ذلك الفساد قام زيد في الدار والقصر عمرو. والذي أبطل العطف على عاملين أن حرف العطف يقوم مقام العامل ويغنى عن إعادةه. فلما كان حرف العطف كالعامل، والعامل لا يعمل رفعاً وجراً لم يجوز أن يعطف بحرف واحد على عاملين. فإن أعددت أحد العاملين مع حرف العطف جاز. لأن العطف حينئذ على عامل واحد".

"وقد أجاز الأخفش وغيره العطف على عاملين واحتاج بقوله تعالى : ﴿ إن في السموات والأرض لآيات لله رب العالمين، وفي خلقكم وما بيث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾ (الجاثية - الآياتان 2 و3)، ولا حجة للأخفش في هذا لأن أحد العاملين وهو في قد أعيد مع حرف العطف".

"واحتاج أيضاً بقول الله عز وجل : ﴿ لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ (سبأ - الآية 24) فعطف على خبر إن وعلى اللام. وهذا لا حجة فيه لأن قوله "أو في ضلال مبين" ليس فيه معمولاً فيكون عطفاً على إن واللام في قوله لعلى هدى. غير عامله فاحتجاجه بهذا بعيد".

"وقال البرد غلط أبو الحسن. ولا يكون عطف على عاملين إلا في قراءة من قرأ : ﴿ واختلاف الليل والنهر ﴾. ثم قرأ : ﴿ وتصريف الرياح آيات ﴾ (الجاثية - الآية 5<sup>(1)</sup>)."

(1) الأعلم : النكت، ص 202.

## ج) اضطراب آرائه، والآراء فيه :

هذا وإن ثانية مذهب الأخفش وتعدد آرائه في المسألة الواحدة، جعلت بعض العلماء يشكك في أمانته العلمية، ودقة أحکامه، ومنهم من اتهمه بتعتمد صعوبة المسائل للتكسب مثل ما يعزى إلى الأصمي (الحيوان 1/91)، كما أن أبي حاتم السجستاني يقول : "كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن فأسقط منه شيئاً وزاد شيئاً وأبدل منه شيئاً. قال أبو حاتم فقلت له أي شيء هذا الذي تصنع ؟ من أعرف بالغريب أنت أو أبو عبيدة ؟ فقال أبو عبيدة، فقلت هذا الذي تصنع ليس بشيء، فقال : الكتاب من أصلحه وليس من أفسده، فقال أبو حاتم فلم يلتفت إلى كتابه، وصار مطروحاً<sup>(1)</sup>".

ويرى أن تلميذه أبو عمر الجرمي وأبا عثمان المازني، تنبأا على أن الأخفش هو المصدر الوحيد لكتاب سيبويه فخافوا أن ينفرد بعمله، وأن يعزوه إلى نفسه، فعملوا له أجراً على أن يقرئهما إياه حتى لا يضيع. ويشكك عبد الأمير محمد أمين الورد في صحة هذه الروايات. ويتهم أبي حاتم السجستاني بالتحامل على الأخفش<sup>(2)</sup>.

غير أن الدراسة التي قام بها الدكتور عبد الأمير، أثبتت كثيراً من الاضطراب في كتاب معاني القرآن، شملت بعض الأحيان تحريف الآيات القرآنية وال Shawahid الشعرية، ومن أمثلة ذلك خلط بين الآيات، ونتج عنه زيادة كلمات أو حذفها، مثل ما وقع في الآية الثالثة عشرة من سورة الأنعام، حيث ورد كتب ربيكم على نفسه الرحمة ليجمعونكم فزاد لفظ ربيكم لأن الآية التبست عنده بالآية الخامسة والخمسين من نفس السورة. وهي ﴿وَإِذَا جاءكُوكُ الذين لا يؤمنون بآياتنا فقل سلامٌ عَلَيْكُمْ كُتب ربيكم على نفسه الرحمة أَنَّهُمْ من عمل سوءاً﴾ الآية. ووقع له وهو في قوله تعالى : ﴿فَأُفْوِفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَسْطِ﴾، ثم قال : ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوعِدُونَ﴾ وهو يعني الآيتين الرابعة والشمانين، والخامسة والثمانين من سورة الأعراف وكلمة "القسط" ليست فيها وإنما وردت في الآية 152 من الأنعام، و 85 من سورة هود<sup>(3)</sup>.

## د) كليات الأخفش :

ومع ما يحكى عن اضطراب آرائه، أو تعدداتها فإن له منهجاً متميزاً، أفرد له الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ببابا تحت عنوان أصول العربية وقواعدها، وقى أن يطلق عليها كليات الأخفش، وسرد له في هذا الباب نحو مائة مسألة جمع فيها

(1) الزبيدي : طبقات التحورين، ص 74.

(2) الورد : منهاج الأخفش الأوسط، ص 172.

(3) الورد مقدمة معاني القرآن، ص 60.

الأقوال التي انفرد بأكثراها. منها الرفع على الابتداء. وكون "لات" لا تكون إلا مع الحين وأن اللام تأتي دائمًا مع "إن" المخففة من "إن" للفرق بينها وبين التي بمعنى "ما" دون أن تأتي "لا" من "أن" لتكون عوضاً من ذهاب الشقيقة، وأن الألف واللام تعاقبان التنوين.

وذكر أن الإخوة، وهي جمع تطلق على الإثنين، وأنه يحسن تذكير الفعل، إذا فصل مع الفاعل المؤنث، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ (البقرة - الآية 47) وأن الدعاء كله نصب، وأن "لولا" يعني "هلا" في قوله جل وعلا : ﴿ لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجْلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدِقُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون - الآية 10). وأُكَنْ عطف على موضع "أَصْدِقَ" لأن جواب الاستفهام إذا لم يكن فيه جُرم. وقال له : "إذا وقع الاستفهام على المجازاة بطل وقوعه على الجواب"، ومن قوله تعالى : ﴿ أَفَإِنْ ماتَ أُولَئِكُمْ فَتَدْلِيلَنَفْلِيَتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (آل عمران - الآية 144) ولم يقل "آنقلبتم". وقال كل شيء في القرآن من قوله حقاً، إنما هو أحق بذلك حقاً، وكذلك قصد الله، وصنع الله، ورحمة الله. وكل ما كان بدلاً من اللفظ بالفعل فهو نصب بذلك الفعل.

وكل شيء بعد القول فهو حكاية. وإذا استأنفت شيئاً ليس من أول الكلام في لغة الحجاز فإنه نصب. وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء نحو البن والشعيرو هو في لغتهم مؤنث، وكل ما كان من نحو البقر ليس بين الجماعة والواحدة فيه إلا الهاء فمن العرب من يذكر ومنهم من يؤنث، وكل اسم على فعلية إذا جمع حركت تاليه بالضم نحو خطوات، وكل ألف كانت في أول فعل أو مصدر وكان يفعل من ذلك يأوه مفتوحة فتلك ألف وصل.

بعد هذا العرض عن هذا النحو الكبير، لم ينته الكلام عنه، فإنه بالإمكان القول بأن الأخشن مثل مرحلة الوصل والفصل بين مدرستي البصرة والكوفة. لقد استمسك بأصول البصريين في السماع، واعتمد القراءات، إذا طابت رسم المصحف، ووافقت إحدى لغات العرب : ونقل سماع العرب عن فصحاء العرب، دون أن يعترض عليهم : وتتابع البصريين في عهده الأول في حدود القياس وضوابطه، فمنع القياس المخالف للسماع، وعلى سماع غير مطرد. وفي عهده الأخير روي عنه جواز القياس على أي سماع. وما ظل متتشبها به نظرته في العوامل؛ إذ يقر إعمالها، سواء أكانت لفظية أم معنوية ظاهرة أم مضمرة، مقدمة أم مؤخرة؛ وقد لا يمنع زيادة العامل من إعماله، ولا يؤثر فصله عن معهوله؛ وقد يأتي مركباً ولا يعطلي ذلك عمله، غير أن رأيه في قوة العامل، لم يصاحبها التركيز على العلل فهو يصف الظاهرة اللغوية دون المبالغة في التعليل. وإنما يطلق حقائقها إطلاقاً لا إسراف فيه ولا تكلف<sup>(1)</sup>.

(1) الورد منه في الأخشن، 334-364.

وإذا كان الأخفش محل نقاش وجدل في آرائه ومذاهبه، فإن النحويين مع ذلك مجتمعون على سعة علمه وذكائه. فكان الكسائي يقول فيه إنه لم يكن في القوم، وهو (يعني البصريين) أعلم منه، وأنه نبههم على عوار الكتاب وتركهم<sup>(1)</sup> ويقول الفراء أنه سيد أهل اللغة وأهل العربية. وحينما علم بعزمهم على الخروج إلى الري قال : "لشن كان خرج فقد خرج معه النحو كله والعلم بأصوله وفروعه"<sup>(2)</sup>.

## 8. ترسیخ المذهب البصري عند أتباع الأخفش واستكمال التدوین :

بعد الأخفش يبرز عالمان كان لهما دور متميز في ترسیخ المذهب البصري، وهما : أبو عمر صالح بن إسحق الجرمي، وأبو عثمان بكر بن محمد المازني. لقد قرأ الكتاب على أبي الحسن الأخفش وسمعا منه مسائله، وأخذوا اللغة عن الشلاطي المشهور عبد الملك بن قریب الأصمی، وأبي زید سعید بن اوس الانصاري، وأبي عبیدة عمر بن المثنى.

لقد تتلمذا للأخفش ولكنهما لم يصانعاه في أمور كثيرة، فحملاه عنه أمانة رسالة الخليل وسيبویه إلى أتباعهم، وأسهما في تحقیص الكتاب، وتبيینه وتدریسه.

أ) الجرمي (ت 225 هـ) :

لقد كان الجرمي، مثل ما يقول المبرد أثبت الناس في "الكتاب" وكتب عنه كتاب "الفرخ" وعرف عنه أول مختصر في النحو ويقول فيه الفارسي إنه ما استغل به أحد إلا كانت له صناعة في النحو<sup>(3)</sup>. وكان صاحب مناظرات ومساجلات مع العلماء الكوفيين حتى قيل : إنه أفحى الفراء حتى صغر في عيني من حضر المناظرة<sup>(4)</sup>. واشتهرت المحاوره بينهما حول العامل المعنوي الذي رفع المبتدأ عند البصريين، واعترف الجرمي أنه لا يظهر ولا يمثل. بيد أنه قطع الحجة على الفراء بقوله : إن أصحابه الكوفيين يرفعون "زید" مثل "زید ضریته" بالعائد. الذي هو أيضاً عامل لا يظهر ولا يمثل، كما هو الحال في الابتداء وبعد المناظرة يقول الفراء أنه وجد الجرمي "آية" وقال الجرمي إنه وجد الفراء شیطاناً ولعله في هذه المساجلات كان يرمي إلى أن يأخذ بشار سیبویه، بعد قصة المسألة الزنبورية.

(1) أبو الطیب اللغوی مراتب النحويین، ص 112.

(2) الإنیاه، 39/2.

(3) نوہة الألباء، ص 115.

(4) المصدر نفسه، ص 116.

ويروي له المؤرخون مجلساً مع الأصمسي فسأله الجرمي عن مسألة في التصغير ولم يرض جوابه عنها لكن الأصمسي سأله عن قول الشاعر :

قد كن يخجان الوجوه تسترا فالآن حين بدون للنظر

فقال الجرمي : بدين، ورأها الأصمسي خطأ<sup>(1)</sup>.

ولم ينفرد الجرمي بكثير من الآراء المستقلة، لأنه تابع الخط البصري الذي رسمه الخليل وسيبويه، إلا أنه مع ذلك قد خالف إماميه البصريين في جزئيات قليلة جداً منها :

- أن "أو" تعاقب الواو، محتجاً بقول الحميري :

وقد زعمت ليلي بأني فاجر لنفسي تقاهما أو عليها فجورها<sup>(2)</sup>

- وأن "حاشا" عنده قد تأتي فعلاً جاماً، متضمناً معنى "إلا"، بينما يعدها سيبويه حرفاً في جميع الحالات<sup>(3)</sup>.

- أن "أي" معربة مطلقاً، سواء أفردت أم أضفت. وذكر أنه خرج من البصرة إلى مكة، ولم يسمع من قول "الآخرين أيهم قائم". ويروي عن الزجاج أنه قال لم يخطئ سيبويه إلا في موضوعين هذا أحدهما، فإنه سلم أنها تعرب إذا أضفت فكيف يقول ببنائها إذا أفردت<sup>(4)</sup>.

وأن "خلف" و "أمام" غير منصرفين، وأن مثلها مثل فوق وتحت<sup>(5)</sup>.

- وأن فعل "دخل" يتعدى بحرف الجر كما يتعدى دونه<sup>(6)</sup>،

- وأنه يجوز جر الاسم بعد "ما" في نحو "قاموا ما خلا زيد" على تقدير زيادة "ما" ووافقه الكسائي في هذا الرأي وتابعه الفارسي عليه، غير أن ابن هشام من متأخرى النحاة، رد عليهم قائلاً : إن "ما" التي تزاد في الجر، لا تأتي إلا بعد الجار مثل "عما قليل"<sup>(7)</sup> ويروي تحفته للأخفش في قوله : ما أصبح أبردتها، وما أمسى أدفأها<sup>(8)</sup>، ومن ملاحظاته الخاصة أن "الفاء" لا تفيد الترتيب في

(1) نزهة الأنبياء، ص 116.

(2) المفتني، ص 188.

(3) المصدر نفسه، ص 165.

(4) المصدر نفسه، ص 108.

(5) ابن أبي الربيع البسيط ص 502.

(6) المصدر نفسه، ص 461.

(7) المفتني، ص 179.

(8) المصدر والصفحة نفسها.

عطف البقاع ولا في الأمطار كقوله : بين الدخول فحومل، ومطرنا مكان كذا  
مكان كذا<sup>(1)</sup>.

ومن أقواله الطريفة أنه لا يقول بتقدير أن بعده أو والواو وفاء السببية<sup>(2)</sup>، وينع  
التنازع بين الفعلين المتعديين لأكثر من مفعول<sup>(3)</sup>.

### ب) المازني :

أما المازني فهو أول الثلاثة الذين قال عنهم الجاحظ إنه ليس في الأرض مثلهم في  
النحو وثانيهما العباس بن الفرج الرياشي<sup>(4)</sup> والثالث أبو إسحق إبراهيم بن عبد الرحمن  
الزيادي<sup>(5)</sup>. أجمع الناس على صدق المازني وأمانته وعلمه ويقول المبرد إنه لم يكن بعد  
سيبويه أعلم منه بالنحو<sup>(6)</sup> ولعله من أول من جمع بين علم النحو وعلم الكلام : لكنه لم  
يخلط بين منهجيهما، فيقول المبرد عنه "إنه إذا ناظر أهل الكلام لم يستعن بشيء من  
النحو، وإذا ناظر أهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام" (283/1).

لقد اشتهر أمر المازني عند المؤرخين من خلال قصة الجارية التي غنت أمام الواثق  
بقول الحارث بن خالد بن المخزومي :

أظلوم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم<sup>(7)</sup>

واختلفت مع التوزي (أو ابن السكيت) في إعراب هذا البيت. وأصرت على ما  
روت عن شيخها أبي عثمان المازني، ولما رجحت روايتها استدعي المازني عند الخليفة  
الواثق وجرت بينهما محاورة أدبية مشهورة.

ولقد اشتهرت مناظرته للعلماء وبيانه بأن "بغيا" أصلها فعل ولو كانت على وزن  
فعيل للزم تأثيرها بالباء وسؤاله التعجبيني لابن السكيت عن وزن ﴿نكتل﴾ في سورة  
يوسف - الآية 63<sup>(8)</sup>.

(1) الإنصاف، ج 2 ص 555-557.

(2) همع الموامع.

(3) المغني، ص 214.

(4) العباس بن الفرج الرياشي البصري المترفى سنة 257، شيخ ابن دريد والمبرد، ترجمته في الزبيدي طبقات  
الشعرىين ص 97 وإناء الرواة، ج 3 ص 367.

(5) الزيادي أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان تلميذ الأصمى وشيخ المبرد، ترجمة ابن الأثري نزهة الأنبا، ص 219.  
(6) الكامل، ج 1 ص 283.

(7) إناء الرواة، ج 1 ص 248.

(8) طبقات الشعرىين للزبيدي، ص 89.

وأتبع للمازني، بفضل صلته بالخلفاء، أن يمارس نشاطه العلمي في سعة وطمأنينة وكان كتاب سيبويه عمدته في هذا النشاط. لقد أكمل دراسته، بعد الأخفش، على صديقه أبي عمر الجرمي، وصاحبه حتى تخرق من طول ما حمله وكتب عنه كتاب الديباج في جوامعه، وفصل عنه المسائل الصرفية في كتاب مستقل عرف بتصريف المازني. وهو الذي شرحه ابن جني في المنصف وله كتاب الألف واللام وما تلحظ فيه العامة. ثم إنه مارس التدريس، فكان من أشهر تلامذته إمام النحاة بعده أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. وينذكر له المؤرخون تلميذاً آخر لم يستطع أن يسايره إلى نهاية الطريق، وهو الشاعر الظريف أبو غسان رفيع بن سلمة العبدى الملقب بداماد وهو الذى خاطب المازني بقوله :

وأتعبت نفسي له والبدن  
بطول المسائل من كل فن  
ومن علمه غامض قد بطن  
وكنت بساطنه ذا فطن  
ء للفاء يا ليته لم يكن  
من المقت أحسبه قد لعن  
إذا قلت هاتوا لماذا يقال لست بآتيك أو تأتين  
على النصب قالوا بإضمار "أن"  
فأعرف ما قيل إلا بظن  
أفكري أمر "أن" أن أجن<sup>(1)</sup>

تفكرت في النحو حتى ضجرت  
وأتعبت بكرأ وأشياعه  
فمن علمه ظاهر بين  
فكنت بظاهره عالما  
خلا أن باباً عليه العفا  
وللروا باب إلى جنبيه  
إذا قلت هاتوا لماذا يقال لست بآتيك أو تأتين  
أجابوا لما قيل هذا كذا  
وما أن رأيت لها موضعا  
وقد خفت يا بكر من طول ما

ولقد كان المازني أكثر استقلالاً في آرائه من الجرمي، وأكثر تأثراً بتعاليم الأخفش واستنتاجاته ولاسيما تلك التي فيها نوع من القياس المنطقي، فنراه مثلاً لا يفرق بين نون الإناث في مثل "النسوة قمن"، أو "قمن النسوة". فيقول إن النون حرف الإناث في كل الاستعمالين<sup>(2)</sup>. ومن هنا وافق الأخفش في أن الباء من قومي وتقويم حرف، وأن الفاعل مستتر<sup>(3)</sup>، كما وافقه على أن أحرف اللين في الأسماء الخمسة أمداد إشباع لا للإعراب، وأنها في الجمع والثنى دلائل إعراب لا حروفه وأن الألف والواو في قاما وقاموا علامتان تدلان على الفاعل المستتر<sup>(4)</sup>.

(1) الأنبا، ج 2 ص 5.

(2) المغني، ص 449.

(3) المغني، ص 475.

(4) الإنصال، ج 1 ص 17.

ومن آرائه الاجتهادية أن المضارع المجزوم ليس معربا لأن إعرابه بسبب وقوعه موقع الاسم والاسم لا يمكن جزمه<sup>(1)</sup> ومنها أيضا الإخبار عن "ألا" التي للمعنى مستدلاً بقول الشاعر :

ألا عُمْرٌ ولَى مُسْتَطِعَ رجُوعَه فَيَرَأْبَ مَا أَثَّرَ يَدَ الْغَفَلَات

والمعروف أن سيبويه يقول : إنها لا يخبر عنها وقد تابعه تلميذه المبرد في هذا الرأي<sup>(2)</sup>. كما تابعه أيضا في الوقف على "إذن" باللون.

ومن القضايا التي خالف المازني سيبويه فيها<sup>(3)</sup> ، وتابعه المبرد عليهما، أن فعلَ وفعيلاً لا يعملان، وقد رد المازني على استشهاد سيبويه في إعمال فعلٍ بقول الشاعر :

حَذَرْ أَمْوَارًا لَا تُضِيرَ وَآمِنَ مَا لَيْسَ يَنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ

فقال إنه لقي أبان بن عبد الحميد اللاحقي، وأخبره أن سيبويه سأله هل عنده سماع في إعمال " فعل" فصنع له هذا البيت، وكما يقول ابن أبي الريبع، فإن اللاحقي حين يقر على نفسه بالكذب فلا معنى لتصديقه في صناعة البيت مع أن الأعلم الشنتمري استدل على هذا الإعمال بقول الخليل :

أَتَانِي أَنْهُمْ مُزَقْسُونَ عَرْضِي جَحَاشُ الْكَرْمَلِينَ لَهُمْ فَدِيدٌ  
وَلَقَدْ أَوْلَى الْمَازْنِيَ الشَّاهِدُ الَّذِي أَوْرَدَ سِبِّوِيَّهُ فِي إِعْمَالٍ "فَعِيلٍ" وَهُوَ :  
حَتَّى شَاهَاهَا كَلِيلٌ مُوهَنَا عَمَلٌ بَاتَتْ ظَمَاءٌ وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْمِ

فقال إن "موهنا" ظرف لا مفعول به. ومن المسائل التي لم يتبع سيبويه فيها كونه لا يحيز قياس اسم التفضيل من أكرم، ولا يرى مانعاً من تقديم التمييز على عامله ومن نصب المنادى في مثل "يا أيها الرجل". غير أن هذا لا يعني أن المازني كان حائداً عن نهج سيبويه العام، بل إنه يرى على نفسه الاقتداء به ونصرته وروى عنه قوله : "إذا قال العالم قوله متقدماً فللmentrum الاقتداء به، والانتصار له والاحتجاج خلافه إن وجد لذلك سبيلاً"<sup>(4)</sup>.

(1) المدارس النحوية، ص 120.

(2) المغني، ص 499.

(3) المغني، ص 31.

(4) ابن أبي الريبع البصيطي، ص 1058.



## الباب الثالث

### **كسر البيان والتجزيل**

لقد تميز هذا العصر بأعمال عالمين من أعلام أئمة النحو، بينما في دروسهما ومؤلفاتهما حصيلة ما خلفه سيبويه وأتباعه من البصريين وما أنتجه الكسائي وتلامذته من الكوفيين، ألا وهما أبو العباس المبرد، وأبو العباس ثعلب :

#### **1. أبو العباس المبرد :**

اختلف في لقبه الذي اشتهر به، منهم من ضبطه بفتح الراء مثل ما روي عن ابن عبد ربه، وادعى أنه لم يختر في شعراء كتاب "الروضة" إلا أبردها، والسيرافي يصحح كسر الراء، ويقول إنه المتثبت في الحق، وكان الشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ينشد :

والكسر في راء المبرد واجب      وبغير هذا ينطق الجهلاء<sup>(1)</sup>

اشتهر أبو العباس المبرد بالبراعة في علم اللغة والنحو، ومن شيوخه المشهورين، أبو عثمان المازني صاحب التصريف وأبو عمر الجرمي، وقد سبق أن رأينا أنهما من تلاميذ الأخفش الأوسط.

نشأ المبرد في البصرة ثم ما لبث أن اشتهر أمره وعلمه، فالتحق ب بلاط الخليفة المتكفل في سُرّ من رأى، فعرف عنده الرعاية، والمال والأنس.

ويذكر المزباني في معجم الشعراء أنه دخل على المتكفل يوماً فقال له : "يا مبرد أرأيت أحسن مني وجهاً، قال المبرد ولا أسمح راحة، ثم أنشد :

جهرت بحلفة لا أتفيهـا  
لشك في اليمين ولا ارتیابـا  
بانك أحسن الخلفاء وجهاـا  
وأسمح راحتين ولا أحابـي  
وأن مطیعـه الأعلى جدواـدا  
ومن عاصاهـ، يهوي في تبابـ

(1) كتاب المقتضب، المقدمة، ج 1 ص 11.

فقال له الموكل : "أحسنت وأجملت في حسن طبعك وبديهتك" (١).<sup>(١)</sup>

وبعد موت المتكلّل، غادر أبو العباس سُرُّ من رأى، وجاء بغداد ونبي أحد مساجدها  
اصططع حيلة لتكوين حلقة خاصة به أنشأها حينما رفع صوته في الكلام عن قضايا علمية  
أوهم الحاضرين أنه سئل عنها، ولما سمعوا فصاحته، وسعة علمه، التفوا حوله، فبدأ يحدث  
الناس، ويَصُرُّ به ثعلب، فيبعث تلامذته لفضح هذه الحلقة بيد أن تلاميذ ثعلب استمالتهم  
روعة حديث المبرد فترك أكثرهم أستاذهم، والتحقوا بمدرسة المبرد<sup>(2)</sup>، وكان من أشهر هؤلاء  
إبراهيم ابن سري الزجاج الذي ظل وفيأ له إلى أن مات، كما كان منهم ختن ثعلب أبو علي  
الدينوري وأبو بكر بن السراج مؤلف كتاب الأصول.

### أ) توثيقه في الرواية :

يُكاد العلماء يجمعون أن المبرد كان ثقة في رواياته، هذا ما نقله ابن كثير في "البداية والنهاية"، والخطيب في "تاريخ بغداد" حتى ابن لاد الذي كتب "الانتصار" لمسيبويه في مسائل الغلط، ردًا على المبرد قال : "وليس هو عندنا من يعتمد الكذب" غير أن ابن الأباري في "نזהة الأنبياء" ، أورد قصة يقول فيها : "قال أبو عبيدة الله المفجع وكان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه، يتهم، فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها فلمنظر كيف يجيب، وكنا قيل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

يا منذر أفنیت فاستبق بعضنا  
خانیک بعض الشر أهون من بعض

وتردد على أقوالنا من تقطيعه (ق بعضاً) فقلت له : أيدك الله تعالى ما  
الآن (الآن) عند العرب، فقالقطن، بصحة ذلك قول الشاعر :

كأن سلامها حشى القبعضا

قال : فقلت لأصحابي ترون الجواب والشاهد، إن كان صحيحاً عجب وإن كان اختلف الجواب في الحال فهو عجب".<sup>(3)</sup>

كما ذكر ياقوت الحموي الخلاف بين المبرد وأبي حنيفة في تفسير الشاة المجمحة التي نهى النبي ﷺ عن أكل لحمها، فقال المبرد هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة وأتى ببيت شاهد على ذلك، وهو :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ الْحَمْدِ نَسَمَةٌ إِلَّا عَنِيزٌ لَجْبَةٌ مُجْثَمَه

(١) معجم الشعراء للمرزياني، ص 449.

<sup>249</sup> (2) إبناه الرواة، ج 3 ص 249.

. 166 ص، (3) نزهة الألباء

وأنكر عليه ذلك أبو حنيفة الدينوري مبيناً أنها الشاة التي جثمت على ركبتيها وذبحت من القفا، وأقر المبرد أن الشاهد من اختلاقه<sup>(1)</sup>، وقبل التشكيك في توثيق المبرد، لابد من التأكد من صحة هاتين الروايتين. ولقد ذكر محقق المقتضب أن المفجع الذي روى القصة الأولى كان شيئاً من أنصار ثعلب، وكان ماجنا، فهو إذن من لا يطمئن إلى رأيه، أما القصة الثانية، فيظهر فيها أيضاً أثر الاتصال لأنه لا علاقة لحرمة لحم الشاة بقلة لبنها، ولاشك أن أبي العباس يعرف بذلك بدبيهه<sup>(2)</sup>.

وبين محقق المقتضب كذلك ما روي عن أبي الحسن الأخفش الأصغر علي ابن سليمان، أنه قال : "سمعت أبي العباس المبرد يقول لك إن الذي يغسل ثم يرجع لا يعد ذلك خطأ لأنَّه قد خرج منه برجوعه عنه، وإنما الخطأ البَيْنُ الذي يصر فيه صاحبه على خطئه ولا يرجع عنه فذلك يعد كذابة ملعوناً"<sup>(3)</sup>.

وهذا يذكرنا بقول محنض بابه بن اعبي الدبيان الشنقيطي :

ليس من أخطأ الصواب بخط إن يؤب لا ولا عليه ملامه  
إنما الخطئ المسي من إذا ما وضع الحق لع يحمي كلامه

هذا وقد رروا أيضاً عن المبرد قوله : "لا أتقلد مقالتي متى لزمتني حجة" ، قوله : "ربمارأيت في الحرف سنة لتصبح لي حقيقة"<sup>(4)</sup>.

### ب) أهم مصنفاته :

لقد كان أبو العباس المبرد حجة، وإماماً في النحو واللغة، فكان من بين العلماء الذين ساهموا في تقويم قواعد الكتاب وترتيبها، دون أن يجعلوا من النحو صيغاً جافة، بعيدة عن سلقة اللغة وعفوتها، وهذا واضح في كتاب الكامل، الذي كان كتاب أداب ولغة ونحو، وكتاب الكامل يعد بصدق من أمهات الأدب الأصيلة، فقد اشتتمل على طرائف الحكمة من جوامع كلام الرسول المصطفى عليه السلام، وعلى مختارات من خطب الخلفاء، وعيون الشعر العربي كما سجل فيه نوادر من الأخبار التاريخية، ونكتا من المسائل اللغوية وال نحوية.

أما كتابه "المقتضب" فإنه بمثابة تلخيص وتبسيط لكتاب سيبويه مع التنبيه على بعض القضايا التي خالفة فيها متأثراً بآراء شيخيه المازني والجرمي، وقد نظم فيه عرض

(1) ياقوت معجم الأدباء، ج 1 ص 260.

(2) المقتضب، ج 1 ص 16 (المقدمة).

(3) السيوطي المزهري، ج 2 ص 203، بواسطة عن عبد المخالق عضمه في مقدمة المقتضب ص 18.

(4) المقتضب، ج 1 ص 18 نقلأً عن مجالس العلماء.

القواعد النحوية، إلا أنه وقف على حافة التنظير المنطقي، الذي سيتولى ابن السراج صيغته في كتاب الأصول : وللمبرد مواقف معروفة من القراءات نذكر أمثلة منها، كما أنه تأثر بأبي عثمان المازني في إيراد التمارين غير العملية.

### ج) موقفه من القراءات :

لقد رأينا أن علماء النحو اعتمدوا القرآن، مادة لعلمهم، واستشهدوا بمنات الآيات، ومنهم من صرخ بأن القراءة سنة وأن ما صح منها، من أي طريق، يعتبر أساساً للوجوه الصحيحة في اللغة.

لكن بعضهم وقف من هذه القراءات موقف المجتهد المصوب، فإذا لم تكن القراءة تعبّر عن القواعد التي استنبطها من اللغة يصرّح بأنها لحن، ولو كانت من القراءات السبع المتواترة عن الأمة بالإجماع، أو القراءات العشر المتواترة عند القراء.

وكان بعض نحاة البصرة من بين الذين نصّبوا أنفسهم مهيمنين على تصويب القراءة أو تخوّطها. واشتهر أبو عثمان المازني بهذا الموقف، وتبعه البرد الذي سمح لنفسه أن يرفض بعض القراءات السبعية، مثل قراءة حمزة في الآيتين الكريمتين : ﴿وَمَا أَنْتَرْ بِعْصَرَ خَرْقَي﴾ (إبراهيم . الآية 22)<sup>(1)</sup> بكسر الياء، وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ (النساء . الآية 1)<sup>(2)</sup>.

وادعى أن قراءة ﴿ثَلَاثَمَائَةِ سَنِين﴾ (الكهف . الآية 25) خطأ غير جائز في الكلام وإنما يجوز في الضرورة<sup>(3)</sup>، كما نهى للخطأ من قرأ وآيات بالنصب في قوله تعالى : ﴿وَاحْتَلَافُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفُ الرِّياحِ آيَاتٍ لَوْقَمْ يَعْقُلُونَ﴾ (الجاثية . الآية 4)<sup>(4)</sup>.

ومن الغريب أن ينسب المبرد إلى أهل المدينة قراءة شادة في قوله تعالى : ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَ أَطْهَرُ لِكُمْ﴾<sup>(5)</sup> (هود . الآية 78) "بفتح الراء والمعرفة أن قراءة أهل المدينة تعنى باصطلاح العلماء قراءة نافع بن أبي نعيم وهي بالرفع، وقد تابع المبرد المازني في

(1) القرطيسي، ج 5 ص 2.

(2) المقتضب، ج 3 ص 453.

(3) المقتضب، ج 2 ص 171.

(4) المقتضب، ج 4 ص 195.

(5) المقتضب، ج 4 ص 103.

تحامله على الإمام نافع وذكر لا علم له بالعربية، مستدلاً على ذلك بقراءة : ﴿ معايش ﴾  
 (الأعراف - الآية 10 ، والحجر - الآية 20) بالهمزة مع أن نسبتها لนาيف غير مشهورة<sup>(1)</sup>.  
 هذا ولقد تأثر بعض القراء بهذا الموقف، حتى أن المحقق ابن الجوزي جعل موافقة  
 الوجه النحوي من أركان القرآن.  
 وذلك حين قال :

وكل ما وافق وجه النحو  
 وكان للخط احتمالاً يحوي  
 فهذه الثلاثة الأركان  
 وصح إسناداً هو القرآن

والسؤال الذي نضعه هنا هو أنه إذا كانت القراءة صحيحة الإسناد إلى الرسول عليه  
 الصلاة والسلام، وكانت موافقة لرسم المصحف، هل علينا أن نشترط ركناً ثالثاً وهو  
 وفاقها لوجه نحو؟ لأننا نعتقد أن كل ما ثبت بالإسناد روایة، ووافق الرسم خطأ، فقد  
 استكمل الوجه النحوي الصحيح. فالكتاب العربي المبين هو الذي يثبت الاستعمال  
 الصحيح، أما القواعد المستنبطة من كلام الأعراب، ومن شعرهم، وسماعاتهم فليست بحال  
 من الأحوال ميزاناً لصحة لغة القرآن.

#### د) تأثره بكتاب سيبويه :

لقد كان كتاب سيبويه المعين الذي استقى منه كل من جاء بعده، سواء كانوا من  
 الكوفيين المخالفين أمثال الفراء وتلامذته، أم كان من البصريين المتبعين مثل المبرد  
 وشيوخه. ولقد درس المبرد الكتاب على أبي عمر الجرجي ثم على أبي عثمان المازني، وكان  
 تأثيره واضحًا عليه في كتاب المقتضب، الذي يمكن أن نعتبره تلخيصاً وتقريراً لكتاب  
 سيبويه. وقد حاول المبرد في هذا المؤلف تبسيط وتنظيم بعض المسائل التي وردت معقدة  
 ومتناولة في كتاب سيبويه، ومن أوضح الأمثلة ما جاء في باب أنحاء الفعل العشرة، التي  
 وردت في أبواب مختلفة عن سيبويه وعرضها المبرد في فصل واحد، وفي عرض سهل  
 المتناول، فقال عنها<sup>(2)</sup> :

1. الفعل الحقيقى : قام زيد وهو متعد، إلا لاسم الزمان والمكان، وال الحال والمصدر.
2. الفعل الذي ذكر فاعله على وجه الاستعارة : مثل : سقط الحائط.
3. الفعل المتعدد لواحد الواصل المؤثر : نحو: ضرب زيد عمرا.

(1) المقتضب، ج 1 ص 114.

(2) المقتضب، ج 3 ص 187.

4. الفعل المتعدي لواحد غير واصل : نحو: أضحكت خالدا، ذكرت زيدا، مدحت عمرا.

5. الفعل المتعدي لاثنين و يكن الاقتصار على أحدهما : نحو: كسوت زيدا.

6. الفعل المتعدي لاثنين ولا يمكن الاقتصار على أحدهما : نحو: ظنت زيدا أخاك.

7. الفعل المتعدي لثلاثة مفعولين : وهو من باب الأول إلا أنك جعلت الفاعل مفعولاً : نحو: أعلم زيدا عمرا خير الناس.

8. الفعل المتعدي لمفعول : اسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد : نحو: أمسى عبد الله ظريفا، وهي أفعال وزن لا حقيقة.

9. فعل التعجب : وهو فعل صحيح غير متصرف وكذلك كل شيء دخل معنى من غير أصله على لفظ فهو يلزم ذلك اللفظ لذلك المعنى : نحو: ما أحسن زيدا.

10. ما أجرى مجرى الفعل وليس بفعل : ولكن أشباهه بلفظ أو معنى : نحو: ما زيدا منطلق، ومثل هنا بالنواسخ.

كما أن البرد تابع مسائل الكتاب، واستشهد بأكثر شواهد القرانية والشعرية، واتبع طريقه في عدم الاستشهاد بالحديث النبوي، واعتنق جل آرائه في السماع والقياس وبيان الضرورات، أو اللغات الضعيفة. ومع ذلك فإن البرد زيادة على تجدیده في الأسلوب، خالف إمام النحاة في كثير من الآراء، اشتهرت بمسائل الغلط، لأن البرد نسب فيها الخطأ إلى سيبويه.

### هـ) مسائل الغلط، ورد ابن ولاد عليهـ<sup>(١)</sup>:

روي عنه أنه في عهد الشباب ألف كتاباً سماه "نقد كتاب سيبويه"، تناول فيه أكثر من مئة وثلاثين مسألة انتقد فيها إمام النحاة، مما أدى إلى قيام ابن ولاد المصري بتصنيف كتاب الانتصار لسيبويه، والاحتجاج له والرد على البرد فيه ماعدا مسائلتين، ويقال إن البرد اعتذر عن أكثر اعترافاته، وقال إن ذلك من هفوات الشباب ولم يترك في كتاب المقتضب إلا نحو من ثلاثين مسألة، نستعرض فماذج منها لاستبانة منهج البرد النحوي، وميزاته الخاصة.

لقد عبر البرد عن اعترافه على آراء سيبويه، تعبيرات مختلفة ففي بعض المواضيع يعقب على رأي سيبويه "القول ليس عندي كما قال، أو أنه بعيد، أو "محال، أو غلط، أو خطأ فاحش".

(١) ابن ولاد هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد التميمي كان بصيراً بالنحو ورحل إلى بغداد ولقي أبي إسحاق بن السري الزجاج وغيره وأخذ عنهم وتوفي سنة 332هـ، راجع طبقات النحاة للزبيدي ص 219.

ومن أهم اعترافاته عليه أن سيبويه يقول إن الألف والواو والياء في الأسماء الخمسة حروف إعراب، ويقول المبرد إن ذلك محال لأنها لو كانت حروف إعراب للزمرة ذلك، مؤيداً رأي الأخفش والجرمي في كونها دلائل الإعراب لاحروفه<sup>(1)</sup>، كما يرى رأي شيوخه في امتلاع إعمال فعل وفعيل<sup>(2)</sup>، ويصوب رأي المازني في جواز تقديم التمييز على عامله في مثل "عرقا تصب"<sup>(3)</sup> وما خالفه فيه كذلك، إعمال "إن" المخففة التي يعني "ما" في مثل "إن زيد منطلق" لا يرى سيبويه غير الرفع جائزاً، والمبرد يجيز النصب، مستدلاً بقوله تعالى : ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبَا﴾ (الكهف - الآية 5)، ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غَرَوْر﴾ (الملك - الآية 20)<sup>(4)</sup>. ولللاحظ هنا أن المبرد لم يشر في هذين المثالين إلى تأثير "إلا" في إعراب الجملتين، وأنكر عليه رفع المضارع في نحو : خفت أن لا تقوم" ، وقال إنه بعيد، ولم يستحضر هنا قول الشاعر :

ولا تدفتي في الفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها<sup>(5)</sup>

وفي بعض المواضيع يضعف رأي سيبويه دون أن يرفضه كلياً. فمن ذلك قوله : "القياس وأكثر كلام العرب أن تقول : هذه أربعة عشرك، فتدفعه مفتوحاً، وقوم من العرب يقولون : هذه أربعة عشرك، ومررت بأربعة عشرك، وهو قليل وله وجه من القياس وأجاز سيبويه الضم على بعد"<sup>(6)</sup> .

كما ضعف تخریجه في إعراب قوله تعالى : ﴿أَيُعَدُّكُمْ أَنْكِمْ إِذَا مَتْمَرْ وَكَنْتُمْ تَرَايَا وَعَظَامًا أَنْكِمْ مُخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون - الآية 35)، فقال : إن سيبويه يرى أن "يعد" وقعت على "أن" الثانية، وذكر "أن" الأولى ليعلم أي شيء يكون الإخراج، وهذا قول ليس بالقوى. أما رأي المبرد فهو أن المعنى : أبعدكم إذا متم إخراجكم. وهذه المسائل من قضايا ملك النحاة المشهورة<sup>(7)</sup> .

وقد يحلو للمبرد في بعض المرات أن يستبدل برأيه ولو كان مخالفاً لسيبويه والأخفش. ففي الكلام عن "عسى" قال إن رأي سيبويه غلط، وقول الأخفش ليس بشيء

(1) المقتضب، ج 2 ص 154.

(2) المقتضب، ج 2 ص 118.

(3) المقتضب، ج 3 ص 36.

(4) المقتضب، ج 1 ص 49-50.

(5) المقتضب، ج 1 ص 50.

(6) المقتضب، ج 2 ص 178.

(7) المقتضب، ج 2 ص 358-360.

حينما زعم الأول أنها مع المضمر تأتي يعني "لعل" وقال الثاني إن ضمير النصب ناب عن ضمير الرفع مثل ما وقع في "لولا"<sup>(1)</sup>.

وفي هذه المسألة نورد أبياتاً بدعة، يقول العلامة الشنقيطي محمد حامد بن آلا البوحسني :

يُلْحِقُ بِهَا، فَهِيَ حِرْفٌ عَامِلٌ كَلْعَلْ  
مَقْدِمًا وَاسْمَهَا مَا بَعْدَ ذَالِكَ جَعْلَ  
ضَمِيرُ نَصْبٍ مِنَ الْمَرْفُوعِ جَاءَ بَدْلَ  
إِخْبَارَنَا لِعْسَى بِالْمَفْرَدَاتِ وَقُلَّ  
فِيهِ اقْتِصَارٌ عَلَى مَنْصُوبَهَا وَحَذَلَ  
ضَمَائِرُ الْفَصْلِ لَمْ يُشَبِّهْ عَلَيْهِ عَمَلَ  
فَبَانَ أَنْ سَوْى نَهْجِ الْإِمَامِ بَطْلَ

عُمَرُو "عَسِيٌّ" إِنْ ضَمِيرُ النَّصْبِ مَتَصَلٌ  
أَمَا الْمَبْرُدُ فَالْمَنْصُوبُ ذَا خَبَرًا  
وَرَأْيُ الْأَخْفَشِ تَعْكِيسُ الْأَخْيَرِ يَسْرِي  
رَأْيُ الْمَبْرُدِ مَرْدُودٌ بِأَنَّ بَهِ  
وَإِنْ قَوْلُهُمْ فِيهِ عَسَاكُ فَقَطْ  
وَرَدَ ثَالِثُهَا أَنَّ التَّعْاقِبَ فِي  
وَ"نَارُ كَأسٍ" بِرَفْعِ النَّارِ قَدْ رُوِيَتْ

وفي البيت الأخير إشارة إلى قول الشاعر :

فَقَلْتُ عَسَاهَا نَارٌ كَأسٌ وَعَلَهَا تَشَكَّى فَآتَى نَحْوَهَا فَأَعْسُدَهَا

وفي معرض قول الشاعر :

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نَعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قَرِيشٌ وَإِذْ مَا مَثَلُهُمْ بَشَرٌ

يقول المبرد : "فالرفع الوجه، وقد نصبه بعض النحوين، وذهب إلى أنه خبر مقدم، وهذا خطأ فاحش وغلط بين، ولكن نصبه يجوز على أن يجعله نعتاً مقدماً، وتضم الخبر فتنصبه على الحال مثل قوله فيها : قائماً رجل"<sup>(2)</sup>. وذكر في النقد أن هذا قول المازني. ورده ابن لاد بحجة الرواية وأنكر جواز تقديم الحال على النكرة<sup>(3)</sup>.

وبعدما أورد المبرد قول القائل :

فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرْدِهَا صَحَاحًا وَلَا مُسْتَنْكِرًا أَنْ تَعْقِرَا<sup>(4)</sup>

علق عليه بأن رفع "مستنكر" على وجه عطف جملة على جملة. كما قال إنه يحسن النصب للعطف على الموضع لأن ليس يقدم فيها الخبر أما الخفض فيمتنع لأنك تعطف

(1) المقتضب، ج 3 ص 71-3.

(2) المقتضب، ج 4 ص 91-2.

(3) المقتضب، ج 4 ص 91-2 الهاشم.

(4) المقتضب، ج 4 ص 195-196.

بحرف واحد على عاملين وهما الباء و"ليس" فكأنك قلت "زيد في الدار والحجرة عمرو" فتتعطف على "في" والمبدأ ومثله :

هون عليك فإن الأمور بكاف الإله مقاديرها  
فلليس بآتيك منها ولا قاصر عنك مامورها

ويجوز سببويه الخفض فيما محتاجا بأبيات اكتسب فيها المضاف التأنيث من المضاف إليه وهي :

وتشرق بالقول الذي قد أذعنه  
كما شرقت صدر القناة من الدم  
وقوله :

لما أتى خبر الزبير تواضعـت سـورـ المـدـيـنـةـ وـالـجـبـالـ الـخـشـعـ وـقـولـهـ :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت  
أعاليها مر الرياح التواسم  
وقوله :

إذا مر السنين تعرقتننا  
كفى الأيتام فقد أبي اليتيم<sup>(١)</sup>

وفي كتاب الله تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء - الآية 3).  
ويقول المبرد وليس القول عندي كما ذهب إليه، ويُزول ما ورد في الآية الكريمة وفي  
الأبيات المذكورة.

وذكر أن الخليل وسيبوه يزعمان أنك إذا قلت لا غلامين لك أن "غلامين" مع "لا" اسم واحد وثبتت النون كما ثبتت مع الألف واللام وفي تثنية ما لا ينصرف وجمعه نحو قوله نحو هذان أحمران وهذا المسلمان، وليس القول عندي كذلك لأن الأسماء المثناة والمجموعية بالواو والنون لا تكون مع ما قبلها اسمًا واحدًا، ولم يوجد ذلك كما لم يوجد المضاف ولا الموصول مع ما قبله بمنزلة اسم واحد<sup>(2)</sup>.

وفي وصل الواو والياء بالهاء إذا كانت ضمير حفظ، في نحو "منه" فإن سببوبه يرجع الإتمام والمبred يمبل إلى الحذف<sup>(3)</sup>. وفي نحو "إن أتيتني لأقونمن"، وإن لم تأت لأعضبن" فإن سببوبه يرى في هذا تقدعاً وتأخيراً. فكان القائل يقول "لأقونمن إن أتيتني"، أما المبرد فإنه يقدر حذف الفاء في هذا النوع من الاستعمال<sup>(4)</sup>.

(١) المقتضب، ج ٢ ص ١٩.

.366 ص 4 ج المقتضب (2)

(3) المقتضب، ج ١ ص 266.

.62 ص 2 ج (4) المقتصب

وينسب المبرد الخطأ إلى سيبويه في بعض الأقىسة الصرفية، منها اعتباره أن "دما" على وزن قُلْ بتسكين العين، وهو غير صحيح عنده لأن العرب تقول دمي يومي، ومقيس مصدره، بفتح العين، واستدل بقول الشاعر :

فلو أنا على حجر ذبحنا      جرى الدميان بالخبر اليقين<sup>(1)</sup>

ويعتبر المبرد قول سيبويه في مقعنسيس مقاعس غلط شديد. ويدخل في هذا المجال مسائل من التصغير حاد فيها سيبويه عن القياس<sup>(2)</sup>.

بيد أن كل هذه الانتقادات لاتعني أن المبرد غير ملتزم بأصول مذهب إمام النحاة العام. ولقد روي اعتذاره عن مسائل النقد، ورجوعه عن أكثرها، حتى أنه في عدة مواضع انتصر له على أستاذة المازني، وعلى شيخ أستاذة أبي الحسن الأخفش.

ويروي ابن جني أن المبرد رجع عن كثير من هذه الآراء، وأنه كان يعتذر عما جرى منه، ويقول ذاك الشيء، كنا رأينا أيام الحداثة أما الآن فلا<sup>(3)</sup>، ومع ذلك فإن كتاب المقتضب تضمن كثيراً من هذه المسائل، التي لم يتغير رأي المبرد فيها.

#### و) المسائل التموينية :

يقول المبرد في المقتضب : "هذا باب، ونقول في المسائل طوال يتحن بها المتعلمون، الضارب الشاتم المكرم المعطيه درهما القائم في داره أخوك سوطاً أكرم الأكل طعامه غلامه زيد عمرا خالد بكرأ عبد الله أخوك".

"نصبت الضارب بأكرم وجعلت ما بعد الضارب من صلته إلى قوله أكرم، فصار اسمًا واحدًا، والفاعل هو الأكل وما بعده صلة له إلى ذكر الأسماء المفردة، وهذه الأسماء المنصوصية بدل من الضارب والشاتم، والمكرم وخالد المجرور بدل من الها في غلامه. والمرفوع بدل من أحد هؤلاء الفاعلين الذين ذكرتهم وتقديرها، كأنك قلت".

"أكرم الأكل طعامه غلامه الرجل الذي ضرب سوطاً رجلاً شتم رجلاً أكرم رجلاً أعطاه درهماً، رجل قام في داره أخوك".

لقد تناول أبو إسحق الزجاج هذه المسألة، وقال إن المبرد أخطأ فيها، فزاد أن سعيد ابن سعيد الفارقي أسهب في شرحها معتقداً عن أبي العباس المبرد". وقد أورد محقق المقتضب رأي الفارقي لخص إعراب المسألة قائلاً :

(1) المقتضب، ج 3 ص 153.

(2) المقتضب، ج 2 ص 235.

(3) ابن جني الخصائص، ج 1 ص 206.

"إن الضارب مفعول أكرم، والشاتم مفعول الضارب، والمكرم مفعول الشاتم، والمعطيه مفعول المكرم، وسوطاً مفعول مطلق للضارب، وطعامه مفعول للأكل، ودرهماً مفعول شأن لمعطيه، والأكل فاعل أكرم، والقائم فاعل المعطيه، وغلامه فاعل الأكل فأخوك الأولى فاعل القائم".

وزيد بدل من القائم، وعمراً بدل من المكرم، وبكراً بدل من الشاتم، وعبد الله بدل من الضارب، وخالد بدل من الهاء في غلامه، وأخوك الثانية بدل من الأكل".

كما بين المحقق أن في هذه القضية أموراً من الفصل بين الموصول وصلته لا تجوز، وأن الفارقي يعتذر عن البرد لأنها امتحان، والامتحان يوضع بعضه على بعض الصحة، وبعضه على الخطأ ليميز المتخن بين الخطأ والصواب<sup>(1)</sup>.

والهم في المسألة هو ملاحظة تطور التفكير النحوي الذي تجاوز تحليل الوضع اللغوي المسموع، إلى افتراضات معقدة جاءت تطبيقاً للقواعد العامة التي أفرتها النحو البصري، يمكن مقارنتها بالتركيب اللاتيني، ولقد توجد في الكتاب فاذج من نوع مثل "كيف تصغر اسم من سميته"، و"كيف تعرف رجلاً اسمه "ضرروا" على لغة أكلوني البراغيث.

غير أن هذا النوع من التدريبات وصل إلى قمتها عند البرد في هذا النوع من المسائل، وهذا ما أثار حفيظة الزجاج، ولعل موقفه وضع حداً لمثل هذه القضايا العدية الجدوى، وإذا كان قد بقي منها شيء فإنه اقتصر على بعض المسائل الصرفية.

## 2. أبو العباس ثعلب:

### أ) التنافس مع البرد :

البرد وثعلب كانوا فرسياً رهان عصرهما، فكان الأول إمام البصرة، وترأس الثاني مدرسة الكوفة، فقد حفظ أبو العباس أحمد بن عيسى المعروف بثعلب، كتب الفراء وهو لم يتتجاوز خمساً وعشرين سنة، ثم لزم ابن الأعرابي بضعة عشر سنة، ودرس على سلمة بن عاصم، ومحمد بن عبد الله بن قادم، وسمع من ابن المغيرة جل كتب الأصمعي وأبي عبيدة وأخذ الحديث من أحمد بن حنبل وعبد الله بن عمر القواريري<sup>(2)</sup>.

(1) عظيمة مقدمة المقتضب، ج 1 ص 83.

(2) راجع ترجمته في الزبيدي طبقات النحاة، ص 14 وأنباء الرواية، ج 1 ص 173، ومعجم الأدباء، ج 2 ص 337.

والمنافسة بين هذين العالمين كانت مضرب الأمثال حتى قال بعض الشعراء :  
 كفى حزناً أنا جميعاً بلدة  
 ويجمعنا في الأرض أقرب مشهد  
 نروح ونغدو لا تزاور بيتنا  
 وليس بمضروب لنا يوم موعد  
 فأبداننا في بلدة والتقاؤنا  
 عسير كلقيا ثعلب والمبرد<sup>(1)</sup>  
 بدأت هذه الخصومة حينما دخل المبرد بغداد ، بعد دخول المتوكل ، وأراد أن يستقطب  
 حوله حلقة خاصة ذكرناها آنفًا.

واستمرت الخصومة بين الرجلين طيلة أربعين سنة ، وكان لكل منهما مذهب ،  
 وأنصاره ، ففي جانب المبرد نجد الزجاج الذي كان من ألمع تلامذته ، ومنهم أبو علي الدينوري  
 ختن ثعلب والأخفش الصغير ، ونقطويه ، ومحمد بن يحيى الصولي ، والشاعر الأمير عبد  
 الله بن المعتز . ومن الشعراء المرموقين الذين أثروا على المبرد البحتري وابن الرومي :

فالأول يقول فيه :

إلا بيمن محمد بن يزيد  
 فعليك ضوء الكوكب المسعود<sup>(2)</sup>

ما نال ما نال الأمير محمد  
 وبنو ثمالة أنجم مسعودة  
 ويقول الثاني في قصيدة طربلة :

في عمن عاند الحق عنود  
 حبه عندي سواه والسجود  
 ولسانني لك مذ كنت جنود  
 لك من نفسك مدبل مددود  
 فلنا منه شنوف وعقدود  
 ولأنت المشرب العذب البرود<sup>(3)</sup>

يا أبو العباس إني رجل  
 وعيناً أنك المرء الذي  
 لم أزل قدماً وقلبي ويدى  
 شاهد أنك بحر زاخر  
 يجتني درك رطباً ناعماً  
 غير أن البحر ملح أسن  
 ولأحمد بن عبد السلام فيه يقول :

إلى الخيرات في جاه وقدر  
 أبو العباس داير كل شعر  
 وأين النجم من شمس ويدر  
 يشبه جدولًاً وشلاً ببحر<sup>(4)</sup>

رأيت محمد بن يزيد يسمو  
 وكان الشعر قد أودى فأحيا  
 وقالوا ثعلب رجل عليم  
 وقالوا ثعلب يفتى وأنى

(1) معجم الأدباء ، ج 6 ص 2680.

(2) ديوان البحتري ، ج 1 ص 177.

(3) عضيمة : مقدمة المقتضب ، ص 40.

(4) معجم الأدباء ، ج 6 ص 2680.

ولم يسلم المبرد مع ذلك من ألسنة الأعداء والخاسدين، فقد قال فيه عبد الصمد بن المعذل :

سألنا عن ثمالة كل حي فقال القائلون ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقلوا زدتنا بهم جهاله<sup>(1)</sup>

ولقد وقف أحمد بن فارس وأبو بكر بن الأثباري منتصرين لشعلب، ووقف منها أبو بكر بن أبي الأزهر موقف الحياد والإعجاب، فقال :

فيما طال العلم لا تجهلني وعذ بالمبرد أو شعلب

تجد عند هذين علم السورى فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة بهذين في الشرق والمغرب<sup>(2)</sup>

ولما سئل ابن السراج عن أيهما أعلم فأجاب : ما أقول قي رجلين العالم بينهما<sup>(3)</sup> ،

وبعد وفاة المبرد قال بعض الشعراء :

بيت من الآداب، أصبح نصفه سيخرب خريا وباقى نصفه سيخرب

مات المبرد وانقضت أيامه ومع المبرد سوف يذهب ثعلب

وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه إن كانت الأنفاس ما يكتب<sup>(4)</sup>

### ب) المناظرات بينهما :

لقد جمع بينهما محمد بن عبد الله بن طاهر، وسئل عن معنى بيت أمرئ القيس :

لها متنتان خططاتا كما أكب على ساعديه النمر

فقال ثعلب : خططاتا بظاء والذى فيه من العربية أن قال خططا، فيهما تحركت التاء

وأعاد ألف من أجل الحركة والفتحة، فقال المبرد إنما أراد إضافة خططاتا إلى "كما" وزعم

أنه قول سيبويه فقال ثعلب، أيقال : مررت بالزبيدين عمرو فيضاف نعت الشيء إلى غيره

فقال محمد بن عبد الله لا والله، فأمسك المبرد ولم يقل شيئاً، ويقول البصريون أن القول

ما قاله المبرد ولكنه سكت أدبا مع ابن طاهر<sup>(5)</sup>.

(1) معجم الأدباء، ج 6 ص 2682.

(2) الزبيدي طبقات النحوين، ص 143، وياقوت، ص 2680.

(3) معجم الأدباء، ج 2 ص 550.

(4) معجم الأدباء، ج 2 ص 541.

(5) معجم الأدباء، ج 2 ص 539.

وأنقطاع المبرد في هذا المجلس لا يعني ضعفاً في الحجة والجدل : ففي مناظرة أخرى بينهما، سأله ثعلباً عن همزة بين وبين هل هي متحركة أم ساكنة فقال ثعلب لا متحركة ولا ساكنة، أنها روم، فقال المبرد : قوله لاساكنة فقد أقر بأنها متحركة، وقوله لا متحركة فقد أقر بأنها ساكنة، فهي إذن ساكنة لا ساكنة، ومتحركة لا متحركة<sup>(1)</sup>.

وسائل المبرد عن قول الشاعر :

وغيرها عن وصلها الشيب إنه شفيع إلى بيض الخدود مدرب

فقال بعد تمهل وتمكث : يريد أن النساء أنسن به فلا يستترن عنه، وسئل ثعلب فقال : الضمير في "إنه" يعود إلى الشباب ولم يجز ذكره لأنه علم<sup>(2)</sup>.

ورئي بخط المبرد "ضربيته بلا سيف" فقال ثعلب هذا خطأ لأن "لا" التبرئة لا يقع عليها خافض ولا غيره لأنها أداة، وما تقع أداة على أداة<sup>(3)</sup>.

والتنافس بين ثعلب وبين المبرد لم يمنع هذا الأخير من الاعتراف بقدره وعلمه والاستفادة منه، وروى عنه مرات في كتاب الكامل فقال إنه سمع منه قول النميري :

رمتني وستر الله بياني وبينها عشية أحجار الكناس رميم  
رميم التي قالت لبارات بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم  
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم<sup>(4)</sup>

وروى عنه قصيدة لأحد الشعراء في مدح ثلاثة إخوة من غني، التي منها :  
هينون لينون أيسار ذوق كرم سواس مكرهم أبناء أيسار

وآخرها :

من تلق منهم تقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري<sup>(5)</sup>  
وشعر صخر بن حبنا الذي يقول فيه :  
إنني هزئت من أم الغمر إذ هزئت بشيب رأسي، وما بالشيب من عار

(1) مهدى المخزومي مدرسة الكوفة، ص 154 نقاً عن مجالس اللغويين وال نحوين للزجاجي.

(2) معجم الأدباء، ج 2 ص 540.

(3) المصدر والصفحة نفسها.

(4) الكامل، ج 1 ص 30.

(5) الكامل، ج 1 ص 78.

كما أخذ عنه أن غرض إلى لقائه حن إليه، وأنشده :

ما ذا رسول ناصح فمبليغ عنى عليه غير قول الكاذب  
أني عرِضت إلى تناصف وجهها غرض المحب إلى الحبيب الغائب

### ج) انتقاد الزجاج لشعلب ورد ابن خالويه<sup>(1)</sup> :

ولم يك المبرد العالم البصري الوحيد الذي تلقى العلم من ثعلب، فقد تلمنذ له الزجاج قبل أن يعيّب عليه المسائل التي خطأه فيها في كتاب الفصيح، فزعم أنه غلط في قوله عرق النساء، وأن الصواب النساء، مثل ما قال أمرو القيس :

فأثبتت أظفاره في النساء

وفي استعماله لفظ "الحلم" مصدرًا وهي اسم بدليل قوله تعالى : ﴿لَمْ يَلْعُغُوا  
الْحَلْمَ مِنْ كُمْ﴾ (النور - الآية 58) وأنكر عليه قوله "امرأة عزبة"، والصواب عزب،  
مستشهدًا بقول الشاعر :

يا من يبدل عزباء على عزب

وعاب عليه كسر كسرى في النسب، وقوله وعدته بكذا في الشر، والإيتان  
برشدة وزنيه بكسرٍ فائهما بالفتح لأنهما للمرة، وخطأه في كسر النون من أسمة، لأن  
الأصمعي رواها بالضم، وقوله "إذا عز أخوك فهن" والصواب كسرًا لها، لأنه من هان  
يهين أي لان، واعتراض عليه كذلك استعمال لفظة المطوعة، وال الصحيح المطوعة بتشديد  
الطاء كما ورد في الذكر الحكيم.

ومثل فعل ابن ولاد في الانتصار لسيبوبيه انتصر أبو عبد الله الحسين بن خالويه  
لشعلب، وقام ينقض جميع اعتراضات الزجاج عليه، فذكر أن عليًّا بن أبي طالب وابن  
عباس قالا : "إن يعقوب كان مصاباً بعرق النساء، وإن الحلم مصدر واسم مثل العلم، وإن  
عزبة صحيحة مثل شيخ وشيخة وغلام وغلامة ورجل ورجلة، وإن كاف كسرى يصح  
فتحها وكسرها لأنها ليست عربية الأصل، والاسم الأصلي خسرو، ويقول أبو عبيد : إن  
الكسر فيها أفعى، ورد عليه في وعد وأوعد، أن وعد تأتي للخير مثل ﴿وَإِذْ يَعْدُ كُمْ  
اللَّهُ أَحَدُ الطَّائِفَتَيْنِ﴾ (الأنفال - الآية 7)، وفي الشر في قوله تعالى : ﴿النَّارُ وَعِدْهَا  
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة الحج - الآية 72) وأوعدت مع الباء جاءت في قول الشاعر :

أوعدني بالسجن والأدائم      رجلي ورجلي شئنة المناسب

(1) راجع الأشباء والنظائر، ج 8 ص 255.

وأما المثل في قولهم "إذا عز أخوك فهن" فهو بالضم، والكسرُ غلطٌ لأنها من الهن، وقال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَا﴾ (الفرقان . الآية 63) وقال الشاعر :

دبيت لها الضراء وقلت أين إذا عز ابن عمك أن تهوننا

ويقول ابن خالويه إن رشدة وزنة، ونحوها قد تأتي مثلثة : مثل حججت في جهة، ورأيت رؤية واحدة، ووعدته عدة، والاسم يأتي على فعلة مثل وجهة، والمصدر في جهة ويرجع أنه بكسر النون لأنها رواية ابن الأعرابي وهو عن الأصمعي، وصدق ابن خالويه ادعا ، شغلب أنه ما قال إلا المطوعة بتشديد الطاء ، وبصفته إمام الكوفيين ، فكان من واجبه أن ينتصر لأئمة مدرسته ، وأن بين عوار خصومه ، ولقد قام بهذا الدور لأنه كان متزعجاً من البرد ، وقد روى أنه تناوله بالهباء .

ولكنهما مع ذلك كانوا يتزاوران ويتبادلان التحية والسلام ، بالرغم مما كان بينهما من منافرة علمية ، غذتها المعاصرة والمنافسة .

#### د) نقد ثغلب للبصريين وانتصاره للفراء :

إذا ما تناول ثغلب مسائل الخلاف العامة ، لم تبد عليه دوافع العداوة والحقد ، فلم يكن نابياً في تعبير ولا فاحشاً في قوله .

فقد ذكر ثغلب مثلاً أن أهل البصرة يقولون باعمال فعول ومحفظ ، وأن الفراء والكسائي يعنانه<sup>(1)</sup> ، وأنهم في نحو "رأيتك إياك" يقولون إن "إياك" بدل ، وأن أصحابه يقولون إنها توكيده<sup>(2)</sup> . ويذكر أن أهل البصرة لا يفرقون بين الصفة والنعت ، وأن أصحابه يجعلون النعت أخص مثل الأعرج ، وأن الصفة عامة ، ولذلك فإن الله يوصف ولا ينعت<sup>(3)</sup> ، وربما ألمح أنه لا يطمئن لرأي الكوفيين حين يقول : وزعم أصحابنا أن "كما" تنصب ويزعم البصريون أنها لا تعمل وأنشد :

وطرفك إما جئتنا فاحفظْنَه كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر<sup>(4)</sup>

ففي هذا المثال لم يسترسل أبو العباس ثغلب في الاحتجاج لرأي أصحابه من الكوفيين وإنما اكتفى بعرضه ، بخلاف عرضه للقول في المثال والتقرير في إعمال "هذا" حيث قال : هذا تكون مثلاً وتكون تقريراً فإذا كانت مثلاً قلت هذا زيد ، وإن شئت قلت

(1) مجالس ثغلب ، ج 1 ص 150.

(2) مجالس ثغلب ، ج 1 ص 161.

(3) المجالس ، ج 1 ص 154.

(4) المجالس ، ج 1 ص 52.

هذا الشخص كريراً، وإذا قلت هذا كزيد قائماً، لأنك قلت هذا زيد قائماً، ولكنك قد قررته وتكون تشبهاً كزيد هذا منطلق، وكزيد قائم، وهذا يجري مجرى الخبر.

وقال سيبويه هذا زيد منطلق فأراد أن يخبر عن هذا بالانطلاق ولا يخبر عن زيد ولكنه ذكر زيداً ليعلم عن الفعل. قال أبو العباس وهذا لا يكون إلا تقريباً، وهو لا يعرف التقرير. والتقرير مثل "كان" لأنه رد كلام فلا يكون قبله شيء. وقال الكسائي : "سمعت العرب يقولون هذا زيد إيه يعنيه فجعله مثل كان. وقالوا : تربع ابن جؤبة في اللحن حين قرأ : ﴿هَوَلَاءُ بَنَاتِي هُنَ أَطْهَر﴾ (سورة هود - الآية 78)، وجعلوه حالاً. وليس هو كما قالوا، وهو خبر لهذا كما كان إلا أنه لا يدخل العماد مع التقرير من قبل أن العماد جواب والتقرير جواب فلا يجتمعان. وإذا صاروا إلى المكنى جعلوه بين "ها" و"ذا" فقالوا لها أنا وحذفوا وهذا كله مع التقرير ويحذفون الخبر لمعاينة الإنسان فقالوا : ها أنا عمار.

فحذف الخبر كأنه قال لها أنا حاضر، وإذا جاؤوا مع هذا بالألف واللام كانت الألف واللام نعتاً لها. وقد أجاز أهل البصرة إذا كان معهوداً أن ينصب الفعل اسم الفاعل والفراء يأبه، وإنما نعتوا هذا بالأسماء فقالوا مررت بهذا الرجل فميزت هذا بجنس من الأجناس وإذا جاء واحد لا ثاني له فقيل هذا القمر لم يكن تقريباً، وقد سقط هذا فتقول كيف أضاف الظلم وهذا الخليفة قائماً وال الخليفة قائم، وكلما رأيت إدخال هذا وإخراجه واحداً فهو تقرير مثل قولهم من كان من الناس سعيداً فهذا الصياد شقياً، وهو قوله فالصياد شقياً.

ويظهر من ثعلب في نطاق كوفيته، ميله إلى الفراء، نظراً لقوة استيعابه المعرف النحوية، فاستحسن رأيه في تثليل "ضروة" بعد لدن<sup>(1)</sup>، وقوله إن "أجمعين" معدول عن "أجمع" وجمعوا لأن أصله نعت فعدل إلى التوكيد ولذلك لا يمكن أن نقول مررت بأجمعين<sup>(2)</sup> ورجح قول الفراء على الكسائي في عدة مواضع منها عدم اشتراط الباء في مثل "مررت بزيد لا بعمرو" واستدل الفراء بقول الشاعر :

إنما يجزي الفتى ليس الجمل<sup>(3)</sup>

وفي منع قول "زيداً إن تضرب أضربي" إذ أجازه الكسائي ومنعه الفراء لأن الشروط عنده لا تتقدم عليها صلاتها<sup>(4)</sup>، ومنها أيضاً إنكار قول الكسائي وسيبويه إن "هو" من

(1) المجالس، ج 1 ص 191.

(2) المجالس، ج 1 ص 119.

(3) المجالس، ج 2 ص 447.

(4) المصدر نفسه.

﴿ قل هو اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص - الآية ۱) عماد أي ضمير فعل، وقال الفراء، إنه خطأ من قبل أن العماد لا يدخل إلا على الموضع الذي يلي الأفعال، ويكون وقاية للفعل مثل "إنه قام زيد" ثم يستعمل بعد فيتقدم ويتأخر، والأصل في هذا إنما قام زيد، فالعماد كـ "ما" وكل موضع فعلى هذا جاء يقي الفعل، وليس مع ﴿ قل هو اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص - الآية ۱) شيء يقيه<sup>(۱)</sup>.

واتفاق الكسائي وسيبويه لم يمنع ثعلباً أن يقف مع إمامه الأخض وهو الفراء، ومع احترامه لإمام النحاة، فإنه خطأ في بعض القضايا نرى منها قوله : أخطأ سيبويه في إنشاد هذا البيت :

يا صاح يا ذا الضامر العنـس      والرـحل والأقتـاب والخلـس

فرواه بالرفع، و"ذا" هنا يعني صاحب<sup>(۲)</sup> كما أورد مرة أخرى، قال سيبويه : يا هذا فيه تنبئه في موضعين وهما "يا" و "ها" وهذا باطل<sup>(۳)</sup>.

#### هـ) طرائف ثعلب :

ومن طرائف المسائل التي أخذها النحاة عن ثعلب بعض صيغ المجازة التي يحتاج الفقهاء إلى معرفتها لما يبني عليها من أحكام، منها ما ذكر أبو القاسم الزجاجي، أن ابن الخطاط وابن كيسان، أفادهما ثعلب بها.

ومنها ثلاثة صور وهي :

1. إذا قال الرجل لأمرأته إن أعطيتك إن وعدتك إن سألتني فأنت طالق ثلاثة، فإنها لا تطلق حتى تبدأ بالسؤال، ثم يعودها، ثم يعطيها بعد العدة.
2. وإن قال : إن سألتني إن أعطيتك، إن وعدتك فأنت طالق ثلاثة فهو مضمر للفاء في الجزء الثاني، ولا يضرم الفاء في الجزء، الثالث لأنه العدة قبل العطية فهذا أيضاً لا تطلق حتى تسأله ثم يعودها، ثم يعطيها.
3. إن سألتني إن وعدتك إن أعطيتك فأنت طالق، فهو مضمر للفاء في ذلك كله. والحكم فيها كسابقها<sup>(۴)</sup>.

(۱) المجالس، ج ۲ ص ۳۵۴.

(۲) المجالس، ج ۱ ص ۳۳۳.

(۳) المجالس، ج ۱ ص ۵۲.

ولقد كان أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى إِماماً بارعاً في اللغة ماهراً بالغريب منها، وله فيها طرائف عجيبة، منها تفسير لقول أَمْرَءِ القيس :

نطعنهم سلكي ومخلوجة      كرّك لامين على نابل

وقد رأينا أن أبا عمرو بن العلاء قال إن البيت من اللغة القديمة وأعرض عن تفسيره أما ثعلب فقد فسر "اللام" بالسهم إذا ريش<sup>(1)</sup>، ومنها تفسيره للتغييض بأنه القذف بالدموع المتواالية واستشهاد بقول الشاعر :

غيبن من عبرا هن وقلن لي      ماذا لقيت من الهوى ولقينا<sup>(2)</sup>

ومن غرائبه أيضا قوله إن ابن آوى، وابن عرس وابن قترة مذكورة في الإفراد مؤنثة في الجمع، فتقول في جمعه بنات آوى وبنات عرس وبنات قترة وهي ضرب من المحيات<sup>(3)</sup>. وقوله امرأة قنعان ونسوة قنعان، فجاء الجمع والمفرد على لفظ واحد<sup>(4)</sup> وفسر "زرقا" في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُ الْجِنِّينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه . الآية 102) بأنهم العطاش<sup>(5)</sup>، وفي مجالسه كثير من هذه التوارد.

ومن شعره في العتاب :

إخاء ابن عيسى لي إخاء ابن ضرة      وودي لـه وـابن أمُّ وـوالـد  
فـما بالـه مـستـعـذـبـاً مـن جـفـائـنـا  
موارد لم تعذب لنا من موارد  
أقمـتـ ثـلـاثـاـ خـلـفـ حـمـيـ مـضـرـة  
فلـمـ أـرـهـ فـيـ أـهـلـ وـدـيـ وـعـائـدـي  
أـخـوكـ أـخـوكـ الـحـرـ عـنـ الشـدـائـدـ<sup>(6)</sup>  
سلامـاـ هيـ الدـنـيـاـ قـرـوـضـ وإنـماـ

وقد بقي من آثاره كتاب الفصيح الذي نظمه مالك بن المرحل السبتي، وهو كتاب بديع في فنه وله كتاب المجالس، وهو كتاب أدب ونحو ولغة يتضمن تفسير غريب القرآن، مع الاعتماد على الأáfخـشـ والـفـرـاءـ وهو مقتضب على منوال معاني القرآن، ومن أغرب ما فيه تقسيم المصحف الشريف إلى نصفين، وأثلاط وأربع وأخماس وأسباع، بحسب تعداد حروفه، وعزاه إلى حميد الأخرج المكي.

(1) المجالس، ج 1 ص 72.

(2) المجالس، ج 2 ص 597.

(3) المجالس، ج 1 ص 365.

(4) المجالس، ج 1 ص 91.

(5) المجالس، ج 1 ص 393.

(6) الأشباه والناظر، ج 8 ص 225.

كما تضمن أيضاً جملأً من معانٍ الشعر ومن أراجيزه، وبعض الأحيان يأتي التفسير قبل إنشاد البيت، وهذا يدل على نوع من الاضطراب قد يكون سببه النساخ. والنسخة المحققة منه فيها خروم كثيرة.

وفيه أيضاً حكايات من التراث العربي، وما يقال في وصف المطر، ووصف النخيل وأنواعه ومراحل نضج التمور. مع إعطاء لغات القبائل في ذلك في الحجاز، ونجد، وعمان، ووصف آلات الحرب.

وفيها قضايا نحوية تأتي عرضاً في ثنايا تفسير الآيات، أو شرح أبيات الشعر. والكتاب ينم عن سعة علم، وغوص في الغريب، ومعرفة بالشعر. وقد اقتبس منه أهل المعاجم الكبير، وبالخصوص صاحب اللسان.

وقد رثى ثعلباً عند موته أحد الشعراء فأجاد بقوله :

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب  
فبان تولي أبو العباس متقداً<sup>(1)</sup> فلم يتم ذكره، في الناس والكتب

---

(1) عضيمة هارون مقدمة المقتضب، ج ١ ص ١٧.

## الباب الرابع

# عصر التقويم والتأصيل

بعد مرحلة المراجعة والتصحيح التي قام بها المبرد ومعاصروه، ابتدأ عهد جديد في تاريخ النحو، تتمثل في تقويم المناهج اللغوية على أساس لا تبني على قواعد الاستقراء، التي أصلّها العلماء السابقون فحسب، بل تأخذ أيضاً بعين الاعتبار معطيات المنطق العقلي التي صارت جزءاً من ثقافة العصر. بيد أن نحاة هذا العهد انتبهوا للفروق الطبيعية بين المنطق الفلسفي العام، ومنطق النحو العربي الخاص، مما جاء واضحاً في المناظرة المشهورة بين متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي<sup>(1)</sup>. ولذا آل الأمر بالمفكرين النحويين إلى اختيار منهج الأصوليين الذي يلائم بين منطقية التفكير وسلامات الثقافة الإسلامية.

ولقد بدأت هذه المرحلة بالزجاج الذي أثار بعض النظريات الاستنتاجية في الاشتغال اللغوي والتي هذهبها ابن جني في الخصائص. ولعل إشاراته في التعليل المنطقي، أوحت إلى تلميذه أبي القاسم الزجاجي بمحاولة ضبط العلل النحوية. وبعد الزجاج بقليل كتب ابن السراج أول مصنف يحمل اسم "الأصول في النحو" وقيل إنه عقله بها. وشرح السيرافي مبادئ فلسفة النحو، وعلاقة اللغة بالمنطق العام. كما نرى أن الرمانى عرف بمنطقه الخاص به. أما أبو علي الفارسي فقد اشتهر بقوله "إنه قد يخطئ في خمسين مسألة من الرواية ولا يخطئ في واحدة من القياس".<sup>(2)</sup> وبلغت هذه الحركة أوجها عند تلميذه ابن جني مبدع فلسفة اللغة والنحو.

غير أن هذه الحركة امتدت حتى وصلت إلى أبي البركات الأنباري الذي قدم الصورة النهائية للفكر النحوي المؤسس على منهج متكلمي أصول الفقه الإسلامي.

(1) راجع الإمتاع والمؤانسة.

(2) ابن جيني، الخصائص 2 ص 88.

## ١. أبو إسحاق الزجاج :

نبدأ الحديث في هذا العهد عن أستاذ الجماعة أبي إسحاق ابراهيم بن سهل الزجاج الذي مثل دوراً يشبه إلى حد ما ذلك الدور الذي قام به الأخفش في عهده، فكلاهما كان بصرياً في تفكيره وتكوينه، وكلاهما اطلع على آراء علماء الكوفة، وأثر فيها وتأثر بها. وأوسمهم كل منهما في خلق اتجاه جديد، عرف فيما بعد بالمدرسة البغدادية، واهتم كل منهما بالتأليف في معاني القرآن الكريم وإعرابه.

كانت حياة الزجاج أكثر استقراراً من حياة الأخفش لأنه وجد في المبرد ما يحتاجه من علم، ومن الوزير أبي سليمان ما يحتاجه من مال، فاستقام في منهجه المعرفي، واطمأن في عيشه المادي، فاتسعت أفكاره بالروية والهدوء.

لم يحد الزجاج عن بصريته المذهبية، يقر بالإمامية لسيبوبيه، ويقول إنه لم ير له غلطاً إلا في موضوعين اثنين<sup>(١)</sup> : أحدهما قوله إن "أيا" تعرب إذا كانت مفردة، وتبني إذا كانت مضافة، فلم يستسغ هذا الرأي من الناحية العقلية. ويقر الزجاج أيضاً بالمشيخة لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ولم يحاول "التمرد" عليه إلا مرة واحدة، لما سأله المبرد عن معنى قوله تعالى : ﴿وَدُّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرَوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ (البقرة - الآية ١٠٩) انقطع الزجاج ورجع إلى الحق، واعترف أنه مازال محتاجاً لمزيد من علم ابن يزيد<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز مظاهر تأثير المبرد على الزجاج، موقفه من القراءات القرآنية. فلقد رأينا أن المبرد لا يتحرج من انتقاد القراء، والتشكيك في بعض القراءات السبع. وقد يتadar للباحث أول وهلة أن الزجاج لم يتابعه في هذا الطريق، لأنه يقول إن القراءة سنة لا تجوز مخالفتها، ولقد كرر هذا الرأي وأكده في أكثر من موضع<sup>(٣)</sup>.

ولقد ألف الزجاج كتاب "معاني القرآن وإعرابه"، أورد فيه جل آرائه النحوية واللغوية، ويرى أنه أراد في بدء أمره أن يعتمد فيه على أبي عبيدة والفراء، إلا أن الإمام أحمد بن حنبل نصح له بالعدول عن طريقهما وبما أنه لم يمكنه أن يتخلص من التأثر بهما، فإنه بذلك جهداً كبيراً في معارضته نهجهما والرد عليهما وبالخصوص في احترامه لسنية القراءة، فتنقض آراء الفراء في كل ما يتعلق بجواز القراءة بحرف غير مروي عن الصحابة أو التابعين أو مخالف لرسم المصحف الشريف<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع رأيه في أعمال الفعل قبل واو المعية، انظر ص 91.

(٢) الإنباه، ج ١ ص 199.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، ج ١ ص 290، ج ١ ص 45، ج ٢ ص 214.

(٤) معاني القرآن وإعرابه، ج ٢ ص 411.

ولقد يستشف تأثره بأبي عبيدة عن طريق متابعته للأخفش في كثير من آرائه في معاني القرآن : ولقد سبق أن أشرنا إلى القرابة القوية بين معاني القرآن للأخفش ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومن أمثلة متابعة الزجاج لأبي الحسن قوله بزيادة "لا" في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا إِذَا جَاءَتْ لَيْوَمَنُونَ﴾<sup>(١)</sup> (الأنعام - الآية ١١٠) وزيادة "ما" في قوله تعالى : ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾<sup>(٢)</sup> (البقرة - الآية ٢٥) ومنها أيضاً مراعاة المعنى واللفظ في التذكير والتأنيث في الآية التي يقول فيها عز وجل : ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ كُنْدَنَ لَهُ وَرْسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾<sup>(٣)</sup> (الأحزاب - الآية ١٣١) مستدلا بذلك على صحة قول سيبويه "حاشا حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى، وفيها معنى الاستثناء، وهي من المسائل التي ناقش الزجاج فيها ثعلباً في انتصاره لسيبويه<sup>(٤)</sup>، كما تأثر برأيه في فواتح السور<sup>(٥)</sup>.

غير أن سياق هذا القول يتوجه إلى مخالفته نهج الفراء أكثر مما هو مخالف لرأي المبرد، الذي رأينا أنه لا يقبل كل القراءات. فالزجاج مثله قال إنه لا يرى وجهاً لهمز "معايش" المنسوب إلى الإمام نافع<sup>(٦)</sup>، كما اعترض أيضاً على الإمام نافع في قراءة محيياني بإسكان الياء دون أن ينسبها إليه<sup>(٧)</sup>. وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ (النساء - الآية ١) إن القراءة الجيدة بالنصب، وإن الجر خطأ في العربية ولا يجوز إلا في ضرورات الشعر<sup>(٨)</sup>، وأنكر الاستدلال بقراءات مروية عن الحسن البصري، مثل نصب أظهر في قوله جل وعلا : ﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لِكُمْ﴾<sup>(٩)</sup> (هود - الآية ٧٧) وقال عنه إنه قرأ "الشياطون" وهذه مخالفته لرسم المصحف وإنها غلط عند النحوين، ولو كان يجوز في النحو، والمصحف على خلافه لم تجز عندي القراءة به<sup>(١٠)</sup>. كما أنكر أيضاً تسكينه للشين من ﴿حَاشِي لَهُ﴾ (يوسف - الآية ٥١) في سورة يوسف<sup>(١١)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه، ج ٢ ص ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ١ ص ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣١١.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦.

(٨) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٦٨.

(٩) المصدر نفسه، ج ٤ ص ١٠٣.

(١٠) المصدر نفسه، ج ٣ ص ١١٥.

فدفعه عن القراءات يعني به مناقضة المنهج الذي اتبعه الفراء في معانيه، حيث يذكر الفراء عدة أوجه في إعراب الكلمة وفي بنيتها وكأنه يجيز القراءة بها. وهنا يقف الزجاج ضد هذا الاتجاه قائلاً إنه لابد من احترام الرسم وموافقة الوجه الجيد في اللغة، فرضي قراءة ﴿من يورتدى﴾ (البقرة - الآية 217) و(المائدة - الآية 5) بالإدغام إجماعاً في سورة البقرة<sup>(1)</sup> وبغير الإدغام في المائدة<sup>(2)</sup> لغير أهل المدينة من القراء لأنها كتبت فيسائر المصاحف نون إدغام في البقرة، وبالإدغام في المصحف المدني في المائدة. ومن مخالفته لمنهج الفراء أنه حين يذكر الأوجه المحتملة في الإعراب يحذر من القراءة بها إذا لم تكن مسندة للقراءة. فيقول مثلاً في إعراب سورة الفاتحة "الحمد" لا يقرأ إلا بالرفع، وقد روي عن قوم من العرب : الحمد بالفتح وبالكسر وهي لغة من لا يلتفت إليه، ويزيد قائلاً إنما شاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذر الناس من أن يستعملوه أو يظن جاهل أنه جائز في كتاب الله عز وجل أو في كلام ولم يأت لهذا نظير من كلام العرب ولا وجه له<sup>(3)</sup>.

وأشهر قصصه في الانتصار لسيبوبيه، ما جرى بينه وبين ثعلب وأبي موسى الحامض من منافرة، ومن أسبابها ما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء أن الحامض قال مرة إن صاحبكم لكن يعني سيبوبيه ثم قال راوياً عن الفراء : "قال دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه يذكرونها بالحفظ والدرابة وحسن الفطنة، فأتيته فإذا هو أعمج لا يفصح، سمعته يقول بخارية له "هات ذيك الماء من ذاك الجرة" ، فخرجت من عنده ولم أعد إليه" ، وأشار قول الحامض حفيظة الزجاج فقال له "هذا لا يصح عن الفراء وأنت غير مأمون في هذه الحكاية؛ فكيف تقول هذا لمن يقول في أول كتابه "هذا باب علم ما الكلم في العربية" وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء فضلاً عن النطق به.

فقال ثعلب قد وجدت في كتابه نحواً من هذا، قلت ما هو ؟ قال، يقول في كتابه في غير نسخة "حاشا حرف يخوض ما بعده كما تخوض حتى، وفيها معنى الاستثناء" فقلت له : هذا كذا في كتابه وهو صحيح ذهب في التذكير إلى الحرف وفي التأنيث إلى الكلمة. قال ثعلب الأجدد أن يحمل الكلام على وجه واحد، قلت : كل جيد. قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لَهُ وَرْسَلُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ (الأحزاب - الآية 13)، وقال عز وجل : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكُ﴾ (يونس - الآية 42)، ذهب إلى المعنى ثم قال : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكُ﴾ (يونس - الآية 43) ذهب إلى اللفظ. ثم قال الزجاج لثعلب "هذا أنت عملت كتاب الفصيح للمبتدئ المتعلم وهو عشرون ورقة أخطأت في عشرة

(1) معاني القرآن وإعرابه ج 1 ص 290.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 182.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 45.

مواضع" ، ثم سرد المسائل العشر التي ذكرناها في معرض الكلام عن ثعلب، وأوردنا رد ابن خالويه على الزجاج ودفاعه عن ثعلب<sup>(1)</sup> .

ولقد رأينا أن أحمد بن يحيى ثعلب، كان يقول إن البصريين لا يعرفون "التقريب" وهو عنده استعمال "هذا" بمنزلة "كان" وكان الزجاج يرد عليه في المقارنة بين العماد والتقريب. فيقول في إعراب ﴿وهذا بعلى شيء﴾ (هود - الآية 71)، "القراءة النصب، وكذلك هي في المصحف المجمع عليه وهو منصوب على الحال، والحال ها هنا نصبها من لطيف النحو وغامضه. وذلك أنك إذا قلت هذا زيد قائماً فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيداً أنه زيد، لم يجز أن تقول هذا زيد قائماً لأنك يكون زيداً ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد. وإنما تقول ذاك للذى يعرف زيداً، هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبئي والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه وأشار لك إلى زيد حال قيامه، لأن "هذا" إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجه كما ذكرنا ويجوز الرفع"<sup>(2)</sup> .

وفي إعرابه لقوله تعالى : ﴿هن أظهر لكم﴾ (هود - الآية 77)، قال "القراءة بالرفع في أظهر وقد رويت عن الحسن هن أظهر لكم، وعن عيسى بن عمر، وذكر سيبويه أن ابن مروان لحن في هذه في نصبها. وليس يجوز أحد من البصريين وأصحابهم نصب أظهر، ويجزئها غيرهم، والذين يجزئونها يجعلون "هن" في هذا بمنزلتها في "كان" فإذا قالوا هؤلاء بناتي أظهر لكم أجازوا هن أظهر لكم، كما يجزئون كان زيد هو أظهر من عمرو. و"هذا" ليس بمنزلة "كان"؛ إنما يجوز أن يقع "هو" وتشبيتها وجمعها عماداً فيما لا يتم الكلام إلا به نحو كان زيداً أخاك لأنهم إنما إدخلوا "هم" ليعلموا أن الخبر لابد منه، وأنه ليس بصفة للأول. وباب "هذا" يتم الكلام بخبره. إذا قلت هذا زيد فهو كلام تمام<sup>(3)</sup> .

وخطأ الفراء في قوله، في تفسير قوله تعالى : ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ (النحل - الآية 92) فقال وزعم الفراء أن موضع "أربى" نصب، و"هي" عماد، وهذا خطأ، " فهي" لا تدخل عماداً ولا فصلاً مع التكزات، وشبهه بقوله ﴿تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرًا﴾ (المزمول - الآية 20)<sup>(4)</sup> وما أنكر الزجاج على الكسائي، إمام الكوفيين أن "أشياء" جاءت على وزن "أفعال" لأنه لا وجہ لمنع صرفها في هذه الحالة<sup>(5)</sup> .

(1) معجم الأدباء، ج 1 ص 55-58.

(2) معاني القرآن وإعرابه، ج 3 ص 63-64.

(3) المصدر نفسه، ج 3 ص 67-68.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 218.

(5) المصدر نفسه، ج 2 ص 212.

واستعظم قول الكسائي والفراء أن ﴿الصابئون﴾ (المائدة - الآية 71) في آية المائدة عطفت على خبر "إن" لضعف عملها. ورجم قول الخليل أنه محمول على مثل قول الشاعر :

وإلا فاعلموا : أنا وأنتم بغاة ما يقيينا في شِقَاقٍ<sup>(1)</sup>

وامتد اعتراضه في هذا الصدد إلى الكسائي، المعروف أنه من القراء السبعة، فقال ذكر الفراء أن الكسائي سمع بعض أهل العالية يقول ما تصورني فلو قرئت على هذا لا يضركم "جاز". ويعقب الزجاج على هذا بقوله : هذا غير جائز ولا يقرأ حرف من كتاب الله مخالف فيه الإجماع على قول رجل من أهل العالية<sup>(2)</sup>. فنلاحظ من هذا تسkeh بأركان القراءة الثلاثة التي نظمها ابن الجزري والتي تقدم الحديث عنها. كما أنكر قراءة "شياطون" لمخالفة المصحف، و "تضوري" لمخالفة الوجه التحوي، ورفع "الحق" في قوله تعالى : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَق﴾ (الأفال . الآية 32) لأنَّه لم يرو عن القراء<sup>(3)</sup>.

وانتمازه للمذهب البصري، واعترافه للمبرد بالاستاذية لم يمنعه من إبداء آراء اجتهادية، بعضها يعرضه على شيخه المبرد وبعضاً يخالفه فيها ضمناً أو صراحة. ففي كلامه عن قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَانَ لساحِرَان﴾ (طه . الآية 62) استعرض القراءات كما هي عادته وذكر الأقوال فيها وبينَ أوجهها، ثم قال إنه عرض رأيه فيه على عالمين، وهو يعني محمد بن يزيد المبرد والقاضي إسماعيل وقبله. وكان قوله فيها أن "إن" هنا يعني نعم وأن اللام وقعت موقعها، والمعنى "هذان لهما ساحران" ثم ذكر أن القول الثاني الذي يلي هذا في الجودة هو مذهببني كنانة في ترك الألف على حالته أي في الجرس والنصب. وهذه "من مسائل الإغفال" التي نقدتها الفارسي عليه، بحججة أن في قوله حذفاً وتأكيداً وهما لا يجتمعان<sup>(4)</sup>.

ولقد اتبع الزجاج نهجاً جديداً يتمثل في أسلوب الدفاع عن مذهب البصري مستدلاً بالحجج العقلية للنظريات اللغوية من أمثلة ذلك قوله إنه لو كان الفعل أصلاً للمصدر لصار لكل مصدر فعل، ونحن نجد، حسب قوله، كثيراً من المصادر بلا أفعال مثل الرجلة والأخوة والبنوة والأمومة. وبهذا يدافع عن قول سيبويه إن الأفعالأخذت من الأحداث، أي من المصادر<sup>(5)</sup>.

(1) معاني القرآن وإعرابه، ج 2 ص 192.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 465.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 471.

(4) المصدر نفسه، ج 3 ص 363.

(5) الرجاجي الإيضاح، ص 58.

وآراؤه التي لم يتابع فيها جمهور البصريين تكاد تكون معدودة منها قوله أن "أَمِنْ"  
 حرف<sup>(1)</sup> وإن "إِذَا" الفجائية ظرف زمان، بينما يرى أستاذ المبرد أنها ظرف مكان<sup>(2)</sup>، وكان  
 لا يمنع تقدم أداة الاستثناء مستدلاً بقول الشاعر :

خَلَا اللَّهُ لَا يَغْيِي سَوَاكَ وَإِنَّمَا أَعْدُ عِبَالِي شَعْبَةً مِنْ عِبَالِكَ<sup>(3)</sup>

ومنها كذلك أن الضمير من هو وهي، الهاء فقط نظراً لورودها في "هم" و"هن"

واشتهد بقول الراجز :

دَارُ سَعْدِي، إِذْ مِنْ هَوَاكَ<sup>(4)</sup>

ومن تعليقاته المطافية، رأيه في رفع الفاعل ونصب المفعول، إذ يرى أولاً أن  
 اختلاف الإعراب جاء لبيان الفرق بينهما. وبما أن الفاعل واحد فقد اختص بالرفع لشلل  
 علامته وهي الضمة، ولما تعددت المفعولات نصبت لخفة علامة النصب التي هي الفتح<sup>(5)</sup>.

كما علل بناء "الآن" بتضمنها معنى الإشارة كأن معناها هذا "الوقت"، ويرى المبرد  
 أنها بنيت لاقترانها دوماً بأداة التعريف ويرى عنده اعتقاده أن الزيديين، والزيديين، مبنية  
 لتضمنها معنى الحرف المؤذن بالعاطف وفيه تكفل وبعد.

كل هذه المسائل التي استعرضنا ليست سوى أحكام جزئية، لا تكفي لتمييز أبا  
 اسحق الزجاج عن سائر معاصريه من النحاة. غير أن الذي يمتاز به هذا المفكر النحوي، هو  
 تطويره لنظريتين اثنتين : إحداهما تتعلق بتأثير عامل المعنى في الإعراب. فالزجاج يقول  
 مثلاً : إن علة جزم "لم" للمضارع، أنها ردته إلى الماضي، وإن كل حرف لزم الفعل وأحدث  
 فيه معنى فله قسط من الإعراب. وقد خالفه الفارسي في "مسائل الإغفال" وحاول نقض  
 قاعدته قائلاً : إن "إن" تجزم الفعل دون إرجاعه إلى الماضي، وإن "سوف" لها أثر في معنى  
 الفعل ولا عمل لها في الإعراب. غير أن رأي الزجاج كان أكثر دقة، لأن "إن" أحدثت في  
 المضارع معنى الشرط وإن "سوف" أثرت في معنى المضارع المخصوص أصلاً للاستقبال  
 المجرد، وبما أن الزجاج يقول "إن اللحظة الحالية التي ننطق فيها بكلمة "يكتب" بمجرد أن  
 ننطق بها تصبح ماضية". ودخول سوف يؤكد استمرار الاستقبال واستمرار الإعراب<sup>(6)</sup>.

(1) المغني، ص 136.

(2) المغني، ص 120.

(3) الهمج، ج 1 ص 226.

(4) الهمج، ج 1 ص 61.

(5) الخصائص، ج 1 ص 49.

(6) الهمج، ج 1 ص 7.

والنظيرية الثانية تتناول مسألة الاشتقاد، التي كان أول من وضعها هو الخليل بن أحمد، لكن الزجاج توسع فيها حتى نسب إليه أن اللغة كلها اشتقاد. واشتهر نقد يحيى ابن علي المنجم له الذي سخر من مقولته فيها، بعبارات معروفة، مثل تسمية الجبل بالجرير لأنه يجر على الأرض، وينقض هذا النوع من الاشتقاد بالجرة، التي تنكسر إذا ما جرت. وفي هذا تشويه لنظيرية الزجاج التي دافع عنها أبو القاسم الزجاجي واستثمرها أبو الفتح ابن جني في الخصائص، في كلامه عن الاشتقاد الأكبر، وعن "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" ومجملها أن كل لفظتين اتفقنا في أكثر الحروف لابد أن تكون إحداهما مشتقة من الأخرى، فسلسل، مشتقة من سلة، وررق من رق، وفي تعبيره هذا حدس تبني عليه فرضية العلاقة بين المعاني والألفاظ<sup>(1)</sup>.

## 2. أبو بكر ابن السراج :

لقد لخص مؤرخوا النحو دور أبي بكر محمد بن السري بن سهل بن السراج في هذه المرحلة بقولهم : "إن النحو كان مجذونا حتى عقله ابن السراج"<sup>(2)</sup>. وسنحاول أن نتبين ماذا يعنون بهذا "الجنون" وما هي الرقى التي استخدمها ابن السراج حتى يشوب النحو إلى رشده.

إن المؤلفات النحوية التي كتبت قبل هذا العالم كانت على أربعة أنواع منها ما هو شامل للمعارف النحوية مثل كتاب سيبويه غير أنها يتسم به من تعقيد جعل الاستفادة منه في منتهى الصعوبة على الطلبة والدارسين.

ومنها ما هو مقتصر على بعض الجوانب مثل تصريف المازني.

والنوع الثالث نجد فيه مسائل النحو متفرقة، بدون تنظيم أو ترتيب وذلك في كتب معاني القرآن ومجازه وإعرابه، في مصنفات أبي عبيدة والأخفش، والفراء، والزجاج.

والنوع الرابع، مسائل نحوية متفرقة في كتب الأمالي والمجالس مثل كتاب مجالس ثعلب وكامل البرد.

وإن أول مؤلف حاول كاته أن يجمع فيه بين الشمول والسهولة وحسن التنظيم هو كتاب "المقتضب" للمبرد. فلماذا لم يقل المؤرخون إن المبرد هو الذي عقل النحو ؟ وليس من شك أن "المقتضب" مثل محاولة جادة في الجمع بين الشمولية والوضوح. غير أنه لم

(1) معجم الأدباء، ج 1 ص 59.

(2) المصدر نفسه، ج 6 ص 2535.

يراع ترتيباً منهجياً، بل بقي في أبوابه كثير من التداخل مثل ما هو في كتاب سيبويه. فالذى امتاز به ابن السراج أنه جمع في أصوله عرضاً شاملأً للمسائل النحوية مع تنظيم منطقي وترتيب منهجي، فوضع النسق الذى سار عليه النحويون من بعده، وفي استعراض بعض أبواب الأصول نلمس جهده في هذا المجال، ونأخذ مثالين لذلك وهما الموضع التي لا يجوز فيها التقديم وباب الضرورات في الشعر :

**المثال الأول :** يقول ابن السراج يعن التقديم في ثلاثة عشر موضعاً، وهي :

1. الصلة على الموصول.
2. المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلا ما جاء منه على شريطة التفسير.
3. الصفة وما اتصل بها على الموصوف وجميع توابع الأسماء.
4. المضاف إليه وما اتصل به على المضاف.
5. ما عمل فيه حرف أو اتصل به لا يقدم على الحرف وما شابهه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع، فلا يقدم مرفوعها على منصوبها.
6. الفاعل لا يقدم على الفعل.
7. الأفعال التي لا تنصرف لا يقدم عليها ما بعدها.
8. الصفات المشبهة بأسماء الفاعلين، والصفات التي لا تشبه أسماء الفاعلين لا يقدم عليها ما عملت فيه.
9. الحروف التي لها صدر الكلام لا يقدم ما بعدها على ما قبلها.
10. ما عمل فيه معنى الفعل فلا يقدم المتصوب عليه.
11. ولا يقدم التمييز وما بعد "إلا".
12. حروف الاستثناء لا تعمل فيما قبلها.
13. العامل لا يقدم منصوبه على مرفوعه، ولا يفرق بين العامل والمعمول فيه بشيء لم يعمل فيه العامل إلا الاعتراضات.

**المثال الثاني :** وهو باب الضرورة في الشعر الذي ختم به كتاب الأصول.

يقول ابن السراج : ضرورة الشاعر أن يضطر الوزن إلى حذف أو زيادة، أو تقديم أو تأخير في غير موضعه، وإبدال حرف، أو تغيير إعراب عن وجهه على التأويل ، أو تأثير مذكر على التأويل. وليس للشاعر أن يحذف ما اتفق له ولا أن يزيد ما شاء، بل لذلك أصول ي العمل عليها، فمنها ما يحسن أن يستعمل، ويقاس عليه ومنها ما جاء كالشاذ

ولكن الشاعر إذا فعل ذلك فلابد أن يكون قد ضارع شيئاً بشيء ولكن التشبيه يختلف  
فمنه قريب ومنه بعيد<sup>(1)</sup>.

ثم بين ابن السراج الضرورات الجائزة وقال إن أحسنها ما رد فيه الكلام إلى أصله،  
ومثل له بستة أمثلة :

**أولاً** : صرف ملا ينصرف : إذ أن أصل الأسماء الصرف وأعطي مثلا في قول  
النابغة :

فَلَتَانِيْنِكَ قَصَانِدَ وَلِيرْكَبْنَ جِيشُ إِلِيكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَارِ

ثم ذكر منع ترك صرف ما ينصرف، وتتابع المبرد الذي قال إنه خطأ عظيم ورد  
الحجج التي أدلى بها من يجوز ذلك، وهي قول العباس بن مردارس :

أَتَجْعَلُ تَهْبِي وَتَهْبِي الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَتِهِ وَالْأَقْرَعِ

ومَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفْوَقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وقال إن الرواية الصحيحة "يفوقان شيخني". ومنها :

وَمِنْ وَلَدِوا عَامِرُ ذُو الطُّولِ ذُو الْعَرْضِ

فقال : إن "عامر" هنا اسم قبيلة، فيحتاجون بقوله "ذو الطول" ولم يقل ذات  
فإما رده للضرورة إلى الحي كما قيل :

قامت تُبَكِّيَهُ عَلَى قَبِيرَهُ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْمَةً قَدْ ذَلَّ مِنْ لِيسَ لِهِ نَاصِرٌ

فإما أراد للضرورة إنساناً ذا غرمة.

ثم أورد ما قال المبرد في بيت ابن قيس الرقيات الذي يقول فيه :

وَمُصْعَبُ حِينَ جَدَ الْأَمْرُ أَكْثَرُهَا وَأَطْبَهَا

فقال إن الأصمعي زعم أن ابن قيس الرقيات ليس بحجة لأن الحضرية

أفسدت عليه لغته وأن الصواب ما أنشده بعضهم :

وَأَنْتُمْ حِينَ جَدَ الْأَمْرُ أَكْثَرُهَا وَأَطْبَهَا

وقال إنه من الزلل قول ذي الرمة :

وَقَفَنَا فَقَلَنَا إِيَّهُ عَنْ أَمَّ سَالِمٍ

(1) الأصول في النحو : 435/3

وهذا لا يعرف إلا منوناً في شيء من اللغات.

ثانياً : إظهار التضييف وقال إنه زيادة حركة إلا أنها حركة مقدرة في الأصل.  
نحو قول الشاعر :

مهلاً أعاذل قد جربت من حُلقي      أني لأجود أقوام وإن ضئلاً  
ومثله : الحمد لله العلي الأجلل.

ثالثاً : تصحيح المعتل مثل قول ابن قيس الرقيات :  
لأبارك الله في الغوانى هل      يُصِّبِّحُنَّ إِلَّا لَهُنْ مُطْلَب  
وقول جرير :

في يوماً يجازين الهوى غير ماضٍ      ويوماً ترى منهم غولاً تَغُول  
وقول بعضهم :

ألم ياتيكَ والأنباءُ تُنمي      بما لاقت لبونَ بني زيد

رابعاً : قطع ألف الوصل في أنصاف البيوت لتقدير الوقف على الصدور،  
مثل قول لبيد :

ولا يبادر في الشتا ، ولیدنا      أقدر ينزلها بغير جمال  
وقول الشاعر :

لا نسب اليوم ولا خلة      إتسع الخرق على الراقع

خامساً : قصر المدود لأن المد زيادة، فإذا اضطر الشاعر فقصر فقد رد الكلام  
إلى أصله وليس له أن يمد المقصور كما لم يكن له أن لا يصرف ما ينصرف.

سادساً : تحريف المشدد في القوافي، لأن الذي يبقى يدل على أنه قد حذف منه  
مثله، لأن كل حرف مشدد فهو حرفان. فمن ذلك قول طرفة :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر      ومن الحب جنون مستعر

وهكذا أجاز ابن السراج لكل شاعر ستة استعمالات ومنع عليه ستة وهي :

#### 1. الزيادة ولها أربعة صور :

أ) إشباع الحركة حتى تصير حرفًا :

كزيادة الياء في الجمع، مثل قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة      نفي الدراديم تنقاد الصياريف

ب) تضييف الحرف الأخير من القافية مراعاة للوقف مثل :  
كأن مهواها على الكلكل موضع كفي راهب يصلي

ومثله :

ضخم يحب الخلق الأضخم

ج) إدخال نون التوكيد على فعل ليس للطلب، وسماه ابن السراج الفعل  
"الواجب" مثل قول جذية الأبرش :

ريما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شماليات

د) إثبات الألف في "أنا" في الوصل، مثل قول الأعشى :

فكيف أنا وانتحالى القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا

## 2. المدح وله ست صور وهي :

أ) حذف التنوين لالتقاء الساكين :

نحو قول أبي الأسود الدؤلي :

فالفيته غير مستعبد ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وأصبح منه حذف النون مثل قول قيس بن عمرو النجاشي :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك استقني إن كان ماؤك ذا فضل

ب) أن يحذف للإضافة والألف واللام ما يحذف للتنوين مثل قول خفاف بن  
نسبة السلمي :

كنساح ريش حامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الإثم

فحذف اليماء من "تواحي" للإضافة كحذفها في التنوين، وحذفها للتعریف  
نحو قول الشاعر :

وآخر "الغوان" متى يشا يصرمنه ويصرن أعداء بعيد وداد

ج) المرخ دون نداء مثل قول زهير :

خذوا حظكم يا آل عِكرم واذكروا أو اصركم والرحم بالغيب تذكر

ويقول ابن حبنا :

إن ابن حارث إن أشتقت لرؤيته أو أمتدحه فإن الناس قد علموا

وقريب منه قول العجاج :

ورَبُّ هَذَا الْبَلْدِ الْمُحْرَمُ      وَالْقَاطِنَاتِ الْبَيْتِ غَيْرِ الرَّيْمِ  
قَوْاْطِنَا مَكَّةُ مِنْ وُرْقَ الْحَمْىٰ  
يَرِيدُ الْحَمَّامُ، فَحَذَفَ الْمِيمُ وَقَلْبَ الْأَلْفِ يَاءً.

د) أن يحذف من الضمير وصلا ما يحذف وفقا، مثل قول مالك ابن خريم :  
فَإِنْ يَكُ غَثَّاً أَوْ سَمِينَاً فَإِنِّي      سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعاً  
وقول الأعشى :

وَمَا لَهُ مِنْ مَجْدٍ تَلِيسِدُ وَلَا لَهُ      مِنْ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا جَنْوَبٌ وَلَا الصَّبَا  
وَقُولُ الْعَجِيرِ السَّلْوَلِي :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ      لَمَنْ جَمْلَ رَخْوَ الْمَلَاطِ نَجِيبٌ  
وقول الشاعر :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَلَى تِبْرَاكَا      دَارُ لَسْعَدِي إِذْهُ مِنْ هَوَاكَا  
وَيَعْصُمُهُمْ يَسْكُنُونَ الْهَاءُ كَقُولُ رَجُلٍ مِنْ أَزْدِ الشَّرَّاءِ :  
فَظَلَّتْ لَدِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَخِيلِهِ      وَمَطْوَايِي مُشْتَاقِهِ لَهُ أَرْقَانِ  
ه) حذف الفاء، من جواب الجزا، مثل قول ذي الرمة :

وَإِنِّي مَتَى أَشْرَفْتُ عَلَى الْجَانِبِ الَّذِي      بِهِ أَنْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِبِ نَاظِرٌ  
وَأَشَارَابن السراج أن سيبويه أجازه أيضاً على تقديم الخبر، أي على تقدير  
وَإِنِّي ناظِرٌ مَتَى أَشْرَفْتُ . أما هو والمبرد فيقولان إنه على إضمار الفاء لا غير  
ومثله قول الشاعر :

يَا أَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعَ      إِنْكَ إِنْ يَصْرِعَ أَخَاكَ تَصْرِعُ  
وقوله :

فَقَلَّتْ تَحْمِلُ قَوْقَ طَرْقَكَ إِنَّهَا      مَطْبَعَةُ مِنْ يَاتِهَا لَا يَضِيرُهَا  
فَهَذَا عِنْدَ سِيبُويهِ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَعِنْدَ أَبِي الْعَبَاسِ وَابْنِ السَّرَاجِ عَلَى  
إِضْمَارِ الْفَاءِ . وَأَمَّا قُولُ الشَّاعِرِ :  
وَالْشَّرُّ بِالْشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مُثْلَانِ      مَنْ يَفْعُلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا  
فَهُوَ عَلَى إِضْمَارِ الْفَاءِ عِنْدَ الْجَمِيعِ.

ز) ما حذف منه المنعوت وذكر النعت، وهو عنده قبيح إلا أن يكون خاصاً كالعقل الذي لا يكون إلا في الناس. ومن قبيح ما استعمل ضرورة قول الشاعر :

من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلاً بالسود عندي

### 3. وضع الكلام في غير موضعه وتغيير نضده :

ومنه قول الشاعر :

ترى الشور فيها مدخل الظلِّ رأسِه وسائره باد إلى الشمس أكتَّع أي مدخل رأسه في الظل، ونحو : يا سارق الليلةَ أهل الدار. وهذا يجوز مع أمن اللبس كما في المثاليين، وأما الذي يبعد كقول الأخطل : مثل القنافذ هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوآتهم هجرُ

### 4. إبدال حرف اللين من حرف صحيح : نحو

لها أشارير من لحم تتمره من التعالي ووخر من أرانيها وهو يعني الشعال والأرانب، ومثله قول أعرص بن سعد بن قيس عيلان، أو المستوغر بن ربيعة :

إذا ما المرء صم فلم يكلم ولاعب بالعشبيبني بنبيه بلاعبيهم وودوا لوسقوه فأبعده الإله ولا يؤتني ولا يعطي من المرض الشفابيا

### 5. تغيير وجه الإعراب للقافية :

ومنه إدخال الفاء في جواب الواجب ونصب ما بعدها، لأن النصب لا يجوز إلا بعد الطلب، وجاء في الضرورة قوله :

سأترك منزلي لبني تميم فألحق بالحجاز فأستريحها  
وقول طرفة :

لنا هضبة لا يدخل الذل وسطها ويأوي إليها المستجير فيعصما

ومن هذا الباب قوله :

قد سالم الحيات منه القدمَ  
الأفعوان والشجاع الشجاعما  
وذات قرنين ضموزا ضرزا

لأنه لما قال : سالم الحيات منه القدم ، نصب الأفعوان لأن القدم سالمها .  
كقولنا : ضربَ زيدَ عبدَ الله ، لأنَّه لما قيلَ ضربَ زيدَ علِمَ أَنَّه ضارِبٌ ، فكأنَّا  
قلتُ : ضربَه عبدَ الله ، وعلى هذا ينشدُ :

ليُبُكْ يزيدُ ضارع لخصومةٍ ومحظطٍ ما تطبع الطوائِح

#### 6. تأثيث المذكر على التأويل :

كقول عمر بن أبي ربيعة :

وكان مجنِّي دون ما كنت أتقي

وقول جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سورة المدينة والجبالُ الخشُّع<sup>(1)</sup>

ويظهر الترتيب والتنظيم في هذا الباب مع مقارنته بما أورد سيبويه مجملًا في  
"باب ما يتحمل الشعر" حين قال : اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام ، من  
صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يحذف وأعطي أمثلة من الشواهد التي أوردها ابن  
السراج ، ويزيد سيبويه قائلاً : "وربما مدوا مساجد ومنابر" واستشهد بقول الفرزدق : تنفي  
يدها الحصى ... إلخ<sup>(2)</sup>.

ويقول : "وقد يبلغون بالمعتل الأصل فيقولون راد في راد ، وضنوا في ضنوا ،  
وذكر قول الشاعر : مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي . البيت<sup>(3)</sup> .

ومن العرب من يشق الكلمة في الوقف ، وقال رؤبة : ضخم يحب الخلق  
الأضخم<sup>(4)</sup> .

ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص  
فمن ذلك قوله :

(1) الأصول في النحو : 450/3-477.

(2) كتاب سيبويه : 1/26-28.

(3) كتاب سيبويه : 1/29.

(4) كتاب سيبويه : 1/29.

صددت فأطولت الصدود وقلما  
وصال على طول الصدود يدوم  
 وإنما الكلام وقل ما يدوم وصال<sup>(1)</sup>

وجعلوا ما لا يجري في الكلام إلا ظرفاً بمنزلة غيره من الأسماء وذلك قول المار بن  
سلامة العجي :

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم      إذا جلسوا منا ولا من سواننا  
وقال خطاب الماجاشعي :

وصاليات ككما يؤثرين<sup>(2)</sup>

وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهها، وما يجوز في الشعر أكثر من  
أن ذكره لك هنا لأن هذا موضع حمل وسنبين ذلك فيما نستقبل إن شاء الله<sup>(3)</sup>.

أما المبرد فقد نقل هذه الأحكام في أبواب مختلفة ففي باب ما بني من الأفعال  
اسمًا على فعل، أو فعل أو فعل أو فعل، وما أشبه ذلك ذكر أن الشاعر إذا اضطر برد  
الباب إلى أصله، مثل رد في موضع رد، نحو : الأجلل وضنوا، وذكر صرف ما لا  
ينصرف. وأعرب بالرفع والخفض ياء المنقوص، وذكر الشواهد التي أوردها ابن السراج<sup>(4)</sup>.

فهذه المقارنة، أوضحت لنا كيف أسهم ابن السراج في تطوير المدرسة البصرية التي  
أعاد تنظيم قواعدها في نسق منهجي، إذ سلم كتابه من التداخل والتعقيد، ورتبه على  
أسس المعمولات، فبدأ بالمرفووعات، ثم المنصوبات ثم المجرورات، ثم التوابع، وبعدها  
استعرض التوابع، ونواصي الأفعال وجوائزها، وزاد باباً مستقلًا في التقديم والتأخير.  
وانتهى بمسائل الصرف. وقد اعتمد في أصولها على مقتضب المبرد وعلى "الكتاب" الذي  
درسه بعناية خاصة وله عليه شرح لم يكن معروفاً. ومن ميزات ملاحظته على الكتاب  
التثبت من نصوصه فكانت عنده نسخة للمبرد وأخرى لشعلب، فاستطاع أن يقوم بعملية  
التحقيق والتصحيح، ويدرك المؤرخون له كتاباً في علل النحو ولعل الزجاجي قد أفاد منه.  
وانتماء ابن السراج إلى المدرسة البصرية لم يحل بينه وبين اجتهادات وأراء خاصة،  
وحربة الاختيار، إذ رأينا أنه يقف في بعض القضايا مع المبرد مخالفًا لسيبوه، أما آراؤه

(1) كتاب سيبوه : 31/1

(2) كتاب سيبوه : 31-32/1

(3) كتاب سيبوه : 32/1

(4) المقتضب : 141-142. المغني : 387

الاجتهادية فمنها : أن لما تأتي ظرفاً يُعنى حين<sup>(1)</sup> وإن "إما" ليست حرف عطف<sup>(2)</sup> وأن ليس ليست فعلاً<sup>(3)</sup> ، وأن اسم الإشارة هو أعرف المعارف<sup>(4)</sup> ، كما يستحسن صيغة "مررت ب الرجل حسان قومه" لأن جمع التكسير يعرب كالمفرد<sup>(5)</sup> .

ومن أطرف تعلياته، قوله إن صيغة التعجب فعل لأنك تقول "ما أحسنتني" ولو كان اسمًا لكان مثل ضاري، إلا ترى أنك لا تقول "ضاربني"<sup>(6)</sup> وأن "مع" اسم بدليل أنها متحركة ولو كانت حرفًا لما جاز أن تحرك العين<sup>(7)</sup> .

### 3. أبو القاسم الزجاجي :

يقول أبو علي الفارسي "لو رأنا الزجاجي لاستحينا منا"<sup>(8)</sup>. ويرى المؤرخون أن الغيرة هي التي حملت أبي علي على هذا القول والذي ردده مؤرخوا النحوة من بعده والذي يقتضي تنقيص مفكر نحوي مبدع فإذا كان للفارسي مكانته علماً، وسعة اطلاع، ووفرة إنتاج، فإن مؤلفات الزجاجي التي تتسم بالاختصار والتركيز، ذات قيمة كبيرة في تاريخ النحو لأنها تنم عن مميزات جديدة في تناول المسائل النحوية، فهي ثمرة تفكير أكثر مما تكون جمعاً للمعارف، ولقد أعطى جهده الفكري أول عمل تربوي في النحو وهو كتاب الجمل، وأول عمل منهجي في أصول اللغة وهو كتاب الإيضاح في العلل، وأول بحث مستقل في ضبط وظائف الأدوات النحوية له وهو كتاب معاني المحروف.

#### أ) كتاب الجمل :

وكتاب الجمل هو أول مؤلف مدرسي في متناول المتعلمين، فالكتب التي سبقته كانت في مجلملها موضوعة لذوي الاختصاص لا تكمل الاستفادة منها دون الاستعانة بشيخ متدرس، وقد رأينا أن صعوبة كتاب سيبويه دعت البرد إلى تقريب معانيه في المقتصب، وابن السراج إلى تنظيم مواضيعه، أما الزجاجي في كتاب الجمل فقد اعتمد التقريب والتنظيم والاختصار والوضوح.

(1) المغني : 369.

(2) الأشباه والناظر : 428/2.

(3) الأشباه والناظر : 12/5.

(4) الإنصاف : 708.

(5) الإنصاف : 200/3.

(6) الأصول النحوية : 101/1.

(7) الأصول النحوية : 212/2.

(8) نزهة الأنباء : 227، إنباء الرواة : 160/2.

وهذه الميزات جعلت كتابه يحتل الصدارة طيلة قرون، ويلقى رواجاً كبيراً عند المغاربة بصفة خاصة حتى أن المؤرخين ذكروا له أكثر من مائة شرح، ومن مشاهير شراحه ، ابن العريف الأندلسي<sup>(١)</sup> وأبو العلاء المعري الذي وضع عليه ثلاثة شروح، وابن بابشاذ المصري<sup>(٢)</sup> وابن البادش الغرناطي<sup>(٣)</sup>، وابن خروف، وابن معطبي صاحب الألفية، وابن عصفور، وابن الصانع<sup>(٤)</sup>، وأبو الحسين ابن أبي الربيع، وفي هذا نرى مدى اعتماد كبار العلماء بهذا المصنف، كما أن شواهد استأثرت باهتمام أعلام اللغة التحوية، فقد شرحها

(١) ابن العريف اثنان، أحدهما الحسين، وهو الشاعر صاحب القصة مع أبي العلاء، صاعد الذي ارتجل بين يدي المنصور بن أبي عامر بيتبين في وصف وردة، قال فيها :

أنتك أبا عامر وردة      يحاكي لك المسك أنفاسها

كعذرا، أبصرها مبصر      فخطت بأكمامها رأسها

فادعى الحسين بن العريف أنها من أبيات للعباس بن الأحنف، وارتجل بدوره أبياتاً ضمن فيها بيتي صاعد، وهي :

وقد ملك النوم حراسها      عشت إلى قصر عباسة

وقد صرع السكر أناسها      فالقيتها وهي في خدرها

فقللت أسار على هجمعة      فقالت أسار على هجمعة

يحاكي لك المسك أنفاسها      ومدت إلى وردة كفها

.....  
كعذرا،

في البيت عمل عساسها      فقللت خف الله لا تضحي

وماختت ناسي ولا ناسها      فوليت منها على غفلة

فخلج صاعد قبل أن تكتشف الجليل للحاضرين.

أما آخره الحسن، وهو ابن الوليد بن نصر (ت 367 هـ) فهو الذي صاغ مسألة من مسائل التعمير يبلغ وجوه إعرابها ألفي وجه وسيعمانة ألف واحد وعشرين ألف وجه، وستمائة وجه وهي :

”ضرب الضارب الشاتم القاتل مجبك وادك قاصدك معجبا خالدا في داره يوم عيد“

وقد شرح السيوطي أوجهه في الإشيه والنظر (ج 5 ص 227).

(٢) ابن بابشاذ، وهو أبو الحسن، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ومعنه الفرج والسرور) المصري. كان من أئمة اللغة وال نحو، استخدم في ديوان الرسائل، ومن تصانيفه شرح جمل الزجاجي، واشتهر تعليقه في التحو، سماه تلاميذه تعليق الغرفة، وتناولها بعده محمد بن بركات السعديي، وأبو محمد عبد الله بن بري وأبو الحسين التحوي المنizer بثلط الفيل. (الإثناء ج 2 ص 96 أو 454 هـ).

(٣) ابن البادش، هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي حدث عن القاضي عياض رله شروح على كتاب سيبويه والمقتضب، وأصول ابن السراج والإيضاح والجمل للزجاجي والكافي للتحاس (توفي سنة 528 هـ) (بغية الوعاة ج 2 ص 142).

(٤) ابن الصانع وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الإنطيلي، كان ملازماً للشلوبين متفقاً على أقران، له رد على اعترافات ابن الطراوة على سيبويه والفارسي، ورد على اعترافات البطليوس على الزجاجي، ورد على اختيارات ابن عصفور. وشرح الكتاب والجمل، وتوفي سنة 680 هـ (بغية الوعاة ج 2 ص 204).

ابن سيده وابن السيد البطليوسى في كتاب الحلل، وابن هشام اللخمي<sup>(1)</sup>، والأعلم الشنتمري، وابن هشام الأننصاري.

وها نحن نستعرض أمثلة من آرائه في أحكام "كان" وفي أوجه الصفة المشبهة باسم الفاعل وأحكام مذ ومنذ يقول الزجاجي.

"باب الحروف التي ترفع الاسم وتتنصب الخبر": وهو يعني كان وأخواتها، ويعقب ابن أبي الربيع على هذا العنوان بقوله "ليست بحروف، وإنما هي أفعال" وإنما سماها حروفاً لأحد أمرين، أحدهما "أن يريد بالحروف الكلم فكأنه قال باب الكلم التي ترفع الاسم وتتنصب الخبر ويعبر التحوّيون عن الكلمة بالحرف ويوجّد هذا في كلام سيبويه<sup>(2)</sup>، ولعل ابن أبي الربيع يشير إلى قول سيبويه في قول العرب "ما جاءت حاجتك"، كما قال بعض العرب "من كانت أمك" حيث أوقع "من" على مؤنث، وإنما صير جاء "منزلة كان" في هذا الحرف وحده، لأنّه منزلة المثل. والذي يفهم من كلام سيبويه هنا أنّ الحرف قد يدل على الصيغة لا على الكلمة<sup>(3)</sup> ويزيد ابن أبي الربيع أن في كلام أبي القاسم ما يدل على هذا الوجه. لأنّه قال : باب حروف الخفض، ثم قال الذي يكون به الخفض ثلاث أشياء : حروف، وظروف، وأسماء ليست بحروف ولا ظروف" ، الثاني أن يكون سماها حروفاً لضعفها من أمرين أحدهما أنها لا تستقل بمرفوعها كالأفعال، والثاني أنها لا تزكّد بالمصدر بخلاف غيرها من الأفعال<sup>(4)</sup>.

ويقول الزجاجي : واعلم أن لكان أربعة مواضع تكون ناقصة مثل كان زيد عالماً، وتمامة تكتفي باسم واحد كقوله عز وجل : ﴿وَانْ كَانَ ذُو عَسْرَةٍ فَنِظَرَ إِلَى مِسْرَةٍ﴾، (البقرة - الآية 279).

وقول الربيع بن ضبع :

إذا كان الشتاء فأدفنوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

وتكون زائدة كما قال الفرزدق :

فكيف إذا مرت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

(1) وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخي السجبي قال عنه السيوطي أنه كان قائماً على العربية واللهفة والأداب، ومن تأليفه الفصول، والمجمل في شرح أبيات الجمل (ث 560 أو 577 هـ) بفتحة ج 1 ص 48.

(2) البسيط في شرح جمل الزجاجي : 661.

(3) كتاب سيبويه : 51/1.

(4) البسيط : 663-661.

ويكون اسمها مستترأً فيها بمعنى الأمر والشأن، وتقع بعدها جملة تفسر ذلك  
المضرر قال الشاعر :

إذا مت كان الناس صنفان شامت "وآخر مثن بالذى كنت أفعل"<sup>(١)</sup>

واعتراض ابن السيد على هذا التقسيم فقال : إن الوجه الرابع من باب "كان" الناقصة لأن اسمها مستتر ، وخبرها الجملة المفسرة له .

وقد أجاب ابن أبي الربيع عن هذا الاعتراض، ببيان الفرق بين "كان" الزائدة الملغاة في درج الكلام، وكان التي في صدر الكلام، الدالخة على ضمير الأمر والشأن، والتي ذهب ابن الطراوة إلى أنها ملغاة وهي إن كانت مثل الناقصة، تعتبر حالة خاصة من بابها<sup>(2)</sup>.

ومن أوجه صيغ الصفة المشيئة باسم الفاعل يقول الزجاجي : "الوجه الحادي عشر  
أجزاءه سببوبه وحده وهو قوله : مررت برجل حسن وجهه بإضافة حسن إلى الوجه، وإضافة  
الوجه إلى الضمير العائد على الرجل وخالقه جميع الناس في ذلك من البصريين والكوفيين  
وقالوا هو خطأ لأنه قد أضاف الشيء إلى نفسه وهو كما قالوا.

ولقد اعترضَ على أبي القاسم في هذا القول ثلاثة اعتراضات ذكرها ابن أبي الريبع في البسيط<sup>(3)</sup> أحدها : قوله إن سببويه أجازه، وسببويه إنما قال : وقد جاء في الشعر حسنة وجهها شبهوه بحسنـة الوجه، وذلك رديء.

**قال:**

أمن دمتين عرج الرب فيهما  
أقامت على ربيهما جارتا صفا  
بحقل الرخامي قد عنا طلالها  
كميتا الأعلى جونتا مصطلاها

الثاني قوله : و خالفه جميع الناس. ولم يخالف سيبويه فيما قال من إجازته في الشعر إلا المبرد الذي قال إن الضمير من "مصطلاهما" عائد على "الأعلى" ، فالمعنى عنده كيّتاً الأعلى جوّتنا مصطلح الأعلى وفيه بعد وتكلف.

الثالث : قوله إنه قد أضاف الشيء إلى نفسه، وأنت إذا قلت مررت برجل حسن الوجه، فقد أضفت الحسن إلى الوجه، والحسن هو الوجه، وهي إضافة الشيء إلى نفسه وإنما امتناع حسن وجهه، إنه لم ينقل الضمير إلى حسن، فوجب رفع الوجه<sup>(4)</sup>.

(١) البسيط : 737-746

.759 : البِسْطَ (2)

(3) البسيط : 1099.

(4) البسيط : تحقيق الدكتور الثبيتي لكتاب البسيط : 1101.

لقد تناول الرجاجي أحكام "مذ ومنذ" في كتاب معاني الحروف، قائلاً : أما منذ فحرف خافض لما بعده دال على زمان، و"مذ" يدل على زمان يرفع ما مضى ويخفض ما أنت فيه<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب الجمل، فإنه يبسط القول أكثر، فيقول : اعلم أن "منذ" تخفض ما بعدها على كل حال، وهي في الزمان بمنزلة "من" في سائر الأسماء، تقول : ما رأيته منذ يومين ومنذ خمسة أيام، ومنذ اليوم، ومنذ يومنا، ومنذ العام، ومنذ عامنا تخفض هذا كله، ما مضى، وما لم يمض وما أنت فيه. ولو استعملت "من" في هذا الباب مكان منذ كان قبيحاً وأهل البصرة لا يجيزونه، وأما قوله تعالى : ﴿ مسجد أسس على التقوى من أول يوم ﴾ (التوبه . الآية 108) فتقديره من تأسيس أو يوم. وقال زهير :

لمن الديار بقنة الحجر      أقوين من حجج ومن دهر

وروى بعضهم "مذ حجج ومذ دهر" وكان من لغته أن يخفض بـ "مذ" على كل حال و يجعلها بمنزلة "منذ" فتقديره عنده من مر حجج ومن مر دهر.

وأما "مذ" فترفع ما مضى وتخفض ما أنت فيه، كقولك ما رأيته مذ يومان ومذ شهران، ومذ عامان، ومذ عشرة أيام، فترفع ذلك كله لأنه ماض بالابتداء وخبره "مذ" والتقدير بيني وبين لقائه يومان، وتقول في ما أنت فيه بالخفض ما رأيته مذ يومنا، ومذ عامنا، فتحفظه لأنك فيه، وهي إذا رفعت ما بعدها اسم وإذا خفضت ما بعدها حرف بمنزلة "من" في المعنى والعمل.

وفي كتاب الأمالي يذكر الخلاف في "مذ" بين الأخفش والرياشي، والمازنوي، فيقول : أخبرنا أبو حفص محمد بن رستم الطبراني قال أربأنا أبو عثمان المازني قال كنت عند الأخفش سعيد بن مساعدة ومعنا الرياشي فقال : إن "مذ" إذا رفع بها فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها كقولك ما رأيته مذ يومان، وإذا خفض بها فهي حرف معنوي ليس باسم، كقولك ما رأيته مذ اليوم، فقال الرياشي فلم لا تكون في الموضعين اسمًا، فقد نرى الأسماء تخفض وتتصبب كقولك : هذا ضارب زيداً غداً، وهذا ضارب زيد أمس فلم لا تكون منذ بهذه المنزلة. فلم يأت الأخفش بمقنع. وقال أبو عثمان المازني : إن "مذ" لا تشبه ما ذكرت من الأسماء لأنها لم تر الأسماء هكذا تلزم موضعًا واحدًا إلا إذا ضارعت حروف المعاني نحو "أين" و "كيف" وكذلك "مذ" هي مضارعة لحروف المعاني فلزمت موضعًا واحدًا، قال أبو جعفر فقال أبو يعلى بن أبي زرعة للمازنوي : أفرأيت حرف المعنى يعمل

(١) حروف المعاني ١٤ وكتاب الجمل ١٣٩ والأمالى : ٩٢-٩١.

عملين متضادين ؟ قال : نعم كقولك قام القوم حاشى زيد وحاشى زيدا ، وعلى زيد ثوب ، وعلى زيد الجبل فيكون مرة حرفاً ، ومرة فعلًا بلفظ واحد .

وعلق الزجاجي على هذه المحاورة بقوله : "هذا الذي قاله المازني أبو عثمان صحيح إلا أنه كان يلزم أن يبين لأي حرف ضارعت "مذ" كما أنا قد علمنا أن "متى" و "كيف" مضارعان ألف الاستفهام ، وأن يبين كيف وجد الرفع بـ "مذ" ، وأي شيء العامل فيها والقول في ذلك : أن "مذ" إذا خفض بها في قوله : ما رأيته مذ اليوم ، مضارعة "من" لأن "من" لابتداء الغایات وـ "مذ" إذا كان معها النون فهي لابتداء الغایات في الزمان خاصة ، فووقيعت مذ بمعنى "منذ" في هذا الموضع ، ومنذ بمعنى "من" فقد بان تضارعهما وأما القول بالرفع بها في قوله : ما رأيته مذ يومان ، فإنه لا يصح إلا من كلامين ، لأنك إن جعلت الرؤية واقعة على "مذ" انقطعت ما بعدها ، ولم يكن له رافع ، ولكنه على تقدير قوله ما رأيته ثم يقول لك القائل كم مدة ذلك فتقول : يومان أي مدة ذلك يومان" (١) .

### ب) حروف المعاني :

ومن مظاهر فكر أبي القاسم كونه أول من أفرد كتاباً مستقلاً لحروف المعاني ، بحيث إنه أدرك الدور الوظيفي الذي تقوم به الأدوات في الصياغة النحوية للكلام ، وهو يعني بالحروف في هذا المؤلف كل الكلمات المؤثرة في الإعراب ، سوا ، كانت حروفاً بالمعنى المصطلح عليه في تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف أو لا ، إلا أنها يجمعها مع الحروف التأثير في الإعراب مع أنها لا تتطلب فاعلاً أو مفعولاً كالأفعال ، ولا خبراً كالأسماء .

ولقد تناول الزجاجي في هذا الكتاب مائة وأربعين أداة ، وشرح معانيها اللغوية ، ووظائفها النحوية ، فكان رائدا في هذا الذي تابعه عليه معاصره الرماني ومحمد بن جعفر التيمي القيراطي المعروف بالقزاز (ت 361 هـ) واستمر العمل إلى عهد المرادي في كتاب الجنى الداني وابن هشام الأنباري في المغني .

وحرص الزجاجي على الاستقصاء في هذا الباب ولكن إدراجه لكان وأخواتها في سلك حروف المعاني ، أثار ا Unterstütـات بعض النحوين الذين قالوا إنه خالف إجماعهم في هذا الرأي ، صحيح أنه في كتاب الجمل استهل باب أخوات كان بقوله باب الحروف التي ترفع الاسم وتتصبـ الخبر ، وذكرها أيضًا في كتاب حروف المعاني ، لكن المعنى الذي ينبغي أن نفهمه من الحروف هنا هو ما يمكن أن نسميه بأدوات الربط والتأثير في الجملة .

---

(١) الأمسالي ، ص 91.

### ج) إيضاح العلل :

لقد كان الخليل أول من تحدث عن العلل النحوية وحينما سئل عمن أخذها، أهي من العرب أم من اختراعه. فأجاب بأن العرب نطقت على سجيتها وطبعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عللها، وإن لم ينقل ذلك عنها. ثم بين الخليل أن مثله في العمل مثل من رأى داراً محكمة البناء فصار يقول لقد وضع هذا من أجل هذا، وأنه قد اعتل بما رأى أنه علة لما عللها فإن سنج لغيره أليق بما ذكره فليأت به<sup>(1)</sup>. ثم إن النحويين من بعده مباشرة اكتفوا بشرح نوعيات العلل التي اقتبسوها من الخليل. غير أن تعليلاتهم ظلت في إطار مجموعات من الجزئيات لا ترتبط بقواعد شاملة تستند إلى مذهب معين. ولما تطورت مناهج الجدل والمناظرات في أصول الفقه وعرفت ضوابط المنطق الأرسطي نشأ تصور جديد في الفكر النحوي من أهم ميزاته إدراج قواعده في منظومة المنهج الأصولي عند المتكلمين، وبدأت بوادر هذا المنهج تظهر عند العلماء الذين جمعوا بين علمي الكلام والنحو. وقتل مقدماته في تطوير فكرة التعليل. وقد روى أن ابن السراج ألف في العلل لكن إيضاح الزجاجي هو أول ما اشتهر في هذا النوع من التنظير.

ولقد اتبع في نسقه خطة تشبه خطة المناهج الهندسية الرياضية لأنه بدأ بالحدود ليفسر الاصطلاح التصوري، مبيناً ما لهذه المصطلحات من خصوصيات وما بينها من فروق. ثم أوضح أساس الأصول العامة والقواعد الشمولية وخلص بعد ذلك إلى أقسام العلل وأنماطها.

### الحدود :

لقد اهتم الزجاجي في كلامه عن الحدود بأن يميز بين التصور الفلسفية العام، وبين الاصطلاح النحوي. وأثار الفروق المنطقية بين الحد والرسم. وحرص على أن يتلزم تطبيق منهجه على كلام العرب في نطاق الأوضاع النحوية. فحين تكلم عن حد الاسم قال حد الاسم في كلام العرب ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيزهما، وانتقد بعض النحويين الذين حدوه بحدود خارجة عن أوضاع النحو، فقالوا الاسم صوت موضوع دال على معنى غير مقرر بزمان، فقال إن غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزاانا<sup>(2)</sup>.

وهذا الحد الذي تصوروه يتماشى في رأيه مع المنطق النحوي في أكمل صوره. لأنه ناقش آراء النحاة من قبله، وذكر أن سببويه اكتفى بالتمثيل للاسم، ولم يحده، ولم يشر إلى أن أمثلة سببويه تناولت الإنسان والحيوان والجماد.

(1) الإيضاح في علل النحو : 65-66.

(2) الإيضاح في علل النحو : 48.

واعتراض على الأخفش تحديده للاسم بقوله إنه ما جاز فيه الإخبار عنه، بأنه لا يدخل في هذا الحد كيف وأين ومتى. وقال إن الحد الذي اعتمدته ابن السراج في قوله إنه ما دل على معنى، غير صحيح لأنه يدخل حروف المعاني، وأن حد ابن كيسان الذي قال : إن الأسماء ما آلت على الأشخاص وتضمنت معانٍ لها لا ينطبق على المصادر. وأخذ على المبرد قوله إن ما دخل عليه حرف خفض فهو اسم، وأما ما امتنع منه فليس باسم، لأن كيف وصه أسماء لا تدخل عليها حروف الخفض<sup>(1)</sup>.

ثم تحدث عن الأصول، وهذه الكلمة لها عنده عدة معان منها أنها القواعد النحوية وعلى هذا يفسر عنوان كتاب ابن السراج، إذ يقول الزجاجي في مقدمة كتاب الإيضاح إنه أنشأه في العلل دون الأصول لأن الكتب المصنفة في الأصول كثيرة جداً<sup>(2)</sup>.

وبعد تقريب القاعدة التي يسميها بالأصل، يوضح أن الاستثناء لا يخرج الحكم عن أصله. ويمثل لذلك بسائل نحوية، وقضايا فقهية، فيقول وقد ذكرنا أن الشيء يكون له أصل يلزمـه، ونحو يطردـ فيه ثم يعرضه علة تخرجه عن جمهـور باـهـ، ولا يكون ذلك ناقضاً للباب، ويعطي مثالاً على أن الأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للحروف والأفعال، وعند من لا يزعم أن الأفعال تستحق الإعراب مثل الأسماء. على أن الإجماع على أن الأسماء كلها تستحق الإعراب. ثم نرى كثيراً منها غير معرب لعلـ فيها ولا يكون ذلك مخرجاً لها عن الاسمية. ويرى الزجاجي أن هذا موجود في سائر العلوم حتى في علوم الديانات كما يقال بالإطلاق : الصلاة واجبة على البالغين من الرجال والنساء ثم نجد من تلحـقـه علة تسقط عنه فرضـها. وكما يقال : من سرقـ من حرزـ قطـعـ، وقد يكون القطـعـ ساقـطاً عن بعضـهمـ. ولهذا نظـائـرـ كثـيرـةـ<sup>(3)</sup>.

ففي تصوـرـهـ للقـاعدةـ النـحوـيـةـ، نـلاحظـ بوضـوحـ التـقـرـبـ منـ منـاهـجـ الأـصـولـيـنـ فيـ عـومـ الـقـاعـدةـ، وـفيـ الـمـاوـعـ الـتـيـ تـحـولـ دونـ تـطـبـيقـ حـكـمـهـ، وـفيـ التـمـثـيلـ بـالـقـوـاعـدـ الـفـقـهـيـةـ، كـمـ أـنـهـ رـكـزـ عـرـضـهـ عـلـىـ الـعـلـقـةـ بـيـنـ الـحـكـمـ وـالـعـلـةـ ليـبـرـزـ بـصـورـةـ خـاصـةـ دورـ الـعـلـلـ لـهـذـاـ الـنـهجـ.

## العلل :

وبعد أن رسم حدود الكلم، وبين أصول القواعد، خلص إلى العلل وقد قال في مقدمة الإيضاح إنه كتاب أنشأه في علل النحو خاصة، وفي الاحتياج له وذكر أسراره

(1) الإيضاح في علل النحو : 49-51.

(2) الإيضاح في علل النحو : 38.

(3) الإيضاح في علل النحو : 51-52.

وكشف المستغلق من لطائفه وغواصمه، وقال إنه لم يأْل جهداً في تهذيبه وترتيبه واختياره حسب الطاقة مع ارجاله له وتكلف جمعه من موقعه، غير عامل على مثال سبقه ولا محتكم بنظم تقدمه<sup>(1)</sup>.

وفي كلامه عن العلل، قال إنها مستنبطة وليس لها موجة وإنها على ثلاثة أضرب :

1. علل تعليمية : وهي التي يتوصّل بها إلى تعلم كلام العرب بالقياس على النظير، وذلك أنا لما سمعنا قام زيد فهو قائم، عرفنا من ذلك أن اسم الفاعل من ذهب هو ذاهم.

2. علل قياسية : كعلة نصب "إن" لاسمها هي وأخواتها وذلك لمضارعتها للفعل المتعدي فشبهت به وقيست عليه.

3. علل جدلية : وهي العلل النظرية التي تأتي جواباً عن الأسئلة الواردة بعد تقرير العلل الأوائل، مثل من أي جهة شابهت "إن" الفعل وبأي الأفعال شبهتموها<sup>(2)</sup>.

ويذكر الدكتور شوقي ضيف أن "الزجاجي استقصى علل النحو البصري والكوفي، ونص على أن الذين حرروا العلل الكوفية هم ابن الأنباري (أبو بكر) وأوائل البغداديين : ابن كيسان، وابن شقيق وابن المياط وأضاف أن له في ذلك نصيباً إذ قال "وأكثر ما أذكره من احتجاجات الكوفيين إنما أعبر عنه بألفاظ البصريين"<sup>(3)</sup>.

ولعل هذا ما حمل الدكتور شوقي ضيف على تصنيفه في المدرسة البغدادية، مع أن آراءه في كتاب الجمل بصرية المنحى، إذ لا غرابة أن يسير في فلك شيخه أبي إسحق الزجاج، الذي نسب إليه، بيد أن إضافاته في التفكير النحوي معروفة، وواضح تأثيرها في نظريات ابن جني، وأبي البركات ابن الأنباري.

#### 4. أبو سعيد السيرافي :

لقد كان أبو سعيد السيرافي يمثل عصر البيان والتحصيل الذي بلغت فيه المعارف والدراسات التحوية أوجهها، وقبل الحديث عن دوره المتميز في هذه المرحلة التاريخية، نذكر أن من بين أقرانه عالماً وأديباً شيعياً منبني أمية، من حفدة مروان بن محمد آخر ملوك

(1) الإيضاح في علل النحو : 38.

(2) الإيضاح في علل النحو : 66-64.

(3) شوقي ضيف المدارس التحوية، ص 252.

الأمويين، وهو أبو الفرج الأصفهاني مؤلف كتاب الأغاني المشهور. ومن غرائب الأصفهاني أنه خاطب السيرافي بقوله :

لست صدراً ولا درست على صدر ولا علمك البكيُّ بكاف  
لعن الله كل شعر ونحوٍ وعرض يأتيك من سيراف<sup>(1)</sup>

هذا ومن المستبعد أن نأخذ هذا القول مأخذ الجد، وإنما هو من باب التنكية والمساجلة بين المعاصرين. لأن أبيا سعيد كان حقا صدرا في علوم عصره ودرس على صدور العلماء في عهده. فيقول عنه تلميذه أبو حيان التوحيدي : إنه أجمع لشتم العلم وأنظم لذاهب العرب، وأدخل في كل باب وأخرج عن كل طريق وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى للحديث وأقضى في الأحكام وأفقه في الفتوى وأحضر بركة على المختلفين - يعني طلبة العلم - وأظهر أثراً في المقتبسة<sup>(2)</sup>.

فقد كان أبو سعيد فقيها متمكناً مارس القضاة نحواً من خمسين سنة، ولغواياً بارعاً متبمراً في القراءات والغريب والنحو والعرض وتاريخ العلماء كما كان على اطلاع علوم النطق والهندسة والحساب والهيئة.

لقد تلقى أبو سعيد علومه من رؤساء كل فن في عصره، أخذ القراءات عن شيخ القراء ابن مجاهد، واللغة عن إمامها محمد بن دريد صاحب الجمهرة. ولازم أئمة النحو أمثال ابن السراج وميرمان<sup>(3)</sup>. وأبي محمد بن عمر الصيمرى المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه.

وتتلذذ له نبهاء برعوا في ميادينهم مثل إسماعيل بن حماد الجوهري مؤلف الصحاح، وابن النديم صاحب الفهرست، والكاتب المشهور أبي حيان التوسي. واستهرت مصنفاته في النحو واتسعت شهرته العلمية في حياته حتى صار مرجعاً ترد عليه مئات

(1) معجم الأدباء : 877.

(2) معجم الأدباء : 888.

(3) ميرمان : (ت 345 هـ) وهو محمد بن علي بن إسماعيل العسكري. أخذ عن البرد وبعده عن الزجاج، وعنده الفارسي والسيرافي، وكان ضئيناً بالتدريس، ولا يقرئ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار، وقد احتال عليه أبو هاشم الجباني، فأعطاه وعاءً ملولاً من الحجارة، وكان يرمي بالسخف وسقوط المروءة، وقد هجا بعضهم بقوله :

صداع من كلامك يعتربنا وما فيه لستمع بيان  
مكابرة ومحقرة وبهت لقد أبهرتنا يا ميرمان

وله شرح على الكتاب لم يكمله، وشرح شواهد، وشرح كتاب الأخفش والنحو المجموع على العلل (بغية ج 1 ص 176) . ميرمان معجم الأدباء : 876، إنبأ الرواة : 349-348/1.

المسائل من عدة أقطار، في علوم الحديث والأحكام والأصول والشعر واللغة واشتهرت ببراعته في مناظراته التي قال عنه ابن العميد في إحداها :

السائل القول الرفيع الذي يصرع منه البلد الماحل

واشتهر انتصاره الباهر على متى بن يونس في مناظرتهما المشهورة حول النحو والمنطق<sup>(1)</sup>.

ولقد خطأ النحو خطوطاً جديدة قام بها أبو سعيد السيرافي تتمثل أولاً في شرحه الفريد لكتاب سيبويه، وثانياً في تنظير العلاقات بين النحو بالمنطق، وثالثاً في ربط الصلات بين مناهج النحويين والفقها.

### أ) شرح الكتاب :

لقد أجمع العلماء أنه لم يؤلف مصنف في النحو مثل كتاب سيبويه ولم يوضع عليه شرح مثل شرح أبي سعيد السيرافي. فالنحاة الذين من قبله تناولوا الكتاب من عدة أوجه، دون أن يحيطوا بمضامينه، فقد كان المازني يدرسه ويقال إنه مضت مدة طويلة وهو يقرئ أحد تلاميذه ولما انتهى منه قال له الطالب أما أنت فجزاك الله خيراً وأما أنا فلم أفهم منه حرفاً، وانتزع منه مباحث التصريف، وحاول المبرد تلخيصه في المقتضب كما اهتم ابن السراج باستخلاص أصوله، غير أن كل هذه الأعمال لم تستوف الكتاب حقه في الشرح والبيان. حتى كتب السيرافي شرحه الموسعي الذي كان أكثر الشروح إيضاحاً وتفصيلاً. وكما يقول مازن المبارك فإنه بسط معناه وجلاً مبهمه وقم جزئياته واستقصى موضوعاته وعرض آراء سيبويه وغيره من أعلام اللغة والنحو، كالجرمي والمازني والمبرد والزجاج والكساني والفرا، وتعلّب وناقش هذه الآراء ووازن بينها<sup>(2)</sup>.

وقد كانت خطته في الشرح تعتمد تصحيح النص وتحقيقه وتوضيح غامضه واستكمال جوانبه والدفاع عن إمام النحاة في آقواله وءارائه.

ومن أمثلة توثيق النص نراه يأتي ببيت من شواهد الكتاب وهو :

ورثت أبي أخلاقه عاجل القرى وعطاء المهاري كرمها وشبوها

ويقول إن شبوها في البيت وردت في بعض النسخ بتونين بدلاً من الباء، وهي في كتاب ميرمان بالباء، وهذا هو الصحيح لأن روياً القصيدة هو الباء ومنها :

رأيت بنى مروان يرفع ملوك شباب كالأسود وشيبها<sup>(3)</sup>

(1) معجم الأدباء : 894-910.

(2) الرماني النحوي، ص 152.

(3) الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه (عاذياً لشرح السيرافي)، ص : 147-148.

ويتضح منحاه في الإسهاب في الشرح واستكمال قضايا الباب من خلال منهجه في هذا الشرح وسعة الاباع في معرفة اللغة وطول النفس في العرض، فكان حريصاً على استقصاء المسائل واستكمال القضايا التي لم يتطرق لها الكتاب بالتفصيل، ومن بين الأمثلة الكثيرة في هذا الصدد كونه خصص باباً لوجوه القوافي في الإنشاد، وقال : "اعلم أنني لو اقتصرت على تفسير ألفاظ سيبويه فيما ذكره من القوافي لسقط كثير مما يحتاج إليه فيها، لأنه لم يستوعب ذكرها ولا قصد استيفاء معرفتها، وما يتعلق بها، فعملت على أن أتقضى ذكرها وما يتعلق بها مع شرح كلامه" <sup>(١)</sup>.

ويظهر في هذا الباب حرصه على الاستيعاب والاستيفاء والتقصي والشرح، فهذه هي أهدافه في المصنف الموسوعي الذي لم يجاري فيه أحد. وفي هذا الباب استعرض كل ما يتعلق بالقوافي ومعانيها واستشهد بكثير من أشعار العرب القدامى والمحدثين من يستشهد بشعره عند النحوين.

ومن عادته أن يفترض الأسئلة حول كل قضية قائلاً "فإن قيل كذا فالمجوab كذا" كما اعتاد أن يذكر أوجه التخريج الممكنة في كل مسألة. ففي شرحه لقول سيبويه "هذا باب علم ما الكلم من العربية، يذكر في إعراب ما" خمسة عشر وجهاً <sup>(٢)</sup>.

وفي أثناء شرحه نصب نفسه مدافعاً عن آراء سيبويه، دفاع عالم متدرس بأساليب الجدل والمناظرات واعتاد أن يلجنأ في حجاجه إلى أدلة يأخذها من معلوماته الواسعة، نذكر من ذلك مثالين، ففي معرض قول الشاعر :

ما أعطيانى ولا سألتهما      إلا وإنى لحاجزى كرمى

فقد رواه سيبويه بـالـأـلـيـاـلـةـ الـلـاـسـتـشـنـاـءـ وـقـرـأـ الـمـرـدـ أـلـاـ لـلـتـنـبـيـهـ، وـفـسـرـ الـبـيـتـ بـأـنـ كـرـمـهـ حـجـزـهـ عـنـ السـؤـالـ. فـهـوـ لـمـ يـسـأـلـ وـلـمـ يـعـطـ. وـبـرـدـ عـلـيـهـ أـبـوـ سـعـيدـ قـائـلـاـ :ـ وـالـذـيـ عـنـدـيـ أـنـ "ـإـلـاـ"ـ أـجـودـ لـأـنـهـ تـوـجـبـ أـنـهـاـ أـعـطـيـاـهـ وـسـأـلـهـاـ فـيـ حـالـ،ـ كـمـ حـجـزـهـ كـرـمـهـ عـنـدـيـ أـنـهـ مـاـ عـابـ إـعـطـاـهـمـاـ وـلـأـلـحـ عـلـيـهـمـاـ فـيـ مـسـأـلـتـهـ وـشـعـرـهـ يـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ.ـ قـالـ كـثـيرـ :

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها	واذكر خليليك منبني الحكم
ما أعطيانى ولا سألتهما	إلا وإنى لحاجزى كرمى
مبدى الرضا عنهم ومنصرف	عن بعض ما لو سالت لم ألم
لا أنزر النائل الخليل إذا	ما امتد نزير الظئر لم ترم

(١) السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه : 482 / الرمانى النحوى : 144.

(٢) الرمانى النحوى : 147 ، عازياً لشرح السيرافي للكتاب.

إني متى لا تكون عطيته      عندي بما قد فعلت أحتشم<sup>(1)</sup>  
ففي الأبيات دليل على أن الشاعر يحمل في سؤال خليليه ولا ينزع نائهما ، ولا  
يعيب عطا ،هما .

ومن ذلك أن المبرد انتقد سيبويه في قوله إن سدوس اسم أبي القبيلة، قائلاً إنها  
اسم امرأة مستدلاً بقول الشاعر :

فإن تدخل سدوس بدرهميها      فإن الريح طيبة قبول  
وقال السيرافي إن سدوس بن دارم بن مالك، وأن المعنى هنا القبيلة، مستشهاداً على  
صحة ما قال خبراً أنسنه عن محمد بن حبيب عن الحلواني عن السكري<sup>(2)</sup> .

وفي بعض الأحيان يحاول السيرافي التوفيق بين رأيي سيبويه والمبرد ، في خلافهما  
مثلاً حول تخريج قول الفرزدق :

وما سجنوني غير أني ابن غالب      وأني من الأثرين غير الزعانف  
فقال سيبويه "إن غير أني" بمعنى لكنني فالظاهر من هذا التأويل أنه لم يقع به  
سجن وخالفه المبرد وأثبت أنه سجن بحجة قول الشاعر في نفس القصيدة :

وما زال فيكم آل مروان منعم      عليَّ بنعمي بادئ ثم عاطف  
فابن كنت محبوساً بغير جريرة      وقد أخذوني آمناً غير خائف  
وما سجنوني : البيت، يعني أنهم ما سجنوه إلا حسداً له على شرف آبائه .

ثم حاول أبو سعيد التوفيق بين رأي سيبويه وبين الواقع التاريخي، قائلاً أنه يجوز  
تأول قول سيبويه أنه كان مسجوناً غير أنه لم يعد سجنه سجناً لأنه لم يبطل عزه ولم يلتحقه  
ذلك. كما يقول القائل "تكلمت ولم تتكلم، أي تكلمت بما لم يقع موقعاً يؤثر فيه الكلام  
فكأنه قال وما أذلوني بالسجن ولكنني عزيز بنسبي ومحلبي"<sup>(3)</sup> .

ومع تقدیره لإمام النحاة ودفاعه عنه فإنه استدرك عليه بعض المسائل.

(1) الرماني النحوی : 149-150 .

(2) المصدر نفسه : 151 .

(3) المصدر نفسه : 148-149 .

## ب) استدراك أبي سعيد على سيبويه :

ولقد عقد الدكتور عبد المنعم فائز فصلاً خاصاً باستدراكات السيرافي على سيبويه وذلك في كتابه "السيرافي النحوي" في ضوء شرحه لكتاب سيبويه<sup>(1)</sup>، غير أن أكثر هذه الملاحظات تتناول الفروق بين الأسماء والصفات. وذكر المؤلف مجموعة من الكلمات والأوزان اعتبرها سيبويه أسماء، وقال أبو سعيد أنها ترد صفات، ومجموعة أخرى جاءت على عكس ذلك. ومن ذلك "عزوبت" التي يقول سيبويه أنها اسم لموضع، ويقول السيرافي أنها أيضاً تقع صفة بمعنى الرجل القصير. وكذلك "الفيلم"، يذكر سيبويه أنها دابة في البحر والسيرافي أنها أيضاً تقال للمرأة الحسناً، وذكر سيبويه أن "التفعال" في الأسماء فقط، ويدرك السيرافي أنه يأتي صفة مثل "التبال" ويقول سيبويه إن "الجلف" صفة، ويورد السيرافي أن أصلها الشاة المسلوخة لم تقطع<sup>(1)</sup>.

غير أن هذا النوع من الاستدراك لا يمكن اعتباره انتقاداً وتحطئة وإنما هو تذليل وتكلمة، مع العلم بالتدخل بين الأسماء والصفات وكون كل واحد يصح اشتتقاقه من الآخر. وهذا من المعروف في خصائص اللغة العربية، حتى قيل إن أكثر نعوتها مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، تنتقل من اسم العين، إلى اسم المعنى، ومن اسم المعنى إلى الصفة، مما هو مسطور في مجال الاشتتقاق.

وأورد شوقي ضيف في كتاب "المدارس النحوية" نقاًلاً عن الهمع والمغني، أن السيرافي خالف سيبويه في طرفيه "كيف" وفي إعراب قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ فَأَصْدِقُ وَإِنْ كُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النافقون - الآية 14)، فقال إن "وأنك" معطوفة على محل من "فأصدق" لا على معنى "لو لا أخرتني" ، كما هو رأي سيبويه كما قال في إعراب "هذا جحر ضب خرب" بعطف "خرب" على "ضب" وليس مجرورة بالجاورة، والتقدير "هذا حجر ضب خرب الحجر منه". وقال في جزم "أكرمك" في قولنا "إيتني أكرمك" إنها مجزومة بالنيابة عن لفظ الشرط لا لتضمنها معنى الشرط<sup>(2)</sup> ، والفرق بين الوجهين غير واضح.

## ج) المنطق والنحو :

والجديد في عمل السيرافي أنه أوضح العلاقة الأساسية بين المنطق والنحو من جهة، واستظهر خطوط الاتصال بين أوجه الإعراب النحوي ومقتضيات الأحكام الفقهية، مما يعطي بعدها تطبيقياً للصلة بين مناهج النحاة ومناهج الأصوليين. وسوف نرى أن هذا النحو

(1) السيرافي النحوي : 47-48.

(2) المدارس النحوية : 148.

هو الذي أعطى ابن الأباري والسيوطى تصورهما النظري، فالمنطق عنده ليس ميزاناً مستقلاً يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، لأن أغراض العقول والمعانى المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والمحروف، فلا يستطيع أحد أن يعرف منطق اليونان إذا لم يعرف لغتهم. لأن النحو والمنطق واللفظ والإفصاح وأنواع الطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة. فالمنطق نحو، ولكنه مفهم باللغة، والنحو العربى منطق ولكن مسلوخ من العربية، والعلاقة بين المعانى المنطقية والألفاظ اللغوية، إن المعانى ثابتة على الزمان فهي من استملاء العقل الإلهي، والألفاظ طبيعية بائنة على الزمان تبدل طبيعة بعد أخرى.

ويكفي النحوي أن يفهم عن نفسه ما يقول، وأن يفهم عنه غيره وأن يقدر اللفظ على المعنى مع أنه ليس في قوة أي لغة أن تحيط ببساط العقل، أو تنصب عليه سوراً لا يدع شيئاً من داخله أن يخرج ولا من خارجه أن يدخل.

ومن يرد إدراك منطق باللغة فإنه يحتاج إلى معرفة حركات الألفاظ وسكناتها ووضعها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها كما يحتاج إلى توخي الصواب في تأليف الكلام بالتقديم والتأخير.

ولقد عرف النحويون العرب، هذا النسق العام، الذي سماه أبو سعيد بالنعت، وقال إن كل ما زاغ عنه، فلا يخلو أن يكون استعمالاً نادراً، أو تأويلاً بعيداً، أو خارجاً عن عادة القوم الحاربة على فطرتهم، أو متعلقاً باختلاف لغات القبائل، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف<sup>(1)</sup>.

لقد كان أبو سعيد فقيها على مذهب أبي حنيفة المشهور بميله إلى القياس، ومارس القضاء مدة خمسين سنة، فأتيحت له الفرصة في التفكير الدائب في تنزيل النظريات على الواقع وتطبيق النصوص وتأويلها واستنباط الأحكام منها والقياس عليها فيما لا نص فيه، متأسياً بن سبقة من أئمة الفقه الذين عناهم بقوله مخاطباً متى بن يونس : "لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت على غورهم في فكرهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكتابيات المفيدة والجهات الفريدة والبعيدة لحقرت نفسك"<sup>(2)</sup>.

وفي هذه الماناظرة أعطى أمثلة من مسائل الأحكام التي يتوصل إليها الفقيه بالمهارة في اللغة، فأورد منها قوله :

(1) معجم الأدباء، في الماناظرة التي بين السيرافي ومتنى بن يونس، ص 894-903.

(2) المصدر نفسه، ص 907.

- ما هو الحكم حيثما يقال : لفلان من الحائط إلى الحائط ؟ أو لفلان عليَّ غير  
قيراط ؟ أو لفلان عليَّ عشرة دراهم إلا تسعه، إلا ثمانية، إلا سبعه، إلا ستة،  
إلا خمسة، إلا أربعة، إلا ثلاثة، إلا اثنين، إلا واحداً ؟

- وما هو الفرق بين قول القائل : بكم الثوبان المصبوغان ؟ وبكم ثوبان مصبوغان ؟  
وبكم ثوبان مصبوغين (١) ؟

هذا وإن مثل هذه الأسئلة يعطي نموذجاً عن صلة التعبير اللغوي بالحكم الفقهي وقدرة العلماء، من أمثال السير افي، على الاستفادة من هذه الصلة.

## ٥. أبو الحسن الرمانى :

رابع هؤلاء الأربع، هو أبو الحسن علي بن عيسى الأخشidi الرمانـي لقد كان من أئمة اللغة والنحو، أخذ العربية عن أبي بكر بن دريد، والنحو عن أبي اسحق الزجاج، وأبي بكر ابن السراج، وتلقى مذهب الكلام عن ابن الأخشidi المعتزلي (ت 326هـ) ولازم هذا الأخير وتأثر بآرائه حتى نسب إليه. كما أنه كان متشارعاً<sup>(2)</sup>. ولقد ألف رسالة في فضل الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، دون أن يكون على مذهب الإمامية، بدليل أن السري الرفاء الشاعر كان يعرض به حنـي يقول :

عن الشرف العالى بهم وارتفاعه  
ولأذن القرآن لي فى اتباعه  
لينقل مطبوع الهوى عن طباعه<sup>(3)</sup>  
ومعتزلي رام عزل ولايتى  
فما طاوعتني النفس فى أن أطيعه  
طبعت على حب الوصي ولم يكن

يتاز الرماني بشقاقة واسعة، واطلاع كبير، وإنتاج ضخم، ومن أهم كتبه تفسيره الكبير الذي قيل إنه بستان يجد فيه كل إنسان ما يريد. وقد طبعت رسالته في إعجاز القرآن. وقد سرد القفطي<sup>(4)</sup> مجموعة كبيرة من الكتب الأخرى منها ما هو في علوم القرآن، وكثير منها في علم الكلام والعقائد، والاستدلال والجدل، وأما في مجال النحو، فإن اهتمامه انصب على كتاب سبوبية، إذ خصص له عدة تاليف في أغراض الكتاب، وإعادة تبوبية، ونكته وأهمها الشرح الذي وضع على الكتاب، والذي خصص له الدكتور مازن

(١) معجم الأدباء، في الماناظرة التي بين السيرافي ومتى، بن يونس : ٩٠٤-٩٠٦.

معجم الأدباء : 1826 (2)

(3) الرمانى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه : 54-55.

انها الرواية : 295/2

المبارك دراسة وافية<sup>(1)</sup>. مع أنه أيضاً كتب في الحدود النحوية، والتصريف، والاشتقاق ومعاني المعرف، وشرح مسائل الألفاظ، ومقتضب المفرد، ومختصر الجرمي، ومعاني الزجاج، والجمل لابن السراج<sup>(2)</sup>.

فمعارف الرمانى الموسوعية، وتنوع إنتاجه، وميوله المذهبى كل هذا جعله يمثل عصره تثليلاً شاملأً، إذ كان جاماً في علمه، بصرياً في منزنه، منطقياً في منهجه، مستقلأً في رأيه.

يعتقد بعض المؤرخين أن الرمانى كان يرمى بعدم الوضوح في مذهبه، مما جعل كل أهل فنَّ يرون أنه غريب عنهم، فيقول المتكلمون "ليس فيه في الكلام فتنا"، ويقول المنطقيون ليس ما يزعم أنه منطق عندنا<sup>(3)</sup>، كما شاع قول أبي علي الفارسي عنه "إن كان النحو ما يقوله الرمانى، فليس عندنا منه شيء"، وإن كان النحو هو ما نقوله فليس عند الرمانى منه شيء<sup>(4)</sup>، ويقال إن بعض أهل الأدب يقولون إنهم يحضرون مجلس ثلاثة من المشايخ، ويفهمون كل ما يقول السيرافي، وبعض ما يقول الفارسي ولا يفهمون شيئاً مما يقول الرمانى<sup>(5)</sup>.

ولقد رد الدكتور مازن المبارك كل هذه الانتقادات وبين ضعفها ودفافعها، كما أوضح أن الرمانى في مجال النحو، كان إماماً بارعاً، وخبيراً ماهراً<sup>(6)</sup>، واستجلى الدكتور مازن من خلال دراسته لشرح كتاب سيبويه، أصول مذهب الرمانى، مبيناً نظرته العامة إلى النحو، ومنحاه في السمع والقياس و موقفه من آراء سيبويه، ومدى انتتمائه للمدارس النحوية الموجودة في عصره.

### أ) النحو عند الرمانى :

ينظر الرمانى إلى النحو بصفته صناعة مستقلة بنفسها، وصار يتکلف العذر لسيبوه الذى أدخل تفسير الغريب في كتابه، وهو ليس من النحو، فقال الرمانى إنه أورد ذلك لكشف الوجه الذى يقع عليه الإعراب فجاز أن يدخل في الصناعة ما ليس منها. وكشف أوجه الإعراب هو المحور الأساسي للنحو عند الرمانى، فهو يقول : ولا تنظر إلى ظاهر الإعراب، وتغفل المعنى الذى يقع عليه الإعراب، لتكون قد ميزت فيما تجيزه،

(1) كتاب الرمانى النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، الذي طبعته دار الكتاب اللبناني، بيروت سنة 1974.  
(2) الرمانى النحوي : 244.

(3) معجم الأدباء : 1826، نزهة الألباء : 234.

(4) معجم الأدباء : 1826، نزهة الألباء : 234.

(5) الرمانى النحوي : 73.

(6) الرمانى النحوي : 248-250.

أو تمتنع منه وصواب الكلام من خطئه، فإن صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصحيح. ويعطي المثال على قوله في نحو : مررت برجل حسن أبوه، فإذا كان "حسن" علما فلا يجوز إلا الرفع، وإذا كان صفة غالبة فالرفع أولى، وإن كان صفة محضة فيكون الوجه فيه الجر<sup>(1)</sup>.

ويقتدي أبو الحسن الرمانى بإمامه سيبويه في تقدير أهمية العامل وجعله المحور الذي يدور حوله البحث التحوى، ومن ذلك أنه يركز على ترتيب العمل في التوابع مانعاً حذف المتبع أو تقديم التابع عليه<sup>(2)</sup>.

### ب) السماع والقياس :

ونظرية الرمانى في السماع تبع لرأي سيبويه، فيلتزم بالتقيد باختيارات صاحب الكتاب في القراءات، والمعرف أن سيبويه يقول إن القراءة لا تختلف لأنها سنة، مع أنه في بعض الأحيان يعلق عليها مثل ما هو في المثال التالي : ولو قرئت ﴿وَانَّ اَمْسَاجِدَ الْجِنِّ﴾ (الجن. الآية 18) كان جيداً، دون أن يذهب بعيداً في البحث عن القراءات الشاذة<sup>(3)</sup>. وهذا ما سار عليه الرمانى الذي أعطى للقياس النحوى صورة أوضح من حيث تعريفه وصلته بالسماع، فيقول إن القياس الصحيح هو الجمع بين شيئاً مما يوجب اجتماعهما في الحكم، كالجمع بين الاسم والفعل بالرفع، بعامل الرفع. فالقياس الصحيح هو المطرد، والمستند على السماع، لأنه بناء على حكم المشبه به. والقياس على المطرد الذي استعمل في أصله، ولا يقاس على النادر لأنه لو قيس عليه لخرج من حد النادر إلى الأصل<sup>(3)</sup>.

ويتضح رأيه في العلاقة بين السماع والقياس في هذا المثال :

يقول سيبويه في بيت الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها      وليس عليك يا مطر السلام

كان عيسى بن عمر يقول : يا مطراً يشبهه بقوله "يا رجلاً" إذ نون وطال النكرة ولم نسمع عربياً يقوله، وله وجه من القياس<sup>(4)</sup>، فقال الرمانى في شرحه "نون مطراً" ، وترك الاسم مضموماً لأنه أتى بما احتاج إليه لأجل الضرورة، على قياس المفوع الذي لا ينصرف إذا نونه مضطراً لأن هذا الضم كالرفع في اضطراره، فهذا هو القياس وعليه كلام العرب، إلا أن عيسى قد أجاز النصب لأنه لما طال الاسم بالتنوين، ورده إلى الأصل كما يردء إذا

(1) الرمانى التحوى : 250-252.

(2) المصدر نفسه، ص 272.

(3) المصدر نفسه، ص 268.

(4) كتاب سيبويه : 203/2.

طال بالإضافة والصلة، ولهذا أجازه سيبويه بالقياس وإن كانت العرب لا تتكلم إلا بالرفع<sup>(1)</sup>.

#### ج) العلل :

ويتحدث الرمانى عن العلة، ويقسمها إلى ستة أنواع، وهي العلة القياسية وهى التي يطرد الحكم بها في النظائر مثل الرفع في الفاعل والعلة الحكمية، كحقيقة الفاعل بالرفع، لأن علامته، وهي الضم، أقوى الحركات. والعلة الضرورية وهي التي يجب بها الحكم بمحرك من غير جعل جاعل، ولم يعط الرمانى لها مثالاً، وفيهم معناها من المقابلة مع العلة الوضعية، وهي التي يجب بها الحكم بجعل جاعل، نحو وجوب الحركة للحرف الذي يمكن أن يكون ساكناً، والعلة الصحيحة وهي التي تقتضي الحكم الجارى في النظائر مما تدعو إليه الحكمة، وضدها العلة الفاسدة<sup>(2)</sup>.

#### د) شرح الكتاب :

وإن أهم ما قام به الرمانى في شرح الكتاب، هو بيان الموضوع الأساسي لكل باب من أبوابه وذلك بمراجعة العناوين التي وضعها سيبويه، فاستطاع أن يسهم في توضيحها، ذلك أن عناوين هذه الأبواب في الكتاب اتسمت بالطول والغموض، فاهتم الرمانى أن يستبدل بها عناوين أكثر اختصاراً وأوضح معانى، وأقرب في صيغتها إلى محتوى الباب. فحينما يقول سيبويه "هذا باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك" يقول الرمانى "هذا باب التوابع" ثم بين أن الغرض منه تبيين ما يجوز في الباب وما لا يجوز، واعتاد أن يقدم بين يدي الموضوع أسللة عن العلة في الحكم، وعن الأدلة والشاهد. ثم يأتي بالشرح في شكل أوجبة عن الأسللة التي وضعها مسبقاً. فجاء شرحه وكأنه حوار جدلية يبحث عن ما في نفس الباحث من استطلاع أو اعتراض، بطريقة تذكر بما كان يروى عن منهجهية سقراط في إيقاظ الفكر بالحوار.

#### هـ) مذهبه النحوي :

لقد سبق أن ذكرنا أن الرمانى كان بصرى التزعة، سيبويهي الانتماء، ومع ذلك فإنه كان يعرب بحرية عن آرائه الخاصة واختياراته الاجتهادية ولو كانت مخالفة لرأى الإمام سيبويه، فاستيعابه لثقافة عصره واتساع آفاقه الفكرية أبعدت عنه نوازع التعصب

(1) الرمانى النحوي، (عاذيا لشرح الرمانى)، ص 262.

(2) المصدر نفسه، ص 269.

المذهب، فسمع من أعلام النحو البصريين، واطلع على مسائل الأخفش وتناولها بالشرح، وعرف آراء الكوفيين، ووافقهم في بعض المسائل.

أما المسائل التي عدل فيها عن رأي سيبويه، فمنها ما كان مرجحا فيه لقول الخليل أو الأخفش أو المبرد، ومنها ما وافق الكوفيين.

فلقد أيد رأي الخليل في وجوب الرفع في قوله : هذان جحرا ضب خربان، بينما يرى سيبويه جواز "خربين" قياساً على حكمه في الإفراد.

وفي قول الأعشى :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا      أو تنزلون فإننا معشر نزل

رجح قول الخليل "أو تنزلون" وقعت عطفاً على المعنى من "أتركبون" وقد كان سيبويه يذهب إلى رأي يونس برفعها بالابتداء، ووقف في جانب الأخفش في قوله بأن الكاف من "عساك" و"لولاك" في موضع الرفع، وهي عند سيبويه في موضع نصب في عساك وجر في لولاك. وكان مع المبرد في جواز قوله "أتانا سرعة" قياساً على "أتانا ركضاً" مع أن سيبويه قال "إن هذا النوع من المصادر لا يؤخذ إلا سمائعاً"<sup>(1)</sup>. أما القضايا التي تفرد فيها بمخالفة سيبويه فمنها كونه يقيد حذف الخبر بعد لولا بكونه مطلقاً عاماً كالوجود والحصول، أما إن كان الخبر خاصاً كالقيام والقعود فلا يجوز حذفه إن لم يعلم مثل : "لو لا قومك حدثوا عهد بالإسلام لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم" وإن علم الخبر الخاص جاز حذفه أو ذكره، ومنها أنه أجاز ثنية المصدر وجمعه، فيما يظهر في مدلوله اختلاف أو تفاوت مثل الأفكار والعلوم<sup>(2)</sup>.

والقضايا التي وافق فيها الكوفيين، لا تتجاوز خمس مسائل فيما ذكره الدكتور مازن المبارك، لكن ثلاثة منها تابع فيها شيوخه أكثر مما كان متصرفاً فيها للковيين، فقال إن "كي" تنصب بنفسها دون اللجوء إلى إضمار "أن" وهذا أيضاً رأي شيخه ابن السراج، وقال إن المفرد المنفي بـ "لا" معرج، وأن فتحته علامة للنصب، لا على البناء، وهو في ذلك يوافق الزجاج والجرمي. ويقي أنه يؤيد الكوفيين في أن الخبر يتضمن ضمير المبتدأ ولو كان اسمًا محضًا، وأن "سوى" قد تكون اسمًا وتكون ظرفاً، والبصريون يقولون بظرفيتها على كل حال<sup>(3)</sup>.

(1) راجع لهذه المناقشات "الرمانى النحوى" : 282-290.

(2) الرمانى النحوى : 300-302.

(3) الرمانى النحوى : 317-321.

## و) بين الرماني والزجاجي :

والمقارنة بين الرماني ومعاصريه تدعو إلى ملاحظة كثير من أوجه الشبه بينه وبين الزجاجي، فكلاهما اهتم بكتاب سيبويه وجعله مرتكزه في البحوث النحوية، وكتب كل منهما عن حروف المعاني، إلا أن كتاب الرماني اقتصر على الأدوات المجمع على حرفيتها، وترتيبها بحسب عدد الحروف، وتابعه المرادي بن أم قاسم في الترتيب، وتابع الزجاجي في إبراد الأدوات الاسمية، ثم نرى أيضاً كلاً منهما يستثمر ثقافته الفلسفية في تطبيق منهجه منطقي في تنظير الأصول النحوية. ولقد أولاً في هذا المنهج عناية خاصة للعلل، فأوضح الزجاجي أقسامها، ووسط الرماني فروعها، فكانا بذلك مع السيرافي من دعائمه منهجه التأصيل النحوي.

## 6. أبو علي الفارسي :

### أ) صلام مع شخصيته :

لقد كان الحسن بن أحمد بن عبد الغفار المعروف بأبي علي الفارسي من أولئك الأعلام الذين ابتدعوا رهبانية العلم، شأنه في ذلك شأن يونس الضبي من قبله. لقد قضى الفارسي أكثر من نصف قرن في البحث والتدريس والتأليف، لم يشغله عن ذلك تدبير مال، أو مشاغل عيال، لقد كان إماماً في اللغة والنحو والقراءات، أخذ عن شيخ القراء أبي بكر بن مجاهد، ودرس على الزجاج وسمع من ابن السراج كتاب الأصول، وشرح جمله، واتصل بأبي بكر بن دريد وكتب عنه مصنفه في الاشتقاد. كما كان على صلة علمية وثيقة بعلماء عصره، أمثال أبي سعيد السيرافي وابن الخطاط<sup>(1)</sup>، وابن خالويه<sup>(2)</sup> والرماني بيد أن صلته معهم لم تكن صلة مودة وتعاون ذلك أن اعتزازه بعلمه، ومكانته عند السلاطين والوجها، جعلته ينظر إلى زملائه بنوع من الاستعلاء، نسبه المؤرخون إلى عوامل الحسد والغيرة، والحرص على الاحتفاظ بالصدارة والتفوق.

(1) ابن الخطاط : محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر ابن الخطاط النحوي من أتقن المذهبين النحويين البصري واللكوفي، أصله من سمرقند ومات ببغداد سنة 320 هـ، وكان من نظراً، الزجاج ومنظوريه أخذ عنه الزجاجي والفارسي، وله معانٍ القرآن والنحو الكبير، وهو من مؤسسي المدرسة البغدادية.

راجع : معجم الأدباء ، 2309 ، ترجمة الآباء ، 185 .

(2) ابن خالويه هو الحسين بن أحمد بن خالويه، أصله من همدان، وفد إلى بغداد سنة 314 هـ، وأخذ القراءات عن ابن مجاهد، واللغة والأدب عن ابن دريد وأبي بكر الأنصاري، والنحو عن نقوي، وصحب سيف الدولة الحمداني وأدب أبناءه، وله مع التنبي مناظرات معروفة من أشهر ما كتب ليس من كلام العرب في اللغة، والجمل في النحو، والبديع في القراءات وإعراب ثلاثين سورة.

فقد رأينا قوله حينما وقف على مسائل الزجاجي "لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحباب أن يتكلّم فيه" وكان يسمى السيرافي بابن بهزاد وهو ليس من أحب الأسماء إليه، وقال إنه معلم الصبيان، وإن ابن الخطاط للاقاء له، لأنه لم يسمع من المبرد وإنما ذكر ثعلباً وقد أضر به الصمم فلم يقرأ عليه وأن ابن خالويه قليل التحفظ<sup>(1)</sup>. وحتى عن الرمانى الذي كان أقربهم إليه، قال فيه: "إذا كان النحو ما عند الرمانى، فليس عندنا منه شيء، وإذا كان ما عندنا فليس عند الرمانى منه شيء"، وادعى أن الرمانى قرأ عليه كتب ابن السراج في حياته<sup>(2)</sup>، وقد ناقش الدكتور مازن المبارك هذا القول الذي رواه ياقوت الحموي في كتابه عن الرمانى<sup>(3)</sup>. أما العلاقة بينه وبين ابن خالويه، فقد كان يطبعها العداء السافر بسبب رده عليه في مسائل الإغفال التي اعتبرض فيها الفارسي على الزجاج، ثم كتب الفارسي نقض الهاذور في الرد على ابن خالويه. أما تلامذته، فلقد طفت شهرة واحد على جميع الآخرين، ألا وهو أبو الفتح عثمان بن جني، الذي لازمه نحواً من أربعين سنة، واستمد منه أكثر معارفه التحوية واسترشد بتبنبيهاته اللغوية، ففي كتاباته في الخصائص، كان كثيراً ما يتحدث عن ملاحظات نبهه إليها وغموض أثارها له.

وغالباً ما يشير إلى ذلك، ففي كتاب الخصائص يصرح بأنه قد نبهه على نكت من "السلب"<sup>(4)</sup> والمشابهة بين معانٍ الإعراب ومعانٍ الشعر<sup>(5)</sup>، وكان يشيد باهتمامه بالاشتقاق الأكبر<sup>(6)</sup> وإضافة الاسم إلى المسمى، والمسمى إلى الاسم<sup>(7)</sup>، وفي كل رواياته يتحدث عنه بصفته الشيخ المربى، والمرشد.

ولقد ترك أبو علي أكثر من عشرين كتاباً تناولت القراءات، والنحو والصرف، أكثرها على شكل مسائل يضيف عنوانها إلى البلد الذي ألفت فيه مثل المسائل الشيرازية والعسكرية (نسبة إلى معسرك مكرم) والكرمانية والخلبية، وله كتاب العوامل المائة).

(1) معجم الأدباء : 820.

(2) معجم الأدباء : 813.

(3) الرمانى النحوي : 73-85.

(4) الخصائص : 75/3.

(5) الخصائص : 168/2.

(6) الخصائص : 133/2.

(7) الخصائص : 24/3.

ولعل من أهم كتبه كتاب الحجة في علل القراءات السبع، إذ في هذا الكتاب تجلّى سعة معرفته، وقوّة شخصيّته، ودقة تحليله. ويلاحظ محقّقوا كتاب الحجة أنّ الأفكار فيه تتراوح وتتدافع في خاطره، فيفسح لها المجال، ويرخي لها العنان في نوع من التداعي الذي يتدفق دون تنظيم، فتتوالى الاستطرادات، وتشعب الفروع، حتى صعب على غير المختصين. وهذا ما عبر عنه ابن جني يقول : "لقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيراً من يدعى العربية فضلاً عن القراءة منه، وأجهّاه عنه" (١).

ومن أشهر كتبه، الإيضاح، الذي يعتبر ثاني كتاب مدرسي بعد جمل الزجاجي وقد نال هذا المصنف شهرة كبيرة، واعتمده الأساتذة والدارسون وأشادوا به نظماً ونشرحوا التحويون، ومن أشهر شراحه عبد القاهر الجرجاني<sup>(2)</sup>، الذي خصص له ثلاثة شروح منها المقتصد. ويحكي أنه لما قدمه إلى عضد الدولة، قال له : "ما زدت على ما كنا نعرف" فألف له كتاب التكملة، فقال لما رأه "غضب الشيخ وأتى بما لا نفهم نحن ولا هو"<sup>(3)</sup>. ويقول علي بن أحمد بن خلف النحوي الأندلسي المعروف بابن الباذش في الإيضاح :

وصل الغدو لفهمه بروا  
حمل الكتاب يلجه بالفتاح  
شهد الرواة لها بفوز قداح  
من علمه بهرت قوى الأمداح  
ويحل مشكله بومضة واح  
وأتى فكان النحو ضوء صباح  
بحروفه في الصحف والألواح  
إن النصيحة غبها لنجاح  
<sup>(4)</sup>  
أضع الكرى لتحفظ الإيضاح  
هو بغية المتعلمين ومن بغي  
لأنبي علي في الكتاب إماما  
يفضي إلى أسراره بنوافذ  
فيخاطب المتعلمين بلفظه  
مضت العصور فكل نحو ظلمة  
أوصي ذوي الإعراب أن يتذاكروا  
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا

(١) الحجة في علل القراءات السبع (مقدمة التحقيق) ص ٣١ عازياً للمحتسب ٢٨٨/١.

(2) الجرجاني: إنه أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت 471 هـ)، المشهور أساساً بكتابه في إعجاز القرآن في شرحه لكتاب محمد بن زيد الواسطي، وعرفت نظرياته في النظم البلاغي، من خلال كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز. وهو أيضاً من آئمة التحويين، فقد أخذ عن محمد بن الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت الفارسي، وكان معجباً بكتب أبي علي الفارسي، وشرح الإيضاح ثلاثة شروح، منها المغني، وهو في ثلاثين مجلداً، والإيجاز، والمقتصد، وقد نشر هذا الأخير بتحقيق الدكتور كاظم بحر المajan في بغداد (دار الرشد 1982).

(3) مَعْمَلُ الْأَدْبَاءِ : 813

٨١٦-٨١٧: الأدب معجم (٤)

## ب) مذهبة العام :

يعتقد أكثر المؤرخين أن أبا علي كان معتزلياً شيعياً، مستدلين على ذلك بجو العصر الذي عاش فيه، والاتجاه الثقافي والسياسي السائد في الحواضر التي مارس فيها نشاطه العلمي، كما يستشفون تذهبة هذا من بعض العبارات والأراء التي تعارف عليها المعتزلة، فكان يعبر عن الله بالقديم، ويكرر كلمة العدل، ويؤول الآيات القائلة بأن الله تعالى طبع على قلوب بعض العباد، أو ختم عليها، ومنها أيضاً آراؤه في الشفاعة. ومن أدلة تشيعه الاعتناء الخاص الذي أولاه له الطبرسي في كتاب مجمع البيان، والعلاقة الودية التي كانت تجمعه بالشريف الرضي الذي يقول فيه :

أبو علي للأبد إن سطرا  
وللخصوم إن أطالوا اللغطا  
قرم تهد الأرض إن تخمطا  
تطرفوا الفج الذي توسطا  
لا جذعاً أودى ولا معتبرطا  
 كانوا العقابيل وكانت الفرطا  
عند السراغ يعرف القوم البطا  
أرضي زمان بك ثم أسططا  
سأطلب الأيام منك شططا<sup>(1)</sup>

ويجوز أن يكون أبو علي، ذا ميل شيعي، أو ذا نزعة اعتزالية لكنه مع ذلك لم يكن مكافحا في صفوف أولئك أو هؤلاء، لأن حرصه على الصدارة في مسائل اللغة والنحو استأثر بجهوده الفكري، ولم يترك المجال ليكون في مقدمة رجال الشيعة والمعزلة، وهو يريد دائمًا أن يكون في الطلبيعة، غير أن هذا الاتهام وهذه الأدلة كل هذا قد يعني أن أبا علي لم يكن نحوياً من طراز عادي، بل كان مفكراً مجتهداً في مذهبة البصري.

## ج) حول انتقامته للبصريين :

لقد اعتاد الدكتور شوقي ضيف أن يجعل الفارسي في عداد المدرسة البغدادية، مثل ما فعل في شأن الزجاجي، وابن جني، مرتکزاً على اطلاعهم على آراء الكوفيين، وعلى اجتهاداتهم في اختيار ما يرونه صواباً من أقوال النحويين، لكن نزعتهم البصرية في رأينا أقوى من أن تكون مجرد ميل، فقد كانوا يصرحون بانتقامتهم لأنّة المدرسة ويعبرون عنهم بأصحابنا، فيقول ابن جني أنه قد وقع حريق في مدينة السلام وأصاب مؤلفات الفارسي فذهب جميع علم البصريين<sup>(2)</sup>. ويقول الفارسي في إضافة الضمير إلى الكاف، شوذاً مثل قول :

فلا ترى بعلولا ولا حللا  
 كها ولا كهن إلا حاظلا

(1) ديوان الرضي : 1/445 (نقلًا عن مقدمة كتاب الحجة).

(2) معجم الأذباء : 819.

حتى أن الجارة عند أصحابنا تجري هذا المجرى<sup>(1)</sup>، وفي قوله "أرأيتك زيداً ما فعل" قال أصحابنا لامحل لها في الإعراب<sup>(2)</sup>، وفي قوله في وصف الفعل : ومن أصحابنا من يقول إنه ما دل على حدث وزمان وقد قيل لمن وصف الفعل بهذا الوصف فقيل لهم أرأيتكم قولكم خلق الله الزمان، هل يدل هذا على زمان ؟ فإن قلتم "لا" بطل الوصف وإن قلتم يدل أثبتتم زماناً قبل هذا وهذا ممتنع. ومن الأرجوحة عن هذا مثل قوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الکريم ﴾ (الدخان - الآية 46)<sup>(3)</sup>، وزيادة على هذا النوع من التصريح، فإن الفارسي يذكر البغداديين مع لفظ المغايرة فيقول شاهداً على شذوذ اسم الفاعل من "دع". وأنشد بعض البغداديين :

فأيهمما ما اتبعن فإبني حزين على ترك الذي أنا وادع<sup>(4)</sup>

وفي موضع آخر يذكر : وأما ما يقول بعض البغداديين من الألف في داوية بدل من الواو في دوية فقد يمكن أن يكون الأمر على خلاف ما ذهب إليه، وذلك أنه يجوز أن يكونبني من الدو فاعلاً كالكافه والغارب ثم أضاف إليه على من قال حاني، ويقوى ذلك أن أبا زيد أنشد :

والخييل قد تجشم أربابها الشق وقد تعترض الداوية<sup>(5)</sup>

ومن مظاهر بصريته تشدد في لغة السماع حتى قال بشذوذ بعض القراءات السبعية المروية عن حمزة وابن عامر، قوله إن لغة أهل الور أصح من لغة أهل الدر، وهو تلميح واضح لتوهين مواقف الكوفيين، كما أنه اجتهد في وضع ضوابط القياس الذي يعتبره من أساس صنعته، لأنه كان يقول قد أخطئ في خمسين مسألة من اللغة ولا أخطأ في واحدة من القياس<sup>(6)</sup>. ويقول تلميذه ابن جنبي "ما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف أنسه فكانه إنما كان مخلوقاً له"<sup>(7)</sup>.

هذا ومع العناية الخاصة التي يعطيها للقياس بحيث أنه يتتابع غالباً أبا عثمان في تصوّره للقياس ومن المعروف أن المازني يقول إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب<sup>(8)</sup>، فإنه لا يتصوّره إلا على سماع صحيح ومطرد.

(1) المسائل العسكرية للفارسي : 137.

(2) المصدر نفسه : 93-92.

(3) المصدر نفسه : 136.

(4) المصدر نفسه : 136.

(5) الحجة : 62.

(6) الفصائص : 88/2.

(7) المصدر نفسه : 277/1.

(8) المصدر نفسه : 357/1.

ومن الضوابط التي أوضحتها في العلاقة بين السماع والقياس، قوله إنه يوجد في كلام العرب، ما هو مطرد في الاستعمال، شاذ في القياس، كما يوجد العكس. ومنه ما حذف منه في الضرورة ما لا يستحسن حذفه في حالة السعة فمن القسم الأول قولهم "عسى الغوير أيؤس"<sup>(1)</sup> فالقياس يقتضي أن يخبر عن عسى بالمضارع، ويقولون "استحوذ" والقياس أن يقولوا "استحاذ"<sup>(2)</sup> ولكن العدول عن السماع خطأ فاحش. أما المطرد في القياس الشاذ في الاستعمال فقد مثل له بترك استعمال الماضي من "يدع" و"ينذر"<sup>(3)</sup> وما استعمل في الضرورة قول الشاعر :

وقبيل من لكيز شاهد رهط مرجوم ورهط ابن المعل<sup>(4)</sup>

وقد ذكر من هذا النوع حذف الباءات في قوله تعالى : ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ إِذَا يَسِّرُ﴾ (الفجر - الآية 29) ولم يك الفارسي موفقاً في هذا التمثيل لأن القرآن لا ضرورة فيه، وقراءاته الصحيحة هي المعيار لصحة اللغة العربية، ثم تطرق الفارسي إلى ما هو شاذ في القياس والاستعمال، مثل تشديد الزاي في نزال<sup>(5)</sup>، أو وصل المضارع بألف الموصولة كقول الشاعر :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً إلى ربنا صوت الحمار البجدع<sup>(6)</sup>

ومع انتقامه لمذهب إمام النجاشة فإن له اختبارات خاصة منها متابعته للمبرد وابن السراج في أن "إذما" اسم بينما يقول سيبويه بحرفيتها<sup>(7)</sup>، ومنها ترجيحه لبعض أقوال الكوفيين في إعمال الأول من عامليني التنازع مستشهاداً بقول أمير القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال<sup>(8)</sup>

كما لا يرى مانعاً في إعمال "إن" النافية في مثل قولهم "إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية"<sup>(9)</sup> ولا يمانع في إبراد تنكير عطف البيان مستدلاً بقوله تعالى : ﴿أَوْ كُفَّارَةٌ طَعَامٌ مَسَاكِينٌ﴾<sup>(10)</sup> (المائدة - الآية 95)، ويقول إن "لو" تأتي مصدرية في مثل قوله

(1) المسائل العسكرية : 146.

(2) المصدر نفسه : 144.

(3) المصدر نفسه : 136.

(4) المصدر نفسه : 203.

(5) المصدر نفسه : 204.

(6) المصدر نفسه : 226.

(7) المصدر نفسه : 154.

(8) المغني : 120.

(9) المصدر نفسه : 661-660.

(10) المدارس التحوية (عازيا للهمع)، ص 259.

تعالى : ﴿ وَدَوَالُو تَدْهَنْ فِي دَهْنُون﴾<sup>(1)</sup> (القلم - الآية 9)، وأن "أو" تأتي للاضراب في مثل قول جرير :

ما ذَرَ في عِيَالٍ قَدْ بَرَمْتَ بِهِمْ      لَمْ أَحْصِ عَدْتَهُمْ إِلَّا بَعْدَادَ  
كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةَ      لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَلَتْ أُولَادِي<sup>(2)</sup>  
وَكَانْ يَجِيزُ فِي الشِّعْرِ تَرْكُ صِرْفِ مَا لَا يَنْصُرِفَ<sup>(3)</sup>.

وإننا نعتقد أن هذه الاختيارات تدل على "اجتهاد في المذهب" كما يقول الفقهاء، لا على خروج عن الجادة البصرية التي صرخ بالانتفاء إليها ودافع عن آرائها الأصولية فنراه يقول : "الدليل على أن الفعل مأخوذ من المصدر أن هذه المصادر تقع دالة على جميع ما تحتها، ولا تخص شيئاً منه دون شيء"، ألا ترى أن الضرب يشمل جميع هذا الحدث، ولا يخص ماضياً منه من حاضر ولا حاضراً من آت وأن هذه الأمثلة تدل على أحدهات مخصوصة، وحكم الخاص أن يكون من العام ويستحبيل كون العام من الخاص" فهو يدافع على أصل من أصول المذهب البصري بحجج منطق البصريين، وتتلذذ على شيوخها المتأخرین، وعبر عن تفوق الأقدمين بقوله : "نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل في أصول رقل" (والرقل يعني به النخل).

#### د) بعض الاعتراضات عليه :

وبالرغم مما يمتاز به هذا العالم من ارتفاع الصيت، وعلو المكانة، في عصره، فإنه كان عرضة لبعض الانتقادات منها ما جرى بينه وبين ابن خالويه في مسائل الإغفال، ومنها اتهامه بتحريف بعض الشواهد مثل ما ذكره عنه ابن هشام نقلاً عن الأسود الغندجاني، وذلك في قول الشاعر :

وَطَرْفَكَ إِمَا جَهْنَنْمَا فَاحْبَسْنَهُ      كَمَا يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حِيثُ تَنْظَرُ  
وَأَنَّ أَصْلَ الْبَيْتِ : لَكَيْ يَحْسِبُوا<sup>(4)</sup>.

وإن من أطرف الاعتراضات على أبي علي الفارسي ما ساقه المعري في أسلوبه الساخر ضمن رسالة الغفران، إذ قال : "وكنت رأيت في المحشر شيئاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون تأولت

(1) المدارس النحوية (عازياً للهمع)، ص 260.

(2) المفتني، ص 350.

(3) المصدر نفسه، ص 91.

(4) المسائل العسكرية : 95.

علينا وظلمتنا ، فلما رأني أشار إلى بيده فإذا عنده طبقة منهم يزيد بن الحكم الكلابي وهو يقول : ويحك أنشدت عنك هذا البيت برفع " الماء " ، وهو يعني :  
 فليت كفافاً كان شرك كله ، وخيرك عنك ما ارتوى الماء مرتسي  
 ولم أقل إلا الماء (بالنصلب) وكذلك زعمت أنني فتحت الميم في قوله :  
 تبدل خليلًا بي كشكلك شكله فإن خليلًا صالحًا بك مقتوى  
 وأنا قلت مقتوى بضم الميم .

وإذا رجل آخر يقول ادعى على أن الهاه راجعة إلى الدرس في قوله :  
 هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب

فقال :

أنمجنون أنا حتى أعتقد ذلك<sup>(1)</sup>

غير أن ما ذكره المعري هنا عن الفارسي يختلف عما روی عنه في البصريات لأن الأصل عنده أن لا يقع الفعل على الظاهر وضميره، أما عود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل فكثير ومنه :

إذا دعي السفيه جرى عليه وخالف والسفيه إلى خلاف<sup>(2)</sup>

ولقد أسلهم الفارسي في تصصيل فكر عصره، فسعة ثقافته النحوية، و دراسته الفقهية، أهلته لتعزيز التنظير اللغوي، والتقرير بين مناهج النحوة وفقهاه المتكلمين، فكان من الذين أحكموا الصلات بين الخطاب اللغوي ومتضييات الأحكام. من أمثلة ذلك قوله فيما عزاه لأبي يوسف، إن المعاهد لا يقتل بالكافر واستدل بما روی في الحديث الشريف وهو لا يقتل مسلم بكافر حربي ولا ذو عهد في عهده، فأولها أنه لا يقتل ذو عهد بكافر. ويقول أبو يوسف : أنه لو كان لا يقتل مومن بالمعاهد، ل كانت الرواية، ولا ذي عهد في عهده.

وإذا أنهينا الكلام في هذا الفصل عن هذا النحو الكبير فإننا سنعود إلى آرائه وأفكاره النحوية عند تلميذه العبرقي أبي عثمان بن جنبي .

(1) المعري، رسالة الغفران....

(2) الحجة (المقدمة عازية إلى رسالة الغفران) : 20-21

## 7. أبو الفتح بن جني

### أ) حياته :

امتدت حياة أبي الفتح في القرن الرابع الهجري، ولد في عقوده الأولى وتوفي قبل انصرامه بأعوام قلائل، وتردد بين حواضره الثقافية صحبة أعلامه المشهورين. بدأت حياته العلمية في الموصل الذي كان من معاقل الدراسات النحوية منذ عهد مسلمة بن عبد الله الفهري الذي تلمذ على خاله عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي.

وأخذ ابن جني في مراحله الأولى من أبي مقس<sup>(1)</sup> المعروف أنه كان راوية لشعلب، وسمع من فصحاء الأعراب كأبي عبد الله العقيلي التميمي وأبي صالح السليل بن أحمد، وقد روى عن هذا الأخير أن النعمان بن المنذر أمر أن تنسخ له أشعار العرب في الطنوج، وهي الكراريس، ثم تم دفنهما في قصره الأبيض، ولما كان المختار بن أبي عبيد على الكوفة، قيل له إن تحت القصر كنزا فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، ومن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة<sup>(2)</sup>.

ولقد أدرك أبو الفتح في حادثة سنه أنه قد أوتي بسطة في العلم تعوض ما له من نقص في الجسم وفي النسب. فقد كان متعاماً بإحدى عينيه (كناية عن العور) وفي ذلك يقول في صديق له :

صددوك عنني ولا ذنب لي  
دليل على نية فاسد  
فقد . وحياتك . مما بكيت  
خشيت على عيني الواحد  
ولو لا مخافة أن لا أراك  
لما كان في تركها فائدة<sup>(3)</sup>

وبما أن نسبة غير حقيق بأن يكسبه ما يتطلع إليه من جاه وشهرة، تصدى في صغره للتدريس إلى أن اصطدم بأبي علي الفارسي، فاعترف بعد لقائه أنه "ترب" قبل أن يتحضر<sup>(4)</sup> أي أنه أخطأ في ارتکاب منصب الأستاذية، مع أنه لم يتجاوز بعد مقام الطلبة، فقرر أن يلزم أبو علي الفارسي تلميذاً له طيلة أربعين سنة حتى صار من حقه أن يقول :

فإن أصبح بلا نسب فعلى في الورى نسي<sup>(5)</sup>

(1) ابن مقس : هو أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقس (ت 354 أو 355 هـ) كان راوية لشعلب، وأعرف الناس بنحو الكوفيين، وأعترفهم بالقراءات.

(2) الخصائص (مقدمة التحقيق) : 16/1.

(3) معجم الأدباء : 1588.

(4) نزهة الأنبا ، 246، معجم الأدباء : 1589.

(5) نزهة الأنبا ، 244، معجم الأدباء : 1586.

ثم صحب ابن جني المتنبي في شيراز، وكان أول من شرح ديوانه. وكان المتنبي يكن له التقدير، ويقول عنه : "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"<sup>(1)</sup>، وإذا سئل عن معاني شعره، يقول عليكم بالشيخ الأعور ابن جني فسلوه فإنه يقول ما أردت وما لم أرد<sup>(2)</sup>، ويقول "ابن جني أعرف بشعري مني"<sup>(3)</sup>. ويقول عنه الشاعالي في الittyمة "إنه القطب في لسان العرب وإليه تنتهي الرياسة في الأدب"<sup>(4)</sup>، فكان أبو الفتح بارعاً في صنعته، طموحاً في تفكيره، يسعى إلى الاستقصاء في التفاصيل والأمثلة، وإلى التعمق في التعليل، واستنباط أصول عامة، أثبتتها في نظرياته الواردة في كتاب الخصائص. وكان بالغ الأثر في الذين جاءوا من بعده.

### **ب) كتاب الخصائص :**

ولقد بين الدكتور محمد علي النجار في مقدمة تحقيق هذا الكتاب غاذج من البحوث التي اقتبسها منه ابن سيده في محكمه دون أن يعزوها إليه، مثل ما قد يفعل ابن الأثير في كتاب المثل السائر بينما يأخذ ابن سنان الخفاجي صاحب "سر الفصاحة" من علم ابن جني<sup>(5)</sup>.

ويعتبر أبو الفتح بن جني بعد الخليل بن أحمد، ثاني عبقرى نظر إلى اللغة العربية نظرة شاملة، ليستخلص من أساليبها المختلفة قواعد أصولية لضبط سماعها، واستنباط عللها، ووضع مقاييسها وبيان سماتها المميزة. ولقد استثار أبو الفتح في هذا العمل بالثروة اللغوية وال نحوية التي كانت بين يديه، من ثمرات مباحث سابقيه من علماء اللغة والنحو، ولاسيما شيخه الموسوعي أبي علي الفارسي، كما أفاد كذلك من المنحى المنطقي الذي سلكه ابن السراج في أصوله، بيد أن ابن جني امتاز بشيئين : أولهما ، تطبيق فكر أصول الفقه في مباحثه نحوية، ثانيا ، شمول بحوثه اللغوية التي استطاع من خلالها إبراز "خصائص" اللغة وأصولها وفتح صفحة جديدة في تاريخ النحو العربي ذلك أن الدراسات التي سبقته اقتصرت على استنباط القواعد وبيان شروط القياس عليها، واستخراج عللها، أما هو فقد تناول بصورة أشمل، وينظر أعمق ظواهر اللغة والنحو في عملية متكاملة، ترمي إلى تفسير الظواهر اللغوية من حيث الصلة بين الألفاظ والتركيب والدلائل،

(1) معجم الأدباء : 1588.

(2) الخصائص (مقدمة التحقيق) : 14/1.

(3) سر صناعة الإعراب (مقدمة التحقيق) : 14/1.

(4) المصدر نفسه : 13/1.

(5) الخصائص (المقدمة) : 32-29/1.

ويتمثل هذا العمل في العرض الفريد الذي قدمه في كتاب *الخصائص الذي ألغى الحواجز*  
التي أقيمت بين النحاة واللغويين.

والقيام بهذا النوع من العمل يحتاج إلى من له معرفة راسخة في اللغة والنحو.  
ولعل كونه من غير أصل عربي جعله أكثر تأهيلًا للتفكير فيها موضوعية، ذلك أن العربي  
يعيش لغته دون تفكير، فهي جزء من كيانه لا يمكن أن ينفصل عنها، أو يتجرد عنها أو  
تصير مشكلًا أمامه لأنها سر من حياته الطبيعية، فهو يشعر بها ويستعملها سليقة  
وليست خارجة عنه، فهو يفكر بها ولا يحتاج أن يفكر فيها مثل ما يقال إن العين لا تبصر  
نفسها.

ومن هنا نفهم أن أكثر الذين برعوا في تقنين قواعد اللغة والبيان كانوا من غير  
أصل عربي، أمثال سيبويه، وأبي علي الفارسي، وابن جني، والزمخشري والجزولي.

فكل هؤلاء تصورو اللغة العربية علمًا مستقلًا، تتطلب دراسته معرفة أسس  
القواعد وأبنيتها، وضوابط مدلولاته العامة، ليتجاوزوا تقنين الاستعمالات الفردية التي لا  
تخصيص للمنطق الخارجي.

وهكذا حول سيبويه تأملات الخليل العلمية، إلى قوانين ثابتة، ووضع ابن جني  
نظريات النحاة في شكل نظام لغوی عام يتجاوز حقل اللغة نفسها بصفتها ألفاظاً ومعانی  
ليتناول أساس آليات التفكير والتعبير، اطلاقاً من الصوتيات إلى الأشكال البنوية.

كل هذا واضح في كتبه التي تربو على الستين، والتي أصدق ما يقال عنها وصفه  
هو لها إذ يقول أبيات شعر :

تناقلها الرواية لها	على الأجهان من حدب
فيرتع في أزاهرها	ملوك العجم والعرب
فمن مفن إلى مدن	إلى مثن إلى مطرب <sup>(1)</sup>

وإن من أشهرها المحتسب، وسر صناعة الإعراب، والللمع في النحو، وكتاب  
الخصائص المهدى إلى بها، الدولة الذي قال عنه : هذا كتاب لم أزل على فارط الحال،  
وتقادم الوقت ملاحظاً له، عاكس الفكر عليه، منجذب الرأي والرواية إليه، وادأً أن أجده  
مهماً أصله به، أو خلاً أرتقه بعمله، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم  
العرب، وأذهب في طريق القياس والنظر، وأجمعه لأدلة ما أودعته هذه اللغة الشريفة من  
خصائص الحكمة.

(1) معجم الأدباء : 1593.

وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه، فاما كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين في قوله، وقد تعلق عليه به وسنقول في معناه على أن أبو الحسن قد كان صنف في شيء من المقايس كتيباً إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أنا نبنا عنه فيه<sup>(1)</sup>.

بدأ ابن جني في الخصائص بالفصل بين الكلام والقول. وفي بحثه في لفظ "القول" استعرض تصريف هذا اللفظ واستتقائه مع تقلب الحروف، وجهات تراكيبيها الستة، المستعملة فيما يسمى بالاشتقاق الأكبر. واستخلص من هذه التراكيب معنى جامعاً، وهو الحفة والسرعة.

**فالقول :** يخف له الفم واللسان، والقلو حمار الوحش، وذلك لخفته وإسراعه، والوقل الوعل، وهو أيضاً سريع خفيف، يتوقل في جبال، والولق، السرعة، واستشهاد بقول الشاعر :

## جاءت به عنـس من الشـام تلقـ

واللوق ما خدم باليد وحرك وفي الحديث "لا آكل من الطعام إلا ما لوق لي" ومنه اللوقة للزبدة لخفتها وحركتها، واللقو، اشتقت منه اللقوة وهي العقاب لخفتها وسرعة طيرانها<sup>(2)</sup>.

ويقول : وبعد فقد ترى ما قدمنا في هذا أنفا<sup>(3)</sup> ، أي لم يسبق إليه ، وأما ”كلم فالستعمل من أصولها الستة خمسة ، وإذا ما قلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة . فالكلم الجريح ، واستدل بقول أمرء القيس :

## وجرح اللسان كجروح اليد

وكمال الشيء تم واشتد، واللهكم معروف، ومكمل البتر إذا قل ما ذرها، وكربه موردها، وهي شدة ظاهرة، والخامس ملك، وهو القوة والغلبة، والكلام عند التحريين فهو كل لفظ استقل بنفسه وجنى منه ثمرة معناه والقول كل لفظ مذل به اللسان تماماً كان أو ناقصاً، فكل كلام قول، وليس كل قول كلاماً<sup>(4)</sup>.

## ١) الخصائص، (باختصار،) 01/01/02.

١١-٥/١ الماء + نفسه : (٢)

١٢/١ الصد نفسم : ١١ (٣)

J7-13/1 : مراجعة الفصل (4)

ثم عرف النحو بأنه : "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتشني، والجمع، والتحcir، والتکسیر، والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك ليتحقق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شد بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوأً كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم" (1).

وتطرق للإعراب والبناء فقال : الإعراب الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرعاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه" (2).

والبناء لزوم آخر الكلمة ضرورةً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيء، أحدث ذلك من العوامل، سمي بذلك من حيث كان البناء ملزاً موضعه" (3).

ثم تناول في هذا الكتاب الفريد من نوعه، مجموعة من أهم القضايا التي تبحث فيما يعرف اليوم باللسانيات، ونستعرض بعضها في الحديث عن مذهب النحو.

### ج) سو الصناعة :

أما سر صناعة الإعراب فقد ألقى في أحكام حروف المعجم، ومواقعها في كلام العرب "وسعـت همتهـ فيـهـ أـنـ يـبـلـغـ مـنـ ذـلـكـ فـوـقـ قـدـرـ الـكـفـاـيـةـ، وـأـنـ يـحـرـزـ بـتـوفـيقـ اللـهـ قـصـبـ السـيـقـ إـلـىـ الـغاـيـةـ". فقال إنه سيذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها إلى صفاتها المعروفة، وأن يذكر الفرق بين الحرف والحركة، وأن يبين محل الحركة من الحرف، إلى غير ذلك مما يعرف اليوم بعلم الأصوات. وهو في هذا الميدان قام بعمل رياضي نظرياً أنه استطاع تطوير مباحث سيبويه في مخارج الحروف وصفاتها وتنظيمها بصورة أشمل. مع أنه جمع بين الأوصاف الصوتية، والمعاني الوظيفية لهذه الحروف.

ففي باب الباء يقول مثلاً : "الباء حرف مجهور يكون فاءً وعيناً ولاماً، نحو بشر، وبعث، وصبر، وشبع، وضرب، وقرب. ولا تستعمل زائدة، وذكر إبدالها من الميم، وأنها تأتي للالتصاق نحو أمسكت بزيد، وللاستعانة نحو كتبت بالقلم، ولإضافة مثل مررت بزيد أضفت حروفها إلى زيد الباء. وقال : إن ما يحكىه أصحاب الشافعي أنها للتبعيض فشيء لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ثبت، ثم ذكر العلة التي صارت بها حروف الإضافة

(1) المقصائق : 34/1

(2) المصدر نفسه : 35/1

(3) المصدر نفسه : 37/1

هذه جارة وذلك من قبل أن الأفعال التي قبلها ضفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها فرفدت بحروف الإضافة، ولم تُنْصَب للفرق بين الفعل الناضب بنفسه والناضب بواسطة. ولم ترفع لأن الرفع استولى عليه الفاعل، ولذلك صارت جارة وبعدما استطرد في بحث مستفيض الفرق بين عملها وعمل الواو، وأداة الاستثناء، قال إنها قد تزاد توكيداً للكلام كقوله تعالى : ﴿أَلِمْ يَرَى أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ عَبْدٍ﴾ (الزمر - الآية 36) و ﴿وَمَا أَنْتَ مَبْوْنَنَّ لَنَا﴾ (يوسف - الآية 17) و ﴿وَمَا أَنَا بِظَارِدٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء - الآية 114)، ثم ذكر مواضع زيادتها، وشهاد من القرآن الكريم والشعر العربي<sup>(1)</sup>.

وهذا الكتاب حافل بالباحث النحوية والصرفية في استطراداته الكثيرة، سنورد منها أمثلة في دفاعه عن المذهب البصري، كما أنه يشمل طرائف من غرائب أوجه التصريف على نحو ما نراه في المثال التالي :

يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب : فإن تسمّ رجلاً "عنقاً" جمع عناق ثم ترجمة على قول من قال "يا حار" فتبديل واوه ياء لأنه ليس في الكلام اسم آخره واو قبلها ضمة فتقول "يا عُنى أقبل" فإن سميت بـ "عنى" هذا رجلاً ونسبت إليه أبدلت من الكسرة قبل الياء فتحة لتنقلب الياء ألفاً فيصير في التقدير "عُنا" ثم تقلب ألفه واوا لوقوع ياء في النسب بعدها، فتقول "عنوي". فإن رحمت "عنوي" هذا على قول من قال "يا حار" حذفت ياء النسب. وأبدلت من الواو التي قبلها ألفاً لتحرکها وافتتاح ما قبلها فتقول "يا عُنا أقبل" فالألف الآن في "عُنا" إنما هي بدل من الواو الزائدة في "عنوي" والواو في "عنوي" بدل من الألف في "عُنا"، والألف في "عُنا" بدل من الواو في "عنوي" الأول في المرتبة والواو في "عنوي" بدل من الألف في "عُنا" والألف في "عُنا" بدل من الياء في "عنوي" والياء في "عنوي" بدل من الواو في "عنو" التي هي ترجمة "عنوق"<sup>(2)</sup>.

#### د) كتاب اللمع :

أما كتاب اللمع فإنه يتسم بالشمول والاختصار والوضوح، والارتباط باللغة ودقّة المصطلحات، وقد تناول فيه ابن جني جميع أبواب النحو والصرف، في ترتيب منظم، وأسلوب سهل يبدو أنه دروس لعامة طلاب العربية، فكان يخاطب القارئ، أو المستمع يقول "يا فتى" ويوضح القاعدة بالمثال المأخوذ من اللغة المستعملة، مشيراً في بعض الأحيان إلى صلة الكلام بالمتحدث. ففي الندبة، قال : إن أكثر من يستعملها النساء<sup>(3)</sup>.

(1) سر صناعة الإعراب : 119-133.

(2) المصدر نفسه : 674.

(3) كتاب اللمع في العربية : 69.

وفي علامة الأفعال اكتفى بالعلامات الخارجية فقال إنه ما حسن فيه "قد" أو كان أمرا<sup>(1)</sup>، وحينما قسمه على الأزمنة، أوضح ذلك بأن قرنه بالظروف الدالة على تحديد الزمن. فقال، قام أمس وهو يقرأ الآن، وسينطلق غدا<sup>(2)</sup>.

ويقول القبطي إن كتاب الإيضاح للفارسي واللمع لابن جني شغل الناس عن جمل الزجاجي<sup>(3)</sup>. وقد كان اللمع محل اهتمام بالغ من قبل النحويين وعليه أكثر من عشرين شرحاً شرحة، ابن برهان (ت 456 هـ)<sup>(4)</sup>، وأبو نصر الفارقي (ت 487 هـ)<sup>(5)</sup>، والتبريزي (ت 502 هـ) من أعلام القرن الخامس<sup>(6)</sup>، وجامع العلوم (ت 535 هـ)<sup>(7)</sup> وابن الشجري (ت 542 هـ)<sup>(8)</sup> وابن الدهان (ت 569 هـ)<sup>(9)</sup> والعكيري (ت 616 هـ)<sup>(10)</sup> بعدهم، واهتم ابن هشام بشواهدها وقد نافس كتاب "اللمع" الإيضاح وجمل الزجاجي على مكانة الكتاب المدرسي إلى أن ظهرت ألفية ابن مالك.

### هـ) مذهبه العام :

يرى بعض المعاصرين أن ابن جني كان بعدي المذهب نظراً لأخذة عن أئمة الكوفيين والبصريين لكن انتماه للبصريين يتضح في كتاب اللمع من خلال مواقفه التي تابعهم عليها مورداً إليها وكأنها مسلمات لا تحتاج إلى مناقشة أو برهان، من ذلك قوله : إن

(1) كتاب اللمع في العربية : 10.

(2) المصدر نفسه : 11.

(3) إباه الرواة : 161/2.

(4) هو عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن ابراهيم بن برهان النحوي الحنفي. ترجمته : إباه الرواة : 213/2، بغية الوعاء : 120/2.

(5) هو أبو نصر الحسن بن أسد الحسن الفارقي النحوي اللغوي الشاعر مؤلف "شرح اللمع" و "الإفصاح في شرح أبيات مشكلة" ترجمته : إباه الرواة : 329/1، بغية الوعاء : 500/1.

(6) هو أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني الخطيب التبريزي أحد أئمة اللغة والنثر، ألف "شرح اللمع" و "شرح الحماسة" و "شرح ديوان المتبي". وغيرها. ترجمته : نزهة الألباء : 270، بغية الوعاء : 338/2.

(7) هو علي بن الحسين بن علي الضرير النحوي المعروف بالجامع، كعبة النحو والإعراب، له "شرح اللمع" وغيرها. ترجمته : إباه الرواة : 247/2، معجم الأدباء : 1736، بغية الوعاء : 160/2.

(8) هو أبو السعادات هبة الله بن علي الشريف العلوي الحسني المعروف بابن الشجري صاحب كتاب الأمالي المشهور شيخ ابن الأنباري وهو آخر من ترجم له في نزهة الألباء، صاحب الأمالي و "شرح اللمع" وكتاب الخامسة.

(9) هو أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان البغدادي، شرح الإيضاح في ثلاثة وأربعين مجلداً وشرح "اللمع" أيضاً في عدة مجلدات. ترجمته : إباه الرواة : 47/2، معجم الأدباء : 1369.

(10) هو أبو الباقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحوي الضرير العكيري الأصل البغدادي المولد والدار له "شرح اللمع" و "شرح الإيضاح" و "شرح المقامات الحريرية" وإعراب القرآن والقراءات. وغيرها. ترجمته : إباه الرواة : 116/2، معجم الأدباء : 1515.

"بئس" و "نعم" فعلان ماضيان<sup>(1)</sup> و قوله بفعالية صيغتي التعجب ومنعه القياس عليه فلا تقول "ما أبىضه"<sup>(2)</sup> وفي حديثه عن "من" الجارة لم يأت بمثال يدل على أنها تأتي لابتداء الزمان<sup>(3)</sup>، كما لا يجوز عنده تقديم الفاعل على الفعل<sup>(4)</sup>.

ومن مظاهر بصريته أيضاً تقريره من آراء الإمام سيبويه في استعمال أمثلته، مثل "وامن حفر بث زمزمه"<sup>(5)</sup> والسمن منوان بدرهم<sup>(6)</sup>، وفي قوله باستحسان حذف التاء في الفعل إذا فصل عن المؤنث المسند إليه مستدلاً بقول الشاعر :

إن أمرء غره منكـن واحـدة      بعـدي ويعـدك في الدـنيا لمـغـور<sup>(7)</sup>

وفي نطاق بصريته نراه ينتصر للإمام سيبويه، في معرض كلامه عن ألف الثنية، والخلاف فيها هل هي حرف إعراب أم دليل إعراب. ولنلخص هنا بحثه الطويل في هذه المسألة. يقول ابن جني :

"واعلم أن هذه الألف قد زيدت في الاسم المثنى علما للثنوية، وذلك قولهم رجال، وفرسان، وزيدان وعمران" واختلف فيها فقال سيبويه هي حرف الإعراب، وكذلك الياء في حال الجر والنصب، ولا تقدير إعراب فيها".

"وقال أبو الحسن إنها دليل الإعراب. وقال الجرمي انقلابها هو الإعراب. وقال الفراء وأبو إسحق الريادي إنها هي الإعراب".

"واعلم أنا بلونا هذه الأقوال فلم نر فيها أصلب مكسرأ ولا أحمد مخبرأ من مذهب سيبويه والدليل على صحة قول سيبويه أن الذي أوجب للواحد المتمكن حرف إعراب في نحو رجل وفرس هو موجود في الثنوية نحو رجال وفرسان وهو التمكن، وهي تحتاج إلى حرف إعراب".

"وهذا الحرف إما أن يكون قبل الألف، أو الألف، أو ما بعد الألف. ففي الزيدان، الدال ليست حرف إعراب لأن الثنوية مثل التائيت في قائم، وقائمة. فكما أن الميم في قائمة ليست حرف إعراب وإنما علم التائيت في قائمة هو حرف الإعراب فكذلك ينبغي أن يكون علم الثنوية في نحو قولها "الزيدان" هو حرف الإعراب. لأن الألف علامة الثنوية

(1) كتاب اللمع في العربية : 79.

(2) نفس المصدر : 78-79.

(3) نفس المصدر : 42.

(4) نفس المصدر : 16.

(5) نفس المصدر : 69.

(6) نفس المصدر : 13.

(7) نفس المصدر : 16-17.

والباء علامة التأنيث، ولا يمكن أن يكون النون، لأنها حرف صحيح يحتمل الحركة فلو كانت حرف الإعراب لقللت قام الزيدان (بضم النون). وانقلاب هذه الألف ياء في النصب والجر لا يمنع من كونها حرف إعراب مثل ما اتفق عليه في كلا، وكلتا. ونفس الانقلاب في الأسماء الخمسة، فلو لم تكن الواو في "ذو" حرف إعراب لبقي الاسم المتمكن على حرف واحد وهو الذال. وفي ألف عصاي، إذ يقال فيها عصى، وباء التأنيث التي هي حرف إعراب إجماعاً تقلب هاء في الوقف. ونحو من ذلك أيضاً إبدال ألف التأنيث همزة عند بعضهم في الوقف نحو "حبلأ" في الوقف على حبل، وهذا القلب يدل على تمكّن الإعراب، بعده عن البناء وليس مثل "متى" و"إذا" مما آخره ألف من المبني.

"وقد قلبت لأن التوايّب تبيّن إعراب المقصور، ولا تبيّنه بنفس الدرجة في الثنائيّة لأن التوايّب سوف تثنى بعدها هي أيضاً، مع أن بعضهم لا يقبلها"<sup>(1)</sup>.

"يرى سيبويه أنه لا تقدير للحركات في حروف إعراب الثنائيّة بدليل قوله : ودخلت النون كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين، فلو كانت نية الحركة عنده موجودة لما احتاج إلى العوض عنها كما لا يعوض عنها في حبل<sup>(2)</sup>، ويعزو ابن جني للفارسي قوله "وبدل على صحة ما قال سيبويه من أنه ليس في حرف الإعراب تقدير حركة صحة الياء في الجر والنصب ولو كان في الياء منها تقدير حركة لوجب أن تقلب ألفاً كرحي وفتى، ألا ترى أن الياء إذا افتحت ما قبلها وكانت في تقدير حركة وجب أن تقلب ألفاً، وهذا استدلال من أبي علي في غایة الحسن وصحّة المذهب وسداد الطريقة"<sup>(3)</sup>.

وأما قول أبي الحسن إنها دليل الإعراب، فمعنى ذلك عنده أنها تقوم مقام الضمة والفتحة والكسرة وتفيده ما يفديه، فشابه الألف النون التي في يقونان. وما قال أبو الحسن له وجه لأنها تدل على الإعراب لكن الخلاف بينه وبين سيبويه إنكاره أنها أحرف إعراب<sup>(4)</sup>، وقد ظهر ذلك آنفاً.

وأما قول الجرمي فضعف ووجه فساده أنه جعلها حرف إعراب في الرفع وجعل الإعراب في الجر والنصب معنى لا لفظاً وفي الرفع لفظاً لا معنى فتختلفت جهة الإعراب في الاسم الواحد<sup>(5)</sup>.

(1) سر صناعة الإعراب : 704-695.

(2) كتاب سيبويه : 1/17-18.

(3) سر صناعة الإعراب : 706.

(4) نفس المصدر : 713.

(5) نفس المصدر : 713.

وأما قول الفراء وأبي اسحق الزبادي "إن الألف هي الإعراب" فإنه أبعد الأقوال من الصواب، قال أبو علي "يلزم من قال إن الألف هي الإعراب" أن يكون الاسم متى حذفت منه الألف دالاً من معنى التثنية على ما كان يدل عليه والألف فيه، لأنك لم ت تعرض لصيغة الاسم وإنما حذفت إعرابه<sup>(1)</sup>.

## و) السماع عنده :

لقد أولى ابن جني عناية خاصة للسماع، فاهتم بالقراءات وألف فيها كتابه المحتسب الذي بين فيه أن مجمل القراءة، ولو كانت شاذة، فإن لكل منها ما يبررها من كلام العرب، قائلاً : إن اللغات تختلف، وإن كلها حجة مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام إن القرآن نزل بسبعة أحرف كلها شاف كاف، غير أن عنايته بالحديث النبوى، محدودة مثل ما هو حال شيخه أبي علي الفارسي.

لكنه مع ذلك وضع مقاييس خاصة لحجية اللغة، مستلهما إليها من آراء الأصوليين، فقال : إن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده أنه لا يخالف النصوص، والمقياس على النصوص<sup>(2)</sup>. فهو في هذه القاعدة يدخل في نظام المناظرات الأصولية، كما أنه عقد باباً خاصاً لحكم العربي الذي يسمع لغة غيره، هل يراعيها، ويعتمدتها أم يطرحها<sup>(3)</sup>، وهنا يؤكد على تعددية الفصيح من اللغة، دون أن يعطي سلماً للأفصح، مثل ما رأينا عند الخليل، وسيبوه، اللذين يفرقان بين اللغة المعتمدة لهجات القبائل.

ومن الملاحظات التي أوردها في معرض السماع قضية تشبه ما اصطلاح عليه الأصوليون بفساد الاعتبار، وذلك حينما تحدث عن "تقاود السماع وتقارع الانتزاع" فقال : إن السماع قد يطرد في حكم ما، مثل رفع الفاعل ولكن قد تختلف النتائج المترتبة على هذا الحكم إلى أن يصل الأمر إلى الاستدلال بالشيء الواحد على الحكمين الضديين مثل ما هو في قول أبي حية التميري :

زمان علي غراب غداف      فطيره الشيب عنى فطارا

فقال في هذا : يمكن أن يذهب ذاهب إلى سقوط حكم ما تعلق به الظرف من الفعل ويُ肯 أيضاً أن يستدل به على ثباته وبقاء حكمه، فالظرف الذي هو "علي" متعلق بمحذوف تقديره "استقر على"، وقام الظرف مقامه، فمن ثبت حكم الفعل المحذوف جعل "فطيره"

(1) سر صناعة الإعراب : 716

(2) المخالص : 189/1

(3) المصدر نفسه : 14/2

عطفاً على "استقر"، ومن اعتقاد سقوط حكم ما تعلق به الظرف استدل عليه، بعطف  
"قطيرة" على الظرف الذي هو "علي"<sup>(1)</sup>.

### ز) القياس :

القياس من الأسس التي بنى عليها ابن جني آراءه اللغوية، فلقد كانت له المقوله المأثورة وهي أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب<sup>(2)</sup>. ثم خصص باباً مستقلأً لمقاييسها<sup>(3)</sup>، كما أنه مد آفاق هذا القياس ليشمل النثر والشعر فقال : إن لنا أن نقيس منشورنا على منشور العرب، وأن نقيس شعرنا على شعرهم، وفي هذا المجال يجيز للشاعر أن يأتي بكل الاستعمالات الواردة في ما يسمى بضرائر الشعر<sup>(4)</sup>، ولا حرج عليه في ذلك، فهو في هذا المنهج يتقرب شيئاً ما من مذهب الكوفيين.

لكنه مع ذلك لم يطلق العنوان للقائس ليقول ما يشاء بل إنه وضع له ضوابط تحمي من الخروج عن الجادة، نذكر منها ما قاله في بابين من كتابه وهما "تعارض السماع والقياس" ، و"امتناعهم من الكلام بما يجوز فيه القياس". وأعطي أمثلة تتحمل القياس، لكن السماع ينفعه، منها أن العرب لم تأت بخبر المبتدأ في قولنا : لعمرك لأقومن<sup>(5)</sup> ، ولم تقل "استحاذ" وإنما قالت استحوذ<sup>(6)</sup> ، ولم تستعمل إلا نادراً الماضي من يدع، ويندر<sup>(7)</sup> ، ولا المضارع من عاره في قولهم "لا أدرى أي المجراد عاره" أي ذهب به<sup>(8)</sup>.

في إفاساحه لمجال القياس في النثر والشعر، من جهة وضبطه لحدوده من جهة أخرى اتبع طريقاً وسطاً وسلوكاً يتسم بالتوازن والاعتدال، يسوقه فيه منهجه القياسي الذي أعطاه وسائل التجريد والتعميم وبقوده اطلاعه الواسع على نصوص العربية الصحيحة وحدقه لأساليب العرب في استخدامها.

(1) المختصص : 107/1

(2) نفس المصدر : 357-114/1

(3) نفس المصدر : 115-109/1

(4) نفس المصدر : 396/1

(5) نفس المصدر : 393/1

(6) نفس المصدر : 394-117/1

(7) نفس المصدر : 396/1

(8) نفس المصدر : 394/1

## ح) التعليل :

وفي حديثه عن العلل، تقرب ابن جني من مذهب المتكلمين، وقال إن العلل النحوية أقرب إلى عللهم<sup>(1)</sup>، وإن مرجعها العام هو الثقل والخفة، ومثل لذلك بأمثلة في التصريف والإبدال<sup>(2)</sup>، فمن دقة ملاحظته، اعتباره لخضوع القواعد اللغوية للسعى إلى سهولة التلفظ، ثم بين الفرق بين العلة والسبب، قائلاً : إن العلة مبنها على الإيجاب، مثل نصب الفعلة، وإن السبب علة الجواز مثل حكم الإمالة<sup>(3)</sup>. ورد على ابن السراج في كلامه عن علة العلة في مثل قول القائل، ما هي علة رفع الفاعل ؟ ولم صار الفاعل مرفوعاً ؟ فذكر ابن جني أن هذا من باب شرح العلة وتتميمها لا من باب العلة<sup>(4)</sup>.

وقد استدل البعض على ضعف حجية النحوي في قولهم برفع الفاعل ونصب المفعول وجر المجرور بأن قد نجد الأمر على خلاف ذلك فنجد الفاعل منصوباً في نحو "إن زيداً قام" ونجد المفعول مرفوعاً في "ضرب زيد" كما نجد المجرور مرفوعاً في نحو ﴿ولله الأمر من قبل ومن بعد﴾.

وقد انتقد ابن جني هذا وقال إنه هراء ولغو وإن قائله لا يفرق بين الفاعل اصطلاحاً والفاعل في المعنى والمفعول في حال كونه فعلة أو لا وحال الإعراب وحال البناء. كما انتقد الجاحظ في استدلاله على رأيه المشهور في ضعف علة النحوي، ببيت الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاشر

إذ قال الجاحظ إن في هذا البيت تكذيباً لقول النحويين إن "أفعل" المؤثثة بفعلى، لا تجمع فيها "أل" مع "من" ورد ابن جني أن "من" في هذا الموضع ليست تلك التي تصاحب أفعال التفضيل نحو : من هو أحسن منك، وإنما هي مثل "أنت من الناس حر". وقد أراد الشاعر، لست من بينهم بالكثير الحصى، ولست فيهم بالأكثر حصى<sup>(5)</sup>.

ويتضح التقارب بينه وبين الأصوليين في هذه البحوث، حينما يرفض العلة القاصرة حيث يقول إن بناء الكلمة على حرفين لا يمكن أن يصلح علة لبناء اسم مثل "كم" بسبب انتقاضها بوجود "يد" ونحوها<sup>(6)</sup>.

(1) الحصانص : 1/48-145.

(2) نفس المصدر : 1/49.

(3) نفس المصدر : 1/164.

(4) نفس المصدر : 1/173.

(5) نفس المصدر : 1/184-186.

(6) نفس المصدر : 1/169.

وهكذا نرى أنه ينطبق على ابن جني ما يقال في تفسير اسم والده، فلقد كان من عباقرة النحاة الذين سموا تاريخه بمنظومة من الأفكار المتطورة، والتي قررت بين الدراسات اللغوية والنحوية، واعتمدت منهجاً جديداً متميزاً عن طريق دعوة المنطق الأرسطي مستلهماً آليات المنهج الأصولي عند المتكلمين بواسطة المقارنة وباستعمال مصطلحاتهم المعروفة، فاستطاع ابن جني أن يصوغ نظريات لغوية نحوية وعد بها الخليل في إشاراته التعليلية، وقدم ابن السراح عنوانها دون أن يسرى على دربها، وحرر الزجاجي طرفاً منها لكن عمله بقي جزئياً، حتى انتزع ابن جني من تعاليم شيخه العملاق أبي علي الفارسي، أصولها في نسق يكاد يكون متكاملاً.

ثم جاء دور ابن الأنباري الذي أعطى لهذا المنهج شكله النهائي حينما استنسخ منه صورة مطابقة للنظام الأصولي، ولو أنه في هذه المحاولة، لم ينل مرضاه جميع النحوين الذين ظلوا متشبثين بنحو الفروع إلى أن حقق لهم ابن مالك رغبتهم الكامنة في تصور نحو القواعد التطبيقية، ومع ذلك فإن نظرية ابن جني، وتجربة ابن الأنباري، ومحاولته تجديده في اقتراح السيوطي، لها كلها أهميتها في تاريخ تطور النحو العربي.

## 8. أبو البركات ابن الأنباري :

عاش ابن الأنباري في عصر ازدهرت فيه العلوم، وانتشرت المدارس العلمية ونشطت حركة التأليف والتعليم.

غادر مدينة الأنبار صغيراً، والتحق بالمدرسة النظامية في بغداد، ولازم شيوخ العلوم في عصره، فأخذ الفقه والأصول عن أبي منصور الرزاقي، واللغة والأدب عن أبي منصور الجوالبي، ودرس النحو على الإمام أبي السعادات بن الشجري صاحب الأمالى<sup>(١)</sup>، ومزج ابن الأنباري بين كل هذه العلوم، فمد بينها جسور الأصول والقواعد، وكتب عنها عشرات الكتب. وكما أنه زهد في الدنيا، وتفرغ للعلم، والتفكير والتأليف، فقد اتسمت مصنفاته بالجودة والجلدة.

### أ) الإنفاق في مسائل الخلاف :

ومن كتبه التي صارت معلمة في تاريخ النحو كتاب الإنفاق في مسائل الخلاف، استطرد فيه مائة وعشرين مسألة بين البصريين والковفيين، وناقش حجتهم وأراهم فرجع رأي البصريين في مجملها، وأيد الكوفيين في قليل منها، وأهمية الكتاب تعود إلى كونه

(١) هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني البغدادي المعروف بابن الشجري، توفي ببغداد سنة 542 هـ، له مؤلفات منها شرح التصريف الملكي لابن جني وشرح اللمع لابن جني أيضاً، ومن أمتع كتبه كتاب "الأمالى".

أول من أبرز مضمرين كل مذهب، ومنهجه معتمداً على سعة اطلاعه النحوى، ومعرفته التامة بتاريخ النحاة الذى ألف فيه كتابه المعروف "نزهة الألباء" وهذا الكتاب من أمنع كتب الخلاف في النحو، وأحسنها عرضاً، ومنهجاً.

وتقلیداً منا للمنهج الشنقيطي في النظم، فقد اختصرت في نظم موجز مسائل الإنصاف، مقتضراً على أقوال البصريين، ومفهوم المخالفية يشير إلى رأي أهل الكوفة، وأوردنا هذه النظم في خاتمة هذا الفصل.

وليس كتاب الإنصاف هو وحده الذي يثير انتباه المهم بتاريخ النحو، بل إن آراءه في رسالة الإعراب في جدل الإغراب، ورسالة لمع الأدلة من أحسن ما كتب في أصول النحو فكأنها تتوسيع لإشارات ابن السراج، ومحاولات الزجاجي، ونظريات ابن جنى، فلقد استطاع ابن الأنباري أن يوحد بين منهجه الأصوليين والنحاة دون أن يلجأ إلى خلط مصطلح بين مضمونيهما.

### ب) رسالة الإغراب :

ولقد اقتضت من ابن الأنباري جماعة من الأصحاب تلخيصاً لكتاب الإنصاف فألفه ليكون أول ما صنف في هذه الصناعة في قوانين الجدل والأداب، ووضعه على أربعة أصول<sup>(1)</sup> وهي السائل والمسؤول به، والمسؤول عنه، والمسؤول عنـه، فوصف السائل بأنه المتعلـم المستفهم عما يثبت فيه الاستبهام وقد قيل : ما ثبت فيه الاستبهام صح عنه الاستفهام، فلا يصح السؤال عن البديهيات، وأنشد في ذلك :

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

ثم ذكر أنه من آداب السائل أن لا يسأل إلا عما يلام مذهبه، فلا يسوغ مثلاً للkovي أن يسأل لم عمل الابتداء الرفع في المبتدأ دون غيره لأن الابتداء ليس عاملاً في مذهبه.

ثم انتقل إلى المسؤول به، أي صيغة السؤال، وتحدث عن أدواته الاسمية والحرفية، وعن معانيها ومواضيع استعمالها. ثم تحدث عن ضرورة بيان معنى السؤال فلا يجوز القول : ماذا تقول في الاسم ؟ لأنه لا يعلم هل السؤال عن اشتقاقه أو عن حده أو عن علاماته.

أما المسؤول منه، فينبغي أن يكون أهلاً لما يسأل عنه مثل أن يسأل النحوى عن النحو، والتصريفي عن التصريف، وكذلك كل ذي علم عن علمه.

<sup>(1)</sup> الإغراب، ص 36 و 37.

ووصف المسؤول عنه بكونه يكن إدراكه، فلو سأله أحد عن أعداد جميع الألفاظ والكلمات الدالة على جميع المسميات كان فاسداً لتعذر إدراكه. وقال إن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال من غير زيادة ولا نقصان.

ثم خصص فصلاً للاستدلال<sup>(1)</sup>، وفسره بأنه طلب الدليل، وذكر أن أدلة الإعراب ثلاثة : نقل، وقياس، واستصحاب حال. وحدد النقل بأنه الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج من حد القلة إلى حد الكثرة. وأن القياس هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان وإن لم يكن منقولاً عنهم وأن استصحاب الحال هو إبقاء اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل كقولك في فعل الأمر، إنما كان مبنياً لأن الأصل في الأفعال البناء.

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني محقق كتابي الإغراب والمع، أن ابن الأبياري أدب النحو، وأضفى على أسلوب عرضه من المائة والتридية ما جبه إلى المطالع فأبعد عنه السأم، وليس بقليل أن نعرض ما يشبه الأرقام والقضايا المنطقية عرضاً جذاباً، وقال إن أسلوبه أسلوب رياضي جميل، ثم انتقى مثالاً من عرضه المنطقي في أحكام "كيف" إذ يقول ابن الأبياري "لا تخلو كيف من أن تكون اسمأً أو فعلأً أو حرفاً" فبطل أن يقال هي حرف لأن الحرف لا يفيد مع الكلمة واحدة، وـ"كيف" تفيد مع الكلمة واحدة. لا ترى أنك تقول "كيف زيد" ويكون كلاماً مفيدةً. وبطل أيضاً أن يكون فعلأً لأن الفعل إما أن يكون ماضياً أو مضارعاً أو أمراً، وبطل أن يكون فعلأً ماضياً، لأن أمثلة الماضي إما أن يكون على وزن فعل كضرب، أو فعل كمكث، أو فعل كسمع وعلم. وكيف على وزن فعل فبطل أن يكون فعلأً ماضياً، وبطل أن تكون فعلأً مضارعاً لأن الفعل المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع وهي الهمزة والنون والتاء والياء، وـ"كيف" ليس في أولها إحدى الزوائد فبطل أن يكون فعلأً مضارعاً، وبطل أن يكون أمراً لأن كيف يفيد الاستفهام والأمر لا يفيد الاستفهام فبطل أن يكون أمراً، وإذا بطل أن يكون فعلأً ماضياً أو مضارعاً أو أمراً بطل أن يكون فعلأً، والذي يدل أنه ليس فعلأً أنه يدخل على الفعل في نحو قوله : كيف تفعل كذا، ولو كان فعلأً لما دخل على الفعل لأن الفعل لا يدخل على الفعل، وإذا بطل أن يكون فعلأً، أو حرفاً، وجباً أن يكون اسمأً<sup>(2)</sup>.

(1) الإغراب، ص 45.

(2) مقدمة تحقيق كتاب الإغراب، ص 23.

## ج) لمع الأدلة :

الرسالة الثانية : كتبها ابن الأنباري بعنوان لمع الأدلة، وقد صرَّح أنه ألفها بعد رسالة الإغراب، وبين فيها أن أصول النحو هي الأدلة التي تفرعت منها الفروع والأصول مثل ما هو في أصول الفقه. واعتمد التقسيم الذي في كتاب الإغراب، أي أن أقسامها، النقل، والقياس، واستصحاب الحال. لكنه في المقام، توسع في الحديث عن النقل. واستعرض ما جاء منه، متواتراً أو خبر آحاد، وطبق على الفصول المخصصة له نهج أصحاب الحديث، مستعملاً مصطلحاتهم، وطرقهم فشرح شروط التواتر، والصحة، وتلقي الآحاد، وتحدى عن المرسل، والمجهول، وعن الجرح والتعديل.

ثم تناول القياس بصفة أقرب إلى أسلوب الأصوليين وذكر بأركانه الأربع، وهي الأصل، والفرع، والعلة، والحكم وأعطى عنه المثال التالي : نقول في الدلالة على رفع ماله يسم فاعله، إنه اسم أُسند إليه الفعل مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً، قياساً على الفاعل : فالأصل هو الفاعل، والفرع ما لم يسم فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع<sup>(1)</sup>.

ورد على نفأة القياس بقوله : إن النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ثم رد على شبههم وتناول أقسام القياس قائلاً إنها ثلاثة، قياس العلة وهو معنون به بإجماع العلماء، وقد سبق التمثيل له برفع ما لم يسم فاعله، وقياس للشبه وهو معنون به عند أكثر العلماء، ومثل له في إعراب المضارع قياساً على الاسم، لوجه الشبه بينهما وهو الاختصاص بعد الشياع، فإنك تقول "يقوم" وهو يصلح للحال والاستقبال، فإذا أدخلت عليه السين اختص بالاستقبال، كما أنها تقول رجل فيصلح لجميع الرجال وإذا أدخلت عليه ألف واللام اختص برجل بعينه، أما القسم الثالث من الأقىسة، فهو قياس الطرد، وهو كما يقول ابن الأنباري معنون به عند كثير من العلماء، أي أنه محل خلاف لأن مجرد الطرد عنده لا يكفي بل لابد معه من شبه وإخالة، غير أنه جعل الطرد من شروط العلة<sup>(2)</sup>.

وقال إن الاعتراض على الاستدلال بالقياس يقع من سبعة أوجه :

الأول : فساد الاعتبار، ومثل له بـ"استدلال البصريين على منع ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشعر، لأن الأصل الصرف، وتركه لا يجوز قياساً على مد المقصور، فيقول المعارض أن هذا الاستدلال بالقياس مقابل النص عند

(1) لمع الأدلة : 93.

(2) نفس المصدر : 95-112.

- العرب. كقول حسان بن ثابت :
- نصروا نبيهم وشدوا أزره
- وقول الأخطل :
- طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت
- وقول أبي دهبل الجمحي :
- أنا أبو دهبل وهب لوهب من جم ج والعز فيهم والشعب
- الثاني : فساد الوضع، مثل احتجاج الكوفي بجواز "أفعل" من صيغة السواد والبياض لأنهما أصل الألوان، فيجيئه البصري أن منعه في الفروع أقوى دليل على منعه في الأصل<sup>(2)</sup>.
- الثالث : القول بالوجوب، وهو تسليم موجب الحكم مع استبقاء الخلاف، كقول البصري بجواز تقديم الحال إذا كان فعلها متصرفاً وصاحبها ظاهراً، لأن تقديم معمول الفعل المتصرف ثابت في الحال وغيره، فيقول الكوفي، نعم يجوز تقديم الحال عندي إذا كان ذو الحال مضمراً<sup>(3)</sup>.
- الرابع : المنع، ومن أمثلته اختلافهم في الاستدلال على بناء فعل الأمر قياساً على بناء صيغة نزال<sup>(4)</sup>.
- الخامس : المطالبة بتصحيح العلة، إما بكونها مطردة منعكسة، أو بشهادة الأصول لها، نحو علة البناء في "كيف" و "أين" و "متى" لتضمنها معنى الحرف<sup>(5)</sup>.
- السادس : النقض، وهو تخلف الحكم عن العلة، كمن يقول إن حذام مبنية بسبب أنه قد اجتمع فيها التعريف، والتأنيث والعدل. لكن هذا منتقض بمثل "آذربيجان" التي اجتمعت فيها أكثر من ثلاثة علل وبقيت معربة<sup>(6)</sup>.
- السابع : المعارضة، وقد مر بيانها في النقل.
- ثم ختم رسالته بفصل في ترجيح الأدلة بمرجحات الرواية في النقل كصحة الإسناد وموافقة القياس.

(1) الإغراب : .55-54

(2) نفس المصدر : .56-55

(3) نفس المصدر : .57-56

(4) نفس المصدر : .58

(5) نفس المصدر : .59

(6) نفس المصدر : .60

ثم عرض في فصل هام، مواضع الاعتراض على الاستدلال، مثل ما فعل الأصوليون في باب القوادح، وبين أوجه الاعتراض على النقل من حيث الإسناد والمتن، وعلى القياس بقواعد المعروفة عند الأصوليين وعلى استصحاب الحال بإثبات زواله.

وقال فيما يخص النقل إن الإسناد ضروري، ولو لا لقال كل من أراد ما أراد، وكذلك توثيق الراوي. أما الاعتراض على المتن، فمن خمسة أوجه: منها اختلاف الروايات فقد ينقل الكوفي مستدلاً على مد المقصور في الشعر :

سيغبني الذي أغناك عنِي      فلا فقر يدوم ولا غباء

فيقول البصري أن روايته غناه بفتح أوله، ومنها أن يأتي المستدل بحججة لا يقول بها، كقول البصري، الدليل على أن واو رب لا تعمل الجر، وأن العامل "رب" مقدرة، إذ قد جاء الجر باظهارها من غير عوض من قول الشاعر :

رسم دار وقفـت في طلـه      كـدت أقضـي الحـيـاة من جـلـلـه

فيقول الكوفي إعمال حرف الجر مع الخذف من غير عوض يخالف مذهبك، فلا يجوز لك الاستدلال به ومنها المشاركة كاحتجاج الكوفي والبصري معاً، باشتقاء لفظ المصدر لرأي كل منهما في أصله، ومنها التأويل وهو حمل اللفظ على معنى. ومنهاأخيراً المعارضة، كاختلافهم في إعمال فعل التنازع، فيستدل الكوفي بقول الشاعر :

وقد نـغـنـي بـهـا وـنـرـى عـصـورـاً      بـهـا يـقـدـنـنـا الـخـرـدـ الـخـدـالـاـ

فيقول البصري هذا يعارضه قول الشاعر :

ولـكـنـ نـصـفـاً لـوـ سـبـبـتـ وـسـبـني      بـنـوـ عـبـدـ شـمـسـ مـنـ مـنـافـ وـهـاشـمـ

ويعتبر ابن الأنباري خاتمة أئمة النحو في المشرق، قبل انتقال المدرسة الأندلسية إلى مصر والشام على يد ابن مالك وأبي حيان، وقبل ظهور ابن يعيش وأقرانه. وقد ترك ابن الأنباري أثراً بالغاً في تاريخ النحو، لأن ما وصلنا من مؤلفاته التي تناهز المائة، يدل دلالة قوية، مع قلته، على ما يتحلى به هذا الرجل من علم، وعقل، وقد أعرب عما لهما في نفسه من تقدير بقوله :

وـالـعـقـلـ أـوـفـيـ جـنـةـ الـاـكـيـاسـ  
جـهـلـ الـفـتـىـ كـالـمـوتـ فـيـ الـأـرـمـاسـ  
لـتـرـىـ بـأـنـ العـزـ عـزـ الـبـاسـ  
وـمـطـامـعـ إـلـاـنـسـانـ كـالـأـدـنـاسـ  
وـبـهـ يـسـودـ النـاسـ فـوـقـ النـاسـ

الـعـلـمـ أـوـفـيـ حـلـيـةـ وـلـبـاسـ  
كـنـ طـالـبـاـ لـلـعـلـمـ تـحـيـيـ إـنـماـ  
وـصـنـ الـعـلـمـ عـنـ الـطـامـعـ كـلـهـاـ  
وـالـعـلـمـ ثـوبـ وـالـعـفـافـ طـرـازـهـ  
وـالـعـلـمـ نـورـ يـهـتـدـيـ بـضـيـائـهـ

**د) نظم ملخص الانصاف :**

وفيما يلي ملخص مسائل الإنصاف المشار إليها آنفاً :

وستة من واحد قد أعرت  
في سالم الجمع وفيما ثنيا  
والابتدأ به يكون الرفع  
وفرغ الجامد إن جا مفردا  
لغير أهله، وقدم خبرا  
وعامل المفعول فعل وقعا  
وفي التنازع الأحق الأقرب  
عدت من الأفعال عند العرب  
أبيض من أختبني أباض<sup>(١)</sup>  
زال، وفي "ليس" جواز علما  
وسبق معنول له قد حظرا  
لم يتمتنع، وإن" ترفع الخبر  
عطف على ناصبها مرتفع  
لكن" بلام خبر لا تقترن  
عل" صروف الدهر، فيها تشهد<sup>(٢)</sup>  
يا أيها المائج دلوي دونك<sup>(٣)</sup>  
لم يرى حذو الإمام قد حذا  
ان كان عن مبتدا قد أخبرا

من السمو أصل الأسماء ثبت وأحرف الإعراب واو، ثم يـا وـطلحـونـ شـذـ هـذـاـ الجـمـعـ وبعد ظرف رفعـواـ بالـابـتـداـ وأـبـرـزـ الـضـمـيرـ إـنـ وـصـفـ جـرـىـ وبعد لـولاـ الـابـتـداـ رـفـعاـ؛ بـ فعلـ أـضـمـيرـ اـشـتـغـالـ يـنـصـبـ؛ نـعـ، وـبـئـسـ، أـفـعـلـ التـعـجـبـ وـمـنـ صـوـغـهـ مـنـ الـبـيـاضـ كـمـنـ سـبـقـ خـبـرـ فـيـ نـحـوـ "ـماـ" وـنـصـبـتـ "ـماـ" فـيـ الـمـجازـ الـخـبـراـ وـسـبـقـ مـفـعـولـ لـفـعـلـ انـحـصـرـ قـبـلـ تـامـ خـبـرـ يـمـتنـعـ وـانـصـبـ يـهـاـ إـنـ خـفـفـتـ مـثـلـ كـأـنـ وـالـزـيـدـ فـيـ لـامـ لـعلـ اـعـتـمـدـواـ وـأـخـرـ الـمـعـمـولـ فـيـ إـغـرـائـكـاـ منـ صـيـغـةـ الـمـصـدـرـ فـعـلـ أـخـذـاـ وـيـنـصـ الـظـرفـ بـفـعـلـ أـضـمـراـ

(١) إشارة إلى قول الشاعر :

جارية في درعها الفضفاض

أبيض من

<sup>1</sup> راجع الإنصاف ص: 149-150.

(2) اشارة الى قوله:

عمل صروف الدهر أو دولاتها

الانصاف : 220

(3) الشاهد إشارة إلى :

يا أيها المائع دلوي دونكا  
إني رأيت الناس يحمدونك  
يشنون خيراً ويجدونك

الإنصاف : 228

بالفعل لا بعدم التساوي  
 أو ظاهراً تقديمه لن يحظرا  
 و"حضرت صدورهم" مُؤول  
 ترفع مع ظرف وجُرْ كِرِرا  
 نصب الاستثناء ليس إلا  
 ولا تُقْدِم حرف الاستثناء  
 فعلاً تُرى وتارة كحرف جر  
 مضافة لغير ما تمكنا  
 مفردة بسيطة من الكلم  
 بفصله من بعد نصب ما ظلم  
 وشذ في الشعر "ثماني عشرة"<sup>(١)</sup>  
 لكن إلى المثل يضاف وقبل  
 ضمًا ولكن موضع النصب عنى  
 مُؤول<sup>٢</sup> ولا يجوز نثراً  
 ومنعوا المضاف من ترخييم  
 من كفمطر مع سكون لا يضير  
 لأنه منكر مَا تُنَوِّنا  
 وليس في "من حِجَجٍ من حِجَجٍ"<sup>(٣)</sup>  
 في الجُرْ بل تقدير رب نقلوا  
 "وحيث جرا فهما حرفان"  
 ليس لها عندهم من عملٍ  
 وقَسْمَةٌ تقديره تكلف

بنت ثماني عشرة من حجته

إباكمأ أن تكسبني شرا

أقوين من حجج ومن دهر

وينصب المفعول بعد الواو  
 وصاحب الحال سواه مضمرا  
 لا يقع المُضَى حالاً قبل  
 صفة صالحة أن تخبرا  
 بالفعل مع توسط بإلا  
 ولا تقل "واو ك" إلا جاءى  
 و"حاش" حرف والمبعد ذكر  
 و"غير" في استثنائها صح البناء  
 ولم تقع "سوى" سوى ظرف، و"كم"  
 وإن ترد خبر فمن حكم  
 ولا تضف لعشرة كالخمسة  
 وإن تركب فدخول "آل" حظل  
 والعلم المفرد في النداء بني  
 وبها الغلامان اللذان فرا  
 وفي اللهم عَوْضُوا باليم  
 كذا ثلاثي، وحذف الأخير  
 وفتح "لَا رَجُلَ" فتح للبناء  
 ولابتداء زمان من لا تجيء  
 وواو رب وحدها لا تعمل  
 ومذ ومنذ اسمان رافعان  
 وأحرف القسم دون بدل  
 لام ابتداء في "لزید أشرف"

(١) إشارة إلى قول الشاعر :  
كُلَّفَ مِنْ عَنَائِهِ وَشَقُوتِهِ

.309 الإنصاف :

(٢) إشارة إلى قوله :  
فِي الْغَلَانِ الْلَّذَانِ فَرَا

.336 الإنصاف :

(٣) إشارة إلى قول الشاعر :  
لَمَنِ الْدِيَارِ بَقْنَةَ الْحَجَرِ

.371 الإنصاف :

"يأتي لها من أيمُنٍ وأشْمَلٍ"<sup>(1)</sup>  
 أما "الذِي زَجَ قَلْوَصَهُ فَلَا"<sup>(2)</sup>  
 معنى وأول موهماً إذا ورد  
 ولم تكن كلت لكتلي مفرداً  
 لو" مرت الْبَكْرَةَ يَوْمًا أَجْمَعًا<sup>(3)</sup>  
 بعامل تقديره لن يمنعنا  
 تقديم ذى رفع وذى انتساب  
 "قَلْبٌ فِي عَطْوَفَهِ ظَهَرَ الْمَجْنُونُ"<sup>(4)</sup>  
 العطف دون خافض بالرفض  
 والشاعر المجيد قد يضطر<sup>(5)</sup>  
 وكونه كالواو أيضاً ما قبل  
 يعاب للشاعر صرفًأَفْعَلَا  
 لكنما الخلاف فيه محتمد  
 باسم الإشارة تفيد الشبها  
 حذار من مقوله الإعراب  
 تخصيص، اللام، وزن ضارع

وأيمُنٌ إفرادها في المثل  
 ظرف وجرا لمضاف فصلاً  
 ولا يضاف اسم لما به اتحد  
 لفظ "كلا" ولفظ "كلتا" وَهُدَا  
 تأكيد منكور لهم قد منعا  
 ونحو "إن زيد أتى قد رفعا،  
 وجائز في الشرط والجواب  
 ومدعى زيادة الواو كمن  
 وقابلوا على ضمير المفض  
 وقبحوا "إذ أقبلت وزهر"  
 وأنكروا إتيان "أو" معنى كَبِلَ  
 و"أول لكن نفيا أو نهيا ولا"  
 تنوين مصروف بشعر قد علم  
 و"الآن" تبني عندهم لأنها  
 والأمر مبني لدى الصحاب  
 وعلل الإعراب في المضارع

(1) هكذا أورد ابن الأثباري هذا الشطر دون أن يذكر لا صدراً أو عجزاً، وهو من شواهد سيبويه وأنشد ابن السيرافي قبله :  
 تغلى له الريح ولا يقتل له قفر كشعاع السنبل يأتي لها من أيمُنٍ وأشْمَلٍ ونسبه لأبي النجم  
 الإنصاف : 406.

(2) إشارة إلى قول الشاعر :

زَجَ الْقَلْوَصَ أَبِي مَزَادَه

الإنصاف : 427.

(3) إشارة إلى قول الشاعر :

قد صرَتِ الْبَكْرَةَ يَوْمًا أَجْمَعًا

الإنصاف : 455.

(4) إشارة إلى قوله :

وَرَأَيْتَ أَبْنَاءَكُمْ شَبَّوا  
 إِنَّ الْثَّمَمَ الْعَاجِزَ الْخَبَرَ

حتى إذا قُتلت بطونكم  
 وفُلْبِتْمَ ظَهَرَ الْمَجْنُونَ لَنَا

الإنصاف : 458.

(5) إشارة إلى قول الشاعر :

كَنْعَاجَ الْمَلَلَ تَعْسَنَ رَمَلَا

قُتلتْ إِذْ أَقْبَلَتْ وزَهْرَ تَهَادِي

الإنصاف : 475.

يحق رفعه بهذا القسم  
بالفعل، "أن" وسترها حتم تُصب  
عمل "أن" وجزموا "لا تعبدوا"<sup>(1)</sup>  
ولامْهَا تَحْتَاجَ "أن" لِتَعْمَلَ  
ولا تكرهه "لَكِيمَا أَنْ تَطِيرَ"<sup>(2)</sup>  
ويعد لام الجهد قدرن "أن"  
أفعاله جازمة فيما رروا  
"يَحْوِكُ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمَرْمَلَ"<sup>(3)</sup>  
نصب، ولا تات "بِأَنْ" بدل "إِذْ"  
من إن" إن لام ابتداء، أكدت  
كيف بها حينئذ يجازي  
ولفظ سوف في الخطاب أوفى  
تلك التي ليست لمعنى يعرف  
قد منعوا التوكيد بالخفيفة  
"يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمْ"<sup>(4)</sup>  
 فأصلها "لَذِي" وذا به خذ  
لم يك أصلًا لا لهي ولا لهو  
وقول الأخفش خلاف الأولى  
 وأحرف، كاف وها ثم يا

ولقياً منه مقام الاسم  
وبعد واو معنى مع وفا سبب  
بدل في الحذف منها قيدوا  
و"كي" تجر وعلى "ما" دخلا  
لا تظهر "أن" من بعد حتى فتضير  
كما "بِكِيمَا" عندهم لا تبدل  
كمثل "حتى" وحرف الشرط أو  
ومن بـجـرـ بالـجـوارـ يـقـلـ  
وقبل شرط وجواب قد نبذ  
وزيد "إن" من بعد "ما" وخففت  
ولم تكن "كيف" ك "إن" إنجـازـاـ  
والسين لم تـكـ اختصارـ "سوفـاـ"  
ومـاـ بـتـائـينـ اـبـتـادـيـ قدـ تـحـذـفـ  
فيـ فعلـ الاـثـنـيـنـ وـفـعـلـ النـسـوـةـ  
فـلـ تـخـفـفـ عـنـ شـدـيـدـةـ كـمـاـ  
ـذـواـ وـذـيـ أـصـلـ لـذـاـ، أـمـاـ الـذـيـ  
ـبـدـوـنـ يـاـ أوـ وـاـ الـهـاـ وـحـدـهـ  
ـوـالـكـافـ وـالـهـاءـ تـجـرـ لـوـلـاـ  
ـإـيـاـ ضـمـيرـ فـيـ اـنـفـصـالـ بـنـيـاـ

(1) إشارة إلى قوله تعالى (قراءة ابن مسعود) : "إِذَا أَخْذَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ".  
الإنصاف : 560.

(2) إشارة إلى قول الشاعر :  
أردت لكِيمَا أَنْ تَطِيرَ بِقِرْبِي  
الإنصاف : 580.

(3) إشارة إلى شطر لم يذكر له ابن الأثيري صاحبا وهو :  
كأن نسج العنكبوت المرمل  
وهو من شواهد سيبويه ونسبة ابن السيرافي للعجب، وأنشد بعده :  
أعلى ذرى قلامه المهدل سيبوك كتاب بأيدي الفرزل  
(شرح أبيات سيبويه ج 1 ص 495).

(4) إشارة إلى قوله :  
يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمْ  
الإنصاف : 605.

شيخاً على كرسيه مع مما

إذ هو هي في اللقاء المشهور  
 ما إن له موضع إعراب ذكر  
 أما السيرافي فقال "العلم"  
 وأعرابوا أيهم هو الأحق  
 وقدروا الحذف "بهذا تحملين"<sup>(1)</sup>  
 لأنه على المعانى قد يدل  
 مخافة من التقاء ساكين  
 علمنا إخواننا بنو عجل<sup>(2)</sup>  
 وضمها من أجل إهمال فعل  
 لأنها معودمة في الأصل  
 وخالف الأخشن في ذا الأمر  
 تثنية إثباتها لا ينتفي  
 أي ذات حمل والتخصص أبى  
 إن يك بين الكسر والياء يقف

وعقرب في اللسع كالزنبور  
 ضمير فصل بين نعت وخبر  
 ومضمر أعرفهم لا المبهم  
 "وأيهم أحق" للبنا استحق  
 ولا يكون هؤلاء كالذين  
 ورود "آل" مع معرب الأفعال قل  
 وحركوا الهمزة وهي بين بين  
 وقفًا بكسير ويضم مع "آل"  
 وهمز وصل كسرها أصل جعل  
 وما لها لساكن من نقل  
 ومنعوا في الشعر مَدَ القصر  
 وألف المقصور والممدود في  
 وحذف تاء حامل للنسبة  
 والواو في مضارع قد يحذف

(1) إشارة إلى قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة

الإنصاف : 717

(2) إشارة إلى قوله :

علمنا إخواننا بن وعجل

الإنصاف : 734

أمنت وهذا تحملين طلينق

شرب النبيذ واصطفاقاً بالرجل

## **خاتمة :**

### **تطور تاريخ النحو في المشرق :**

لقد استكمل النحو المشرقي أسس منهجه، وعوامل تطوره في أعمال ابن الأثري، فتحددت ملامح مدارسه، ودرست نظريات مؤسسيها وأئمتها، ومناهج مفكريها، ووقع حصر مسائل الاتفاق والخلاف بين كل منها، وطرق الحاجاج لواقفهم، ولقد حاولنا تتبع مراحل هذا التطور، وإعطاء صورة عن ملامحه العامة. غير أننا لاندعى شمول هذه الصورة، ولا استقصاء جوانبها المتعددة، فإننا على سبيل المثال لم نتوسع في دراسة ما يعرف بالمدرسة البغدادية، ولم نتابع الذين نسبوا إليها نشاط الحركة التي قام بها الزجاجي، والفارسي وابن جني، ذلك أننا رضينا بإقرار هؤلاء العلماء بانتسابهم إلى المنهج البصري، ملاحظين أن المهم أن نتبين مدى إسهامهم في نمو الفكر النحوي وتطويره، ومع ذلك فإننا نشعر بنوع من التقصير في تعزيز دراسة مجموعة من البغداديين كابن كيسان، وابن شقير، وابن الدهان، ومبرمان، وأبي السعادات، ابن الشجري، وابن النحاس.

ونرجو ألا يكون الاقتصار على الأمثلة التي قدمناها في هذا القسم نوعاً من القصور المخل بإدراك التصور العام لحركة النحو في المشرق العربي.

**القسم الثاني**

**النحو في الغرب الإسلامي**



## مظاهر وحدة الأمة الإسلامية

لقد جمع الإسلام أمته، في المشرق والمغرب، على وحدة العقيدة ولو تفاوتت في تصوّره، وعلى الالتزام بالخطاب القرآني، ولو اختلفت في تأويله، وعلى وحدة أسس الحضارة، ولو تنوّعت مظاهرها. وتعود أصول الاختلاف والتنوع إلى العوامل التاريخية، والتقاليد الثقافية للشعوب التي انضمت تحت لواء الإسلام، ودخلت في حظيرة الأمة.

واللقاء الحضاري بين حملة الإسلام من المشرق وبين الشعوب التي اعتنقته في المغرب خلف حضارة متميزة، كان من خصائصها الكثيرة، أنها كانت في المغرب، مع استقلالها الفكري والفكري، حريصة كل الحرص على تقوية الصلات المشرقة وذلك بنوع من الميل إلى المحاكاة والمعارضة التنافسية، وقد ثُنِّل فيما نراه في القرن الرابع الهجري، حينما قال الصاحب ابن عباد في العقد الفريد لابن عبد ربه، "هذه بضاعتنا ردت إلينا" ثم إننا نرى أوجه المعارضة بين يتيمة الشعالبي، وذخيرة ابن بسام، وبين المتبنّي وابن هانىء. والأمثلة من هذه النوع كثيرة.

ولقد زاد في إحياء هذه الأواصر استمرار حنين العرب والمسلمين إلى الربوع المشرقة، سواءً أكانت دينية كالشوق إلى الحرمين في الحجاز، أو حضارية، كالتعلق الشعري بتهمة ونجد، أو التطلع الثقافي كالرحلات العلمية إلى حواضر العراق والشام ومصر. ثم لم تخل هذه العلاقات من قسط من التوتر الفكري، نرى من مظاهره ما تحدثنا عنه بعض الروايات في مجلس بين منذر بن سعيد البلوطي وأبي جعفر النحاس الذي أنسد قول قيس بن معاذ :

خليلي هل بالشام عين مريضة      تُبكي على نجد لعلي أعينها  
قد أسلّمها الواشون إلا حمامه      مطروقة باتت وبات قرینها

وسأل منذر أبا جعفر، "باتا يفعلان ماذا ؟ أعزك الله" فأجابه : "وكيف تقول يا أندلسيا ؟ فقال منذر : "بات وبيان قرینها"<sup>(١)</sup>. ولم يرض ابن النحاس عن هذا التصحيح.

ثم نرى ابن حزم يقول :

أنا الشمس في جو السما ، مضيئة      ولكن عيبي أن مطلع الغرب

(١) الزبيدي : طبقات النحاة، ص 221.

فيبدو وكأننا نلاحظ نظرة يشوبها بعض الاستعلاء في الشرق، وشعوراً بشيء من عدم الإنصاف في تقدير الدور الحضاري في المغرب.

بيد أن المغاربة على العموم لم ينساقوا إلى التأثر بهذا الشعور، لأنهم استوثقوا من مستوى حضارتهم في ميادين العلوم والفنون والأداب. وإذا كانوا معتبرين للشرق الإسلامي بالسبق في كثير من هذه المعارف، فإنهم استطاعوا بدورهم تعميمتها وتطوريها في أكثر من مجال، كما أن جل علمائهم الذين رحلوا وأقروا المقام في الشرق حلوا مكان الصدارة في النهوض بالعلوم الإسلامية؛ وتتجذر الإشارة من قبيل العرفان بأن المغاربة أحسنوا استقبال هؤلاء الوافدين، وعرفوا حقهم وعرفوا بمكانتهم في العلم والعطاء.

غير أن الذي حدث فيه نوع من التقصير هو التعريف بدور المغاربة، وليس من شك أن هذا كان من واجبهم، هم أولاً، لكنه يحتاج إلى عناية من الجميع.

ولكي لا نبتعد عن موضوعنا، فليس في وسعنا إلا أن نقول أن دراسة التاريخ النحوي في المغرب اقتصرت على إبراز جهود الأندلسين، وانتهت بنهاية وجودهم في الجزيرة الإيبيرية؛ والذي لم يبرز في البحوث التاريخية هو وحدة الحضارة المغربية في المغرب، وفي الأندلس. مع أن كثيراً من أعلام النحويين كانوا مغاربة وأندلسيين، أمثال الإمام السهيلي، وابن مضاء والشلوين وابن أبي الريبع.

وعن **مظاهر الوحدة الفكرية والنهوض بالدراسات النحوية**، يقول الأستاذ

محمد حجي :

«وابتداءً من القرن الهجري الرابع، دخل الغرب الإسلامي مرحلة النضج والتفتح النكري، حيثأخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة، تعج بأعلام العلما، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والأدبية، أيام عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر. وتأكدت شخصية هذه المنطقة في القرون التالية مع المرابطين والموحدين الذين تكثروا طوال قرنين ونيف من إقامة امبراطورية انتظمت في سلوكها أقطار شمال أفريقيا والأندلس، فكان العلما ينتقلون في أرجائها الفسيحة، يملون ويؤلفون، وينالون من ضروب الإكرام والتشجيع ألواناً. وفي هذه الفترة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية أو في نصيب، وراج كتاب سيبويه أعظم رواجاً».

«ثم كانت زوابع ومحن في الغرب الإسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بشقاوته، لو لا جهود المربين الضخمة فيما بعد، والمتمثلة في حشد المساجد والمدارس الفخمة وتشجيع المعلمين وال المتعلمين في كل جهات المغرب، وفي تقديم العون

المادي والمعنوي لملكة غرناطة، فكان لذلك الأثر المحمود في إحياء ذماء العلم بالعدوتين، وأعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما، وبخاصة كتاب سيبويه نفساً جديداً».

«ولما حُمِّلَ القضاة، وحلت النكبة الكبرى بال المسلمين في الأندلس في نهاية القرن التاسع آوت العدوة الجنوبيَّة مختلف المقومات الحضارية مع آخر المهاجرين الأندلسيين، وأصبحت مدينة فاس دار مقام لعدد عديد من الأسر النبيلة، وفي مقدمتها أسرة أبي عبد الله النصري آخر ملوك بني الأحرم، وعمر أندلسيون آخرون مدن طوان والرباط والقصبة، واستوطن غيرهم حتى قم الجبال وحدود الأودية، وبلغوا بسائط سوس الأقصى».

«وبذلك امتزجت الحضارة الأندلسية بالحضارة المغربية امتراجاً نهائياً، ولم تطفئ ذيالة تلك الثقافة الأصيلة، ومعها الدراسات النحوية وكتاب سيبويه، لم تنطفئ في المغرب إلى أيام الناس هذه»<sup>(1)</sup>.

و سنحاول في هذا العرض الإسهام في وضع الأمور في مواضعها التاريخية وبيان ما قدّمه المغرب من تطوير وإثراء للمعارف النحوية. وعلى سبيل الإجمال، نرى ما حققه المغاربة في هذا الميدان :

- تنمية التراث النحوي الذي اخترعه أئمة النحاة في الشرق والعمل على تقريب القواعد النحوية من واقع اللغة المستعملة. وكان ذلك على يد لغوين - نحوين أمثال الرياحي وابن سيده ونحوين لغوين أمثال الأعلم الشنيري.
- وعلى تقريب المنهج النحوي من منطق المعقول، وقد تم ذلك من حيث الشكل في قانون الجزولي، ومن حيث المضمون في آراء ابن الطراوة وعبد الرحمن السهيلي.
- وعلى تقريب المعارف النحوية من الجمهور. بدأ بالزييدي الذي فرق بين نحو العامة، ومباحث المتخصصين، ثم انتهى بابن مالك الذي انتقى ثوذاً جا يجمع بين الشمولية في اعتبار السماع اللغوي و اختيار الأسلوب الشعري أداة للتبلیغ.

وهذا ما سنتعرض له، بشيء من التفصيل، مع التذكير برموز كل اتجاه من أئمة النحاة المغاربة، مع البدا بلحة تاريخية موجزة.

(1) الدكتور محمد حجي، محاضرة ألقبها في ملتقى ذكرى سيبويه بشيراز عام 1974.



## الباب الأول

# رحلة النحو إلى الأندلس

### 1. النحو الكوفي :

واكبت العلوم الإسلامية انتشار هذا الدين، ولم يمض وقت طويل بعد فتح الأندلس حتى رأينا أن العلماء بدأوا يجمعون بين العلوم الفقهية، والدراسات اللغوية لما لها من صلة بالقرآن الكريم، وكان من رواد هذا الاتجاه في الأندلس: أبو موسى الهواري<sup>(1)</sup>، الذي رحل إلى المشرق والتلقى بالإمام مالك ونظرائه، ثم داخل الأعراب في محالها، وأخذ عن الأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وألف في القراءات. ولما ضاعت كتبه في رحلته، كان يقول "ذهب الخرج، وبقي ما في الدرج، أنا شعبي زماني" وكان أهل قرطبة يقدمونه في الفتوى على عيسى بن دينار الغافقي (ت 212 هـ) وعلى أبي عثمان سعيد بن حسان الصائغ (ت 213 هـ). بيد أن أول من اختص في النحو هو جودي بن عثمان (ت 198 هـ)<sup>(2)</sup>، الذي قيل عنه إنه أول من صنف في النحو في الأندلس، بعد ما تتملذ للكسائي والفراء، وهكذا شق النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس، ورسخت قدمه على يد مفرج بن مالك النحوي المعروف بالبغل<sup>(3)</sup> الذي شرح أحد كتب الكسائي، مثل ما فعل بعد ذلك بنحو قرن أحمد بن أبان النحوي (ت 382 هـ).

ويرى الأستاذ علال الفاسي أن النحو الكوفي، استمر في المغرب، كما يشهد لذلك اصطلاحات ابن أجروم الصنهاجي، و اختياراته، ويعيد السبب في تأصله إلى تعلق المغاربة بما ترمز له الكوفة من ولاء لعلي بن أبي طالب وللعترة الشريفة<sup>(4)</sup>، وفي أواخر القرن

(1) ترجمته في الزبيدي طبقات التاجة، ص 253.

(2) المصدر نفسه، ص 256.

(3) ترجمته في القسطي انباء الرواة ج ١ ص 65.

(4) علال الفاسي : سببها والمدرسة المغربية الأندلسية في النحوية.

الثالث الهجري، أدخل محمد بن موسى بن هاشم الأقشتين<sup>(1)</sup> كتاب سيبويه، وانطلقت حركة قراءته، وتواتت عليه التعليقات والشروح، ومن اشتهر بدراسته هارون بن موسى القرطبي (ت 401 هـ)<sup>(2)</sup>، الذي شرح عيون الكتاب.

وشهد القرن الرابع الهجري تطوراً كبيراً في الدراسات النحوية واللغوية في الأندلس. امتاز بامتزاج عدة اتجاهات سيكون لها الأثر البالغ في تكوين المدرسة المغربية: منها امتزاج بين آراء الكوفيين والبصريين، وتطوير المذهب البغدادي وتقنياته وتلاق بين المنطق والنحو، وتركيز على التحاليل والتدقيق والاستنباط.

## 2. النحو البصري :

وكان رائد هذه الحركة محمد بن يحيى المهلبي الرياحي (ت 353 هـ) تلميذ أبي جعفر النحاس.

اشتهر الرياحي بحق لعلم العربية، ودقة نظره فيها، ولطف مسلكه في معانيها. فكان غاية في الاستنباط، عرف طرق المتكلمين، ونظر الفقهاء، وشارك أهل الطب والتنجيم.

ها هي كانت خصائصه الفكرية والعلمية، ولقد أتيح له أثناء رحلته إلى الشرق أن يصاحب عالمين ساعد كل منهما في مجاله أن ينمي مواهبه حتى بلغ ما يروم. صحب الرياحي أبو جعفر أحمد بن محمد الصفار المشهور بالتحاس. وغرف من فيض علمه الشيء الكثير. وهو الذي أخذ عنه رواية كتاب سيبويه؛ كما صحب أيضاً علياً بن الحسن المصري المعروف بعلان<sup>(3)</sup> (ت 337 هـ) وهو من من قيل عنه إنه من ذوي النظر والإدراك في المعاني، وإنه كان قليل الحفظ للأصول، لكنه إذا حفظ أصلاً يتكلم عليه بأحسن الكلام، وأتى بأجود التحليل.

وهكذا أخذ الرياحي علم الرواية عن النحاس، وأخذ علم الدرائية عن علان، فرسم للأندلسيين منهجاً يرمي إلى تدبر أصول هذا العلم وعرض الآراء فيها على محك النقد المتحرر، والحرص على حسن الاختيار.

(1) ترجمته في طبقات الزبيدي ص 281، وابن الرواية ج 3 ص 216، وبغية الوعاة ج 1 ص 253، وقد ورد في لقبه خلاف.

(2) ترجمته في ابن الرواية ج 3 ص 362 وبغية الوعاة، ج 2 ص 321.

(3) ترجمته في الزبيدي طبقات النحريين، ص 222.

لقد كان الرياحي من ألمع اللغويين في المشرق، ولما دخل الأندلس بث فيها معارفه الواسعة بالأدب والشعر واللغة. ولقد وجد الرياحي الدراسة النحوية قاصرة على المؤذبين الذين يقول عنهم الزبيدي : "ليس عندهم كبير علم فكانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهن العوامل وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم في ذلك، إذ لم يأخذوا بأنفسهم بدقاتن العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها" <sup>(١)</sup>.

فكانوا مثلاً لا يحسنون النظر في الأبنية والتصريف، ولا يفقهون قواعد الإملاء والإدغام.

فطلع عليهم الرياحي بنهج جديد متتطور، حيث أنه :

أولاً : نقل إليهم كتاب سببويه، برواية متصلة، ليعتمد أساساً ناسخاً لما عرفته الأندلس قبل، من نحو الكوفيين أمثال الكسائي والفراء، ومن الملحوظ أن رواية الرياحي صارت البضاعة التي ردت إلى المشارقة لأنها أشهر الروايات وعليها اعتمد طابعوا الكتاب ومصححوه <sup>(٢)</sup>.

ثانياً : بين لعلماء الأندلس "ما عليه أهل هذا الشأن في الشرق، من استقصاء الفن بوجوهه واستيفاء حدوده". فأعاد منهاج الدراسات والبحوث حتى شملت جميع أبواب النحو التي كانت شبه مهملة.

ثالثاً : "أسس سبيل النظر" كما يقول الزبيدي، أي أنه أوضح قواعد لغة السمع، ومجالات القياس ودقائق التعليل، فكان دأبه الغوص على دقique يستخرجها، ولطيفة يشيرها، وقياس يمده، وأصل يفرعه <sup>(٣)</sup>.

فتتأكد تأثيره في تلميذه الزبيدي ومن جاء بعده، وتأصل في مدرسته التعمق في البحث عن أوجه الأبنية، وعن أصول القواعد، ونكت التعاليل وجودة القياس.

وكان لرحلة أبي علي القالي المشهورة إلى الأندلس أثرها البالغ في هذا التطور الذي بلغ ذورته في هذا المجال عند ابن سيده صاحب كتاب المخصص اللغوي والمتضمن لأهم البحوث النحوية من لدن سببويه إلى ابن جني.

ثم تبلورت كل هذه الاتجاهات في صيغة مناهج المدرسة المغربية الأندلسية ومن أوائل منظريها الأعلم الشنتمري، الذي جمع بين الدراسات اللغوية، والمسائل النحوية.

(١) الزبيدي طبقات النحوين، ص 311.

(٢) سببويه الكتاب، ج ١ ص 54 وما بعدها.

(٣) طبقات النحو، ص 310.



## الباب الثاني

# تصر النحو في الحرب الإسلامي

### 1. الأعلم الشنحري :

يقول ابن بشكوال عن الأعلم إنه كان "عالماً باللغات والعربية ومعاني الأشعار حافظاً لجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهوراً بمعرفتها وإتقانها، أخذ الناس عنه كثيراً، وكانت الرحلة إليه في وقته"<sup>(1)</sup>. ويدرك ابن مضاء أنه كان مولعاً بالعلم الثنائي والثالث، وكلما استنبط منها شيئاً، ظن أنه ظفر بظائل<sup>(2)</sup>.

درس الأعلم اللغة على أبي سهل الحراني، ثم كان عمدته في النحو إبراهيم بن محمد بن زكريا المعروف بابن الإفليلي (352-441 هـ)<sup>(3)</sup> تلميذ الزبيدي، وقد كان ابن الإفليلي نحوياً بارزاً، وحافظاً للأشعار، وأخبار العرب وأيامها.

قضى الأعلم حياته كلها في الأندلس، وكانت ملينة بالتدريس والتأليف، فله من اللغويات شرح شعر الشعراء الستة الجاهلين، وشرح أبيات شواهد الكتاب، وشواهد الجمل، وشرح شعر أبي قام.

ومن أهم كتبه في النحو، شرحه لكتاب سيبويه المعروف بالنكت، والذي طبعأخيراً، بعناية د. زهير عبد المحسن سلطان، ونلاحظ من خلاله تمسكه بمنهج إمام النحاة والدفاع عنه، ومثل ما فعل ابن ولاد، تركز رده على انتقاد المبرد لسيبويه، والأمثلة التالية تعطينا نماذج من هذا الدفاع :

أ) ففي بعض الردود، يعرض رأي سيبويه، ورأي المبرد، وإذا لم يكن له اعتراض على قول أبي العباس يفضل أن لا يبدي رأيه الخاص. مثل ما هو في المثال التالي : يقول الأعلم :

(1) ابن بشكوال الصلة، ص 643.

(2) الرد على النحاة، ص 137.

(3) ترجمته في أنباء الرواية، ج 1 ص 218.

وفي باب المصدر أنشد سيبويه قول غيلان بن حريث.

## إذا رأتنى سقطت أبصارها دأبَ بكار شايحت بكارها

وقال إن المصدر هنا وهو "دأب" منصوب بفعل مضمر متراكب إظهاره وهو "دأبت" وإنه لم ينتصب بـ"بسقطت أبصارها" لأنه ليس من حروف المصدر، ولو كان في معناه الذي دل على الفعل المضمر. ولقد رد المبرد على هذا الرأي، وأجاز نصب المصدر بفعل ليس من حروفه، إذا كان في معناه. ولم يرجح الأعلم أحد القولين وإن كان سكته يدل على عدم مخالفته المبرد لأنه عادة ينتصر لرأي سيبويه<sup>(1)</sup>.

ب) ومرة أخرى يكتفي بتفسير نص سيبويه ملهمًا أن المبرد لم يدرك قصده فيقول :  
"في باب ما لا يعمل في المعروف إلا مضمراً، وذلك أنهم بدأوا بالإضمار لأنهم شرطوا التفسير. وذلك قوله : نعم رجلا عبد الله، كأنك قلت حسبك به رجلا، ومثل ذلك ربه رجلا. ورد المبرد على سيبويه ترجمة الباب وألزمته المناقضة فيها لأنه قال : هذا باب ما لا يعمل في المعروف إلا مضمراً ثم جاء بعده نعم الرجل عبد الله فجاء بالرجل مظهراً.

والذى أراده سيبويه أنه لا يعمل في المعرف إلا مضمراً إذا بني ذلك المعرف على أن يفسر بما بعده، وشبهه بقولك إنه كرامُ قومك، والهاء إضمار الحديث الذى يأتي بعده، ولا يجيء إلا مضمراً لأنه قد لزمه التفسير، وكذلك الاسم الذى يعمل فيه نعم وينى على التفسير لا يكون إلا مضمراً.

وأعلم أنك إذا قلت ربه رجلاً فليست الهاء بضمير شيءٍ جرى ذكره ولو كانت كذلك لصارت معرفة، ولم يجز أن تلقي "رب" لأنها لا يليها إلا نكرة ولكن ضمير مبهم يحتاج إلى التفسير بغيره فضارع النكرات<sup>(2)</sup>.

ج) وإذا وجد من النحويين من يتکفل بالرد على المبرد في مخالفته على سيبویه اكتفى الأعلم بتصویبه، مثل ما قاله في المثال التالي مؤیداً قول الزجاج فقال : "وفي باب ما يشبه من الأماكن المختصة بالمكان غير المختص مثل قول العرب هو مني منزلة الشغاف، وهو مني منزلة الولد، وكذلك هو مني مجرر الكلب، وأنت مني مقعد القابلة".

(١) النكت، ج ١ ص 389، والمقتصب ج ٣ ص 204.

.536 ج ١ ص النكت (2)

قال سيبويه "اعلم أن ظروف الدهر أشد تمكنًا في الأشياء ... " وقال المبرد : "غلط سيبويه في هذا لأنه ذكر في أول الكتاب أن ظروف المكان أقرب إلى الأناسي ونحوهم، لأن لها جثثاً وأسماء تعرف بها كما تعرف الأناسي" (١). وصوب الرجاج رأي سيبويه فقال : "أصاب لأن ظروف الزمان يقل فيها ما لا يتمكن، إلا ترى أن "سحر" إذا نكر تمكن".

د) وإذا ما ارتفع صوت المبرد بالنكير على سيبويه، يتشدد الأعلم في دفاعه عنه إلى أن يصل به ذلك إلى ذكر تجاوزات المبرد في مذاهبه، والتي لا توجد في القرآن وغيره، مثل ما قال :

"وذكر سيبويه عن العرب حذف علامة التأنيث من الحيوان مع قلته وكان المبرد ينكر ذلك أشد الإنكار ويقول : "لم يوجد ذلك في قرآن ولا كلام فصيح ولا شعر"، وقول سيبويه أصح لأنه حكاہ عن العرب، وهو غير متهم في حكاياته، وليس كل لغة توجد في كتاب الله عزّ وجلّ، ولا كل ما يجوز في العربية يأتي به القرآن والشعر، وللمبرد مذاهب تحوزها لم توجد في قرآن وغيره، من ذلك إجازته إن زيد قائماً قياساً على ما زيد قائماً، وهذا لا يكاد يوجد له شاهد من شعر أو غيره..." (٢).

هـ) وفي بعض الأحيان يقول إن رأيه ليس بحججة كما جاء في قوله أن "أوبر" نكرة ويحتاج بدخول الألف واللام عليه، يقول بعض الشعراء .

ولقد جنحتك أكموا وعساقلا      ولقد نهيتك عن بنات الأوبر  
وليس هذا بحججة لأن إدخال الألف واللام ضرورة كما قال أبو النجم :  
باعد أم العمر من أسيرها      حراس أبواب على قصورها  
وقولا الآخر : ( وهو ابن ميادة ) :  
رأيت الوليد بن الزيبد مباركاً      شديداً بأعباء الخلافة كاھله (٣)

و وربما ذكر أن قول المبرد لا دليل عليه مثل ما ورد في المسألة التالية فيقول :  
"ومن جملة ما ذكر (سيبوه) قولهم لاه أبوك، يريدون لله أبوك فمحذفوا منه لامين وقد كانوا قد حذفوا منه ألف الوصل، واللامان المحذفتان عند سيبويه لام الجر واللام التي بعدها. وقال المبرد لام الجر هذه اللام المبقاة لأنها

(١) الكتاب، ج ١ ص 208.

(٢) النكت، ج ١ ص 457.

(٣) النكت، ج ١ ص ص 490.

دخلت لمعنى فلا تمحذف وفتحت لأنها مفتوحة في الأصل والصواب قول سيبويه لأن حروف الجر قد حذفت في مواضع كثيرة. وجملة القول أن قول سيبويه أولى لأنه إذا حذف من الكلمة ما قاله فالباقي منها هو اللفظ الموجود من غير تغيير، وعلى قول المبرد تبقى اللام المكسورة وتتغير وليس على التغيير دليل يجب التسليم له<sup>(1)</sup>.

ز) وقال مرة إن المبرد يلجأ إلى القول بزيادة بعض الحروف، دون أن تكون الحاجة إلى ذلك، فيقول : وأنشد سيبويه لعنز بن دجاجة المازني :

من كان أشرك في تفرق فالج فلبونه جربت معا وأغدت  
إلا كناشرة الذي ضيعتم كالغصن في غلوانه المتثبت  
وأنشد للنابغة الجعدي :

لولا ابن حارثة الأمير لقد أغضبت من شتمي على رغم  
إلا كعرض المحسر بكره عمدا يسببني على الظلم  
والمبرد يجعل الكاف في "كناشرة" ، وفي "كعرض" زائدة، ولا ضرورة تدفع  
إلى ذلك<sup>(2)</sup>.

ح) كما يذكر أنه ر بما أتى بتقدير غير صحيح، وذلك في باب ما يتقدم فيه المستثنى فيقول :

قوله (سيبوه) من لي إلا أبوك صديقاً.

قدرة المبرد على أن "من" مبتدأة وأبوب خبره ومثله بقوله ما زيد إلا آخرك وصديقا حال، وقول سيبويه "لأنك أخليت من للأب" يدل على خلاف تقدير المبرد لأن معنى أخليت من للأب أي أبدلت الأب منه. فعلى هذا يكون "من" مبتدأ و"لي" خبره وأبوب بدل من من كأنه قال مالي أحد إلا أبوك. وتقدير المبرد لا يصح<sup>(3)</sup>.

ط) وانتقد قول المبرد أن "نصف" معرفة في قول ذي الرمة. فقال :أنشد سيبويه قول ذي الرُّمة :

ترى خلقها نصف قناة قوية ونصف نقا يرتج أو يتمرم

(1) النكت، ج 1 ص 501.

(2) النكت، ج 1 ص 633.

(3) النكت، ج 1 ص 638.

وقال وبعضهم ينصبه (نصفاً) على المبرد وإن شئت كان منزلة رأيته قائماً،  
كانه صار خبراً<sup>(1)</sup>.

والخبر عند سيبويه يعني الحال هنا. ورد المبرد نصب "نصفاً" على الحال وقال لأن "نصفاً" ينبغي أن تكون معرفة. ويقول الأعلم "إن العلة التي ادعى بها التعريف أن "نصفاً" منزلة بعض وكل. والقول ما قال سيبويه لأن النصف من باب الثالث وسائر الأجزاء إلى العشرة وهو يشتمي ويجمع، فيقال المال بينهما نصفان. وليس ذلك في بعض وكل. ومن أوضح ما يدل على بطلان قوله أنه يقال النصف بالألف واللام ولو كان معرفة لم تدخله كما لا تدخله بعضاً وكلاً<sup>(2)</sup>.

ولقد كان في أكثر ردود الأعلم على المبرد، قسط من التبرير المعقول، غير أنه قد يضطر إلى الدفاع بحجج فيها بُعدٌ وتكلف مثل ما قال :

عند قول سيبويه "في باب ما ينتصب فيه الخبر بعد الحروف الخمسة انتصابه إذا كان ما قبله مبنيا على الابتداء وذلك قوله : "إن هذا عبد الله منطلقًا". فقال الأعلم : "ذكر سيبويه في هذا الباب مسألة ظاهرها غير جائز إلا أن تحمل على معنى. وهي قوله إن الذي في الدار أخوك قائما. فإن جعلت قائماً حالاً عمل فيه الأخ وأنت تزيد أخوه النسب لم يجز، كما لا يجوز زيد أخوك قائماً في النسب. وإن نصبت قائماً بالطرف على تقدير إن الذي في الدار قائماً أخوك صار "قائماً" في صلة "الذي"، ولم يجز أن يفصل بين الصلة والموصول بالأخ وهو خبر، وإن حملته على مثل قوله : أنا زيد منطلق في حاجتك إذا كان قد عهده قائماً قبل هذه الحال جاز، كما يجوز مثله في الابتداء<sup>(3)</sup>.

وفي المثال الأخير نرى الأعلم يعتريض على المبرد والزجاج منتصراً للخليل وسيبويه فيقول : "لا خلاف بين النحويين أن الفعلين إذا اتفقا معناهما جاز أن يوصف فعلاهما (أو فاعلاتها) بلنفظ واحد كقولك : مضى زيد وانطلق عمرو الصالحان الكريمان. وإذا اختلف معناهما فمذهب الخليل وسيبويه في الفعلين المختلفين والمتفقين واحد فأجازا ذهب أخوك وقدم عمرو الرجالان الحليمان. وكان المبرد والزجاج وكثير من المتأخرین يأبون جواز ذلك عن المختلفين، والحججة للخليل وسيبويه أن مذهب عمل الفعل والفاعل مذهب واحد وإن اختلف

(1) الكتاب، ج 1 ص 223.

(2) النكت، ج 1 ص 445.

(3) النكت، ج 1 ص 520.

معنى الفعلين، وما يدل على ذلك أنك تقول اختلف زيد وعمرو الصالحان، ومعنى اختلف أن كل واحد منهما فعل فعلاً مخالفًا لفعل الآخر<sup>(1)</sup>.

والذي يستخلص الباحثون من الأمثلة الواردة في كتاب النكت، وانتصاره الثابت لأنّ راء سيبويه، هو أنّ هذا العالم لم يقتصر على نقل مباحث كتاب سيبويه، بل إنه اعتمدها مذهبًا، عرف أصوله السمعية، وقواعديه القياسية. فسعة باعه في اللغة والشعر، واستيعابه لأهمات الكتب النحوية، وبعشه في التعليل والاستنباط، كل ذلك جعل منه القدوة الذي أنار الطريق أمام النحويين المغاربة، لإثارة النحو وتطوره، ومن أشهر من اتبع طريقه في هذا المجال الأستاذ أبو الحسين بن الطراوة بالرغم مما أشيع عليه من التفرد بآراء اعتبرها بعضهم خرقاً لجماع النحويين، وهذا ما سنرى أمثلة منه في استعراض آرائه.

## 2. تأسلم النحو البصري في المغرب :

### أ) ابن الطراوة :

الأستاذ أبو الحسين، سليمان بن محمد المعروف بابن الطراوة من ألمع النحويين في عهده، وأكثرهم إثارة. لقد وقع الخلاف في أصله ونشأته وحتى في اسمه، يقول الجمهور إنه من مالقه، ويروي القفطي عن أبي القاسم النحوي المدعو بالعلم، أنه من سلا<sup>(2)</sup>. ومرة يذكره باسم سليمان بن محمد بن عبد الله، ومرة بيحيى، وترجم له القاضي عياض في الغنية بهذا الإسم قائلاً: "إنه أحد أئمة الأدب، وشيخ النحاة، القوام على كتاب سيبويه وغيره مع تفزن في علوم رياضية، وأنه كان شاعراً مجيداً". ويقول جالسته كثيراً. وحضرت مجالسه في الأدب وأخبرني بملح وفوائد، وما انشدني لنفسه:

وقائلة أتصبو للغوانسي      وقد أضحى بمفرقك النهار

فقلت لها حضرت على التصابي      "أحق الخيل بالركض المumar"<sup>(3)</sup>

ويذكر المؤرخون أنه توفي عام 528 هـ، وقد قارب التسعين أو نيف عليها.

سمع ابن الطراوة على الأعلم كتاب سيبويه، وأخذ عن ابن السراج، وروى عن أبي الوليد الباقي. وجمع بين الأدب والشعر والنحو، فاستحق مكانة الأستاذ في اصطلاح علماء الأندلس.

(1) النكت، ج 1 ص 469.

(2) إحياء الرواية، ج 4 ص 114.

(3) الغنية، ص 279.

وكما اختلف الناس في اسمه وأصله، فإنهم اختلفوا كذلك في تصويب آرائه. فقد ارتضاه الإمام السهيلي، شيخا له، وأعطاه ما يستحق من تقدير وإكبار ولم يتبعه في كل أقواله. غير أن ابن الباذش<sup>(1)</sup> وابن الصانع<sup>(2)</sup>، وابن خروف<sup>(3)</sup> وابن أبي الربع، انتقدوه انتقاداً عنيفاً، ورمواه بمخالفة إجماع النحاة في كثير من مواقفه. وسوف نقدم ملخصاً من هذا الانتقاد من خلال ما ذكره ابن أبي الربع في كتاب البسيط على جمل الزجاجي.

ومن أسباب هذه الحملة، أن ابن الطراوة كان حريصاً على حرية رأيه، وعلى معقولية القواعد التحوية.

فقد كان قواماً على كتاب سببويه كما رأينا آنفاً، ولكنه مع ذلك لا يدعى العصمة لإمام النحاة، وقال : إنه لا تشرب عليه فيما يلم به من الخلاف على سببويه رحمة الله في اليسير من نظره ولا في شيء من قوله<sup>(4)</sup>. وقال : إنه قد يصيبه من الوهم الذي لا انفكاك للإنسان منه، ولا محيد لأحد عنه، غير أن هذا ليس هو الباعث الحقيقي على معارضته من طرف المجموعة المذكورة. ذلك أنه تجرأ على ركين آخر من أركان النحو، ألا وهو أبو علي الفارسي وابن جنى. في مصنفه الموسوم "بالإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح".

عندما أورد أبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي<sup>(5)</sup> كتب الفارسي وابن جنى إلى الأندلس حملها محمد بن هشام المصافي، وأخذها عنه ابن الباذش وأقبل الناس عليها، لكن ابن الطراوة انتقدتها شديداً، لأنها في نظره لا تعدو أن تكون أسماء خالية من المضمون وأن الأجر صرف هم الناشئين إلى كتاب سببويه، وجمل الزجاجي والكاففي لابن النحاس. وخص الإيضاح بالنقد، لما رأى من تهافت في تفضيله على غيره من المختصرات المروية، وتَظَاهَرُ المصحفيين لتقديمه على التواليف المسندة : فسفة رأى من عدل عنها وعن القوانين المفيدة كالجمل والكاففي وكتاب سببويه الشافي وفرغ للإيضاح والشيرازيات

(1) علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الفرناطي (440-528 هـ).

(2) له شرح على الكتاب وأصول ابن السراج والإيضاح والجمل والكاففي والمقتضب، ترجمته في القنقطي إنماء الرواية ج 2 ص 227، وبغية الوعاء ج 1 ص 326.

(3) علي بن محمد الكتامي الإشبيلي (ت 680 هـ) له شرح كتاب سببويه جمع فيه بين شرح السيرافي وابن خروف ترجمته في بغية الوعاء ج 2 ص 204.

(4) علي بن محمد بن علي بن محمد أبو الحسن ابن خروف (ت 609 هـ) أخذ عن ابن طاهر المعروف بالخطب في فاس وشرح الكتاب والجمل، وله مناظرات مشهورة مع السهيلي أوردنا بعضها عند دراسة هذا التحوي.

(5) محمد ابراهيم البنا السهيلي ومذهبة التحوي ص 66 نقاً عن الإيضاح.

(5) محمد ابراهيم البنا أبو الحسين بن الطراوة ص 16 نقاً عن فهرست ابن خير.

والخصائص والخلبيات، وهي عنده "ترجمة تروق لا جسم" فيها. وهذا الموقف أثار حفيظة مجموعة من النحويين المتعصبين للفارسي وابن جني.

زد على ذلك أن ابن الطراوة لم يتردد في مخالفة جمهور النحويين في جملة من الآراء منها أنه أنكر وجود ضمير الأمر والشأن، ورفض أن تكون "حتى" بمعنى "إلى" في قولهم قام القوم حتى زيد، وقال إن الاسم الذي شغل فعله بضميره، ليس منصوباً بفعل محدود، فلم يقبل تقدير : "ضررت زيداً ضريته" على وجه التوكيد، وأنكر كون "لكن" للاستدراك وقال : إنها ضد "لا" توجب للثاني ما نفي عن الأول. وقال : إن الجث قد يخبر عنها بظروف الزمان بشرط الإفادة، وتتابعه ابن مالك على ذلك، قوله تخربات أخرى انفرد بها سبستعرض بعضها، مع رد ابن أبي الربيع عليها وعلى أقواله المذكورة هنا.

والذي نلاحظه في بسيط ابن أبي الربيع أنه لم يذكره إلا مخططاً له ورداً عليه، بانفصalam أستاذه أبي علي الشلوبين.

وقد انتقد قوله بجواز رفع المفعول ونصب الفاعل إذا أمن اللبس حين قال ابن الطراوة : إذا فهم المعنى فارفع ما شئت واصب ما شئت وإنما يحافظ على رفع الفاعل ونصب المفعول إذا احتمل كل واحد منهما أن يكون فاعلاً نحو ضرب زيد عمراً.

ويقول ابن أبي الربيع ويلزم على قوله أنك إذا قلت ضررت زيداً هند فيجوز لك أن ترفع زيداً وتنصب هند لأن علامـةـ التـأـيـثـ الـلاحـقـةـ الفـعـلـ دـالـةـ عـلـىـ أنـ هـنـدـ هيـ الفـاعـلـ فلاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ الـحـافـظـةـ عـلـىـ الإـعـرـابـ عـلـىـ قـوـلـهـ : "وهـذـاـ الـذـيـ قـالـهـ ابنـ الطـراـوـةـ مـاـ عـلـمـتـ أحـدـاـ قـالـهـ قـبـلـهـ". النـحـوـيـوـنـ كـلـهـ . مـنـ يـعـوـلـ عـلـيـهـ، فـهـمـ يـقـولـونـ إنـ العـرـبـ تـلـتـزـمـ رـفـعـ الفـاعـلـ وـنـصـبـ المـفـعـولـ، فـهـمـ الـعـنـىـ مـنـ غـيـرـ الإـعـرـابـ أـمـ لـمـ يـفـهـمـ، إـلـاـ أـنـ يـضـطـرـ الشـاعـرـ فـيـعـكـسـ<sup>(1)</sup>.

وادعى ابن الطراوة أنك إذا قلت كان زيد قام، أن "كان" هنا ملغاً، وحمله على هذا أنه لم يفهم ضمير الأمر والشأن، وسيأتي الكلام معه فيه<sup>(2)</sup>. وذلك أن ابن الطراوة قال :

ضمير الأمر والشأن لا منقول ولا معقول. وأما كونه غير معقول للأمررين :

أحدهما : أنهم قالوا في قول العرب : هو زيد قائم، المعنى الخبر الواقع في الوجود : زيد قائم وبلاشك أن الواقع في الوجود ليس "زيد قائم" وإنما الواقع في الوجود قيام زيد، وقولك "زيد قائم" إخبار عنه.

ثانيهما : إن الجملة التي وقعت بعد الضمير هي مفسرة عندهم للضمير وخبر عنه وهذا متناقض، لأنها من حيث هي مفسرة فكأنك لم تأت إلا بواحد، إلا

(1) ابن أبي الربيع البسيط، ص 262.

(2) البسيط، ص 740.

ترى أنك إذا قلت نعمَ رجلاً، فكأنك قلت نعم الرجل، ومن شرط المبتدأ والخبر أن يكونا شيئاً أنسد أحدهما إلى الآخر، يفيد الثاني من المعنى ما لم يفِ الأول.

وأجاب ابن أبي الريبع قائلاً :

أما قوله الخبر الواقع "قيام زيد فصحبي، إلا أن الخبر الذي أراده النحويون ليس هذا إنما مرادهم الخبر الذي ينبغي أن يعود عليه، ويتحدث به "زيد قائم"، فأوقعه في هذا الإشكال أن الخبر يطلق بطلاقين : أحدهما ما ذكره، والثاني ما ذكرته وهو المتعارف في الصنعة". وهو يعني أن ابن الطراوة التبس عليه خبر الدلالة اللغوية المعتبر عن الواقع في الوجود، مع الخبر الاصطلاحي المكمل عند النحويين لفائدة الإسم المبتدأ به.

ويقول ابن أبي الريبع : وأما قوله "إن التفسير والإخبار يتضادان فيظهر لي فيه انفصالان". وابن أبي الريبع يعبر بالانفصال عن عدم حجية الاعتراض :

والانفصال الأول : عنده هو "أن الأصل : زيد قائم، لكنهم أرادوا تعظيم الخبر وتحقيقه فأخرجوه. أولاً لأن الشيء إذا أرادوا تعظيمه آخروه، وتارة يبهمونه، وتارة يعرفونه والثلاثة ترجع إلى شيء واحد، فقالوا "هو" و"هو" إضمار للخبر الذي يعظامونه ويريدون الإعلام بتحقيقه ثم فسروه فقالوا "زيد قائم". فصار قوله "هو زيد قائم" منزلة قوله "زيد ضربته" لأن الأصل ضربت زيداً، وإنما قدمت زيداً وأخبرت الثاني به ظاهراً ومضمراً، وفي ذلك من التأكيد ما ليس في قوله ضربت زيداً.

الانفصال الثاني : أن يقول إنك إذا قلت "هو زيد قائم" فهو ضمير صالح أن يكون ضمير مفرد، وصالح أن يكون ضمير الخبر. فإذا فسر بـ "زيد قائم" على أنه ضمير الخبر، فهو من هذه الجملة تفسير، وهو من جهة تعين الخبر خبراً فيكون تفسيراً من جهة وخبراً من جهة أخرى.

هذا كان جواب ابن أبي الريبع عن عدم معقولية ضمير الأمر والشأن، ثم ذكر أنه منقول، في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مَجْرِيًّا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ (طه - الآية 74) وقال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَار﴾ (الحج - الآية 46) فهذا ضميران لا يعودان على شيء متقدم ولا على ما دل عليه الكلام، ولا يصح أن يقال فيهما إلا أن الضمير من "إنه" ضمير الخبر، والضمير من "فإنها" ضمير القصة.

وقد جعل ابن الطراوة الها ، من إنه وإنها كافتين منزلة "ما" ، ويقول ابن أبي الربيع : "وهذا لا نظير له لأن العرب لا تجعل الأسماء كافة، وإنما استقر هذا للحرف نحو "إنما" و"إن" مع "ما" في قوله :

وما إن طبنا جن ولكن منيابانا ودولة آخريننا

وما ذكرته من أن الشيء إذا عظم أبهم وأضمر له نظائر، وكذلك الضمير يفسره ما بعده قد جاء له نظير نحو "رُبِّهِ رجلاً" فصح عندي أن "هو" من قوله سبحانه وَهُوَ قَدْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿الإخلاص - الآية ١﴾ . ضمير الخبر، وكذلك قوله تعالى : ﴿لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ ربِّي﴾ (الكهف - الآية ٣٨) . وكل ما جاء من هذا النوع فيحمل على هذا، فقد صح ما ذكره النحويون <sup>(١)</sup> .

وفي معرض "لكن" يقول ابن أبي الربيع : لا أعلم بين النحوين خلافاً في أن "لكن" للعطف، وإن معناها الاستدراك، ورد ابن الطراوة هذا القول وقال : إن "لكن" ليست للاستدراك وإنما هي ضد "لا" توجب للثاني ما نفي عن الأول. فتقول ما قام زيد لكن عمرو فالممعنى أن عمرا هو الذي قام وكأن الأستاذ أبو علي ينفصل عن هذا ويقول : إن الكلام لا يقع إلا جواباً لمن قال "قام زيد" فتريد أن ثبت القيام وتنتفيه عن زيد وتوجهه لغيره، فإذا قلت : ما قام زيد فقد جئت بأحد مطلوبيك، وينفي الآخر ما استدركته فقلت لكن عمرو فهذا معنى قولهم "لكن" للاستدراك بعد النفي.

وحول إلحادك تاء التأنيث بالفعل يقول صاحب البسيط : أعلم أن الفعل إذا أُسند إلى المؤنث، فإن كان التأنيث غير حقيقي، فأنت في إلحاد تاء الفعل بالخيار، تقول طلع الشمس وطلعت الشمس قال تعالى : ﴿وَجَمِيعُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ (القيامة - الآية ٩) وذهب ابن الطراوة أن هذا ليس من باب طلع الشمس لأنه "جمع" إنها تستند إلى اثنين، وهو هنا قد أُسند إلى الشمس والقمر فغلب المذكر، وهو عنده منزلة : زيد وهند قاماً ، ويقول ابن الربيع هذا الذي ذهب إليه ابن الطراوة يدفعه السماع، قال تعالى : ﴿هَلْ تَسْتَوِي الظَّلَمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (الرعد - الآية ١٦) قرئ بالياء وبالتالي لأن تأنيث الظلمات غير حقيقي، ولو كان ما ذكره صحيحاً لم يكن إلا بالياء خاصة، وليس هذا مما يغلب فيه المذكر، وإنما ينظر هنا إلى المقدم والمؤخر، فتقول "اختصمت هند وزيد، واختصم زيد وهند" يجعل ابن أبي الربيع من هذا القبيل ﴿وَأَخْذُ الَّذِي ظَلَمُوا الصِّحَّةَ﴾ (هود - الآية ٦٦) والمعلوم أن السهيلي يفسره بالفصل بين الفعل والفاعل <sup>(٢)</sup> .

(١) البسيط، ص 755

(٢) البسيط، ص 352

ونقرأ في البسيط ما يلي : " ومن باب النصب بإسقاط الخافض قولهم " استغفرت الله الذنب " ، وقد ورد قول الشاعر :

أستغفر الله ذنبا لست ممحصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وقال سيبويه : إنما يتكلم بها بعضهم ، وقال ابن الطراوة استغفرت الله الذنب بغير حرف جر ، وإنما دخل حرف الجر بالتضمين لأن " استغفرت " يعني تبت فكما يقال تبت إلى الله من الذنب ، قيل استغفرت الله من الذنب " وجعله مثل " استسقى زيدا الماء " ، ويقول ابن أبي الربيع : " وهذا الذي ذكره يخيل ولا يثبت عن البصريين ، لأن استفعل تكون على معان . فمن جملتها طلب الفعل ، ومن ذلك استفهمت عن المسألة ، وبذلك انكسر الأصل الذي ادعى ولو كان هذا مطراً لذكره النحويون ، وجعلوه قانوناً يعول عليه ، ولم نر أحداً ذكره ، فدل على أن الأمر الذي ذكره ليس باللزم ، فإذا ثبت ما ذكره النحويون وبطل ما ادعاه ، ينبغي أن يدعى فيما كثر وفشا عند عامة العرب وفصحائها أنه الأصل ، وما كثر عند بعضهم لا يدعى أصلاً ومن ذلك أمرت زيداً بالخير ، ثم أنسد ما جمع بين الأصل والفرع وهو قول الشاعر :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب  
وعن الإخبار بظروف الزمان يقول ابن أبي الربيع : " ظروف الزمان لا تكون خبراً عن الجيث ولا أعلم في ذلك خلافاً بين النحويين إلا ابن الطراوة ، فإنه ادعى أن ظروف الزمان تكون أخباراً عن الجيث إذا أفادت ثم أتى على صحة قوله . في زعمه . بأربعة مواضيع :  
أحدها : قول العرب الهلال الليلة .

الثاني : قولهم لمن سأله في أي شهر نحن ؟ نحن في شهر صفر .

الثالث : ما أنشده سيبويه :

أكل عام نعم تحرونـه يلـقـهـ قـوـمـ وـتـنـتـجـوـنـهـ  
وـقـائـلـاـ إـنـ "ـكـلـ عـامـ"ـ ظـرفـ وـهـوـ خـبـرـ عـنـ تـعـمـ.

الرابع : قولهم زيد حين التحيى ، وغلام حين بقل وجهه وفي الحماسة :  
كغضن الأراك وجهه حين بقلـاـ

والجواب : 1. الهلال الليلة فقد انفصل عنه أبو علي وقال إنه على حذف مضاد تقديره : حدوث الهلال الليلة ، وهذا الذي ذهب إليه أبو علي صحيح .

2. قولهم نحن في شهر رمضان ، يقول ابن أبي الربيع : " فأنت أعلم بالضرورة أن السائل لم يجهل وجودنا في هذا الشهر ، وإنما المراد السؤال عن تعين الشهر الذي نحن فيه ، قياسه أن يقول أي شهر

شهرنا فنقول له أنت : شهرنا شهر رمضان، وعدلت عنه العرب على جهة الاتساع، وهكذا كان الأستاذ أبو علي ينفصل عن هذا ويقول هذا كلام مخرج عن حده فلا ينبغي أن يعترض به.

3. وأما البيت الذي أنسده سببويه، فإنه جاز لمكان الصفة، وكذلك إذا قلت "كل يوم رجل مقتول"، إنما المعنى كل يوم لك قتل رجل، والقصد الإخبار عن الحدث، وأخبر عن الحدث بالزمان. ثم عدل إلى هذا على جهة الاتساع.

4. وأما قول الشاعر :

### كفن الأراك وجهه حين وشما

فالكوفيون يذهبون إلى أن "حين" زائدة. والبصريون يذهبون إلى أن المعنى وجهه وشم، ولابد لكل فعل من زمان، فأخبر عنه بالزمان المضاف إلى الحدث المقصود الإخبار به عنه. على جهة الاتساع.

ويزيد ابن أبي الريبع قائلاً فإذا حققت هذه الأربع المواضيع وجدتها إنما جاءت على جهة الاتساع<sup>(1)</sup>.

قال ابن أبي الريبع "تقول قام القوم حتى زيد بالخوض بملاحظة وصول القيام إلى زيد وكذلك يشتمني حتى عمرو، بالخوض بملاحظة وصل الشتم إلى عمر وبهذا المعنى قال النحويون إن "حتى" هنا غاية وهي منزلة "إلى".

ولم يفهم هذا ابن الطراوة فرد على النحويين في قولهم هذا فقال إنه محال لأنك إذا قلت "قام القوم حتى زيد" فزيد بلاشك قد دخل في القائمين، وإذا قلت "قام القوم غير زيد" فزيد لم يتم.

ويقول ابن أبي الريبع والانفصال عن هذا بما ذكرته وهو أن الخفض إنما هو بملاحظة وصل القيام إلى زيد، أي قام الناس كلهم حتى هذا الضعيف الذي لا يستطيع القيام<sup>(2)</sup>.

ويقول ابن أبي الريبع إن الرزق تطلق عند العرب على المرزوق مثل قوله تعالى : ﴿فَامْشُوا فِي مَا كَبِّهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقَهُ﴾ (الملك - الآية 15) وتطلق أيضاً على الفعل : وعليه أخذ أبو علي قوله تعالى : ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّن السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ (التحل - الآية 73) والتقدير عنده أن يرزق من السموات والأرض شيئاً. ولا أعلم خلافاً بين النحويين أن الرزق يطلق على هذين الوجهين إلا ابن الطراوة فإنه ذهب إلى أن

(1) البسيط، ص 601.

(2) البسيط، ص 901.

الرزق بكسر الراء لا يطلق إلا على المزروع، والمصدر بفتح الراء. وهذا الذي ذهب إليه لا أدرى ما الذي حمله عليه<sup>(١)</sup>.

وفي الجمل يقول الزجاجي : "إن اشتغل الفعل عنه بضميره تنصبه بفعل مضمر يدل عليه الظاهر، فتقول زيدا ضربته، والتقدير ضربت زيدا ضربته ولكنه فعل لا يظهر".

ويقول ابن أبي الريبع هكذا قال النحويون كلهم، وخطأهم ابن الطراوة، لأن كل محدوف يدعى فلا بد فيه من ثلاثة شروط :

أحدها : أن يكون ما يطلبه، وإن لم يكن معنا ما يطلبه من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى فيكون قد تكلف الإضمار وادعاه بغير دليل.

الثاني : أن يكون ما يفسره، فإن حذف الشيء وليس له مفسر إخلال بالكلام.

الثالث : أن يكون إذا ظهر لم يُخل بالمعنى، فإنه إذا أخل بالمعنى المقصود من الكلام كان تقديره فاسدا. وهذه الثلاثة لا يمكن لأحد أن ينكرها هنا وقد عدم منها أمران، أحدهما أن يكون معنا ما يفسره لأن المفسر من شرطه أن يكون قبل المحدوف. الثاني أنك إذا قلت زيدا ضربته "فضربته" هنا مفيدة. وإذا قلت ضربت زيدا ضربت "فضربته" هنا مؤكدة، فما قدر أخل بهذا الظاهر فلا يصح تقديره.

وقد رد ابن أبي الريبع بأنه جاء على غير القياس مثل ربه رجالا.

والذي يتبيّن من هذا أن ابن أبي الريبع فرض على نفسه نقض جميع الآراء التي أوردها عن ابن الطراوة، مدعياً أنه خرق إجماع النحاة، وخالف أقویاستهم، وأنه لم يفهم موقع الاستعمال اللغوي، فأتى بحجج مخيلة وليس ثابتة، لا تستند على سمعاً موثقاً أو قياساً صحيحاً. والملحوظ كذلك أن انتقاد ابن أبي الريبع كان في مجلمه دفاعاً عن منهج أستاذه أبي علي الشلوين.

وبالرغم من فقدان آثار ابن الطراوة، فإن آراءه الواردة على لسان خصومه الذين جدوا في نقضها تنبئ بما لهذا العالم المتمكن من أصالحة في التفكير، وجراحته في الحكم وقد أحسن الدكتور عياد بن عبد الشبيطي بتخصيص ابن الطراوة بدراسة علمية شاملة نأمل أن يتم نشرها تكملاً لكتاب محمد إبراهيم البنا.

(١) البسيط، ص 992.

## ب) ابن السيد البطليوسى :

من مشاهير علماء الأندلس، أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى، لقد تنقل هذا العالم بين حواضر الجزيرة، من بطليوس، إلى طليطلة عند بنى ذي النون، وفي السهلة مع بنى رزين، ثم جأ إلى بنى هود في سرقسطة، ثم عاد إلى قرطبة في عهد ابن الحاج، وأخيراً استقر ببلنسية وعكف على الإقراء والتأليف.

أخذ ابن السيد عن شيخه عصره أمثال اللغوي أبي بكر عاصم بن أيوب، والمحدث أبي على الغسافي، وعبد الدايم بن خير القمياني، وألف مصنفات عدّة أكثرها في علوم اللغة، فمنها ما يتناول علاقة اللغة بمسائل أصول الفقه. مثل كتابه في أسباب الخلاف بين المسلمين، الذي جعل مرده إلى ثمانية أوجه :

الأول : اشتراك الألفاظ والمعانى.

الثاني : الحقيقة والمجاز.

الثالث : الإفراد والتركيب.

الرابع : الخصوص والعموم.

الخامس : الرواية والنقل.

السادس : الاجتهد فيما لا نص فيه.

السابع : الناسخ والنسخ.

الثامن : الإباحة والتوضيح.

أما كتبه في اللغة وال نحو، فمن أشهرها إصلاح الخلل الواقع في الجمل، والخلل في شرح أبيات الجمل كما شرح فصيح ثعلب، ومثلثات قطرب وأبيات المعاني. وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة، وديوان المتنبي، وسقط الزند للمعنى والفرق بين الحروف الخمسة.

ومن خلال هذه المؤلفات نلاحظ نزعة ابن السيد اللغوية والأدبية، فكان من أولئك الأندلسيين الذين جمعوا بين الشعر واللغة والنحو والأصول. وكانت المسحة الشعرية تطبع نهجه في التأليف، ولا ننسى أنه كان شاعراً مجيداً ي مدح الأمراء على طريقة المتنبي، وينشئ الخمريات على منوال أبي نواس فيقول :

سل الهموم إذا نبا زمن      بمدامدة صفراً كالذهب  
طاًف ومن حبب على ذهب<sup>(1)</sup>

(1) المقري أزهار الرياض، ج 3 ص 109.

وكان رقيقاً في تغزله، يتذنب فؤاده إذا عنَّ له ظبي بوجرة، ويدرك أحنته بالحقيقة  
كلما لاح له بارق، فلنستمع إليه يقول :

خليلي مالي كلما لاح بارق تذكرت برقاً بالحقيقة وزينبا

إذا عن لي ظبي بوجرة شادن تذكرت من عنى الفؤاد وعدبا<sup>(1)</sup>

واشتهرت أبياته في الحكمة التي يقول فيها :

وذو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

يظن من الأحياء وهو عديم<sup>(2)</sup>

هذا وإن ابن السيد منهجاً متميزاً أملأه عليه تكوينه اللغوي والمنطقى، فكان يقول  
"إن بين علم النحو والمنطق مناسبة في بعض أغراضه ومقاصده<sup>(3)</sup> وكان يتمنى على العرب  
لو وضعوا لكل معنى لنقطاً، يؤدي عنه لا يلتبس بغيره، لكن لهم عذر في ترك تعلم  
الإعراب، ولم يكن بهم حاجة إلى معرفة الخطأ والصواب<sup>(4)</sup>. ومن هذه النظرة كان يتسع في  
التخريج، من ذلك قوله في نحو "ما قام إلا زيداً إلا عمرًا إلا خالداً أحد" أربعة أوجه.  
النصب على الاستثناء، أو على الحال، أو جعل الأول حالاً وما بعده استثناء وكذلك  
العكس<sup>(5)</sup>. كما أنه أجاز إضافة "آل" إلى الاسم المضرور، وأنكر على الزبيدي والكسائي  
منه، لأنه لا قياس يعترضه، ولا سباع يؤيده<sup>(6)</sup>، مع أنه تابع الكسائي في رأيه أن نحو  
"زيد ضريته" يجوز فيه الرفع والنصب على الاشتغال<sup>(7)</sup>، وما انفرد به أن "حتى" لا تعطف  
المفردات فحسب، بل تعطف كذلك الجمل مثل قولهم سريت حتى تكل المطاييا، برفع  
"تكل"<sup>(8)</sup>. ونرى في كل هذه الآراء نزعة إلى عدم التضييق في أحكام الإعراب.

غير أن عنایته بكتاب سيبويه، جعلته يختار ما يراه أقرب إلى القياس، وهذا مثال  
على ذلك، ففي إعمال خبر "إن" فيما قبلها، يورد الخلاف بين المبرد والمازني. فالمبرد يحيذه  
مع "أما" ويعنده مع غيرها. ويقول ابن السيد "وأما سيبويه فإنه قال في كتابه قوله قولاً مشكلاً

(1) المقرى أزهار الرياض، ج 3 ص 112.

(2) القسطنطي ابنه الرواة، ج 3 ص 142.

(3) الاقتضاب، ص 15.

(4) الخلاف، ص 113.

(5) السيوطي الأشیاء والنظائر، ج 1 ص 228.

(6) الاقتضاب، ص 31.

(7) السيوطي الأشیاء والنظائر، ج 2 ص 113.

(8) ابن هشام المعتز، ج 1 ص 172.

يمكن أن يتناول مذهب أبي العباس وهو الأظهر فيه، ويمكن أن يتناول مذهب المازني<sup>(١)</sup>. وقد اختار هو مذهب البرد.

أما نزعته المنطقية فإنها تظهر في طرق احتجاجه، وأسلوبه الجدلية في تقرير رأيه، ودفع اعتراض من يفترض أنه غير مقتنع بقوله. فأكثر من قوله : فإن قال قائل ... فابلوا ... وفيما يلي أمثال على هذا النهج من شرحه لشواهد الجمل.

فعند قول جرير :

يا تيم تيم عدي لا أبالكم لا بلقينكم في سوأة عمر

شرح قصة هذا البيت وأسباب الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ. وأورد أبياتاً من جوابها، ثم قال مذهب سيبويه أن تيم الأول مضاد إلى عدي، وتيم الثاني مؤكّد اعتراض بين الخاض والمخوض كاعتراض "ما" في قوله تعالى : «فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ» (آل عمران . الآية 159).

ومذهب البرد أن "تيمما" الأول مضاد إلى محذوف دل عليه ما بعده كأنه قال يا تيم عدي. وذهب الفراء إلى نحو هذا، فتكون في تيم الأول حركة إعراب، وفي تيم الثاني حركة بناء على مذهب سيبويه والحركةتان على مذهب أبي العباس حركة إعراب.

ومن اعتقد أن الاسمين معاً جعلاً اسمًا واحداً بمنزلة حضرموت وبعلبك وأضيقاً إلى عدي كانت حركة تيم الأول حركة بناء وحركة تيم الثاني حركة إعراب. وأجاز السيرافي أن تكون بمنزلة يزيد بن عمر. وجعل الموصوف مع صفتة بمنزلة اسم واحد، فيجري زيد في هذا الرأي مجرى عطف البيان الجاري مجرى الصفة.

وقوله "لا أبالكم" : لا تبرئه حذف خبرها، كأنه قال "لا أبالكم موجود في الدنيا" فإن قلت : مما الذي يمنع أن يكون "لكم" هو الخبر فلا يحتاج إلى إضمار؟ فابلوا أن المانع في ذلك هو ظهور الألف في الأب، لأن حروف المد واللين في الأب وأخواته أصول، إنما تثبت في حال الإضافة، فوجب من أجل أن الألف تكون مضافاً إلى الضمير، وتكون اللام مقحمة تأكيداً للإضافة، وإذا كان الأمر على ما وصفناه يبطل أن يكون "لكم" الخبر، وإنما يكون المجرور هو الخبر إذا حذفت الألف، وقلت لا أب لك، كقول نهار بن تولعة اليشكري.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افخروا بقيس أو تميم

(١) الاقتضاب، ص 15.

"فإن قال قائل كيف يصح في هذه اللام أنها زائدة مقصومة، وأنت إذا قلت "لا أبالك" لم يجز لأنك يصير الأب معرفة بالإضافة إلى الضمير و"لا" لا تعمل في المضاف فإذا كانت هذه اللام هيأت الاسم، وأصلحته لأن تعمل فيه "لا" والاعتماد عليها، فكيف يقال فيما هو معتمد به، معتمد عليه، إنه زائد. فالجواب أن اللام معتمد بها، من جهة أنها هيأت الاسم لأن تعمل فيه "لا" وهي غير معتمد بها من جهة إثبات الألف في "الأب"."

"فإن قيل كيف يصح أن يقال في شيء واحد إنه معتمد به، وغير معتمد به وهل هذا إلا بنزلة الجمع بين النقيضين؟ فالجواب أنه إنما كان يعد جمعاً بين نقيضين لو قلنا إنه معتمد به من جهة واحدة بمعنى واحد وإذا اختلفت الجهات لم يلزم هذا الذي اعتبرضت له لأنه لا ينكر أن يكون الشيء معتمداً به من جهة ما وغير معتمد به من جهة أخرى".

"فإن قال قائل فإذا قلتم لا أباً لزيد، بم تخفضون زيداً؟ بإضافة الأب؟ أو باللام؟ فالجواب أن الاختيار عندنا أن يكون مخوضاً باللام لا بالإضافة، والعلة في ذلك أنه لما اجتمع عاملان، ولم يجز أن يجر زيد عليهما جميعاً. إذا لا يعمل عاملان في معمول واحد في حالة واحدة، من جهة واحدة. لم يكن بد من تعليق أحدهما عن العمل وإعمال الآخر فكان تعليق الاسم أولي لوجهين :

أحدهما : أنا قد وجدنا الأسماء تعلق عن العمل في نحو قولهم مررت بخير وأفضل من ثم، وقطع يد ورجل من قاله. وقال الفرزدق :

يا من رأى عارضاً أرقت له      بين ذراعي وجبهة الأسد  
ولم نجد حرفًا يعلق عن العمل، وإن كان زائداً قادرًا، كالباء في قولنا ليس زيد بقائم  
 فهي زائدة وقد عملت.

الوجه الثاني : أن الاسم أقوى من الحرف، والأقوى يتحمل من التعليق والخذف ما لا يتحمله الأضعف، كذلك قال ابن جني، وأجاز القول الأول وهو تعليق الإسم . ويمكن من علق الحرف أن يقول إننا قد وجدنا الحروف تعلق في الحكاية كقول الراجز :

والله ما ليلى بنام صاحبِه      ولا مُخالطِ الليان جانبَه<sup>(1)</sup>

وفي هذه الأمثلة نتبين نماذج من أساليب الأندلسيين في الجدل والنقاش النحوي، وهو ما سيتضح أكثر في نظريات الإمام السهيلي.

(1) الحلل في شرح أبيات الجمل، ص 215.

### 3. نظريات الإمام السهيلي :

يرتبط ذكر الإمام السهيلي عند العامة، بما كتب في السيرة النبوية وبما اشتهر به من شعره في التضرع والدعا، كقوله :

أنت المعد لكل ما يتوقع  
يا من يرى ما في الضمير ويسمع  
يا من يرجى للشدائند كلها  
يا من خزائن رزقه في قول كن

ولقد كان كتابه الروض الأنف، موسوعة علمية في أخبار الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما تضمن حشداً من المعارف تناولت الحديث، والأخبار، واللغة والنحو.

غير أن الباحث يكتشف في هذا الإمام لغويًا مبدعاً، ومفكراً نحوياً بارعاً، فكتابه في نتائج الفكر، وأماليه. يوضحان ماله من رسوخ قدم في العلوم اللغوية وها هي بعض آرائه.

#### أ) السمع عند السهيلي :

##### القرآن :

كان بالطبع النص القرآني المثل الأعلى في براعة النظم، والسهيلي بوصفة قارئاً لغوياً يعتمد أصلًاً أساسياً في القياس، ولم يساير بعض النحاة في اعتراضاتهم على القراء، فاستشهد بالقراءات الثابتة سواءً كانت من المتواتر أو من الشاذ، فاستدل بقراءة ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ وَإِلَهُنَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة - الآية 132)، على تخریج ما ورد في صحيح مسلم، في قوله : "حدثنا شعبة عن العلاء وسهيل عن أبيهما" <sup>(2)</sup>. واحتج لقراءة ورش في تسهيل الهمز بقول حماس بن قيس :

إِذْ فَرَّ صَفْوَانَ وَفَرَّ عَكْرَمَةَ وَبُوْيَزِيدَ قَائِمَ كَالْمُوتَمَّهُ <sup>(3)</sup>

غير أنه لم يعتبر القرآن الكريم مصدراً للأحكام النحوية فحسب، ولكنه مجتمع أسرار البلاغة اللغوية فنظر من خلاله إلى اللغة نظرة عميقة، تجاوزت إحساسه البصري لأنه أضر في مستهل حياته، ولكنه ب بصيرته المتقددة خلص إلى نتائج فكرية قوية. فقرر أولاً بافتراضات أملاها عليه إيمانه بالحكمة القرآنية أنه لا يوجد تعبير لغوي أو نحووي في

(1) بغية الوعاء، ج 2 ص 81.

(2) السهيلي الأحمالي، ص 61.

(3) الروض الأنف، ج 1 ص 194.

التنزيل ألا وهو ذو دلالة خاصة، فاستنبع من ذلك حتمية وجود الفروق بين المترادفات، وجود حكم وأسرار في الفروق بين أدوات النفي والاعطف وبين التعريف والتنكير، وبين الإضمار والإظهار.

ففي كلامه عن الألفاظ يقول إن "السُّنَّةَ" تختلف عن "العَامَ" فهي تدل على المدة المعروفة في التقويم الشمسي، قال تعالى في سورة الكهف، ﴿ثُلَاثَانِيَّةٌ سَنِينٍ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف - الآية 25) والتسع هي الفرق بين الشمسية والتقويمية. وقال إله ما تدل عليه السنة، الجدب، كبني يوسف، بخلاف العام، وفي السورة قال : ﴿ثُمَّ يَأْتُي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغْاثُ النَّاسَ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ﴾ (يوسف - الآية 49) <sup>(1)</sup>.

والفروق بين الصيغ النحوية تظهر في مثل ما بين المصدر المجرد والمصدر الميامي، فالأخير، يدل على زمان أو مكان، ولذلك قال تعالى : ﴿مَنْ أَنْكَمَ بِاللَّيلِ﴾ (الروم - الآية 22) وقال سيعانه ﴿لَا تَأْخُذْهُ سَنَةٌ وَلَا نُوْمٌ﴾ (البقرة - الآية 253). فورود "النوم" هنا دليل على أن لا زمان ولا مكان<sup>(2)</sup>. وتعرض السهيلي للفرق بين التعريف والتنكير، في قوله تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمِ وَلَدَتِهِ﴾ (مريم - الآية 32)، وفي آية أخرى ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (الصفات - الآية 79). فذكر أن التعريف يستشعر اسم الله تعالى، وطلب العون منه، وعموم التحية في الآية الأولى وجاء نكرة في الآية الثانية، لأن الله هو المتكلم، وإنه قد قال تعالى : ﴿أَجْعَلْهُ هَذَا الْبَلْدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم - الآية 37) والبلد مكة، والأية مكية، وفي سورة البقرة ﴿أَجْعَلْهُ هَذَا بَلْدًا آمِنًا﴾ (البقرة - الآية 125). وهو دعا لها ولم تدخل "أَلَّ" الحضورية، لأن الآية مدنية<sup>(3)</sup>.

وذكر أن العطف لا يعني الترتيب الزمني، وإنما يوحى بأهمية الأسبق في سياقه<sup>(4)</sup> وإن "غير" يختلف معناها عن "لا" فإذا قلت هذا غلام زيد لا عمرو فقد أكدت نفي بالإضافة عن عمر، بخلاف قوله "هذا غلام الفقيه غير الفاسق ولا الخبيث، فإنك جمعت بين إضافة الغلام إلى الفقيه وبين الصفة المذمومة. وبذلك خرج قوله تعالى : ﴿غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة - الآية 7) وفي الفرق بين "لا" و"لن" يقول السهيلي، إن "لا" ينتد بها الصوت فيأخذ امتداد لفظها بامتداد معناها كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَتَمَنُونَهُ أَبَدًا﴾ (الجمعة - الآية 7) فعم جميع الأزمنة، وفي سورة البقرة قال سبحانه : ﴿وَلَنْ يَتَمَنُوهُ﴾ (البقرة - الآية 94). فقصر في سعة النفي وقرب، لأن قبله في النظم :

(1) الروض الألق، ج 2 ص 110.

(2) نتائج الفكر، ص 415.

(3) المصدر نفسه، ص 266 وما بعد .

(4) المصدر نفسه، ص 13.

﴿فُلْدَ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ (البقرة - الآية 93)، فكان يقول عز وجل إن كانت قد وجبت لكم الدار الآخرة، وثبتت لكم في علم الله، فتمنا الموت الآن. ثم قال في الجواب ﴿وَلَنْ يَتَمَنُوهُ﴾، فانتظم الجواب يعني الخطاب في الآيتين جميعاً. وذكر أن الإظهار يأتي للتعظيم مثل قوله : ﴿وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران - الآية 30)، ﴿لَا يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ (البقرة - الآية 184)، بدلاً من قوله : "تحذركم، ونريد بكم" (١).

وهذه الأمثلة تشير إلى التصور الفكري للنظام القرآني عند أبي القاسم السهيلي وهي تختلف عما ألفناه لدى مؤلفي معاني القرآن مثل أبي عبيدة ومن سار في ركبته. صحيح أن هؤلاء اعتمدوا القرآن مثلاً أعلى للفصاحة العربية، ولكنهم لم يتتجاوزوا حجيته اللغوية بينما نرى السهيلي يتذمّر علّاقة الفاظه بالمعاني، وتصريف آياته في تنوع التعبير، فتتضخّع عنده الصلات بين الصيغة اللغوية ووجوه الإعجاز، فاعتبر القرآن الكريم ساماً من نوع خاص.

الحادي عشر

وكان من نتائج فكره أن أدرج الحديث في منهجه اللغوي، وقام بتوجيهات دقيقة في استعمالاته النحوية، مما أفاد جمال الدين ابن مالك في كتابه في شواهد التوضيح والتصحيح لشكّلات الجامع الصحيح.

ذلك أنه اعتمد الحديث مصدراً من المصادر السمعانية، مثل ما هو المتعارف عليه عند الأندلسيين، حتى قبل ابن مالك، حيث أن أبي بكر الزبيدي استشهد بالحديث في كتابه لحن العامة في أكثر من ثلاثين موضعًا فكان السهيلي في صف شيخه ابن الطراوة، عندما حمل عليه ابن الصانع تحت شعار الانتصار لسيبوه في معرض قوله عليه السلام : "كن أبا خيثمة فكأنه" <sup>(2)</sup>.

وهكذا نرى السهيلي يستشهد بالحديث النبوى فى اللغة وفى النحو، فاستدل بآحاديث فى موطن الإمام مالك "إني لأنسى لأسن" على أن اللام تأتى للعاقبة، واحتج للغة "أكلونى البراغيث"، بحديث "يتغذون فىكم ملائكة"<sup>(3)</sup> ولأن "كل" إذا كانت مضافة إلى ما بعدها لم نجد خبراً إلا مفرداً. في قوله صلى الله عليه وسلم "أحسنوا الملاكلم سيروى". وعلى نفس الحكم، بحديث البخارى "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"<sup>(4)</sup>.

(١) البنا : أبو القاسم السهيلي ومنهجه النحو ص 150.

<sup>166</sup> (2) نتائج الفكر ، ص

الصلوة، ج 2، ص 279

العدد نفسه، ص 209 (4)

وفي أحاديث البخاري، استدل على الاستغناء بالنعت عن المعرفة بقوله عليه السلام "الكافر يأكل في سبعة أيام" <sup>(1)</sup> واستدل على أن الفعل إذا وقع على ظرف له اسم علم، تناول جميعه وكان الظرف مفعولاً على سعة الكلام، بحديث "من صام رمضان إيماناً واحتساباً" (ال الحديث) <sup>(2)</sup> وعلى أن الحال قد تكون جامدة، وفقاً لقوله عليه السلام : "وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً" <sup>(3)</sup>، واحتاج لجواز نحو : حسن وجهه، بما ورد في حديث أم زرع "صفر ردائها، وملء كسائتها" <sup>(4)</sup>.

مع أنه في استشهاده بالحديث يتحرى الرواية الصحيحة، وفي بعض الأحيان يعتريه الشك في صحتها مثل قوله : ورد في الحديث "يجمع الأولين والآخرين" فقال : إنه بعيد ولا أحسب الرواية صحيحة. <sup>(5)</sup> وقوله في رواية على حمار أتان بدون تنوين أتان. فهو في مذهبنا لا يجوز والرواية عندي منكرة <sup>(6)</sup> كما قال وروى الأصيلي حديثاً فيه "فيحا يربه" ينصب يربه، ولا يجوز النصب، ولا ينكر في رواية الأصيلي مثل هذا فقد تأملتها فوجدتها أكثر الروايات لحناً وتصحيفاً <sup>(7)</sup>.

وهكذا يظهر أن الحديث من أصوله السمعية بشرط صحة الرواية، ووفاقها لوجه لغوي.

### شواهد الشعر :

واستشهد السهيلي بالشعر الجاهلي عموماً، وأبدى نوعاً من التحفظ على الاستدلال بما سمي بالمولدين، وقد استشهد بشعر أبي قاتلأً : إنما نحتاج بقول الطاني، وهو حبيب بن أوس، لعلمه لأنه عربي يحتاج بلغته. من ذلك :

"من مبلغ الفتيا عن مالكا أني متى يتلشموا أتهدم" <sup>(8)</sup>

هذا هو مجمل تصوره للسماع، ولنر الآن موقفه من نظرية العامل.

(1) نتائج الفكر، ص 388.

(2) المصدر نفسه، ص 382.

(3) الأمالي، ص 118.

(4) المصدر نفسه، ص 76.

(5) المصدر نفسه، ص 62.

(6) المصدر نفسه، ص 108.

(7) الروض ج 2 ص 72.

(8) نتائج الفكر ص 74 وما بعدها.

## ب) نظرية العامل :

يقسم السهيلي أنواع الكلم من حيث العمل إلى قسمين :

قسم الأصل فيه العمل، مثل الفعل والحرف، فالفعل يجب أن يعمل في الاسم الذي يؤثر في معناه، وأما الحرف فهو لا يدل إلا على معنى في غيره، فوجب أن يعمل في اللفظ الدال على المعنى الذي أثر فيه. وقسم الأصل فيه أن لا يعمل لأنه يدل على معنى نفسه، ولكنه يعمل حينما يدل على الفعل.

فالفعل يعمل مباشرة في المفعول المطلق، ولا يكون المصدر في نظره مفعولاً مطلقاً إلا إذا كان منعوتاً أو في حكم المنعوت، أما المصدر المؤكّد، فإن الفعل غير عامل فيه لأن التوكيد لا يعمل فيه المؤكّد، فالشيء لا يعمل في نفسه، وهو هنا يتبع شيخه ابن الطراوة، فالعامل في المصدر المؤكّد هو تبعيته لل مصدر المتضمن في الفعل، وأما المفعول المطلق فهو ما كان محدوداً نحو ضربه ضربةً، أو ضرباً شديداً<sup>(1)</sup>. ويعمل الفعل أيضاً في الحال لأنه وصف لصاحبه وقت حدوث الفعل، ويعمل الفعل بواسطة الحرف المستثنى، والظرف، وربما اتصل عمل الفعل بظرف الزمان، نحو جلست اليوم، كما يعمل مضمراً بعد حروف العطف<sup>(2)</sup>.

والحرف يعمل في كل ما هو مؤثر فيه معنى، إلا إذا دخل على جملة عمل بعضها في بعض وسبق إليها معنى الابتداء أو نحوه، وكان الحرف داخلاً في المعنى في الجملة لا معنى في اسم مفرد فاكتفى بالعامل السابق قبل هذا الحرف، وهو الابتداء ونحوه، واستثنى من هذه القاعدة "إن" وأخواتها. التي تدخل معنى في الجملة وتعمل مع ذلك. وعلل عملها بأنها لكلمات يصح الوقوف عليهن. مثل ما ورد في قول الشاعر :

ويقلن شيب قد علاك      وقد كبرت فقلت إنه<sup>(3)</sup>

فلورفع ما بعدها على الابتداء لم يظهر تشبيتها بالحديث الذي دخلت معنى فيه. فكان إعمالها في الاسم المبتدأ إظهاراً لتشبيتها بالجملة وكيلًا يتوجه انقطاعها عنه. وبين أن حروف الاستثناء والعنف المؤثرة والتي لا تعمل، موصلة للفعل، والفعل عامل، فصارت كأنها هي العاملة<sup>(4)</sup>.

(1) الأمالى، ص 51.

(2) النتائج، ص 249.

(3) النتائج، ص 343.

(4) الأمالى، ص 19.

وأما حروف المعاني، كحروف التشبيه، والنداء والنفي والاستفهام، فإنها لا تعمل لأن معانيها مسندة إلى المتكلم لا إلى الأسماء التي تأتي بعدها. ولهذا فقد خالف السهيلي جمهور النحاة في قوله إن التنبية عامل في الحال في نحو "هذا زيد قائماً" ولا يجوز عنده إضمار الحرف العامل مع بقاء أثره إلا أن يقوم مقامه غيره مثل "حتى" التي أتت عوضاً عن "أن"، أو أن يكون الحرف المحذوف مفهوماً لكثرة تردده على الألسنة في القول المحذوف منه. مثل من يقول في جواب كيف أصبحت؟ خيرٌ عافاك الله<sup>(1)</sup>.

ولقد وافق الإمام السهيلي جمهور البصريين في رفع المبتدأ بعامل معنوي لكنه أطلق عليه نوعاً من العموم بحيث جعله : "المخبر عنه" فقال : الرفع للاسم المبتدأ لكونه مخبراً عنه لأن كل مخبر عنه مقدم في الرتبة فاستحق من الحركات أثقلها، وبما أن الفاعل أيضاً مخبر عنه بالفعل" فقد يشمله هذا العموم، فيكون مرتفعاً بالإخبار عنه. كما وافق البصريين كذلك في أن المضارع مرفوع بوقوعه موقع الاسم، لكنه خالفهم في عامل ثلاثة من التوابع. فقال إن العامل في النعت هو ما سماه بالتبعية، لا العامل في المعنوت، لأنه لو كان الفعل هو العامل في النعت لجاز تقديميه على المعنوت، وقد سبق أن أشرنا إلى قوله إن التوكيد معرب بالتبعية<sup>(2)</sup>.

واعتمد الإمام السهيلي رأي شيخه ابن الطراوة في القول بعامل معنوي لم يعرفه النحويون قبلهما، وهو "القصد إليه" الذي يختص بالنصب، وهو العامل في نصب "سبحان الله" لأنه حدث احتياج إلى ذكره خاصة، مطلقاً ومضافاً إلى ما بعده. وهو أيضاً العامل في المنادي، لأنه قد ينصب دون حرف النداء. ومن العوامل المعنوية التي انفرد السهيلي بها : الإظهار، نحو جاء زيد رغبة فيك. أي إظهاراً للرغبة كما أنه قدر فعل النظر" في مثل هذا زيد قائماً، وهو عنده عامل معنوي لمنع تقديم الحال عليه<sup>(3)</sup>.

وعلى سبيل العموم فإنه يرى أن العامل هو ما أثر في المعنى، وأن لا يكون مهيناً للدخول عامل عليه. وشد المضارع لشبيهه بالإسم، وأن العامل لا يعمل في نفسه فالمؤكدة لا يعمل في التوكيد، والصفة لا تعمل في الموصوف وأنه لا يجتمع عاملان في اسم واحد، ولا يتقدم المعمول على عامله ولا يلي العامل إلا ما عمل فيه.

وفي هذه الأمثلة نلاحظ أن السهيلي الذي يبدو وكأنه على نقىض ابن مضاء في التمسك بالعوامل، فإنه مع ذلك يتقييد بفكرين كلاهما ذات أهمية بالغة : أولاً هما

(1) نتائج الفكر، ص 109-110.

(2) المصدر نفسه، ص 177.

(3) المصدر نفسه، ص 230.

تصريحة بأن العامل لا يتعدي كونه لاستجابة المتكلم وليس علة مؤثرة في نفسه، وهذا مما يساير فكر ابن مضاء. الفكرة الثانية اعتباره أن العامل نتيجة لغوية لتأثير المعاني المقصودة في نسق الكلام، وسوف يتضح لنا رأيه في تأثير المعاني على أصول القواعد القياسية في النحو<sup>(1)</sup>.

### ج) القياس :

الإمام السهيلي لغوي متمنك، ونحووي متميز، وإذا كان متأثراً بآراء شيخه ابن الطراوة، فإنه مع ذلك مجتهد في مذهبها، ينظر في المسائل النحوية نظرة المفكر المبدع، وهذا ما جعله يتخذ لنفسه منهجاً مستقلاً في القياس النحوبي واللغوي.

فكان من معتمدي التوسيع في قياس التمثيل، واعتبار كل ما سمع عن العرب أصلاً للقياس، مما جعله في هذا المجال قريباً من مذهب الكوفيين ولعله قد جاوزهم في بعض الآراء التي انفرد بها في القياس ومنها :

1. قياس البدل على المطرف: فيما أنه يجوز العطف على المعنى في نحوه **أن عليهم لعنة الله والملائكة**، وأجاز أن يقول كرهت جمع زيد للمال أخوك، وإن شئت قلت أخيك<sup>(2)</sup>.

2. يكتفي بالعلمية لمنع صرف العلم في الشعر، قياساً على المعارف الأخرى لأن التنوين عنده ليس علامة تمكن وإما هو علامة انفصال المعرف عما بعده، ولذلك فإن حكم أسماء الأعلام كحكم المعارف الأخرى في استغنائه عن التنوين، الذي هو علامة لعدم وجود الإضافة<sup>(3)</sup>.

3. يقول إن بعض العرب أعمل "إن" في الأسمين جميعاً، وهو قوي في القياس لأنها دخلت لمعان في الجملة، وليس أحد الأسمين أولى بالعمل في الآخر. واستدل يقول :

إن العجوز خبطة جروزا تأكل كل ليلة قفيزا

وهو يعني بالقياس، قياس "إن" على ظن وعلم، لما بينهما من شبه لفظي في عدد الحروف ومن شبه معنوي من حيث أنها دخلت لمعنى في الجملة التي بعدها<sup>(4)</sup>.

(1) نتائج الفكر، ص 188.

(2) المصدر نفسه، ص 255.

(3) المصدر نفسه، ص 252.

(4) المصدر نفسه، ص 74.

#### د) التعليل :

بعد بيان أركان القياس المذكورة، تناول السهيلي قضية العلة النحوية، واشترط في صحتها أن تكون مطردة منعكسة، يوجد الحكم بوجودها وينفي بانتفائها. وأعطى مثالاً لها، بالإضافة التي توجب الخفض إيجاباً لغواً، مثل علة الإسكار في الخبر التي توجب حرمتها إيجاباً شرعاً. وعدم مراعاة الأطراط والعكس، هو الذي كان سبباً في تضاحك أهل العلوم من فساد علة التحوي وضعفها حتى ضرب بها المثل فقيل "أضعف من حجة نحوي" (١).

قد نعتقد أولاً أن نتيجة هذا الرأي سوف تبعشه على تضييق دائرة التعليل، أو أنه يقترب من رأي ابن مضاء في رفض العلل، وبالخصوص ما يعرف منها بالثوابي والثوالث. لكن الإمام السهيلي على العكس مما نتوقعه، أولى اهتماماً كبيراً للعلل، ولم يقتصر على الشوالث، بل واصل تساؤاته التعليلية إلى أن وصلت إلى السوادس. وفي جهده الفكري لا بتكار علل لهذه التساؤلات، قام بتوسيع مجال مسالك العلة حتى بلغ بها إلى تسعه (٢). فبحث عن علة إلحاد النون بالأفعال الخمسة (٣)، وعن عدم وصف المعرفة بالجمل (٤)، ولماذا قالت العرب "بعدما" ولم تقل "قبل ما" (٥) ولماذا قالوا "زيد قائم ولم يقولوا لا زيد قائم" (٦)، ولماذا لم تكن "إلى" عاطفة مثل "حتى"، وما هي علة الأعمال والإهمال (٧).

ومن بين المسالك التي اعتمدتها في التعليل :

1. دلالة الكلمة : وبها علل منع إضافة الفعل، لأنه لا يدل على معنى في نفسه بالتطابقة، ومن ثم فهو لا يضاف إلى شيء ولا يعرف بأدوات التعريف.
2. الحمل على المعنى : سبق أن قال إن العرب تذهب بالكلمة إلى وزن ما هو في معناها، ولذلك جمعوا حرة عل حرائر لأن الحرة في معنى الكريمة.
3. الحمل على اللفظ : وبهذا المسلك يبرر علة منع جمع "مفعulan" جمع السلامة، لضارعته لصيغة المثنى.
4. الاستغناء : يجعله علة لمنع صرف الأسماء المستغنية عن التنوين.

(١) محمد ابراهيم البنا السهيلي ومذهب النحو، ص 290-296.

(٢) المصدر نفسه، ص 298.

(٣) نتائج الفكر، ص 167.

(٤) راجع المناظرة بطرتها في السيوطي الآشيه والناظارج 5 ص 215 وما بعدها.

(٥) النتائج ص 188.

(٦) المصدر نفسه، ص 76.

(٧) المصدر نفسه، ص 254.

5. مراعاة الأصل : وبها فسر صرف الأعلام المقولة مثل أسد، وغر.
6. طلب الحفة : قوله عنده ظواهر كثيرة منها قولهم "ظلمت" وأحسست.
7. طلب الإزدواج : في النظم، مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا أَنْتَ مَرْعِبُ الْأَذْدَوْجِ﴾ (الكافرون - الآياتان 3 - 5).
8. كثرة الاستعمال : كالأخذف في قوله : "بأبي سمعته".
9. رفع الوهم : وعلل به عدم جمع بـ"ر" وفظ جمع سلامة لثلا يلتبس بمعنى (١).

ويعتقد الدكتور محمد إبراهيم البنا، أن السهيلي كان مبدعا في كثير من تعامله، بالنظر إلى اعتباره لوظيفة الكلمة، ولدلائلها المعجمية، ولصفاتها الصوتية ولما من تأثيرها اللغطي في كثرة الاستعمال، ومراعاة الإزدواج، إلا أنه كان فيما يبدو يختار مقدمات معينة وألفاظا خاصة تمكنه من الوصول إلى النتائج المستهدفة، ومن ذلك توجيهه للعلاقة بين لفظ "حتى"، ومعناها قال : وأما حتى فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حده، ولذلك كان لفظها لفظ الحد، حاء قبل تاءين، والحد جاء قبل دالين، فكان استنتاجه منطبقا على لفظ "الحد" ولو فسر "الغاية" بالنهاية، لاختلال تعليله<sup>(٢)</sup>.

ومن طرائفه قوله في حذف تاء التأنيث للفعل: "زعموا أن الاسم المؤنث إذا كان تأنيثه حقيقيا فلابد من لحوق تاء التأنيث في الفعل وإن كان تأنيثه مجازياً كنت مخيراً في إتيان التاء وتركها، وزعموا أن التاء في قالت الأعراب لتأنيث الجماعة، وتأنيث الجماعة غير حقيقي، وقد كان على هذا لحوق التاء في قوله : ﴿وَقَالَ نَسْوَةٌ﴾ (يوسف - الآية 30). أولى، إذ كان تأنيث النسوة حقيقة، واتفقوا على الفعل إذا تأخر عن فاعله المؤنث فلابد من إثبات تاء التأنيث، وإن لم يكن تأنيثه حقيقة، ولم يذكروا فروقا بين تقدم الفعل وتأخره، وفي هذا كله وهن لأصولهم، ودليل على قلة تحصيلهم".

ثم بين أن الأصل العام في هذا الباب لحوق التاء عند الاتصال بالفاعل سواءً كان المؤنث حقيقة أو مجازا، فتقول جاءت المرأة وطالت النخلة، كما تقول المرأة جاءت باتصال الضمير بالفعل وإذا حمل الاسم المؤنث على معنى اسم مرادف، حذفت التاء في ضرورة الشعر. مثل قول الشاعر :

فإما تربنيولي لمة فإن الحوادث أودى بها

(١) محمد إبراهيم البنا : أبو القاسم السهيلي، ص 288 وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص 297.

وقوله :

فلا مزنة ودقت ودقها      ولا أرض أقبل أبقاها

وفيهما حملت "الحوادث" على لفظ الحدثان، وحملت "الأرض" على الموضع.

إذاً وقع حاجز جاز حذف الناء، وقوى كلما ابتعد الفاعل عن الفعل، نحو ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ (هود - الآية 66)، وعنده في هذا الموضع، محدوفة أيضاً لأن "الصيحة" حملت على الحزني والعقاب، كما أن "نسوة" في قوله تعالى : ﴿قال نسوة﴾ محمولة على اسم الجمع مثل القوم والرهط.

ثم أجاب عن تساؤل حول قوله تعالى : ﴿فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلال﴾ (النحل - الآية 36) في سورة النحل، وقوله جل وعلا : في الأعراف ﴿وفريقاً حق عليهم الضلال﴾ (الأعراف - الآية 28)، فقال إن الفرق لاتخ من وجهين، لفظي لزيادة الميم في "عليهم" في الأولى، ومعنى لأن من في سورة النحل واقعة على الأمة، بعد ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسول﴾ (النحل - الآية 36) فمنهم أمة ضلت وحقت عليها الضلاله والثانية تعني : وفريقاً ضلوا، بغير تاء، في اللفظ فحسن حذفها إذن فيما هو معناه<sup>(1)</sup>.

وهذه هي بعض المقولات التي تعطي صورة مبسطة عن بعض نتائج تأملات السهيلي وفكرة المبدع، وقد اقتصرنا فيها على ما ينبه المؤرخ التحوي على ميزات هذا العالم الجليل، الذي عرفه الناس متكلماً وإخبارياً أكثر مما عرفوه نحوياً، وننهي أقول بمناظرته مع ابن خروف.

### هـ) مناظرته مع ابن خروف :

- موضع الخلاف : لقد ذكر بعض الكتاب في عقد له محجورين ذكوراً وإناثاً. فاحتاج إلى تخصيص أنثى من بينهم فقال "إحدى المحجورين" فمنع السهيلي هذا الاستعمال، وأجازه ابن خروف.

- رأي السهيلي : أراد السهيلي أولاً أن يذكر أن هذا يخالف ما ورد في الشعر مثل قول العربي :

إني أتيحت لي يمانية      إحدى بنى الحارث من مذحج

فقال إنه مثل قول النابغة :

إحدى بليٍ وما هام الفؤاد بها      إلا السفاه والإ ذكرة حلما

(1) النتائج، ص 172

وليس فيها شاهد لمن زعم جواز قوله : إحدى المسلمين. وأنت تعني مسلماً ومسلمة، أو إحدى المسلمين وأنت تعني مسلمة ومسلمين، ولو جاز هذا لجاز أن تقول في حمار وأتان "هذه إحدى الحمارين" ويقول إن ما تقدم من الأبيات هو على حذف المضاف كما قال الله تعالى : ﴿فِلَهُ عَشْرُ أَمْثَالَهَا﴾ (الأنعام - الآية 161) فأنث لأنه أراد عشر حسناً. ولو قال "هي أحد قريش أو أحد بلئ" لم يمتنع.

وأما الذي لابد فيه من لفظ أحد فما تقدم من قوله أحد المسلمين وأنت تعني مسلماً ومسلمة، وشاهد ذلك قوله عليه السلام للمتلاعنين "أحدهما كاذب فهل من تائب" ولو كانوا ثلاثة لقليل "أحدهم امرأة" لأن لفظ التذكير قد شملهم فحكم الجزء إذن حكم الكل، ولاسيما إذا كان ذلك الجزء لا يتكلم به إلا مضافاً.

والالأصل في هذا النفي العام، نقول ما في الدار أحد يقع على الذكر والأنثى، وإنما قالت العرب "أحد الثلاثة" لأنك أردت معنى النفي، لأن المعنى لا أعين أحداً منهم دون الآخر. ويدل أيضاً على ذلك أن تغليب المذكر على المؤنث وتغليب من يعقل على ما لا يعقل باب واحد وتغليب المذكر أقوى في القياس، لأن لفظ المذكر أصل ثم يدخل عليه التأنيث وكذلك لفظ من يعقل، وقد تعدد تغليب من يعقل الجملة إلى جزئها. قال الله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يُمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ (النور - الآية 43) لما كان جزءاً من الجملة التي غالب فيها من يعقل في قوله "فمنهم" وإذا جاز هذا فأحرى أن يجوز في أحد لأربعة أوجه :

1. أحدها أن "أحداً" يقع على الذكر والأنثى لكونه في معنى النفي كما تقدم في قوله "أحد الثلاثة".
2. تغليب المذكر أقوى من تغليب من يعقل، لأن المذكر والمؤنث جنس واحد، بل نوع واحد تميز واحد منهما بصورة عرضية. لا ترى أنه لا يسبق إلى الوهم تحليل الخنزيرة الأنثى لأجل ذكر الخنزير في القرآن مذكراً، وما لا يعقل مخالف لجنس من يعقل.
3. أن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد.
4. أن "أحداً" مع أنه مضاف لا يستعمل منفصلاً، لا يقال هذه المرأة إحدى ولا رجل أحد.

رأى ابن خروف : "إحدى المحجورين" صحيح بعضه السماع والقياس قال الله تعالى : ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ﴾ (الأعراف - الآية 38) فجمع بين تذكير وتأنيث في

مضاف ومضاف إليه، وهو بعضاً، وإن المجرورين أخرى لأن التأنيث في الآية غير حقيقي ويشبهه قوله تعالى : ﴿ هي حسبهم ﴾ (التوبه - الآية 68) وقول الشاعر :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائلبني أسد ما هذه الصوت

وقوله :

أرمي عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع وإصبع

فذكر بعض الجملة وأنث بعضاً، وهما جمیعاً شيء واحد، ومن ذلك قولهم أربعة بنین وثلاثة رجال، فأثنوا المضاف والمضاف إليه مذكر، وقالوا في أربعة رجال وامرأة خمسة، فإذا أشاروا إلى المرأة قالوا "خامسة خمسة".

وما يدل عليه أنا وجدنا العرب راعت المعنى المؤنث، ولم تراع اللفظ المذكر في كثير من كلامها قال أمراً القيس :

إذا ما جرى شأون وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بأثواب

ويقول جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعـت سور المدينة والجبال الخشـع

ومثله كثير فهذا ونحوه روعي فيه المعنى، فهذا أشد مما نحن بصدده، وإنـدي بـلىـ وأمثالـه لا يحتاجـ فيـه إـلى حـذف مـضاف كـما زـعم السـهـيلـيـ، لكنـ ماـ كـانـت قـبـائـل تـجـمـعـ الذـكـورـ وـالـإـنـاثـ جـازـ ذـلـكـ فـيـهـ، مـثـلـ "ـهـيـ أـحـدـ قـرـيـشـ"ـ وـهـيـ أـحـدـ بـلىـ.

ولو قيل "أحد المجرورين" على قوله تعالى : ﴿ لـسـتـنـ كـأـحـدـ مـنـ النـسـاءـ ﴾ (الأحزاب - الآية 32) لم يجز لأنـهـ فيـ الآـيـةـ الـكـرـيـةـ بـعـدـ النـفـيـ، وـالـمـارـدـ بـهـ نـفـيـ الـعـمـومـ ثـمـ بـيـنـ بـقـولـهـ "ـمـنـ النـسـاءـ".

وأما استشهادـهـ بـقولـهـ فيـ المتـلاـعـنـينـ "ـأـحـدـهـمـ كـاذـبـ"ـ فـغـفـلـةـ لأنـ المـعـتمـدـ هـنـاـ أـحـدـهـمـ لاـ بـعـيـنـهـ وـلـوـ عـنـيـ المـؤـنـثـ لـأـنـثـ، فـهـوـ كـقـولـهـ سـبـحـانـهـ : ﴿ إـمـاـ يـلـفـنـ عـنـدـكـ الـكـبـرـ أـحـدـهـمـ أـوـ كـلـاهـمـ ﴾ـ (ـالـإـسـرـاءـ .ـ الـآـيـةـ 23ـ)ـ وـمـنـعـ مـنـ إـفـرـادـ "ـأـحـدـ وـاحـدـيـ".ـ وـقـدـ قـالـ اللـهـ سـبـحـانـهـ ﴿ قـدـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ ﴾ـ (ـالـإـلـاـخـاصـ .ـ الـآـيـةـ 1ـ)ـ.ـ وـقـالـواـ "ـأـحـدـ وـعـشـرـونـ،ـ وـإـحـدـيـ وـعـشـرونـ.ـ

وقـولـهـ لاـ يـسـيقـ لـوـهـ أـحـدـ تـحـلـيلـ الـخـزـيرـةـ الـأـنـثـيـ،ـ قـدـ ذـهـبـ إـلـىـ ذـلـكـ طـوـافـنـ مـنـ أـهـلـ الـفـسـادـ،ـ وـلـمـ يـدـلـ عـنـدـنـاـ عـلـىـ تـحـريـهـاـ إـلـاـ فـحـوىـ الـخـطـابـ وـكـوـنـ الـأـلـفـ لـلـجـنـسـ.

ردـ السـهـيلـيـ :ـ لاـ دـلـيلـ فـيـ قـولـهـ سـبـحـانـهـ :ـ ﴿ قـالـتـ أـخـرـاـهـمـ لـأـوـلـاـهـمـ ﴾ـ (ـالـأـعـرـافـ .ـ الـآـيـةـ 38ـ)ـ لـأـنـهـ لـمـ يـجـتـمـعـ فـيـ الـآـيـةـ مـؤـنـثـ وـمـذـكـرـ،ـ فـغـلـبـ الـمـذـكـرـ،ـ يـعـنـيـ أـنـ أـحـادـ الـأـمـمـ مـؤـنـثـاتـ مـنـ حـيـثـ الـأـمـ جـمـعـ أـمـةـ.ـ وـلـيـسـ فـيـ جـمـعـ أـمـةـ عـلـىـ أـمـ نـقـلـ مـؤـنـثـ إـلـىـ مـذـكـرـ

ولكن هذا هو باب جمع هذا المؤنث، فإذا قلت أخراهم فلم ينقل كما فعلته في "إحدى المحجورين" لأنك في "إحدى المحجورين" نقلت مؤنثاً إلى مذكر، وجعلت محجورة محجوراً، كأنه شيءٌ محجور.

إذا فعلت ذلك فواجب عليك "أحد" من حيث قلت فيه محجور. وقد يتعقب هذا بأن ضمير "هم" ضمير مذكرين رجال ونساء بلاشك فوجه الجمع بين "إحدى المحجورين" وبين "أخراهم" أن لفظ "هم" لم يستعمل حتى صير من كان ينبغي أن يقال فيه "هي" يقال فيه "هو" كما نقلت "محجورة" إلى محجور" فانظره. وأيضاً فإن "أولى" و"آخرى" قد يستعملان منفصلين بخلاف "إحدى".

وقوله سبحانه : ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ (التوبه . الآية 68) وقول الشاعر "هي فرع أجمع" لا دليل فيها وليسا في شيءٍ مما نحن بصدده بل يشبهان قولك "هي أحد المسلمين" فإنما نقول "هي" ثم نقول "أحد". وقوله سبحانه "هي حسبيهم" كقولك "امرأة عدل" وقوله "هي فرع" كقولك للمرأة إنسان.

وأما قوله "ما هذه الصوت" فلا حاجة فيه، وليس مما نحن فيه من شيءٍ وإنما اضطر فائت لإرادة الصيحة. واستدلاله أيضاً بثلاثة بنين وأربعة رجال ليس من الباب في شيءٍ، وبخامسة كذلك لأن "خامسة" من باب اسم الفاعل كقائمة وقاعدة، واسم الفاعل يجري على أصله، إن كان المذكر فهو مذكر، وإن كان المؤنث فهو مؤنث، فقولك خامسة خمسة كقولك "ضاربة رجل".

وأما استشهاده بنحو "هزير الريح" والأبيات التي أنشدها سيبويه فلا حاجة في شيءٍ من ذلك مبينا الفرق بين "إحدى بلي" و"إحدى المحجورين" لأن المحجورين لا يستعمل على جملة نساء كما يستعمل عليها.

ووصف رده في حديث "أحدهما كاذب" بالهذيان لأنه لم يستشهد به إلا من باب تغليب المذكر خاصة، واستشهاده "يقل هو الله أحد" في إفراد "أحد" ليس في الموضوع. وقال إن تعقيبه في شأن تحليل المختبرة سخيف.

وذكر السيوطي أن ابن الحاج لم يورد رد ابن خروف، لأنه اعتبره غير مقنع. لكنه قد أدرج منه قوله : إذا كان اسم الفاعل أن يجري على أصله، فكذلك "أحد" واحدى. واللبس الذي كان يدخل في اسم الفاعل لو لم يؤثر هو اللبس الذي يدخل في إحدى<sup>(1)</sup>.

(1) الأئمدة والنظائر، ج 5 ص 215.

## الباب الثالث

# "ثورة" ابن مضاء الطاهرية

### 1. شخصية ابن مضاء :

وفي عهد أبي القاسم السهيلي، يطالعنا مفكر نحوى آخر، وهو أحمد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بابن مضاء الأزدي الإشبيلي، وهو من بين من درسوا كتاب سيبويه على ابن الرماك<sup>(1)</sup>، في الأندلس، ثم اجتاز إلى المغرب، وعين قاضيا بمراكش في أوج دولة الموحدين. لكن تفقهه، ومارسته للقضاء لم يحولا بينه وبين التفكير في النحو، والكتابة في قضيائه، فذكر له المؤرخون ثلاثة مصنفات، منها "المُشرق في النحو"، وهو الذي رد عليه ابن خروف بكتاب "تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسلو" ، وكتاب الرد على النحاة، وهو المؤلف الوحيد الذي وصل إلى أيدي الباحثين، بعدهما اكتشفه ونشره الدكتور شوقي ضيف، مع مدخل حول ما سماه "ورة ابن مضاء"، فهالته تلك الظرفة النفيسة، واعتبرها امتداداً لثورة الموحدين على فقهاء المشرق، وعلى آرائهم ومذاهبهم في التشريع، واعتقد أن كتاب الرد على النحاة يقصد به نحو المشرق على الخصوص، ذلك أن ابن مضاء أبطل نظرية العامل، فأنكر أن يكون في الكلام عامل وعامل ومستهجن في كتب النحويين كثرة التقديرات في العوامل والصيغ غير المستعملة في أمثلة التنازع، والبنية الصرفية المصطنعة.

ويقول إنه شرع في كتاب يشتمل على أبواب النحو كلها فإن قضى الله تعالى بإكماله انتفع به من لم يعقه عنه التقليد، وإلا فيستدل بهذه الأبواب على غيرها<sup>(3)</sup>.

(1) ابن الرماك عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأموي الأشبيلي المتوفى سنة 541 هـ، ترجمة في بغية الوعاة .86/2

(2) شوقي ضيف مقدمة الرد على النحاة ص 20 نقلًا عن ارشاد الضرب لأبي حيان.

(3) الرد على النحاة.

وتطرق الدكتور شوقي ضيف إلى آراء ابن مضاء في منع العوامل، "وفي تهجين نظرية العامل وما تجربه من تقدير، قد يؤدي في كثير من الأحوال إلى رفض أساليب صحيحة في العربية، وقال إن هذه النظرية تجرب وراءها حشداً من علل وأقىسة يعجز الثاقب الحس والعقل عن فهم كثير منها، ثم ذكرنا بقوله الخليل إنه لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه. وختم مقدمة الكتاب بقوله إننا حين نطبق على أبواب النحو ما دعا إليه ابن مضاء من منع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات، كما تطبق على هذه الأبواب ما دعا إليه من إلغاء نظرية العامل نستطيع أن نصنف النحو تصنيفاً جديداً يحقق ما نبتغيه من تيسير قواعده تيسيراً محققاً"<sup>(1)</sup>.

كان هذا في عام 1947م، وبعد خمس وثلاثين سنة، أي في عام 1982م أخبرنا الأستاذ شوقي ضيف أنه قد منَ الله عليه بتأليف كتاب يعرض النحو عرضاً حديثاً ينسق أبوابه، ويدلل صعابه ويسير قواعده. وأنه الشمرة النهائية لمباحثه المتصلة بتحقيق كتاب ابن مضاء، وستتحدث عن الكتاب فيما بعد.

وفي كتاب أصول النحو العربي للدكتور محمد عيد، يظهر المؤلف إعجاباً فائضاً وتحمساً كبيراً لآراء ابن مضاء، الذي قال عنه إنه "لم ينزل من التقدير ما يستحقه مجتهد مثله، هذا مع أن تلك الكتب قد خصصت كثيراً من الصحف لنحاة لا يرقى - بأي حال - محصولهم الابتكاري إلى مرتبته، وربما كانت الفكرة القائلة إن الناس أصدقاء المألف وأعداء الجيد، صادقة في هذا المقام"<sup>(2)</sup>.

ثم قال مرة أخرى إن ابن مضاء "يكشف لنا منذ البداية طريقه الذي اختار في النحو من بين النحاة. لقد اختار طريق الرواد المتمردين على التبعية التحمسين لاكتشاف جديد مجهول، إن مأساة العلم، والفن أيضاً - تكمن في التبعية المطلقة التي ترتل الأقوال الجاهزة وتتعبد بها ثم لا شيء"<sup>(3)</sup>.

ويقول أيضاً : "لقد سار ابن مضاء في طريق الحرية الفكرية التي تُعرف وتُقوم ثم تحكم، حرية تغلغلت في روحه مع مذهب الظاهري حتى الأعمق"<sup>(4)</sup>.

وقد تناول محمد حسن عواد، في مقدمته لكتاب الكوكب الدرى لجمال الدين الأستوى آراء الدكتور العيد، فقال إنها مداعاة للغير لما تضمنت من مبالغات لا مبرر لها، ثم أوضح ما فيها من مغالاة في تقديم ابن مضاء، وكأنه المفكر العظيم والمظلوم<sup>(5)</sup>.

(1) شوقي ضيف مقدمة كتاب الرد على النحاة، ص 67.

(2) محمد عيد أصول النحو العربي، ص 45.

(3) المرجع نفسه، ص 49.

(4) المرجع نفسه، ص 50.

(5) محمد حسين عواد مقدمة الكوكب الدرى للأستوى.

وقد قام الأستاذ علال الفاسي بمقارنة بين آراء ابن مضاء في النحو، وبين مذهب ابن حزم الظاهري، فقال : "الشورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه زمن ابن حزم، ولا سيما زمن الموحدين، صاحبتها فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس النحوية، لا أقول المشرقية كما يقول الأستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين، ولكن على جميع الذين جنحوا إلى القياس وإلى التعليقات وما يضمه النحو من الحشوبيات التي سبق أن قال عنها الخليل بن أحمد حسبما نقله الجاحظ في كتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه)".

"ولقد أشار ابن حزم في كتابه التقرير لحد المنطق إلى أن علم النحو، يرجع إلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهمهم المعاني بلغتهم، وأما العلل فيه ففاسدة جداً".

"ومفهوم ما يرمي إليه ابن حزم بإظهاره فساد العلل النحوية، لأنه إذا فسدت العلل لم يبق مجال للقياس، وهو ما يريد ابن حزم أن يطبق فيه مذهب الفقهى بعدم القول بالقياس على النحو، ولم يستطع السيد سعيد الأفغاني أن يتصور نحو لا قياس فيه، كما لم يستطع الفقهاء أن يتصوروا فقهًا لا قياس فيه، مع أن وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن أراد، لأن عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجئ فيه نص على فطرته اللغوية أي سليقته العربية، كما أن ما لم يرد فيه نص يبقى على أساس إباحته الشرعية، فالمذهب الظاهري في النحو توسيعة في اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة في ابتكار ما لم يقل لا في القياس على ما قبل".

ويزيد الأستاذ قائلاً : "فقد ظل الميل المغربي لمذهب الكوفة في النحو قائماً حتى بدت نظرية ابن حزم أولاً ثم جاءت الشورة الموحدةة فصرف نظارها النظر فيما يجب تغييره من علم الكلام. وذهب آخرون منهم إلى نقض الفقه المالكي، وطائفة ثالثة يتزعّمها ابن مضاء اتجهت إلى محاولة تفجير الرأي الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرًا ينبع بنحو ظاهري مستقر، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية إيجابية أو فتح باب الاجتهداد في النحو للتقدم به إلى الأمام".

"ومن العبرت أن يقال إن هذه المحاولات لا شيء، لأن ابن مضاء لم يوفق في بعض ادعائه، فالنظريّة لا تخرج كاملة من أول مرة، ولذلك نجد ابن مضاء المودي الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين أن يغيروا منهجهم في دراسة النحو"<sup>(1)</sup>.

(1) علال الفاسي : محاضرة في ملتقى الذكرى الأربعين لسيبوه.

## 2. آراء ابن مضاء :

وبعد الإشارات إلى الآراء، حول منهج ابن مضاء، نعود إلى كتابه الوحيد، الذي اعتمد عليه كل من تحدث عنه، لنقدم مقتطفات منه قد تكون معالماً على طريق من يروم فهم منهجه، وهي تمثيل رأيه في عمل النحاة وفي نظرية العوامل والعلل. ويقول ابن مضاء : وإنني رأيت النحوين - رحمة الله عليهم - قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته عن التغيير، بلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتكروا إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيه القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها، وأنحطت عن رتبة الإتقان حججها، حتى قال شاعر فيها :

ترنو بطرف ساحر فاتر      أضعف من حجة نحوى

ثم مثل ما عندهم من امتلك الزجاج الذي صفي حتى ظن زبر جداً والنحاس الذي عولج حتى حسب عسجاً. ثم نصحهم قائلاً : هذا الذي اتخذتموه بعضه مال وبعضه آل.

ثم قال : ولعل قائلاً يقول "أيها الأندلسي المسرور بالإجراء بالخلاء، المضاهي بنفسه الحفي ذكاء وأي ذكاء، أتزاحم بغير عود، وتکاثر برذاذك الجود.  
وابن اللبون إذا مالز في قرن      لم يستطع صولة البزل القناعيس  
هل أنت إلا كما قال :

كتناطح صخرة يوماً ليفلقها      فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أتزري بنحويي العراق؟ وفضل العراق على الآفاق كفضل الشمس في الإشراق على  
الهلال في الم Hague، وأنت أحمل من بقة في شقة، وأخفى من تبنة في لبنة.

فيقال له : إن كنت أعمى لا تنھض إلا بقائد، ولا تعرف الزائف من الحالص إلا  
بناقد، فليس هذا بعشك فادرجي :

خل الطريق لمن يبني المنار به      وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر<sup>(1)</sup>

ثم انتقل ابن مضاء إلى القضايا التي عابها على النحاة محاولاً أن ينبه على ما  
أدخلوه من حشو في النحو، وعلى ما ارتكبوه من أغلاط مثل قولهم بتأثير العامل.

(1) ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 72-75.

يقول ابن مضاء : "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه. فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفظ والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي". ثم ينكر على سيبويه قوله إنه ذكر ثمانية مجار، أي حركات أواخر الكلم، لما يحدثه فيها العامل لأن القول إن العامل أحد الإعراب قول بين الفساد. وقد صرخ بخلافه ابن جني وغيره، وعمل الأعمال إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، والقول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضاً باطل عقلاً وشرعاً<sup>(1)</sup>. وإذا كان ابن مضاء ينفي كون العامل يحدث إعراباً. فإنه لا ينفي نوعاً من الترابط المؤثر بين الكلم، الذي سماه تعليقاً، إذ في كلامه عن التنازع يقول: "أنا في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول "علقت"، ولا أقول "أعملت" والتعليق يستعمله النحويون في المجرورات، وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين. تقول قام وقعد زيد، فإن علقت "زيد" بالفعل الثاني، فبين النحويين في ذلك اختلاف، الفراء لا يجيئه والكسائي يجيئه على حذف الفاعل. ويرجح ابن مضاء مذهب الكسائي قائلاً : ومن الدليل على صحة مذهب الكسائي قول علقة :

تعقد بالأرطى لها وأرادها      رجال فبدت نبلهم وكليب<sup>(2)</sup>

ويقول : وما يجب أن يسقط في النحو العلل الشواني والشوالت وذلك مثل سؤال السائل عن زيد من قولنا "قام زيد" لم رفع؟ قيل لأنه فاعل وكل فاعل مرفوع. فيقال لم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له، كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر<sup>(3)</sup>.

ويقول : وكان الأعلم رحمة الله على بصره بالنحو مولعاً بهذه العلل الشواني ويرى أنه إذا استنبط منها شيئاً فقد ظفر بطائل. وكذلك كان صاحبنا أبو القاسم السهيلي على شاكلته رحمة الله يولع بها ويختروعها، ويعتقد ذلك كمالاً في الصنعة وبصراً بها<sup>(4)</sup>.

وكما أنا لا نسأل عن عين عظم وجيم جعفر وباء بُرُثُن لم فتحت هذه وضمت هذه وكسرت هذه فكذلك أيضاً لا نسأل عن رفع "زيد" فإن قيل "زيد" متغير الآخر قيل كذلك عظم يقال في تصغيره بالضم، وفي جمعه على فعال بالفتح.

(1) ابن مضاء الرد على النحاة، ص 74-77.

(2) المصدر نفسه، ص 94-95.

(3) المصدر نفسه، ص 130.

(4) المصدر نفسه، ص 137.

لكن ابن مضاء لم يقل بذلك، جميع العلل الشوانية لأنه ذكر أنها على ثلاثة أقسام : قسم مقطوع به وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده.

فمثلاً القسم المقطوع به : قوله القائل كل ساكنين التقيا في الوصل وليس أحدهما حرف لين فإن أحدهما يحرك مثل "أكرم القوم" ، وقال تعالى : ﴿قَمِ اللَّيْلَ﴾ (المزمل - الآية 1) ويقال مدد، فيقال لم حركت من "أكرم" وهو أمر فيقال له لأنه لقى ساكناً. فإن قيل ولم لم يتركا ساكنين فالجواب لأن النطق بهما ساكنين لا يمكن الناطق فهذه قاطعة. وهي ثانية ومن العلل الشوانية المقبولة عنده تعليل دخول همزة الوصل على الأمر في نحو "اكتب" لأن الابتداء بالساكن لا يمكن. وذكر من العلل الشوانية الواضحة، إبدال الواو ياء في نحو "مويزين" لأن ذلك أخف على اللسان. ولكن قال إنه يمكن الاستغناء عن هذه العلة.

والقسم الذي قال إن فيه إقناعاً : هو قوله إن المضارع أعراب لشبه الاسم في العموم وفي قابلية التخصيص، فالاسم يكون نكرة، ويعرف، والفعل يدل على عموم الزمان، وبخصوص بالسين وسوف، وإن كلاً منها تدخل عليه لام الابتداء نحو إن زيداً ليقوم كما يقول إن زيداً لقائم. ورد ابن مضاء هذا التعليل بأن العلة الموجبة لإعراب الاسم هي موجودة في الفعل، وكما أن للأسماء أحوالاً مختلفة فإن للأفعال أحوالاً مختلفة فحاجتها إلى الإعراب كحاجة الأسماء وأن الشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً. والشيء المقياس عليه معلوم الحكم. وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع.

ومثال ما هو بين الفساد قوله محمد بن يزيد (المبرد) إن نون ضمير جماعة المؤنث إنما حرك لأن ما قبله ساكن، نحو "ضرِّينَ وَيُضَرِّينَ" وقال فيما قبلها أنه أسكن لثلا تجتمع أربع حركات، لأن الفعل والفاعل كالشيء الواحد، فجعل سكون الحرف الذي قبل النون من أجل حركة النون، وجعل حركة النون من أجل سكون ما قبلها. فجعل العلة معلولة لما هي علة له، وهذا بين الفساد<sup>(١)</sup>.

وكلامه عن القياس هنا يظهر أنه لا ينكره أساساً، ولكن يشترط وجود أركانه المعروفة ليكون قياساً صحيحاً.

ولنعد إلى رأي الدكتور شوقي ضيف حول ابن مضاء، في كتابه المدارس النحوية، ويدلأ من الخامس الفائق في مقدمة "الرد على النحاة"، نرى بحثاً رزيناً استطاع الكاتب فيه، أن يعيد "ثورة" ابن مضاء إلى آراء أئمة النحو السابقين.

(١) ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 131-138.

ففي معرض نظرية العامل، بين الكاتب أن ابن جني لاحظ قبل ابن مضاء أن المتكلم هو الذي يعمل الرفع والنصب والجر، وأن الكسائي لا يقول بأن تقدم الفاعل في قولهنا "زيد قام" يدعو إلى تقدير فعل سابق. وأن الأخفش يرى أن الألف والواو والنون، في قولهنا "قاماً" و"قاموا" وقمن، ليست ضمائر، وإنما هي محض علامات تدل على التثنية والجمع، وإن الجرمي سبقه إلى إنكار التنازع في الأفعال المتعددة إلى أكثر من مفعول، لما في ذلك من تكليف صيغ لم تأت عن العرب، كما استلهم من الجرمي أيضاً إنكار إضمار "أن" في نصب المضارع بعد "الفاء" و"الواو"<sup>(١)</sup>.

وهكذا يظهر أن ثورة ابن مضاء ليست سوى محاولة إصلاح محدود مستلهم من آراء الظاهرية في نفي القياس والتعليق، فرمى إلى استبعاد العوامل التقديرية والعلل الشوانية والثوالث، والصيغ التمرننية غير المسموعة وأنكر منها كل ما ليس له نظير، ومثل له بقولهم في باب التنازع : "أعلمت وأعلمونا بهم إياهم الزيدين العمر بن منطلقين" ، ورأيه في هذه المسألة وما شاكلها أنها لا تجوز لأنه لم يأت لها نظير في كلام العرب، وفي أبنية الصرف قولهم : "ابن مثال كذا من كذا". وهذه المحاولة، بالرغم من طرافتها، كان مصيرها شبيها بمصير المذهب الظاهري نفسه، ولعل ذلك يعود أن هذه العيوب التي ثار ضدها ليست في الحقيقة بالحجم الذي يتصوره دعاتها.

فالقضايا التمرننية محدودة جداً، قليل منها في أبنية الصرف، وبعضها في تراكيب التوابع وتدخلها مع صلة الموصول، وقد أوردنا نموذجاً منها في كتاب المقتضب.

---

(١) المدارس النحوية ص 304.



## الباب الرابع

# النحو والمنطق والاختصار

### 1. حياة أبي موسى الجزولي :

نشأ أبو موسى الجزولي في السوس، وتربى في بيئة دينية محافظة، ثم تاقت نفسه إلى أداء فريضة الحج، والقيام برحلة علمية على غرار ما اعتاده علماء المغرب، فمكث برهة من الزمن بمصر حتى أحكم دراسة النحو وأصول اللغة.

فقرأ الأصول على شيخ المالكية في وقته أبي منصور ظافر، وسمع من النحوي المقرئ أبي الطاهر ظافر بن عبد الله الصقلي، وتلمنذ في النحو لأبي عبد الله بن بري المقدسي المصري، فلازمه ودرس عليه تاج اللغة وصحاح الجوهرى، وكتاب جمل الزجاجى، ولقد كان تأثير ابن بري قويا في تكوين الجزولي، حتى صار بعض المؤرخين يعتقد أن أبي موسى اقتصر في قانونه على تهذيب إملاءات شيخه. مع أن أصلة عمل الجزولي ثابتة في منهجه الفكري وأسلوبه البديع.

وبعد رحلته في طلب العلم استأنف أبو موسى رحلة العطاء، فدرس في بجاية والمدية وأخيرا في مراكش<sup>(1)</sup>.

وإذا كان شيخ الجزولي قلة، فإن تلامذته كانوا من بين جلة مشاهير العلماء في عصره، فمنهم يوسف بن يحيى أبو الحاج التadalí المعروف بـأبن الزيات صاحب كتاب "التشوف إلى رجال التصوف"، ويحيى بن معطي بن عبد النور الزواوي ناظم الألفية المشهورة، وفتح بن موسى بن حماد<sup>(2)</sup> الذي نظم مفصل الزمخشري، وسيرة ابن هشام، وإشارات ابن سينا. هؤلاء هم الذين التقوا به وغرفوا من بحره، وفي إقامته بمراكش تفرغ لتنقيح مقدمته المشهورة، المعروفة بالقانون، واتسم مقامه في هذه المدينة بحادثتين إحداهما

(1) راجع الفقطي ابنه الرواة، ج 3 ص 378-380 والياني: إشارة التعين ص 247-248.

(2) نحو من أهل الجزيرة الخضراء درس بالشرق توفى سنة 663 هـ، ترجمته في بغية الوعاة، ج 2 ص 24.

كان لها صدى كبير في المحافل العلمية، وهي مناظرته مع الشلوبيين، والتي حدث بها الأخير أن يغادر مراكش يائساً من اكتساب الشهرة فيها، ما دام أمثال أبي موسى موجودين في مراكش<sup>(1)</sup>.

الحادثة الثانية بدللت مجرى حياته، ذلك أن شهرته وصلت إلى الخليفة المنصور المودي الذي حمله على الالتحاق ببلاط الخليفة، ومنذ ذلك الوقت انخرط أبو موسى في سلك النظام الرسمي. وبذلك توقف أكثر نشاطه العلمي والتربوي<sup>(2)</sup>.

## 2. مقدمة الجزولي وأداء النحاة فيها:

إن من أهم ما كتبه أبو موسى مقدمته التي نشرت أخيراً بتحقيق الدكتور شعبان عبد الوهاب، واستعرض في التقديم لتحقيقه أقوال العلماء فيها، ورد على الشلوبيين في قوله إن الجزولي لم يكن هو الذي وضعها، وعلى السيوطي في تصريحه بأنها حواش على جمل الزجاجي وعلى المقالة التي أوردها ابن خلkan وهي : "ولقد سمعت بعض أئمة العرب المشار إليه وهو يقول أنا ما أعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كونني ما أعرفها أني لا أعرف النحو، وبالجملة فقد أبدع فيها" وقال بعضهم ليس فيها نحو وإنما منطق، لحدودها وصناعتها العقلية.

ومن قبيل المبالغة القول بأن من أئمة النحاة من يعرف النحو ولا يعرفها، أو أنها منطق وليس نحو، أو أنها ليست سوى حواش لجمل الزجاجي أو تقييدات وإملاءات لابن بري. وقد بين ابن عبد الملك المراكشي صحة نسبتها للجزولي، وقال إنها كانت تسمى بالاعتماد ثم بالقانون، وإن كل ما قيل فيها إنما هو من تقولات الحسدة النافسين على أبي موسى. ثم أنصف ابن مالك حيث قال أن ما يتعلق بالبحث المنطقي فيها فصل نزد في أولها<sup>(3)</sup>.

والمقدمة من بديع المختصرات التي نشأت في هذا العصر وعرفت تطوراً كبيراً فيما بعد، وإبداع الجزولي واضح في نظمه وشدة اختصاره، وفي أسلوبه المشرب بالصيغ المنطقية الدقيقة، فجاءت وكأنها مذكرة الحافظ، تسعف دارسها باستظهار القواعد الأساسية، في كلمات معدودات في كل باب من أبواب النحو، وهذا ما جعل مجد الدين الإيلي يقول عنها :

(1) أحمد الزواوي أبو موسى الجزولي، ص 49 نقاً عن الذيل والتكميلة والتكملة للمراكشي.

(2) المصدر نفسه، ص 46 نقاً عن الذيل والتكميلة.

(3) شعبان عبد الوهاب محمد، تحقيق المقدمة الجزوالية، ص 56 وما بعدها.

مقدمة في النحو ذات نتيجة  
 تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى  
 حبانا بها بحر من العلم زاخر  
 ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا  
 وأوضحتها بالشرح صدر زمانه  
 ولم نر شرعا غيره يشرح الصدرا<sup>(1)</sup>

كانت مقدمة الجزولي، "كتاب العصر" إذ تداولها العلماء بالتدريس والشرح في جميع الحواضر الإسلامية في بجایة، والموصى ومصر والأندلس والمغرب فشرحها الشلوبين، وأبو زكريا يحيى بن معطي بن عبد النور الرواوي صاحب الألفية المتوفى سنة 628 أو 620 هـ، وأحمد بن الحسن الخباز الموصلي (ت 637 هـ)، وأبو العباس تاج الدين أحمد بن محمد الشرشبي صاحب كتب الأسرار والعوارف (ت 640 هـ)، وأبو عثمان سعد بن أحمد الجذامي (ت 645 هـ). كما شرحها ابن عصفور، شرحاً أكمله تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي الأنصارى المعروف بالشلوبين الصغير وابن الموفق (ت 661 هـ) وشرحها كذلك الأبنى الحشنى أبو الحسن علي بن محمد (ت 680 هـ)، شيخ ابن الزبير وجمال الدين ابن مالك وابن أم قاسم المرادي .

أما شروح المقدمة التي وصلت إلى الباحثين اليوم فهي أربعة، الشرح الصغير للشلوبين، وقد قام بتحقيقه أحد الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والشرح الكبير وفيه بسط للأراء ولسائلات الخلاف، مع إيراد الأدلة، والتعليق والأمثلة وال Shawahed وقد قام بتحقيقه د. تركي العتيبي، أما الشرح الثالث للشلوبين فهو التوطئة التي جاءت بمبادرة تسهيل وتقريب لأساليب أبي موسى الجزولي أما الشرح الرابع فهو ما يعرف بالباحث الكاملية لعلم الدين بن الموفق وهو من أكمل ما وضع على المقدمة.

وكانت آراء الجزولي في مقدمته موضوع اهتمام من التحويين الذين لم يعنوا بشرحها، فقد أفاد منها ابن هشام في المغني، وابن الحاجب في كافيته والغافقي في شرح الجمل.

ونشير هنا باختصار إلى رأي الشلوبين وابن الموفق، حول المقدمة.

لقد أشرنا إلى الحادثة التي كانت بين الشلوبين والجزولي، حينما وفد الشلوبين إلى مراكش، وحضر درس أبي موسى في مسجد متواضع من مساجد المدينة، فبهره منه ما سمع، ورأى ما يلقاه من هيبة وإجلال من طلبه، فعرف أنه لن يظهر معه في مكان واحد، وبقيت معه مقدمة الجزولي تلاحمه أينما حل وارتحل، فأجلأه نظمها وأسلوبها أن يضع

(1) السيوطي : بغية الوعاة، ج 2 ص 23.

عليها الشروح الثلاثة التي ذكرنا من قبل، مع أنه أنكر أنها من وضع أبي موسى حين يقول : سألهي بعض من يكرم علي أن أكتب له على المقدمة المضافة إلى أبي موسى الجزولي ، لأنه الذي أتى بها ، لا أنه الواضع لها ، على ما أخبر به رحمة الله تعالى من ذلك لكن لم يعين لها واضعا فنسبت إليه<sup>(1)</sup>.

وبما أن الشلوبيين كان شديد التعلق بسيبوه ، فقد ترصد كل ما خالف فيه أبو موسى إمام النحو ، مصراً بأن الحق دانها مع سيبوه . ومن أمثلة ذلك أن الجزولي يقول بأن الابتداء عامل في المبتدأ والخبر معا<sup>(2)</sup> ، وأن أداة الجزم تعمل في الشرط والجواب<sup>(3)</sup> . وأن الفعل يعمل في المفعول له دون تقدير الحرف<sup>(4)</sup> ، وأنه لا يجوز جره إلا إذا كان مختصا<sup>(5)</sup> . وكل هذه الآراء مخالفة لجمهور المصريين واعتمدتها الجزولي ، في نطاق تصوره لتأثير العامل في الجملة كلها .

وأجاز أبو موسى إعمال "لا" مع همزة الاستفهام<sup>(6)</sup> ، وتابعه ابن مالك في قوله :  
وأعط "لا" مع همزة الاستفهام      ما تستحق دون الاستفهام

وأنكر الشلوبيين هذا القول<sup>(7)</sup> ، مثل ما أنكر إلغاء "أعلم" وأخواتها إذا بنيت للمفعول ، وقال إن الجزولي لم يفهم ما قاله سيبوه في هذا الباب<sup>(8)</sup> .

وخطأ كذلك في قوله إن ما بعد "حتى" قد يدخل فيما قبلها ، فيقول : ونص سيبوه بخلاف ذلك ، ولا أعرف له في ذلك مخالفًا من المحققين ، وهذا الذي ذكره المؤلف غير صحيح لأنه لا فرق بين "حتى" و"إلى" في كون كل واحد منها للغاية ، فينبغي أن يكون الأمر فيها كالأمر في "إلى" سواء<sup>(9)</sup> .

وانتقد أبو علي الشلوبيين صنبع الجزولي وأسلوبه ، فقال إنه خلط صناعة النحو بصناعة المنطق ، وكلف المبتدئين من الطلبة مالا يطيقونه<sup>(10)</sup> .

(1) الشلوبيين الشرح الكبير على الجزولية ، ص 191.

(2) المقدمة الجزولية ، ص 93.

(3) المصدر نفسه ، ص 40.

(4) المصدر نفسه ، ص 261.

(5) المصدر نفسه ، ص 262.

(6) المصدر نفسه ، ص 219.

(7) الشلوبيين الشرح الكبير ، ص 1000.

(8) المصدر نفسه ، ص 707.

(9) المصدر نفسه ، ص 84.

(10) المصدر نفسه ، ص 203.

أما علم الدين القاسم بن أحمد بن الموفق المرسي، نزيل دمشق، فقد تناول المقدمة من جانب آخر، فلم يشكك في نسبتها إلى الجزولي، ولم يعتبرها حاشية على جمل الزجاجي، بل أنه أظهر صلتها الوثيقة بأصول ابن السراج حتى قال إنها مقتضبة منه.

ولم يتبع الشلوبيين في جميع اعتراضاته على الجزولي، فجاء شرحه مثل عنوانه "المباحث الكاملية"، من أهم شروح المقدمة وقد قام الدكتور شعبان عبد الوهاب<sup>(1)</sup> بتحقيقه ووعد بنشره.

وجاء في مقدمته عن الجزوالية : و كنت من حصلها من معدنها ، و غربها عن موطنها ، والبيت الغريب مجهول القدر ، خامل الذكر ، لا تعتبر عبارته وهو سحبان ، ولا يحكم بحكمته وهو لقمان ، فانتدبت لنشر فضيلتها ، وثمين قيمتها . ولا أزيد في شرحني لها على ضرب مثال أو زيادة فقد يحصل وتركه إضلال ، أو مناقشة في عبارة وقع عليها إهمال<sup>(2)</sup> . ووصفها بأنها صدفة احتوت على نكت أنفس من الجواهر ، وتضمنت درر معان أثلت للغائص مأثر و مفاجر<sup>(3)</sup> .

وأوضح أن "المقدمة" مقتضبة من أصول ابن السراج، وهذا ما يعني استبعاد كونها حواشي على جمل الزجاجي.

ولقد كان ابن الموفق موفقا في تقويم هذه المقدمة التي كانت في منهجها قمة اللقاء بين منهجي النحو والمنطق، وتعتبر بثابة عمل توفيقية بين رأي أبي سعيد السيرافي ومتن ابن يونس في مناظرتهما المشهورة<sup>(4)</sup>. فالعمل الذي استطاع أبو موسى القيام به يتلخص في استعمال الأشكال المنطقية أداة لصياغة المادة التحوية.

وبعد كثير من المحاولات والجهود والتنقيح استطاع إنشاء نظام منطقي، أدرج في هيكله خلاصة القواعد النحوية، والجديد في هذا النظام هو الدقة في الحدود والتعرifات، ومحاولة التفسير المنطقي للظواهر اللغوية حتى يتم انسجامها في النسق العام للنظريات العامة للمدرسة البصرية.

وتتمثل الدقة في تعريفه للكلام بزيادة الإفادة "بالوضع" فقال إنه "اللفظ المركب المفيد بالوضع" وهذا ما عبر عنه ابن مالك في التسهيل بقوله "في اللغة لفظ دال بالوضع وفي الكلام ما تضمن من الكلم إسناداً مفيداً مقصوداً لذاته" ، كما اخترع الفرق بين الكلام

(1) تحقيق المقدمة الجزوالية، ص 48.

(2) نقلاً عن أحمد الزواوي أبو موسى الجزولي، ص 234.

(3) المصدر نفسه، ص 235.

(4) المصدر نفسه، ص 235.

وـ "الكلم"<sup>(1)</sup> إذ عرف هذا الأخير بأنه : الاسم، والفعل، والحرف. وقد تبعه ابن مالك في قوله، في الخلاصة : حيث قال : "واسم و فعل ثم حرف الكلم".

ثم إن تعريفاته المتكررة للاسم تدل على جهده للوصول إلى حد منطقي جامع مانع. والمقارنة بينه وبين سابقه في هذا العمل تبين نتائج هذا الجهد. فحد الاسم عند سيبويه كان تمثيلاً بالرجل، والفرس والحيان. وهي يعني الإنسان، والحيوان والجماد، ثم نرى نوعاً من التجريد عند المبرد، قائلاً : فأما الأسماء وواحدة، فكل ما دخل عليه حرف من حروف الحروف فهو اسم، وإن امتنع من ذلك فليس باسم" فإن المبرد تنبه إلى فكرة المعنى المجرد، إلا أنه لم يزد في التمثيل سوى الأعلام وأضاف السمات النحوية الخاصة بالاسم، ثم إن ابن السراج زاد على المبرد بقوله : الاسم مادل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصاً وغير شخص، فالشخص نحو رجل وفرس وحجر، وبلد وعمرو وبكر، وأما ما كان غير شخص فنحو الضرب والأكل والظن، والعلم، واليوم والليلة والساعة<sup>(2)</sup>، ثم سبق أن رأينا التعريف الوظيفي عند الزجاجي<sup>(3)</sup>.

وحينما نصل إلى أبي موسى، نراه يعطي تعريفاً مجرداً يفرق أساساً بين الإسم والفعل، فقال "إن كل كلمة تدل على معنى في نفسها ولا تتعرض لزمان وجود المعنى" ثم زاد هذا التعريف دقة، حين قال : كل كلمة تدل على معنى في نفسها ولا تدل على أن زمان وجود ذلك المعنى ماضٍ أو ليس ماضياً. وفي عبارة ثالثة : ولا يفهم من لفظها أن زمانها ماضٍ أو ليس ماضياً. واللاحظ في هذه التعريفات، هو حرص أبي موسى على استغراق الدلالة على الاسم، واستبعاد خصائص الفعل الذي يقتربن بالتوقيت الزمني.

وإذا كان ابن مالك لم يتبع أباً موسى في هذا التعريف، فإنه استلهم منه الإسناد إلى المعنى، في قوله في التسهيل : الاسم كلمة يسند ما لمعناها إلى نفسها أو نظيرها.

ومن مظاهر الإبداع فيها ابتكار أسلوب الاختصار الفني، وبالرغم مما يتعرض له هذا الأسلوب من النقد، فقد يكون من قبيل المكابرة إنكار ما له من فضل في مساعدة الحفاظ على الاستحضار، وفي دفع الباحثين إلى التطلع والشرح. وفي المثال التالي، نمذج من هذا الأسلوب وذلك عن الصفة المشبهة إذ يقول :

"الصفة المشبهة باسم الفاعل تفارقه في أنها لا توجد إلا حالاً ولا تعمل إلا في السببي، ولا يتقدم معمولها عليها، ولا يكون المتصوب بها مفعولاً به، وأنها إذا وقع فيها

(1) المجزولي، ص. 3.

(2) الأصول، ص. 36.

(3) راجع ص 171 من هذا الكتاب.

الألف واللام أو في معمولها كان الأصل الجر وأنها لا يعطى على المجرور بها نصباً، وأنه يقبح أن يضم فيها الموصوف ويضاف معمولها إلى مضمره، ومدار هذا الباب في ثمانية عشرة مسألة، كل مسألة حذف الضمير منها فهي قبيحة، وكل ما خرج عن هذين الضرين منها فهي حسنة إلا نحو الحسن وجهي باطلة، وإذا اشتملت الصفة في هذا الباب وفي غيره على المضمر تبعت الموصوف ثانية وجمعأً، وإن خلت منه لم تتبعه ثانية وجمع سلامة في الأجدود الأفصح، وكان التكسير أجدود من الإفراد إن أمكن<sup>(1)</sup>.

إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند قراءة هذا النص، قوّة الشبه بين هذا الأسلوب مع مختصر خليل بن إسحق في الفقه، من حيث شدة الضغط على الجمل لتتضمن أكثر ما تتحمله من المعاني، مع بذل جهد كبير في رفع أي لبس أو تداخل بين القواعد، وفي حصر صيغ الأحكام في عدد معين، عرض ما هو قبيح أو حسن وما هو باطل أو صحيح. ومضامين هذا النص تستدعي من النحوين شرحاً يعطي الأمثلة ويقدم الشواهد والأدلة. وأبو موسى لم يأت في النص إلا بمثال واحد وهو "الحسن وجهه" وترك للنحو وللشارحين مهمة بيانه، وبسط ما طوي منه، وتفصيل ما هو أجمل. وهذا النموذج يفسر لنا اهتمام النحو من بعده.

هذا ومن طرائف آراء الجزولي، نورد قوله إن دلالة الفعل على الزمان دلالة تضمنية، وليس التزامية كما هو رأي الجمهور<sup>(2)</sup>. وقوله : إن الظروف الدالة على المقادير ليست مبهمة كلها. فقال : إن ظرف المكان قد يكون مبهمًا ، ومعذوداً. فالمبهم ما له اسم بالإضافة إلى غيره والمختص ماله اسم من جهة نفسه والمعدود ما له مقدار معلوم من المسافة<sup>(3)</sup>.

وفسر مجبي نون الوقاية بأنها زيدت لسلامة داخل الفعل على ما بني عليه. فالفعل في "أكرمني" مبني على السكون، وهذه النون احتفظت به، وفي "أكرمني" ، بني على الفتح، وبقي الفتح سالماً مع النون. وجاز حذفها في "مني" و"عني". ولو كان وروده قليلاً مثل ما جاء في قول الشاعر :

أيها السائل عنهم وَعِنِّي      لست من قيس ولا قيس مِنِّي

ويذكر محقق المقدمة، أن لأبي موسى آراء انفرد بها، منها ما هو صحيح، ومنها ما جانب الصواب.

(1) الجزولية، ص 151.

(2) المصدر نفسه، ص 6.

(3) المصدر نفسه، ص 87.

ومن ذلك قوله إن المفعول له لا ينجر باللام إلا إذا كان مختصاً، نحو قمت لإعظامك، ولا يجوز "قمت لإعظام لك" مع أنه قد ورد باللام قول أمر القيس :  
<sup>(1)</sup>  
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفصل

ومنها قوله إنبني تميم لا يلفظون بخبر "لا" التبرئة إلا أن يكون منجراً وقد اعترض عليه جمهور النحاة في هذا النقل<sup>(2)</sup>.

ومنها رأيه في جواز زيادة "ما" بعد "سي" وإضافة سي لما بعدها<sup>(3)</sup>.

ومنها أيضاً قوله : إن دخول "آل" على المصدر يضعفه في العمل<sup>(4)</sup>.

ونختم القول بالإشارة إلى البحث المستفيض، الذي قام به الأستاذ أحمد الزواوي عن أبي موسى، وعرض فيه حياته العلمية، ومنهجه في البحث وتأثيره في حقل النحو، مع نقد لمنهج فكان كتابه أول عمل علمي يعيد إلى ساحة التداول الدراسي مقام هذا العالم الكبير، الذي ظل في ظي النسيان طيلة عدة قرون، بعدما استأثر بالصدارة طيلة قرن كامل.

---

(1) المجزولة، ص 262.

(2) المصدر نفسه، ص 221.

(3) المصدر نفسه، ص 82.

(4) المصدر نفسه، ص 167.

## الباب الخامس

### **إعاظة الاعتبار إلى التصريف**

#### **1. حياة ابن عصفور :**

ولد أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور عام السيل الكبير أي سنة 597 هـ نشاً بإشبيلية ودرس على كبار شيوخ العربية فيها مثل أبي الحسن بن الدجاج، والشلوبيين الذي لازمه مدة عشر سنوات، وأخذ عنه جل علمه حتى صار في صفو منافسيه، وفي رعاية الأمير الهناتاني محمد بن بكر اكتسب مكانة عالية، وتعدد في مدن الأندلس، مدرساً، مؤلفاً، ثم جاز إلى المغرب، فأقام في مدينة آنفا، وأزمور ومراكش، ثم انتقل في آخر أيامه إلى إفريقيا، في بلاط ابن زكريا حتى توفي إثر حادثة مشهورة سنة 669 هـ على أشهر الأقوال. فاشتهر من تلامذته الإمام أبو حيان الأندلسي، وابن سعيد المدليي صاحب المغرب في حلى المغرب، والشرق في حلی المشرق، وأبو عبد الله محمد بن علي الأشعاري المالقي الشهير بالشلوبيين الصغير<sup>(1)</sup>.

ترك ابن عصفور عدة مصنفات في النحو والتصريف واللغة والأدب وشرح إيضاح الفارسي وجمل الزجاجي، وله ثلاثة شروح لكتاب سيبويه وألف كتاب البديع في شرح الجزوئية.

ومن أشهر مصنفاته كتاب المقرب في النحو الذي تلقاه العلماء بالترحيب والاغتناط، فشرحه بهاء الدين بن النحاس، واختصره أبو حيان في كتاب التقريب ومن تناوله بالتعليق والنقد ابن هشام، وابن الحاج<sup>(2)</sup>، وابن الضایع، وإبراهيم بن أحمد

(1) راجع السيوطي بغية الوعاة، ج 2 ص 210 ونفح الطيب ج 2 ص 270.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي (537-668 هـ) قرأ على الشلوبيين والدجاج، راجع ترجمته في بغية الوعاة، ج 1 ص 359.

الأنصاري الخزرجي كتاب سماء المنهج المغرب في الرد على المقرب<sup>(1)</sup>، وحازم القرطاجي كتاب في الرد عليه سماء "شد الزيار على جحفلة الحمار"<sup>(2)</sup>.

غير أن أهم مؤلفاته كتاب المطبع في التصريف، ولقد كان من ميزات ابن عصفور أن رد الاعتبار إلى علم التصريف، الذي يكاد أن يكون نسي بعد سيبويه، والمازني، وابن جنى، وذلك أنه أعاد ترتيبه وتنظيمه في كتاب المطبع، ويسط القول في الدفاع عنه، وفي إبراز أهميته، كما شرح أسباب إعراض كثير من العلماء عنه لصعوبة مسلكه.

لقد خصص ابن عصفور للتصريف كتاباً مستقلاً مثل ما فعل جل قدماء النحاة كالفراء وأبي عثمان المازني وابن كيسان وابن جنى، وابن الحاجب في الشافية. مع أن سيبويه في الكتاب جمع في كتابه بين النحو والتصريف، غير أنه آخر المسائل الصرفية البحتة في آخر الكتاب، وهذا ما أشار إليه ابن عصفور في ذكره لأسباب هذا التأخير في الترتيب. وكان من حسنات ابن مالك أن أعاد الأمور إلى أوضاعها المناسبة، فلم يهتم بالتمارين غير العملية، وأدرج الأبنية المشتقة في الأفعال في نطاق العوامل. وتناول أبواب التصريف، والجموع، والإملاء والتصغير، والأبدال والإدغام، في آخر أبواب الخلاصة. وأفرد مصنفاً مستقلاً لتصاريف الأفعال والمصادر.

وليس من شك أن التقديم الذي اعتمدته ابن عصفور في المطبع، كان منهجياً، وببساطة بحيث يسهل استيعابه على جمهور الدارسين. من أجل ذلك رأينا من الأنسب أن نستعرض ملخصاً عن آرائه في التصريف مما ورد في هذا الكتاب الذي قال فيه : "إن التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما".

فالذى يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوى ولغوى ؟ لأنه ميزان اللغة العربية، وإنه لا يوصل إلى معرفة الاشتراق إلا به، ويدرك أن جماعة من المتكلمين امتنعوا من وصف الله سبحانه بـ "حنان" لأنه من الحين والخنة من صفات البشر الخاصة بهم، تعالى الله عن ذلك، وكذلك امتنعوا أيضاً من وصفه بسخى لأنه أصله من الأرض الخاوية وهي الرخوة، وامتنعوا من وصفه بالداري . وإن كان من العلم لأن أصله من الدرية، وهي شيء يضعه الصائد لضرب من الحيلة والخداعة.

والذى يدل على عمومه كثرة ما يوجد من السقطات فيه جلة العلماء، وذكر أن أبا عبيد قال : إن "مندوحة" مشتقة من "انداح" وهو فاسد لأن انداخ انفعل ونونه زائدة،

(1) راجع بغية الوعاة، ج 1 ص 406.

(2) نفح الطيب، ج 4 ص 148 عن حسن موسى الشاعر.

ومندوحة مفعولة، من الندح وهو جانب الجبل، وذكر عن أبي العباس ثعلب قوله إن "تنورا" وزنه تفعول من النار، والصواب إنه فعول<sup>(1)</sup>.

ثم قال : إنه كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذات الكلم في نفسها من غير تركيب ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب، ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب، إلا أنه أخر للطفه ودقته. ثم قال : فإني لما رأيت التحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف فتركوا التأليف فيه والتصنيف، إلا القليل منهم، فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يبرد غليلاً، ولا يحصل طالبه مأمولاً، لا اختلال ترتيبه وتداخل تبويبه، وضعت في ذلك كتاباً، رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، وملكته عاصيه وطائعه، وذلت للفهم بحسن الترتيب وكثرة التهذيب لأنفاظه والتربي<sup>(2)</sup>.

وكما سبقت الإشارة إليه، فإن أبرز ما امتاز به ابن عصفور هو محاولته لتقرير علم التصريف وتنظيمه، في كتابه هذا ادعى أنه "جامع لمسائل التصريف مع حسن الترتيب وكثرة التهذيب، مكتن عن القدر، مشبه للروض في وشي أولانه، وتعتمم أفنانه. وإشراق أنواره، وللعقد في التثام وصوله وانتظام فصوله"، ولم يكن ابن عصفور هو وحده الذي افتتن بعمله في التصريف، فإن أبي حيان قال عنه : إنه أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيباً وألخصه تهذيباً، وأجمعه تقسيماً، وأقربه تفهيمياً<sup>(3)</sup>. ثم لخصه في كتاب المبدع، غير أن هذا الإطراء، لم يمنع أبي حيان من نقد ابن عصفور والنيل منه حتى اتهمه بجهل كتاب الله<sup>(4)</sup>.

ويقول ابن عصفور إن التصريف "ينقسم قسمين، أحدهما جعل الكلمة على عدة صيغ لمعان خاصة، كالتصغير، والنسب، والتثنية والجمع، وصيغ المشتقات". ولم يتناول هذا القسم في المطبع، مكتفياً بما كتب منه في المصنفات التحوية. ثانيةما تغيير بنية الكلمة دون دلالة على معنى طارئ عن هذا التغيير مثل الإعلال والإبدال والإدغام<sup>(5)</sup>.

(1) المقرب، ج 1 ص 27-29.

(2) المصدر نفسه، ص 22.

(3) المصدر نفسه، ص 22.

(4) د. فخر الدين قباوة، مقدمة المطبع، ص 12 نقلأً عن المبدع لأبي حيان.

(5) المطبع، ج 1 ص 31.

## 2. منهجه في عرض التصريف:

وفيما يلي أمثلة من عرضه للمسائل الصرفية :

### أولاً : أبنية الاسم المجرد :

#### أ) الثلاثي : وصيغه تسع.

وهي فعل كصغر وضخم، و فعل كبر وحلو، و فعل كجذع ونهر و فعل نحو جمل وبطل، و فعل نحو كتف وحدر، و فعل نحو رجل وخلط و فعل مثل صرد ولبد، و فعل نحو عنق وجنب و فعل نحو ضلوع وعدى وزيم ومنه قول النابغة :

باتت ثلاث ليال ثم واحدة بذى المجاز تراعي منزلاً زيناً

أي متفرق الأهل وفعل ولم يجر فيه إلا إيل فيما حكى سيبويه، وحکى غيره أنان

إيداً<sup>(1)</sup>.

#### ب) الرباعي : وصيغه ست.

فعل، نحو جعفر وسلَّهَ، و فعل كزيرج وزهليٰ وهو السريع الخفيف و فعل كبرُش وجرش، و فعل : كدرهم ومبلغ. و فعل كفطحٌ وهزير و فعل ، ولم يجيء منها إلا طحريّة. وكل ما جاء على وزن فعلٍ، فأصله فعل<sup>(2)</sup>.

#### ج) الخامسِي :

فأبنيته أربعة : وهي فعل كسفرجل وشمردل، و فعل كجمرش وقهليس وهو الأبيض الذي تعلوه كدرة، و فعل ، نحو قرطعب وجردخل، وزاد بعضهم صنَّبر، وال الصحيح أنه لم يأت إلا في الشعر<sup>(3)</sup>.

#### د) الثلاثي المزید :

وقد يكون الزائد حرفاً واحداً وهو في الهمز مثل أفكـل وأبيضـ، واثـمدـ، وإـصـبعـ، وأـبـلـمـ، وأـمـهـوـجـ فقد يكون من أمهوجـ، وقد يأتي على إـفعـلـ نحو إـصـبعـ وإـبـرـمـ، وعلى أـفـعـلـ، وهو قليل كـأـصـبـعـ، أما أـفـعـلـ فلا يكون إلا جـمـعاـ نحو أـغلـبـ وأـغـبـدـ، وأـمـا أـذـرـحـ وأـسـنـمـةـ فـعـلـمانـ.

(1) المطبع، ج 1 ص 60-65.

(2) المصدر نفسه، ص 66-70.

(3) المصدر نفسه، ص 70-72.

ثم استعرض زيادة التاء في فاء الكلمة مثل تَتَّفِلُ، وَتَحْلِيٌ وَتَتَفَلَّة، وهي أوزان قليلة جداً. وكذلك تُرْتَبِ، وَتَنْصُبِ.

ثم تحدث عن زيادة الميم في نحو مَحَلَّبٍ وَمَنْخَرٍ، وَمَنْخُلٍ، وَمَسْجَدٍ وَمَطْعَنٍ، وبين لزوم الها، لِفَعْلٍ مثل مَرْزُعَة، وأوضح قلة مُفعَلٍ في الاسم مثل مَصْحَفٍ، وَكَثْرَتِه في الصفة مثل مُدْخَلٍ.

وقال إن "يَفْعَلَ" لم يأتِ اسمًا إلا نحو الْبَرْمَعْ، وأما قولهم جَمْلَ يَعْمَلُ وَنَاقَةٌ يَعْمَلُهَا فهو من قبيل الوصف بالاسم، ولو كان صفةً أصلًا لمنع صرفه.

وذكر أنه لا يحفظ نَفْعَلَ فيما عدا نرجسًا، وهو يظن أنه أجمي وبعد ذلكتناول بنفس الطريقة الأوزان التي ورد فيها حرف واحد زائد بعد فاء الكلمة مثل فاعل، وفيعلم كصيرف، وفَوْعُلَ نحو عولج، وفَنْعَلَ نحو جندب وفَنْعَلَ كقُبَّر. وأتي بأمثلة فُعَلَ كسلُمْ. وفَعَلَ، مثل قنب، وفَعَلَ كحمص. وأورد أوزان المزيد فيه بعد عينه كفعال ونحوه وبعد لامه مثل فعلى وماشاكيلها<sup>(1)</sup>.

ثم بسط القول في أوزان الاسم التي زيد فيه أكثر من حرف سواه، كانت مجموعة أو مفروقة<sup>(2)</sup>.

وعلى نفس المنوال، عالج ابن عصفور أبنية الفعل المجرد والمزيد، مبيناً المعاني التي تدل عليها صيغ الفعل المزيد فيه<sup>(3)</sup>.

والملاحظ أن ابن عصفور لم يتناول في هذا التقسيم، مسائل التمرن التي لم تكن مما يستسيغه العامة لعدم جدواها العملي في التعامل مع اللغة إذ ليس من البديهي إدراكفائدة من التمرن على بناء أمثال "فُعْلَلٌ" من ضرب. مع أن سيبويه نفسه، أدرج هذا النمط في علم التصريف في قوله : "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال المعتلة وغير المعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل"<sup>(4)</sup>.

وإذا كانت جل كتب النحو قد خفت من مثل هذه التمارين، فإنها مع ذلك لم تستطع تصفية النحو من البحوث في مسائل ليست لها أهمية واضحة في إحكام القضايا

(1) المطبع، ج 1 ص 93-72.

(2) المصدر نفسه، ص 94-155.

(3) المصدر نفسه، ص 200-166.

(4) سيبويه الكتاب، ج 2 ص 315.

اللغوية، والتي لا تهم سوى ذوي الاختصاص، ومن هذا القبيل الخلاف في زوائد بعض الأبنية، فمن النحويين من يقول بأن الأول في المضعف هو الزائد وهو قول الخليل ويونس الصبي، ومنهم من يجعله الثاني، وهو أبو علي الفارسي ومنهم من يقول إن "زيتون" على وزن فعلون، ومنهم من يقول في وزنها فيعمل.

### ثانياً : الزيادة :

يقول ابن عصفور إن حروف الزيادة عشرة يجمعها قوله "أمان وتسهيل" واستبعد الكاف، ولو كانت تزداد في تلك وذلك، لأن المقصود عنده من حروف الزيادة تلك التي جعلتها العرب كجزء من الكلمة، كالدال من زيد وأما كاف الخطاب فزيادتها بحنة لا تحتاج إلى إقامة دليل<sup>(1)</sup>.

### أدلة الزيادة :

الأدلة التي يعرف بها الزائد من الأصل فهي الاشتقاد والتصريف والكثرة واللزوم، ولزوم حرف الزيادة البناء، وكون الزيادة لمعنى، والنظير والخروج عن النظير، والدخول في أوسع البابين عند لزوم الخروج عن النظير.

وقد اختار في حد الاشتقاد الأصغر، إنه "عقد تصاريف تركيب من تراكيب الكلمة على معنى واحد، أو معنيين متقاربين كرديك "ضاريا" إلى معنى الضرب، ثم ذكر الوجه التي يعرف بها الأصل من الفرع في هذا النوع من الاشتقاد<sup>(2)</sup>.

والتصريف يعني تغيير صيغة الكلمة إلى صيغة أخرى نحو بنائك من "ضرب" مثل جعفر فتقول "ضرب" وهو شبه الاشتقاد إلا أن الاشتقاد خاص بما قالته العرب والتصريف عام لما فعلته العرب، وما أحدثه النحويون بالقياس، وكل اشتقاد تصريف، وليس كل تصريف اشتقاداً<sup>(3)</sup>.

وأما الكثرة فهو أن يكون الحرف في موضع ما، قد كثر وجوده زائداً نحو الهمزة، في مثل أصفر وأحمر<sup>(4)</sup>.

(1) المتن، ج 1 ص 201-202.

(2) المصدر نفسه، ص 43.

(3) المصدر نفسه، ص 52.

(4) المصدر نفسه، ص 54.

وأما اللزوم فهو أن يكون الحرف في موضع ما قد لزم الزيادة، في كل ما عرف له استقاق أو تصريف، فإذا جاء ذلك الحرف في ذلك الموضع فيما لا يعرف له استقاق ولا تصريف جعل زائداً، مثل النون في عجنس<sup>(1)</sup>. ولزوم حرف الزيادة البناء فنحو زيادة النون في "حنطاو"<sup>(2)</sup>. والزيادة للمعنى فمثيل لها بحروف المضارعة وباء التصغير<sup>(3)</sup>.

الحروف الزوائد :

وقال : إن الهمزة إذا وقعت في غير أول الكلمة فهي أصلية إلا أن يقوم دليل على زيادتها وقد تأتي زائدة في الفاظ يسيرة مثل شامت ، وحرانض وهو الجمل الضخم ، وقد تم بمعنى قديم . ثم بين مواضع زيادتها في أول الكلم ، وقال : إنها أنت أصلية في الفاظ قليلة وهي أولق ، وإمعنة ، وأرطى ، وأيطل . وأورد أدلة أصالتها في هذه الأسماء<sup>(4)</sup> .

واستعمل ابن عصفور نفس الأسلوب في مواضيع زيادة التاء، وقال إن الألف لا تكون أصلاً أبداً بل تكون زائدة مثل : صارب، أو منقلبة عن ياء مثل ربى أو عن واو مثل عزا. كما بين مواضيع الأصالة والزيادة في الواء والياء<sup>(5)</sup>.

وانقل إلى الميم وقال : إنها إن جاءت غير أول قضى لها بالإصالحة، إلا أنها تزاد في مواضع محدودة. مثل دلامص لأنها من الدليص وهو البريق وخالف المازني فيها. وقمars لكونها بمعنى قارص، وكذلك في زرقم، ففسحـمـ، لأنـهـ منـ الزـرـقـةـ والـفـسـحـةـ، ومـثـلـهـماـ الـخـلـقـوـمـ وـالـبـلـعـوـمـ لـاشـتـقـاـقـهـمـ مـنـ الـخـلـقـ وـالـبـلـعـ، ثـمـ قـالـ إـنـهـ إـذـاـ وـقـعـتـ أـولـأـ فـهـيـ مـثـلـ الـهـمـزـةـ، فـتـكـونـ غـالـبـاـ زـائـدـ إـلـاـ فـيـ الـأـفـاظـ مـحـفـوظـةـ وـهـيـ :ـ معـزـىـ،ـ وـمـأـجـعـ،ـ وـمـهـدـدـ،ـ وـمـعـدـ،ـ وـمـنـجـنـيـقـ،ـ وـمـنـجـنـوـنـ.ـ وـأـقـامـ الـدـلـائـلـ عـلـىـ أـصـالـتـهـاـ بـالـاشـتـقـاـقـ<sup>(7)</sup>.

.55 ص ١ ج ١ المتع المتمم

56 - ص. نفسه، المصطلح (2)

(3) المصد والمصفحة نفسها

227 *Journal* (4)

العدد 5 / المجلد 272

العدد السادس، ص 212.

المندر للسنة، ج 21، ص 229

والنون زائدة في المضارعة، وفي وزن "انفعل" ونون الثنوية وجمع السلامة، والتي تأتي علامة لرفع الأفعال، ونون التأنيث، والوقاية وفي آخر جمع التكسير، وكذلك الواقعة آخر الكلمة بعد ألف زائدة قبلها حرفان أصليان. وعدد المواضيع التي زيدت فيها بعد فاء الفعل أمثل جندب وعنصر، وقبر(1).

### ثالثاً : الإبدال :

وفي القسم الثاني من أقسام التصرف استعرض ابن عصفور حروف الإبدال، وجمعها في "أجد طويت منهاها"(2).

#### الهمزة :

وذكر أن الهمزة تبدل من الألف مثل قراءة عمرو بن عبيد، "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جآن". ومنه قول العجاج :

فخندف هامة هذا العالم

كما تبدل من الواو مثل أقتت، وأدؤر وأثوب، وأنشد :

لكل حال قد لبست أثوابنا

وأبدلت الهمزة أيضاً من الياء في عدة مواضع مثل بائع في كتبة وكتائب، ورد على الأخفش قوله إنه لا يجوز قلب الواو همزة إلا إذا اكتنف الجمجمة واوان نحو "أول وأوايل" واستدل بما رواه المازني عن الأصمسي في جمع عيل على عيائل. كما تبدل من الهاه كما في ماء، وعال وءاذا، وأنشد :

فقال فريق آذا إذ نحوتهم نعم، وفريق لأيمن الله لا ندرى  
وقد أبدلت من العين في حرف واحد. وهو أبواب في عباب(3).

#### الجيم :

وقال : إن الجيم قد تبدل من الياء المشددة والمحقة.

مثل قول العجاج :

خالي عويف وأبو علّاج المطعمان اللحم بالعشيج  
وبالغداة فلق البرنج

(1) المتن، ج 1 ص 257.

(2) المصدر نفسه، ص 319.

(3) المصدر نفسه، ص 320.

**وقول الآخر :**

لا هم إن كنت قبلت حاجت فلا يزال شامخ يأتيك بـ<sup>(١)</sup>  
أقمر نهات ينزي وفرتج

## الدال :

أما الدال فتبديل من التاء والذال مثل ازدان وأدكر.

وأنشد قول ابن مقبل :

**ياليت لي سلوة تشفى النفوس بها** من بعد ما يعتري قلبي من الذكر<sup>(2)</sup>

الطاء:

والطا، تبدل بالتا، باطراد في نحو اصطبـر، وبغير اطـراد في نحو قول الشاعـر:

وفي كل حي قد خبطَ بنعمَةٍ فحقُّ الشَّائِسِ مِنْ نِدَاكَ ذَنَوبٌ<sup>(3)</sup>

الواو :

وتبدل الواو من الهمزة والألف والياء نحو ذواتها. وصحراوي<sup>(4)</sup>.

البا

وقال إنها تبدل من ثمانية عشر حرفًا عد منها : سادي" في السادس وأنشد في

**ذلک :**

فِرْجُوكَ خَامِسٌ وَأَبُوكَ سَادِيٌّ إِذَا مَا عُدَ أَرْبَعَةُ فَسُولٍ

كما ذكر منها الياء في الضرورة، منشدًا قول الشاعر :

لها أشارير من لحم تتمره وللشعالب وخز من أرانيها

وعلى نفس المنهج أورد مواضيع إبدال التاء والميم والنون والهاء واللام نقتصر منها

على إيدال التاء من السين كالنات بدلاً من الناس، وإيدال الميم والنون في مثل البنام بدلاً من البنان، كقول الشاعر :

يَا هَالْ ذَاتِ الْمَنْطَقِ التَّمَتَّعُ وَكَفَكَ الْمَخْضُبِ الْبَنَامُ

.353 ج ١ ص (١) المتع

<sup>2)</sup> المصدر نفسه، ص 356.

(3) المصدر نفسه، ص 360.

362 - (4) المصد، نفسه، ص.

والنون من اللام في لعن أي لعل، والهاء من الهمزة وأنشد :

ألا ياسنا برق على قلل الحمى      لهنك من برق على كريم  
وقرأ بعضهم **﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾** (طه - الآياتان 1-2). وفسرها  
بطأ الأرض.

وأبدلت اللام من النون في أصيال وأصله أصيالان وكما أبدلت الألف من الهمزة  
والواو والنون الخفيفة في مواضع معروفة<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً : الحذف :

لقد تناول ابن عصفور في باب واحد ثلات ظواهر متراقبة هي الحذف والقلب  
والإبدال، وعلى سبيل المثال يعرض موجزاً عن الحذف.

جعل ابن عصفور الحذف قسمين، قسماً مطرداً وهو الواقع في حروف العلة وقسماً  
غير مطرد وهو الواقع في غيرها<sup>(2)</sup> مثل حذف الواو في مضارع وعد وزن، وذلك لوقعها  
بين ياء وكسرة، وحمل "أعد" وتعد حملاً على الياء، كما حذف في "يَضَعُ" لأن أصله  
يُوَضِّعُ. وفتح الضاد من أجل العين الحلقية، وحذفت في عدة، لاستثناء الكسرة في الواو.  
ويقول ابن عصفور إن الفراء زعم أن موجب الحذف هو التعدي ورد عليه هذا القول مستدلاً  
بقولهم **وَيَلَّا** المطر **يَلَّا**، ووقدت النار تقد.

ومن الحذف المطرد حذف الياء والواو في نحو **يَعْ وَقَمْ**، وذلك لأن حركة العين نقلت  
إلى فاء الكلمة، فزالت ألف الوصل، وحذفت العين لالتقاء الساكنين.

وأما الحذف على غير قياس، فيأتي من الهمزة مثل **ناس**، من **أناس**، ونحو **كُلْ**  
ومُرُّ. وحذف الهمزة من **"أب"** مثل قول أبي الأسود الدؤلي :

**يَا بَا الْمُغَيْرَةَ رَبُّ أَمْرِ مَعْضِلٍ** فرجته بالمكر مني والدها

وحذف من مضارع رأى تخفيفاً، ورثياً أجروها على الأصل ضرورة كقول سراقة

الهذلي :

**أَرِيَ عَيْنِي مَا لَمْ تَرِيَاهُ**      كَلَاتَا عَالَمَ بِالْتَرَهَاتِ

وحذف الألف في الرقف في قول لبيد :

**رَهْطَ مَرْجُومَ وَرَهْطَ ابْنَ الْمَعْلِ**

يعني ابن المعلى.

(1) المتع، ج 1 ص 368.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 425.

وُحْذِفَتُ الْوَاءُ مِنْ فَمْ وَغَدْ، وَأَبْ وَأَخْ، وَالْيَاءُ مِنْ يَدْ وَدَمْ. وَرِيمَا أُعْيِدَتْ كَقُول

الشاعر :

فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذَبَحْنَا جَرَى الدَّمْبَانُ بِالْخَيْرِ الْيَقِين

وَحَذَفَهَا مِنْ شَفَةٍ، وَفَمْ، وَشَاهَةٍ، وَالْتَّوْنُ فِي "مَذْ" ، وَالْبَاءُ فِي تَخْفِيفِ رُبْ.

كَقُولُ الشَّاعِرِ :

أَزَهِيرٌ إِنْ يَشْبَهُ الْقَدَالُ فِيْهِ رُبْ هِيَضَلَ لِجَبْ لِفَتْ بِهِيَضَلَ

وَحَذَفَ الْحَاءُ مِنْ حَرْ، وَالْخَاءُ فِي تَخْفِيفِ بَخْ، وَالْطَّاءُ مِنْ تَخْفِيفِ قَطْ، وَالْفَاءُ مِنْ

سَوْفَ<sup>(1)</sup>.

### خَامِسًاً : الإِدْغَامُ :

يقول ابن عصفور إن الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين دفععة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعًا واحدًا، وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين. وذكر أن سببه ثقل النطق بالمثلين<sup>(2)</sup> وقال إن كل مثلين قد يدمغان إلا الألفين والهمزتين، فالألف لا يدمغ فيها لأنها لا تتحرك، والهمزة لثقلها وقد يدمغ ما كان منها عينين، مثل : رأس وسأل ثم ذكر أحكام الإدغام في كلمة واحدة أو في كلمتين، وبين قواعده المعروفة، ثم ذكر أوجه الخلاف في تحريك الحرف الثاني فقال إن من العرب من يحركه أبدًا بحركة ما قبله إتباعاً فيقول "رُدُّ" وفر، وغض ما لم تتصل به "ها" فإنه حينئذ يفتح فتقول رُدُّها. وفرها. ويضم مع هاء الغائب ومنهم من يفتح على كل حال، إلا إذا كان بعده ساكن، ومنهم من يفتح كان معه ساكن أو لم يكن ومنهم من يكسر ذلك جمع على كل حال، وهؤلاء حرکوا الحركة التي هي لالتقاء الساكنین في الأصل<sup>(3)</sup> وذكر أن أهل الحجاز يقولون "رددت" ولكن منبني بكر بن وائل يقولون "رَدَّتْ" ورده وما شد أحسنت وطلت ومست<sup>(4)</sup>.

وفي معرض الكلام في المتقاربين عارض رأي المبرد في كون حروف الهجاء ثمانية وعشرين، ويرهن على أن الهمزة حرف مستقل، ولو لا ذلك لصارت "أكل" و"أخذ" على حرفين فقط، ثم قال : إن الحروف قد تبلغ خمسة وثلاثين بفروع حسنة تلحقها وهي التون الخفيفة، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، في نحو أجدق والشدق، والصاد التي كالزاي في نحو مصدر. وقد تبلغ ثلاثة وأربعين بفروع غير

(1) المتعاج 2 ص 423-628.

(2) المصدر نفسه ص 631.

(3) انظر تفاصيل المسألة.

(4) المتعاج، ص 631.

مستحسنة ولا يؤخذ بها في القرآن، وهي الكاف التي كالجيم، ونقل عن ابن دريد أنها لغة أهل اليمن، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين نحو "اشتمعوا". والطاء التي كالباء، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين والباء التي كالفاء، والظاء التي كالثاء. ثم استعرض مخارج الحروف وصفاتها. ليبين نوع التقارب بين المحرف في المخارج أو الصفات، فبدأ بأحكام حروف الخلق، قائلًا إن الألف والهمزة لا يدغمان في شيء ولا يدغم فيهما. وإن الهاه يجوز إدغامها في الهاه إن تقدمت عليها وتركه أحسن، وإذا تقدم الهاه امتنع الإدغام. وإذا اجتمعت الهاه مع العين تعين الباء إلا إذا قلبت حاء. نحو ذهب محمٌ أي ذهب معهم وهي كثيرة في كلامبني تميم. ويجوز إدغام العين في الهاه في نحو "أقطع حبلاً" ويتمنع إن تقدمت الهاه، كما يجوز بين الغين والخاء ثم استكمل هذا الباب بأحكام الإدغام في حروف الفم<sup>(1)</sup>.

وخصص فصلاً لما أدمغته القراء على غير قياس مثل إدغام أبي عمرو في نحو "الرعب بما" (آل عمران - الآية 15) و "مرر بهنانا" (النساء - الآية 155) وذكر حمل هذا النوع على الإخفاء. و "الحوث ذلك" (آل عمران - الآية 14) و "ذى المعارج تعرج" (المعارج - الآيات 3-4) و "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" (النحل - الآية 91) و "استغفر لهم" (التوبية - الآية 81) و "الشمس سراجاً" (نوح - الآية 16) كما ذكر إدغام الكسانوي وحده الفاء من "نخسف بهم" (سباء - الآية 9) في الباء وقراءة ابن كثير "فتفرق بكم" (الأనعام - الآية 153).

### 3. منهجه ومذهبه النحوي :

لقد اهتم الدكتور فخر الدين قباوة بن هيج ابن عصفور، وذلك في كتابه : "ابن عصفور والتصريف" وأكَّد نزعته البصرية واعتماده على سيبويه في جل آرائه وإن كان قد خالفه في مسائل معدودة، منها قول إمام النحاة أن الأصل في "اطمأن" "طَمَانْ" ثُم تقدمت الميم على الهمزة، وصحِّيَّ أن ابن عصفور عارض رأي الجرمي الذي يقول بأصلَة : "اطمأن"<sup>(2)</sup>. ورجح عليه رأي الزجاج القائل بأن الهمزة في مصائب منقلبة عن الواو، بينما يرى سيبويه أنهم شبهوا الباء في "مصيبَة" بالياء الزائدة في صحيحة<sup>(3)</sup>. وقد ذهب سيبويه إلى أن "تاه" يتبيه، وطاح ويطيح أصلهما على وزن فعل، وابن عصفور يقول أنهما على فعل<sup>(4)</sup>.

(1) المطبع، ج 2 ص 628 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ص 616.

(3) المصدر نفسه، ص 508.

(4) المصدر نفسه، ص 444.

غير أن الخلاف في هذه الجزئيات لا يغير من الوجهة العامة التي اتخذها ابن عصفور، وهي الاعتماد الأساسي على البصرة، دون أن يكون متعصباً ضد الكوفيين والبغداديين، بل إنه كما يقول د. فخر الدين قباوة انتهج مذهب المحققين، لأنّه يعتمد في ترجيح المذاهب على المنطق الجدلية الذي يختبر الأقوال والأدلة، ليصل بأسلوب نقلي عقلي إلى دفع الأدلة الواهية، وإثبات الأدلة القاطعة أو المرجحة، وقد كان عماده في هذا المنطق ثلاثة أسس، وهي السماع، والقياس، والإجماع، وفي السماع يعتمد ثقة النقل، وفصاحة الأصل، ورد الروايات الضعيفة واللغات الرديئة المذولة، وفي القياس معتمد على الكثرة والاطراد و يجعل النادر شاذًا لا يقاس عليه، كما يستخدم الاستنباط والتأويل، والاحكام العامة في التشابه والإعلال ليصل إلى الحجة الراجحة والدليل ويدفع ما خرج عليه بغير دليل قوي.

يثل ابن عصفور في تاريخ النحو حلقة وصل بين مدرسة ابن مالك التميزة ومدرسة الأندلسين، فقد أخذ من هؤلاء، الجمع بين الأدب والنحو، ولعله كان قدوة لابن مالك في اختيار مذهب نحوي مستقل. ثم رأينا أن ابن مالك انتقى من تصرف ابن عصفور ما لا يسع النحويين جهله، وهو ما ضمنه في الخلاصة.

غير أن تأثر ابن مالك بابن عصفور لم يمنعه من انتقاده، وتخطئته في عدة مواضيع، ولم ينفرد ابن مالك بهذا الانتقاد بل شاركه في الاستدراك عليه أبو حيان.

وقد أورد فخر الدين قباوة أمثلة من هفوات ابن عصفور في إحالاته الخطأة، وتناقض بعض آرائه وقصوره في بعض المسائل الصرفية وأخطائه العلمية من ذلك أنه رأى نسبة بيتاً لغير قائله كقوله في الإبدال : "فاما قول نصيب :

فلو كنت ورداً لونه لعستني ولكن ربي سانني بسوا ديا

فإنه لم يبدل الشين سينا، بل كان له لغف في الشين. والبيت ليس لنصيب وإنما هو لسحيم عبد بنى الحسحاس. كما روى بيت نصيب المشهور كما يلي :

قال فريق، إذا إذ نحوتهم نعم، وفريق لأيمن الله ما نdry

فلفق بين روایتين مختلفتين إحداهما :

قال فريق، إذا إذ نحوتهم و قال فريق لأيمن الله ما نdry

والآخر :

قال فريق القوم لما نشدهم

نعم وفريق لأيمن الله ما نdry<sup>(1)</sup>

(1) قباوة ابن عصفور والتصريف، ص 191 وما بعدها.

#### 4. بعض الاستدراكات عليه :

عند قول ابن عصفور إن الميم في أول الكلمة إذا كان بعدها حرفان أصليان وما عداهما محتمل للأصالة والزيادة، فهي زائدة، فيما عدا "معزى، و Magej، ومهدد، ومجن، ومنجنيق ومنجنون" وعلق أبو حيyan في الحاشية بقوله :

وأما مجنٌ . وهو الترس . فعن سببويه فيه قوله، أحدهما أنه فعلٌ كخطبَ فاليم أصلية، والثاني إنه مفعَلٌ فهي زائدة وسائل بعضهم التوزي فقال أخطأ صاحبكم . يعني سببويه . في قوله إن ميم مجنٌ أصلية، وهل هو إلامن الجنة، فقال ليس بخطباً لأن العرب تقول مجنُ الشيء ، إذا صلبَ مجنٌ منه<sup>(1)</sup>.

وفي معرض إبدال اليماء من الجيم، يعلق أبو حيyan على قول ابن عصفور بقوله : "قال أبو عمرو وهم يقلبون اليماء الخفيفة أيضاً إلى الجيم، قال الفراء، وذلك في بني د婢 من بني أسد خاصة، ويقولون هذا غلامع، وهذه دارج، وقال أبو حاتم قلت لأم الهيثم - واسمها غيشة . هل تبدل العرب الجيم في شيء من الكلام، فقالت نعم ثم أنشدتني :

إذا لم يكن فيكِنْ ظلٌ ولا جنىٌ فابعدن الله من شيرات<sup>(2)</sup>

ولابن مالك تعليقات على الممتنع نسب فيها ابن عصفور إلى الخطأ وذلك في قوله إن الروم لا يتصور في المفتح . وقال ابن مالك إن هذا غير صحيح وإن الروم يكون في المفتح وإنما يتمنع منه الإشمام<sup>(3)</sup>. ومنها ما قاله ابن عصفور في مسائل التمرين، بأن بناء مثل "طومار" من الوعد لا يجوز في غير "أوعاد" ليلاً يجتمع واوان في كلمة<sup>(4)</sup>. فعلى ابن مالك بقوله : باطل، يجوز "ووعاد" لأن الشائبة مزيدة كالقولون . وإنما يلزم ذلك إذا كانت الثانية أصلية كالأولى، أو متحركة كأوراق . وعند قول المؤلف إن "فعulan" من حبيت "حيوان" فنقل ابن مالك كلام سببويه وقوله فيها حيyan بالإدغام، وذكر أن ابن عصفور بعزل عن ذلك . وكثيراً ما كان يصح بجهله وعدم إتقانه<sup>(5)</sup>.

ومن نسب إليه الأوهام والسقطات ابن الحاج الذي قال إنه لم يفهم كتاب سببويه، وكان ابن الحاج يقول : إذا مت فعل أبو الحسن بكتاب سببويه ما أراد<sup>(6)</sup> ومن انتقاده أيضاً

(1) قباوة ابن عصفور والتصريف، ص 265.

(2) المصدر نفسه، ص 266.

(3) المصدر نفسه، ص 266.

(4) المصدر نفسه، ص 283.

(5) المصدر نفسه، ص 282.

(6) حسن موسى الشاعر أبو الحاج التحوري، ص 32 نقاً عن اختصار القدح المعلى ص 96.

ابن هشام، وابن النحاس، وابن الصائغ، ويقول أبو عبيد الله محمد بن الأزرق الوادي  
ءاشي في التعريض به، وفي الإشادة بابن الصائغ :

نصائحك ابن الصائغ الندب قد أتت      بحظ من التحقيق والعلم موفور  
فطرت عقاباً كاسراً أو ما ترى      مطارك قد أعيما جناح ابن عصفور

إذا كان ابن عصفور كما رأينا مثار جدل وانتقاد من النحاة، فإنه لا يمكن أن ينكر  
أن له مكانة متميزة بين علماء اللغة، فقد عرف مدرساً بارعاً، ومؤلفاً مجدداً ومفكراً  
منهجياً. فكتابه المقرب من أجود المختصرات، ومصنفه الممتع أعاد كتابة التصريف  
فاستحق بذلك لقب خاتمة النحاة، إذ يقول ابن المنير.

أسند النحو إلينا المؤلّى      عن أمير المؤمنين البطل  
بدأ النحو علىي وكذا      قل بحق ختم النحو علىي<sup>(١)</sup>

---

(١) بغية الوعاء، ج 2 ص 215.



## الباب السادس

# في طريق المدرسة المالكية

### 1. يحيى بن معطي الزواوي وأفتيته :

لقد كثرت أوجه الشبه بين ابن معطي وابن مالك، كلاهما أخذ أولاً نحو المغرب، الذي انصبت فيه روافد المعارف الشرقية، ومناهج منظريه، وكلاهما انتقى غوزجاً مختاراً يتركز على القواعد البصرية، دون أن يستبعد آراء الكوفيين وشهادتهم السماعية. وكلاهما قام برحالة علمية وتعلمية إلى المشرق، وتدرس مع علمائه فأفادهم وأفاد منهم. وقد كانا رائدين في اختيارهما وأسلوبهما التربوي الذي قدماه تسهيلاً لحفظ والاستحضار. أقر ابن مالك أن ابن معطي حاز التفضيل بالسبق، واستوجب بذلك منه جزيل الثناء غير أنه اعتبر مع ذلك أن خلاصته : " فائقة ألفية ابن معطي .

لقد حجبت الخلاصة ألفية ابن معطي، مثل ما وقع لأكثر النصوص النحوية المائلة حتى كأنها صارت نسياً منسياً، إلى أن امتدت إليها أيدي الباحثين المعاصرين في خضم جهود البحوث الجامعية، فقبض الله الدكتور علي موسى الشوملي، فقام بنشرها وتحقيقها مع شرح عبد العزيز بن جمعة الموصلي.

وفي هذا الشرح، كتب المحقق مقدمة ضمنها ترجمة الناظم والشارح.

فذكر من شيوخه أبا موسى الجزولي، وابن عساكر المحدث صاحب تاريخ دمشق والمتوفى سنة 600، وعليا بن عبد الصمد المعروف بابن الرماح، وابن بري<sup>(1)</sup>.

وأورد من مؤلفاته، ماعدا ألفيته، شرح مقدمة الجزولي، ونظمأ في شرح أبيات سيبويه، وحواشي على أصول ابن السراج، وشرح جمل الزجاجي، والعقود والقوانين في النحو، وقصيدة في القراءات السبع، ومصنفات أخرى في اللغة والعرض منها نظم كتاب صالح الجوهري، وله قصيدة في العروض يقول في أولها :

---

(1) علي موسى الشوملي : شرح ألفية ابن معطي ج 1 ص 30-22.

على أحمد الهدى إلى الله داعيا  
بنظمي العروض المجتلى والقوافيا  
أضم إليها من نظمي الأسمايا<sup>(١)</sup>

بدأت بحمد الله نظماً مسلسلاً  
وبعد فإني ذاكر لمن ارتضى  
أتيت بأبيات البديع شواهدا

كان لابن معطي فضل التقدم في نظم ألفيته، وإيحائه إلى ابن مالك بالخلاصة،  
وليس ألفية ابن معطي أول أرجوزة فيه فقد أورد أبو حيان في تذكرته نظماً في النحو  
لأحمد بن منصور اليشكري، وقال : إنه ألفان وتسعمائة بيتاً وأحد عشر بيتاً، استطرد منه  
قرابة مائتي بيت تتناول مسائل الخلاف. ومنه :

ففيه ذكر مضرم مرفوع  
هذا الذي قال به الكسانسي  
بقوله لاذكر في اسم محض  
كقال أو يقول أو كقاتل  
خالف فيه مذهب الكسانسي

والخبر التابع لا المتبوع  
أكان فعلاً أم من الأسماء  
وعند سيبويه بعض النقض  
لكنه في الفعل أو في الفاعل  
وهكذا يرثى عن الفراء

وقد أورد السيوطي بيدين من هذه الارجوزة في بغية الوعاء، ناقلاً إياهما من  
الارتشاف ولعله إذ ذاك لم يطلع على التذكرة التي نقل فيها أبو حيان أكثر من مائة  
وثمانين بيتاً منها البيتان المذكوران وهما :

فليس للجواد يلفي ناصب  
إيانه أحجاز نصب راكب  
كما أورد عدة أبيات منها في الأشباه والنظائر، من غير أن يعزوها وهي :  
في الأصل عند جملة الرواة  
في سالم من شأنه الظهور  
كما تقول في الصحيح الحمله  
بالضم في ذي الواو أو ذي الباء  
وحجمهم بقوله سرة  
كما تقول نازل ونزل  
 وإنما تعرف بالرياضه  
بالاعتراض اطْرُ الكلام  
غنى وعفى ليس بالمجهول

وما جوادك الغلام راكب  
الابن كيسان من المذاهب  
كما أورد عدة أبيات منها في الأشباه والنظائر، من غير أن يعزوها وهي :  
والوزن في الغزاة والرماء  
فُعلة ليس لها نظير  
وآخرون فيه قالوا فعله  
فخاص في ذلك حرف الفاء  
وخالف الفراء ما أنيات  
وعنده وزن غزاة فُعل  
فالهاء من ساقطها معتاضه  
كالأصل في إقامة إقوام  
وبعضها جاء على التأصيل

(١) علي موسى الشوملي : شرح ألفية ابن معطي ج ١ ص ٣٣.

وإذا كانت ألفية ابن مالك نالت الشهرة المعهودة، فإن ذلك لا يضع من قيمة عمل ابن معطي الذي أفاد منه صاحب الخلاصة، شكلاً ومضموناً، فلقد جرى على منواله في عدة أبيات، وفي طريقة النظم، وكما اقتبس من معانيه وألفاظه الشيء الكثير فمن أمثلة ذلك يقول ابن معطي :

القول في توازع الأسماء الأول  
ويقول ابن مالك :

يتبع في الإعراب الأسماء الأول  
ويقول ابن معطي في العطف :

والعطف عطfan بيان ونسق  
ومنه ما ليس بمشتق ولا  
أكثر ما يكون بالأعلام  
شاهدء بائع نصر نصرا

عطف البيان شبه نعت قد سبق  
في حكم مشتق فضاهي البدلا  
 وبالكتني كراهة الإبهام  
 والتارك البكري بشر حرا<sup>(2)</sup>

ويظهر ما بين هذه الأبيات من شبه يقول ابن مالك في نفس الباب وقد تكرر هذا النوع من الاقتباس في كثير من المواضيع.

وعن منهجه تحدث المحقق، فأورد ماذج ما تابع فيه البصريين، وبعض المسائل التي أخذ فيها برأي الكوفيين، وما نحا فيه نحو البغداديين، وما تفرد به.

فما اتبع فيه أهل البصرة استعمال مصطلحاتهم، وترجح آرائهم في بعض مسائل الخلاف، قوله إن "إما" حرف عطف :

وأو، وإما، فيهما مشهور الشك والإبهام والتخثير<sup>(3)</sup>

ويقول ابن هشام إن هذا رأي أكثر النحاة، وقد نص عليه البرد، وخالف ابن مالك في ذلك مستدلاً بلازمتها لحرف العطف.

وتتابع سيبويه في إعراب الأسماء الستة فقال :

وستة باللواو رفعاً إن تضفت  
والباء في الجر وفي النصب ألف<sup>(4)</sup>

(1) شرح ألفية ابن معطي، ج ١ ص ٧٤٣.

(2) المصدر نفسه، ص ٧٦٨.

(3) المصدر نفسه، ص ٧٨١.

(4) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٥٠.

وفي حكم "ما أحسن زيداً" قال  
تقول ما أحسن خالداً فما  
وفي اشتقاد الإسم إذ يقول :  
واشتق الاسم من سما البصريون  
والمنصب المقدم الجلبي  
وفي أصله المصدر يقول :

واشتقت كوفيون أيضاً مصدراً  
واشتقت منه الفعل أهل البصرة  
إذاً كل فرع فيه ما في الأصل  
وفي العطف على المضمر، إذاً قال :  
والمضمر المجرور إن عطفتا  
نحو مضى به وبالغلام  
ومن المسائل التي قيل إنه تفرد بها  
ولا يجوز أن تقدم الخبر  
وقد رد عليه بعض النحاة بدليل قوله

عليه جيء بما به جررتا  
 وشذ منه بك والأيام<sup>(4)</sup>  
 ومن المسائل التي قيل إنه تفرد بها منع تقديم خبر "مادام" على اسمها فقال :  
 ولا يجوز أن تقدم الخبر على اسم مادام وجاز في الآخر<sup>(5)</sup>  
 وقد رد عليه بعض النحاة بدليل قول الشاعر :  
 وأحسبها ما دام للزيت عاصر وما طاف فوق الأرض حاف وناعل  
 ومنها شروطه في المفعول له، التي قال فيها :  
 ثم الذي سمي مفعولاً له ينصب نحو جئت زيداً قتله  
 أعم منه، لا بلفظ العامل<sup>(6)</sup> مقارنا للفعل فعل الفاعل  
 ومنها قوله بشذوذ تصغير زهير، إذ قال :  
 مرخماً كذا عقيم حقراً<sup>(7)</sup>  
 وشذ قولهم زهير صفراً

(١) شرح ألفية ابن معطى، ص 957.

٢١٧ ص، نفسه، المصد (٢)

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 220.

(٤) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧٩٦. ويشير إلى قول الشاعر : فاذهب ومايك والأيام من عجب.

٨٦٠ ص ١ ج نفسيه المصدر (٥)

.582 (6) المصدر نفسه، ج ١ ص

المصدر، نفسه ج 2 ص 1216.

• 5 •

فزهير تصریح من ازهر وهو قیاس عند الجمهور شاذ عند ابن معطی.  
ومنها قوله إن الأسماء تبني لعلتين شبه الحرف، ووقعها موقع الفعل فقال :  
الحرف أو كان اسم فعل واقعاً  
ولفظ غير المتمكن يعم (١)  
أعني في الاسم وهو أن يضارعا  
کمن وإيه ونزل وهلـ

## 2. الأستاذ أبو علي الشلوبي :

وبعد ابن معطي يطالعنا الأستاذ<sup>(2)</sup> أبو علي عمر بن محمد الأزدي الأشبيلي المعروف بالشلوبين وقد كاد المؤرخون يجمعون على الإشادة به والتنويه بمكانته العلمية، فيقول ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكميلة، إنه كان ذا معرفة بالقراءات، آخذًا بطرف صالح في رواية الحديث، حاملاً للآداب واللغات، متقدماً في العربية، كثير أسانيدها باشبيلية، مبرزاً في تحصيلها، مستبمراً في معرفتها، حسن الإلقاء والتعبير عن أغراضها، وله فيها مصنفات نافعة، وتنبيهات نبيلة، وشرح واستدارات وتمكيلات<sup>(3)</sup>.

ويقول ابن الزبير إنه كان إمام عصره في العربية بلا مدافع، آخر أئمة هذا شأن بالشرق والمغرب<sup>(4)</sup> ويقول ابن سعيد في اختصار القدر المعلى، إن ذكره ملأ الشام والعراق<sup>(5)</sup>. وقال فيه أبو حيان "كان في وقته علماً في العربية إليه يرحل الناس من بلاد المغرب لا يجاري ولا يباري قياماً عليها واستبحاراً فيها، وهو شيخ شيوخنا"<sup>(6)</sup>.

وبالرغم من هذا الإجماع فإن القبطي قد تحامل عليه فانتقص شرحه للجزولية قائلاً إنه ليس فيه كبير أمر. ونسبة إلى الارتزاق بصناعة العربية ونفي عنه التمكן فيها<sup>(7)</sup> غير أن ابن مكتوم صرح بهذه الصورة، وأوضح ما فيها من تحامل فقال : لم يعرف القبطي شيئاً من أحوال الأستاذ أبي علي، وجهل مكانته في علم العربية، فلذلك ذكر عنه ما كتبناه. وحكي لنا شيخنا الحافظ أبو حيان أنه كان يلشق بالسين المهملة فيجعلها ثاء، مثلثة، فيقول في "الحسين" مثلاً "الخرين". ثم قال : وكان الألائق بالقطبي إذ لم يعرف أبا

(١) شرح الفقيه ابن معطى، ج ١ ص ٢٣٤.

(2) ابن ملكون ابراهيم بن محمد بن منذر، روى عن القاسم بن بقي، وأخذ عنه الشلوبين وابن خروف، وتوفي سنة 581 هـ ترجمته في الانباء 190.

(3) الذيل والتكميلة، ج 5.

<sup>4</sup> (4) داعية العادة، ج 2 ص 224.

(5) اختصار القدر المعلم، ص 142.

(٦) راجع مقدمة الشرح الكبير على الميزولة ص 43 نقلًا عن ابن حيان في التدليل والتكامل.

<sup>7</sup> انبیاء الرواۃ، ج 2 ص 232-234.

علي ولا طبقته في العلم أن ينبه على اسمه ويسكت عما ذكره من ترهات القول، وقد تخرج بالأستاذ أبي علي رحمة الله ومهر بين يديه نحو أربعين رجلاً، كأبي الحسين بن عصفور، وأبي الحسين بن أبي الريبع وأبي عبد الله بن أبي الفضل، وأبي عبد الله بن العلوج، وأبي الحسين بن الصانع، وأبي الحسن الأبزى، وأبي علي ابن أبي الأحوص، وأبي جعفر اللبلى، وابن يلبخت، وأبي القاسم الصفار، وأبي العباس بن الحاج وغيرهم. وكلهم أئمة علماء مصنفون في علم العربية وغيرها، قد طبقوا بعلمه الآفاق، وملأوا بفوائده وفراشه الأوراق، وأما من أخذ عنه وتمثل بين يديه للتعلم فهم علماء لا يحصون، رحمة الله ورضي عنه.

وحين وقفت على ما ذكره القسطي قلت من غير روية :

<p><b>إن الشلوبين أبا علي</b>          أستاذ كل عالم نحو          وقدره في النحو لا يرام          واعترفت بنبله الأكابر          وهجرت لقصده الأطلال          في النحو ذكرًا لا ولا في الأدب          وغيره من كتب الإعراب !          وغدر تزهى على القلائد          وأتحف الطلاب باللناسى          على علوم العرب العرباء !          علامة في فنه نحرير          ونمقوها بدره الأوراقا          جليلة بديعة مهمنه          وحرصهم في أخذ ما لديه          بين يدي مؤيد مهذب          عليه من علامة إمام          وابتهرت بذكره النفوس<sup>(1)</sup></p>	<p><b>علامة في فنه إمام</b>          قد شهدت بفضله الدفاتر          وضررت بمجدده الأمثال          ولم يدع في عصره لمغرب          فكم وكم له على "الكتاب"          من طرق كثيرة الفوائد          وكم وكائن حل من إشكال          وكم له من شرح أو إملاء          وكم له من صاحب شهر          قد طبقوا بذكره الآفاقا          ونقلوا عنه علوماً جمه          أنتجها عکوفهم عليه          ويحثهم عن سر ما في الكتب          فرحمه الله مع السلام          ما ملئت بعلمه الطروض</p>
--	--

(1) إنبأه الرواة، ج 2 ص 232-234

وقد أحصى د. تركي بن سهو العتيبي للشلوين ثلاثة وخمسين شيخاً وستة وثلاثين تلميذاً، جمع أبو حيان منهم ثلاثين ونذكر من أهم شيوخه<sup>(1)</sup> السهيلي وابن بشكوال، وله صلات علمية مشهورة بأبي موسى الجзолى وشرح مقدمته شرحاً كشف به أسرارها وبين غواصتها. وله شرح على كتاب سيبويه، الذي كان قواماً عليه، وعلى جمل الزجاجي، وله فيها كتاب سماء : الاعتراض والانفصال فيما نسب فيه صاحب الجمل في كلامه إلى الأخلال. والانفصال يعني به دفع الاعتراض على الزجاجي، وقد اعتمد ابن أبي الربيع هذا المصطلح في دفاعه عن أقوال أبي القاسم الزجاجي وفي رده على ابن الطراوة. وله حواشي الإنفصال يعني به دفع الاعتراض على ابن الطراوة، مع شروحه للجذولية المعروفة.

أما تلاميذه، فقد قال عنه ابن الزبير "قل متاذب بالأندلس من أهل وقتنا لم يقرأ عليه، أو نحوه لا يستند ولو بواسطة إليه"<sup>(2)</sup>.

ومن أشهر تلاميذ الشلوين : ابن الصابع، وابن عصفور، والابناني (ت 680 هـ)<sup>(3)</sup>، والصفار وابن أبي الربيع، وابن المرحل والمطرف الأشبيلي الوزير الذي كان يحفظ كتاب سيبويه<sup>(4)</sup> وابن أبي الربيع وفي كتاب هذا الأخير المعروف بالبسيط في شرح الجمل، انتزعنا أقوال الشلوين، ورده على ابن الطراوة.

ونذكر قبل عرضها أن الدكتور شوقي ضيف تناول في كتاب المدارس النحوية جملة من آرائه النحوية، كقوله بتأصيل التكرا، ووفاقه للمرماني في حكم خبو. وللأعلم في "إيا" ذكر تفرده بالقول إن "إذا" ظرف زمان في قول الشاعر :

فبينما العسر إذ دارت ميسار

وقوله إن "عيوناً" في قوله تعالى : « وفجرنا الأرض عيوناً » (القمر - الآية 12) حال، وإن لو لا تفيد الامتناع<sup>(5)</sup>.

لقد كان الشلوين على شاكلة السهيلي، من أبرز مفكري النحوين المغاربة وهو يستحق دراسة خاصة، تبرز معالم منهجه، وتبين عناصر التجديد، في نظرياته، ومادامت هذه الدراسة لم تتم فيما نعلم فلن يتسعنى لنا أن نزيد على وضع إشارات تنبه على طرق تناوله للمعارات النحوية، والتي يبدو من خلالها احترامه للسماع حينما يقل النظير،

(1) محمد بن خلف بن صاف الأشبيلي ت 586 هـ، ترجمته في بغية الوعاة، ج 1 ص 100.

(2) صلة الصلة 7/7.

(3) قاسم بن علي البطليوسى الشهير بالصفار (ت بعد 630 هـ)، ترجمته في بغية الوعاة، ج 2 ص 256، وفيه أنه شرح كتاب سيبويه كتاباً حسناً يقال إنه أحسن شروحه ويرد فيه الشلوين بأတع رد.

(4) بغية الوعاة، ج 1 ص 74.

(5) المدارس النحوية، ص 303 استناداً إلى المفنى والهم.

وتصوره للأصول وحرصه على مراعاتها، ومنهجه في القياس والتعليق، ثم أسلوبه في الجدل والجاج، وأخيراً تطلعه البعيد إلى مزيد من اكتشاف خصائص اللغة.

### أ) السماع والأصول :

واللامع البارزة في منهج الشلوين، توحى بأنه يعتبر السمع أساساً لاعتبار القاعدة التحوية.

وبما أن نشاطه الفكري جاء بعدما استكمل النحوين مباحث السمع، ومواطن الاستشهاد، فإنه ركز على التمسك بأولية السمع، الذي نراه يشير إليه "بالنظير". فهو في ضمن هذا التوجه لا يقبل أي صيغة، أو أي تركيب مالم يكن له نظير مسموع عند العرب، ومن مظاهر احترامه لهذا التحدي ما روي عنه ابن أبي الربيع حين قال : ظاهر كلام أبي القاسم إن المصدر يثنى ويجمع إذا اختلفت أنواعه قال الأستاذ الشلوين يذهب أنه لا يثنى ولا يجمع إلا بالسمع.. لأن اسم الخبر يقع على النوع الواحد، وعلى أكثر من ذلك، يقول ابن أبي الربيع، وهذا ظاهر وهو من الأحوط لا يُقول العربي شيئاً لم يقله، ويدعى أنه من كلام العرب<sup>(1)</sup>.

إن من أوضح الآراء التي يتسم بها فكر الشلوين التزامه بالأصول الثابتة وإلغاء العوارض المتغيرة، ومن أمثلة ذلك كلامه في أصول الكلم، وصرف الأسماء وفي حد الإعراب وعلاماته في الأسماء الخمسة، وفي إلحاقيات التأنيث بالفعل.

ويقول إن الاسم أصل لل فعل والحرف، ولذلك جعل فيه التنوين دونهما ليدل على أنه أصل وإنهما فرعان، وذلك لأن الكلام المقيد لا يخلو من الاسم أصلاً ويوجد كلام كثير لا يكون فيه فعل ولا حرف. والفعل لا يخبر عنه، والحرف لا عنه ولا به والاسم به وعنده فدلل على أنه أصل<sup>(2)</sup>.

وقال إن النحوين إنما يعقدون أبداً قوانينهم على الأصول لا على العوارض. ولذلك حدوا الإعراب بأنه تغير أواخر الكلام لاختلاف العوامل الداخلية عليها. ومن الأسماء المغربية مالا تغير فيه ولا اختلاف كالظروف والمصادر الالزمة للنصب، فإن الأصل فيها أن تتغير لكن منع من ذلك قلة مكانتها فهي في حكم ما يتغير نظراً إلى الأصل، والغاية للعارض، ومن ذلك فساد قول من قال إن الضمة من جاءني أخوك هي ضمة الرفع، وإنها منقولة عن حرف الإعراب، وكذا الكسرة في مرت بأخيك. وذلك فيه كون الإعراب فيما قبل الأخير في الرفع والخفض، وهذا لا نظير له إلا في الوقف على بعض اللغات فيما قبل

(1) البسيط، ص 473.

(2) الأشباه والناظر، ج 1 ص 131.

آخر ساكن، والوقف عارض والعارض لا يعتد به، وهذا في الوصل، والوصل ليس عارضاً بل هو الأصل<sup>(1)</sup>.

ومنها قوله : إنما لحق الفعل علامه التأنيث، إذا كان فاعله مؤنثاً، ولم تتحققه علامه التثنية والجمع إذا كان فاعله مثنى أو مجموعاً، لأن الأكثرون لزوم التأنيث فاعتدا به وعدم لزوم التثنية والجمع فلم يعتدا به لاعتدادهم باللازم، وعدم اعتدادهم بالعارض.

ومن هذا الباب قوله : إذا أمكن أن يكون حرف موجود في الكلمة أصلياً فيها، أو غير أصلي فكونه أصلياً أو منقلياً عنه أولى، وينبئ على ذلك أن حروف اللين في الأسماء الستة لامات الكلمة لا زائدة للأشباع<sup>(2)</sup>.

وقال إن الأصل في الظروف التصرف<sup>(3)</sup>، وأصل الأسماء، أن لا تقتصر على باب دون باب، فمتي وجد اسم لا يستعمل إلا في باب واحد علمت أنه خرج عن أصله، ولا يوجد هذا إلا في الظروف، والمصادر، إلا في باب النداء لأنها أبواب وضعت على التغيير. لكن مأخذ التصرف والانصراف في الظروف هو السماع.

وقال إن الأصل في العمل كله أن لا يتقدم العامل، والظرف وال مجرور وغيرهما في هذا سواء، والدليل على ذلك أن لا تقول اليوم إن زيداً شاخص، وتقدم الظرف المتعلق بخبر "إن" ولا تقول "بك إن زيداً مأخوذاً"، ولا يلزم من اتساع العرب في الظرف وال مجرور في موضع ما أن تتسع في كل موضع، فإن اتساع شيء جرى على غير قياس، فسبيلك أن تقصره على الموضع الذي صح فيه، ولا تتعدها ويبقى ما عداه على الأصل والقياس. وهو أن المعمول لا يتقدم إلا حيث يتقدم العامل ظرفاً كان أو غير ظرف<sup>(4)</sup>.

وقول من قال إن أصل عمل الحروف الجر خطأ، وإنما القول الصحيح أن أصل الحرف أن لا يعمل رفعاً ولا نصباً لأن الرفع والنصب من محل الأفعال، من حيث كان كل مرفوع فاعلاً أو مشبهاً به، وكل منصوب مفعولاً أو مشبهاً به، فإذا أعملنا الحرف فإنه يعملها لشبه الفعل، ولا يعمل عملاً ليس له بحق الشبه إلا عمل الجر إذا كان مضيفاً للفعل أو ما هو في معناه إلى الأسم<sup>(5)</sup>.

(1) الأشباء والنظائر، ج 2 ص 269.

(2) المصدر السابق، ج 1 ص 114.

(3) البسيط، ص 482.

(4) المصدر نفسه، ص 579.

(5) الأشباء والنظائر، ج 2 ص 250.

وكان السهيلي يقول إن الواو ليست بدلاً من الباء، في القسم، لمخالفتها إياها في الحركة وكان الأستاذ ينفصل عنه، ويقول لأن الأصل في الباء الفتح لأن كل ما هو على حرف واحد فقيسه البناء على الفتح، وكسرت الباء ملازمتها الحرافية والمحض<sup>(1)</sup>.

### ب) التعليل :

قد أعطى الشلوبين للتعليق أهمية خاصة، واعتمد عللاً اعتبر أنها من مقاييس التصرف في نسق الكلام، منها الخفة في القول وثقيله للتعادل، وكرامة توالى الأمثال، وطلب الاقتصاد في الألفاظ بالاختصار.

فعن التعادل يقول : لما كان الاسم أخف من الفعل تصرف بحركات الإعراب فيه، وزيادة التنوين، فزيد ليشقل ولتعادل الفعل. ولما كان الجزم حذفاً، والحرف تخفيف، والتخفيف لا يليق بالخفيف جزمت الأفعال ولم تجزم الاسماء<sup>(2)</sup>.

وفي باب الاختصار يقول : إنه يحذف بسببه لام الطلب غالباً فبدلاً من لتقم : قبل قم وقالوا : قمتُ، ولم يقولوا قام أنا<sup>(3)</sup>.

ومن تعليياته قوله تأييداً لرأي البصريين في تفسير : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران - الآية 97). "مَنْ" بدل بعض من كل والضمير محفوظ أي منهم. "لِلَّهِ" خبر "حج" والبيت مفعول، والمصدر مضارف إليه والفاعل محفوظ. ورأى الكوفيين أن من استطاع إليه سبيلاً : فاعل حج.

مثل قول الشاعر :

أَمْنَ رَسْمَ دَارَ مَرِيعَ فَمَصِيفٌ      بَعِينِيكَ مِنْ مَا شَوُونَ وَكَيْفَ

وكان الشلوبين يدفع هذا القول بأمررين : أحدهما راجع إلى المعنى : فيكون : والله على الناس أن يحج البيت المستطاع ولم يتقرر هذا في الشريعة لأنه لا يطلب أن يحج غيره. وثانيهما ما هو راجع إلى اللفظ : وهو إن إضافة المصدر إلى المفعول بحضور الفاعل لم يجيء في فصيح الكلام وأكثر ما جاء ذلك في الشعر. المعروف أن الكسائي يقول في إعراب الآية إن من شرط المحواب محفوظ<sup>(4)</sup>.

(1) الأشباه والنظائر، ص 926.

(2) الأشباه والنظائر، ج 1 ص 253.

(3) المرجع نفسه، ج 1 ص 76.

(4) البسيط، ص 403.

ومنها حجاجه للمبرد في قوله : إذا قلت جاء القوم كلهم أجمعون، إنما جاء على جهة التوكيد، على حسب ما جاء كلهم. لا معنى "لأجمعين" غير ذلك. وذهب المبرد إلى أن لأجمعين معنى زائداً وهو إفاده الاجتماع أي انهم جاءوا في وقت واحد في المجيء فإذا قلت جاء القوم كلهم أفاد الإحاطة، وأجمعين" لتفني المجاز.

ويقول الشلوبين لو كان صحيحاً لنصب على الحال فقيل مثلاً جاؤوا ومجتمعين<sup>(1)</sup>.

### ج) الخصائص :

وبما أن الشلوبين ينتمي إلى مدرسة السهيلي والأعلم، فإن تفكيره في المباني اللغوية أدى به إلى إبراز بعض الخصائص التي لم تكن متداولة، في جل الكتابات النحوية، نذكر منها رأيه في إفاده الإضافة وفي بعض الفروق الدقيقة وفي بعض معاني الحروف وفي الاستفناه والحمل على اللفظ والاتساع :

#### 1. إفاده الإضافة :

ويقول ابن أبي الربيع : قال الأستاذ أبو علي إن لإعادة الضمير على الشيء، مزايا، أولها : أنك إذا أعددته على الشيء، أفاد الكلام أن الإضافة تكون على وجهين : الملك والاستحقاق.

الثانية : أنك إذا أعددته على الملك أعطى الكلام بظاهره ان الإضافة لا تكون إلا على وجه واحد، وهو خطأ.

الثالثة : أن إعادة على الأقرب أولى.

الرابعة : أن إعادة الضمير على منطوق أولى من إعادة على مضم<sup>(2)</sup>.

#### 2. الفروق :

ومن الفروق قوله إن الفرق بين بدل البعض من الكل وبين الاشتغال. كما قال ابن الباذش من وجهين : الأول بدل الاشتغال يكون بالمعانى وما يتنزل منها من نحو الحس والعقل، والثانى أن بدل البعض من الكل إنما يكون جزءاً من المبدل منه<sup>(3)</sup>.

(1) البسيط، ص 383.

(2) المرجع نفسه، ص 185.

(3) المرجع نفسه، ص 393.

### 3. حروف المعاني :

ويقول إن حروف المعاني، إنما هي مختصر الأفعال، فهي ناتبة مناب الأفعال تعطي من المعنى ما تعطيه الأفعال، إلا أن الأفعال اختصرت بالحروف فإن الأفعال تقتضي أزمنة وأمكنة، ومفعولين وفاعلين، ومحالاً لأفعالهم وغير ذلك من معمولات الأفعال فاختصر ذلك كله، بأن جعل في مواضعها ما لا يقتضي شيئاً من ذلك، ولذلك كرهوا أن يجمعوا بين حرفين لمعنى واحد ولم يكرهوا ذلك في الأسماء والأفعال لأن ذلك نقىض ما وضعت عليه للاختصار<sup>(1)</sup>.

ويقولُي "إذما" بالخصوص إنها مركبة من إذ التي هي ظرف لماض وما، وأحدث التركيب أن نقلها إلى الحرفية إلى أن صارت تعطى الزمان المستقبل، وذهب دلالتها على المعنى.

### 4. الاستغنا :

يقول الشلوبيني : إن العرب استغنو عن تثنية أجمع بكليهما. كما استغنو عن جمع أمرئ بقوم<sup>(2)</sup>، وعن الجزم بكيف بالجزم مما هو في معناه. على عادة أن يستغنو عن الشيء بما هو في معناه، وكان ذلك هنا ليكون التنبية على أن الجزم بالأسماء ليس أصلاً كما فعلوا في الاستغنا بتصغير المفرد وجمعه بالألف والتاء، في اللاتي، فقالوا الليتا. واستغنو عن اللوبتينا، لعدم التمكن في الأسماء المبهمة.

### 5. الاتساع :

يقول الشلوبيني : اتساعا لم تتسعه في غيرها من النواصب، فأجازت دخولها على الأسماء نحو "إذن" عبد الله يقول ذلك، وعلى الأفعال، وأجازوا دخولها على الحال وعلى المستقبل، وأجازوا أن تتأخر عن الفعل، نحو أكرمك إذن. وأجازوا فصلها عن الفعل بالقسم ولا يجوز ذلك في سائر نواصب الفعل. فقويت عندهم فشبها بظنت وأخواتها فقط. فأجازوا فيها الأعمال والإلغاء إلا أن ذلك يجوز في "ظننت" إذا توسطت، و"إذن" إذا توسطت وجب فيها الإلغا، لأن المشبه بالشيء لا يقوى قوته<sup>(3)</sup>.

(1) البسيط، ج 2 ص 431.

(2) المرجع نفسه، ج 1 ص 128.

(3) المرجع نفسه، ص 475.

## 6. رد على الأخفش :

ورداً على الأخفش في العطف على معمولي عاملين مختلفين، يقول ابن أبي الريبع: كان الأستاذ أبو علي ينفصل عن احتجاج الأخفش بقوله : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكَمْ لِعَلَى هَذِي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ - الآية 24) بانفصالات ثلاثة :

أحداها : أن المحرفين في الآية لمعنى واحد. لأن "إن" إنما جبيء بها لتأكيد الجملة، وكذلك اللام، فلما صار المحرفان لمعنى واحد، فكأنهما حرف واحد، فكان التشيريك في حرف واحد، لأن المراد بتشيريك حروف العطف التشيريك في المعنى والمعنى هنا واحد، وهذا الانفصال جيد في الموضوع.

الثاني : أن العرب تقول "ليس زيد بقائم ولا قاعد" فتعطّف على الموضع وتشرك قاعداً مع قائم في "ليس" فإذا جاز هذا جاز أن يعطّف على خبر "إن" من غير نظر إلى اللام كما لم ينظر إلى الباب في ليس زيد بقائم ولا قاعداً. واللام نظيرة الباء لأن الباء لتوكييد النفي، واللام لتوكييد الإيجاب، وهذا أيضاً انفصال حسن، وتقطير صحيح.

الثالث : أنه يبعد أن يشرك في شيئاً ليسا بعاملين، ويمتنع التشيريك في عاملين لأنك إذا قلت ليس زيد بقائم ولا قاعد عمرو شركت بالواو في عاملين فقد جعلت الواو وكأنها خفضت ورفعت، من حيث وصلت الخاضض والرافع، ولا يوجد في أصول العربية ما يرفع ويخفض، فإذا لم يكن ذلك في أصول العربية فكيف يكون فيما نزل منزلة العامل، فتفطن لهذا كله فإنه مرعى من هذه الصنعة<sup>(1)</sup>.

ولنا عودة إلى هذا النحوي البارع لنرى غموضاً من ذكائه وفطنته، وذلك في معرض الحديث عن حكم حركة آخر الفعل المضعف مع الضمير، أو قبل الساكن.

(1) البسيط، ص 354.

### 3. ابن أبي الريبع السبتي :

أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي الريبع مثال نموذجي للوحدة العلمية بين العدويتين، لقد قضى النصف الأول من حياته في إشبيلية مسقط رأسه، وبعد سقوطها عام 646 هـ، انتقل إلى سبتة فقضى فيها بقية عمره، وبها توفي سنة 688 هـ.

#### أ) شيوخه وتلاميذه :

قرأ ابن أبي الريبع على علماء بلدته الأجلاء، أمثال الفقيه النحوي أبي الفتوح العبدري (ت 636 هـ)، والقارئ ابن أبي هارون التميمي (ت 647 هـ) والمحدث أبي عبد الله بن خلفون. ومن شيوخ ابن أبي الريبع أيضاً أبو العباس أحمد بن محمد العزفي<sup>(1)</sup>، والد أمير سبطة، الذي احتضنه بعدما اضطر إلى أن يغادر إشبيلية إلى غير رجعة. وتلهمد ابن أبي الريبع في النحو لأبي الحسن الدباج<sup>(2)</sup>، غير أن عمدته في هذا الفن، هو أستاذ أبو علي الشلوين، فكان كثير الاعتداد بآرائه، والإشادة بعلمه وفضله وقرأ عليه كتاب سيبويه، ورواه عنه وعن الدباج بسند متصل بالمؤلف عن طريق المازني والأخفش. وقرأ عليه أيضاً كتاب الإيضاح لأبي الفارسي ورواه عنه وعن القاسم بن بقي<sup>(3)</sup> بسند عن طريق القاضي أبي بكر بن العربي المعافري ودرس كذلك على أستاذة كتاب جمل الزجاج، وحمله عنه وعن ابن خلفون بسند متصل بأبي الحسن الأنطاكي.

ذكر الدكتور عياد بن عيد الثبيتي من تلاميذ ابن أبي الريبع ثمانية وثلاثين عالماً منهم أبو اسحق الغافقي الإشبيلي<sup>(4)</sup>، والفقية ابن الحاج التجيبي شيخ ابن رشيد<sup>(5)</sup>، وأبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان<sup>(6)</sup>، وقاسم بن عبد الله السبتي المشهور بابن الشاط وهو الذي جمع برنامجه المعروف<sup>(7)</sup>. ومنهم أيضاً أبو طالب عبد الله بن محمد العزفي<sup>(8)</sup>، ومنهم

(1) أحمد بن محمد بن العزفي اللخمي السبتي (ت 633 هـ)، أخذ عن السهيلي وابن بشكوال، ترجمته في برنامج التجيبي، وبرنامج ابن أبي الريبع.

(2) الدباج أبو الحسن علي بن جابر اللخمي أخذ عن أبي ذر الخشنبي وابن خروف ترجمته في صلة الصلة ص 137.

(3) القاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد القرطبي، يتصل نسبة بيقي بن مخلد، ترجمته في بغية الوعاة 1/399.

(4) أبو اسحق إبراهيم بن عيسى الغافقي (ت 716 هـ) ترجمته في بغية الوعاة 1/405.

(5) إبراهيم بن محمد التجيبي، ترجمته في مل، العيبة 2/127.

(6) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الشقفي (627-708)، شيخ الجماعة بالأندلس، "انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية وتجوييد القرآن ورواية الحديث إلى المشاركة في الفقه والقيام على التفسير والغوص في الأصولين" (ابن الخطيب : الإحاطة 1/188) والمعروف أنه شيخ أبي حيان وعمدته في النحو وترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ج 1 ص 84، وبغية الوعاة ج 2 ص 291.

(7) ابن الشاط قاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري المتوفى سنة 723 هـ، ترجمته في درة المجال 3/270.

(8) عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي ترجمته في الإحاطة 3/383.

الأديب الشاعر محمد بن علي التجاني. وله من ابن أبي الربيع إجازة نظمها مالك بن المرحل<sup>(1)</sup> بقوله :

أكرم الله مستجيزاً أتانا  
صدرت عنه قطعة سحرتنا  
أطلعت سبعة كمثل الدراري  
يا أبو الفضل يا فتى التجـ  
إن تكن تؤثر الإجازة فاقبل  
هو ينمـي إلى قريش ويكتـي  
وارو عنه ما قالـه ورواه  
وعلى الشرط في حقيقة نقل  
قالـه عام ستة وثمانـين وست من المـئـات مجـازـه

منه شـعـر سـامـي السـماـك وجـازـه  
أـي سـحـرـهـ أـحـلـهـ وأـجـازـهـ  
حـقـرـتـ عـنـدـ رـؤـيـةـ أـرـجـازـهـ  
سـانـ عـنـيـنـاـ بـاـ طـبـلـتـ نـجـازـهـ  
عـنـ عـبـدـ إـلـهـ هـذـيـ إـجـازـهـ  
جـدـهـ بـالـرـبـيعـ فـاغـدـ مـجـازـهـ  
فـالـكـلـامـ الـمـنـظـومـ فـيـهـ وـجـازـهـ  
إـنـاـ لـاـ نـحـيـزـ فـيـهـ مـجـازـهـ

ويقول د. محمد حجي : "وتصدر ابن أبي الربيع لتدريس النحو وهو ما يزال غلاماً يافعاً بأمر من شيخه الإمام الشلوبين الذي كان يبعث إليه بصغار الطلبة. حتى استد ساعده واستقامت طريقته. ولما مات الإمام الشلوبين خلفه أخوه تلاميذه أبو الحسين بن أبي الربيع في كراسيه النحوية بالجامع الأعظم بإشبيلية. فأشرأبت إليه الأعناق. واكتظت حلقات دروسه النحوية العلمية بالشادين من نحة الطلبة. إلى أن حم القضا وسقطت إشبيلية في يد المسيحيين (5 شعبان 646هـ/ 23 نوفمبر 1248م)، فنزع عنها ابن أبي الربيع في جملة من نزح من العلماء إلى مدينة سبتة.

وصلة أبي الحسين بن أبي الربيع بمدينة سبتة صلة قدية وثيقة ترجع إلى عهد الطلب. فقد أخذ عن إمامها الشهير أبي العباس العزفي ومن حسن حظ علماء إشبيلية أن كانت أيام نكتبهم دولة الأمراء العزفيين العلماء الكرماء، قائمة مزدهرة بسبعة وطنجة. فآوى الكثير منهم، وفي جملتهم أبو الحسين بن أبي الربيع، إلى ربوة ذات قرار ومعين. في حمى الأمير العالم أبي القاسم العزفي. ونال ابن أبي الربيع حظوة خاصة عند هذا الأمير وبنيه. وعاش في كنفهم مكفي المؤونة متفرغاً للتدريس والتأليف".

(1) مالك بن المرحل (ت 699هـ) أخذ عن الشلوبين والدجاج، له مدانع عرفت بالمعشرات اللزومية، ونظم فصيـعـ ثعلـبـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ بـغـيـةـ الـوـعـاـجـ 2ـ صـ 171ـ.

"وكان الذي أعانتي على إكماله وتميمه . يقول ابن أبي الريبع في مقدمة كتابه البسيط . الذي اتفق الأنام على فضله وتقديمه . فخر الزمان، المذكور بكل مكان، المشكور على كل لسان، الذي عمت فضائله، وانتشرت في الورى فواضله. الأفضل الأمجد، والسيد الأوحد، أهل الفضل والوفا، الفقيه الأكمل أبو الوفا، ابن السيد الأمجد، الملك الأنجد، الفقيه الأوحد، الأنسى الأفضل أبو القاسم محمد، ابن الإمام العلامة المحدث الرواية أبو العباس أحمد، ابن الفقيه الخطيب، الأكمل الحسيني، أبو عبد الله محمد اللخمي ثم العزفي أدام الله مجدهم، وأبقى سعدهم، وخلد ملوكهم .."<sup>(1)</sup>.

"ولم أكن لأنخلص لهذا المرام . يقول ابن أبي الريبع أيضاً في مقدمة كتابه الكافي في الإفصاح . ولا أحد نفسي بالتفرغ لهذا المقام، لما غشيني من صروف الأيام، ودهمني من مقاساة الأنام، لولا جلة الفقهاء، السادة العظام، الصفة الكريمة، ذو الرأي الحازم، والعز القائم، والإحسان الدائم، السيد الأنسى أبو حاتم، وشقيقه شقيق الكرم والوفاء، وحليف الفضل والنعماء، السيد الأوفي، وصنوه حائز شرف المناقب، السامي في المجد سمو النجم الثاقب، السيد الأنسى أبو طالب، بنو الإمام الأوحد، العالم الأمجد، السيد الأرشد، فخر الزمان. المقدم بكل مكان. المشكور على كل لسان، المتورع في أفعاله، المبرز في فعاله، الفقيه العالم المحدث الأكمل أبو القاسم محمد بن الإمام العلامة المحدث الرواية المنفوذ إليه من كل مكان في حياته. الباقي ذكره ما بقي الزمان بعد وفاته، الفقيه العالم السيد أبو العباس أحمد، ابن الفقيه الخطيب، الأكمل الحسيني، أبو عبد الله محمد اللخمي ثم العزفي، أدام الله مجدهم، وأبقى يمنه وكرمه سعادهم .."<sup>(2)</sup>.

لم يرحل ابن أبي الريبع عن الأندلس والمغرب، إلا أن شهرته العلمية وصلت إلى المشرق، فممن عرف مكانته بها، الدين ابن النحاس، الذي كان يسأل عنه الواقفين، ويعظم الدارسين عليه.

وقد روى ابن رشيد في رحلته قوله : "لما وصلت إلى مصر ذهبت إلى مسجدها الأعظم فجلست إلى حلقة من حلق العلم، فوجدت الشيخ يتكلم في علم العربية فأخذت معهم بطرف مما كانوا يتكلمون فيه، فالتفت إلى الشيخ فقال : من أين قدومك ؟ قلت : من الغرب. قال : أمن الإسكندرية ؟ قلت : من أبعد. قال : أمن تونس ؟ قلت : من أبعد. قال : إذن من جو المغرب. يعني من داخله. قلت : نعم. قال : من أي بلاده ؟ فقلت : من سبتة. فكان أول ما فاتحني به أن قال : أعيش سيدنا أبو الحسين بن أبي الريبع ؟

(1) محمد حجي : ابن أبي الريبع مجلة المناهل.

(2) البسيط، ج 1 ص 157.

قلت : نعم. فقال : ذاك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفاته علينا أو معنى هذا. يريد شرحة لكتاب إيضاح الفارسي المسمى بالكاففي في الإفصاح. ثم قال لي : أقرأت عليه ؟ قلت : نعم. قال : وما قرأت عليه ؟ فقلت : ما يقرأ طلاب العلم والعربية. فاستفسرني فقلت : قرأت الجمل، والإيضاح، والكتاب فلما ذكرت الكتاب قال : اعبر إلى جانبي، فامتنعت. فعزم علي وأقعدني إلى جانبه، فجلست منضماً حياً منه، فقال : اجلس متسعًا، فجلست وقادني على الإقراء، فاختلست الكلام أثناء إقباله على من بين يديه من التلاميذ للإلقاء عليهم مع الذي كان عن يميني اختلاسًا. وقلت : من الشيخ ؟ فقال بها الدين ابن النحاس<sup>(١)</sup>.

### ب) البسيط في شرح الجمل للزجاجي :

وقد قام الأستاذ الدكتور عياد الشبيتي بتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً متقدماً. وتعني كلمة البسيط هنا : المبسوط، أي المطول، ذلك أن ابن أبي الربيع وضع شروحاً مختلفة في الطول والقصر على حمل الزجاجي أثناء تدريسه لهذا الكتاب الذي يعتقد النحاة بركته وانتفاع الطلبة به، ثم رأى أن يجمعها كلها في شرح واحد مبسوط "يضم ما فيها، ويجمع معانيها ويستوفيها. ويقول مجدداً منهجه في تأليف هذا الكتاب ولم أمر بلفظ مطلق إلا قيده، ولا ناقص إلا كملته. ولا مغلق إلا شرحته، ولا اعتراض إلا أزلته، ولا شاهد إلا أوضحته، ولا بيت إلا نسبته، على حسب علمي، ومنتهي فهمي، وسميته البسيط، وتجانست فيه عن الإفراط والتغريط...".

### ج) كتاب الكافي في الإفصاح عن نكت كتاب الإيضاح :

يقع في أربع مجلدات مازالت مخطورة وتوجد منه نسخة كاملة بالزاوية الحمزاوية وهو من أكثر كتب ابن أبي الربيع انتشاراً وأفاد منه متاخرو النحاة مثل أبي حيان، وابن هشام، والسيوطى.

وقد نقل منه الدكتور محمد حجي مسائل في التذكير والتأنيث، وأورد ما فيه الوجهان، كلمات مثل : الهدي واستدل ابن أبي الربيع على تذكيره بقوله تعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ (آل عمران - الآية 72) ومنها : المتن، ومن أدلة ثائريه قوله الشاعر :

ومتنان خططاتان كزحلوف من الخطيب

(١) نقلأً عن محمد حجي، المقال المذكور.

وكذلك القفا، وقد أنكر الأصممي التذكير. وقال أبو زيد إنها قد تؤثر وأنشد الفراء :

وَمَا الْمُولَىٰ وَإِنْ عَرَضْتَ قَفَاهُ  
بِأَحْمَلِ الْمُحَامِدِ مِنْ حَمَارٍ

وكذلك : السلم، والدرع، وتصغر بغير تاء، ومنها أيضا السوق والصاع.

#### د) القوانين النحوية :

لم يكتب ابن أبي الربيع مقدمة لهذا الكتاب، وإنما بدأه توا . بعد البسمة والصلة على الرسول الكريم . بذكر الأحكام النحوية، على نحو ما فعل سيبويه في الكتاب، وتتحدد موضوعات القوانين النحوية وكتاب سيبويه أو تتقرب منذ البداية، لكن قارئ القوانين يجد في عبارات ابن أبي الربيع من الشرح وحسن السبك والعرض والاستشهاد والتثليل ما لا يجده في كتاب سيبويه، الأمر الذي يشجعه على المضي في القراءة ولو لم تكن له تلك الملة النحوية التي لا يستطيع بدونها قراءة الكتاب والاستفادة منه. وهكذا نقرأ في أول القوانين. "الكلم" جمع كلمة، وهي اللفظة الدالة على معنى، وهي تنقسم ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف.

فالاسم ما جاز من جهة تصور معناه أن يسند ويستند إليه. وقد يوجد اسم مما رفضت العرب الإسناد إليه فلا يخرجه ذلك على أن يكون اسمًا. لأنك إذا نظرت إلى حقيقته وجدتها لا تضاد الإسناد إليها: ألا ترى أن سبحان من قوله سبحان الله لم تستند إليه العرب ولم تستعمله إلا مصدرا منصوباً بفعل لا يظهر، وإذا نظرت إليه وجدت معناه معنى براءة، فكما يصبح الإسناد إلى براءة يصبح الإسناد إلى سبحان. وللاسم خواص يعرف بها، منها الأنف واللام، والتنوين. والثنائية. والجمع، ودخول حرف الجر، والتصغير، وغير ذلك مما يذكر في أبوابه.

وأما الفعل مما يقتضي من جهة وضعه أن يسند إلى غيره ولا يسند غيره إليه. وإن جاء فعل قد أسنده إليه في اللفظ فهو بالحقيقة مستند إلى الاسم. ألا ترى أن قول العرب "تَسْمَعُ بِالْمُعْبَدِي خَيْرٌ مِّنْ أَنْ تَرَاهُ" ، كذلك : "فَخَيْرٌ" في اللفظ مستند إلى تسمع. وهو في الحقيقة إلى السماع. وكان قياسه : أن تسمع بالمعبدى خير من أن تراه. كما قال تعالى : «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ» (البقرة - الآية 183). ثم أن العرب حذفت "أن" لأنه مثل ، والعرب تضع الأمثال على التغيير كثيراً. وممّا حذفت أن ارتفع الفعل، هذا هو القياس، إلا في مواضع يأتي بيانها في بابها إن شاء الله.

"وأما الحرف فكل ما جاء لمعنى في غيره ولا يمكن من جهة وضعه أن يسند ولا يسند إليه. وبأي الصرف لمعنى في الاسم، ومعنى في الفعل، ورابطًا بين اسمين، ورابطًا بين فعلين، وبين اسم وفعل. ورابطًا بين جملتين ..."<sup>(1)</sup>.

هـ) مذهب النحوين ومنظورته مع ابن المهرج :

إننا لن نعيد الكلام عن آراء ابن أبي الربيع، إذ سبق أن قدمنا منها مقتطفات في  
أثناء الحديث عن ابن الطراوة والشلوبين. وقد كان الجزء الأول من كتاب البسيط هو المصدر  
الذي أخذنا منه تلك النقول. ونعتقد أنه فيها يظهر نهج هذا العالم الذي أخذ على نفسه  
الدفاع عن مذهب سيبويه في الكتاب، وتهذيب الزجاجي في الجمل، وتقريب أبي علي  
الفارسي في الإيضاح. والتزامه بآراء هؤلاء الأئمة الثلاثة، ووفاءه للأستاذ الشلوبين، حمله  
أن يعارض بقوة اتجاه ابن الطراوة الذي لم ترق له كتابات الفارسي، فانتقد منها كتاب  
الإيضاح نقداً شديداً.

و سنكتفي بإيراد مناظرته مع ابن المدخل في حكم "كان ماذا" و سنرى من خلالها منهجه في الجدل و موقفه من الاستشهاد بالحديث و نلاحظ أنه في الجزء الذي نشر من كتاب البسيط، لم يستشهد إلا بنحو اثني عشر حديثاً، و جل ما أورده على سبيل الاستثناء، لا على إقرار الحكم. والذي يبدو أنه يختار من الرواية تلك التي تتوافق جمهور النعامة مثل ما قال في معرض حديثه : "لولا قومك حديثو عهد بـكفر" ، فإنه رجح الرواية القائلة : "لولا حدثان قومك بالـكفر" <sup>(١)</sup> ، التي توافق القاعدة المعروفة في حذف الخبر بعد لولا، وهذا ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه يميل إلى مذهب ابن الصانع المعروف عنه استبعاد الاستشهاد بال الحديث.

ومناظرته مع مالك المرحل، حول : "كان ماذا" تأتي تقوية لهذا الاتجاه، وهي أن ابن أبي الربيع بلغه قول ابن المرحل :

حق وإن جعل النصيحة يصبح  
إذا عشقت يكون ماذًا، هل له  
فيه قضاء لا، ولا كفارة

أنكر ابن أبي الربيع قول : "يكون ماذا" ، نثراً ونظمًا فقال :

(١) محمد حجم، المقال السابق.

ولم يجد ابن المرحل، وهو الشاعر المفلق صعوبة في الجواب، فقال :

وانطلقت من هذا الخلاف مناظرة مشهورة، أوردها العلامة المرحوم عبد الله كنون في كتاب النبوغ المغربي، وفي جواب ابن المرحل المسمى بالرمي بالحصى والضرب بالعصا، استدل على صحة استعماله بجموعة من الشواهد. ثم استطرد موقف ابن أبي الربيع منها ومن هذه الشواهد قول حاربة :

فُعَاتِبُوهُ فِذَابُ شَوْقًا  
وَمَاتُ عَشْقًا، فَكَانَ مَا ذَهَبَ  
وَقُولُ الشاعر :

فعدك قد ملكت الأرض طرأ ودان لك العباد فكان ماذا؟  
فقال ابن أبي الربيع إن هذا كله لحن، ولا يحتاج به.

واستشهد ابن المرحلي بما ذكره أبو علي البغدادي في الذيل، بقصة جمعت بين سعيد ابن المسيب ونوفل ابن مساحق، فقال له ابن المسيب يا أبو سعيد من أشعر : أصحابنا أم صاحبكم ؟ فقال ابن مساحق حين يقول ماذا ؟

كما استدل بقول **بنيّة** لابن الرقاع، سألت الشعراً، حين قرعوا باب أبيها قائلة،  
وتريدون ماذا ؟ فقالوا نهاجي أباك، فقالت :

**تجمعتم من كل أوب ووجهة على واحد لازلت قرن واحد**

وأورد ابن المرحل قول عبد الملك بن مروان خالد بن زيد بن معاوية لما قال له :  
بلغني أن الحجاج تزوج إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم ، فغضب عبد الملك وقال كان  
ما ذا .

وأنكر ابن أبي الربيع الاستشهاد بمرويات أبي علي البغدادي كما دفع أدلة أخرى  
نقلت عن ثعلب وابن قتيبة والزبيدي وأبي الفرج الأصفهاني غير أن ابن المرحل عمد على  
تقوية جانبه بحديث أم حبيبة حين قالت للنبي ﷺ هل لك في بنت أبي سفيان، فقال أصنع  
ماذا؟ وقول ابن المرحل أن هذا الحديث المتفق عليه، وضع ابن أبي الربيع في أمر عظيم  
فوقع في مقعد مقيم فنظر ورأى طرقه تجتمع في هشام بن عروة بن الزبير فقال : هذا نقله  
بالمعنى وقد لحن فيه وذكر جواز نقل الحديث بالمعنى، وذكر أن أمه كانت أمة، وأن اللحن  
طراً عليه من قبلها، واستدل ابن أبي الربيع بما رواه مسلم عن ابن عتيق أنه قال تحدثت أنا  
والقاسم عند عائشة وكان القاسم رجلاً لينا وكان لأم ولد فقالت له عائشة مالك لا تتحدث

كما يتحدث ابن أخي هذا، ثم قالت أما أني علمت من أين أتيت، هذا أدبته أمه، وأنت أدبتك أمك. والذي نستخلصه من هذا النقاش أن ابن أبي الريبع يقف في صف من يتشدد في الاستشهاد بالحديث متذرعا بجواز الرواية بالمعنى، وإن بعض الرواة كانوا يلحنون في النقل<sup>(1)</sup>.

ونختم القول في شأن هذه الماناظرة بقول أبي حيان "إن السنة الشعراء حداد وإلا فلا نسبة بين أبي الريبع وابن المرحل فإن ابن أبي الريبع ملأ الأرض نحو"<sup>(2)</sup>، وقد استعرضنا في الحديث عن ابن الطراوة والشلوبيين وابن أبي الريبع نفسه ما يثبت قوله أبي حيان هذه.

---

(1) راجع عبد الله كتون: النسخ المغربي .

(2) بغية الوعاة 2/171.



### **القسم الثالث**

**مدرسة ابن مالك النحوية  
عصور التثبيت والتصحيح**



## الباب الأول

# ابن مالك : شيخ المدرسة

### 1. دراسته ونشيئته :

ليس من الضروري أن نبسط القول في ترجمة جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني، فيكتفي أن نذكر بنشأته في الأندلس، ففي جيان ولد في مستهل القرن السابع، ثم غادرها بعد ما ناهز الثلاثين من عمره، فولى وجهته الشرق، وتردد بين مصر ودمشق التي طاب له المقام فيها إلى أن توفي سنة اثنين وسبعين وستمائة. ملأ ابن مالك قرنه علماً وشهرةً. فكان المنتهي في علوم اللغة ورواية الإشعار، عارفاً ب بدونات أئمة النحو، إماماً في القراءات، ملماً إماماً كبيراً بالحديث. قضى حياته أجمعها في التدريس، والتأليف، وفي التعلم، لم ينقطع عنه، حتى يوم وفاته.

كانت ينابيع ثقافته تمثل في استيعاب أمهات كتب النحو القديمة، مثل كتاب سيبويه وشرحه، ومسائل الأخفش، ومؤلفات المبرد، وأصول ابن السراج، وجمل الزجاجي، ونتائج الفكر للسهيلي، ومقدمة الجزولي التي شرحها، وألفية ابن معط التي عارضها، هذا على سبيل المثال لا الحصر. ولم تكن ثروته العلمية الهائلة حصيلة دراسته في الكتب فحسب، بل إنه سمع من كبار الشيوخ، وسمع منه نبهاء الطلبة. ففي الأندلس، درس على ثابت بن خيار الكلاعي<sup>(1)</sup>، وتتفق المصادر أن ثابتأً هذا أخذ القراءات على أبي العباس أحمد بن نوار<sup>(2)</sup> وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله بن مالك الميرتلي، كما أن ابن مالك جلس فترة قصيرة في حلقة الشلوبيين، وفي الشام سمع

(1) ثابت بن محمد بن خيار الكلاعي المتوفى سنة 628، ترجمته في ابن الآبار التكميلة، ج 1 ص 236.

(2) أحمد بن نوار الأنصاري ترجمته في التكميلة، ج 1 ص 87.

من أبي صادق بن صباح<sup>(1)</sup>، ومن مكرم بن محمد بن حمزة القرشي<sup>(2)</sup>، ولازم ابن يعيش الحلبي<sup>(3)</sup> مدة طويلة.

ولم تسعفنا المصادر التي اطلعنا عليها بتاريخ رحلة ابن مالك في الأندلس إلى المشرق، سوى ما ذهب إليه شوقي ضيف أنها كانت حوالي سنة 630 هـ<sup>(4)</sup>، وإذا كان هو المعنى بقول القسطي، في عد شراح الجزوئية "وشرحها شاب نحوى من أهل جيان متصرد بحلب لإفاده هذا الشأن فجمع فيه بعض هؤلاء المقدم ذكرهم وأحسن في الإيجاز"<sup>(5)</sup>، فمعنى ذلك أنه قد رحل إلى المشرق في حياة القسطي .

وهكذا جمع الإمام ابن مالك بين التبحر في اللغة والنحو، واستيعاب أقوال أئمة المذاهب في المشرق والمغرب، فاستطاع ببراعته أن يجعل من هذا الجمع مزيجاً متناسقاً ومتوازناً، ومتميزاً. فعرف قدره في حياته وذاع صيته، وتقلد مناصب علمية عالية منها مشيخة المدرسة العادلية وأخذ عنه علماً، عصره ودرس عليه نحويون كبار، أمثال ابنه بدر الدين، وبهاء الدين ابن النحاس، وأبي بكر المزي، وأبي الثناء شهاب الدين محمود الحلبي. وألف كتاباً ملأ الدنيا وشغل الناس إلى اليوم.

## 2. مؤلفاته:

إن من أكثر مؤلفات ابن مالك شهرة، وأوسعها انتشاراً ثلاثة وهي الكافية الشافية، والخلاصة، وتسهيل الفوائد وتكثيل المقاصد. وكل واحد من هذه الثلاثة يعبر عن مرحلة خاصة من مسيرة ابن مالك العلمية. كان أول ما كتب منها الكافية الشافية، وهي موسوعة شاملة للمعلومات التي جمعها من دراسته الواسعة، وقد نظمها في ألفين وسبعمائة وخمسين بيتاً ونيف. ثم بعد ما شرحها انتقى منها ألفيتها المشهورة، فجاءت خلاصته تهدياً تطبيقياً، وعملاً تربوياً يقدم إلى الطلاب ما لا يسع جهله من النحو، دون أن يشق عليهم بتشعب الآراء، وفروع الاختلاف، ويرشدhem إلى طرق استعمال اللغة استعمالاً صحيحاً، وإلى التبصر بإعرابها المندرج تحت المعاني. فاعتمدها جمهور

(1) عبد العال سالم مكرم : المدرسة النحوية في مصر والشام، ص 154.  
(2) المصدر والصفحة نفسها.

(3) أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش الأسدى الموصلى الأصلى الحلبي المولد والنشأ (634-559)، من كبار أئمة العربية، وشرحه لفصل الزمخشري من أمهات الكتب النحوية المعتمدة، ترجمته في ابن خلkan ونبات الأعيان ج 7 ص 46، وبغية الوعاء ج 2 ص 351.

(4) المدارس النحوية، 309.

(5) أباه الرواة، ج 2 ص 379.

الدارسين، واستبدلها الناس بكتاب سيبويه، وبجمل الزجاجي، وباياض الفارسي، وبمقدمة الجزولي. فانتشرت في جميع الأصنفاع وصمدت على مر العصور.

وبعدما نظم ابن مالك الكافية لنفسه، والخلاصة للطلاب، ألف التسهيل للعلماء.

ويقال إنه قد لخصه في مؤلف سابق له، اسمه الفوائد، وإن كتاب الفوائد هذا الذي عنده سعيد الدين العربي العوفي بقوله :

إن الإمام جمال الدين فضله  
إلاهه ولنشر العلم أهله  
أملی كتاباً له يسمى الفوائد لم  
يزل مفيداً لذی لب تأمله  
فكل مسألة في النحو يجمعها  
إن الفوائد جمع لا نظير له<sup>(1)</sup>

وأهمية كتاب التسهيل تكمن في كونه يمثل الآراء الأخيرة والنهائية لابن مالك. إنه ثمرة فكره، وحصيلة عمره، فتح به آفاقاً واسعة للنحوين من بعده ليراجعوا النظر في تثبيت القواعد النحوية، وليعيدوا صلاتها مع مقتضيات الاستعمال اللغوي.

اعتبر العلماء كتاب التسهيل مثل كتاب سيبويه. فيقول عنه أبو حيان في البحر المحيط إن "أحسن موضوع في علم النحو، وأجله كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياني الطائي المقيم في دمشق"<sup>(2)</sup>. وعبارة أبي حيان كانت دقيقة في وصف التسهيل بأنه مختصر جامع. ولهذا كان موضوع اهتمام خاص من طرف كبار النحوين. فقد ارتكز عليه أبو حيان نفسه في عدة مصنفات تدور حوله. وهي التكميل في شرح التسهيل، والتخييل الملخص من شرح التسهيل، وهو تلخيص لشرح المؤلف، والكتاب الثالث وهو أهمها، وأكثراها جمعاً واستيعاباً، أعني التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ويكفيه ضخامة أن كتاب ارتشاف الضرب ليس إلا اختصاراً له.

ثم تناظر العلماء بعد أبي حيان في الاعتناء بالتسهيل وشرحه، فكان من أشهر شراحه محمد ابن أحمد بن قدامة الحنفي (ت 744هـ)، ويدر الدين الحسين بن قاسم المرادي (ت 749هـ) وجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت 761هـ) وبهاء الدين عبد الرحمن ابن عقيل (ت 769هـ) ومحي الدين الحلبي المعروف بناظر الجيش (ت 778هـ)، ويدر الدين محمد ابن أبي بكر ابن الدمامي (ت 873هـ)، ومحمداً لمراقب الدلائي (ت 1089هـ).

(1) انظر المراقب الدلائي : نتائج التحصيل، ج 1/77.

(2) البحر المحيط، ج 1 ص 106.

فإذا كان كتاب سيبويه ظل المرجع الأساسي للدراسات النحوية طيلة خمسة قرون، فإن كتاب التسهيل، احتل مكانته من الاهتمام، وهذا ما يفسر المقارنة التي ذكرها أبو حيان في كلامه عن هذين الكتابين. وإذا كان "الكتاب" قد دون المعرفة النحوية والصرفية في عصره، فإن التسهيل قصد استيفاء أصول هذه المعرفة، والاستيلاء على أبوابها وفضولها، وفقاً لمرامي مؤلفه.

سبعة قرون مرت، وما زلتنا مع ابن مالك، ولنا أن نتساءل عن سر نجاح النموذج النحوي الذي اصطفاه هذا الإمام، وما هي العوامل التي كتبت له الثبات والاستمرار. فقد يتبدّل إلى الذهن أنها نتيجة منهجه العام في التحرر من القيود المذهبية وسعة باعه في اللغة العربية التي مد آفاق السماع فيها بالحديث وبمروياته الشعرية الكثيرة مع سلامة ذوقه في الاختيار والتعبير، وتوخي الوضوح والضبط في المقاييس والأحكام في عمله فكان عملاً وسطاً قریب المأخذ سهل التناول تجنب غموض أبنية سيبويه وافتراضات البرد وتفریعات أبي علي الفارسي، وفلسفة الرمانی وتنظيرات ابن جنی وتحاليل السهيلي، وتقنيات أبي موسى الجزوی.

### 3. منهجه :

إن من أهم ما استحدثه ابن مالك في النحو توسيع دائرة السماع باعتماده على لغة الحديث الشريف. وهو عمل لم يسبق إليه، وفي هذا المجال أضاف ابن مالك إلى النحو أساساً جديداً، مثل ما فعل الكوفيون في اعتبارهم لللغات لم يأخذها البصريون في الحسبان. ولم يكن عمل ابن مالك هذا تقريراً اعتباطياً، لأنه برهن على أن جميع الصيغ الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة، لها شواهد منأشعار العرب الذين أجمع النحويون على الاستشهاد بهم، وكأنه بهذا يرد على أولئك الذين جاؤوا من بعده ينكرون عليه الاستشهاد بالحديث بذرية جواز روايته بالمعنى، ويكون أكثر رواته من الأعاجم. وفي كتابه المسمى بالتوضيح والتصحيح لشواهد الجامع الصحيح رد علمي وعملي على المخالفين في صحة عربية مختلف روایات الحديث.

وفي مجال القياس اتخذ الإمام ابن مالك طريقاً وسطاً، بين تساهل الكوفيين وتشدد البصريين، وجعل للقياس ضوابط، يمكن استقرارها من اختياراته على النحو التالي :

#### أ) القياس :

فالقياس عنده عمل تطبيقي، لا يستلزم التعلييل. فحينما تقرر القاعدة العامة، وتتضمن تفاصيلها في التعبير اللغوي، يتبه ابن مالك على جواز القياس على نظير هذا التعبير، فكل نكرة موصوفة جاز الابتداء بها، "وليقس ما لم يقل"، وكل فعل على وزن

قدس فقياس مصدره التقديس. وكل اسم فاعل أو مفعول ابتدأ به يعتبر معموله المرفوع فاعلاً أغنى عن الخبر إذا ورد بعد الاستفهام. "وقس وكاستفهم النفي".

ومن ضوابط القياس، أن تبني قاعدته على استعمال فصيح وشائع، ثم يذكر ابن مالك ما يقاس عليه وما يمتنع عليه القياس ومنه اللغة الخاصة بأناس معينين ومنه أنواع الشذوذ، والضعف.

فمن أمثلة اللغات التي لا يمكن القياس عليها إعمال "ما" عند الحجازيين، وإتباع المستثنى المنقطع عند تقييم، وفي درجة أدنى، قد لا يعاد استعمال "القول" بمعنى "الظن" وهي لغة سليم، وانقلاب ألف المقصور يا، وهي لغة هذيل. ومن اللغات المسموعة التي لا يجوز القياس عليها لندرة الاستعمال كسر نون الجمع مثل قول الشاعر :

عِرْفَنَا جَعْفَرَا وَبَنِي أَبِيهِ  
وَأَنْكَرْنَا زَعْنَافَ آخَرِينَ  
إِلَيْرَامَ الْمُثْنَى الْأَلْفَ، مُثْلِّ قُولَهُ :  
إِنْ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا  
قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا  
وَهِيَ لِغَةُ حَارِثَيَّةٍ.

وتعرض للشذوذ في اللغة، فيقول في باب التحذير والإغراء من ألفيته :  
وَشَذْ إِيَّاِيْ وَإِيَّاهَا أَشَذْ  
وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مِنْ قَاسِ اَنْتَبِدْ

فالشذوذ عنده يتفاوت، وقد سمع من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إيّاِيْ أَنْ تَخْذُفَ الْأَرْبَبْ"، وهو شاذ لا يقاس عليه، ولكن أشد منه، أن يضاف "إيّا" إلى "ضمير" الغائب، فقد زاد على الاستعمال الأول بتحذير الغائب، ويقسم شارحو الألفية الشذوذ إلى نوعين، أحدهما شائع والآخر نادر، فمن الشاذ المستعمل : جمع أرض على أرضين، وجمع فارس على فوارس، ومن الشاذ النادر حذف تاء التائيث، في تصغير حرب، وتصغير عيد، بعييند، وزيادة ياء النداء مع اللام وجمع نائم على نيام.

وما لا يقاس عليه الضعف في الاستعمال، ومن أمثلته، تضمن الجامد معنى المشتق وإعطاءه حكم الصفة المشبهة باسم الفاعل. فيقول ابن مالك في الكافية.  
وَضَمِنَ الْجَامِدَ مَعْنَى الْوَصْفِ وَاسْتَعْمَلَ اسْتَعْمَالَهُ بِضَعْفِ  
كَانَتْ غَرِيَالِ الإِهَابِ وَكَذَا فَراشَةُ الْحَلْمِ فَرَاعَ الْمَأْخَذَا  
وَهُوَ يُشَيرُ إِلَى اسْتَعْمَالِيْنِ فِي قُولِ الشَّاعِرِ :  
فَرَاشَةُ الْحَلْمِ فَرَعُونُ الْعَذَابِ وَإِنْ تَطْلُبَ نِدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ

وفي قوله :

فلولا الله والمهر المفدى لأبْتَأْتَ وَأَنْتَ غَرِيَالُ الإِهَاب

ومن الضوابط التي أوضحها ابن مالك في القياس، قوله إن الضرورة تختص بالشعر، بحيث لا يجد الشاعر مندوحة عما قال، وتبعاً لهذا الرأي فإنه لم ير من الضرورة قول القائل :

ما أنت بالحكم الترضي حكمته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل  
إِنَّمَا اعْتَبَرُهَا مِنْ قَبْلِ النَّادِرِ فَقَالَ :

وَصَفَةُ صَرِيعَةِ صَلَّةِ أَلِّ وَكُونُهَا بِمَعْرِبِ الْأَفْعَالِ قَلْ

وهنا كانت للشاعر مندوحة عن هذا الاستعمال، بقول : "المرضى" وقد اعترض عليه هذا الرأي بأن كل ضرورة يمكن إزالتها بتركيب آخر. غير أنه قد يكون المراد عنده بالمندوحة ما يتadar إلى الذهن من العبارات التي يسهل استحضارها.

### ب) التعليل :

وفيمما يخص التعليل، فإن ابن مالك لم يتكلف استخراج علل بعيدة للقواعد النحوية، فهو في هذا المجال أقرب إلى المنهج اللغوي، وإلى السليقة العربية، وكان أكثر ما يعلل به أحکامه، إفاده الخطاب والابتعاد عن اللبس في المعنى، والتناسب في الأنفاظ.

فإذا ظهرت فائدة القول يجيز لك ما ظاهره المنع، وحينئذ لا مانع من الإخبار باسم الزمان عن المبتدأ ولو كان جثة، ولا من الابتداء بالنكرة، ولا من توكيدها. ففي هذه المسائل يقول في بابي الابتداء والتوكييد :

عن جثة وإن يفدي فأخبرا ولا يكون اسم زمان خبرا  
ما لم تفدي كعند زيد نمره ولا يجوز الابتداء بالنكرة  
وعن نحاة البصرة المنع شمل وإن يفدي توكييد منكور قبل

وإذا ما أمن اللبس في الخطاب، فلنك أن تتصرف في الكلام بالحذف، أو استبدال عامل بغيره، ومن أمثلته حذف النعت والمنعوت إن عقلاً، إذ يقول في باب النعت :

وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفي النعت يقل

وإباحة حذف ما يقع منه التعجب إن كان المعنى واضحًا، وأشار لذلك بقوله في باب

التعجب :

وحذف ما منه تعجبت استبعـ إن كان عند الحذف معناه يضـ

ومنها إسقاط همزة التسوية في العطف إن أمن اللبس في المعنى :

وريماً أـ سقطت الـ هـ مـ زـ ةـ إنـ كانـ خـ فـاـ المـ عـ نـ يـ بـ حـ ذـ فـ هـ آـ مـ

مثل قول الشاعر :

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا سبـعـ رـمـينـ الجـمـرـ أـمـ بـشـمـانـ

ومن ذلك أيضًا حذف الفاء مع ما عطفت، في نحو قوله تعالى : ﴿فَأُوحِينَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَمِ الْبَحْرِ فَاقْفَلْ﴾ (الشعراء - الآية 63). فالسيق يدل على حذف : "فضرب". وقد تكون الواو كالفاء في هذا الحكم، مثل قول الشاعر :

كـيفـ أـ صـبـحـتـ كـيفـ أـ مـسـيـتـ مـاـ يـورـثـ الـ وـدـ فـيـ فـؤـادـ الـ كـرـيمـ

أما استبدال العامل بغيره، فنراه في قوله في مجبيه "أو" بمعنى الواو في العطف،  
إذ يقول :

وريماً عـاقـبـتـ الـ سـواـوـ إـذـ لـمـ يـلـفـ ذـوـ النـطـقـ لـلـبـسـ مـنـفـذـاـ

ويتنـعـ هـذـاـ الـاسـبـدـالـ إـذـ أـدـىـ إـلـىـ الـلـبـسـ،ـ كـمـاـ أـوـضـحـ،ـ فـيـ منـعـ التـنـديـةـ باـسـتـعـمالـ "ـيـاـ"  
إـذـ لـمـ يـكـنـ الـمـعـنـيـ وـاضـحـاـ،ـ فـقـالـ :

وـالـهـمـزـ لـلـدـانـيـ وـ"ـوـاـ"ـ لـمـنـ نـدـبـ أوـ "ـيـاـ"ـ وـغـيـرـ "ـوـاـ"ـ لـدـىـ الـلـبـسـ اـجـتـنـبـ

وقد عـلـلـ بـالـتـنـاسـبـ صـرـفـ ماـ يـتـنـعـ صـرـفـهـ قـيـاسـاـ،ـ وـإـمـالـةـ بـعـضـ الـكـلـمـاتـ بـلـ دـاعـ  
غـيرـهـ فـقـالـ :

وـلـاـ ضـطـرـارـ وـتـنـاسـبـ صـرـفـ ذـوـ المـنـعـ المـصـرـوفـ قـدـ لـاـ يـنـصـرـفـ

وـقـدـ أـمـالـواـ لـتـنـاسـبـ بـلـاـ دـاعـ سـوـاهـ كـعـمـادـاـ وـتـلـاـ

#### 4. أسلوبه :

أما منهجـهـ الخـاصـ فـيـ عـرـضـ آـرـائـهـ،ـ وـبـالـخـصـوصـ فـيـ الـخـلاـصـةـ،ـ فـإـنـهـ يـتـازـ بـالـدـقـةـ فـيـ  
الـتـنـظـيمـ وـفـيـ إـحـکـامـ التـصـمـيمـ،ـ فـفـيـ أـغـلـبـ الـأـبـوـابـ.ـ يـعـرـفـ بـعـنـوانـ الـبـابـ الـذـيـ يـعـالـجـهـ وـبـيـنـ  
حـکـمـ إـغـرـابـهـ كـأـنـ يـقـولـ مـثـلـاـ :

الـحـالـ وـصـفـ فـضـلـةـ مـنـتـصـبـ مـفـهـمـ فـيـ حـالـ كـفـرـداـ أـذـهـبـ

ثم يبين بعد ذلك أحكام هذا الإعراب وعوامله ووضعه في الكلام ويتلئ ذلك بيان الوضع اللغوي مثل أحكام التقديم والتأخير، والإضمار والمحذف، وعادة تأتي أحكام المحذف في آخر الباب. ثم يختتمه بالتنبيه على أن ما لم يذكره، يجب الاقتصار فيه على السماع، أو أن غير ما أورده يحسب من الضرورات أو اللهجات الخاصة، مثل قوله :

ونادر أو ذو اضطرار غيرما ذكرته أو لأناس انتمى

وامتاز أسلوبه في الخلاصة بشيئين مما على طرفي نقىض، وهما السلامة والبالغة في الاختصار. وقد ساعدته جودة النظم على تفادي التعقييدات التي تلازم الاختصار، وتتجلى هذه الجودة في الطابع الفني الذي اتسم به هذا النظم، حتى سهل تذوقه وحفظه على جمهور الدارسين.

لقد كان من الطبيعي أن نقدم في هذا الفصل دراسة أكثر شمولًا عن هذا الإمام الجليل، وإذا كنا لم نقم بهذه المحاولة، فذلك لسببين اثنين أحدهما أن آراء هذا العالم، ومنهجه في النحو وأسلوبه، كل ذلك معروف عند العام والخاص، إذ كل ما قيل من بعده في النحو مضان إليه، مباشرة أو بواسطة أتباعه، وكما يقول هو :

وعلقة حاصلة بتابع كعلقة بنفس الاسم السوافع

ها هي باختصار المعالم العامة لمدرسة هذا الإمام الجليل، ولقد ثبتت أصول هذه المدرسة، وفت فروعها في أرجحية الجوامع المصرية، وأينعت أزاهيرها في حدائق الزوايا المغربية، وطابت ثمارها في حواضر شنقيط ومحاظرها، وهذا ما سنراه في الفصول الآتية.

## الباب الثاني

# نحو ابن مالك في المدارس المصرية

### 1. نحو الفقهاء في موازاة نحو ابن مالك :

بعد سقوط بغداد وتالي النكبات على الأندلس، استقطبت مصر مجموعة من علماء النحو، أمثال ابن مالك وأبي حيان، نشروا معارفهم، وكتبهم، وبرز من بين أتباعهم مجموعة من أكابر التحويين، أمثال ابن هشام، والمرادي وابن عقيل، وجمال الدين الأنسني، وابن ناظر الجيش.

ثم ظهرت من بعدهم طبقة الدماميني، والسيوطى والأشمونى. وبهؤلاء استكملت مدرسة ابن مالك صورتها النهاية، التي انتقلت فيما بعد إلى الحواضر الغربية، والمحاظر الشنقيطية.

ومن أهم ميزات هذه المدرسة الجديدة، ارتباك دراساتها على أصول ابن مالك، عن طريق أعمال أبي حيان، وبروز ظاهرة التفسير النحوى للقرآن الكريم عنده ومحاولة تطبيق القواعد النحوية على الأحكام الفقهية، مثل ما قام به الأنسني والقرافي والسيوطى، والاهتمام من جديد بالأدوات النحوية، والنظر في الجملة العربية وبنراكيب الجمل، عند ابن هشام، والتتوسع في الفروع عند شروح المختصرات، وتطور الأنظام النحوية فيها إلى قصائد شعرية، فكان من خصائصها أيضاً أن جل نحاتها أولوا باع طويل في سائر العلوم الشرعية، فبرز منهم موسوعيون وقضاة مثل أبي حيان وابن عقيل..

وللتوضيح بعض هذه الجوانب سوف نعطي بهذه المناسبة لحة عما يمكن أن نطلق عليه "نحو الفقهاء".

لقد سبق أن رأينا أن نحاة الكوفة تيزوا بالنزعة إلى شمول المعارف، وليس غريباً أن يكونوا قراء أو لغوين لما بين هذه العلوم من صلات وثيقة، ولكنهم كانوا أيضاً مشاركين في العلوم الشرعية الأخرى. ولقد كان الكسائي قارئاً، وكان القراء مهتماً بالتفسير وروي مثلاً عن ثعلب حفظه للحديث، وربطه للصيغ النحوية بالأحكام الفقهية، وفي القرن الرابع

الهجري، سلك المصريون نفس الطريق، لأن الثقافة الإسلامية أصبحت وحدة تشمل علوم القراءات والتفسير، والحديث والفقه والأداب، وهذا ما لخصه ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء. ولعل المثال الأوضح في هذا هو ابن قتيبة نفسه ثم رأينا أن الزجاجي حاول أن يجاوز الجمع بين الفقه والنحو، ليخرج بينهما عن طريق توحيد المنهج الأصولية.

وهي الطريق التي سلكها ابن الأثري وجدها السيوطي من بعده، لكن الذي يدعو إلى الانتباه، هو نشأة ظاهرة متميزة يمكن أن نسميها "نحو الفقهاء".

إن من الطبيعي أن كل مثقف من علماء الإسلام يهتم بدراسة النحو لفهم الخطاب الشرعي؛ فالعلماء يحتاجون إلى إحكام إعراب القرآن والحديث، وأكثر علماء الإسلام درسوا النحو ودرسوه؛ وكثير منهم كتب فيه باعتباره آلة للتبصر في العلوم الدينية؛ وحينما نصل إلى القرن السابع والثامن، نلاحظ تطوراً في هذا الاتجاه أدى إلى بروز ظاهرة "نحو الفقهاء" وهي تحتاج إلى دراسة خاصة، لم نر فيها عملاً متداولاًً ما عدا ما كتبه محمد حسن عواد في دراسته لكتاب الأستاذ.

وليس لنا في نطاق هذا العمل أن نعرض تصوراً واضحاً عن هذه الظاهرة وإنما نكتفي بالإشارة إلى الملامح التي قد تساعد على معرفة خصائصها ورموزها. ولبيان ما يتميز به هذا الاتجاه، نرى أن من المعهود أن يدرس الباحث النحو ليعرف قواعد اللغة العربية، وتفسير القرآن الكريم، لكن الجديد أن الباحث يدرس النحو ليعرف الأحكام الفقهية، أو أن يصل عن طريق المنهج الفقهي إلى استنباط القواعد اللغوية.

وسوف نقتصر على مثالين هما جمال الدين بن الحاجب وأحمد بن إدريس القرافي.

### (أ) جمال الدين ابن الحاجب :

اشتهر جمال الدين ابن الحاجب (ت 646 هـ) بالفقه والأصول، وعرف العلماء مختصريه الأصلي والفرعي، ونالا حظوة بالغة عند الفقهاء والأصوليين ، ومع ذلك فقد كان عثمان بن عمرو بن الحاجب شاعراً مجيداً ونحوياً مبرزاً. لقد تلمذ على ابن منصور الأبياري وفيه يقول من جملة أبيات يمدح بها تلميذه ابن المنير ويذكر محاسن شيخه وهي :

مباحث ساكنني الاسكنديه  
 بكل غريبة كالعقبريه  
 وإخواناً لقيتهم سريه

لقد سئمت حياتي اليوم لولا  
 كأحمد سبط أحمد حين يأتي  
 تذكرني مباحثه زماناً

زماناً كان الا بياري فيه مدرسنا وتغبطنا البرية  
مضوا فكأنهم إما من نام وإما صبحة أضحت عشيه<sup>(1)</sup>

وقرأ ابن الحاجب القراءات على الإمام الشاطبي، وأخذ عنه شهاب الدين القرافي وناصر الدين بن المنير، ومن أهم كتبه في النحو الكافية المعروفة والتي شرحها رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي المتوفى سنة 686 هـ. كما شرح شافعيته في التصريف.

ويقول عنه شوقي ضيف أنه كان دقيق النظر وخاض في تعليلات كثيرة مستنبطاً منها ما لا يكاد يقف به عند حده، من ذلك تعليله ببناء الاسم بشبه الحرف من وجه واحد، ومنعه من الصرف بشبهه للفعل من وجهين لأن الشبه بالحرف يبعده عن الاسمية. ويعقد صلة بينه وبين ما لا يجانسه، بينما الشبه بالفعل قريب، ولذلك لابد من تعدد وجهه حتى يتبعد الاسم عن بابه، ويتساءل : لم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ولم يفعل ذلك في الموصول، ويجيب بأن الصفة تدل على الذات التي دل عليها الموصوف بنفسها باعتبار التعرّف والتنكير، لأنها تابعة للموصوف في ذلك، والموصول لا ينفك عن جعل الجملة التي معه في معنى اسم معرف، فلو حذفت لكانت الجملة نكرة واحتل المعنى<sup>(2)</sup>.

وما عرف من آرائه التي كاد ينفرد بها، أن مثل "غلامي" معرب مثل غلامه وغلامك، وأن الاستفهام لا يسوغ الابتداء بالنكرة منه إلا همزة الاستفهام المعادلة بأم مثل : أرجل في الدار أم امرأة<sup>(3)</sup> ؟ ومنها تخريجه للمسألة الزنبوية : فقال إن كلمة "إياها" منصوبة على الحال من الضمير في الخبر المعنون، فالالأصل "فيإذا هو ثابت مثلها"، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير، وانتصب في اللفظ على الحال على سبيل النية. وقال إن المعمولين الثاني والثالث "لأنباء" في نحو أنبياء زيداً عمراً فاضلاً، مفعول مطلق لأنهما نفس النبا. وقد انتقد ابن هشام هذين القولين<sup>(4)</sup>.

ونكتفي هنا بهذه الإشارة الموجزة من أعمال ابن الحاجب النحوية، ذلك أنها لم تنشر في نظام نحو ابن مالك، ولو أنها صارت مع شرح الرضي موسوعة ذات قيمة كبيرة في الدراسات النحوية، مثلها مثل شرح ابن يعيش للمفصل وكتاب الهمم للسيوطى.

(1) راجع الديجاج المذهب، في ترجمة ابن المنير.

(2) المدارس النحوية : 346-345.

(3) المدارس النحوية : 344 (عازياً للرضي).

(4) المدارس النحوية : 245 (عازياً للمعني والمعن).

## ب) شهاب الدين القرافي :

والفقير النحوي الذي اشتهر بعد ابن الحاجب، هو تلميذه أحمد بن ادريس القرافي الصنهاجي (ت 684 هـ) وقد برع بالفقه والأصول، واعتمد الفقهاء والأصوليون ذخирته وتنقيحه، ومن بدائع مؤلفاته كتاب أنوار البروق في أنواع الفروق، ومع ذلك فإن القرافي كان لغويًّا ونحوياً بارزاً، وله كتاب الخصائص في قواعد اللغة العربية، وكتاب الاستفهام في الاستثناء.

وهذا الكتاب الأخير من أجود ما كتب في بابه، ويقول عنه القرافي : "الهمني الله في الكتاب العزيز والستة النبوية، وأسمعني من أقواء العلماء، استثناءات غامضة تحتاج إلى بحث دقيق، ونظر أنيق فآثرت أن أجعلها أمثلة في أبواب هذا الكتاب. تكميلًا للفائدة بالقاعدة الكلية في نفسها، ولمعرفة البحث في خصوص ذلك المثال، حتى لا أكاد أترك استثناء، في كتاب الله عز وجل فيه غموض إلا لخصته وهذبته وبينته، تمثيلًا به في تلك الأبواب، وكذلك ما حضرني من السنة النبوية في ذلك إن شاء الله تعالى، فيعظم النفع بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى لما اشتمل عليه من النحو الجميل، والتفسير الجليل، والباحث الدقيقة، والمعاني الرشيقية، والقواعد العربية، والملاع الأدبية والأمثلة البارعة والأجرية النافعة، والمعادل الأصولية، والفوائد الفروعية"<sup>(١)</sup>.

في هذه الفقرة بين الكاتب منهجه، ومضامين كتابه، وقد قسمه إلى واحد وخمسين باباً، تناولت موضوع الاستثناء، واشتقاءه وحده، وأدواته، وإعرابه، وحذف الأدوات وتقديرها، والعطف عليه، وأحكام المتصل والمنقطع، وحكم الاستغراق، ومفهومه. والاستثناء من الاستثناء، والاستثناء من الصفات والأسباب والشروط، والموانع ومن المحال ومن البقاء والأزمة والأحوال، ومن مطلق الوجود، وفي الجمل المربوطة بالعطف. وخصص بابين للاستثناء من الأيمان، ومن الخلف بالطلاق وتناول في الباب الأخير من الكتاب ما سماه المؤلف الاستثناء من الأقارب (وجمع إقرار) وفيما يأتي نذكر أمثلة مما جاء في هذه الأبواب.

وضع المؤلف بين يديه آراء الأصوليين والنحاة في مسائل الاستثناء، وجعل يختار منها ما يعتقد أنه أجمع وأجود.

ففي حد الاستثناء، فضل قول فخر الدين الرازي في كتاب المحصل، وهو قوله : الاستثناء ما لا يدخل في الكلام إلا لخروج بعضه بلفظه، ولا يستقلُّ بنفسه.

(١) الاستثناء في الاستثناء : 10 .

وتابعه قائلاً : وهذا الحد الذي ذكره صاحب المحصول لم أر أحسن منه للأصوليين ولا للنحوة . ويزيد قائلاً : "اعلم ان الإخراج يندرج فيه الاستثناء والتخصيص بالصفة والغاية والشرط ، والأدلة المنفصلة العقلية والسمعية ، وقرائن الأحوال والعوائد ، والعطف بلا النسخ ، فينبغي أن تأخذ في الحد ما هو خصيص بنوع الاستثناء لا يشترك معه غيره فنقول : الاستثناء إخراج بعض الجملة ، أو ما يعرض لها من الأحوال والأزمنة ، والبقاء ، والمحال ، والأسباب ، بلفظ لا يستقل بنفسه مع لفظ المخرج .

"قولنا بعض الجملة ، نريد بعض الجزئيات ، نحو العدد والعموميات والأجزاء نحو رأيت زيدا إلإا يده ، ومثال الأحوال في قوله تعالى : ﴿لَتَأْتَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (يوسف - الآية 66) . والأزمنة : نحو صliftت إلا عند الزوال ، والبقاء نحو صliftت إلا في المزيلة ، والمحال مثل أكرم رجلا إلإا زيدا وعمرا وخالدا فإن كل أخص فهو محل لأعممه ، والأسباب نحو لا قوة إلا بالله أي لا قوة بسبب من الأسباب إلا بقدرة الله تعالى ومشيئته<sup>(11)</sup> .

ولقد بسط المؤلف الكلام على الاستثناء المفرغ ، واستعرض فيه أكثر من أربعين مثلاً جلها من آي القرآن الكريم ، أوضح فيها معنى التفريغ ، وأنواعه ، وإعرابه . فعند حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران ، الآية 144) ، قال : إن الاستثناء هنا مفرغ لتوسيطه بين المبتدأ والخبر . ولم يتم الكلام قبله وهذا هو معنى المفرغ<sup>(2)</sup> . وفسره في أمثلة ، وقع التفريغ فيها للمفعول : مثل قوله جل وعلا : ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ (البقرة - الآية 9) ، وقوله عز وجل : ﴿وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة - الآية 25)<sup>(3)</sup> . ومن أمثلة ما فرغ لل مجرور قوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿وَلَا تؤْمِنُوا إِلَّا مَنْ تَبَعُ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران - الآية 73)<sup>(4)</sup> . وقد يفرغ الاستثناء لتوسيطه بين المبتدأ والخبر ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مُتَّاعٌ الْغَرُور﴾ (آل عمران - الآية 185)<sup>(5)</sup> وبين الفعل والمفعول مثل قوله تعالى : ﴿فَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (النساء - الآية 84)<sup>(6)</sup> أو توسيطه بين اسم كان وخبرها ، مثل ما في الآية الكريمة : ﴿فَمَا كَانَ دَعَوَاهُمْ إِذْ جَاءُهُمْ

(1) الاستثناء في الاستثناء : 21-24.

(2) الاستثناء : 171.

(3) الاستثناء : 153 وص 155.

(5) الاستثناء : 164.

(6) الاستثناء : 174-175.

**بَاسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿الْأَعْرَافُ . الْآيَةُ ٥﴾** (١)، أو وقوعه بين الفعل المقدم والفاعل المؤخر مثل قوله تعالى : **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَوْمَنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾** (الإِسْرَاءُ . الْآيَةُ ٩٤) (٢).

ولقد اجتهد المؤلف في تحرير حد الاستثناء، المتصل والمنقطع. فقال إن النحاة والأصوليين يقولون : إن الاستثناء المنقطع ضابطه أن يكون ما بعد "إلا" من غير جنس ما قبلها .. نحو قام القوم إلا حماراً. وإن كان من جنسه فهو متصل نحو قام القوم إلا زيداً وهذا الضابطان باطلان لإجماع المفسرين على انقطاع الاستثناء في قوله تعالى : **﴿لَا يَذَوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتُ الْأُولَى﴾** وهو استثناء من الجنس، ومثله قوله جل وعلا : **﴿وَلَا تَأْكِلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ تَخَارَةً﴾** (النَّسَاءُ . الْآيَةُ ٢٩)، والمحكوم عليه قبل "إلا" ليس مغایراً في الجنس، وكذلك في قوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ أَنْ يَقْتَلُ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾** (النَّسَاءُ . الْآيَةُ ٩٢).

فالصحيح إذن، يقول القرافي : أن نقول "حد الاستثناء المتصل أن الحكم على جنس ما حكمت به أولاً" بنقيض ما حكمت أولاً، فمتى انخرم أحد هذين القيدين كان منقطعاً، فيكون حد المنقطع أن تحكم على غير جنس ما حكمت عليه أولاً، أو بغير نقىض ما حكمت به أولاً".

وتحrir ذلك بالمثال أنا إذا قلنا قام القوم إلا زيداً. فزيد من جنس القوم، وحكمت أولاً بالقيام وعلى زيد بعدم القيام وهو نقىض القيام. فهذا متصل. وإذا قلنا قام القوم إلا فرساً فالحكم، وإن وقع بالنقىض على الفرس الذي هو عدم القيام، لكن الفرس ليس من جنس القوم فكان منقطعاً.

وإن قلت قام القوم إلا زيداً مسافر، كان منقطعاً أيضاً لأنك حكمت على زيد الذي هو من الجنس، بغير النقىض الذي هو عدم القيام؛ بل بحكم آخر الذي هو السفر فحصل الانقطاع للحكم بـ"غير النقىض" الذي هو السفر للحكم غير الجنس. وبهذه الطريقة يظهر لك معنى الانقطاع في الآيات المتقدمة (٣).

ومن أطرف ما ذكره، كلامه في الاستثناء المشتمل على المتصل والمنقطع في كلمة واحدة. فقال : هذا الباب من الأبواب الغربية في النحو والإعراب، ولم أره مسطوراً لأحد، ولا رأيت أحداً تكلم عليه ولا ذكر إعرابه، وهو مشكل من جهة الإعراب، فإن الكلام إذا كان في سياق النفي، وما قبل "إلا" مرفوعاً، فإعراب ما بعد "إلا" الرفع على البدل،

(١) الاستفنا ، 191.

(٢) الاستفنا ، 221.

(٣) الاستفنا ، 295-297.

فيتعينُ في تلك الكلمة الواقعة بعد "الا" من جهة اشتمالها على المتصل، ويتعينُ النصب فيما لا شتمالها على المنقطع واجتماع الرفع والنصب في كلمة واحدة محال فيتعين الترجيح.

وبعدما ذكر ضوابط الترجيح، أعطى مثالين لهذه الصورة وهما أولاً، قوله تعالى :

﴿أَحْلَتْ لَكُمْ بِهِمْ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة - الآية 2).

والمستثنى الذي تلي منه الميتة والدم وحم الخنزير. وهي ليست كلها من جنس المستثنى منه، كما تشمل ما أهل لغير الله، وهو من جنس الانعام. فصار الاستثناء هنا منقطعاً من جهة متصلة من وجه آخر.

والمثال الثاني. قوله عز وجل : ﴿قَالُوا إِنَا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا لَوْطٌ إِنَّا لَمْ نَجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر - الآيات 58-59) والاستثناء في "إلا" متصل باشتماله على امرأة لوط، وهي من المجرمين، ومنقطع لاشتماله على غيرها من أقارب لوط غير المجرمين<sup>(1)</sup>. ونلاحظ هنا أن قوله تعالى : ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدْرَنَا إِنَّهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر - الآية 60) استثناء من استثناء ، يرجع جانب الاتصال في الاستثناء الأول.

وفي خاتمة الكتاب انتهى بباب في الاستثناء من الأقارب، وقال عنه إنه مبني على خمس قواعد :

القاعدة الأولى : الاستثناء من الإثبات نفي ومن النفي إثبات.

القاعدة الثانية : الاستثناء المستغرق باطل وفي الأكثر قولان وفي المساوي قولان، وفي الأقل قولان، والكسر في الواحد من العشرة أو العشرة من المئة، أو المئة من ألف هو المتفق عليه.

القاعدة الثالثة : إن "إلا" تستعمل استثناء وصفة.

القاعدة الرابعة : الاستثناء من غير الجنس جائز مثل قول تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِغْوًا وَلَا تَأْتِيَمَا، إِلَّا قِيلَا سَلَامًا﴾ (الواقعة - الآية 25).

القاعدة الخامسة : الاستثناء من الاستثناء جائز.

ثم قال إنها قواعد كلية يدور عليها أكثر مسائل هذا الباب<sup>(2)</sup>. وهذه البحوث تعطينا نوعين من الأمثلة، أمثلة عن غواص الاستثناء وغرايبيه، وأمثلة عما لهذا العالم الفقيه من قدره فائقه على الغوص في الأغوار النحوية واللغوية.

(1) الاستثناء : 405-409.

(2) الاستثناء : 617.

## 2. أثير الدين، أبو حيان الغرناطي :

### (أ) شخصيته وعلمه :

و يعد ابن الحاجب والقرافي ، اتسعت دائرة نحو الفقهاء . لتشمل ما يمكن أن نسميه نحو العلماء ، وذلك بعودة النحويين الموسوعيين الذين شملت دراساتهم جميع معارف الثقافة الإسلامية ، ابتداءً بأبي حيان وانتهاءً باليسيوطي ، نبدأ الحديث عن أبي حيان .

كان أبو حيان من رؤاد هذه الحركة العلمية ، وكان دوره فيها بارزاً ومتميزاً ، ولقد أحسنت الأستاذة خديجة الحديشي صنعاً في كتابها عنه ، فأبرزت مظاهر مواهبه المتعددة ، إذ كان شاعراً مجيداً وناقداً ولغورياً بالمعنى الحديث ، قمة في اللغة العربية ، وباحثاً في لغات الترك والفرس والحبشة .

وله زهاء عشرة كتب في القراءات ، منها المورد الغمر في قراءة أبي عمرو ، والمزن الهاامر في قراءة ابن عامر ، والأثير في قراءة ابن كثير ، والنافع في قراءة نافع ، والرمزة في قراءة حمزة ، والنير الجلي في قراءة زيد بن علي ، والروض الباسم في قراءة عاصم ، وغاية المطلوب في قراءة يعقوب ، وتقريب النائي في قراءة الكسائي ، وعقد اللالى في القراءات السبع العوالى .

وإذا كنا لا نعرف من هذه المصنفات إلا أسماءها ، فإن في تفسيره ، الموسوم بالبحر المحيط استشهادات كثيرة من هذه القراءات .

وتقول خديجة الحديشي : أما شيخ أبي حيان فكانوا نحو أربعينائة وخمسين شيئاً ، وأكثر من ألف مجيد . وقد ذكر مجموعة منها في إجازته للصفدي ، ومن روى عنه في القراءات فخر الدين اسماعيل بن هبة الله المليحي المصري ومن النحاة الخشناني الابندي ، وابن الصانع وابو جعفر بن الزبير<sup>(1)</sup> .

وكانت إفادته من ابن مالك معروفة ، فقد كان لأبي حيان الفضل في نشر كتب ابن مالك ، وشرحها وتذليلها ، وتذليلها للدارسين<sup>(2)</sup> .

ومن أشهر ما عرف منها كتابا التذليل والارتشاف . ويقول السيوطي لم يؤلف في العربية أعظم منها ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال . وعليهما اعتمد في تأليف جمع الجوامع<sup>(3)</sup> .

(1) أبو حيان التحري : 69-73.

(2) أبو حيان التحري : 327.

(3) بغية الوعاة : 1/272.

وقال السيوطي في هم الهوامع في شرح جمع الجوامع : واستعين في إكمال ما  
قصدت إليه من تأليف مختصر في العربية جامع لما في الجوامع من المسائل والخلاف حاو  
لوجازة اللفظ وحسن الانتلاف محيط بخلاصة كتابي التسهيل والارشاف.

وتقول خديجة الحديشي : نجد السيوطي يعتمد كل الاعتماد على آراء أبي حيان في  
كتبه : هم الهوامع والأشباه والنظائر، والبهجة المرضية في شرح الألفية، ولا تكاد تمر  
مسألة نحوية في هذه الكتب إلا وفيها رأي لأبي حيان وخلاصة القول فإن كتب السيوطي  
منبع فياض لآراء أبي حيان نحوية، ويستطيع الباحث أن يعتمد عليها في دراسته  
والتعرف على أرائه<sup>(1)</sup>.

### ب) بين ابن مالك وأبي حيان :

الرأي السائرك عند جمهور النحاة أن أبي حيان كان شديد الانحراف عن ابن مالك،  
شديد الاعتراض عليه. وأن موقفه كان عن حسد بسبب المعاصرة، ويستندون في هذا على  
كون أبي حيان عايشه مدة ثلاثين سنة ولم يأخذ عنه، وإنه كان يتباهى بقوله : إن ابن مالك  
كان منفرداً بنفسه لا يتحمل أن ينماز أو يجادل ولا يباحث وأنه لم يكن من لازم في هذا  
الفن إماماً مستبمراً به، ولا يعلم له فيه شيخ. فهو لم يجلس في حلقة الشلوين إلا نحو  
من ثلاثة عشر يوماً. ولئن كان قد قرأ على ثابت بن خيار الكلاعي، فإن ثابتنا عند أبي  
حيان لم يكن من المعدودين في الاندلس من أهل النحو والجلالة والشهرة وإنما ذكره بأنه  
مقري للقرآن فاضل فيه<sup>(2)</sup>.

وفي معرض استشهاد ابن مالك بالحديث يقول أبو حيان : والمصنف رحمه الله قد  
أكثر من الاستدلال بما أثر في الأثر متعمقاً بزعمه على التحويين، وما أمعن النظر في  
ذلك، ولا صحب من له التمييز في هذا الفن ولا استبمار ولا إمامية، ولذلك تضعف  
استنباطاته من كلام سيبويه وينسب إليه مذاهب، ويفهم من كلامه مفاهيم لم يذهب إليها  
سيبوه ولا أرادها<sup>(3)</sup>.

ويصل به الأمر إلى نوع من التحامل عليه حينما قال إنه : نقل عن جميع التحويين  
خلاف ما قالوه لأن من يعاني علمًا يحتاج إلى مثوله بين يدي الشيوخ. وكما قيل إنه  
عرض به في أبيات يقول فيها :

(1) أبو حيان نحوبي : 583.

(2) أبو حيان نحوبي : 329.

(3) أبو حيان نحوبي : 328-329.

أخا ذهنٍ لإدراك العلوم  
غوا مض حيرت عقل الفهيم  
ضللت عن الصراط المستقيم  
تصير أضل من توما الحكيم<sup>(1)</sup>

بطن الغمر أن الكتب تهدى  
وما يدرى الجھول بأن فيها  
إذا رمت العلوم بغير شيخ  
وتلتبس الأمور عليك حتى

كما يروي أن تلاميذ أبي حيان هاجموا الفية ابن مالك إذ نسب إلى أحدهم قوله :

**المطمسة الممالك**  
**وكم بها مشتغل**

أوقيع في الممالك<sup>(2)</sup>

وقد خالفة في كثير من المسائل يرجع معظم الاختلاف فيها إلى الاختلاف في المنهج، ذلك أن أبو حيان أخذ على ابن مالك :

أولاً : الاستشهاد بالحديث، بينما لا يزال أبو حيان ينتقد في كتاباته ذلك بحجة أنه قد يرويه بالمعنى من لا يحتاج بروايته<sup>(3)</sup>.

ثانياً : الاستشهاد ببعض قبائل العرب مثل : لخم، وجذام، وغسان، وأورد كلام أبي نصر الفارابي، في أول كتابه المسمى بـ "الألفاظ والمحروف" فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري من كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم. فلم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاوريين لأهل مصر والقبط ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاوريين. لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب. ولا النمر فإنهم كانوا بالجزءة مجاوريين للبيونان<sup>(4)</sup>.

ثالثاً : القياس على ما قبل وروده. فلا يقاس عند أبي حيان على "اليضرب زيداً والحمار البجدع"، وهي المسألة التي أشار إليها ابن مالك في الخلاصة بقوله : وكونها بمعرف الأفعال قل.

(1) أبو حيان التنجوي : 330 وانظر البحر المحيط : 371/4.

(2) المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية (عزيا لفتح الطيب) ص 140.

(3) ارتضاف الضرب من لسان العرب : 387/1.

(4) الاقتراح في علم أصول النحو : 44-45.

وقد نص في غير الخلاصة أن ذلك يجوز اختياراً<sup>(1)</sup> ويرى أبو حيان أنه لا يقاس على قول الشاعر :

أيهاذان كُلًا زاديكمَا  
شادها على جواز الاقتصار على اسم الإشارة "أي" ولا نعت لاسم  
الإشارة بعده، فإنه - يقول أبو حيان - نادر شاذ لا يقاس عليه<sup>(2)</sup>.

رابعاً: أما الخلاف في الآراء، فهو كثيرة جداً أحيث منه خديجة الحديبي أربعة عشر في الصرف وإثنين وعشرين في النحو<sup>(3)</sup>، وفي الحقيقة لا يمكن أن يضبط عدد لهذه الخلافات فهي متفرقة متشعبة في شتى الكتب، نذكر منها على سبيل المثال : قوله في معرض الحديث عن "ما" و"مهما" وقول ابن مالك باستعمالهما ظرفياً زمان، أنه نقل عن جميع النحويين خلاف ما قاله<sup>(4)</sup>. و قوله بنصب الحال بعد "ما" الاستفهامية بما تضمنت من معنى التعظيم مثل :

يا جارتا ما أنت جاره

وقال أبو حيان باحتمال التمييز<sup>(5)</sup>. و قوله بزيادة الباء مع الحال المنفي مستدلاً بقول الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركب حكيم ابن المسيب منتهاها<sup>(6)</sup>

لقد أثار موقف أبي حيان من ابن مالك حفيظة أنصار جمال الدين ابن مالك وانبروا للدفاع عنه، والرد على اعترافات أبي حيان، وكان من بين الذين حملوا راية الانتصار لابن مالك جمال الدين ابن هشام عبد الله بن يوسف الانصاري، وبهاء الدين أحمد بن علي السبكي، وناظر الجيش محبي الدين محمد بن يوسف، وابن الدماميني محمد بن أبي بكر المخزومي.

### ج) دفاع ابن هشام عن ابن مالك :

وكان دفاع ابن هشام أكثر عنفاً، ودفاع ناظر الجيش أكثر شمولاً. ذاك أن ابن هشام يبدو وكأنه بدوره يتحامل على أبي حيان، ولو كان من جملة شيوخه حيث درس عليه ديوان

(1) أبو حيان النحوي : 334.

(2) أبو حيان النحوي : 334-355.

(3) أبو حيان النحوي : 340-364.

(4) البحر المحيط : 4/371، أبو حيان النحوي : 229-230.

(5) أبو حيان النحوي : 335.

(6) المغني : 150-149، أبو حيان النحوي : 353.

زهير وطالع كتبه، وشرح بعضها، مثل : "اللمحة البدريّة" وأكثر من انتقاده فيها ومن تعقب آرائه، ولما وقف على كتاب "الشذا في أحكام كذا" ناقضه برسالة سماها "فوح الشذا بمسألة كذا" ذاكراً سبب تأليفه، قائلاً إن أبو حيّان لم يزد على أن ردّ أقوالاً حددتها، وجمع عبارات وعددها، ولم يفصح كل الأفصاح عن حقيقتها وأقسامها، ولا بين ما يعتمد عليه مما أورده من أحكامها، ولا نبه على ما أجمع عليه أرباب تلك الأقوال واتفقوا، ولا أعرّب عمما اختلفوا فيه وافتقرقا، فرأيت الناظر لا يحصل منه بعد الكد والتعب إلا على الأضطراب والشغب"<sup>(1)</sup>.

وخطأه في مواضع كثيرة خالفة فيها أبو حيّان قول ابن مالك منها ادعاؤه أن ابن مالك هو وحده الذي قال بفعالية "حرى"، ويقول ابن هشام إن الواهم هو أبو حيّان. لأن اللغويين أمثال السرقسطي وابن طريف أشدوا بيتاً يشهد أنها من الأفعال. وهو قول الأعشى :

إن يقل هن منبني عبد شمس فحرى أن يكون ذاك وكانا<sup>(2)</sup>

ومنها أن "كل" جاءت توكيداً في بيت الشاعر :

كم قد ذكرتك لو لمجزي بذكركم يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

قال ابن مالك إنها توكيده خالفة أبو حيّان وزعم أن "كل" في البيت نعت وليس توكيداً وليس قوله بشيء، لأن "كلا" التي ينعت بها دالة على الكمال لا على عموم الأفراد<sup>(3)</sup>.

ومنها قول ابن مالك أن الباء تزاد في الحال المنفي عاملها قوله :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسمى منتهياها

وقوله : كائن دعيت إلى بأساء داهمة فما انبعثت بممزود ولا وكل

وخارقه أبو حيّان وخرج البيتين على أن التقدير "بحاجة خائبة، وبشخص ممزود". وهذا التخريح - يقول ابن هشام - ظاهر في البيت الأول دون الثاني لأن صفات الذم إذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف أصلها. "فإذا قيل إن شخصاً غير كذاب فهذا لا يفرض أنه لا يكذب"، ولذلك قيل ﴿وَمَا رِبَك بظَلَامٍ لِّلْعَبِيد﴾ (فصلت - الآية 46) ليست للمبالغة، وإنما هي للنسبة مثل : ليس بنبال<sup>(4)</sup>.

(1) أبو حيّان التحري : 530-531 (عازيماً لفوح الشذا) وانظر الأشيه والناظر : 271/7.

(2) أبو حيّان التحري : 531 (عزوا لشرح شذور الذهب).

(3) مغني الليبب : 256.

(4) مغني الليبب : 149-150.

ومن ردود ابن هشام على أبي حيان قوله إنه غلط في نقل كلام سيبويه وتصرف في كلام الصفار عليه ووهم فيه في مسألة عطف الخبر على الائفاء<sup>(1)</sup>.

#### د) دفاع ناظر الجيش :

أما ردود ناظر الجيش على أبي حيان فقد تناولت بعض أحكام الاستثناء، وكون "حتى" قد تاتي بمعنى "إلى أن" وصيغة المتصادر، وأفعال الشرط<sup>(2)</sup>، غير أن أهم رد عليه جوابه عن مسائلتين ثنتين أولاهما تصريح أبي حيان أن ابن مالك ضعفت استنباطاته لأنه لم يأخذ عن أئمة الشيوخ، فيقول ناظر الجيش "فما أعرف كيف يكون ذاك نقصا في رجل انتشر علمه وانتهى إلى رتبة بلغ بها أن يصحح ما أبطله غيره، وببطل ما صححه غيره بالدلالة الواضحة والمستندات الراجحة. ثم قال في آخر كلامه : "أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جيل الأوصاف"<sup>(3)</sup>.

والثانية في معرض الاستشهاد بالحديث، ويقول ناظر الجيش : وأما إنكاره على المصنف الاستدلال بما ورد من الأحاديث الشريفة معتلاً لذلك بأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، فيقال فيه : لا شك أن الأصل في المروي أن يروي باللفظ الذي سمع من الرسول ﷺ، والرواية بالمعنى وإن جازت فإنما تكون في بعض كلمات الحديث المحتمل لتغيير اللفظ بلفظ آخر يوافقه معنى، إذ لو جوزنا ذاك في كل ما يروي لارتفاع الوثوق عن جميع الأحاديث بأنها هي بلفظ الرسول ﷺ، وهذا أمر لا يجوز توهمه فضلاً عن أن يعتقد وقوفه، ثم إن المصنف إذا ما استدل على مسألة بحديث لا يقتصر على ما في الحديث الشريف بل يستدل بكلام العرب من نشر ونظم ثم يردف ذلك بما في الحديث إما تقوية لما ذكر، من كلام العرب، وإما استدلالاً على أن المستدل لا يخص جوازه بالشعر، بل إنه يجوز في الاختيار أيضاً، ولا يخفى على الليبيب أن قول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه "إن يكتنه فلن تسلط عليه وإلا يكتنه فلا خير لك في قتله" يبعد أن يكون مغيراً<sup>(4)</sup>.

#### هـ) تقدير أبي حيان لابن مالك :

غير أن الذين صنفوا أبو حيان من خصوم ابن مالك لم يأخذوا بعين الاعتبار ما كان أبو حيان يوليه من تقدير لابن مالك ومن تنويه بكتبه. فقد قال عنه : إنه كان رجلاً صالحًا معنياً بهذا الفن النحوى كثير المطالعة لكتبه... ونظم في هذا الفن كثيراً ونشر وجمع

(1) مفني الليبيب : 630-627.

(2) أبو حيان التحوى : 545-544-555-548.

(3) أبو حيان التحوى : 559-560 (عازياً لتمهيد القواعد : شرح ناظر الجيش على التسهيل).

(4) أبو حيان التحوى : 558.

باعتكافه على الاشتغال بهذا الفن ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية، وأتى من هذا العلم بغرائب، وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب<sup>(1)</sup>. وقال : إنه لا يكون تحت السماء أنحى من عرف ما في تسهيله<sup>(2)</sup>. ويرى أنه مدح ألفيته بقوله، وإن كنا لم نطلع على مصدره الأصلي :

ألفاظ نظيم ذي الخلاصة ألم سحر  
ولكن شاهم أن مسلكها وعسر  
بها مستهاماً ليس يمكنه المهر  
فأنبت بشيء باذخ يا ابن مالك

ومن عنايته بكتب ابن مالك كونه شرح الألفية في كتاب "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك". أما كتاب التسهيل فقد ألف عليه ثلاثة كتب، "التخييل الملخص من التسهيل" و"التمكيل لكتاب التسهيل" و"التذليل والتكميل في شرح التسهيل" وتقول خديجة الحديشي : "ولا يزال الكتاب الأخير، خير شاهد على اهتمام أبي حيان بابن مالك وشرحه لكتبه. فأبو حيان هو الذي جسر الناس على مصنفاته، ورغبهم في قراءتها، وشرح لهم غامضها وخاض بهم في مجدها، وفتح مقفلها ورغبهم فيها وألزم نفسه أن لا يقرئ تلاميذه إلا في كتاب سيبويه أو في تسهيل ابن مالك أو في مصنفاته وكان هذا دأبه حتى آخر أيامه<sup>(3)</sup>.

ولقد اعترف له بالشيخة والفضل في العلم والأمانة في النقل، وصرح بصحته، فيقول في تذكرته في باب الكلام عن التنازع "روى الشيخ جمال الدين محمد بن مالك صاحبنا أن الفراء في مثل هذه المسألة يجزي إعمال الشافي في الظاهر، ويضمر في الأول كما يقول سيبويه وأصحابه، لكنه إذا أضرم في الأول أوجب أن يكون الضمير بارزاً بعد الثاني ومعموله. فتقول مثلاً ضربني وضررت زيداً هو، وضررتني وضررت الزيددين هما. ولم أقف على هذا النقل عن الفراء من غير كلام ابن مالك، وهو الثقة فيما ينقل والفالضل حين يقول<sup>(4)</sup>.

ويظهر من هذا أن انحراف أبي حيان عن ابن مالك، ليس بالقدر الذي يصوّره المؤرخون. وأما ما نسب إليه من أن ابن مالك لم يتتصدر على الشيوخ، فإنه قد يعني بذلك

(1) أبو حيان التحري : 329 (عزوا للتذليل والتكميل).

(2) أبو حيان التحري : 328 (عزوا لتفنح الطيب).

(3) أبو حيان التحري : 327-328، انظر : الدرر الكامنة : 403-303/4.

(4) تذكرة النهاة : 345.

شيوخه في الاندلس، والدليل على ذلك اقتصاره على ذكر ثابت بن خيار. أما الجزم بأنه قد عرض به في قوله : إذا رمت العلوم بغير شيخ. فيرده ما قال في البيتين الأولين، فأبوا حيان لا يدعى، ولا يمكن أن يدعى ابن مالك غمراً جهول، وهو الذي مارس علمه وعرف قدره. وإطراوه خلاصته وتسهيله يفند انجازه لما نسب إليه أتباعه من ذم الخلاصة.

أما المسائل التي خالفه فيها، فينبغي النظر هل هي من الآراء التي انفرد بها ابن مالك، أم من المسائل التي تابع فيها غيره، وحيثند، نقول إن أبي حيان لم يقلد ابن مالك، ولا غيره فيها، ومن حق كل عالم على مستوىه أن يختار بحرية. ولعل من أهم ما يجمع بين أبي حيان وابن مالك حرص كل واحد منهم على حرية الاختيار، مثُلُهما في ذلك مثلُ ابن هشام الذي خالف ابن مالك في أكثر من مسألة، وخالف أبو حيان، لا تقليداً لابن مالك وإنما رأى أن الصواب مع ابن مالك.

ثم لا ننسى أن أبي حيان وافق ابن مالك في عديد من القضايا نذكر منها، فصل المضاف بأجنبي<sup>(1)</sup>، وأن "كان" الزائدة بين ما وفعل التعجب لا اسم لها ولا خير<sup>(2)</sup>. وإتيان "من" لابتداء الغاية في الزمن<sup>(3)</sup>، وعدم نعت مجرور "رب"<sup>(4)</sup> وفعالية "جذا"<sup>(5)</sup>.

#### و) من طرائف أبي حيان :

ومن طرائف إبداع أبي حيان قصيدة فريدة، بعث بها في شكل رسالة مؤثرة من مصر إلى موطنها غرناطة، وشيخه أبي جعفر بن الزبير، وضمنها عرضاً مفصلاً لتاريخ النحو العربي، منذ نشأته إلى ذلك العهد<sup>(6)</sup>، وسنورد منها بعض المقطفات.

فقد استهلها بقديمة في فضل العلم عموماً والنحو خصوصاً فقال :

لقد فاز باغيه وأنبع قاصده	هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
وما امتاز إلا ثاقب الذهن وقاده	وما فضل الإنسان إلا بعلمه
يطول علينا حصرها ونكايده	وقد قصرت أعمارنا وعلومنا
هو النحو فاحذر من جهول يعانده	وفي كلها خير ولكن أصلها
هـما أصل دين الله ذو أنت عابده	به يعرف القرآن والسنة التي

(1) ارتشاف الضرب : 535/2

(2) نفس المصدر : 95/2

(3) نفس المصدر : 441

(4) نفس المصدر : 457

(5) نفس المصدر.

(6) أورد هذه القصيدة ابن الخطيب في الإحاطة، 50-56/3

ثم عرض لنشأة علم النحو على يد الإمام علي، مذكرا بجهود النحاة الأوائل :

مناهبك من علم عليَّ مشيد  
مبانيه أعزز بالذى هو شايد  
لقد حاز في الدنيا فخارا وسودا  
أبو الأسود الديلى فللجر سانده  
هو استنبط العلم الذي جل قدره  
وطار به للعرب ذكر نعاوه  
وساد عطا، نجله وابن هرمز  
ويحيى ونصر ثم ميمون ما هده  
وعنبرة قد كان أربع صحبه  
فقد قلدت جيد المعالي قلاته  
ثم وقف عند الخليل بن أحمد الذي وصفه بأنه "واحد الدهر العقيم" :

وما زال هذا العلم تنميء سادة  
جهابذة تبلى به وتعاضده  
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد  
من الأزد تنميء إليه فراهد  
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمد  
أقر له بالسبق في العلم حاسده  
 وبالبصرة الغراء قد لاح فجره  
فناشر أدانبه وضاعت أبعاده  
بأذكى الورى ذهناً وأصدق لهجة  
ولا ثالث في الناس تصمى قواصده  
هو الواضع الثاني الذي فاق أولاً

وبعد الخليل وصل إلى تلميذه النابغة سيبويه، فبين قيمة كتابه الفريد، وشكا  
بغراض الناس عنه في زمانه باستثناء أهل الأندلس، وذكر ما يقوم به هو من مناصرة  
للكتاب في مصر وإحياء لدراسته بين أهلها :

وأيقن أن الحين أدناه باعده  
ولاطفة حتى كأن هو والده  
إلى أن بدت سيماه واستد ساعده  
وراح وحيد العصر إذ جاء واحده  
فلولاه أصبح النحو عطلاً شواهد  
لقطحان إذ كعب بن عمرو محاتده  
فطارفه يعزى إليه وتالده  
أطاعت عواصيه وثبتت شوارده  
فآياته مشهودة وشواهد  
سواه فكل ذاهب الحسن فاقده  
وفي جوفه كل الذي أنت صائده

ولما رأى من سيبويه نجابة  
تخيرة إذ كان وارث علمه  
وعلمه شيئاً فشيئاً علومه  
فيما ذاك وفاته من الله وعده  
أتى سيبويه ناشراً لعلومه  
وأبدى كتاباً كان فخراً وجوده  
وجمع فيه ما تفرق في الورى  
يعمر بن عثمان بن قبر الرضا  
عليك قرآن النحو نحو ابن قبر  
كتاب أبي بشر فلاتك قارباً  
ولا تعد عمما حازه إنه الفرا

فإنك فينا نابه القدر ماجده  
أعضاك دهر أم عرتك ترايده  
وإن لا تصب حرياً فإنك غامده  
فذو الفهم من تبدو إليه مقاصده  
وكان طرياً لم تقادم معاهده  
وإن الشمالي بارد الذهن خامده  
يزيف ما قالا وتبعدو مفاسده  
تباري أبا بشر، إذاً أنت فاسده

إذا كنت يوماً محكماً في كتابه  
ولست تبالى إن فككت رموزه  
هو العصب إن تلق الهياج شهرته  
تلقاء كل بالقبول وبالرضي  
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة  
وجسره طعن المبرد قبله  
هذا ما هما صارا مدى الدهر ضحكة  
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى

إلى أن يقول :

بشرق وغرب تستنار فوايده  
كتاب أبي بشر ولا هو رايده  
إليه وشوق ليس يخبو موافقه  
جهابذ تبدى فضله وتناجده  
لناصره مادمت حيا وعاشه  
وعالجه حتى تبتد قواعده  
فأصبح علم النحو ينفق كاسده  
تيقن أن النحو أخفاه لاحده

لقد كان للناس اعتنا، بعلمه  
والآن فلا شخص على الأرض قارئ  
 سوى عشر بالغرب فيهم تلفت  
ومازال منا أهل أندلس له  
 وإنى في مصر على ضعف ناصرى  
أثار أثير الغرب للنحو كاما  
 وأحيا أبو حيان ميت علومه  
إذا مغريبي خط بالشفر رحله

وختم القصيدة برسالة حنين وإجلال إلى بلده وشيخه فقال :

لغرناطة فانفذ لما أنا عاشه  
وسلطانا الشهم الجميل عوايده  
ومحيي الندا فضلاً وقد رم هامده  
فعز مواليه وذل معانده  
وخص بها الأستاذ لا عاش كايده  
وأستاذنا الحبر الذي عمَّ فايده  
فللغرب فخر أعجز الشرق خالده  
مضامينه جلت وصحت مسانده  
بسبق وغيرى نايم الليل راقده  
ويفتح علما مغلقات رصайдه

أخي إن تصل يوماً وبلغت سالماً  
وقبل ثرى أرض بها حل ملتنا  
مبيد العدا قتلاً وقد عمَّ شرهم  
أفاض على الإسلام جوداً ونجدة  
وعلم بها إخواننا بتحية  
جزى الله عننا شيخنا وإمامنا  
لقد أطلعت جيان أحد عصره  
مؤرخه نحويهُ وإمامهُ  
وما أنس لا أنسى سهادى ببابه  
فيجلو بنور العلم ظلمة جهلنا

لشاكره في كل وقت وحامده  
ترى هل يثنى الفرد من هو فارده  
تتبه على غر القوافي قصايده  
فيرتاح سماع لها ومناشده  
مجيدة أصل انتجتها أماجده  
بمصر ولا حبرت ما أنا قاصده  
من النظم لا يبلى مدى الدهر آبه  
وقيد شرعى بعدها ند شارده  
لك المسك بل أعدى وإن عز ناشده

ولاني وإن شطت بنا غربة النوى  
بغربنطة روحي وفي مصر جشتى  
أبا جعفر خذها قوافي من فتى  
يسير بلا إذن إلى الأذن حسنها  
غريبة شكل كم حوت من غرائب  
فلولاك يا مولاي ما فاه مقولي  
لهذبتي حتى أحوك مفوقاً  
وأذكىت فكري بعد ما كان خاماً  
جعلت ختاماً فيه ذكرك إنه  
ومن تلامذة أبي حيان، ستفق قليلاً عند ثلاثة منهم، أحدهم نحو الفقهاء وهو عبد الرحيم الأسنوبي، والثاني مثل النحو التقليدي، وهو ابن عقيل، والثالث مثل نحو الأدباء، وهو ابن أم قاسم المرادي. وذلك بعد الحديث عن مكانة ابن هشام في مدرسة ابن مالك.

### 3. جمال الدين بن هشام :

جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام الانصاري (708-761) من أجل أئمة مدرسة ابن مالك، قد اعتنق مبادئها، وشرح كتبها وأغنها بمصنفات من عنده، منها ما تناول مستوى الناشئين مثل قطر الندى وبيل الصدى، ومنها شذور الذهب، لستوى أعلى، غير أن أهم ما ألفه ابن هشام هو : مغني اللبيب عن كتب الأغاريب.

وكان في كل أعماله وفيأ للأسس التي بنيت عليها مدرسة ابن مالك من جمع، وتحرر، وتنظيم، ووضوح.

وقد سبقت الإشارة إلى العلاقة بينه وبين أستاذه أبي حيان، وأنه تصدى لاعتراضاته على ابن مالك، وكان بذلك يدافع عن شيخ مدرسته، والحقيقة أن ابن هشام لم يكن متعصباً ضد أبي حيان ولا لابن مالك. وإنما كان يستجيب لرأيه هو، ولاختياره بعد مقارنة الأقوال وموازنة الأدلة.

ومع تقديره لابن مالك فإنه قد تناوله بالنقد العلمي بعيد عن التهكم، ففي كتاب المغني مثلاً، أورد له نحواً من أربعين مسألة تابعه في بعضها وخالقه في بعض وسكت عن بعض، وبين عدة قضايا تابع فيها ابن مالك الكسائي والفراء. وفي قضايا متعددة نسبه إلى الخطأ أو الوهم أو السهو.

فمن المسائل التي نبه على اختياره فيها إعطاء "إن" الشرطية حكم "لو" في الإهمال، واعطاء "لو" حكم "إن" في الاعمال<sup>(1)</sup>. وهذه المسألة من مباحث ابن مالك في التوضيح على شواهد الجامع الصحيح<sup>(2)</sup>. ومنها إنكاره بناءً "مثل" : في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَحَقٌ مِثْلُ مَا أَنْتُمْ تَنْظَقُونَ﴾ (الذاريات - الآية 23) معللاً بكونها تثنى وتجمع، بدليل ورود "أمم أمثالكم" وقول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكراها  
والشر بالشر عند الله مثلان

ويقول ابن مالك ان "حق" في الآية اسم فاعل من حق يحق واصله حاق فقصر على وزن بَرَ وسَرَ ونَمَ، ففيه ضمير مستتر، وـ"مثل" حال منه<sup>(3)</sup>. ومنه قوله بأن عطف الشيء على مرادفة، قد يكون بالواو، أو بـ"أو" نحو ﴿إِنَّمَا أَشْكُوبُ شَيْءاً وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف - الآية 86) ونحو قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بُرِئَاتِهِ﴾ (النساء - الآية 111).

وفي معرض الحديث عن "أو" نبه ابن هشام على أن ابن مالك قال في خلاصته وفي شرح الكافية إنها تأتي للتقسيم<sup>(4)</sup>، غير أنه عدل عن ذلك في التسهيل، فذكر أنها تأتي للتفريق المجرد من الشك والإبهام والتخيير وقال : إن هذا أولى من التعبير بالتقسيم لأن استعمال الواو في التقسيم أجود نحو الكلمة "اسم و فعل وحرف"<sup>(5)</sup>. لكنه خالفه في معاقبتها للواو، اذا كانت للإباحة، ولكنها تأتي بمعنى "ولا" لأنه لو قيل "جالس الحسن وابن سيرين لكان المأمور به مجالستهما معاً". أما قوله تعالى : ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بَيْوَتِكُمْ أَوْ بَيْوَتِ آبَائِكُمْ﴾ (النور - الآية 59) فهذه هي بعينها وإنما جاءت "لا" لتأكيد النفي<sup>(6)</sup>.

وما دمنا في باب العطف، نذكر أن ابن هشام قال إن ابن مالك وَهُمْ في فهم عبارة سببوبة عن غلط العرب، فيقول إن أقسام العطف ثلاثة وهي :

1. العطف على اللفظ مثل ليس زيد بقائم ولا قاعد.
2. العطف على المحل مثل ليس زيد بقائم ولا قاعداً.

(1) المغني : 917

(2) شواهد التوضيح والتصحيح لشكلات الجامع الصحيح : 19

(3) المغني : 671

(4) المغني : 467

(5) المغني : 92

(6) المغني : 90

3. العطف على التوهم نحو ليس زيد قائماً ولا قاعد بالخوض، على توهم دخول الباء في الخبر. وكما وقع هذا العطف في المجرور وقع أيضاً في أخيه المجزوم، وقع أيضاً في المرفوع إسماً. فاما المجزوم فقال به الخليل وسيبوه في قراءة ﴿لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجْدَلْ قُرْبَى فَأَصْدِقُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون - الآية 10). وأما المرفوع فقال سيبوه : وأعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون : إنهم أجمعون ذاهبون، وذلك على أن معناه يعني الابداء، فيرى أنه قال "هم" كما قال زهير :

بدا لي أني لست مدرك مامضي      ولا سابق شيئاً إذا كان جانيا  
ومراده بالغلط ما عبر عنه غيره بالتوهم، وذلك ظاهر من كلامه. ويوضحه إنشاد البيت، وتوهم ابن مالك أنه أراد بالغلط الخطأ، فاعتراض عليه بأنه متى ماجوزنا ذلك عليهم زالت الثقة بكلامهم<sup>(1)</sup>.

وفي مسألة العطف على معمولي عاملين، يقول ابن هشام : فإن لم يكن أحدهما جاراً، فقال ابن مالك : هو مختلفاً عموماً نحو "كان آكلًا طعامك عمرو وترك بكر". وليس كذلك، بل نقل الفارسي الجواز مطلقاً عن جماعة وقيل إن منهم الاخفش<sup>(2)</sup>. ونسبة إلى السهو في عدة مواضع منها، أنه اجاز تقديم التمييز واستدل بقول الشاعر :

وردت بمثل السَّيِّدِ تَهْدِ مقلص      كَمِيشٍ إِذَا عَطْفَاهُ مَا تَحْلِبَا  
وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ عَيْنَا قَرْ بِالْعِيشِ مُشْرِبًا      وَلَمْ يَعْنِ بِالإِحْسَانِ كَانْ مَذْمُماً  
فذلك سهو لأن "عطفاء" و"المرء" مرفوعان بمحذوف يفسره المذكور، والناسب للتمييز هو المحذوف، وأما قوله :

ضيغت حزمي في إبعادي الأملاء      وما ارعويت وشيبا رأسي اشتعل  
ضرورة<sup>(3)</sup>. ومنها أنه مثل للحال المؤكدة لعاملها بقوله تعالى : ﴿لَا مَنْ مِنْ فِي  
الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس - الآية 99) وهو سهو، لأن الحال هنا مؤكدة لصاحبها،  
وهذا ما أهمله النحويون<sup>(4)</sup>.

(1) المغني : 622-615.

(2) المغني : 632.

(3) المغني : 602-603.

(4) المغني : 606.

ومنها : أن الأخش أحجاز نحو : ضرب غلامه زيدا ويقول حسان :  
 ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما  
 ومنه : مررت برجل ذاهبة فرسه مكسوراً سرجها ، ووقع ابن مالك سهو في هذا  
 المثال من وجه غير هذا ، لأنه منع من التقديم لكون العامل صفة ولا خلاف في جواز تقديم  
 معمول الصفة عليها بدون الموصوف<sup>(1)</sup>.

ومنها قول ابن هشام : محل "أن" و"أن" بعد حذف الجار نصب عند الخليل ، وجوز  
 سببويه كونه جرا . ومانقل ابن مالك ، أن الموضع جر عند الخليل وأن سببويه يراه نصباً ،  
 سهو<sup>(2)</sup> .

لقد عبر ابن هشام في هذه التنبieات بلفظ السهو وهو ضرب من النسيان وفي  
 مواضع ، نسبة إلى الوهم . وهو خفيف الغلط ، إذا لم يقل أنه "وهم فاحش" نحو المثال الذي  
 ساقه في الفرق بين "لم" و"لما" . فقال : منفي "لما" مستمر النفي إلى الحال ، مثل :  
 فإن كنت مأكلة فكن خير آكل      والا فأدركتني ولما أمرت

ومنفي "لم" يحتمل الاتصال نحو : ﴿ ولم أكن بداعائك ربى شقياً ﴾ (مريم) .  
 الآية (3) والانقطاع نحو : ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ (الإنسان . الآية 1) ، ولهذا جاز  
 لم يكن ثم كان ، ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال : لما يكن وقد يكون . ومثل ابن مالك  
 للنبي المنقطع بقول الراجز :

وكنت إذ كنت إلهي وحدك      لم يك شيء يا إلهي قبلك

وتبعه ابنه فيما كتب على التسهيل وذلك وهم فاحش<sup>(3)</sup> . والملحوظ أن استعظام ابن  
 هشام لهذا الوهم ، كونه يفهم منه ما يفهم من مقتضى المثال الذي أورده هو في قوله : لم  
 يكن ثم كان ، لأن الله ليس قبله شيء .

ويرى ابن هشام ، أن قول ابن مالك إن الإسناد اللفظي يكون في الأسماء والأفعال  
 والمحروف ، وإن الذي يختص به الاسم هو الإسناد المعنوي لا تحقيق فيه ، وقال لي بعضهم  
 كيف تتوهم أن ابن مالك اشتبه عليه الأمر في الاسم والفعل والحرف ؟ قلت كيف توه ابن  
 مالك أن النحويين كافة غلطوا في قولهم : إن الفعل يخبر به ولا يخبر عنه وإن الحرف لا  
 يخبر به ولا عنه" . ويزيد ابن هشام قائلاً : ومن قلد ابن مالك في هذا الوهم أبو حيان<sup>(4)</sup> .

.640 (1) المغني :

.682 (2) المغني :

.368-367 (3) المغني :

.874-873 (4) المغني :

ونلاحظ هنا أنه اعتقاد أن ابن مالك خالف إجماع النحاة في هذه المسألة. وليس في هذا الموضوع تصريح بهذا النوع من النقد، ففي الكلام عن أن "أم" المنقطعة لا تدخل على المفرد، وأن النحاة قدروا مبتدأ في "إنها لإيل أم شاء" قال ابن هشام : وخرق ابن مالك إجماع النحويين فقال : لا حاجة إلى تقدير مبتدأ، وزعم أنها تعطف المفردات ك "بل" <sup>(١)</sup>.

وفي هذين المثالين يتباادر إلى الذهن أن ابن هشام يتحامل على ابن مالك، ويختنه، لكن حينما نراجع في نهاية كلام ابن هشام في رسالته حول الاستفهام، نراه يتراجع في حكمه الصارم ويقول : إن "أم" هذه قد تفيد معنيين غالباً وهما الإضراب والاستفهام. وما يدل على أن المنقطعة قد تأتي لغير الاستفهام دخولها على الاستفهام كما قدمنا من الشواهد. وقد مثل قبل بقوله تعالى ﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل - الآية 86).

وبهذا يعلم ضعف جزم النحويين أو أكثرهم في : "إنها لإيل أم شاء" بان التقدير بل هي شاء، إذ يجوز التقدير "بل هي شاء" وعلى هذا اتجه لابن مالك أن يدعى أنها عاطفة مفردة على مفرد <sup>(٢)</sup>.

ففي نهاية الكلام أشار ابن هشام إلى ضعف جزم النحاة وإجماعهم، أو الأكثرون منهم، وبين معنى اتجاه ابن مالك.

وإذا كان ابن هشام، لم يتخرج من الاعتراض على ابن مالك ومخالفته، وانتقاده، فإنه مع ذلك يقر له بالإمامية، ويدافع عن آرائه، ويسير في فلكه، دون تعصب أعمى أو تقليد مطلق.

ففي رسالته التي تحدث فيها عن شرح قولهم : "أنت أعلم وما لك" ؟

قال ابن هشام : هذا الذي ذكرته هو أصح وأوضح ما يقال في المسألة ومتبعو الجرمي من المتقدمين وابن مالك من المؤخرين فمن كلامهما أخذت وعلى ما أشارا إليه اعتمدت <sup>(٣)</sup>.

وسوف نرى أثناء الكلام عن نحو ابن مالك في الزوايا المغرية والمحاضر الشنقيطية، ماذا قاله ابن هشام من اعتماده وتقديره.

(١) المغني : 68.

(٢) الأشباه والنظائر : 54/7.

(٣) الأشباه والنظائر : 72/7.

#### 4. بهاء الدين ابن عقيل :

"ما تحت أديم السماء، أنحي من ابن عقيل"<sup>(1)</sup>، إنها القولة المشهورة التي أطلقها أبوبيان في حق تلميذه بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهاشمي.

لازم ابن عقيل أثير الدين أبا حيان فكان من أجل من أخذ عنه، وهو من جمع بين علوم اللغة، والتفسير والفقه. درس القراءات على التقى الصائغ، والفقه على الزين الكتاني والعلاء القونوي، ولازم جلال الدين الفزوي ثم ناب عنه في الحكم.

ومن أشهر من قرأ عليه زوج ابنته شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، فكان جد قاضي القضاة جلال الدين وأخيه بدر الدين.

شرع في كتابة تفسير للقرآن الكريم، غير أنه لم يكمله، كما لم يتم مختصر الشرح الكبير في فقه الشافعية، ويكاد يقتصر ما عرف من كتبه، على مصنفيه في شرح الفيبة ابن مالك، وكتابه المساعد على تسهيل الفوائد.

ولما وصف محمد محبي الدين عبد الحميد شروح الألفية قال : "ففيها المختصر، وفيها المطول، وفيها المتعقب صاحبه للناظم يتحامل عليه، ويلتمس له المزالق، وفيها التحiz له والمصحح لكل ما يجيء به، وفيها الذي اتخذ صاحبه طريقاً وسطأً بين الإيجاز والأطناب، والتحامل والتحيز".

ومن هؤلاء الذين سلكوا طريقاً بين الطريقين، بهاء الدين بن عقيل، فإنه لم يعتمد إلى الإيجاز حتى يترك بعض القواعد الهامة ولم يقصد إلى الأطناب، فيجمع من هنا ومن هنا، وبين جميع مذاهب العلماء ووجوه استدلالهم، ولم يتعرض في نقد الناظم بحق وبغير حق، كما لم ينحرز له بحيث يتقبل كل ما يجيء به، وافق الصواب أو لم يوافقه<sup>(2)</sup>.

ومطالع لهذا الشرح يلمس صحة ما قاله محمد محبي الدين، مؤلف منحة الجليل بتحقيق ابن عقيل، وليس من الغريب أن ينال هذا الشرح حظرة عند الناس، وإنما لأن طرف المدرسين والدراسيين، إذ كان مؤلفه يريد أن يحقق نوعاً من تصفية النحو وتقديره غير مشوب بالمباهث الجانبية، ولذلك رأينا أن نسمّ صاحبه، بالنحوى التقليدي.

فلم يتسع في التقديرات، ولم يطرب في المناقشات وإنما اكتفى بتوضيح نصوص الخلاصة، وتبيين أحکامها، والاستدلال بالشواهد عليها. وإذا كان في المسألة خلاف بين

(1) الدرر الكامنة : 2/267.

(2) شرح ابن عقيل : 8 (مقدمة التحقيق).

النحوين لخص أقوالهم، وحججهم دون إسهاب وربما رجع بعضها من غير إسهاب أو تعصب، وفيما يلي أمثلة من هذا النوع :

### المثال الأول:

في شرحه لقول ابن مالك :

وخففت "إن" فقل اللام إذا ما تهمل  
وتلزم اللام إذا ما ناطق أراده معتمدا  
وربما استغنى عنها إن بدا

يقول ابن عقيل : «إذا خففت "إن" فالأكثر في لسان العرب إهمالها، فتقول "إن زيد لقائم" وإذا أهملت لزمنتها اللام فارقة بينها وبين "إن" النافية، فيقل إهمالها فتقول "إن زيد قائم" وحکى الإعمال سيبويه والأخفش رحهما الله تعالى فلا تلزمها حينئذ اللام، لأنها لا تلتبس والحالة هذه بالنافية، لأن النافية لا تنصب الاسم وترفع الخبر وإنما تلتبس بـ"إن" النافية إذا أهملت ولم يظهر المقصود بها فإن ظهر المقصود بها فقد يستغني عن اللام كقول الحكم بن حكيم المعروف بالطraham :

ونحن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن

ويقول : واختلف النحوين في هذه اللام هل هي لام ابتداء أدخلت للفرق بين "إن" النافية، وـ"إن" المخففة من الثقلة، أم هي لام أخرى اجتلت للفرق، وكلام سيبويه يدل على أنها لام ابتداء دخلت للفرق. وظهور فائدة هذا الخلاف في مسألة جرت بين ابن أبي العافية وابن الأخضر وهي قوله صلى الله عليه وسلم "قد علمنا إن كنت لمؤمنا" فمن جعلها لام الابتداء أوجب كسر "إن" ومن جعلت لاماً أخرى اجتلت للفرق ففتح "أن". وجرى الخلاف في هذه المسألة قبلهما بين أبي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأخفش الصغير وبين أبي علي الفارسي، فقال الفارسي هي لام غير لام الابتداء اجتلت للفرق، وبه قال ابن أبي العافية، وقال الأخفش الصغير إنما هي لام الابتداء وبه قال ابن الأخضر<sup>(1)</sup>.

### المثال الثاني:

ف عند قول ابن مالك :

وشذ نحو زان نوره الشجر  
وشعاع نحو خاف ريه عمر

يقول ابن عقيل : "شد عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر، وذلك نحو زان نوره الشجر فالهاء المتصلة بنور الذي هو الفاعل عائدة على "الشجر" وهو المفعول، وإنما شذ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، لأن "الشجر" مفعول،

(1) شرح ابن عقيل : 1/377-381.

وهو متاخر لفظاً والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل، فهو متاخر رتبة. وهذه المسألة منوعة عند جمهور النحويين، وما ورد من ذلك تأولوه، وأجازها أبو عبد الله الطوال من الكوفيين، وأبو الفتح بن جني، وتابعهما المصنف، وما ورد من ذلك قوله :

لما رأى طالبوا مصعباً ذعروا      وكاد لو ساعد المقدور ينتصر

وقوله :

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سودد      ورقى نداء ذا الندى في ذرى المجد

وقول "حسان بن ثابت" :

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً      من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً

وقول "أبي الأسود الدولي" :

جزي رُبِّه عنني عدىَ بن حاتم      جزا الكلاب العاويات وقد فعل

وقول "سلط بن سعد" :

جزي بنسوه أبا الغيلان عن كبرٍ      وحسنٌ فعلٌ كما يحزى سنمار<sup>(1)</sup>

المثال الثالث:

ففي شرح قول ابن مالك :

"ومعَ مَعْ فِيهَا قَلِيلٌ وَنَقْلٌ      فتح وكسر لسكون يتصل"

فيقول ابن عقيل : وأما "مع" فاسم لمكان الاصطحاح أو وقته، نحو جلس زيد مع عمرو، وجاء زيد مع بكر. والمشهور فيها فتح العين، وهي معربة وفتحتها فتحة إعراب ومن العرب من يسكنها، ومنه قول جرير :

فريشى منكم وهواي معكم      وإن كانت زيارتكم لماماً

وزعم سيبويه أن تسكينها ضرورة، وليس كذلك بل هي لغة ربعة، وهي عندهم مبنية على السكون، وزعم بعضهم أن الساكنة العين حرف، وادعى النحاس الإجماع على ذلك وهو فاسد، فإن سيبويه زعم أن ساكنة العين اسم<sup>(2)</sup>.

أما كتاب المساعد فيقول عنه محققه الدكتور محمد كامل بركات : وقد امتاز هذا الشرح بتقارير وافية، ومناقشات موضوعية هادئة لمذاهب النحاة وأرائهم، القدامى منهم والمحدثين، من عيسى بن عمر والخليل وسيبويه إلى ابن مالك وابن عصفور وأبي حيان.

(1) شرح ابن عقيل : 1/492-497.

(2) شرح ابن عقيل : 2/70.

"هو مع هذا كله شرح موجز، وتعليق مختصر، كما ذكر مصنفه في مقدمته مع وفاء بالحاجة، وتحقيق للمطلوب، يكثر فيه من ذكر الشواهد، على طريقة ابن مالك في تسهيله وشرحه، فياتي بالشاهد إن وجد من القرآن الكريم، فإن لم يجد فيه شاهداً، عدل إلى الحديث الشريف فإن لم يجد فيه شاهداً أتى به من الشعر، أو الرجز، أو كلام العرب ولذا نلحظ تأثره بشرح التسهيل لابن مالك في كثير من المaticع"<sup>(١)</sup>.

هذا ولابن عقيل في هذا الشرح وقفات وتحقيقات طرفة قل أن نجد لها مثيلاً في الشروح الأخرى، منها على سبيل المثال :

عند قوله في التسهيل (ص 49) : ويغنى - أي ظرف الزمان - من خبر اسم معنى مطلقاً... ولم يتنفع نصبه ولا جره بـ "في" خلافاً للكوفيين. قال ابن عقيل : وهذا مبني على قولهم إن "في" للتبعيض حكاية السيرافي وليس ب صحيح، فإن "في" للظرفية بحسب الواقع في مصحوبها ولها صحة : في الكيس درهم، وفي الكيس ملؤه من الدرامـ. وعند قول التسهيل (ص 49) : وي فعل ذلك بالماكاني المتصرف بعد اسم عين راجحاً إن كان المكاني نكرة يقول ابن عقيل : والكوفيون كالبصريين في إجازة الرفع والنصب في هذا وناقل لزوم رفعه عن الكوفيين واهـ.

وعند قوله (ص 54) : وقد يخبر هنا، (أي في باب كان وأخواتها وفي باب "إن") بمعرفة عن نكرة اختياراً، يقول ابن عقيل : وذلك لشبه المرفوع هنا بالفاعل، والمنصوب بالفعل ومنه قول القطامي :

قفي قبل التفرق يا ضباعاً      ولايك موقف منك الوداعا  
وليس مضطراً لتمكنه من أن يقول "لايك موقفي".

وعند قول ابن مالك (ص 62) : ولا يخص حذف الاسم المفهوم معناه بالشعر، وقل ما يكون إلا ضمير الشأن، وعليه يحمل، "إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة المصرون"، يقول الشارح : "فيكون نظير ماحكي سيبويه من قولهم إن بك زيد مأخذ، والأصل إنه "من أشد" فحذف ضمير الشأن كما في إنَّ بك زيد. لا على زيادة "من" خلافاً للكسائي. ويقول ابن عقيل : وذلك لأن زيادة "من" مع اسم "إن" غير معروفة وأيضاً فالمعنى يفسد على تقدير الزيادة إذ يصير إن أشد الناس عذاباً يوم القيمة المصرون، وليس كذلك إذ غيرهم أشد عذاباً منهم كالكفرة ونحوهم، وإنما تكلف الكسائي معنى الزيادة لأن مذهبه منع حذف ضمير الشأن إذا وقع بعد هذه الأحرف اسم يصح عملها فيه بالمصرون، وما حكاية سيبويه يرد عليه.

(١) المساعد على تسهيل الفوائد (مقدمة التحقيق) ص (د) وما بعدها.

وعند قوله في التسهيل : وقد يخبر هنا بشرط الإفادة عن نكرة بنكرة، قال ابن عقيل : نحو ما حكى سيبويه "إن" الفاء في دراهمك بيض، وقول امرئ القيس في رواية سيبويه :

وإن شفاءً عبرة مهراقةة فهل عند رسم دارس من معول

قال في التسهيل "أو بمعروفة" قال ابن عقيل : نحو ما حكى سيبويه "إن" قربا منك زيد. وإن بعيدا منك عمرو وأنشد :

وما كنت ضفاطاً ولكن طالباً أanax قليلاً فوق ظهر سبيل  
وقدره ولكن طالباً أنا

وعند قوله في التسهيل : "ولا تمنع نيابة المنصوب لسقوط الجار مع وجود المنصوب بنفس الفعل". يقول ابن عقيل : فيجوز على هذا أن تقول في "اخترت زيدا الرجال" ، أي من الرجال واختير الرجال زيدا ، برفع الرجال ونصب زيد ، وبالعكس وهذا هو مذهب الفراء ، ومذهب الجمهور يتبعون رفع زيد ونصب الرجال، قال ابن عقيل ولم يتعرض المصنف في شرحه لهذه المسألة.

وفي باب التنازع عند قوله في التسهيل : "والحق بالعمل الأقرب لا الأسبق خلافاً للكوفيين" ، يقول ابن عقيل : وعمل كل منها مسموع ولكن الخلاف في الترجيح كما ذكر ، والراجح الأقرب كما يقول البصريون لنقل سيبويه عن العرب أن إعماله هو الأكثر وأن أعمال الأول قليل ، قال المصنف : ومع قلته لا يوجد إلا في الشعر والبصريون يرجحون الثاني ، والكوفيون الأول ، وقال بعض النحوين يتساويان ، وقال النحاس : حكى بعض النحوين بإن الكوفيين يختارون إعمال الأول ، قال ولم أجد ذلك على ما حكى . ونصوص النحوين متضادة عن نقل هذا المذهب عن الكوفيين.

ونلاحظ في هذه الأمثلة الأسباب التي جعلت من شروح ابن عقيل غاذج مثالية لتدريس متون إمام المدرسة من الخلاصة والتسهيل.

## 5. ابن أم قاسم المرادي :

أما النحوي الأديب الذي تخرج على يد أبي حيان، فهو أبو علي الحسن بن قاسم المرادي، وأصله من أسفي بال المغرب، وانتقلت جدته زهرا إلى مصر فعرفت فيها بالشيخة أم قاسم، ونسب إليها.

كان أبو حيان عمدته في الدراسة، يغرس من بحره وينهل من ارتشافه، وسمع مع ذلك من المقربين السراج الدمشقى، ومجد الدين التستري ومن المفسر شمس الدين بن اللبناني.

وألف مصنفات في إعراب القرآن وتفسيره، وشرح شاطبية القاسم بن فِيْرُه المعروفة بحرز الألماني وجه التهاني، وله رسالة في تفسير الاستعاذه والبسملة. أما مؤلفاته النحوية. فمنها شروح على الجزوئية، وكافية ابن الحاجب، وتسهيل ابن مالك.

وله على الألفية توضيح المقاصد الذي قيل فيه :

فما شرح الخلاصة كالمradi	وقفت على يقين في اعتقاد
وتنقيح على وفق المراد	كتاب جل في تحصيل نحو
وذهن ثاقب في الاجتهاد	مؤلفه له علم غزير
على الفية، سبق الجواب	لقد سبق الورى في علم نحو
على الخليل المضمرة الهوادي	وفاق فما يطاق له سباق
له شرف وها أنا فيه بادي <sup>(1)</sup>	وقد بذل النصيحة في كتاب

غير أن أطرف ما امتاز به المرادي هو صنيعه في كتاب "الجني الداني في حروف المعاني" وهو من أمتع ما كتب في متونه فقد استوفى ما أوردده الزجاجي والرمانى في كتابيهما، وقد لاحظ محققا، الدكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل توافقاً بين هذا الكتاب مع مغني ابن هشام. وكان ذلك واضحاً في تقسيم معاني الأدوات، وال Shawahid، والمذاهب والتوجيهات النحوية والمعنىـة والاستدراكات والتعقيبات. ثم المحا إلى احتمالأخذ ابن هشام من المرادي وقد يكون في ذلك إبطال لدعوه أن مغني اللبيب كتاب نسيج وحده، وفريـد أصله وفروعـه، كما طرحا احتمال أخذ المرادي وابن هشام من مصدر واحد إلا أنهما ضعفا هذا الاحتمال الأخير<sup>(2)</sup>. وأيا ما كان هذا التشابه فإن لكل منهما قيمة ومكانته.

ومكانة "الجني الداني" ليست مقصورة على مضامينه العلمية، وإنما تمثل في أسلوبه في الشعر التعليمي الجميل، وفي الأمثلة التالية، نماذج جيدة من هذا الشعر إذ يقول :

#### 1. أقسام إن :

وأقسام إن بالكسر شرط زيادة ونفي، وتحقيق فتلزم لامها  
وقد قيل معنى إذ وإنما وقد حكى السكائي معنى قد، وهذا تمامها<sup>(3)</sup>

(1) راجع على عبد الساهي، المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية ص 103.

(2) الجنـي الدـانـي في حـروفـ المعـانـي : (مـقدـمةـ التـحـقـيقـ) : 5-4 ط 2 و 3، منـشـورـاتـ دـارـ الآـفـاقـ بيـرـوـتـ.

(3) المـصـدرـ نـفـسـهـ : 215

## 2. أقسام أن :

وزائدة، أو مثل أي و مخففه  
وجازمة أيضا فخذها بمعরفه<sup>(1)</sup>

وأقسام أن مفتوحة مصدرية  
ومعنى لشأ ثم لا ثم إذ حكوا

## 3. معانى الواو :

أصل وعطف، والاستثناف والقسم  
علامة الجمع، والإشاع منظر  
وواو الابدال فيها العد يختتم<sup>(2)</sup>

الواو أقسامها تأتي ملخصة  
والحال والنصب والإعراب مضمرة  
وزائد وبمعنى أو و رب ومع

## 4. معانى اللام :

ثلاثون قسماً في كلام منظم  
ويتلوه الاستحقاق يا صالح فاعلم  
وعدل بها وانسب وبيّن وأقسام  
وجاءت لتبلغ المخاطب فافهم  
ومن ولتبع بعض وذا كله نمي  
ولام بها فامدح ولم بها اذمم  
بلر وباللام المزيدة تم<sup>(3)</sup>

أتاك للام الجر مما جمعته  
فأولها التخصيص وهو أعمها  
وملك وقليلك، وشبها معا  
 وعد وزد صيرورة، وتعجب  
 ومثل إلى، في، عن، على، عند، بعد مع  
 ولامان قد جاء بباب استغاثة  
 وقل لام كي لام المحود كلاهما

## 5. الباء :

أقسم وبعض أو فرزد أو علـ  
 وبها فعوض إن تشا أو أبدـ<sup>(4)</sup>

بالباء أصلـق واستعن أو عـد أو  
 وأنت بمعنى مع وفي وعلى وعن

## 6. الفاء :

فعافظة ترتـب باتصالـ  
 وبـعـضـ قالـ تـأـتيـ لـاـنـصـالـ  
 جـلتـ سـبـبـيـةـ ضـمـنـ الـمـالـ  
 عـلـىـ سـبـبـيـةـ فـيـ كـلـ حـالـ  
 ويـظـهـرـ ذـاـكـ فـيـ صـورـ الـمـثـالـ<sup>(5)</sup>

معانـيـ الفـاءـ لـاـ تـعدـ ثـلـاثـاـ  
 وبـعـضـ قالـ قدـ تـأـتيـ كـوـاوـ  
 وـفـيـ جـمـلـ وـأـصـافـ كـثـيـراـ  
 وـرـابـطـةـ الـجـوـابـ تـدـلـ فـيـهـ  
 وزـائـدـةـ كـمـاـ قـدـ قـالـ قـوـمـ

(1) البنـيـ الدـانـيـ فـيـ حـرـوفـ الـمعـانـيـ : 217.

(2) المصـدرـ نـفـسـهـ : 173.

(3) المصـدرـ نـفـسـهـ : 109-108.

(4) المصـدرـ نـفـسـهـ : 56.

(5) المصـدرـ نـفـسـهـ : 78-77.

## 7. الكاف :

الكاف قسمان وهو حرف  
وذا فشبة به وعلل  
ومن يقل جاءنا كتابة<sup>(1)</sup>  
كاف خطاب وكاف جر  
وزده إن شئت دون حجر  
أو كعلى جاءنا بنكر<sup>(1)</sup>

## 8. إذا :

الفرق بين إذا لشرط والتي  
طلب التي للشرط فعلاً بعدها  
وتضاف للجمل التي من بعدها  
لفجاءة من أوجده لا تجهل  
وجوابها وأتت لما يستقبل  
وتكون في صدر المقالة أول<sup>(2)</sup>

ونرى أوجه الشبه بين صنيعه هنا ، وما سند ذكره من أنظمة الشناقطة على هذا المنوال ،  
كما نستعرض بعض آرائه التي أوردها ابن غازي في إيجافه.

## 6. جمال الدين الأسنوي :

كان الأسنوي فقيهاً أصولياً ونحوياً وقام بمحاولة تطبيقية لتنزيل الفروع الفقهية  
على القواعد النحوية ، وهي عبارة عن تنظيم وتوسيع للإشارات التي رأيناها ، في  
المنظارات بين الكسائي وأبي يوسف ، وما تبعها من نكتٍ متفرقة في كتب النحو والفقه .

ولقد قام الدكتور محمد حسن عواد بدراسة جيدة وتحقيق علمي لأعمال الإسنوي ،  
في كتابه "الكوكب الدربي" فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية ، والكتاب  
ممتع في عرضه ومفيد في مضمونه . يقول الإسنوي عن هدف كتابه :

"إن علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والأخرى ، وهو المسمى بعلم الفقه ،  
مستمد من علم أصول الفقه وعلم العربية ، فأما استمداده من علم أصول الفقه فواضح ،  
وأما العربية ، فلأن أداته من الكتاب والسنة عربية ، وحيثئذ يتوقف فهم تلك الأدلة على  
فهمها ، والعلم بدلولها على علمها"<sup>(3)</sup>.

ويذكر معتمده فيقول : واعلم أنني إذا أطلقت شيئاً من المسائل النحوية فهي من  
كتابي شيخنا أبي حيان اللذين لم يصنف في هذا العلم أجمع منهما وهما : الإرشاف  
وشرح التسهيل ، فإن لم تكن المسألة فيها صرحت بذلك . وإذا أطلقت شيئاً من الأحكام

(1) الجنى الداني في حروف المعاني : 95.

(2) المصدر نفسه : 374.

(3) الكوكب الدربي : 185 ط 1 ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن.

الفقهية فهو من الشرح الكبير للرافعي أو من الروضة للنبوبي فإن لم يكن فيهما صرحت بذلك<sup>(1)</sup>.

ومن القواعد التي أوردها نقدم خاتمة في فروع تطبيقية عن الاستثناء وال الحال وعود الضمير والصفة على أقرب مذكور حيث يقول :

**أولاً :** الاستثناء من الإثبات نفي، ومن النفي إثبات، هذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين، وقال الكسائي إن المستثنى مسكون عنه، فإذا قلت قام القوم إلا زيدا فهو إخبار عن غير زيد بالقيام، وأما زيد فيحتمل قيامه وعدم قيامه، وهو الأصل، إذا علمت ذلك. فمن فروع المسألة ما إذا قال له على عشرة إلا خمسة، أو ماله على شيء إلا خمسة فإنه يلزمـه الخمسة. ومنها لو قال ما له عندي عشرة إلا خمسة فقيل يلزمـه خمسة لما ذكرناه، وال الصحيح، كما قاله الـرافـعيـ. لا يلزمـه شيء لأن "الـعـشـرةـ إلاـ خـمـسـةـ" مدلـولـهـاـ خـمـسـةـ فـكـانـهـ قالـ ليسـ عـلـيـ خـمـسـةـ<sup>(2)</sup>.

**ثانياً :** الحال وصف من جهة المعنى حتى يفيد التقييد به في الإنشاء وغيره فإذا قال مثلاً أكرم زيداً صاحـاـ استفـدـناـ تـقـيـيـدـ الـأـمـرـ بـحـالـةـ الصـلـاحـ، إذا علمـتـ ذلكـ فـمـنـ فـرـوعـهـاـ.. لـوـ قـالـ لـلـهـ عـلـيـ أـحـجـ مـاشـيـاـ فـيـلـزـمـهـ المشـيـ منـ حـينـ الإـحـرامـ إـلـىـ حـينـ التـحلـلـ. فـلـوـ عـكـسـ فـقـالـ لـلـهـ عـلـيـ أـمـشـيـ حـاجـاـ، فالـصـحـيـحـ كـمـاـ قـالـ الـرـافـعـيـ أـنـ كـالـعـكـسـ، وـهـوـ مشـكـلـ، فإـنـهـ إـذـاـ مشـىـ فـيـ لـحظـةـ بـعـدـ الإـحـرامـ صـدـقـ أـنـ يـقـالـ مشـىـ فـيـ كـوـنـهـ حـاجـاـ<sup>(3)</sup>.

**ثالثاً :** الضمير إذا سبقه مضاد ومضاف إليه وأمكن عوده على كل منهما على انفراد كقولك مررت بغلام زيد فأكرمه فإنه يعود على المضاف دون المضاف إليه. كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه التحوية وأبطل به استدلال ابن حزم في عدم طهارة الخنزير بقوله تعالى : ﴿أَوْ لَحْمُ خِنْزِيرٍ فِإِنَّهُ رَجْسٌ﴾ (الأنعام - الآية 46). حيث زعم أن الضمير يعود إلى الخنزير لأنه أقرب مذكور فمن فروع المسألة ما إذا قال : له على ألف درهم ونصفه فالقياس أنه يلزمـهـ أـلـفـ وـخـمـسـيـةـ لـاـ لـفـ وـنـصـفـ دـرـهـمـ<sup>(4)</sup>.

(1) الكوكب الدرني : 190.

(2) المصدر نفسه : 375-374.

(3) المصدر نفسه : 384-383.

(4) المصدر نفسه : 204-203.

**رابعاً** : مقتضي كلام النحويين أن الصفة المعتقبة للجملتين لا تعود إليهما ، إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة ما إذا قال : وقف على أولادي وأولاد أولادي المحتاجين ومقتضي كلام النحو عودها إلى الثانية خاصة ، وخالفهم أصحابنا فقالوا بأن هذه الصفة شرط في الجميع كذا جزم به الرافعي وغيره<sup>(1)</sup>.

**خامساً** : إذا احتمل كون "أَلْ" للعهد وكونها لغيره كالعموم أو الجنس فإننا نحملها على المعهود كما قال ابن مالك في التسهيل لأن تقدمه قرينة مرشدة مثاله قوله تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فَرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فَرْعَوْنَ الرَّسُولَ﴾ (المزمل - الآية 15) ، إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة أن من حلف لا يشرب الماء فإنه يحمل على المعهود ، ولا نقول يحمل على العموم حتى لا يحث أصلاً كما قلناه فيمن حلف لا يشرب لا يشرب ماء النهر فإنه لا يحث بشرب بعضه على الصحيح وإن كان شرب الجميع مستحيلاً<sup>(2)</sup>.

وتوضح هذه النماذج منهجه العام في الربط بين التراكيب اللغوية والأحكام الفقهية.

## 7. أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم :

قرأ ابن مكتوم علي البها ، ابن النحاس وسمع من الدمياطي وله في أبيات بقوله في تعلم الحديث عندما كبرَ :

كترت أناس هم الى العيب أقرب	وعاب سماعي للحديث بُعيد ما
يروح ويفدو سالماً يتطلب	وقالوا إمام في علوم كثيرة
غدوات لجهل منهم أتعجب	فقلت مجبيا عن مقالتهم وقد
فللجزم يعزى لا إلى الجهل ينسب <sup>(3)</sup>	إذا استدرك الانسان ما فات من علا

وشرح كافية ابن الحاجب وشافيته ، وله مباحث في التفسير حول كتب ابن عطية والزمخشي وأبي حيان وله التذكرة المشهورة ، وقد أفاد منها السيوطي كثيراً.

(1) الكوكب الدرني : 214-215.

(2) المصدر نفسه : 399.

(3) الدرر الكامنة : 175/1 ، بغية الوعاة : 327/1.

ومن شعره في النحو نورد بعض قصيدة في الموضع التي يحذف فيها عائد الصلة  
إذ يقول :

فطالع تجد ما قد نظمت مفصلا  
فأثبتت، وأما الحذف فاتركه واحظلا  
وفي وصل "أي" صله احذف مسها  
فقيل بتجويز لحذف وقيل لا  
وطالت فإن لم يصلاح العجز موصلا  
أجيز على قول ضعيف وأخملا  
وأحسن مرفوعاً لذا نقل من تلا  
تميم كباء اللذ ما هو ذو ولا  
عليه ومنع الحذف في عكسه انجلى  
ومتصل فاحذفه تظفر بالاعتنلا  
بعد غيره فالحذف ليس مسها  
يكتها فلا تحذف وقد جا مقللا  
ومعناه نصب كان بالحذف أسهلا  
وفعل فلم يحذفه أعنى السموا لا  
فإإن كان مجروراً بحذف قد اعملا  
إذا ما استوى الحرفان يا حاوي على  
فديتك حرف العائد المحصر قد تلا  
تساويهما في اللفظ منفرداً فـ(لا)

بتعریفه الا مواضع نکرا  
ثلاثتها فا حفظ لکی تتمهرا  
خصوص وتعمیم افاد وأثرا  
عن النفي واستفهمه قد تأخرا  
أضیف، وما قد عم أو جا منکرا  
أعندک دینار؟ فکن متصررا

إذا عاينت الموصول حاولت حذفه  
فما كان مرفوعاً ولم يك مبتدأ  
 وإن كان مرفوعاً ومبتدأ غالباً  
 بشرط بنا أي، وأما إن اعترضت  
 وإن يك ذا صدر لوصلة غيرها  
 فدونك فاحذفه وإن لم تطل فقد  
 وشاهد ذا فاقرأ " تماماً على الذي"  
 وأثبتته محصوراً كذا إن نفيت ما  
 وفي حذفه خلف لدى عطف غيره  
 وما كان مفعولاً لغير ظننته  
 ويشرط في ذا عوده وحده فإن  
 وهذا إذا الموصول لم يك ألل فإن  
 وما كان خفضاً بالإضافة لفظه  
 وخافضه إن ناب عن حرف مصدر  
 كقولك تلو "فاقض ما انت قاض" أو  
 وموصوله أحجى لذلك فاحذفه  
 وأعني به لفظاً ومعنى ولم يكن  
 وشرب مما تشربون وإن غالباً

ويقول في الموضع التي يبتدئ بالنكرة :  
إذا ما جعلت الاسم مبتدأ فقل  
بها وهي إن عدت ثلاثون بعدها  
ومرجعها لاثنين منها فقل هما  
فأولها الموصوف والوصف والذي  
كذاك اسم الاستفهام والشرط والذي  
كذلك دينا، له، لقائنا

ل "أَلْ" وكذا ما كان في الحصر قد جرى  
له سوغ التفضيل أن يتنكرا  
ولولا وما كال فعل أو جا مصغرا  
وما كان معطوفاً على ما تنكرا  
سؤالِ بأم والهمز فا خبر لتخبرا  
وما نحو ما أسخاه في القر بالقرا  
عن الظرف والمجرور أيضاً مؤخرا  
إذاً لفجاة فا حوها تحو جوهراء<sup>(١)</sup>

كذاكم لإخبار وما ليس قابلاً  
وما جاء أو غداً عاملاً وما  
وما بعد واو الحال جاء وفا الجزا  
وما "إن" تتلو في جواب الذي نفي  
واساغ، ومخصوصاً غداً وجواب ذي  
وما قدمت أخباره وهي جملة  
كذا ما ولـى لام ابتداء وما غدا  
وما كان في معنى التعجب أو تلا

ويبدو في هذين المثالين تأثره بصناعة المرادي قبله، حتى صار مثل هذه الأشعار  
التعليمية من مأثور عصره.

## 8. ابن الدمامي :

ومن زمرة أئمة مدرسة ابن مالك، النحوي الأديب محمد بن أبي بكر الدمامي،  
المخزومي (3-763 هـ)، نشأ هذا العالم في صعيد مصر وأخذ العلم عن أهل بيته،  
والنحو عن أبي الملقن المغربي، فبرز في اللغة والنحو والحديث، ومن أشهر مؤلفاته، تعليق  
الفرائد على تسهيل الفوائد، وهذا الكتاب من المراجع الأساسية المستعملة من قبـل كل من  
 جاء بعده وأكثـرـهم يوليـهـ العناـيةـ والتـقدـيرـ، ما عـدـ ما سـنـراهـ عندـ محمدـ المرـابـطـ الدـلـانـيـ الذـيـ  
تحـاـمـلـ عـلـيـهـ فـيـ كـتـابـ نـتـائـجـ التـحـصـيلـ، ولـلـدـمـامـيـ كـذـلـكـ مـصـنـفـاتـ أـخـرـ فـيـ النـحـوـ، مـنـهـاـ  
إـظـهـارـ التـعـلـيلـ المـطـلـقـ لـوـجـوـبـ حـذـفـ عـاـمـلـ المـفـعـولـ المـطـلـقـ، وـالـفـواـكـهـ الـبـدـرـيـةـ فـيـ شـرـحـ الـحـلـاوـهـ  
الـسـكـرـيـةـ وـيـعـتـقـدـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـمـفـدـيـ أـنـ قـدـ يـكـونـ شـرـحاـ لـأـرـجـوزـةـ لـهـ فـيـ النـحـوـ  
منها :

وبعد فالنحو له حلاؤه      وعلمـهـ يـكسـوـ الفتـىـ طـلـاوـهـ

وـماـ أـلـفـ أـيـضـاـ شـرـحـ لـصـحـيـحـ الـبـخـارـيـ. وـعـرـفـ الدـمـامـيـ بـرـحـلـاتـهـ الـعـلـمـيـةـ التـيـ زـارـ  
فيـهاـ دـمـشـقـ وـأـنـتـقـلـ إـلـىـ الـيـمـنـ، ثـمـ إـلـىـ الـهـنـدـ، فـأـقـامـ فـيـهاـ إـلـىـ آـخـرـ حـيـاتـهـ.

(١) الأشباه والنظائر : 3/116-117، بغية الوعاء : 329 (مع اختلاف يسير بين المراجع).

وللدماميني شعر رقيق وبديع في الغزل وفي المدح، نذكر منه قوله :

ويقول في مدح السلطان أبي الفتح أحمد شاه :

فبادر لكي تروي لأحمد مسندا  
من الرفع إلا كان في الحال مبتدأ  
وعرف أسباباً تنجي من ال رد  
بوزن وتعريف أبانا عن الهدى  
فعد لحمة شهد العود أح마다  
إمام أحاديث الهدى عنه أنسد  
فلم تحو أخبار السلاطين غاية  
لقد عرف الأفعال بالعدل دائمًا  
فلم ينصرف عن رتبة الفضل إذ أتى  
وذلك لأنها لأحمد سندة

وله في شهاب الدين الفارقي :

ويقول ليس لجوده من لاحق  
أخطا قياسك مع وجود الفارق  
قل للذى أضحي يعظم حاتما  
إن قسته بسماح أهل زمانه

ولقد خاطب علماء الهند في لغز نحوى بقوله :

أيا علماء الهند لا زال فضلكم  
ألم بكم شخص غريب لتسعفوا  
فيسؤال ما أمر شرطتم وجسوده  
فلما وجدنا ذلك الأمر حاصلـا

ونورد من آرائه النحوية الأمثلة التالية :

١. في صرف الممنوع: نحو خدر عنزة : قال خالد الأزهري، قال الدمامي، ينبغي أن يحمل كلامهم في أمثال ذلك على أنه لا يكون هذا التنوين تنوين الصرف، لنافاته لوجود العلتين المحققتين وإنما يكون تنوين ضرورة.

2. في فاعل أغنى عن الخبر: قال التسهيل "لا خبر للوضوح المذكور" وقال الدماميني وكيف يكون له خبر، والخبر إنما هو للمخبر عنه، وهذا ليس بخبر عنه أصلاً، وإنما هو مستند كال فعل، ولشدة شبهه للفعل لا يصغر فلا يقال أضوبيب الزيدان، ولا يعرف : فلا يقال ألقايم الزيدان.

3. قال ابن مالك في "بات التامة": "وأ يريد بـ"بات" نزل ليلاً" قال الدمامي، ولو قال المصنف نزل في زمن البيتوة لكان أولى لأنه أقرب إلى تفسير اللفظ، وأما معناها ناقصة فاقتصر أن مضمون الحملة بالبيتوة.

4. بناء اسم الإشارة : قال ابن مالك في باب اسم الإشارة "وبني اسم الإشارة لتضمن معناها قال الدمامي، وكان الأحسن لو قال المصنف "لتضمن" معنى حرفها لأن المقتضى للبناء تضمن معنى الحرف، لا مطلق تضمن المعاني، لكن قد علم أن الإشارة من معاني الحروف، فكانه قال ذلك.

5. الضرورة الشعرية : لم يوافق ابن مالك في تفسير الضرورية الشعرية وهو يرى أنها ما يوجد في الشعر سواءً كان للشاعر متداولة أم لا ، وابن مالك يقول إنها ما لا متداولة عنه.

6. حكم جملة الصلة : استدرك على النحاة إجماعهم على أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب وهذا على إطلاقه غير صحيح، بل ينبغي التفصيل بين صلة "الـ" وصلة غيرها ، فالصلة في الثاني لا محل لها قطعاً لأنه لا يصح حلول المفرد محلها . وأما صلة "الـ" حيث توصل بالفعلية ذات الفعل المضارع إما اختياراً كما يقول ابن مالك، وإما اضطرار كما يقول غيره، وحيث توصل بالجملة غير المتقدمة على وجه الضرورة بالاجماع، فينبغي أن يكون لها محل في الإعراب.

فقد تكون مرفوعة نحو :

لا تبغين الحرب إني لك اليذر من نيرانها فاتقى

أو منصوبة مثل قوله :

حالف وواليتقي ربه وخالف العصمه ولا ترمعه

أو مجروراً بما : نحو ما أنت بالحكم الترضي، الخ...

7. إعراب : "كان" في قوله :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

حكم النحويون بزيادة "كان" بين النعت والمنعوت ثم شغلهم الخلاف في الضمير المتصل بها ، وتعرض الدمامي للمسألة فقال : وما أدرى ما الذي دعا الكل إلى هذا التكلف مع إمكان أن تكون "كان" ناقصة، والضمير المتصل بها اسمها "ولنا" خبر مقدم عليها.

ونتبين من هذه التعليقات دقة ملاحظاته وطرافة نكته.

---

(1) راجع محمد عبد الرحمن المفدي : ابن الدمامي

## ٩. الإمام السيوطي :

### أ) نشاطه العلمي :

الحديث عن جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الخضيري يتلخص في ثلاثة أرقام : 7 علوم، 150 شيخاً و 725 مصنفاً.

هذه الأعداد تعبر تعبيراً صادقاً عن هذا العالم الذي يمثل دائرة معارف عصره والذي كان خاتمة الأئمة في العلوم الإسلامية، مثل : التفسير، والحديث والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان والبديع، ويقول هو مترجم لنفسه في كتابه "حسن المحاضرة" إنه وصل فيها - ما عدا الفقه - منزلة لم يصل إليها أحد من أشيخه الذين بلغ عددهم مائة وخمسين أستاذًا، روى عنهم سمعاً، وإجازة. اشتهر منهم علم الدين البليقيني، وتقي الدين الشبلي وشيخ الإسلام المناوي وفرضي زمانه الشرمصاني، وأستاذ الوجود" محي الدين الكافيجي<sup>(١)</sup> الذي لزمه ويدرك أنه زاره مرة فسألته الشيخ عن إعراب "زيد قائم". فقال له السيوطي : هل صرنا في مقام الصغار، فقال له الكافيجي إن فيها مائة وثلاثة عشر بحثاً وقرر السيوطي أن لا يقوم من مقامه حتى يستوفيها، وقد استطردتها في كتابه الأشباء والناظران<sup>(٢)</sup>.

ومن شيوخ السيوطي تقي الدين الشُّمُنِي الذي أطال في التنويه به والثناء عليه وروى عنه حديثاً مسلسلاً بالنحوة. وقرأ أيضاً على سيدات اشتهرن بالفضل والعلم. مثل هاجر بنت محمد المصرية، وأم هانىء بنت أبي الحسن الهرويبي ونشوان بنت عبد الله الكنانى.

أما مصنفاته فكانت تعد بالآلاف، ذكر منها بروكليمان 415 مؤلفاً ما بين مطبوع ومخطوط، وأحصى له أحمد الشرقاوى إقبال سبعمائة وخمسة وعشرين كتاباً، خصص منها عشرات للنحو واللغة وعالج فيها جميع مواضع معارفه الواسعة، فاشتهرت كتبه في علوم القرآن وعلوم الحديث، وعلوم اللغة، وألف في التاريخ، وفي طبقات المشاهير في أغلب الفنون، وكتب عن اللباس، كذم الطيلسان، وعن الرياضة كتعليم الرمي والسباحة، وأسماء الحيوانات، وعن فضل الديك وعن فوائد البرغوث. وهذا يبين مدى التفاوت بين مواضع مؤلفاته.

(١) راجع نص الترجمة في مقدمات كتبه : بغية الوعاة . الأشباء والناظران . المزهر.

(٢) الأشباء والناظران : 262/8 - 280.

وفي العهد الذي بُرِزَ فيه الإمام السيوطي، نحوياً ولغويًا، كانت مدرسة الإمام ابن مالك ملأة ساحة النشاط النحوي. فلقد انتشرت كتب ابن مالك ونوقشت آراؤه، واتضحت معالم مذهبة الجديد، تأسست على أيدي علماء أفادوا، منهم أبو حيyan الأندلسى، وابن هشام وابن عقيل، والدماميني، وكان خاتمة هؤلاء الإمام السيوطي.

ينتمي الإمام السيوطي إذن إلى مدرسة ابن مالك التي استقى معارفه النحوية من أهمات كتبها الخمسة، أعني الخلاصة والتسهيل لابن مالك والتذليل والإرشاف لأبي حيyan والمغني لابن هشام. واعتنى مبادئها الخمسة وهي :

1. الاجتهاد في جمع المسائل النحوية.
2. مزج النحو باللغويات.
3. التحرر من المسلمات المذهبية.
4. الحرص على الوضوح في العرض والتقديم.
5. محاولة الابتكار في الترتيب والتنظيم.

#### الجمع والتقصي :

ففي مجال التقصي، وجد السيوطي ميدانه المفضل، وهو جمع المعلومات من شتى الكتب. وكتابه المسمى *هم الهوامع شرح جمع الجماع*، يوحى بنهجه، ويعبر عن ميوله، وذكر أنه جمعه من مائة مصنف وأنه أحاط فيه بكتابي التسهيل والارشاف<sup>(1)</sup>، وفي كتاب النكث على الألفية يقول :

ثلاثين عاماً ظلت أقرب جمعه  
وأجمع فيه ما تفرق من نقل  
فكم فيه من نقل عزيز وجوده  
يعز على من رام نحو العلاقى  
ويذكر أن ألفيته الفريدة :

#### أنت من التسهيل بالخلاصة      فما بها لقارئ خصاصة<sup>(2)</sup>

وفي الاقتراح، جمع ما قيل في أصول النحو عند ابن جني وابن الانباري<sup>(3)</sup>، وذكر أنه أخذ شرح شواهد المغني من ستين كتاباً في الدواين والأمالى، وكتب الآداب والمعانى والمدونات الطوال مثل كتاب الأغانى مؤلفه أبي الفرج الأصفهانى، وكتاب منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون الذي جمع مؤلفه أكثر من ألف قصيدة، وإن عدد ما فيه

(1) المدارس النحوية : 363

(2) مقدمة الفريدة.

(3) الاقتراح في علم أصول النحو : 18.

أربعون ألف بيت<sup>(1)</sup>. وفي بغية الوعاة، يقول إنه رجع إلى ثلاثة مجلد منها كتب الطبقات، ومطولات التاريخ، ودواوين الأدب والأخبار<sup>(2)</sup>.

### مزج اللغة بالنحو :

وقد كان من السهل على الإمام السيوطي أن يمزج في بحوثه بين النحو واللغة، نظراً لباعه الطويل في علوم اللغة. مما يشهد له كتاب المزهر الذي يعتبر من أهم ما ألف من نوعه. غير أن الذي نلاحظه في هذا الباب كونه لم يتابع ابن مالك في نظرية الاستشهاد بالحديث النبوى، مع العلم أنه من كبار المحدثين.

### التحرر من المذهبية :

ولقد تحرر الإمام السيوطي من التعصب لمذهب نحوى خاص، لأنه سلك في ذلك سبيل أئمة مدرسة ابن مالك الذين تناولوا البحث في النحو بصفتهم مجتهدين كما سنبينه فيما بعد.

فانتماؤه لمدرسة ابن مالك لا يعني أنه يقلد أئمتها تقليداً أعمى، بل كان ينظر في آراء كل منهم فيوافقه إذا اعتقد أنه على صواب، ويخالفه إذا رأى أنه على خطأ. وهكذا نهجه مع شيخ المدرسة جمال الدين بن مالك، فقد سايره في مجلل اختياراته، ماعدا قضية الاستشهاد بالحديث. وقد خالفه في بعض الجزئيات منها أن ابن مالك قال إن النداء بالهمزة قليل، ويقول السيوطي إنه وقف على ثلاثة شاهد عليه<sup>(3)</sup>، وإنه أفرد لذلك كتاباً مستقلاً، ورجح بعض الأقوال التي خالف فيها ابن مالك غيره. من ذاك اختياره لرأي الكوفيين في أن المبتدأ والخبر ترافعاً فقال في الفريدة :

بالمبتدأ أرفع خبراً ومن يقل ترافعاً صوب ومفرداً يحل

وقد استخلص الأستاذ د. شوقي ضيف من كتاب "الجمع والهاء"، اختيارات تابع أبا حيان في بعضها، ومنها ما كان له فيها رأي مستقل<sup>(4)</sup>.

### الوضوح في الأسلوب :

وكانت آراؤه ونقوله واضحة المعاني، ومقدمة في أسلوب ليس فيه تكلف ولا تعقيد. وبعيدة عن التقديرات الافتراضية، والاصطلاحات الفلسفية. ولقد تبعج بذلك

(1) شرح شواهد المفنى : 10-11 ط دار مكتبة الحياة.

(2) بغية الوعاة : 03/1

(3) المدارس النحوية : 364-365 (عازياً لهمع الهوامع).

(4) المدارس النحوية : 364-365

حينما قال عن فريدته :

فائقة ألفية ابن مالك لأنها واضحة المسالك.

### الميل الى الابتكار :

ويتبين الابتكار في التنظيم والترتيب في محاولته تطبيق منهج الأصوليين، وساري ذلك في بعض مؤلفاته.

كما يتبع في محاولة تطبيق منهج الأصوليين وميله الى القواعد النحوية، وستعرض لهجته بشيء من التفصيل عند الحديث عن مؤلفاته.

إذا ما أردنا أن نضع الإمام السيوطي في نظام عقده من بين النحاة، ينبغي لنا أن نتحدث عن علاقته بهؤلاء، الأئمة أئمة مدرسة ابن مالك بعد أن وضمنا الروابط فيما بينهم وإسهامهم في تكوين مدرسة التصحيح والثبيت، التي أسسها الإمام جمال الدين بن مالك. ثم نستعرض دور السيوطي في تطورها بعدها وضع انتمازه إليها.

### ب) أهم مؤلفاته النحوية :

وقد كانت مؤلفات هؤلاء، الأئمة الثلاثة : ابن مالك، وأبي حيان وابن هشام الأسس التي انطلق منها الإمام السيوطي في تأليفه النحوية واللغوية. ومؤلفاته في هذه الفنون زادت على الثلاثين، ما بين متون وشرح، وحواشي ومحاضرات. ومن أكثرها شهرة وتدالوا هم الهوامع في شرح جمع الجواب، الذي يمثل مرحلة الجمع عنده، وألفيته التي تلخص منهجه واختياراته، وكتابه في الأشباه والنظائر عرض لثقافته النحوية، ومحاولته للتقرير بين مناهج الفقهاء ومناهج النحويين، وهذه الميول توطدت في كتاب الاقتراح في أصول النحو.

وسوف نخصص كلمات مقتصرة عن هؤلاء المصنفات، ثم نحاول استخلاص منهجه في معالجة النحو، وميله الى التجديد في التنظيم.

### هـ) الهوامع :

نوجز القول عن كتاب الهوامع لما له من شهرة وانتشار، وهو موسوعة ضخمة لآراء النحاة من كل مذهب، مع إيراد الحجج والادلة. وقد ذكرنا قوله إنه جمع من مائة مصنف، وإنه ضممه ما في التسهيل والإرشاد. ولهذا الكتاب أهمية تاريخية، بحيث أنه جمع نقولاً عن كتب لم تكن متداولة مثل الإرشاد الذي لم يبدأ بنشره إلا منذ فترة قصيرة ومثل مسائل الأخفش الكبرى، التي أورد فيها آراء غير معروفة عن أبي الحسن، لأنها لا تتفق مع ما هو موجود في مجاز القرآن لنفس المؤلف.

وقد أفاد مؤرخو النحو، وبالخصوص الدكتور شوقي ضيف في كتاب المدارس النحوية من نقول الهمم في إبراز خصائص مذاهب النحويين.

ومن أهم ميزات هذا الكتاب أنه تم ترتيب متنه على أساس جديد، وهذا يعطينا أول خطوة خطابها السيوطي في نقل منهج الفقهاء والأصوليين واستيحاء من كتاب ابن السبكي الذي أخذ اسمه، فإنه برب كتاب جمع الجواamus على مثال كتاب ابن السبكي، فجعل له مقدمات في المسائل العامة وقسم قواعد النحو إلى سبعة كتب، وهي :

أولاً : العمد ومنصوبات النواسخ.

ثانياً : الفضلات أي المنصوبات.

ثالثاً : المجرورات وأدوات التعليق وبعض حروف المعاني.

رابعاً : العوامل ماعدا الحروف، والتنازع والاشتغال.

خامساً : التوابع.

سادساً : الأبنية.

سابعاً : التغيرات التي تلحق الكلمة مثل الحذف والإبدال والادغام. والتزم بهذا الترتيب في ألفيته.

وسوف نعرض فيما بعد، لكتاب ابن الأمين الشنقطي المعروف بالدرر اللوامع على همع الهوامع.

### الفريدة :

أما كتابه "الفريدة" فهو من "الألفيات" النحو المشهورة، وليس الفريدة أول ألفية في النحو، لقد سبقتها ألفية ابن مالك وألفية ابن معطي التي أشار إليها ابن مالك فيقول :

وتقتضي رضا بغير سخط فانقه ألفية ابن معط

وهو بسبق حائز تفضيلاً مستوجب ثاني الجميلا

وتتوالت الألفيات فيما بعد على شكل مناظرة يدعى الآخر فيها التفوق على سابقه، مثل ما قال ابن مالك وهكذا أيضاً زعم السيوطي أن فريدته :

فائقة ألفية ابن مالك لكونها واضحة المسالك

وجمعها من الأصول ما خلت عنه وضبط مرسلات أهملت

ويرى إن على الأجهوري ألفية قال فيها :

فائقة ألفية السيوطي لأنها محكمة الربط

ومن ألفيات النحو، ألفية ابن شعبان المصري وعبد العزيز اللمعطي. وألفية السيوطي تجسد العلاقة الوثيقة بينه وبين شيخ المدرسة جمال الدين ابن مالك.

لقد نسج الإمام السيوطي على منوال الخلاصة، وقال إنه لخصها في ستمائة بيت وزاد عليها في أربعمائة بيت. وهو يعني بهذه الزيادات بعض الأبواب التينظمها، ولم تكن في ألفية ابن مالك مثل : الموصول الحرفى وضرائر الشعر، والاشتقاق، وأحكام القسم والتاريخ، والنصب على التوسع، وخاتمة في الخط، مع أنه كان يذيل بعض الأبواب بخواتم تشتمل على نكت مفيدة وأغلب هذه الزيادات مأخوذة من التسهيل.

فمن هذه الزيادات يقول في خاتمة الباب الثاني، عن زيادة "إن" :

تزاداد "إن" بعد إذا ولما  
وبين لا وقسم وتنمى  
"كأي" لتفسير بجملتين في  
أولاً هما القول ولفظه نفي

وفي خاتمة باب الإضافة نصر رأي من يثبت الجر على المجاورة في النعت والتوكيد،  
وفي باب نون التوكيد، ذكر في خاتمه أنواع التنوين.

وفي خاتمة باب العوامل يقول :

في الرفع الاشتغال يجري أبدا  
كالنصب إما فاغلا أو مبتدأ  
فالابتداء احتمه في زيد غدا  
واختار خرجت فإذا ذا قد بدا  
والفاعل احتمه بيان زيد قرا  
واستويا في نحو زيد قعدا  
وعامر جاء وقس ذا أبدا

وفي خاتمة التوابع، تحدث عن تابع مبني النداء، والعطف على تابع "آل" وعلى  
اسم "إن".

وفي خاتمة باب الابنية ذكر أحكام همز الوصل.  
والخاتمة كانت في أحكام الخط.

ويقول السيوطي عن محتواها إنها :

أنت من التسهيل بالخلاصه فيما بها لقارئ خصاصة

ولقد كان في إمكانه أن يقول : أنت من التسهيل والخلاصة، لأن مادتها الأساسية من خلاصة ابن مالك، وزوايتها من تسهيله. فإذا كان السيوطي غير الترتيب في الأبواب، فإنه لم يغير في المادة إلا شيئاً بسيراً. فمن أدلة ذلك أنه في عدة مواضع يأتي بأبيات الألفية كما هي، وفي بعضها يضمن نصف البيت أو أكثر، مع تعديل لا يمس جوهر الحكم إلا قليلاً. فمن الأبيات التي لم يغيرها قول ابن مالك في المصادر :

مصدره كقدس التقديس  
 إجمالاً من تجملاً تجملاً  
 وغیر ذي ثلاثة مقىيس  
 وزكه تزكية وأجملاء  
 وفي باب التمييز قوله :  
 اسم يعني من مبين نكره  
 وقوله في العدد :  
 وإن أردت مثل ثاني اثنين  
 مركباً فجيء بتركيبتين  
 أما الأبيات المحورة، فهي كثيرة جداً، لا يكاد يخلو منها باب من الفريدة ومن  
 أمثالها قوله :

كسراً وسكن جازماً كلام يزر  
 فارفع بضم وانصبن فتحاً وجسر  
 سالم جمع بشرط تحببى  
 وارفع بواو وبباً اجر وانصبنا  
 ظن رأى خال علمت وجداً  
 وقوله : ينصب فعل الفعل جزأى ابتدأ  
 وظن مع علم إذا لم يلبسا  
 وقد ينوب الثاني من باب كسا  
 في باطراً وانصبنا الأزمـنا  
 وقوله : الظرف وقت أو مكان ضمنا  
 واحدك بها الإعلام ان لم تنعطف  
 وقوله : وان تصل فلفظ من لا يختلف

### الأشباه والنظائر :

الكتاب الثالث الذي ألفه السيوطي في الأبيات النحوية هو كتاب "الأشباه والنظائر". ولقد تحدث السيوطي عن "الأشباه والنظائر"، في ثلاثة كتب، اثنان منها يحملان هذا العنوان، والثالث هو ما أدرجه في كتاب "المزهر" في باب "النوع الأربعين".

أحد كتابي "الأشباه والنظائر" يعالج القواعد الفقهية، وقال : إن العامل على إبدائه، الموقـع الحسن الذي تلقـاه الطـلـاب بمصنـفـ له سـمـاه : شوارـد الفـوـائدـ، في الضـوابـطـ والـقوـاعـدـ، ثم أورـدـ أنـ فـنـ الأـشـبـاهـ وـالـنـظـائـرـ فـنـ عـظـيمـ، به يـطـلـعـ عـلـىـ حـقـائـقـ الفـقـهـ ومـدارـكـهـ، وـمـآخـذـهـ وـأـسـرـارـهـ، ويـتـهـرـ فيـ فـهـمـهـ وـاسـتـحـضـارـهـ، وـيـقـتـدـرـ عـلـىـ الـاحـاقـ وـالـتـخـرـيجـ. وـمـعـرـفـةـ أـحـکـامـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ لـيـسـ بـمـسـطـورـةـ، وـالـحـوـادـثـ وـالـوـقـائـعـ الـتـيـ لـاـ تنـقـضـىـ عـلـىـ مـرـزـامـ.

وفي هذا الكتاب نـيـهـ عـلـىـ إـمـكـانـيـةـ تـطـبـيقـ هـذـاـ المـنهـجـ عـلـىـ الـقـوـاعـدـ الـنـحـوـيـةـ. فـيـ شـرـحـ لـلـقـاعـدـةـ الـفـقـهـيـةـ الـمـعـرـوـفـةـ، وـهـيـ : "إـنـ الـأـمـورـ بـمـقـاصـدـهـ" ذـكـرـ مـنـ فـروـعـهـاـ، أحـکـاماـ ثـلـاثـةـ.

منها أن المنشآت المنوطة بالضرورة يجوز تنفيذها بالنصب والضم، فإن نون بالضم جاز ضمُّ نعته ونسبة، أو بالنصب تعين نسبة لأنَّه تابع لمنصوب لفظاً ومحلًا، فإن نون مقصورة مثل "يا فتى" بني النعت على ما نوى في المنشآت.

ومنها أن ما جاز إعرابه بياناً، جاز إعرابه بدلأً، وقد استشكل، لأن البدل في نية سقوط الأول. والبيان بخلافه، فكيف تجتمع نية سقوطه وتركها في تركيب واحد، فأجاب رضي الدين الشاطبي بأن المراد، أنه مبني على قصد المتكلم فإن قصد سقوطه واحلال التابع محله أعراب بدلأ، وإن لم يقصد فيه "أل" وإلا فلا.

وفي كتاب المزهر بسط القول في الأشباه والنظائر في النوع الأربعين وقال : هذا نوع مهم ينبغي الاعتناء به، فبه تعرف نوادر اللغة وشواردها ولا يقوم به الا مضططع بالفن، واسع الاطلاع، كثير النظر والمراجعة. ثم ذكر كتاب ابن خالويه المسمى "ليس في كلام العرب. وقال : إنه انتقى منه قدماه ولكن لم يحضره وهو يؤلف هذا الفن، ثم وعد أنه سيأتي فيه "بيان وغرائب إذا وقف عليها الحافظ المطلع يقول هذا منتهي الارب<sup>(11)</sup>.

وتحت هذا العنوان "الأشباه والنظائر" أورد مباحث أبنية الأسماء والأفعال. وقال : إن أول من استوعبها سيبويه الذي أورد للأسماء ثلاثة مثال وثمانية أمثلة، وزاد عليه أبو بكر ابن السراج اثنين وعشرين مثلاً. والجرمي وأبن خالويه أمثلة يسيرة ويقول السيوطني : الذي انتهى إليه وسعنا ، وبلغ جهدنا بعد البحث والاجتهاد ، وجمع ما تفرق في تأليف الأئمة ألف مثال ، ومائتا مثال وعشرة أمثلة<sup>(2)</sup> ، ثم شرع في سردها . كما أورد مجموعات من نوادر الأوزان وفرايد الأبنية اللغوية.

والذي يلاحظ في مقدمة هذا الباب هو أن السيوطى جرى على عادته من الإشادة بسعة اطلاعه، وكثرة مراجعه، وقدرته الفائقة على الجمع والإحصاء والانتقاء والبراعة في الترتيب.

أما كتابه الأشباء والنظائر في النحو فقد كان ثاني خطوة له في التقرير بين مناهج الفقهاء ومناهج التحويين فيقول في ذلك : إن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب الزول أني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألقوه من كتب الأشباء والنظائر. وقد ذكر بدر الدين الزركشي في أول قواعده أن الفقه أنواع : أحدها : معرفة أحكام الحوادث نصاً واستنباطاً وعليه صنف الأصحاب تعاليلهم المسوطة على مختصر المزنی .

المزهري، ج 2 ص 4-3

المزهر، ج 2 ص 4

الثاني : معرفة الجماع والفرق، ومن أحسن ما صنف فيه كتاب الشيخ أبي محمد الجوني.

الثالث : بناء المسائل، بعضها على بعض لاجتماعها في مأخذ واحد، وأحسن شيء فيه كتاب السلسلة للجويني.

الرابع : المطراحات وهي مسائل عويبة يقصد بها تنقية الذهان.

الخامس : المغالطات.

السادس : الممتحنات.

السابع : الألغاز.

الثامن : الحيل. وقد صنف فيه أبو بكر الصيرفي، وابن سراقة، وأبو حاتم القزويني وغيرهم.

التاسع : معرفة الأفراد وهو معرفة ما لكل من الأصحاب من الأوجه الغربية وهذا يعرف من كتب الطبقات.

العاشر : معرفة الضوابط التي تجمع جموعاً، والقواعد ترد إليها أصولاً وفروعاً. وهذا أنفعها، وأعمها، وأكملها وأتقها، وبه يرتفع الفقيه إلى الاستعداد لمرتبة الاجتهاد وهو أصول الفقه على الحقيقة".

ويذكر إن هذه الأقسام أكثرها اجتمعت في كتاب "الأشباه والنظائر" للقاضي تاج الدين السبكي<sup>(1)</sup>. وقد ضمن السيوطى كتابه هذا سبعة فنون، نوجزها هنا :

الفن الأول : في القواعد والأصول التي تُردد إليها الجزئيات والفرouع، وسماء بالمصادر العلية في القواعد النحوية. وهو مرتب على حروف المعجم، ويقول إنه اعتنى فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق، إلا أنه أشبع القول فيه، وأورد في ضمن كل قاعدة ما لأنمة العربية فيها من مقال وتحrir وتنكية، وتهذيب واعتراض وانتقاد، وجواب وإيراد، وإنه طرزاً بما عدوه من المشكلات من إعراب الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآبيات الشعرية، وتركيب العلماء في تصانيفهم المروية، ويزيد قائلاً : وحسوتها بالفوائد، ونظمت في سلوكها فرائد القلائد<sup>(2)</sup>.

وهذه أمثلة من القواعد التي أوردها في هذا الفن : في باب الهمزة تحدث عن الإتباع، وإجراء المتصل مجرى المنفصل، وعن الاشتقاء، وفي باب التاء تكلم عن التوابع،

(1) الأشباه والنظائر في النحو : 1/6-7 ط 1 ، مؤسسة الرسالة - بيروت

(2) المصدر نفسه : 10/1

والتصغير، والتضمين، وفي الثالث عن الشقل والخففة، وفي الحاء عن الحركة وعن حمل الشيء على نظيره. وفي الراء عن الرابط، وفي الزاء عن الزيادة، وتناول قواعد العامل في باب العين والنادر في باب النون.

ولقد اعتمد في هذا الفن، على خصائص ابن جني، وتعليقة ابن النحاس، وأصول ابن السراج، وتذكرة ابن الصائغ.

**الفن الثاني** : في القواعد الخاصة والضوابط، وسماه بالتدريب. وبه فيه على الفرق بين القاعدة التي تجمع فروعها من عدة أبواب، وبين الضابط الذي يجمع فروعها تدرج في باب واحد. وأعطي مثالاً في الصرف، فقال : إن القاعدة تقول إن الأصل في الأسماء الصرف. وفي نفس الباب ذكر عدة ضوابط منها أن ما لا ينصرف ضربان، ضرب لا ينصرف في نكارة ولا معرفة، وضرب لا ينصرف في المعرفة فإذا نكر انصرف وفي آخر هذا "الفن" سرد مسائل الخلاف الواردة في كتاب الإنصاف<sup>(1)</sup>.

**الفن الثالث** : عرفه بأنه فن بناء المسائل بعضها على بعض، وسماه سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب. وذكر أنه استوحى هذه التسمية من كتاب الجوياني في الفقه المسمى "السلسلة" ومن كتاب الزركشي في الأصول المسمى "سلاسل الذهب"، وتحدث فيه عن الإعراب والبناء وعن أقسام العلم، وعن الوصول بجملة التعجب، وعن سبب تسمية أفعال النواخ布 بنواقص. وكان مختصراً في هذا الفن إذ لم يخصص له إلا عشرين صفحة<sup>(2)</sup>.

**الفن الرابع** : قال إنه فن الجمع والفرق، وقسمه على قسمين أحدهما الأبواب المتشابهة المفترقة في كثير من الأحكام، وثانيهما يتناول المسائل المتشابهة والمترفرقة في الحكم والعلة. وسمى هذا الفن "الللمع والبرق في الجمع والفرق" وأكثره منقول عن المغني لابن هشام<sup>(3)</sup>.

**الفن الخامس** : سماه "الطراز في الألغاز" وهو منشور غير مرتب، وقد دون فيه مجموعة من الألغاز والأحجاجي، والمطاراتات والمعايادة، ومن الألغاز الواردة فيه، ألغاز للزمخشري والحريري، وابن الصائغ، وابن هشام، والمغربي، كما ذكر أحجوبة لبعض هذه الألغاز لابن الشجري وابن مكتوم، وقد ذكر لنفسه ألغازًا شعرية ونشرية. كما شرح فيه ألغاز ابن لب في أرجوزته التي أولها :

أحمد ربي حمد ذي إذعان      معترفاً بالقلب واللسان

(1) الأنباء والنظائر، ج 3 ص 5 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 323 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج 4 ص 5 وما بعدها.

ومنها :

حاجيتكم لتخبروا ما اسمان  
 وأول إعرابه في الثاني  
 ها هو للناظر كالعيان

وهو يعني الألف واللام الموصولة في مثل جاء الضارب ومررت بالضارب على القول  
 فإنها اسم مثل "الذى" <sup>(1)</sup>.

الفن السادس : وقد سماه السيوطى التبر الذائب في الأفراد والغرائب، وهو لا يتعدى عشر صفحات. ورتبه على أبواب النحو، فذكر في باب الكلام أن أبا حيان قسمه على أربعة اسم و فعل وحرف، والقسم الرابع زاده أبو جعفر ابن صابر وسماه الحالفة، ويعنى اسم الفعل. وفي باب الإعراب أورد قوله لأبن الأباري حاكياً عن الزجاج أن التثنية والجمع مبنيان، وهو خلاف الأجماع. وفي باب الابتداء قال، ناقلاً عن ابن أبي الربيع : أن ابن الطراوة أجاز الإخبار بظرف الزمان عن الجثث، وفي باب "كان" ذكر أن ابن معطي قال في الفصول بعدم جواز تقديم خبر "دام" على اسمها. وفي باب "إن" قال ابن مالك في شرح التسهيل : "إن كان يعني ما بعد "إن" المخففة مضارعاً حفظ ولم يقس عليه نحو ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأيمانهم ﴾ (سورة القلم - الآية 51) وقال أبو حيان هذا ليس ب صحيح ولا نعلم له موافقاً <sup>(2)</sup>.

الفن السابع : وهو في فن المناظرات، وال المجالسات، والمذاكرات، والراجعات، والمحاورات، والفتاوي، والواقعات، والمكابدات والراسلات. وفي مجموعة من هذه المواضيع استغرقت نحو نصف الكتاب. وقد قسمها على أجزاء مع تداخل المسائل بينها. فمن المناظرات التي أوردها مناظرة سيبويه والكسائي في المسألة الزنبوبية. ومناظرة ابن حاتم والتوزي في تذكير أو تأنيث الفردوس، ومناظرة ابن الأعرابي والأصمسي في معنى قول العجاج : "فقد أراني أصل القعاد" [ومناظرة ابن ولاد وابن النحاس في بناء وزن افعلوت من رمي، ومناظرة ابن خروف والسهيلي في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كل ذي ناب من السباع حرام »، ومناظرة المازني وابن قادم في إعراب "نفتك ديناراً أصلح من درهم".

وفي باب المجالسات، وهي قريبة من المناظرات، استطرد منها مجالس أبي عثمان المازني مع يعقوب ابن السكبيت حول وزن "نكتل" في قوله تعالى : ﴿ فأرسل علينا أخانا نكتل وإن الله لحافظون ﴾ (يوسف - الآية 63). ومناظرة لأبي عثمان المازني مع أبي

(1) الأشباه والنظائر، ج 5 ص 184 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه.

الحسن الأخفش، في حكم ثنية كسا، وفي حمل "ما" على "ليس" وحمل ليس على "ما" ومجلس الكسائي والأصمعي في بيان قول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً      دعا فلم أر مثله مخدولاً  
ومحاورة أبي يوسف مع الكسائي في توجيه قوله الشاعر :

فأنت طلاق والطلاق عزىـة      ثلاـثاً ومن يخرق أعقـاـنـاـ واظـلـمـاـ

ومسائل جرت بين ابن النحاس وابن لاد، وأغلبها في التمارين على الأبنية الصرفية، ومسائل أبي نزار الملقب بملك النحاة المعروفة بالمسائل العشر المتبعة إلى الحشر. ومسائل مروية عن أبي السعادات ابن الشجري.

ومن الغرائب التي أوردها في هذا الفن مسألة ابن العريف.

والقصيدة الحرياوية، نسبة إلى الحريا، لأن روتها يجوز فيه الفتح والكسر والضم.

وأولها :

إني امرؤ لا يطبني الشادن الحسن القوام

كما أدرج مجموعة من الرسائل القصيرة التي تعالج مواضيع معينة، منها الرفة في معنى "وحدة". ونيل العلا في العطف بلا، والحلم والاناء في اعراب غير ناظرين إناـلاـ (الأحزاب - الآية 53) وهذه الرسائل الثلاث لتقي الدين السبكي. ومنها فوح الشذا لابن هشام في الرد على أبي حيان في أحكام "كذا"، وكتاب الوضع الباهر في رفع أ فعل للظاهر لمحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الصابع. ولم ينس السيوطى نفسه في هذه الرسائل اذ ختم الكتاب مؤلف صغير له حول مسألة "ضربي زيدا قائما" (١).

ومع ذلك فإن كتاب الأشباء والنظائر من أمتع كتب السيوطى وأطفرها. فهو وإن لم يأت بفكر جديد، فإنه مع ذلك أبدع كما هي عادته في التهذيب والترتيب. وأظهر مقدرته الفائقة على لمَّاشيات العلوم، وبيان وجود التلاقي بينها، متوكلاً دوماً منهجه في الاجتهاد في الاستقصاء والتحقيق. ولقد ضممه مجموعة من النقول من كتب كثيرة. فانتقى الأصول والقواعد من مدونات النحو، ومن خصائص ابن جني وأخذ الفروق من مغني ابن هشام، وأكثر المجالس من أعمال الزجاجي وابن الشجري وكتب أبي حيان، وتذكرة ابن مكتوم، وتعليقة ابن النحاس.

والجدير باللاحظة أن الإمام السيوطى في هذا الكتاب الذي وضعه على منوال بدر الدين الزركشي لم يعتمد تقسيمه العشري، وإنما حرص أن لايزيد على التقسيم السبعي،

(١) الأشباء والنظائر، ج ٥ ص ٣١ وما بعدها.

الذي طبقه على جل كتبه النحوية : مثل الهمم، والإقتراح، والفريدة. ولو أدى في بعض الأحيان إلى تكلف واصطناع، وفي كتاب الأشباه والنظائر ظهر ذلك في الفروق البينة بين أحكام الفنون السبعة، فواحد منها أكمله في نحو عشر صفحات، بينما خصص للفن السابع والأخير عدة مئات من الصفحات.

### كتاب الإقتراح في علم أصول النحو :

وقد تناول الإمام السيوطي في هذا الكتاب - حد أصول النحو، وحدوده - وحد اللغة والدلالات النحوية، وأقسام الحكم النحوي. ثم تحدث عن السماع كالاستدلال بالقرآن، ومسألة الاحتجاج بالحديث. ويكلام العرب. وتناول الإجماع وأركان القياس وأنواعه، وتحدث عن مسالك العلة والقواعد فيها، وخصص باباً للاستصحاب، والاستدلال، والتعارض والترجيح. وختم الكتاب في باب سادس - محافظة منه على النظام السبعي - بالكلام عن أول من وضع النحو، وليس من شك أن هذا الكتاب ذو قيمة كبيرة، من الناحية المنهجية مما يشير اهتمام كل من جمع بين معرفة النحو، وأصول الفقه. ومن اهتم به ابن الطيب الشرقي الذي قدم عليه شرحاً ضافياً. كان موضوع دراسة خاصة من قبل أحد الأساتذة المعاصرین. غير أن قيمة الكتاب، لا تمنع من وضع سؤال أساسي، لنقول هل كان السيوطي منصفاً لمن قبله، حينما قال إنه لم ينسج ناسخ على منواله ؟ وضع هذا السؤال يشير إضافة قالها السيوطي، وهو أنه بعد تمامه رأى أن الكمال ابن الأنباري الحق بعلوم الأدب الشامية علمين وضعهما، وهما علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو.

يقول السيوطي إنه تطلب الكتابين حتى وقف عليهما فإذا هما لطيفان جداً وأنه أخذ من الكتاب الأول اللباب وأدخله معزواً في كتابه، وضم خلاصة الثاني من مباحث العلة. كما ذكر أنه استمد كثيراً من كتاب الخصائص لابن جنى الذي يحمل اسم "أصول النحو" ولكنه، كما يقول السيوطي خارج عن هذا المعنى وأنه فيه الغث والسمين.

أما نقل الإمام السيوطي من كتب ابن الأنباري فإنه أيضاً واضح المعالم، بين السيوطي منه ما عزاه لكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، كما عدد الفصول التي أخذها من كتابي اللمع والاغراب.

وفي مقدمة تحقيق هذين الكتابين لسعيد الأفغاني، وردت تفاصيل المسائل التي أخذها السيوطي عن ابن الأنباري كما أعرب المحقق عن استغرابه لتمادييه في دعوى الأولية التي أتت على لسانه في مقدمة كتاب الإقتراح، وذلك بعدهما اطلع على ما كتبه ابن الأنباري وأخذ منه لبابه وأدرجه في عمله.

سؤال آخر يتجه إلى السيوطي حول كتاب الاقتراح، وهو سؤال لا يتعلّق بالأسبابية في علم أصول النحو، ولكنه يمس مسألة أساسية في السماع، وهي قضية الاستشهاد بالحديث و موقف السيوطي منها. ولابد هنا من التذكير، بأن السيوطي من أجل المحدثين في عصره، وأن له ما يقارب مائة مصنف في الحديث، وفي علومه، ومن أشهرها جامعه الكبير، الذي شمل أغلبية المأثور منه. ولاشك أن له اليد الطولى في النحو وفي تاريخه وأصوله، وهذا ما يجعلنا نستغرب وقوفه في صف الذين ينكرون الاستشهاد بالحديث، ويردد ما قاله أبو حيان، ويستشهد لآرائهم، باختلاف الرواية، وعجمة الرواة. ولم يذكر السيوطي المخالفين أمثال الشاطبي ونور الدين الدمامي.

واستفادة السيوطي من ابن جنى لا تقتصر على كونه استمد أكثر مضمونيه من كتاب الخصائص، وفي مواضيع الدلالات النحوية، وتدخل اللغات، وتركيب المذاهب وبحوث اطراد العلة، والبحث في علة العلة. وفي تعارض العلل، وتدخل الدور فيها. مثل الحكم عند اجتماع الضدين، وعند تعارض الأصلين، وعند تعارض القياس والاستصحاب، أو السماع، وطرق الترجيح في هذه الحالات. كل هذا أوردته السيوطي مفصلاً ومعزواً لابن جنى في كتابه المذكور، بيد أن الذي لم يذكره السيوطي هو أن ابن جنى في الخصائص، أوضح أن منهجه الذي اعتمد هو منهج الأصوليين فقال في معرض سبب تأليف كتاب الخصائص :

”وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين - وهو يعني البصرة والكوفة - تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر (ابن السراج) فلم يلم فيه بما نحن عليه، إلا حرفاً أو حرفين في أوله وقد تعلق عليه ذلك. على أن أبا الحسن (الأخفش الأوسط) قد صنف في شيء من المعاييس كتاباً إذا قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أنا نينا عنه فيه، وكفيه كلفة التعب به“.

كما ذكر ابن جنى أيضاً، في باب العلل، أنه جمع ما كان متفرقاً من بحوثها اقتداء بالخلفية الذين كانوا ينتزعون العلل من كتب محمد بن الحسن الشيباني لأنهم يجدونها منتشرة في أثناء كلامه فيجمعون بعضها إلى بعض بالللاطفة والرفق<sup>(1)</sup>.

فالذى نلاحظه هنا أن ابن جنى، شأنه في ذلك شأن السيوطي، ادعى أنه لم يسبق إلى التأليف في أصول النحو، وأن ما كتب ابن السراج خارج عن المعنى إلا القليل النزء، وأن كتيب الأخفش لا حاجة إليه بعد ما كتب هو في الخصائص.

(1) الخصائص : 16/1.

هذا وبخلاف الدين مؤلفان آخران لهما علاقة متينة بالنحو، وهما شرح شواهد المغني، وبغية الوعاة.

### شرح شواهد المغني :

فكتابه في شرح شواهد المغني يندرج في اهتمامه بكتاب المغني قائلاً : إنه شرح ما فيه من الشواهد بصورة مختصرة، ثم خطر له أن يفرد لهذه الشواهد كتاباً مستقلاً، أراد الإلهاطة أولًا، ثم قرر التوسط أخيراً. ويدرك فيه القطعة إن كانت قصيرة ويحيل على محلها إن كانت من المطولات. وذكر أنه رجع في هذه الشواهد إلى أكثر من ستين كتاباً.

ومجموع الشواهد المذكورة، تبلغ 879 شاهداً لم يتعرف قائلها سبعة وثمانين منها، وهذا مما يطرح مشكلة الاستشهاد بما لا يعرف قائله. ومن الغريب أنه لم يتعرض لهذه القضية في مقدمة الكتاب مثل فعل القادر البغدادي في خزانة الأدب، كما أنه يكتفي غالباً عند ذكره الشاهد المجهول بقوله، إن قائله غير معروف.

وفي كتاب المزهر عند كلامه عنمن ترد روايته نقل رأي الكمال ابن الأنباري في أن ما لا يعرف قائله ليس بحججة، ونقل أيضاً تناقض كلام ابن هشام في هذا الموضوع بأنه أنكر استدلال الكوفيين على جواز مد المقصور للضرورة، بقول الراجز :

قد علمت أخت بنى السعلا، إن نعم ما كول على الخواء  
وعلمت ذاك مع الجزاء يا لك من قمر ومن شيشاء  
ينشب في المسعل، اللها

فكان جوابه، هذا لا يعلم قائله وليس بحججة. وذكر في شرح الشواهد ما يخالفه فإنه قال : "طعن عبد الواحد الطراح ... في الاستشهاد بقوله :  
لا تكثري إني عسيت صائماً

وقال : هو بيت مجھول فسقط الاحتجاج له" قال ابن هشام : لو صح ما قاله لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من هذه الملاحظة فإن شرح شواهد المغني من أمنع كتب الشواهد في مجال الأدب، ومن أحكمها منهجاً لأنه يقدم ترجمة للشاعر، وملخصاً للحكم المتعلق به، مع إيراد سياق الشاهد، وقصيده إن لم تكن من الطوال، وإلا أعطى منها نبذة تتناول موضوعها العام، مع شرح ألفاظ الغريب فيها.

(1) المزهر : 141/1

## بغية الوعاة :

وفي كتاب البغية لم يحد الإمام السيوطي عن منهجه المعتمد في التوسيع في البحث، والتقصي والجذب في الجمع والحصر، والاجتهاد في التصنيف والتبييب. وهو يروي لنا قصة هذا الكتاب الذي جمع مسودته في عام 868 هـ، وكانت هذه المسودة عبارة عن حصيلة ما ينفي على ثلاثة مجلد من أخبار طبقات النحاة مستوفبة منها ما طال وقصر وخفي واشتهر، غير أن صديقاً له يدعى ابن فهد أشار عليه في مكة المكرمة عام 869 هـ أن يجرد منه مجلداً يحتوي على المهم من تراجم طبقات النحاة واللغويين، فاتبع نصيحته وأخرج كتاب "بغية الوعاة" مشتملاً على لباب تلك المسودة، وبعدما بالغ في الثناء عليه في خاتمة كتابه، قال : "على أني لا أبيعه جمع سلامه، ولا أدعني أنه لم يفتني فيه فاضل أو علامة، أتى لي، ونجباء الدنيا لا تحصى، وأخبارهم شتى ولا تستقصى، خصوصاً علماء العجم المتأخرين فإنهم ضيعوا أنفسهم بترك تاريخ يجمع شملهم. وقد اعتنى بذلك المتقدمون من علماء محدثيهم" <sup>(١)</sup>.

ولابزالم هذا الكتاب من أهم مراجع تراجم النحاة واللغويين لأنه جمع جل ما ألف من قبله في هذا الموضوع.

## رأي السيوطي في كتبه :

تعود السيوطي في مقدمات كتبه النحوية التنوية والإشادة بقيمة مؤلفاته العلمية. وأن يدعى فيها التفوق على كل سابق ولاحق. ففي جمع الجرامي يقول : إنه أتى بالعجب العجاب بما لم يجمعه قبله مؤلف فحق له أن يكون على كتب الأئم سرياً وبأثر المحمد حريراً، وعن كتابه في النكت على الألفية لابن مالك والشذور لابن هشام يقول :

أيا أيها النحوي هذا مؤلف  
أيعينك مهما تقرئ الناس أو تقللي  
ثلاثين عاماً ظلت أرقب جمعه  
وأجمع فيه ما تفرق من نقل  
فكم فيه من نقل عزيز وجوده  
فدونك تأليفأ عزيزاً محرراً  
من الناس لم يسمح به أحد قبلي

ويقول عن ألفيته :

فريدة في كل عقد دره  
في جبهة المختصرات غره  
بمقصد للمعضلات شانيه  
كافية للطلابين وافي

(١) بغية الوعاة : 1/3-6.

وعن البهجة المرضية في شرح الالفية، يقول : فدونك مؤلف كأنه سببكة عسجد، أو در منضد برز في إبان الشباب وقىز عند الصدور أولى الألباب. فهو شرح لطيف منه ريح التحقيق يفوح، وجامع لنكت لم يسبق إليها غيره من الشروح .

وقال إن كتاب الأشباء والنظائر تجديد لكتاب طريف، لم أسبق إلى مثله، وديوان منيف لم ينسج على شكله، ضمنته القواعد النحوية ذات الأشباء والنظائر<sup>(1)</sup>.

وقال عن الاقتراح إنه غريب الوضع، عجيب الصنع لطيف المعنى، طريف المبنى لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج نسيج على منواله، في علم لم أسبق إلى ترتيبه، ولم أتقدم إلى تذهيبه<sup>(2)</sup>.

وشواهد المغني، قال إنه أفرده من حاشية حلّ بها كتاب المغني سماها بالفتح القريب أودعها من الفوائد والفرائد، والغرائب والزوائد ما لو رامه أحد غيره لم يكن له إلى ذلك سبيل، ولا فيه نصيب<sup>(3)</sup>.

وأن بغية الوعاة : لو رأاه البيهقي خلع وشاحه بين يديه توقدرا أو ابن الأنباري خلع عليه حلته السيرا أو ابن بسام لأضحى عابساً لنفاد ذخيرته أو ياقوت الحموي لقال هذه الدرة اليتيمة التي لم يقع عليه الأصبهاني حين أتى بخريده<sup>(4)</sup>.

وعن كتاب المزهر يذكر أنه أتى فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع، وقد كان كثير من تقدم يلم بأشياء من ذلك، ويعتنى في بيانها بتمهيد المسالك غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله طارق<sup>(5)</sup>.

### ج) رأي النقاد في كتبه النحوية :

إذا كان نقاد الإمام السيوطي أو خصومه لم يسلموا له بادعاء الأسبقية في كتبه فإنهم لا مناص أن يعترفوا له بسعة الاطلاع، والمقدرة على جمع المعرف، ومحاولة الابتكار في التبوب والتنظيم. ولقد ركز في بعض مؤلفاته على هذه الميزة الأخيرة. فقال في كتاب "الاقتراح" : أن جمعه وترتيبه صنع مختار وتأصيله وتبوبه مبتدع<sup>(6)</sup>. وفي كتاب "المزهر" يقول : هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنوعه وتبوبه<sup>(7)</sup>.

(1) الأشباء والنظائر : 5/1.

(2) الاقتراح : 17.

(3) شرح شواهد المغني : 9/1.

(4) بغية الوعاة : 428/2.

(5) المزهر : 1/1.

(6) الاقتراح : 17.

(7) المزهر : 1/1.

ويبدو أن ابتكاره في الترتيب جاء نتيجة تفكيره في أن "يسلك بالعربية سبيل الفقه". وأن يطبق المنهج الأصولي على تنظيم القواعد النحوية وبهذا الصدد أخذ من كتاب جمع الجواجم لابن السبكي تنظيمه، واعتمده في مؤلفاته النحوية. واختار نفس العنوان لكتابه المشهور جمع الجواجم الذي رأينا أنه رتبه على مقدمات في مسائل عامة، تتلوها سبعة أبواب سماها بالكتب. واتبع نفس التنظيم في فريدته، وبينه قائلاً :

ترتبها لم يحو غيري صنعه      مقدمات ثم كتب سبعة

وبقي هذا الترتيب عالقاً في نفسه، حتى ولو أدى إلى نوع من التكليف مثل ما وقع له في تبوب كتاب الاقتراح، فعمد إلى إنشاء باب سايع تحدث فيه عن تاريخ نشأة النحو، وهو لم يكن من صميم موضوعه.

وليس من شك أن الإمام السيوطي، كان ذا قدرة هائلة على الجمع، وموفقاً في التهذيب. وما هرا في التبوب والترتيب. فهل بإداعه واختراعه اقتصر على الجمع وحسن التصنيف، فكان مثابة حاسوب ضخم يضم عدداً هائلاً من قواعد المعلومات، تمت برمجته بصفة محكمة، بيد أنها مع كل هذه المزايا لا تعطي إلا ما أدخل فيها ؟.

وبعبارة أخرى، هل قصر إبداع السيوطي عن إعماله فكره في معالجة القضايا التي تناولها بالبحث فاقتصر منهجه على المقارنة، والتتألif بين الأشباه والنظائر في كل فن ؟ وما يرشد إلى هذا المنحى أمران أحدهما عزوف الإمام السيوطي عن العلوم العقلية، لأنه لما طلب مبادئ المنطق ألقى الله كراهيته في قلبه فرج الله عنه بفتوى ابن الصلاح بتحريمه، فعوضه الله عنه أشرف العلوم وهو علم الحديث. وكذلك علم الحساب فهو أعسر شيء عليه وأبعد عن ذهنه، كما قال : وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جيلاً أحمله<sup>(1)</sup>.

ثانيهما : أنه في أكثر مصنفاته ينطلق من كتاب أو مجموعة من الكتب في الفن الذي أراد أن يكتب إما بجمعها وترتيبها مثل جمع الجواجم في الحديث والنحو، وإما أن يعتمد على مؤلف معين فيهذهه ويضيف إليه ما جد بعده من المصنفات حتى قال السخاوي إن له مؤلفات كثيرة مع كثرة ما يقع له من التحرير والتصحيف فيها وما ينشأ من عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ولا جلس بينهم في مسائهم وتعرисهم، بل استبد بالأخذ من بطون الدفاتر والكتب، وأخذ من كتب المحمودية وغيرها من التصانيف القدية التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون شتى، فغير فيها شيئاً يسيراً وقدم وأخر ونسب لنفسه وهو لـ في مقدماتها<sup>(2)</sup>.

(1) المزهر : المقدمة ناقلة عن ترجمته لنفسه في "حسن المحاضرة" ، ص 14 .

(2) الضوء اللامع : 66/4 وص 68 .

والغالب في مصنفاته تلخيص كتب الآخرين، فقيمتها العلمية توزن بقيمة صاحب الكتاب الأصلي والتضارب الحاصل فيها يعود إلى اختلاف الكتب المختصة. ومن ذلك أنه تبع الزركشي في الخلط بين قدامة بن مظعون وعثمان أخيه في شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب، وفي الإنقان أوهام استغلها أعداء الإسلام، ولم يتعب في الذيل بل اختصره من ترجم الدرر الكامنة .

ومع ذلك فإن هذه الملاحظات النهجية، لا تغض من قيمة بحر زاخر، أغنى المكتبة الإسلامية بذخائر حية، جعلته مرجعاً موثوقاً، ومصدراً معتمداً في أغلب العلوم الإسلامية.

## 10. نور الدين الأشموني :

وبعد محمد ابن أبي بكر الدمامي لمعت في أرض الكنانة عدة أعلام، منها محمد بن سليمان الرومي الكافيجي (ت 879 هـ) وهو من أشياخ الإمام السيوطي، درس في الشيشخونية وغيرها، ويقول الدكتور شوقي ضيف أنه لا يشق غباره في الفلسفة والمنطق والنحو، وله شرح على قواعد الإعراب لابن هشام<sup>(1)</sup>.

وكذاك الشيخ خالد الأزهري، تلميذ الشمني، وله المقدمة الأزهرية في علم العربية وشرح الأجرمية، وقواعد ابن هشام، وتوضيحه، بكتابه التصریع، وهو من المراجع المتداولة. وفي القرن العاشر طلع في الأجواء المصرية نور الدين علي بن محمد بن عيسى الأشموني، وهو من أخذ عن الكافيجي، فاشتهر بالتفصيف والزهد والانقطاع إلى التدريس، وقد ألف شرحاً على ألفية ابن مالك من أنفع ما كتب عنها، ولقد كان صادقاً حينما قال عنه : هذا شرح لطيف بدبيع على ألفية ابن مالك مهذب المقاصد واضح المسالك، يمتزج بها امتزاج الروح بالجسد، ويحل منها محل الشجاعة من الأسد، تجد نشر التحقيق من أدراج عباراته يعقب، ويدر التدقیق من أبراج إشاراته يُشرق، خلا من الإفراط الممل، وعلا عن التفريط المخل، وكان بين ذلك قواماً، وقد لقبته بنهاج السالك إلى ألفية ابن مالك، ولم آل جهداً في تبنیه، وتهذیبه وتوضیحه وتقریبه<sup>(2)</sup>.

وقد أولى الأشموني عناية فائقة لتوسيع عبارة المصنف، وبيان أخذ حد النحو من ابن عصفور. بأنه العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصولة إلى معرفة أحكام أجزاءه التي اختلف منها<sup>(3)</sup>.

(1) المدارس النحوية : 358.

(2) شرح الأشموني : 1/5-6 (حاشية الصباني على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط. دار الفكر).

(3) شرح الأشموني : 1/15.

وقد كان منهجه قريراً من منحى ابن عقيل، إلا أنه زاد عليه في تنبیهاته وخواصه وكانت آراؤه مشدودة بعمر اختیارات ابن مالك، فکثیراً ما كان يصحح اجتهاده، وينتصر له، وفي مواضع قليلة، يتعقب رأيه، أو يصوّبه ويظهر هذا في الفقرات التالية، عند قول ابن مالك :

كذا خلتنيه واتصالاً اختار غيري اختار الانفصالة

على اختیار ابن مالك بانه الأصل، وله شاهد من الحديث والشعر.

وكان صلی عليه وسلم قال في ابن صياد : «إن يكنه فلن تسلط عليه، ولا يكنه فلا خير لك في قتله». وقال أبو الاسود :

أخوها غذته أمهما بلبانهما فإن لا يكنها أو تكونه فإنه

ومنه أيضاً قول الشاعر :

بلغت صنع أخ بر إخالكه إذ لم تزل لاكتساب الحمد مبتدراً

وأما غير ابن مالك وهو سببوبه فقد اختار الانفصال، لأن الضمير في البابين خبر في الأصل وحق الخير الانفصال وكلاهما مسموع. مثل قول عمر بن أبي ربيعة :

لئن كان إيماء لقدر حال بُعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

وقول الآخر :

أخي حسبتك إيماء وقد ملئت أرجاء صدرك بالأضغان والإحن

ثم نبه الأشموني على أن ابن مالك وافق سببوبه في التسهيل على اختیار الانفصال في "خلتنیه" لأنه خبر مبتدأ في الأصل وقد حجزه عن الفعل منصوب آخر، بخلاف هاء كنته، فإنه مبتدأ في الأصل، ولكنه شبيه بها، ضربته في أنه لم يحجزه إلا ضمير مرفوع، والمرفوع كجزء من الفعل، ثم قال إن الناظم في هذا وافق الرمانی وابن الطراوة<sup>(1)</sup>.

وصحح قول الناظم، ولو كان مخالفًا لسببوبه، مثل قوله في "حاشا" الجر بحاشا هو الكثير الرابع، ولذلك التزم سببوبه وأكثر البصريين حرفيتها ولم يجيروا النصب لكن الصحيح جوازه فقد ثبت بنقل أبي زيد، وأبي عمرو الشيباني، والأخفش وابن خروف. واجازه المازني، والمبرد والزجاج ومنه قوله :

حاشا قريشاً فإن الله فضلهم على البرية بالإسلام والدين

وقوله : اللهم اغفر لي ولمن يسمع، حاشا الشيطان وأبا الأصبع<sup>(2)</sup>.

(1) شرح الأشموني : 1/118-120.

(2) المصدر نفسه : 2/165.

وفي مسألة لزوم عود الخافض لدى عطف على ضمير الخفاض ذكر الأشموني أنه رأى يونس والأخفش والkovفيين، وقد سبق أن ذكرنا موقف الأخفش منها في مجاز القرآن.

ومن استدل به الأشموني قول الشاعر :

نعلق في مثل السواري سيفوننا وما بينها والكعب غوط نفانف<sup>(1)</sup>

واستشهد بقراءة "حمزة" ، ونسبها لابن عباس والحسن وغيرهما وهي : ﴿تسائلون به والارحام﴾ (النساء . الآية ١) . وحکى عن قطرب، ما فيها غيره وفرسه، وقال إنه قد يكون، منه : ﴿وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام﴾ (البقرة . الآية ٢١٥) . إذ ليس العطف على السبيل لأنه صلة المصدر وقد عطف عليه "كفر" ، ولا يعطف على المصدر حتى تكمل معمولاته.

وأيد ابن مالك في قوله "المصروف قد لا ينصرف" فقال : إن الكوفيين أجازوه وكذلك الأخفش والفارسي وأباء سائر البصريين . وال الصحيح الجواز . واختاره الناظم لثبت ساعه وساق الشواهد المعروفة وهو قول "العباس بن مرداس" :

وما كان حسن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع  
وقول دوسر القربي :

وائلة ما بال دوسري عدنا  
صها قلبه عن إال ليلي وعن هند  
وقول الأخطل :

طلب الإزارق بالكتائب إذ هوت  
 بشيبَ غائلة النفوس غدور<sup>(2)</sup>  
وعند قول ابن مالك :

ولا تجيء مع أول قد اهملا  
 بمضمير لغير رفع أهلا  
 بل حذفه الزم إن يكن غير خبر  
 وأخرنه إن يكن هو الخبر

فسرحة بقوله : لا يجوز ضربته وضربني زيد، ولا مررت به ومرب بي عمرو. ومن  
الضرورة قوله :

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب  
 جهارا فكن للغيب احفظ للود  
 "ألغ أحاديث الوشاة فقلما  
 يحاول واش غير إفساد ذي عهد

وإن كان المضر خيرا لم يحذف لأنه عمة ولا يقدم، لثلا يقع الإضمار قبل الذكر بل  
 يؤخر. فتقول كنت وكان زيد قائما إياه . وظننت وظننت زيد عالماً إياه . ثم ذكر الأشموني أن

(1) شرح الأشموني : ٣/١١٤-١١٥ .

(2) المصدر نفسه : ٣/١٧٥ .

دعوى ابن الناظم الاتفاق على منع الإضمار مقدماً، فيها نظر لأن جوازه ظاهر كلام التسهيل، والكافية.

غير أن الأشموني أورد بعد هذا عدة تنبiehات فيها تعديل وتصويب لكلام ابن مالك، وأينه، فذكر أن ابن الناظم صوب قوله فقال :

واحدفه ان لم يك مفعولا حسب      وان يكن ذاك فآخره تصب  
واما تصويبه هو فقال أن الأجدود أن يقول :

بل حذفه إن كان فضلة حتم      وغيرها تأخيره قد التزم  
ولتفادي اللبس قوله :

واحدفه لا إن خيف لبس أو يرى      لعمدة فجيء به مؤخرا

ومن هذا التنبiehات قوله ان المازني قاس المتعدي إلى ثلاثة على المتعدي إلى إثنين، وعليه مشى في التسهيل. فتقول عند إعمال الأول : أعلمني وأعلمنته إيه زيد عمرا قائماً وفي إعمال الثاني تقول : أعلمني وأعلمت زيدا قائماً إيه إيه. وأعلمت وإعلمني زيد عمرا قائماً إيه إيه<sup>(1)</sup>.

ومن تنبiehاته في هذا التنازع أنه لا يتناول الحال والتمييز خلافاً لابن معطي<sup>(2)</sup>.  
هذا ولقد وضع محمد بن علي الصبان حواشي على شرح الأشموني وصفها بأنها "شريفة، وتقريرات جليلة منيفة، وتدقيقات رائقة"<sup>(3)</sup> نقطت بدقائق هذا الشرح ونكتاته وكشفت النقاب عن وجوهه مخدراته ومخبئاته، وأوضحت في مكونات أسراره ما خفي على الواقفين، وأبرزت من عرائس ابكاره ما احتجبا عن الناظرين<sup>(4)</sup>.

وذكر الصبان في مقدمة حاشيته أنه اعتمد على شيخوخ عدة منهم العلامة المدابغي، والسيد البليدي، والفهمامة الفاضل يوسف الحنفي<sup>(5)</sup>. وقال أنه كمل هذه الحاشية عام 193هـ<sup>(6)</sup>. وهذه الحاشية من المراجع المتداولة في محاظر شنقيط.

(1) شرح الأشموني : 104/2-107.

(2) المصدر نفسه : 2/108.

(3) حاشية الصبان : 1/3.

(4) المصدر نفسه : 4/357.

(5) المصدر نفسه : 1/3.

(6) المصدر نفسه : 4/357.

## الباب الثالث

# مدرسة ابن مالك في الرواية المخربية<sup>(1)</sup>

### 1. ابن آجروم:

في السنة التي ودع فيها ابن مالك الحياة، ولد أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن آجروم النحوي المقرئ. ألف هذا العالم مقدمة صغيرة لا تتجاوز عدة صفحات، ولكن كتب لها أن تعم الخافقين، وأن تثال من الشهرة والذيع ما ناله خلاصة ابن مالك، لم تكن الأجرورية منافسة لآلية ابن مالك، وإنما كانت بمثابة "ابنة" لها تسير إلى جنبها. كانت البنت تتحدث إلى الصغار في الكتاتيب وتعين المربين والربانيين على تعليم الناشئة بصغر العلم، وبعد مرحلة الكتاب، فما عليهم إلا أن يتبعوا دراسة النحو في الخلاصة، وإذا ما سلکوا طريقاً آخر، فإن الأجرورية قدمت من هذا الفن ما لا يسع جهله، لأنها شملت ما يعرف من النحو ضرورة لجميع الدارسين.

انطلقت هذه الورقة من بناية فاس، وكانت ثمرة تجربة تربوية عريقة، إذ لا ننسى أن هذه المدينة كانت معلق مدرسة أبي طاهر المعروف بالخذب<sup>(2)</sup>، وتخرج فيها ابن خروف، وامتدت إليها تعاليم أبي موسى الجزولي المراكشي وابن أبي الريبع السبتي، قبل أن يغرس فيها المكودي مدرسة ابن مالك التي عرفت تأصلاً وترسيخاً بين أساطين جامع القرويين.

ولنعد الآن إلى الحديث عن ظاهرة الأجرورية، وعما تلقته من قبول واعتناء، ومن الحكايات المؤثرة عند العامة أن ابن آجروم لما أكمل كتابة مقدمته رماها في نهر فاس قائلاً إذا كانت خلاصة لوجه الله ومقبولة عنده تعالى فإن الماء لن ينالها بضرر، وكأنه يريد أن يمحوها من خاطره إن محاها الماء فأنْجَبَ الله المقدمة من المحو والغرق وكتب لها النشر

(1) يراجع مقال الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله عن النحو في المغرب (جريدة العلم).

(2) **الخذب**: وهو أبو بكر، محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري الأشبيلي اشتهر بتدريس الكتاب، وله عليه طرق مدونة، اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه، وله تعليق على الإيضاح أخذ عن ابن الرماك وابن الأخضر. توفي سنة 580.

والقبول. يكفينا أن نحيل إلى دراسة صدرت عن الأستاذ سعيد بنفرحي استعرض فيها عدد الذين شرحا هذه المقدمة، أو نظموها ، وقد بلغوا المائة.

وإذا كان الأستاذ قد بذل جهداً كبيراً في إحصاء المهتمين بالأجرمية فإنه لم يبلغ مدى حصرها ، لأن لها في محاظر شنقيط عشرات الشروح والأنظمة لم يذكر الأستاذ بنفرحي منهم سوى اثنين من علماء ولاته<sup>(1)</sup>.

لم تبرز مقدمة ابن آجرم إلى الوجود حتى صارت هي الكتاب المدرسي الأول في المرحلة الابتدائية، وبذلك حل محل المقدمات التي في مستواها مثل النموذج للزمخشري وملحة الحريري<sup>(2)</sup> ولع ابن جني، شأنها في ذلك شأن الخلاصة التي نسخت جمل الزجاجي وإيضاح أبي علي الفارسي ، ثم صارت أساساً في المناهج التربوية تناولها العلماء بالشرح والنظم والتعليق.

ومن أشهر شراحها خالد الأزهري<sup>(3)</sup> وعلى بن ميمون الشريف الحسني الذي كان قاضياً بشفشاون (ت 912 هـ) ، وأحمد بن محمد بن يوسف الدقون الصنهاجي (ت 912 هـ)<sup>(4)</sup> وتواترت عليها الشروح والأنظمة في المشرق والمغرب، ومن أنظامها الكثيرة نشير إلى اثنين، وهما :

الدرة البهية في نظم الأجرمية لشرف الدين يحيى بن نور الدين بن موسى بن عميرة العربي<sup>(5)</sup> ويقول في مقدمة هذه النظم :

جل الورى على الكلام المختصر	وبعد فاعلم أنه لما اقتصر
من الورى حفظ اللسان العربي	وكان مطلوباً أشد الطلب
والسنة الدقيقة المعاني	كي يفهموا معانى القرآن
إذ الكلام دونه لن يفهموا	والنحو أولى أولاً أن يعلما
كراسة لطيفة شهيره	وكان خير كتبه الصغيرة

(1) سعيد بن فرحي / مجلة دعوة الحق.

(2) الحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري (ت 515 أو 516 هـ) صاحب المقامات المشهورة وانظر ترجمته في ونبات الأعيان ج 4 ص 63 ، ومعجم الأدباء ، ج 5 ص 220 ، وبغية الوعاة ، ج 2 ص 257.

(3) خالد بن عبد الله المجناوي الأزهري (838-905) صاحب المقدمة الأزهرية والتصريح بضمون التوضيح وغيرها، ترجم له الزركلي في الأعلام ، ج 2 ص 297.

(4) راجع كتون : النبوغ المغربي ، ج 1 ص 220.

(5) العربي يحيى بن نور الدين بن موسى الشافعي الأزهري المتوفى بعد عام 989 هـ ، ترجم له الزركلي في الأعلام ، ج 8 ص 174.

ألفها الخبر ابن آجروم  
مع ما تراه من صغير حجمها  
بالأصل في تقريرها للمبتدئ

في عربها وعجمها والروم  
وانتفعت أجلة بعلمها  
نظمتها نظماً بدليعاً مقتدي

وقد طبع هذه النظم عدة مرات. ومن نظمها أيضاً الميمون بن مساعد المصودي مولى

أبي عبد الله الفخار<sup>(١)</sup> (ت 816 هـ) الذي يقول في نظمه :

تعليم أولاد صغار المكتب  
والقصد من ذا الرجز المقرب  
أشهى وأولي من نفيس النثر  
أيقنت أن النظم فيما أدرى

هذا ويعتقد جمهور المؤرخين أن ابن آجروم كان كوفي النزعة ، مستدلين باستعماله  
بعض اصطلاحاتهم، وقد ألمح لكتفته العلامة محمد الحسن بن أحمد الخديم البغوي  
الشنقطي في نظمه لمشاهير النحوين فقال عنه :

محمد ذو الفضل والعلوم  
بالضم للجيم ورأً مشدده  
على طريق كوفة شد يده  
شهرة فوق السماكين ربت  
رتبته فوق السماكين ربت

ومع ذلك فإنه يصعب تصنيف المؤلف فيما يخص هذه المقدمة في مذهب معين، لأنه  
لم يتعمق في مسائل القياس والتعليق، وإن كانا نجد نوعاً من الالتفاء بينه وبين مقدمة  
الجزولي في بعض الحدود. والأهم من كل شيء أنه أحسن اختيار ما يصلح للمبتدئين،  
فاقتصر على الأبواب الأساسية، وقدمها في أسلوب يتسم بالسهولة والوضوح، وستنقدم  
أمثلة منها في الفصل المخصص لشرح الشيخ سيدنا لها، والمعروف بالنفحۃ القيمية، كما  
أنا سنبين دورها في المحاظر الشنقطية<sup>(٢)</sup>.

## 2. المكودي :

اشتهر من المكوديين اثنان كلاهما شاعر مجيد وأديب بارع أحدهما أبو عبد الله  
المكودي، ولقد ذكر له العلامة عبد الله كنون عدة مقطوعات غزلية جمعت بين الرقة والإبداع  
منها :

(١) ميسون بن مساعد المصودي مولى أبي عبد الله الفخار (ت 816 هـ) ترجم له السخاوي في الضوء الامع،  
ج 10 ص 194، والزرکلي في الأعلام، ج 7 ص 342.

(٢) هداية النحاة إلى معرفة النحاة ص 9، وترجمة المؤلف في ص

(٣) راجع ص

هوى أكابد منه حرقة الكبد  
حللت منه محل الروح من جسدي  
ودين حبك إضماري ومتقددي<sup>(1)</sup>

رحماك بي فلقد خلدت في خلدي  
حللت عقد سلوبي عن فؤادي إذ  
مراك بدرني وذكرك التذاذ فمي  
ومنها :

وقد أسيتنيه بكل كاس  
عليك أقاربي طرا وناسى  
سوى أني لبعنك غير ناس<sup>(2)</sup>

غرامي فيك جل عن القياس  
ولا أنسى هواك ولو جفاني  
ولا أدرى لنفسي من كمال

### أ) شخصية المكودي ومؤلفاته :

والثاني هو أبو زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي النحوي الشهير مؤسس مدرسة ابن مالك في المغرب ويقول المؤرخون أنه آخر من درس كتاب سيسيويه في فاس<sup>(3)</sup>، ولعله أول من أقرأ ألفية ابن مالك، وبذكر شارحوها إنه تلقاها من بعض الطلبة، فاستحسنها وأقر تدريسها ثم وضع عليها شرحها الكبير والصغير<sup>(4)</sup>، ويردد شراحها بعض أقواله، ومنها روايته لبيت ثامن من خطبتها، وهو :

فما لعبد وجل من ذنبه غير الدعاء ورجاء ربه

والمكودي ينتمي إلى إحدى قبائل هوارة، وبيته من بيوتات فاس العريقة معروفة  
المكانة والمكان، ومن فخرهم قوله :

أهل العلا والجود	نحن بنو مكود
كرة الأسود	نكر في الأسدادي

وعرف المكودي بعزة النفس، والترفع والقناعة، يتجلى ذلك في قوله :  
وقد أشكلت فيها علي المقاصد  
وقلت إلاهي إنني لك قاصد  
يقول فتااه سيدي اليوم راقد

إذا عرضت لي في زماني حاجة	وقفت بباب الله وقفه ضارع
ولست تراني واقفاً عند باب من	

(1) راجع كتون : النبوغ المغربي، ص 691.

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 692.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 210.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 210.

وقد اشتهرت مقصورته التي أنشأها في مدح الرسول ﷺ وقد ضمنها كثيراً من النصائح والحكم، ويقول في آخرها :

على امتداح المصطفى خير الورى  
فقط علاء كل ذي مقصورة  
فحازم قد عد غير حازم  
وإنهم نالوا الأيدى واللهى

وقد أورد العلامة عبد الله كنون في كتاب النبوغ المغربي نبذة منها ، وله عليها شرح

مطبوع<sup>(1)</sup>.

ومن شيوخ عبد الرحمن المكودي عبد الله الونقيلي ، أما تلامذته ، فإن من أبرزهم محمد بن مرزوق الحفيد ، وعرف من مؤلفاته زيادة على شرحه للألفية ،نظمه الذي يعرف بالبسط والتعريف في علم التصريف الذي يقول في أوله :

الحمد لله الذي خولنا  
نعمه وبالحجاج فضلنا

وذكر اسم هذا النظم فقال :

في نظم ما جل من التصريف  
وتتلقى بالقبول حجته  
سميته بالبسط والتعريف  
 فهو جدير أن تلبى دعوته

ومن هذا النظم يخاطب نحاة عصره :

ولو نهوا عن الهوى النفوسا  
وجانبوا التمويه والتديسا  
سلموا أني فيهم ماهر  
نور فهمي في العلوم باهر  
لكن كبار أهل هذا العلم  
بدون تحقيق له وفهم

ولقد تناول في هذه الأرجوزة المختصرة . لأنها لا تتجاوز أربع مائة بيت وتسعة أبيات . مجمل قضايا التصريف ، فتحدث عن أبنية الأسماء والأفعال المزيدة وضوابط معرفة الحروف الأصلية والزوائد ، ثم تحدث عن مسائل الإبدال ونواذر الإعلال والإدغام وختمنها بقوله :

على فصول خمسة مشتملا  
فتقى لكن فوق ما أردنا  
وما تولانى من إنعامه  
وما أردنا جمعه قد كملنا  
حرى جميع ماله قصدنا  
فأحمد الله على تمامه

(1) كنون : النبوغ المغربي ، ص 768.

ثم صلاته على خير البشر      محمد ما نم في الروض الزهر  
 وأله وصحبه الجمیع      أولي العلا والمنصب الرفيع<sup>(1)</sup>

وقد قام محمد المرابط الدلائي بشرح لهذا النظم سماه فتح اللطيف على البسط  
 والتعریف، سیأتي الكلام عنه.

### ب) نموذج من شرحه للألفية : باب التنازع :

وإذا كان الشرح الكبير للألفية قد ضاع أو أحرقته يد أئمحة فإن شرحه الصغير ظل في المغرب الكتاب المعتمد في التدريس، والمرجع الأول في التصنيف، فتوالت عليه الطرر والحواشي، ومن تناوله بالتشريح والتعليق. إدريس المنجرة (ت 1192هـ)، ومحمد بن أحمد ابن جلون (ت 1137هـ)، وسيدي أحمد المزبيسي (ت 1272هـ)، وعلى بن محمد برقة التطوانى، وأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج (ت 1310هـ)<sup>(2)</sup>.

وشهرة هذا الشرح تعود إلى جمعه بين الاختصار والإيضاح ودقة منهجه. ونقدم فيما يلي نصراً منه كنموذج لتناوله للخلاصة وذلك في باب التنازع إذ يقول :

التنازع هو أن يتقدم عاملان ويتأخر عنهما معمول واحد وكل واحد من العاملين

يطلب من جهة المعنى وقد بين ذلك بقوله :

(ص) إن عاملان اقتضيا في اسم عمل      قبل فللواحد منهما العمل

(ش) المراد بالعاملين هنا الفعل وما جرى مجرىه ولا مدخل للحرف في هذا الباب،  
 وشمل قوله عز وجل ﴿آتوني أفرغ عليه قطراء﴾ (الكهف - الآية 96) والاسمين كقول الشاعر :

عهدت مفيشا مغينا من أجerte      فلم أتخذ إلا فناءك موئلا

والفعل والاسم مع تقدم الاسم كقوله تعالى : ﴿هَاوْرَأَقْرَعُوا كِتَابِيَه﴾ (سورة الحاقة - الآية 18) والفعل والاسم مع تقدم الفعل كقول الشاعر :

لقد علمت أولو المفيرة أنني      لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

(1) حسن جلاب أبو عبد الله المرابط الدلائي، ص 332.

(2) النبرغ المغربي، ص 305.

ومعنى اقتضيا طبأ فخرج به نوعان : أحدهما أن يكون أحد العاملين لا يقتضي عملاً في المتنازع فيه كقول أمي القيس بن حجر :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة      كفاني ولم أطلب قليل من المال  
فإن أطلب غير طالب لقليل والثاني أن يؤتى بالعامل الثاني توكيدا للأول كقول

الشاعر :

فأين إلى أين النجاة ببلغتني      أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

فإن "أتاك" الثاني غير طالب للاحقون لأنه أتي به توكيدا لأتاك الأول.

وفهم من قوله في "اسم" أن المتنازع فيه لا يكون أكثر من اسم واحد، وفهم من قوله "قبل" أن المتنازع فيه لا يتقدم على العاملين لأن العمل لأحدهما وفي ذلك خلاف، وقوله "فللواحد منها العمل" يعني ولا على أحدهما، و"عاملان" فاعل بفعل ممحذف يفسره "افتضيا" وفي اسم متعلق "بافتضيا" وكذلك "قبل" و"عمل" مفعول باقتضيا ووقف عليه بالسكون على لغة ربيعة، و"العمل" مبتدأ وخبره للواحد و"منهما" في موضع الحال من الواحد وفهم منه جواز إعمال كل واحد منها ولا خلاف في ذلك وإنما الخلاف في الاختيار وقد نبه عليه بقوله :

(ص)      والثاني أولى عند أهل البصرة      واختار عكساً غيرهم ذا أسره

(ش)      اختار البصريون إعمال الثاني لقربه من المعهول واختار الكوفيون إعمال الأول لسبقة وال الصحيح مذهب البصريين لأن اعمال الثاني في كلام العرب أكثر من اعمال الأول، ذكر ذلك سيبويه، وصرح الناظم بأهل البصرة وفهم من قوله "غيرهم" أنهم أهل الكوفة لكونه أتى بهم في مقابلة أهل البصرة، و"الثاني" مبتدأ وهو على حذف مضاف والتقدير وإعمال الثاني و"أولى" خبره وعند متعلق بأولى، و"عكساً" مفعول اختيار وغيرهم فاعل، و"ذا أسرة" حال من الفاعل وأسرة الرجل رهطه وكنى بذلك عن كثرة القائلين باختيار إعمال الأول ثم قال :

(ص)      وأعمل المهمل في ضمير ما      تنازعاه والتزم ما التزم

(ش)      "المهمل" هو العامل الذي لم ي عمل في الاسم المتنازع فيه فيعمل في ضميره وقوله و"التزم ما التزمما" يعني من مطابقة الضمير للظاهر ومن حذف الفضلة وثبات العمدة، ومن وجوب حذف الضمير في بعض الأحوال، وتأخيره في بعضها، ولنفظ صالح لوقوعه على جميع ما ذكر و"ما" الأولى موصولة واقعة على الاسم المتنازع فيه وصلتها

تنازعاه والضمير العائد على الموصول الهاء في تنازعاه وفي متعلق بأعمل ثم أتى بمثالين  
قال :

(ص) كيحسنان ويسيني ابنساكا وقد بغى واعتديا عبدالاكا

(ش) فالمثال الأول على اختيار البصريين وهو اعمال الثاني فابنناك فاعل يسي، ويحسنان هو المهمل ولذلك عمل في ضميره وهو الألف، والمثال الثاني على اختيار الكوفيين وهو إعمال الأول فعبداك فاعل بغى واعتديا هو المهمل، ولذلك عمل في ضميره وهو الألف من اعتديا وفهم في المثالين أنه يجب إضمار المرفوع قبل المفسر وبعده، فأما على إعمال الأول فتشترك الفضلة مع العدة في الإضمار في المهمل وهو الثاني وأما على إهمال الأول ففيه تفصيل نبه عليه بقوله :

(ص) ولا تجيء مع أول قد أهملأ بضم لغير رفع أهلا

(ش) يعني أن المهمل إذا كان أولاً وكان يطلب ضمير الاسم المتنازع فيه بالنصب لم يضر فيه نحو ضربت وضربني زيد ولما كان النصوب شاملة للفضلة ولما أصله العدة أشار إلى أن حكم الفضلة لزوم الحذف بقوله (بل حذفه ألزم إن يكن غير خبر) وغير الخبر هو الفضلة وهو تصريح بما فهم قبل من قوله ولا تجيء مع أول قد أهملأ ثم أشار إلى أن الحكم فيما ليس بفضلة وهو ما أصله الخبر الإضمار والتأخير عن المفسر بقوله (وآخرنه إن يكن هو الخبر) فمن كونه منصوباً ينبغي أن لا يضرم قبل الذكر كالمرفوع ومن كونه عدة في الأصل ينبغي أن لا يحذف فوجب عنده الإضمار والتأخير ومثال ذلك ظنني وظنت زيد قائماً إياه تجوز في إطلاقه الخبر على ما هو عدة الأصل إذ لا فرق بين أن يكون أصله الخبر أو المبتدأ لأن كل واحد منها عدة في الأصل .

إذا حمل على هذا لم يتحتاج إلى ما قاله الشارح والمradi، وقوله "مع أول" متعلق بمجبيه وكذلك "بضم" وقد "أهملأ" في موضع الصفة لأول ولغير متعلق "باءهلا" ومعنى أهلاً جعل أهلاً لغير الرفع وحذفه مفعول مقدم "بالزم" وإن يكن شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وكذا "إن يكن هو الخبر" وهو ضمير فصل بين كان وخبرها أو توكيدها أو مبتدأ خبره الخبر والجملة خبر كان ثم قال :

(ص) وأظهر إن يكن ضمير خبراً لغير ما يطابق المفسرا

(ش) يعني أن الضمير إذا كان خبراً عن شيء مخالف لمفسره في الإفراد والتذكير وفروعهما وجوب إظهاره لأنه إذا أضمر موافقاً للمخبر عنه خالف المفسر وإذا أضمر موافقاً للمفسر خالف المخبر عنه وإن يكن" شرط محذف الجواب لدلالة ما تقدم عليه وـ"لغير"

في موضع الصفة "خبر" أو معمول له و"ما" موصولة واقعة على المفعول الأول وصلتها الجملة التي بعدها ثم مثل ذلك بقوله :

(ص) نحو أظن ويظناني أخا زيداً وعمرأ آخرين في الرخا

(ش) فهذا المثال على إعمال الأول، فالثاني الذي هو يظناني هو المهمل ولذلك عمل في الضمير المثنى، فكان حق مفعوله أن يكون ضميراً، لكنه لو أضمر مفرداً مفعوله الثاني الذي هو أخا لكان موافقاً للمخبر عنه وهو الياء من يظناني ويخالف المفسر وهو آخرين، ولو أضمر مثنى موافقاً للمفسر يخالف المخبر عنه فوجب إظهاره لذلك وفي بعض نسخ المرادي في هذا الفصل تخليط والصواب ما ذكرت لك<sup>(1)</sup>.

### 3. ابن زكريا :

اشتهر عند المؤرخين عالماً كلاهما يحمل اسم ابن زكري، وهما :

#### 1. ابن زكري التلمessianي :

وهو أبو العباس أحمد بن الشيخ محمد بن زكري المانوي المغراوي التلمessianي (ت 900 هـ)، اشتهرت قصة بـإ دراسته على ابن زاغو بعدما كان عاملاً في دكان للطرز. ومن شيوخه قاسم بن سعيد العقاباني (ت 854 هـ) وابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ)، ومن تلامذته ابن مرزوق الكفيف، وله مؤلفات في العقائد منها بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب<sup>(2)</sup>، وهو الذي استجازه تلميذه أحمد بن محمد بن الونيدى المعروف بابن الحاج (ت 930 هـ) بأرجوزة موسحة بأسطر خلاصة ابن مالك أولها :

"ما للندا يصلح نحو أحمنا"  
"فذاك ذو تصرف في العرف"  
"ورجل من الكرام عندنا"  
"ولا يلي إلا اختياراً أبداً"  
" فهو به في كل حكم ذو انتساً"  
"ما ليس معناه له محصلاً"<sup>(3)</sup>

يا من ينادي طالباً أن يقصد  
فاقتصر أبا العباس بيت العرف  
 وسيدي يدني القصي إن دنا  
 ولا بس ثوب المعالي والهدى  
 وتابع هدى النبي المقدسا  
 ما إن ترى عيناك من كتب الملا

(1) راجع ابن غازى : اتحاف ذوى الاستحقاق.

(2) راجع البستان لابن مريم، ص 141.

(3) المصدر نفسه.

2. ابن زكري الفاسي :

(أ) علمه ومكانته :

أما ابن زكري الفاسي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي، المتوفى سنة 1143هـ، يقول عنه محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس : إنه من تصر عن محاسنه الأقلام، وتكل دون منهاها ألسنة الأنما، أمره أشهر من نار على علم، فكانه بدر تم، طلع في ديجور الظلم، قد برع فيسائر الفنون، وغاص في لججها فاستخرج منها نفاس الدر المكتون، إلى أن بلغ غاية الأرب، في تحقيق علوم الأدب من النحو، والتصريف، واللغة، والعروض، والمعانوي والبيان والبداع، وصناعة الشعر، والترسيل، وأنساب العرب وأيامها<sup>(1)</sup>.

ويذكر من تأليفه شرح الفريدة، وشرح النصيحة والحكم العطائية، وشرح الصلاة المشيشية والقواعد الزروقية، وحاشيته على توضيح ابن هشام، وصل فيها إلى المفعول المطلق، وتعليقه على صحيح البخاري. وتفسيرًا على مواضيع في القرآن، وتأليفه كلها في غاية التحقيق وله همية في مدح الرسول ﷺ عارض بها قصيدة البوصيري. وقد شرحتها في جزأين.

قرأ ابن زكري على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي<sup>(2)</sup> وعلى أبي العباس أحمد بن العربي بن الحاج<sup>(3)</sup> والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المنساوي الدلائي<sup>(4)</sup>.

أفرد له تلميذه أبو محمد عبد المجيد الزبادي المنالي ترجمة في مصنف مستقل<sup>(5)</sup>، وأطرافه نثراً ومدحه شعرًا، من ذلك قوله :

في الصحو مني وسكري  
شيخاً كشخي ابن زكري  
ومن ثروا وسط صدري  
عليكم بابن زكري<sup>(6)</sup>

أجلت في الناس فكري  
فلم أجد طول عمري  
يا أهل ودي وسرري  
إن شئتم نيل ذكر

(1) سلوة الأنفاس، ج 1 ص 158.

(2) كون : النبرغ المغربي، ص 289.

(3) راجع شرح ابن زكري على فريدة السيوطي.

(4) راجع الوسيط في تراجم أدباء، شنقط، ص 8.

(5) الأشباه والنظائر، ج 7 ص 145.

(6) شرح ابن زكري على الفريدة في باب التعت.

ويخاطبه سيدى عبد الله بن محم بن القاضى المعروف بابن رازك الشنقىطى فى  
قطعة سأل فيها علماء فاس عن قوله تعالى : ﴿فِبِدأْ بِأُوْعَيْتَهُمْ قَبْلَ وَعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ  
اسْتَخْرَجُهَا مِنْ وَعَاءَ أَخِيهِ﴾ (سورة يوسف - الآية 76). فقال :

يعمانكم من خامل ونبيه  
من بعد تيه يتصلن بتىه  
تشابه في عينيه وجه متىه  
بنص بيان في البيان وجىه  
إذا ما هو ظن بمختلجيه  
تبارك مجدًا "من وعاء أخيه"  
لأمر دقيق جل ثم يخىه  
فمراتها أفكار كل نبيه  
تفردت في العليا بدون شبيه  
وخللت عن سفسافه وردىه  
قياس أصولي ونص فقيه  
به الغي من يبغي الهدى ويعيه

سلام من الله السلام ورحمة  
سؤال غريب دون شنقيط أرضه  
إذا شبه الهادى بها وجه مرشد  
قراه لديكم، أهل فاس، جوابه  
سما بكم علم البيان وحشه  
أسائلكم ما سر إظهار ربنا  
فلم يات عنه "منه" أو "من" وعائه  
فإن تك أسرار المعانى خفية  
وأنت ابن زكري أمام محقق  
إذا غصت في بحث خلصت بدءه  
يمدك في الإتقان علم تبشه  
وقاك الذى أبداك كالنجم يتقى

وقد أجاب الشيخ محمد البidalى عن هذا السؤال قائلاً :

فذلكم بعد التفكير فيه  
فيفسد معناه لمحتربيه  
يؤدى لعود مضمراً لأخيه  
وتائف من ذا نفس كل نزىه<sup>(1)</sup>

فلو قال، فرضاً ربنا "من وعائه"  
يؤدى إلى عود الضمير ليوسف  
وإن قال "منه" اختلف أيضاً لأنه  
فتنتزع منه الصاع لا من وعائه

ولعل سبب خطاب سيدى عبد الله بن زكري كونه اطلع على جواب هذا  
الأخير على أبيات الصفى التي خاطب فيها السىكي وهى :

بدا وجهه استحيى له القمران  
على طرسه بحران يلتقيان

أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا  
ومن كفه يوم الندى ويراعه

(1) محمد بن عبد القادر (ت 1116هـ) بـ علي بن يوسف الفاسى من أعلام الأسرة الفاسية المشهورة من مؤلفاته  
تمكيل المرام بشرح شواهد ابن هشان، والباحث الإنسانية في الجملة الخبرية والإنشائية وشرح أرجوزة العربى  
الفاسى نى مصطلح الحديث وحاشية، فى مختصر خليل وتحفة المخلصين شرح الحصن المচين، ترجمته فى سلوة  
الأنفاس، ج 1 ص 316.

جلالا بفكـر دائم اللـمعان  
لأفضل من يهـدى به الثـقلان  
بـإيجـاز الـفـاظ وـبـسـط مـعـان  
بـهـا الفـكـر فـي طـول الزـمان عـنـان  
نـرـى اـسـتـطـعـمـاهـم مـثـلـهـ بـبـيـان  
مـكـان ضـمـير إـن ذـاك لـشـان  
فـمـالي بـهـا عـنـدـبـيـانـ بـدان<sup>(1)</sup>

وـمـنـ إن دـجـتـ فـيـ المـشـكـلـاتـ مـسـائلـ  
رـأـيـتـ كـتـابـ اللهـ أـفـضـلـ مـعـجـزـ  
وـمـنـ جـمـلـةـ إـعـجـازـ كـوـنـ اـخـتـصـارـهـ  
وـلـكـنـتـيـ فـيـ الـكـهـفـ أـبـصـرـتـ آـيـةـ  
وـمـاـ هـيـ "إـلاـ اـسـتـطـعـمـاـهـلـهـ"ـ فـقـدـ  
فـمـاـ حـكـمـةـ الـغـرـاءـ فـيـ وـضـعـ ظـاهـرـ  
فـأـرـشـدـ عـلـىـ عـادـاتـ فـضـلـكـ حـيـرـتـيـ

فـكـانـ جـوابـ اـبـنـ زـكـريـ قـوـلـهـ :

نعمـ يـقـتـضـيـ التـكـرارـ إـبـداـ حـكـمةـ  
وـلـاسـيـماـ أـوـفـيـ الـكـلـامـ بـلـاغـةـ  
وـإـنـ رـمـتـ شـرـحـاـ يـدـ مـكـنـونـ فـهـمـهاـ  
فـلـسـتـ أـقـولـ مـعـنـيـ الـأـسـمـيـنـ وـاحـدـاـ  
بـلـ الـأـوـلـ التـعـمـيمـ فـيـهـ لـكـلـ ســ  
وـفـيـ لـفـظـ الـاسـتـطـعـامـ أـقـوىـ قـرـيـنةـ  
وـإـلـحـاقـ مـوـسـىـ الـبـعـضـ بـالـكـلـ مـنـهـ  
يـثـبـتـ لـلـمـسـطـعـمـيـنـ تـقـدـمـاـ

### ب) شـرـحـهـ لـغـوـيـةـ السـيـوطـيـ :

يـذـكـرـ اـبـنـ زـكـريـ أـنـ شـيخـ مـحـمـدـ الـسـنـاوـيـ هوـ الـذـيـ حـضـرـ عـلـىـ شـرـحـ الـفـرـيدـةـ وـيـقـولـ  
عـنـهـ : قـصـدـتـ بـهـ حلـ الـفـاظـ الـفـيـةـ إـلـاـمـ الـعـلـامـ سـيـدـنـاـ الشـيـخـ جـلـالـ الدـينـ السـيـوطـيـ رـحـمـهـ  
الـلـهـ تـعـالـىـ وـرـضـيـ عـنـهـ وـنـفـعـنـاـ بـهـ فـيـ الدـارـينـ. وـوـشـحـتـهـ بـفـوـانـيدـ يـضـطـرـ إـلـيـهـ النـجـيبـ،  
وـيـعـتـرـفـ بـعـظـمـ مـقـدـارـهـ الـفـطـنـ الـلـبـبـ، وـلـاـ يـجـدـهـ فـيـ غـيـرـهـ مـاـ اـطـلـعـتـ عـلـيـهـ وـوـصـلـ عـلـمـيـ  
إـلـيـهـ، وـالـكـلـامـ مـعـ أـهـلـ إـلـاـنـصـافـ، وـلـاـ عـبـرـةـ بـنـ مـعـهـ مـنـ الدـعـوـيـ مـاـ يـصـدـ عـنـ جـمـيلـ  
الـأـوـصـافـ<sup>(3)</sup>.

(1) أبو العباس أحمد بن العربي ابن الحاج.

(2) محمد المساوي (ت 1136هـ) من أعلام الزيارة الالئية، تولى الاقتاء بقاس، وله عدة كتب أكثراها في التصوف، ترجمته في سلوة الأنفاس 44/3.

(3) شـرـحـ الـفـرـيدـةـ (المـقـدـمـةـ).

ويقول تلميذه الشريف عبد المجيد المنالى الزيادى عن هذا الشرح :

يا إماماً له الخصال الحميده  
والسجايا مع المزايا العديده  
وفروعاً لها البحار المديده  
وعندما جئتنا بشرح الفريده  
يا ابن زكري كما نفعت عبيده<sup>(1)</sup>

وأطاعت له العلوم أصولاً  
وضع النحو مثل شمس بأفق  
فجزاك الإله خير جراء

لقد كان حقاً كتاب المهمات المفيدة، من أهم وأفيد ما كتب من نوعه لأنه يمتاز  
بالضبط والتحرير وإحكام النهج. وينم عن تبحر ابن زكري في علم النحو، وعن مدى  
اطلاعه على أمهاته ودواوينه مع دقة الملاحظات، والتعهر في سلوك طرق الاستدلال.

ولقد التزم في هذا الشرح بتوضيح معانى المتن، وبإعرابه، وبيان الحكم المنصوص  
عليه، ومدى موافقته لرأى متقدمي النحاة. ثم يقارن بين قول السيوطي، ومقال ابن مالك  
في الخلاصة من حيث الأسلوب، أو المضمون. وإذا كان الحكم من زوائد السيوطي على  
ألفيه ابن مالك بين ذلك في شرحه.

وكثيراً ما يدللي برأيه، تارة مؤيداً للناظم وتارة يخالفه. نذكر من ذلك مثالين قد  
تكرر نوعهما كثيراً في هذا الشرح.

فمن تأييده للسيوطى قوله في ترتيب الفريدة وأسلوبها : إن القواعد والأبواب  
مبثبة فيها في مظانها، وإن عبارتها أوضح في الغالب من عبارة الخلاصة<sup>(2)</sup>، وعند قول  
السيوطى :

وحذف عامل أجز، ويلزم  
سبحان مع معاذ مع سعديكا  
كذا كرامه سلاماً حجراً  
وعجبأ منه وحمدأ شكرأ

قارن بين ما قاله السيوطي هذا وقول ابن مالك :

والحذف حتم مع آت بدلأ من فعله كندلا اللذ كاندلا

وذكر قول ابن هشام : "إن الحكم صحيح والمثال فاسد" لأنه لا يمتنع اندل ندلأ وذكر  
تحرير الرضى في هذا النوع من المصادر. وفي آخر كلامه انتقد رأى ابن مالك في هذه  
المسألة، وخلص إلى القول إن المصدر النائب عن فعله من قسم المصدر المؤكدة، وهو في  
معنى الاستثناء من قوله : "وحذف عامل المؤكدة امتنع"، ويزيد قائلاً وقد خرج بحمد الله

(1) شرح الفريدة (المقدمة).

(2) نفس المصدر.

لبنا خالصاً من بين فرث ودم. فيثبت في هذا المقام بأنه مزلة الأقدام، وقد عرفت كم بين ما في المتن والخلاصة من التفاوت<sup>(1)</sup>.

وفي قول السيوطي :

ما الذكر أو تصرف قد حظلا  
طلب منه، ولا الخمس الآخر  
ووسطوا أخبارها وحظرا  
وليس، والتّم برفع يكتفي  
ولا يليها لازم الصدر ولا  
أو لازم للابتداء، والخبر  
مع صار ما بالماضي عنه أخبرا  
تقديمه دام وما بما نفي

قال ابن زكري قوله : "وما نفي - عطف على "دام" و"ما" متعلق بنفي، أي بهذا اللفظ، أي يمتنع تقديم الخبر على الأفعال النافية بـ "ما"، وظاهره يوهم أنه لا يجوز "ما قائماً كان زيد" ونحوه وليس كذلك بل الممتنع تقديم الخبر على نفس "ما" لأن لها صدر الكلام. فقول الخلاصة : "كذاك سبق خبر ما النافية". أحسن منه"<sup>(2)</sup>.

ومع ما يتميز به شرح الفريدة، من الإحکام والشمول، فإنه ليس من السهولة بمكان. لقد كتبه المؤلف بأسلوب مناطقة الفقهاء. واعتبر وحدة المعنى في الحكم دون مراعاة وحدة البيت في النظم، واقتصر في كثير من الشواهد الشعرية على الجزء الذي يمثل الحكم. فجاء كتابه وكأنه كتلة متراصحة، مشحونة بالفتاوي والتعاليل المنطقية. فتكررت فيه : "فإن قلت . قلت" ، ويزيد في صعوبة قراءته، أنه طبع في فاس بالطبعية الحجرية، بلا فقرات ولا فواصل، فظهر وكأنه مجموعة من الأنقال المتراصحة، لا يستسيغه إلا الباحث المختص. والمثال التالي يعطي نموذجاً من هذه النقول.

ففي باب الإضافة يقول السيوطي :

تنويناً أو نوناً للإعراب احذف  
مهما تضف والثاني اجرر وانو في  
أو لاماً أو "من" في التي تعريفاً أو  
تخصيصاً اعطت وهي محضة<sup>(3)</sup>

ويقول ابن زكري : و"تنويناً" مفعول احذف والمتبادل من التغيير بالحذف أراد الظاهر وقد تقدم في باب التمييز أن الحق أن لا تنوين مقدراً فيما لا ينصرف، والإعراب نعم لنون وذلك كنون المثنى والجمع على حدة وما لحق بها احترازاً بذلك من نحو نون بساتين وشياطين الأنس فلا حذف لأنها ليست علاماً إعراب وإنما حذف التنوين والنون للإضافة

(1) شرح الفريدة (باب المفعول المطلق) وانظر بحث المختار بن أبي الجعكبي، ومحمد تقى الله.

(2) شرح الفريدة (باب كان وأخواتها).

(3) بقية البيت تتعلق بحكم آخر.

لأنهما علل ل تمام الاسم، والإضافة تقتضي عدم التمام لافتقار المضاف إلى المضاف إليه الموجب لتنزيل المضاف إليه منزلة جزء المضاف، بخلاف افتقار المبتدأ للخبر في نحو زيد أخوك، أي متى تضف اسمًا أحذف منه ما ذكر إن كان فيه، فالامر دليل الوجوب.

ويجر المضاف إليه بالمضاف لما تقدم وفيه إشكال لأن الاسم لا يعمل في هذا الباب إلا لنيابته عن الحرف وهو غير منوي في اللفظية كما يأتي فإذا لم يكن حرف فكيف ينوب الإسم عنه قال الرضي ويجوز أن يقال عمل الجر لشابهته للمضاف الحقيقي، فتجرد عن التنوين أو النون لأجل الإضافة. وقد تقدم كلام المصنف أن العامل الإضافة وقال هنا في الشرح وجوب جر المضاف إليه بالمضاف لما فيه من معنى "من" أو "في" أو "اللام".

ويفيد قائلًا : الإضافة على ثلاثة أقسام :

أ) منها ما هو على معنى "في" وضابطه أن يكون المضاف إليه ظرفاً للمضاف زمنياً نحو «بل مكر البيل» (سبأ - الآية 33) أو مكانياً نحو «يا صاحبي السجن» (يوسف - الآية 41) وقدمه الماتن اعتناء به لأنه أغفله كثير من النحوين مع أنه ثابت في الكلام الفصيح.

ب) ومنها ما هو على معنى "من" وضابطه أن يكون المضاف إليه جنساً للمضاف وهذا يتضمن أمرين :

أولاً : صحة إطلاق المضاف إليه على المضاف فيخرج بعض القوم ونصف القوم ويد زيد ووجهه فالإضافة إليه بمعنى اللام لأنك تريد بال القوم واسم الكل لا يطلق على البعض.

ثانياً : صحة إطلاقه على غيره فيخرج جميع القوم وذات زيد وطور سينا، وسعيد كرز ومسجد الجامع فالإضافة فيه بمعنى اللام فإن قلت ما تقدم من خروج بعض القوم ويد زيد مشكل فإنه يقال بعض من القوم ويد من زيد قلت "من" هذه غير التي تتضمن معناها الإضافة.

قال الرضي : من التي تتضمنها الإضافة هي المبينة كما في خاتم من حديد. وشرطها صحة إطلاق مجريورها على المبين. فتبينه فقد وقع هذا الغلط لابن كيسان فجعل الإضافة بمعنى "من" إن حسن تقديرها وإن لم يصح حمل المضاف إليه على المضاف واحتاج ابن كيسان بقوله :

ففاضت دموع العين مني صبابة

فأضاف إلى العين ثم شرح الإضافة بـ "من" قلت لا نسلم أن قوله : مني شرح لمعنى الإضافة بل هو بيان لنسبة العين إليه فإذا ضافت دموع العين على معنى اللام.

ج) ومن الإضافة ما هو على معنى اللام وذلك ما تذرع فيه معنى "في" و"من" كما قال في الخلاصة "لما سوى ذينك" ولما ذكرناه في "يد زيد" ونحوه تظهر نكتة الحصر في قول الخلاصة "إذا لم يصلح إلا ذاك" فإنه يقال مقتضاها أن اللام تقدر فيما لا يصلح فيه "في" و"من" أصلاً، وفيما يصلحان فيه هما اللام والإبان كان للام موضع تعين فيه دون غيرها دائماً فليقل لهذا صلحاً من غير حصر، وحاصل النكتة الاحتراز عن نحو يد زيد فإنه يصلح فيه "من" في الجملة والإضافة فيه ليست على معناها لما تقدم، فالحصر دليل لإرادته "من" البصانية ولا يتوقف ثبوت النكتة على وجود مثل ذلك مع "في" ولا تتوهم وجوده بتقدير اللام مجازاً لأنه لا يبقى لك إضافة على معنى "من" أو "في"، فإن قلت ما يصلح فيه معنى "في" و"من" تصلح فيه لام الاختصاص لأن بين المظروف والظرف، والنوع والجنس اختصاصاً ولذا قيل إن الإضافة كلها على معنى اللام، قلت تقدير اللام في النوعين الأولين متكلف لا يهتدي إليه إلا باعتبارات بعيدة ألا ترى أنك إذا قدرت اللام، في خاتم حديد، وشهيد المترن كيف يبعد المعنى، ويغرب، ويسبح ويضطرب في الذهن ويوجول في وجوه يلتمس منها ما يقال فيه أحسن من لا شيء، بخلاف إذا قدرت "من" في الأول و"في" في الثاني فإنه يظهر وجه واحد قوي لا يخطر غيره معه فيتلقاء الذهن بقبوله.

لم ينته ابن زكري الكلام عند هذا الحد، بل إنه استرسل في عرض مليء بالتقديرات، وطرح الإشكاليات المصطنعة، والتدقيق في الإجابة عليها والرد على ما تخيل عليها من اعترافات.

ثم ختم شرحه لهذين البيتين، بسؤال وجّه إليه من قبل محمد بن عبد العزيز الطاهري الحسني الجوطي، يقول : "إن ما يذكره النحويون شرطاً للإضافة البصانية من العموم والخصوص الوجهي بين الطرفين حسب ما نص عليه الرضي وغيره فإنه غير مطرد في جميع مواطنها وأشكل منه ما ذكره السيوطي من اشتراط الترداد فيما فازح عنا بفضلك هذا الإشكال بإيضاح حقيقة الحال حتى يتميز الخبيث من الطيب والجهام من الصيب لا زالت عتبتكم محلأً لشفاه الإقبال ومحلأً لرجال الآمال والسلام".

ولقد كان جواب ابن زكري مطولاً ومعقداً، ومليناً بالتصورات المنطقية والتفرعات الفقهية مما يجعل القارئ يبتعد كثيراً عن أحکام الإضافة النحوية، وعن معانٰها السياقية، ويفرق في خضم من النقول المحالكة التي لا يدرى على أي شاطئ ترميه أمواجاها<sup>(1)</sup>.

(1) شرح الفريدة (باب الإضافة) وانظر بحث المختار بن أبي الحكمة، ومحمد تقى الله .

## ج) من طرائفه :

ومن طرائف ما أورد في شرح الفريدة قصة "الراعي<sup>(١)</sup> مع الجندي" وهي تتعلق بحكم حركة الفعل المشد آخره، عند الجزم وهي :

قال الراعي : كان لي صاحب جندي مجاهد ذو مروءة تامة فسألني يوماً عن الفعل المضارع المجزوم وعلى الأمر منه فشرعت في الجواب فطمحت نفسه وفهمت أنه كالمستخبر لي فيها وأنه غير محتاج للجواب فأعرضت عنه، وقطعت الكلام فأعاد السؤال مراراً فحلفت : ألا أجييك إلا أن تنزل على صدر الإيوان وتتعقد كما تعقد بين يدي المعلم فردد الأمر في نفسه ساعة، ثم قال : لعن الله الشيطان لا بأس بالذل في طلب الإفادة. وفعل ما طلبت منه فقلت يا أبي عبد الله لم تجئ علي هذه المسألة رخيصة، وسأحدثك كيف استفدتتها، رحت لشيخنا وسيدنا أبي الحسن علي بن محمد بن سمعت، وكان من فقراء الباذية وكان أبوه وأخوه يعيشان من نقلة الحطب والخلفاء من الغابة، وكان أبي تاجراً في سوق القماش وكانت مع ذلك أخدمه خدمة العبيد والموالي الناصحين، فرحت له صبيحة يوم كثير المطر والثلوج شديد البرد والطين فقلت له ألكم حاجة ؟ قال : نعم ليس عندنا من الماء قليل ولا كثير، فأخرج إلى سطل نحاس وقلة فخار يسعان أربعين رطلاً من الماء، والماء من بيته على مسافة بعيدة فأتى به نحو الثنتين عشرة نقلة من الماء، حتى ملأت أواني البيت، ثم سلمت عليه وأردت الخروج وأنا في غاية من التعب وثيابي قد ابتلت وجرحت من الثلوج، فلما رأى ما بي قال : أقعد حتى أعطيك مسألة عظيمة فقعدت، فقال لي : ذكر الشيخ القالوسي في كتابه "الدر المكنون"، قال فيه : رحل طالبان من زندة إلى إشبيلية بقصد قراءة الحديث على أبي بكر الحافظ فلما قرأ عليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لم تصفر الشمس قال لهما الشيخ كيف تضيطن الراء فقا لا معاً بالفتح فأنشد :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ثم التفت إلى أبي علي الشلوين وكان أصغر القوم سنًا فقال له : كيف تقول أنت يا عم، فقال : العرب ثلاثة فرق مُتَّبعُون وكاسرون وفاتحون، فالمتبعون :

١. يتبعون الحرف المضاعف للحرف الذي قبله فإن كان ضمة ضمه نحو لم يرُد ورُد وإن كان فتحة أو ألفاً فتحوا نحو لم ي بعض زيد وبعض عمراً، وقوله تعالى :

(١) الراعي، هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن السهيل الغرناطي سمع من عبد الماك القيسى المتصوري، وأ Jarvis له العقبناني وابن الإمام ومحمد بن مرزوق التلمساني، (توفي بالقاهرة سنة 853 هـ) له ترجمة في نفح الطيب، والضوء اللامع، وبغية الرعاة.

﴿لا تضار ولدك﴾ (البقرة - الآية 233)، وإن كان كسرة كسروا نحو لم يفر زيد وفر يا عمرو ويتبعون المضاعف لحركة ما قبله إلا في ثلاثة مواضع فإنهم لا يتبعون لما قبل.

أ) أحدهما : إذا اتصل بالفعل ضمير مذكر غائب نحو لم يرده ولا ترده ورده فإن المتبوع يتبعون هاء الضمير فيقولون لم يفره وفره ولم يعشه ونحوه وعلى هذا يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿لام يمسه إلا المطهرون﴾ (الواقعة - الآية 82) نفياً ونهياً، ويكون في النهي على لغة المتبوعين.

ب) الموضع الثاني : إذا اتصل بالفعل ضمير مؤنث غائب نحو ردها يردها وفرها فيفتح المدغم فيه اتباعاً لفتحة الها، وإنما فعلوا ذلك لخلفة الها، فلم يعتدوا بها وكأن الفتحة باشرت الألف والضمة باشرت واو الصلة فانتقلوا لذلك.

ج) الموضع الثالث : إذا لقي آخر الفعل ساكن من كلمة أخرى نحو رد القوم ولم يرد القوم فيرجع المتبوعون هنا للكسر وعليه يقال : لم تصفر الشمس بالكسر.

2. والفرقة الثانية : هم الكاسرون مطلقاً لأن الأصل في التقاء الساكنين الكسر فيقولون ردّ زيداً ولم يغضّ عمراً وعليه قوله :

قال أبو ليلى لحبل مدةٍ حتى إذا مدتَه فشدَه

3. وأما الفرقة الثالثة : وهم الفاتحون فهم على قسمين فصحاء وغير فصحاء :

أ) فالفصحاء ينتقلون إلى الكسر إذا عرضهم ساكن من كلمة أخرى فيقولون مد الحبل وشد الرحل وقياس لغتهم الفتح في الجميع إلا أنهم كسروا مع الساكن فيقولون. ما لم تصفر الشمس بكسر الراء .

ب) وغير الفصحاء لا يزالون على أصلهم من الفتح مطلقاً فيقولون ما لم تصفر بفتح الراء وعليه قوله :

فضض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا  
فلما فرغ الشلوبين أنسد الشيخ : ذي المعالي فليعلنون من تعالي هكذا هكذا وإلا فلا لا  
قال : ولم يسألهما بعد عن شيء .

فلما فرغت قلت لصاحبـي : "قم الآن واقعد في مكانك فتعجبـ المـاضـرونـ وـقـالـواـ هـكـذـاـ تـفـعـلـ مـعـ أـجـلـ أـصـحـابـكـ فـقـلـتـ لـهـمـ قـالـتـ الـحـكـمـاءـ ثـلـاثـ مـنـ لـمـ يـرـعـ لـهـ حـقـهـاـ أـسـرـعـتـ فـيـ مـفـارـقـتـهـ وـالـتـحـولـ عـنـهـ :ـ الـلـوـكـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـنـعـمـ".

وقد نظم هذا التفصيل شيخنا الإمام العلامة المحقق الصالح الشهير سيدى أحمد بن الحاج رحمة الله تعالى ونفعنا به أمين بقوله :

آخره كلا تضر أحدا  
لآخرین ثم إن الفصحا  
يأتون بالكسر كسر الحازما  
يلي فباشر ضمة له أضمنما  
وإثر كسرة له الكسر يفي  
فالضم عندهم كلاً تمرأ  
لصلة وخفة قد وضحا  
فاكسره للساكن فابغ العلماء<sup>(1)</sup>

إن جُزِّم الفعل الذي قد شددا  
فاكسره مطلقاً لقوم وافتتحا  
من هؤلاء حيث يلق الساكن  
ثلاثة اللغات إن يتبع ما  
وافتتحه بعد فتحة أو ألف  
إلا في نحو مسنه وفره  
ونحو ردها وحبها افتتحا  
ونحو غض الطرف عض اللحما

#### 4. ابن غازي المكتسي :

##### أ) حياته وشيوخه :

أبو عبد الله سيدى بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني، المكتسي نزيل فاس. عالم المغرب في عصره، ذكر<sup>(2)</sup> في فهرسه الموسوم، بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل النزل والناد، ثبت شيوخه، وهم سبعة عشر، منهم أبو عبد الله محمد بن الحسين بن حمامه الأوربي النيجي الشهير بالصغير، وقد نوه به المؤلف واستشهد في حقه يقول الشاعر :

خلف الزمان لياتين بمثله حنت يمينك يا زمان فكفر<sup>(3)</sup>

وقد لازمه ابن غازي وقرأ عليه عدة أضرب من العلوم منها كتب التجويد والحديث والفقه، وألفية ابن مالك وقال : إنه كان ينقل عليها كلام المرادي مستوفى، ويبحث فيه أبحاثاً نفيسة، ويطرز ذلك بكلام أبي الحسين ابن أبي الربيع، وكان مولعاً به مستحضرأ له، وربما أضاف إلى ذلك من كلام أبي حيان، وابن هانئ، وأبي إسحق الشاطبي<sup>(4)</sup>.

(1) شرح الفريدة (باب الإدغام) وانظر بحث المختار بن أبي الجكني، ومحمد تقى الله .

(2) من أقدم تراجمه تلك التي أوردها القرافي في توشيح الديباج ص 176 ، وترجم له ابن القاضي في درة المجالج 2 ص 147 ، وفي جذرة الاقتباس ج 1 ص 203 ، وأحمد بابا في نيل الابتهاج ص 581.

(3) الفهرس، ص 36

(4) الفهرس، ص 63

وقال : إنه أخذ عنه بحثاً وتدقيقاً للامية الأفعال لابن مالك وبعض كتاب سيبويه، وبعض إيضاح أبي علي، وبعض تسهيل ابن مالك وبعض مغني ابن هشام<sup>(1)</sup>.

وقد أجاز له محمد بن عثمان الديمي<sup>(2)</sup> في كتب ابن مالك عن هاجر بنت محمد بن محمد المقطبي، عن أبي اسحق التنوخي عن أحمد بن محمد بن غانم عن مصنفها، وفي مغني ابن هشام والشذور وقطر الندى عن ابن حجر عن مؤلفها<sup>(3)</sup>.

ومن مشاهير شيوخه كذلك محمد بن قاسم القوري<sup>(4)</sup>، ومحمد بن مرزوق التلمساني<sup>(5)</sup>، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب الضوء اللامع.

ومن تلامذته ذكر محقق فهرسه الأستاذ الزاهي مجموعة من جلة العلماء، منها ابنه أحمد ومحمد، وعبد الواحد بن أحمد الونشريسي صاحب المعيار (ت 955 هـ) وعبد الرحمن بن علي المشهور بسقين (ت 956 هـ) وكان من أخص أتباعه.

### ب) مصنفاته :

يلاحظ من طالع فهرسة ابن غازى وقرأ ترجمته ما لهذا العالم من سعة باع في العلوم، وتتبّع ثقافته في كتبه، أراد لها أن تكون إتحافاً للقراء، وإرشاداً وإمداداً لهم. وهكذا كان جل عناوين مؤلفاته، التي تناولت مقاصد الحديث ورسومه، وكليات الفقه وشرح متونه، كما كتب في الأدب، والحساب وعلم الجدول.

وله في النحو شرح للألفية وهو كتاب إتحاف ذوي الاستحقاق بعض مراد المرادي وأبي إسحق<sup>(6)</sup> شخص فيه آراء هذين العالمين تلخيصاً تجلت فيه براعته وغلوصه في التدقيق، وقد كثرت فيه تصويباته لابن مالك، نورد بعضها في الأمثلة التالية :

(1) الفهرس، ص 64.

(2) ترجم له السخاوي في الضوء اللامع ج 5 ص 140 ، ولم يذكر تاريخ وفاته لأنّه معاصر له.

(3) الفهرس، ص 134.

(4) توفي سنة 872 هـ ، وترجمته في الفهرس، ص 70.

(5) المعروف بالكتيف المتوفى سنة 901 هـ ترجمته في نيل الابتهاج، ص 574.

(6) أبو إسحق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هـ) أخذ عن الشريف التلمساني ، والإمام المقرئ ، والخطيب بن مرزوق ومن أشهر تلامذته أبو بكر بن عاصم صاحب التحفة . ولقد كان الشاطبي بارعاً في تأليفه ، وبإخلاصه كتاب الاعتصام والموافقات ، وكتب في أصول النحو ، وشرح على الخلاصة ، قبل إله لم يُؤلف مثله وهو بعد الآن للطبع.

**ج) أمثلة من تصويباته :**

ف عند قول ابن مالك :

وكلمة بها كلام قد يؤمن

واحدة كلمة والقول عم

يقول ابن غازى : فلو قال المصنف :

بها الكلام لغة والقول عم

واحدة كلمة وقد يؤمن

لحرر العبارة، ولو قال :

والثون فعل الأمر إن أمر فهم

وماضي الأفعال بالتأء بين سم

لصرح بهما، أي بتاء أتت، وفعلت.

وعند قول ابن مالك "واجزم بتسكين ... إلخ. يقول ابن غازى : لو أراد أن يشير لما

ينوب من علامات البناء الأربع كما فيه على ما ينوب من علامات الإعراب الأربع لقال :

واجزم بتسكين وكل ما بقى      ينوب في البابين كاثنين انتقى

فاثنين مفعول مقدم وهو مثال للنيابة في المعربات، وانتقى فعل أمر معنى "اختير"

وهو مثال للنيابة في المبنيات، وحذف الباء فيه نيابة عن السكون إذ الأمر مبني على ما  
يجزم به لو كان مضارعاً.

وكان يكثر في الاتحاف من العزو للمسكودي ، في كتابه الشرح الكبير.

وفيمما يلي مثال عن تلخيصه لآراء المرادي والشاطبي في مسألة الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس.

**د) بحوثه في نقله عن المرادي والشاطبي :**

يقول ابن مالك :

ووضعوا لبعض الأجناس علم      كعلم الأشخاص لفظاً وهو عم

ويعلق ابن غازى عليه مورداً البحوث التالية :

**أولاً: قول المرادي :**

قال المرادي : ذهب بعضهم إلى أن أسامة لا يخالف في معناه دلالة أسد، وإنما

يخالفه في الأحكام اللغوية وإنما أطلق عليه أنه معرفة مجازاً. ثم قال : وما قيل في ذلك

إن أسدًا وضع ليدل على شخص معين إلى قوله لوجود ما هو بذلك المعنى الكلي في

الأشخاص، أبو حيان : قاله بعض من يميل إلى المعقول ويريد أن يجري القواعد على

الأصول، يروم به أن يوجه لأسامة ونحوه وجهاً يدخل به في المعرف وهو بعيد عما تقصده

العرب. إلى أن يقول : والتحقيق في ذلك أن تقول : اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة الذهنية إلى قوله ومن حيث عمومها فهو اسم الجنس .

هذا الذي عده تحقيقاً هو خلاصة ما للقرافي في شرح التنقیح قائلاً : كان الحسروشاهي يقرره، ولم أسمعه إلا منه، ويقول ما في البلاد المصرية من يعرفه غيري.

وقوله : "فتلك الصورة الكائنة في ذهنه جزئية بالنسبة للكلية أي بالنسبة إلى مطلق صورة الأسد، وقوله : فإن هذه الصورة واقعة لهذا الشخص في زمان ومثلها يقع في زمان آخر، زاد القرافي : وفي ذهن شخص آخر" وقد تبرع المرادي في فرق القرافي بمزيد تقرير، وبأن في كلام الإمام إليه إيماء وبأن هذا العلم كذبي الأداة التي للماهية.

### ثانياً : كلام أبي جعفر بن خاتمة وتعليقه عليه :

على أنه قد صنف في المسألة أحد حذاق المتأخرین، وهو العلامة أبو جعفر بن خاتمة جزاً نبيلاً فائقاً بديعاً رائقاً سماه "إلحاق العقلی بالحسی" في الفرق بين الكلی والعلم الجنسي" أجاد فيه ما شاء وذكر أنه طالع به شیخه القاضی الخطیب الأستاذ أبا البرکات ابن الحاج البلفیقي فصویه واستنبله، قال فيه يظهر لي أن هذا المعنی استثار به اللسان العربي دون اللسان اليوناني، لاتساع عبارته ولطائف إشارته، إذ لو كان في اللسان اليوناني يوجد في كتب المتنطق المترجمة وتداویته مناطقة الإسلام في كتبهم كأبی نصر الفارابی وأبی علي بن سینا والقاضی أبی الولید بن رشد - يعني الحفید - وغيرهم، ثم جاء بنص كلام القرافي وبنقضه عروة عروة، وهذه نبذة من كلامه في ذلك.

قال : "فإن قيل إن مطلق صورة الأسد أعم فإنه يقع على هذه الصورة الذهنية الواقعة في هذا الزمان وعلى مثلها، مما يقع في زمان آخر وفي ذهن آخر فهنا صور كثيرة جزئية بحسب الأزمان والأذهان، ويعملها مطلق صورة الأسد ولا معنی للأعم والأخص إلا هذا قلنا هذا وهم ."

وهو محاجة هذه المسألة ثم مد الطبل وأطالب النفس في بيان كونه وهم، إلى أن مثل الصورة الواحدة المتعددة في الذهن بالصورة الواحدة المتعددة في البصر، فكما أن النظر إليها بالبصر الواحد مرات لا يوجب لها تعددًا بحسب الأزمنة، ولا أيضاً النظر بالأبصار الكثيرة فكذلك استحضار الذهن الصورة الواحدة الكلية لا يوجب لها تعدد بحسب الأزمنة ولا هي تتعدد بحسب الأذهان، وأيضاً فلو كانت الصورة الذهنية تختلف بتعدد الأذهان، لكان اتفاق المتفقين على معنی ما كلا اتفاق، لأن المعنی المتفق عليه باعتبار ذهن كل واحد منهم مختلف، فيكون المعنی الذي عند كل واحد منهم غير المعنی الذي عند الآخرين، ولو كانت تختلف بحسب الأزمنة لكان حكم الإنسان الواحد على المعنی الواحد يختلف بتعدد

استحضاره له، لأن المتعين منه في ذهنه في هذا الزمان غير المتعين في الزمان الآخر، وكانت العلوم الكلية في اختلاف وتبديل، وذلك كله مستحيل.

إنما أتت هذه الحالة من وضع الكلي الذهني جزئياً باعتبار زمان ما أو ذهن ما فإذا أخذنا الأمر في ذلك على ما أصلناه انحلت هذه الشكوك وارتقت الحالات بحول الله تعالى.

والذى للعلم الجنسي من معنى الجزئية، إن صع إطلاقها عليه من هذا الوجه هو تعينه من بين سائر الحقائق الذهنية، فيكون إطلاق الجزئية عليه وعلى العلم الشخصي بالاشتراك المضى، نعم قد يطلق عليه جزئي بالنظر إلى ما هو أعم منه كما يقال في الإنسان إنه جزئي بالنظر إلى الحيوان الذي هو جنسه، فيقال مثلاً إن أسامة جزئي بالنظر إلى الحيوان المفترس الذي هو جنسه، كما أن الحيوان المفترس جزئي بالنسبة إلى الحيوان البهيمي، أعني غير الناطق، وذلك أن الجزء قد يطلق ويراد به كل مندرج تحت كلي سواء كان متشخصاً كزيد، أو كان كلياً كإنسان، وسمى الأول الجنسي الحقيقي والثانى الجنسي الإضافي لأن جزئيته بالإضافة إلى ما فوقه وهو أعم من الحقيقي، لأن كل حقيقي مندرج تحت كلي فهو إضافي وليس كل إضافي حقيقياً، فإن منه ما يكون كلياً فعلى هذا يقال في العلم الجنسي إنه جزئي بالمعنى الثانى، الذى هو إضافي وأما بالمعنى الأول فلا.

### ثالثاً : تعليق ابن غازى :

فالذى عده المرادى تحقيقاً جعله ابن خاتمة وهم، وخلاصة ما أصل ابن خاتمة فى الفرق بينهما أن قال اللفظ الموضوع باعتبار المعنى الكلى إن أخذ مع النظر إلى جزئياته وشياعه بين الأشخاص فهو المخصوص باسم الكلى، لأن الكلى والجزئي من مقولة المضاف فكما أن الأب لا يطلق عليه أب إلا بالنظر إلى ابن، والإبن لا يطلق عليه ابن إلا بالنظر إلى أب، فكذلك كل واحد من الكلى والجزئي لا يطلق إلا بالإضافة إلى الآخر وإن أخذ ذلك المعنى بالنظر إلى تعينه في الذهن من بين سائر الحقائق الذهنية، من غير نظر إلى ما تحته من الجزئيات، فهو المعنى المدلول عليه بالعلم الجنسي.

فمثال الأول، وهو اللفظ الكلى : إنسان وفرس وأسد، ونحو ذلك من الأسماء النكرات الشائعة؛ ومثال الثاني وهو العلم الجنسي أسامة للأسد، وذئبة للذئب، وثعالثة للثعلب، ونحو ذلك من الأسماء المعرف التي لا تخص شخصاً دون شخص من نوعه، فتسمية الأسد أساذاً باعتبار معناه الكلى العام لجزئياته، وتسميتها أسامة باعتبار معناه المعين في الذهن من بين سائر الحقائق الذهنية، من غير نظر إلى كلينه وعمومه وإلا لكان كلياً من غير نظر أيضاً إلى شخص معين من الأشخاص التي يقع عليها، وإلا لكان علماً

**شخصياً**، وهو يشبه العلم الشخصي من وجه به سمي علمأً، ويشبه الكلي من وجه آخر به سمي جنسياً.

ووجه شبهه بالعلم الشخصي هو في كونه وضع لمعنى متعين من بين غيره من المعاني المشتركة معه في الكلية، كما أن العلم الشخصي موضوع لشخص معين من بين سائر الأشخاص المشتركة معه في الكلية، ووجه الشبه بالكري هو في صلاحيته لتناول كل شخص من ذلك النوع، كما أن الكري يتناول جزئياته، ولما كان هو خارجاً عن ملasseة الناس ومداخلتهم، إذاً يعينهم منه نوعه دون أشخاصه على التعيين، وضعوا لذلك النوع باعتبار تشخيصه في الذهن من بين سائر الأنواع والأجناس الذهنية أسماء، أعلاماً كما وضعوا لما يعينهم من الأشخاص باعتبار تشخيصه خارج الذهن ليعادلوا بين الجهتين فتذبره. انتهى.

#### **رابعاً : قول أبي اسحق الشاطبي في المسألة :**

قال أبو إسحاق الشاطبي : فإن قلت "هل العلم الجنسي يرادف اسم الجنس النكرة أم لا؟ فاجواب أنه ليس يرادف لها، من حيث هي واقعة على واحد غير معين في جنسه، كما أن زيداً لا يرادف النكرة كذلك، وإنما هو مرادف لاسم الجنس المعرف باللام الجنسية وإليه أشار بقوله "هو عم"، أي وقع علمأً على جملة الجنس بحيث يصدق على كل فرد، فإنه ذكر أحد من النحوين أنه مرادف للنكرة فعلى لحظ معنى الجنس فيها، لا على لحظ وقوعها على واحد من أفراد الجنس لا بعينه وما مقصداً متبايناً، وأيضاً فقد نص ابن خروف في كتاب الرد على أبي المعالي أن أعلام الأجناس كأسماء الأجناس، فاللام عامة وأنها لاستغراق الجنس أصلاً واستعمالاً قال : "ولا خلاف في هذا بين النحوين أجمعين".

#### **خامساً : استنتاج ابن غازي :**

فقد ظهر إذن أن علم الجنس مرادف في المعنى لاسم الجنس المعرف باللام العهدية في الجنس كما أنه لا فرق في المعنى بين علم الشخص واسم الجنس المعرف باللام العهدية في الشخص، غير أن اسم الجنس يحتمل من المعاني معانٍ أخرى لا يحتملها العلم لحصرهم إياها على أحدهما، وكل ما يقال خلاف هذا فلا تعرفه العرب، بل سمعت شيخنا القاضي أبو القاسم الشيريف رحمة الله تعالى يقول لا فرق بين الأسد وأسامي إلا في الأحكام اللغوية فقط قال : "وخلاف هذا هذيان" وذلك نقل القرافي عن الخسروشاهي واختيار بعض العصر يعني ابن خاتمة قال : وأظنه سبق إليه؛ أما الأول فتصريحة بأن أهل قطره لا يعرفه منهم أحد سواه، شاهد بأنه لا يعرفه.

ورأيت بخط شيخنا أبي عبد الله القغربي سألني الأستاذ أبو محمد عبد المهيمن الخضرمي عن الفرق بين اسم الجنس : وعلم الجنس فقلت له زعم الخسروشاهي أنه ليس في

الديار المصرية من يعرفه غيره؛ وأنا أقول ليس في الدنيا عالم إلا وهو يعلمك غيره؛ لأنه حكم لفظي أوجب تقريره المحافظة على ضبط القوانين، كعدل عمر عن عامر؛ فاستحسن ذلك ونحوه انتهى قول المقرى ولله دره فيه ، وأما الثاني فلا يبعد مغزاًه عما قبله وإن تحقق قائله بعض التتحقق ولكنهما معاً جاريان على أصل واحد ناء عن مقصود العرب؛ وأحسب أن شيخنا أبي القاسم الشيريف كان يطعن على هذا القائل خصوصاً، ويراه فيما قاله خارجاً عن سبيل المسألة والصواب ما تقدم، ولا نطول برد المذهبين، وقد سلم المرادي أنه منزلة المعرف بـ (الـ) التي للحقيقة وسلم أبو إسحاق الشاطبي أنه مراد المعرف بـ (الـ) الجنسية ومآل المرادي إلى المذهبين وما علّم بهما أبو إسحاق الشاطبي كما رأيت والله سبحانه أعلم بالصواب.

## 5. محمد المرابط الدلائلي :

### أ) نهضة الزوايا في عهده :

وفي القرن الحادي عشر عرف المغرب نهضة عارمة تثلت في دور الزوايا العلمية، وهذا ما عبر عنه محقق كتاب نتائج التحصيل الدكتور مصطفى الصادق العربي بقوله : "ولعدة أسباب كانت الحياة العلمية في المغرب، في القرن الحادي عشر على أعلى مستوى بالنسبة لبقاء العالم العربي والإسلامي، وفي الغاية القصوى من النضوج الفكري، والتلقي العقلي منها :

1. الأصالة العلمية والعراقة الفكرية المتوارثة من العصور السابقة، بما فيها روافد العلم من الأندلس.

2. التنافس العلمي بين حواضر المغرب في فاس ومراكش وتطوان.

3. انتشار ظاهرة الزوايا التي تحولت إلى مؤسسات علمية ومعاهد ثقافية يتخرج منها فطاحل العلماء، وجهادة المفكرين، وحفظة الكتب الدينية<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر هذه الزوايا :

أ) الزاوية الناصرية : وهي التي أنشأها أبو حفص الأنصاري (ت 1010هـ) وكان لها دور عظيم في نشر العلم، و التربية الطلبة والمريدين، ومن أعلامها المشهورين محمد بن ناصر الدرعي شيخ أبي علي الحسن اليوسي (ت 1012هـ).

(١) مصطفى الصادق العربي، مقدمة كتاب نتائج التحصيل، ج ١ المجلد ١ ص 42.

ب) الزاوية الفاسية : وقد أسسها أبو المحاسن يوسف الفاسي (937-1013هـ)، وتفرع عنها زاوية أخرى في تطوان وثالثة بناها أخوه أبو زيد عبد الرحمن الفاسي (1040-1096هـ) وتوارثها أحفاده من بعده ومن أشهرهم عبد القادر الفاسي (1007-1091هـ).

ج) الزاوية العياشية : أنشأها سيدى محمد بن أبي بكر العياشي، وتطورت في عهد ابنه أبي سالم وخدمت جميع فنون العلم، وكانت لها صلات وثيقة مع الدلائين، وهي التي تعرف بالزاوية الحمزاوية.

د) الزاوية الدلائية : التي يقول عنها الأستاذ محمد حجي : وتطور أمر الزاوية الدلائية في القرن الحادي عشر، وكشرت فيها المدارس المزدحمة بالطلاب الذي كان لهم بإزاره جامع الخطبة ألف وأربع مائة مسكن، وتكاثر العلماء المشتغلون بالتدريس في مساجدها. سوا من أبنائه أم من الواقفين، وامتازت بخزانة كتب شبهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر بالأندلس<sup>(2)</sup>.

## ب) مكانة المرابط الدلائي :

شيوخه وشعره :

لقد أنيحت هذه الزاوية مجموعة من علماء تنتمي إلى سيدى محمد بن أبي بكر الدلائي منهم محمد المرابط مؤلف نتائج التحصيل الذي كان تلميذاً لوالده، وزميلاً في العلم والطلب لإخوته : الأمير محمد الحاج، ومحمد المسناوي، وأحمد الشاذلي، وكان أستاذًا لابنه أبي عبد الله محمد، وأبناء أخوته الذين كانوا جمیعاً من أعلام العلما.

وكما أخذ عن والده، فقد سمع من شيوخ أجلا، آخرين ذكر منهم أحمد المنجور مؤلف القواعد وأبا حامد العربي ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي (988-1052هـ) وعن شيخه القصار الذي يقال فيه :

قد حاك أشتات العلوم أئمة  
وكسو بها بالفضل من هُو عاري  
رقت حواشيه وراق طرازها  
لكنها تحتاج للقصار

وقد أجاز له في نحو ابن مالك عن القصار عن أبي نعيم رضوان عن سقين، عن ابن غازى، عن أبي عمر عثمان المصرى، عن هاجر بنت محمد المقدسى، عن أبي الحسن التنوخي عن أحمد بن محمد بن غانم، عن جمال الدين ابن مالك.

(1) محمد حجي : الزاوية الدلائية ص 71.

وعرف الناس موقع المرابط من العلم في حياته ولهج كبار الشعراء بإطرانه والثناء عليه، فيقول اليوسي عنه :

أيا بدر المعالي والمعاني  
ومأمول الأماني والزمان  
إلى أن يقول :

إمام طبق الآفاق علما  
كغثيث وابل من بعد يأس

كما قال عنه محمد اليازغي في حدائق الأزهار :

محمد نجم الهدى المرابط  
ومنبع التحقيق عالي الهمه  
وليس دونه حجاب يغلق  
وخرجت منها الغوانى العين  
نتائج التحصيل للتسهيل  
وفيه قد صالح على من يجحد  
للجمال فيه أي سحر  
بعد ثمانين وعشرين مائة<sup>(2)</sup>

والرابع البحر الإمام الضابط  
كان إماما في علوم جمه  
إذا جرى في فهمه لا يسبق  
تفجرت من علمه عيون  
يشهد باطلاعه الجليل  
قرب فيه كل معنى يبعد  
قد غرقت فيه بحار البدر  
قد غربت شموسه في تسعه

لقد كانت أغلب مؤلفات محمد المرابط في النحو والأدب. ولكنه كتب أيضاً في الأصول شرحاً على ورقات إمام الحرمين الجويني، وله كتاب الدرة الدرية في محاسن الشعر وغرائب العربية. وشرح نظم البسط والتعريف للمكودي، وله شرح على الخلاصة، وله ديوان يبني عن مدى جودة شعره ورقة عبارته ونزعته المشرقية، نورد من شعره على سبيل المثال قوله :

فجوانحي لخفوته خفق  
في حاجر حيث الهوى وفق  
من نجعة يجلى بها المؤق  
وعيون أزهار بها زرق  
وكمائم تحلى بها فتق

هل عند رسم دارس نطق  
هل تذكرين أمماً ليتنا  
أم هل لمريعنا بذى سلم  
حيث الخمائل فيه باسمة  
وصوادح تختال ساجعة

(1) نتائج التحصيل، ج ١ المجلد ١ ص ٥٥.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

سوج رفت بها ذيول صبا  
إذ لا أمامة تنتمي شحطا  
إلى أن يقول في تخلص إلى مدح الرسول ﷺ :

لاب سلوتك يا أمامة إذ  
وعلقت من في حبه أبدا  
من في ودادته النجاة ومن  
في بره يتنقلب الخلق

ومنها :

حسبي بدم محمد شرفا  
وسماع سادوا الورى نجبا  
فاقوا البرية كلها كرما  
إن صاولوا اجتاحتوا وإن وصلوا

ويقول في المعراج :

طافت بك الأملك زائرة  
لما انتحيت سماءها صعدا

ومنها أيضاً :

عمري لقد أضحي وما أحد  
أني وما ولدت كأحمدنا

### ج) مؤلفاته :

لقد كتب محمد المرابط في النحو مؤلفات منها<sup>(2)</sup> : التقاييد النحوية وهي تشمل المباحث الإنسانية في الجملة الخبرية والإنسانية، وهو جواب سؤال ورد عليه من الشيخ عبد القادر الفاسي حول الجملة المحكية بالقول. ومنها التحرير الأسمى في إعراب "الزكاة اسمًا"، وهو تفسير لحد ابن عرفة للزكاة عرفاً. وفصل الخصمين في متعلق الطرفين : وهو بحث يدور حول جواز تعلق ظرفين بعامل واحد في مثل قوله تعالى : «وأنذرهم يوم الآفة إذ القلوب لدى الحناجر» (غافر - الآية 17). والدلائل القطعية في تقرير

(1) راجع حسن جلاب : أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي ج 1.

(2) راجع قائمة مؤلفاته في حسن جلاب، أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي ج 2 ص 308.

النصب على المعية فيما يتعلق ببعض أبيات الألفية : استعرض فيها أحكام المفعول معه ورفع اللبس عن ورود تفعل بمعنى فعل والعكس (وهو من مؤلفاته الضائعة). ومن أهم ما كتب في النحو كتاب فتح اللطيف على البسط والتعريف للمكودي. وكتاب نتائج التحصيل.

### فتح اللطيف :

وكتاب فتح اللطيف على البسط والتعريف، يقول عنه مؤلفه : هذا بحمد الله شرح يزهو على الشروح، شامخ المبني والصروح متجاوب الأطراف، متداني المعاني والأقطاف، لو تجسم كان من الحسناً جيداً، أو تصور كان من الأيام عيضاً، أو دعنته من المباحث نفاسها، ومن أقاويل العلماء عرائسها، كم أسهلت فيه من الحزون<sup>(1)</sup>.

ويعتقد الدكتور حسن جلاب أنه ألفه قبل نتائج التحصيل وأنه كتبه لطلبته ليكون له "شمساً يهتدى بناره، ويستضيء بنهاهه، ويعتمد إبراده وإصداره وسماعه وإحضاره"<sup>(2)</sup>. ويلاحظ د. جلاب تباين مستويات الشرح، فتارة ينزل وشرح البديهي الواضح، وتارة يعلو في مناقشات فقهية لا يستوعبها إلا المترسون في هذا العلم، وكأنه رعى فيه مستوى طلابه، فللمبتدئين منهم ما يكفيهم، وللمتقدمين ما يناسبهم<sup>(3)</sup>.

وأعطى د. جلاب أمثلة من شرحة لما هو واضح، كشرحه لمعنى "العرب، والعربي، ومعنى النظم والنثر، والتصنيف، والشيء الجليل". كما قدم نموذجاً من شروحة اللغظية. قوله "باهر العقول" أي مالتها إعجاباً واستحساناً، ويقال ليلة البدر باهراً (أي يبهر النجوم)، يملؤها، قال ذو الرمة :

كما يبهر المغير السواريا

وقال الأعشى :

وحكموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الباهر  
والباهر الإضاءة، كالجمهور، والغلبة، والحب ويحتملها قول عمرو بن أبي ربيعة :  
ثم قالوا تحبها قلت بهراً      عدد القطر والمحص والتراب<sup>(4)</sup>  
أما مناقشاته لآراء النحاة، فذكر منها :

(1) راجع قائمة مؤلفاته في حسن جلاب، أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي، ج 2 ص 337.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 353.

(4) المصدر نفسه، ص 342.

مسألة زيادة الهمزة رابعة في آخر الكلمة عند قول الناظم :

ورابعاً في ضهيل ويكثـر في آخر بعد ثلاث تذكر

ورد المرابط على اعتراض ابن الحاجب على هذه الزيادة قائلاً : " بأن المعارضة بأشهرية فعلٍ كعثير على فعلاً مردودة إذ ليست من واد لتبانيهما في فاء بالفتح وفاء الكسر، فإن قلت فعله فعل مفتوحاً، فقد زعم أن عثيراً قد يفتح، قلت قد وهم الذي زعمه، ففي القاموس عثير كمنبر، قال بعض الأئمة العثير الغبار ولا نفتح فيه العين" (1).

وفي حديثه عن زيادة النون في أول المضارع نحو "نصر" وفي آخر بعض الأسماء نحو زعفران، وسكران، وعسقلان، وقال : وقد اشترطوا أن تكون بعد ألف وأن يكون متلوها أكثر من حرفين وهو شيء لم يتتوفر مثلاً في زمان ومكان (2).

وقد أشار الدكتور حسن جلاب إلى مجموعة من القضايا التي تعقب المرابط فيها أقوال النحاة، كما ذكر ولو عه بالمقارنة بين المدارس التحوية واستعراض آرائهما في زوائد الحروف، وفي زيادة ميم موسى وكسر همزة الوصل، وإدغام الهمزتين المكررتين في الكلمة الواحدة، كما بين أنه له مأخذ على المكودي في الترتيب والأسلوب (3).

#### النتائج :

أما نتائج التحصيل فهو فريد من نوعه، فإنه بثابة موسوعة شاملة تضمنت أولاً شروح التسهيل، وبالخصوص شرح المؤلف، وشرح أبي حيان والدماميسي، وبين أم قاسم، ومباحث جمة أخذها المؤلف من أكثر من مائة وسبعين مرجعاً (4).

ولنعطي صورة عن شمولية هذا الكتاب، تنبه على أن الجزء الذي نشر منه بتحقيق الدكتور مصطفى الصادق العربي، ينتهي بأفعال المقاربة، وقد طبع في أربع مجلدات، ويحتوي على تسع مائة وست وعشرين آية من شواهد القرآن، ومائة وستة عشر حديشاً، وأكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين بيتاً من الشواهد.

ووصفه المؤلف قائلاً : ولقد امتن الله علي بشرح هذا الكتاب، فأظهرت فيه القشر من اللباب، وانتقدت عليه جميع ذلك ودفعت عاملاً ما هنالك، مما يخرس المنطق المفوه، ويحسّن المقدام المنوه، بعد الإمعان في الفن وتطلبـه، والفحص عن تصانيفه وكتبه، فلم

(1) راجع قائمة مؤلفاته في حسن جلاب، أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي، ج 2 ص 344.

(2) المصدر نفسه، ص 345.

(3) المصدر نفسه، ص 346.

(4) المصدر نفسه، ص 366.

أترك في تحصيله سبيلاً إلا نهجته، ولا غادرت في إدراكه باباً إلا ولجته، حتى وضع لي  
باديه وحافيه وانكشفت لي أقاويل الأئمة فيه<sup>(1)</sup>.

وتحدث عن سابقيه من شراح التسهيل فقال عن أبي حيان بأنه عميد من خاص  
هاتيك اللجاج، وغاص في قعر تيار ذلك الشبح، لاستخراج فرائد المكونة، واحتياز فوائد  
المصنونة. واستدرك عليه أنه لم يتحمّل الحشو والتطويل، ولا مرذول اللفظ في مدارج البحث  
ومجال التأويل، وإنّ ر بما أوقع الأشياء في غير مواقعها وصرفها عن مواضعها، لأمور  
اعتمدها واهية، وأشياء إذا تأملت متلاشية فقال : إن أنوار شرحه غير متبلجة، وأزهار  
تصنيفه غير متارجة<sup>(2)</sup>.

ثم أثني ثناء على تلخيص ابن هشام لشرح أبي حيان وانتقل إلى انتقاد شرح  
الدماميسي، مع أن بداية حديثه عنه توحّي باحترامه لمصنفه، لأنّه استثناء من شروح أخرى  
قال : إن كُلًا من أصحابها لم ينفع بالركوع في تلك المشارع صدى، ولا مد إلى هاتيك  
المجاني يدا ، اللهم إلا البدر الدماميسي. ثم قال : إنه انحرف عنه كل الانحراف، راكباً فيه  
متن الاعتساف، ناظراً إلى كلام المصنف بعين الانتقاد، محسناً فيما يورده عليه الظن  
والاعتقاد، غير راكن إلى قياس صحيح، ولا إلى نقل عن الأئمة صريح وإنّ خطط خبط  
عشوا ، وارتكب فيه مقالات شنعا ، لضيق عطفه، ولنبو وطنه<sup>(3)</sup>.

وإذا كان هذا الشرح شمل استعراض كل ما قيل من قبله، فإن مؤلفه لم يكن جامعاً  
فحسب وإنما كان مناقشاً ومختاراً ومرجحاً. فكان في اتجاهه العام مناصراً لآراء ابن مالك،  
ومدافعاً عنه بالرد على مخالفيه، أمثال أبي حيان، ولو أنه ينظر إليه باحترام وتقدير،  
وعلى العكس من ذلك، فإنه نصب نفسه معارضاً للدماميسي إذ لا يخلو باب من الكتاب  
من انتقاده وتقريعه. وتنقيصه والتحامل عليه، فاتهمه بالسطو على أقوال غيره،  
وخلطه للأراء، وقصوره عن مطالعة المراجع الأصلية وغروره بنفسه.

وإعطاء صورة مصغرّة عن منهج المؤلف، نقدم غاذج من انتصاره لابن مالك،  
وتخطّاته للدماميسي، وفقرات تشتمل على نموذج من صنيعه في الشرح، واستطراداته  
الأدبية.

(1) نتائج التحصيل، ج 1 مجلد 1 ص 92.

(2) المصدر نفسه، ص 90.

(3) المصدر والصفحة نفسها.

## د) أمثلة من انتصاره لابن مالك :

### 1. إعراب الأسماء الخمسة :

أورد المرابط فيها عشرة أقوال صدرها باختياره وهو أنها معربة بالحروف. إذ لفائدة في جعل مقدر متنازع فيه دليلاً ولا يمنع من أصالة الحروف، لصلاحية الحرف المختلف الهيئات، للدلالة أصلاً أو زائداً.

وما تعقب به أثير الدين وجود تدافع بين كينونة الحرف الأصلي إعراباً لما علم ضرورياً من زيادة الإعراب على مبني الكلمة، أو ما نزل منزلتها من الزوائد، وبين أصالة هذه الحروف.

ورد المرابط بأن بالتدافع غير مسلم إلا لو اعترف ابن مالك بأن الحرف الأصلي لا يكون حرف إعراب في صورة واحدة، وهو قد سوّغه باختلاف الهيئات، وقال إنه لا مندوحة عن إعرابها بالحروف<sup>(1)</sup>.

2. قول ابن مالك إن الفعل الماضي يقع صفة لنكرة عامة. واستشهد بقول الشاعر :

رب رفده هرقته ذلك اليوم وأسرى من عشر أقتال

واعتقد في الآتي بأن رب عند سيبويه للتقليل وهو ينافي العموم، وبأن الشاعر لم يرد إرادة لكل رفد فذكر الشارح أن المصنف لا يرى التقليل في رب إلا نادراً، وأن الشاعر لم يرد إرادة لكون المقام قريها وهو يتنااسب الكثرة وهي المراد هنا بالعموم تجاوزاً<sup>(2)</sup>.

3. يقول ابن مالك : إن النحوين اتفقا على أن "السين وسوف" أصلان، وأن "سف، وسو وسي" متفرعة من سوف. وهو تخصيص دون مخصص. لأن نون التوكيد الخفيفة فرع عن الثقيلة اتفاقاً. وقد انفرد بأحكام كالإلغاء، ودخول اللام في ثاني جزأى الجملة، ودخولها على الأفعال الناسخة، وكل ذلك من نوع في الثقيلة.

وقد تعقب أبو حيان رأي ابن مالك في هذه المسألة فانتصر المرابط لابن مالك ضد أبي حيان<sup>(3)</sup>.

4. قول ابن مالك : نون الوقاية أو نون التوكيد، وقد تحذف نون الرفع لنون الوقاية وهو رأي سيبويه لأن نون الرفع قد تحذف دون سبب ويرى المبرد والفارسي أن

(1) نتائج التحصيل، ج 1 مجلد 1 ص 302-308.

(2) المصدر نفسه، ص 257.

(3) المصدر نفسه، ص 239.

المحذوفة نون الوقاية. وأيدهما أبو حيان بقوله إنه لو حذفت نون الرفع لللزم وجود مؤثر لا أثر له مع إمكانه. وقال المرابط : إن هذا لا استحالة فيه، أن المستمد كونه الأثر مدعى مؤنث. واستدل بإهمال بعض العوامل كقول الشاعر :

لو لا فوارس من تيم وإخوتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار<sup>(1)</sup>

5. يقول ابن مالك في التسهيل : ضمير الغائبين كضمير الغائبة كثيراً وكضمير الغائب قليلاً لتأولهم بواحد يفهم الجميع، أو لسد واحد مسددهم، ويعامل ذلك ضمير الاثنين وضمير الإناث بعد أفعال التفضيل كثيراً، ودونه قليلاً. وذكر المصنف في شرحه، مثلاً لضمير الغائب :

وإني رأيت العامرين متاعهم يموت ويفنى فارضخي من وعائيا  
وذكر أبو حيان أنه لاحجة في هذا البيت لإمكان كون "متاعهم" بدلاً من العامرين  
وعبر عن نفاد المتعاب بموته وهو عنده أولى من قوله : "الزبدون خرج".

ومثل ابن مالك لسد الواحد مسد الجميع بقوله تعالى : «وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَئْمَاءِ  
لَعْبَرَةٌ نَسْقِيَكُمْ مَا فِي بَطْوَنَه» (النحل - الآية 66)، وتعقبه أثير الدين بقوله : "ليس  
مثل الآية في شيء، لتفريقه بين جمع التكسير للعاقل وجمعه لغيره".

ولم يعلق مؤلف النتائج على هذين التعقيبين، لكنه عندما أورد ابن مالك مثلاً لكثرة الإفراد بعد أفعال التفضيل بالحديث الشريف : «خَيْرُ النَّاسِ صَوَالِحٌ نَسَاءٌ قَرِيشٌ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ»، واعتراض عليه أبو حيان قائلاً : فأين كثرته ولم يورده إلا هذا الأثر؟. مع احتمال ألا يكون لفظ الرسول ﷺ لإجازتهم النقل بالمعنى بل من تحريف الأعاجم الرواة، علق عليه الدلائي بقوله : قد اتخذ الأثير هذا وزراً في الرد على المصنف، وقد نازعه الفضلاء من معاصريه، فمن بعدهم في ذلك بما استوفينا فيه القول في غير مقام<sup>(2)</sup>.

#### هـ) انتقاده للدماميني :

أما تخطيته للدماميني فإنها لا تخلو منها أي صفحة، ولكن سنقتصر منها على ما

يللي :

1. قول الدماميني إن ابن الخباز هو الذي خرج قول الشاعر :

غير مأسوف على زمان ينقضي بالهم والحزن

(1) نتائج التحصيل، ج 1 مجلد 1 ص 321.

(2) المصدر نفسه، ج 1 مجلد 2 ص 552-555.

على أن "غير" خبر مبتدأ محذف، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالميسور، والصواب أن صاحب هذا القول هو ابن الخثاب<sup>(1)</sup>.

2. وعند قول ابن مالك "إن اتحدت (الجملة) بالمبتدأ معنى، هي أو بعضها أو قام بعضها مقام مضار إلى العائد استغنت عن عائد" ذكر المصنف تفسير أبي حيان لقول بعضهم "هجيرى أبي بكر لا إله إلا الله". وقال إنه قوله في الهاجرة، وعقب على ذلك بقوله: "وقصر الدماميني عن مطالعته فعوا ذلك لابن قاسم"<sup>(2)</sup>.

3. وفي حذف العائد إذا كان مفعولاً به، والمبتدأ لفظة "كل" يقول : وفي شرح الدماميني، وكذا قول الآخر :

ثلاث كلهن قتلت عمداً

قلت : وهو مردود بما أورد عليك عن شمس الدين البعلبي من إنشاد البيت شاهداً على الجائز في الكلام على ضعف بنا، على أن المبتدأ "ثلاث" مؤكداً مع تنكيره بـ "كل" من حيث إفادته وساغ الابتداء به من حيث وصفيته معنى، وهو ما عليه البصرية، وجماعة كوفيون والمتاخرون من عامة أهل الأمصار كالمصنف وأثير الدين وغيرهما ، وهو الصحيح خلافاً ما عليه الفراء وموافقوه من الكوفية أنه "كل" كما هو مقتضي صنيع الدماميني<sup>(3)</sup>.

#### و) استطراداته الغربية :

قوله عند ذكر الشاهد :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك ورب قتل عار

قلت : "فقد أخبرني من أثق به أن شيخ مشائخناً قاضي الجماعة أبا القاسم كان له درس بفاس المحروسة في مغنى الليبيب، فلما بلغ منه هذا البيت اتفق أن عدا عليه بعض الطلبة فقتلته، وذلك سنة ثلاثة وثلاثين وألف. فكان هذا من أعجب الاتفاقيات<sup>(4)</sup>.

#### ز) نموذج من شوحة :

ونسوق الآن نموذجاً من شرحه، لتبيين منهجه في التعامل مع نص التسهيل، وهو قول ابن مالك في باب الضمائر : "وفعلت ونحوه أولى من فعلن ونحوه بأكثر جمعه" : أي

(1) نتائج التحصيلوج 1 مجلد 3 ص 962.

(2) المصدر نفسه، ص 1062.

(3) المصدر نفسه، ص 1070.

(4) المصدر نفسه، ص 1071.

جمع المؤنث غير العاقل، فالجذوع انكسرت أولى من انكسرن، وكذا إن كان الضمير غير مرفوع، كما هو المعنى بنحوه، فكسرتها أحسن من كسرتهن، وأقله : أي الجمع وهو ابتداء والعلاقات : عطف عليه مطلقاً : سواء كان جمعاً مسلماً أو مكسراً، بصيغة القلة أو غيرها، بالعكس : خبره، فالنون وشبيهها أولى من الناء وشبيهها، ففعلن ونحوه أولى من فعلت ونحوه، وكلاهما كثير فصيح، نحو : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ﴾ (البقرة - الآية 226) ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ (المتحنة - الآية 10) ﴿ إذا جاءك المؤمنات يبأينك ﴾ (المتحنة - الآية 12) وفي الحديث "فهن عوار عندكم".

ومن الوجه الآخر، الهنات خرجت وقوله :

ولست بسائل جارات بيتي      أغياب رجالك أم شهود  
أي لم يقل : رجالكن، وفي الجمع الكسر ﴿ إذا طلقتم النساء فطلقوهن  
لعدتهن ﴾ (الطلاق - الآية 1).

ومن الوجه الآخر فيه : ﴿ لهم فيها أزواج مظہرہ ﴾ (النساء - الآية 57) والنساء  
وأعجازها، وقوله :

واستعجلت نصب القدور فملت بيدي من قمع العشار الجلة	وإذا العذارى بالدخان تقنعت درت بأرزان العفة مغالق	وقد جمع بينهما من قال : ولو أن ما في بطنه بين نسوة
--	--	---

(١) حبلن ولو كانت قواعد عقرا

(١) نتائج التحصيل، ج ١ مجلد ٢ ص 557.

## 6. ابن الطيب الشرقي<sup>(1)</sup>:

محمد بن الطيب الشرقي الفاسي، هو العالم الذي امتد صيته من المغرب إلى جميع أنحاء الشرق، أخذ العلم عن شيخ فاس مثل إمام العلوم اللغوية محمد بن أحمد المنساوي<sup>(2)</sup>، و محمد بن أحمد الشاذلي الدلاني<sup>(3)</sup>، و ابن زكري و محمد بن إدريس العراقي<sup>(4)</sup>.

ثم انتقل إلى الشرق في السنة التي توفي فيها ابن زكري، و مر في رحلته بالأغواط في الجزائر، و بتونس و طرابلس والقاهرة وأقام في الحرمين، فانتشر علمه بين القادمين إلى الديار المقدسة، ولقي عشرات من علماء المشارقة وألف عشرات من الكتب، من أشهرها إضافة الراموس أو الخاشية على القاموس، وهي من المراجع التي اعتمدها المرتضى الزبيدي في تاجه، وتأليفه في النحو أكثرها شروح وحواش. إذ وضع حواشي على التسهيل، وعلى شرح المكودي للألفية، وعلى شرح المرادي لها، وعلى شرح ابن الناظم للämمية الأفعال، وعلى المغني، وعلى كتب خالد الأزهري حول الأجرمية والتصریح وقواعد الإعراب لابن هشام، وشرح كافيتي ابن الحاجب وابن مالك. كما شرح الأشباه والنظائر للسيوطني.

و يذكر الدكتور عبد العلي الودغيري أن المقصود هو كتاب الأشباه الكبير المعروفة في مسائله ولكن ينبغي التتحقق من ذلك، لإمكان أن يكون المقصود النوع الواحد والأربعين من كتاب المزهر، وله رسالة في هلم جرا، وأخرى في إقامة البرهان على أن الأفعال الناقصة تدل على الزمان، وتسمى نواقص لعدم اكتفائها بالمرفوع لأنها تدل على زمن دون حدث فالأصح دلالتها عليهما إلا "ليس".

ولقد رد في هذه الرسالة على قول ابن مالك الذي نقله السيوطني في الاقتراح في كتاب "الاستصحاب" وهو : من قال إن كان وأخواتها لا تدل على الحدث فهو مردود بأن الأصل في كل فعل الدلالة على المعنين، فلا يقبل إخراجهما عن الأصل إلا بدليل. وإذا كان جمهور النحاة خالف ابن مالك على هذا الرأي فإن ابن الطيب خالفه مؤيداً ما حكى عن سيبويه في أن النواقص تدل على الزمان والحدث معاً. وذكر أنه رد أدلة ابن مالك، وأقنع ابن زكري إلى الرجوع إلى رأيه.

(1) حول ترجمته ومصادرها راجع العرض الوافي الذي قدمه الدكتور عبد العلي الودغيري في كتابه التعريف بابن الطيب الشرقي، ص 6 - 25.

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد المنساوي بن محمد بن أبي بكر الدلاني الشهير بابن المنساوي (1072-1136هـ)، راجع ترجمته في كتب النبغ المغربي، ج 1 ص 286، والودغيري : التعريف بابن الطيب ص 72.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلاني (ت 1137هـ) ترجمته في الودغيري التعريف بابن الطيب ص 73.

(4) أبو عبد الله محمد بن إدريس العراقي (ت 142هـ)، ترجمته في الودغيري: التعريف ص 75، والزرکلی الإعلام، ج 6 ص 27.

ونلاحظ أن ابن عقيل في شرح التسهيل قال إن ما قاله ابن مالك هو ظاهر كلام سيبويه، وصرح به السيرافي في شرح الكتاب، وأن المخالف هنا هو ابن جني وابن برهان والجرجاني<sup>(1)</sup>؛ وناصر ابن الطيب رأى أبي حيان في الاستشهاد بالحديث<sup>(2)</sup>. ولعل أهم ما كتب في أصول النحو شرحة لاقتراح السيوطي الذي كان محل دراسة مستفيضة من قبل الأستاذ الدكتور أحمد الأدريسي.

يقول ابن الطيب في مقدمة كتابه : "ويعود فهاهنا غرر فوائد، ودرر فرائد، وشحت بها كتاب الاقتراح في أصول النحو وألحقت ما أغفله الجلال فيه مما نحا ذلك النحو، وضبطت ألفاظاً تركتها غفلاً، وصبرت مطالعته فرضاً بعد أن كانت نفلاً. ثم بدا إلى أن أحrr ذلك في مصنف على جهة الاستقلال، وأضمن إليه ما يفتح الله به من الفوائد العارية من الإخلال والإملال، خوفاً عليها من الإضاعة والإبادة، وحرضاً على تكثير الإفادة، فاستخرت الله تعالى، واستخرجت من أصدافه جواهره، وأدننت للقاطعين من رياضه أزاهره، وقصدت بالشرح غواصمه ولم أبلغ أقصاه، فتركت ظواهره لما غال من الأشغال ... ووسمته فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح".

يقول الدكتور عبد العلي الودغيري : إنه اتسم بالسطحية، وأنه نقل كثيراً من كتاب محمد بن علي بن محمد علان<sup>(3)</sup> المسمى داعي الفلاح إلى مخبآت الاقتراح، تارة يشير إليه وتارة يغفل العزو. ومع هذا فإنه تهجم على ابن علان ورماه بالجهل<sup>(4)</sup>.

وله "إسفار اللشام عن شواهد ابن هشام" يقول فيه تلميذه أحمد البكورى :	شواهدٌ تُرضي في الخطاب وَتُقبل له همة عنها العوالم تنزل ونحو وتفسير به يتفضل	وإن لاح إسفار اللشام أراكِم محمد ابن الطيب الطيب الذي له الفقه والتَّوحيد طوع يميئنَه
---	--	---

وإن كان هذا العالم الموسوعي عرف في الشرق أكثر ما عرف في المغرب فإن ثقافته وتنوع معارفه تعطينا مثالاً مُؤذجياً عن عرف بالمغرب بشيخوخ الجماعة وسنذكر منهم نطاً ثانياً هو أبو إسحاق التادلي.

(1) راجع : الاقتراح، ص 113 والمساعد ج 1 ص 232.

(2) راجع عبد العلي الودغيري، ص 140 وما بعدها.

(3) راجع عبد العلي الودغيري ص 153.

(4) محمد بن علي بن محمد علان (996-1057م) ترجمته في الأعلام للزرکلی ج 6 ص 239.

(5) عبد العلي الودغيري التعريف ص 154.

## 7. أحمد ابن الحاج :

أبو العباس أحمد بن الطالب محمد بن حمدون بن الحاج السلمي (ت 1316هـ) نحوى بارز، من بيت علم وفضل في فاس، فقد كان جده أبو الفيض حمدون (ت 1232هـ) عالماً جليلاً، وقد وضع أحمد حاشيته المسمة الفتح الودودي على المكودي، ويقول في بدايته :

"إن أنس شروح الخلاصة الذي انتفع به الناس شرح الإمام المكودي العاطر الأنفاس،  
بيد أنه لاختصار لفظه وعبارته يحتاج إلى حاشية تسفر اللثام عن مراده وإشارته".

وأثنى ابن الحاج على المكودي، وذكر أن دار أهله في مدرسة العطارين، دار علم وعدالة، وأنه كان بارعاً في العلوم كلها، وأنه آخر من أقرأ كتاب سيبويه بفاس، ومن أخذ عنه ابن مرزوق وأنه من شيوخ أشياخ ابن غازى. وذكر شرحه الكبير، الذي أحرقه أحد أعدائه. وقال إن سبب شرحه للخلاصة، أنه كان يقرأ الكتاب، وحضر مجلسه طالب من البرير قادماً من الشرق، ولما انتهى الشيخ من الدرس، أراه هذا الطالب ألفية ابن مالك مع شرح ابن الناظم والمرا迪، فاستحسنها، ووضع عليها شرحه<sup>(1)</sup>.

واحاشية ابن حمدون تضمنت مجموعة من التصويبات والنكت والأحاديжи كما تعتبر مصدرًا غنياً لأدبيات الخلاصة في المغرب، وتصويراً دقيقاً للمنهج التدريسي للنحو، وفيما يلي أمثلة من تعليقاته وأرائه.

### أ) نصاذج من حاشيته على المكودي واستطراداته :

يقول المكودي في شرح عنوان الناظم : "الكلام وما يتتألف منه" وفاعل "يتتألف"  
ضمير عائد على الكلام، ويعلق ابن حمدون قائلاً : إن فيه تنكيناً على الناظم فإن المواقف  
لما يأتي إن شاء الله في قوله :

وابرزنه مطلقاً حيث تلا ما ليس معناه له محصلة

وجوب الإبراز لأن الضمير في "يتتألف" جرى على غير من هو له، وقد يقال هنا  
ذهب على مذهب الكوفيين الذين لا يوجبون الإبراز إلا إذا خيف اللبس، وإلا فيجوز الإبراز  
كما هنا<sup>(2)</sup>.

ويقول في إعراب "أحمد ربى الله خير مالك" : إن "خير مالك" بدل بعد بدل. ويعلق  
ابن حمدون على ذلك قائلاً : قوله خير مالك بدل بعد بدل لا يصح لوجوه، منها أن الذي

(1) حاشية ابن الحاج، المقدمة.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 21.

يتكرر بدل الإضراب أو الغلط، ومنها أن "خير" مشتق، والبدل كما ذكر ابن هشام لا يكون إلا جاماً في الغالب، ومنها أن فيه سوءً أدب، لأنها إنما يؤتى بالبدل منه توطئة لبدل، فيكون اسم الجلالة إنما ذكر توطئة، والحق أنه حال لازمته أو مفعول بفعل محذف، أو يقرأ بالرفع فيكون خيراً لمبتدأ محذف، والجملة مستأنفة، ولا يصح أن يكون نعتاً، ولا عطف بيان لأنها نكرة والمنعوت معرفة<sup>(1)</sup>.

وقد ضمن ابن الحاج حاشيته جملة من التصويبات التي أضافها العلماء إلى الخلاصة، منها قول سيدي يحيى الستاوي :

وإن تخفف إن فاسمها حذف والخبر أجعل جملة لما وصف<sup>(2)</sup>

وعند قوله بغير طرف الظرف أو عمل أضاف التصويب التالي :

بغير ظرف أو كظرف أو عمل ومن حكى مع الشروط يحتمل

نعم، ولا تلغ، ولا تعلقا وكل قيد عن سليم أطلق<sup>(3)</sup>

واسترطرد تصويب ابن غازي لقول الناظم :

ويرفع الفاعل فعل أضمنا كمثل زيد في جواب من قرا

قال :

ويرفع الفاعل فعل حذفا كمثل زيد في جواب من وفي<sup>(4)</sup>

إلى جانب هذه التصويبات أورد المؤلف عدداً من الاستطرادات الأدبية كقول بعضهم في الجمع بين التنوين والإضافة :

على رغم الحسود بغير آفه حبيبي لا تفارقه الإضافة	مكثنا خمس عشرة في التئام وقد أصبحت تنونينا وأضحت وأجايه آخر :
--	---

وسد لدلكم سبل الإخافه كنون الجمع في حال الإضافة <sup>(5)</sup>	أزال الله عنكم كل آفه ولازلت نوابكم جميعاً
---	---

(1) حاشية ابن الحاج، ج 1 ص 196.

(2) المصدر نفسه، ج 1 ص 144.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 125.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 139.

(5) المصدر نفسه، ج 1 ص 105.

وكقول جده أبي الفيض حمدون بن الحاج :

فكتمنا حديث حبك منه  
ما له الصدر ليس يخبر عنه  
قد حللتكم بالصدر مني حباً  
وبلده أيضاً :

قال لي عاذلي ولم يدر شأن الحب أخبر عن حال حب رأيته  
قلت كيف الإخبار عنه ولا يقبل تعريفا إن عشقت دريته<sup>(1)</sup>

وتضمنت حاشية ابن الحاج عدداً كبيراً من الأحادي والألغاز النحوية، فقد أورد أن جده أبي الفيض سئل عن جمع لسان على السنّة، وعلى السنّ، وذلك في الآيات التالية :

زماننا يشرف والأمكناه  
يراد بالجمع على السنّه  
يقيم فيما قد نرى البينه  
يا أيها المولى الذي من به  
هل السن جمع لسان فما  
بين لنا الجماعين يا ذا الذي

فرد قائلً :

من كل فن قد حوى أحسته  
تذكيره بل بعضهم عينه  
تغير الجماع إذا أمكنه  
وجمع ما ذكرته السنّة<sup>(2)</sup>  
يا أيها المولى الهمام الذي  
يجوز تأنيث لسان كذا  
وبعض من جـوز ذين ادعى  
فجمع ما أنشته السنّ

وكقول ابن غازي في إعراب قول ابن مالك : نظاما على جل المهمات اشتتمل :  
المعربين مفرداً وجملاً  
بواحد منها رقيمت في العلا<sup>(3)</sup>  
جاجيتكم عشر جم النbla  
بألف بيت غير شطر نصب

وكقول القائل :

في النحو معظم ما في النحو قد قيلا  
أسرارها حين تخفي والأقاوila  
فعلاً ومن فاعل قد جاء مفعولاً  
يا قاري النحو من ألفية جمعت  
إن كنت تفهمها فهما تجوز به  
في أي بيت بها قد جاء فاعله  
يعني : ويرفع الفاعل فعل أضمراً.

(1) حاشية ابن الحاج، ج 2 ص 106.

(2) المصدر نفسه، ج 2 ص 130.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 14.

فرد عليه ابن غازي قائلاً :

فدتك نفسي فقد أحسنت تمثيلا  
من بعد أربعة في النظم تكميلا<sup>(1)</sup>  
ومن هذا الباب ما أورده في جمع مذكر مرفوع بالياء : "قال شيخ شيوخنا الحافظ  
سيدى الطيب، وبه يلغز فيقال ما جمع مذكر مرفوع بالياء ؟ وقد ألغز فيه شيخنا العلامة  
سيدى علي قصارة بقوله :

أدنى نبيه العصر ما جمع سالم  
أتنى لذكور وهو بالياء يرفع  
 فأجبته :

جوابك يا شيخ النهاة جميعهم  
بدأ في أثانا مسلمي فرفعه  
 (2) بياء لغير والحقيقة تتبع

#### ب) من طرائفه :

ومن طرائفه الأدبية هذه المقاومة التي عزاهما إلى الراعي وهي :  
قال المكودي وغيره : يجوز تقديم الحال على الظرف والجار والجرور، لتضمنهما  
معنى الفعل دون حروفه، فوصل الخبر لأفعال التفضيل، فنادى بالوليل والعويل، وقال : يا  
للعجب، ما السبب ؟ متى أنزلت إلى الحضيض السافل، ورفع الظرف والجرور لأعلى  
المنازل، مع أنني تضمنت حروف الفعل ومعناه، فوا أسفاه، وأسفاه، وماذاك إلا لقلة  
السعادة، ثم أطرق مليا وأنشد.

وكم من مليح لا يعز، وضده  
يقبل منه العين والخد والفم  
هو الجد خذه إن أردت مسلما  
ولا تطلب التعليل فالأمر مبهم  
ثم إنه اغرورقت عيناه، وتنفس تنفس الأواه وقال :

وحقك ما عدلت أثير مجد  
ولا عجزت خيولي عن سباق  
ولكنني بليت بسوء سعد  
كما تبلى المليحة بالطلاق  
فلما غص بالبكاء، مما بشه من الشكوى استرجع إلى شديد القوى وتأسى بقول  
الزمخشري :

(1) حاشية ابن الحاج، ج 1 ص 130.

(2) المصدر نفسه : ج 1 ص 212.

وأخرني دهري وقدم معشرا  
على أنهم لا يعلمون وأعلم  
ومذ أفلح الجھال أیقتن أنا  
أنا الميم والأيام أفلح أعلم  
ثم إنه لما أفاق من غمرته، وما خامره من سكرته، قال لا يرفع المزعزع البلوى ولا إلى  
لثيم من شکوى، ثم إنه توجه لقاضي القضاة، وإمام النھاة، فلما وقف بين يديه، سلم  
عليه، وقال أيد الله القاضي، وتقبل منه المستقبل والماضى.

يا حار لا أرمين منكم بداھية      لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك  
فقال القاضي أوجز في الكلام وبين المقصود والحرام، فلما شرح له القصة، قال له  
ازلت عن قلبك كل غصة، وحق من رفع الخضراء وبسط الغبراء لأجبرن قلبك المكسور،  
ولأسكتنك أعلى القصور، ولأوسعتك بين حالين حتى تكون بينهما كھلال بين نجمين، ومن  
كلام العرب "هذا بسراً أطيب منه رطباً" (١).

## 8. أبو اسحق التادلي :

لقد رأينا في القرن التاسع التزعة الموسوعية عند علماء هذا العهد، وكان جلال  
الدين السيوطي نموذجاً لهذه الفتنة من المشاركون الذين كادوا أن يبلغوا، - أو بلغوا - رتبة  
الاختصاص في مجموعة من العلوم الإسلامية، بما فيها اللغة والنحو، ثم مارسو التدريس  
والكتابة في أكثرها.

واستمر هذا الاتجاه في القرن العاشر حيث نرى عالماً مثل ابن غازي المكناسي يتدرب  
نشاطه العلمي إلى علوم القرآن، والحديث، والفقھ ويقوم مع ذلك بشرح ألفية ابن مالك  
ضمن مؤلفاته المعروفة. ثم رأينا الحركة الثقافية التي انطلقت مع تأسيس الروايا والتي  
أعادت نوعاً من التركيز والتخصص في صنوف علمائها، أمثال محمد المرابط الدلاني،  
الذى يعتبر امتداداً لجمهرة نھاة مدرسة ابن مالك في مصر. غير أنها نلاحظ خلال القرن  
الثانى عشر عودة الاتجاه الموسوعي، عند ابن الشرقي، وابن زكري. وعند نھط من العلماء  
المعروفين بشيخ الجماعة.

ومن بين الذين يمثلون هذا النهج أصدق تمثيل، أبو اسحق إبراهيم التادلي الرياطي  
(ت 1310ھ)، ذلك أن شيخ الجماعة تناول في دراسته وتدريسه وكتابته جميع العلوم  
المتداولة في عهده، فشملت مصنفاته علوم القرآن والحديث. فشرح درر ابن برى في  
التجوید، ووضع حواشى على مورد الظمان للخراز، وعلى شرح الجعبري للشاطبية، كما له

(١) حاشية ابن الحاج، ج ١ ص 178.

حاشية على تفسير الجلالين و"الإتقان" للسيوطى. وتناولت حواشيه موطاً الإمام مالك، وسن أبي داود وأفيفي العراقي في مصطلح الحديث والسيرة النبوية، وـ"مواه" القسطلاني، وعلى سيرة نور الدين الخلبي، وله في الفقه وأصوله مجموعة من الشرح والحواشى على أكثر المتون التي كان يقوم بتدريسها إلا أن أكثرها لم يقدر له إقامته. وما يلفت الانتباه أن شيخ الجماعة التادلى ألف في فنون أخرى كثيرة كالمنطق والبيان، والتاريخ، والجغرافيا، والهندسة والحساب والتوقيت والفلك، والتعديل، والطب، والتصوف، والجدال، والعلوم البحرية، والموسيقى<sup>(1)</sup>.

ويقول عنه العلامة المرحوم عبد الله الجواري، "علمنا أن شيخ الجماعة العلامة أبا إسحق التادلي بلغ بانكبابه على التقىيد والتسجيل درجة عالية، وطاقة علمية كبيرة جعلته ينتج أكثر ما يمكن من مصنفات ومؤلفات وحواشى وتعاليق قيمة في غير ما علم وفن، ويدهبان بذلكنا إلى عصر دائرة المعارف الإسلامية العلامة جلال الدين السيوطي، ولا بدع أن يمتد هذا الجبل الثقافي المتن إلى عصر المترجم التادلي الذي يعد هو الآخر مجدد القرن"<sup>(2)</sup>.

أما كتب الشيخ التادلي في النحو فقد تميزت بالسلك التربوى الذى ت عليه مهنته التدريسية، فله على المقدمة الأجرامية عدة شروح متفاوتة في المستويات، منها "الهداية لأهل البداية" وهي كاسمهما مخصصة للمتدلين، وكان قد ألف قبله شرحاً عليها سماه "الشافي" مناسب للمتوسطين من الطلاب، وهو مختصر من شرحه "الكافى" الذى ألفه للمتقدمين في الدراسة التحوية. وهكذا نراه أعد لراحل التعليم الثلاث التقليدية كتاباً مدرسية متدرجة مع مراتب الطلبة.

وفي مستوى ما يمكن أن نسميه بالتعليم العالى والبحث العلمي، قام الشيخ التادلي بجموعة من الحواشى والشروح تتصور أنها كانت عبارة عن المحاضرات التي يلقاها على الطلبة المتخصصين، منها حواش على تصريح الأزهرى، وعلى شرح ابن غازى للخلاصة، وشرح الدسوقي على مفنى الليبب، وعلى شرح ابن زكرى للفريدة وعلى شرح أبي زيد المكروى. كما صنف شروحًا مستقلة على الخلاصة والكافية والتسهيل، وعلى كافية ابن الحاجب، وعلى جمل المجرadi<sup>(3)</sup>.

(1) حول ترجمة أبي اسحق التادلي، راجع الدراسة التي خصه بها العلامة عبد الله الجواري تحت عنوان شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الراطبي.

(2) الجواري أبو اسحق التادلي، ص 59 - 89.

(3) المصدر نفسه، ص 59.

وفي عهده، أحييت سنة الاحتفاء، بختم دراسة الكتب العلمية، وصارت مناسبة للتنويه بالعالم شرعاً ونثراً، ونشير من ذلك على سبيل المثال إلى ما قاله الأديب محمد بن العباس قباج في ختم العلامة الأستاذ المرحوم عبد الله الجراري للأجرامية في قصيدة أولها :

هنئاً للصديق بهذا الختام  
وبالفوز المبين وبالتسامي  
فقد برهنت عن علم وفهم  
وأظهرت الحقائق للأئم

## ٩. السلطان المولى عبد الحفيظ العلوي :

ليس من المستغرب أن يكون الملك عالماً متبحراً، أو شاعراً مبدعاً، لكن من الغريب والنادر أن نراه من علية ذوي الاختصاص في أكثر من علم وفن، ذلك أن في تدبير الحكم شيئاً شاغلاً عن تكريس الأوقات للعلم، الذي لا يعطي جله إلا لمن أعطاوه كله، وفي ملوك المغرب نلاحظ عدة استثناءات تكاد تكون هي القاعدة نذكر منها تخصص السلطان مولاي محمد بن عبد الله في الحديث والسلطان مولاي عبد الحفيظ في النحو.

لقد وصفه الناشر الذي طبع كتابه : "القول المختار على الألفية والاحمرار" قائلاً : أنه ذو الفصاحة المتأهلة، والبلاغة السجانية، والأساليب القرشية، والمواد اللغوية، الحافظ الحجة بالإبطاق، الحائز قصب السبق في كل الفنون على الإطلاق، محبي رسوم الهمم السلطانية الجامع بين وراثة الخلافة، والعلوم النبوية، الإمام الأوحد، والعلم المفرد، عالم الأمراء، وأمير العلماء، أبو المعالي مولانا عبد الحفيظ.

### أ) نشاطه العلمي :

إن من ألف عبارات المقرظين والمترجمين، ونزعتهم في الإطراء، يحتاج إلى إمعان النظر في إنتاج المعنى بالتقريظ، لاسيما إن كان من ذوي الرتب العالية، غير أنها هنا أمام استثناء ثان، وهو أن من قرأ ما كتبه السلطان المولى عبد الحفيظ في النحو لا يسعه إلا أن يصنفه في مصاف كبار العلماء والنحويين، كما تدل عليه مؤلفاته في مختلف العلوم الإسلامية ومنها :

1. العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل<sup>(1)</sup> (طبع منه جزء يتعلق بالمقدمة - 1326 فاس).
2. نظم جمع الجرامع (المطبعة المولوية - فاس 1322) بدأه بقوله : يقول عبد لفظه قد اتصل باسم الحفيظ راجياً فضلاً وصل طبع بتصحيح محمد الأمين ابن الوقف الشنقيطي.
3. كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع (ط 1322 المولوية).
4. نظم الشمائل (طبع بالمطبعة المولوية سنة 1322).
5. نظم مصطلح الحديث (طبع بالمطبعة المولوية سنة 1322) واستهله بقوله : سميته بتحفة الأنوار نظما على شمائل المختار<sup>(2)</sup>
6. نظم في البلاغة سماه "نيل النجاح والصلاح، في علم ما به القرآن لاح" (طبع بالمطبعة المولوية سنة 1322)
7. نظم كتاب ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام (ط سنة 1322)، بدأه بقوله : عبد الحفيظ قائل نجل الحسن، ما ذكره يطلب في كل زمان.

### **ب) تصانيفه التحوية :**

أما مؤلفاته التحوية فمنها شرح ألفية ابن مالك وأحمرار ابن بونة، شرحاً نشر منه جزآن، وصلا إلى حروف البر. ونظم على مثال ملحمة الإعراب، ونظم التسهيل إلى غاية إعراب الفعل، وأهمها نظمه للمغني الموسوم بالسبك العجيب.

(1) وقد قرط هذا النظم العلامة محمد يحيى بن أبيه اليعربي الشنقيطي لما اطلع عليه وخاطب مؤلفه بقوله من قصيدة طربلة :

عَلَّاقَاتٍ عَنْ تِعْدَادِهِ الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ  
إِلَى سَيِّدِي عَبْدِ الْحَفِيظِ الَّذِي لَهُ  
فَلَمْ يَعْفُ عَنْهُ بَعْدَ بَابِ وَلَا فَصْلِ  
تَحْبِيَةٌ وَدُنْهُ مَحْبُّ مَقْصُرٍ  
يُضْيِقُ بِهِ عَمَّا يَنْسَبُكَ الْحَمْلُ

راجع رحلة محمد يحيى بن أبيه، ص 56.

(2) راجع مقدمة النظم.

(3) نفس المصدر.

ولقد وسع اطلاعه، المسائل الأصولية التي لها علاقة بالباحث النحوية، ففسر الاستثناء المتصل بما حكم فيه على الجنس بالنفيض، وبين أن المقطع، ما حكم فيه على غير الجنس مثل قام القوم إلا فرساً، أو بغير النفيض مثل قوله تعالى : ﴿لَا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾. واستطرد على ذلك قول سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقطي في مراقي السعود :

والحكم للنفيض للحكم حصل  
لما عليه الحكم قبل، متصل  
وغيره منقطع ورجحا جوازه وهو مجازاً وضحا<sup>(1)</sup>

ولقد توثقت صلته العلمية بالشيخوخ الشناقطة، واستحسن طرقهم في البحث، وصنيعهم في نظم المسائل النحوية، فكان عارفاً بأنسابهم، ومساربهم، مميزاً لكل واحد منهم باسمه ووسمه : من أمثلة ذلك أنه أورده لسيدي عبد الله بن الحاج حمى الله أبياناً من نظمه في النحو يقول فيها :

الحال والنعت لدى الموارد مع خبر تسقى باء واحد  
كل يجيء جملة ومفرداً وربما أفرد أو تعدد<sup>(2)</sup>

وبين المولى عبد الحفيظ أن سيدى عبد الله هذا ليس ابن الحاج إبراهيم صاحب مراقي السعود. ويبدو أن المولى عبد الحفيظ قد تركت معارفه في المدرسة الشنقطية، التي اعتمد هنجهما في الشرح والنظم. وفي الأصول المرجعية، وهي مدرسة ابن مالك والمختار الجياني الشنقطي والمختار بن بونا الجكنى، والشيخ ابن حبت القلاوي، وسيدي محمد الأغطف الحروضي فلقد قال المولى عبد الحفيظ : إن ابن بون العالى بكل الفنون، قد أعطى مفاتع العلوم واطلع على منطوقها والمفهوم<sup>(3)</sup>. أما العلاقة بينه وبين ابن حبت فتتجلى في التقارب والتوارد بين شرحيهما مما جعل الناشر يأتي "شرح القول المختار" على هامش مختصر مواهب ابن حبت. ثم إنهما اشتراكاً في المراجع الأساسية، من شراح تسهيل ابن مالك المعروفة.

اعتاد المولى عبد الحفيظ أن يردد ذكر اثنين من شيوخه، ويورد إملاءاتهما وانظامهما، وهما مولاي علي الروداني الإدرسي<sup>(4)</sup>، وسيدي محمد الأغطف<sup>(5)</sup> فنراه

(1) مراقي السعود في باب التخصيص.

(2) راجع القول المختار بباب النعت.

(3) راجع القول المختار، المقدمة.

(4) راجع الإعلام، ج 4 ص الولاطي.

(5) سيدي محمد الأغطف الروسي ابن أحمد مولود الشنقطي، وهو شارح السبك العجيب في نظم معنى اللبيب، وقد طبع بولاق عام 1326هـ.

يقول : ومن إملاءات شيخه سيد محمد الأغطف قوله في علامات الإلغاء . تتميماً لقول ابن مالك في الموصول :

أو من إذا لم تلغ في الكلام	"ومثل ماذا بعد ما استفهام
أو الجواب بعد "ماذا" فاقبل	علامة الإلغاء نصب البدل
يرجح الإلغاء عنهم فخذ	بعكس رفع فيهما قبل الذي
ومنها قوله في إعراب الكاف المتصلة بأرى التي معنى أخبر ، فقال :	
بعد أربت أخبر أتى استفهام	ظاهراً أو ينوي ولا ملام
(١) مفعول آخر والأول إمام	مستشار عند الرضي وابن هشام

وأهم ما كتبه المولى عبد الحفيظ في النحو كتابان وهما شرح للألفية واحمرار ابن بونا ، ونظمه لغني ابن هشام الذي سماه السبك العجيب في نظم معنى الليبب .

### القول المختار في شرح الأحمرار :

وفي هذا الشرح لم يفتا المولى عبد الحفيظ يؤكّد انتسابه لمدرسة ابن مالك ، وبشيد باختياراته وأرائه ، ويرد على المعارضين عليه ، ومن أمثلة ذلك انتقاده للإمام السيوطي في قوله في الفريدة إنها :

#### فائقة ألفية ابن مالك

فرد عليه قائلاً : إنه في آخرها اعترف أنه أخذه من التسهيل والخلاصة ، وأنه لا ينبغي لأحد أن يعتريض على أحد بكلامه . كما التمس له العذر في قوله هو :

#### فائقة ألفية ابن معط

لأنه لم يأخذها من أرجوزة ابن معط ، على عكس ما وقع للسيوطى<sup>(٢)</sup> .

غير أن إشادته بابن مالك لم تخل دون إبداء بعض الملاحظات على أقواله ، وتصويب بعضها . من ذلك ما نبه عليه في شأن الدعاء ، وفضل تعيممه ، فصوب قول ابن مالك :

والله يقضي بهبات وافره

بقوله :

والله يقضي بهبات جمه

(١) القول المختار.

(٢) نظم معنى الليبب ، طبعة فاس 1330هـ ، صفحة العنوان .

وهو قريب من قول الأشموني :

والله يقضي بالرضى والرحمة  
لي ولهم ولجميع الأمة<sup>(1)</sup>  
كما اقترح تصويباً لقول ابن مالك :  
والرفع في غير الذي مررجه  
فما أبىع افعل ودع ما لم يببع  
قوله :

والرفع في غير الذي من رجح وليعط مرفوعاً كما قد اتضح<sup>(2)</sup>  
ومن ملاحظاته على ابن مالك تعليقه على قوله :

واسم وفعل ثم حرف الكلم

فقال : إن هذا التقسيم مردود لأنه ليس من تقسيم الكل إلى جزئياته ولا من تقسيم الكل إلى أجزائه. فال الأول يصح الإخبار عنه بالقسم. وهنا لا يمكن أن تقول "الاسم كلام" لأن الاسم نوع منه، والثاني شرطه أن لا يسمى كلام حتى تجتمع الثلاثة : ثم استحسن تخرير ابن هشام في التوضيح، وهو تقدير العبارة على التحو التالي : "الكلم واحد الكلمة"، وهي أي الكلمة اسم و فعل وحرف.

ثم إنه مع تقديره لمكانة ابن بونا في العلم، لاحظ عليه بعض الخلل في بعض المسائل، منها قوله : كان على ابن بونة قبل قوله :

لا تعبأ بأول قد جعلا وصفا بل الثاني اجعلنه أولا

أن يزيد بيته مفسراً لقاعدة استثناء العدد مما يليه، واقتصر هو البيت التالي :

واستثن كل واحد مما يلبي إذا تعددت وجواباً فاعقل<sup>(3)</sup>

ومن تنببياته على أغلاط النحويين ما عزاه للمحشى أحمد بن الحاج، وهو إعرابه لقول الشاعر :

فموشكة أرضنا أن تعود خلاف الأنبيس وحوشاً ببابا

إذ قال ابن الحاج : إن "موشكة" اسم فاعل، وأرضنا" اسمها. فقال إنه غلط منه أو من الناقل، لأنه ينزع ابن الحاج عن الجهل بها. أما هو فقد أعراب "موشكة" خبراً مقدماً، وفيه ضمير هو اسمها. و"أرضنا" مبتدأ مؤخر<sup>(4)</sup>.

(1) معنى الليبيب، ص 1.

(2) القول المختار المقدمة.

(3) القول المختار المقدمة باب الاشتغال.

(4) القول المختار وحاشية ابن الحاج (باب كان وأخواتها).

كما رد على الجزولي في منعه دخول لام التعليل على المصدر المجرد من الألف واللام، مستدلاً بقول الشاعر :

من أمكم لرغبة فيكم ظفر ومن تكونوا ناصريه ينتصر<sup>(1)</sup>

ومن أطرف اعتراضاته اعتراضه على جمهور شراح الألفية في تقرير معنى بيت ابن مالك، المشهور وهو :

نحو أظن ويظناني أخا زيداً وعمرًا آخرين في الرخا

فقال : أظن ويظناني تنازعا في زيد وعمر وأخرين. "فأظن" يطلبهما مفعولين وأعمل فيهما. و"يظناني" طلب زيداً وعمرًا فاعلاً، وأخرين مفعوله الثاني. فأضمر الألف في يظناني وبقي يطلب المفعول الثاني. فإن أضمر موافقاً لـتا، المتلكل لم يوافق آخرين. وعلق المولى عبد الحفيظ قائلاً : هذا ما أطبق عليه شراح الألفية وهو غلط فاحش. لأن "يظناني لا تطلب أبداً" آخرين. إذ لا يمكن أن يقال "يظناني آخرين"<sup>(2)</sup>.

وما يذكر في هذا الشرح، إفادته من القضايا البينية، وقراءته لكتاب السعد التفتزاني، وحاشية الدسوقي على المغني فقال : لفقت أبياتاً في أقسام "ال" عند قراءتي للسعد وهي :

مبسوطة فخذ بدون مين  
خارجي ولثلاث تنمي  
فاسمع لما ذكره بهم  
 فهو، والا فكنا مليحي  
في الوحي إن فهمت ما في مستطر  
حضر أم لا فبعلمي حسب  
منقسم بشرط ما قد يحوي  
صاحبه أو لا بذهني يرى  
وهي على أربعة فحررا  
تسمى أيضاً فانف رفع اللبس  
وهي على قسمين في افتراق

إعلم بأن الـأ على قسمين  
فأول لام عهد تسمى  
عهدٌ صريح، أو كنائي، علمي،  
فإن يكن مدخلوها صريحي  
واجتمعا في قوله ليس الذكر  
 وإن يكن علِّيَّاً عند من خطب  
وذا الأخير عند أهل النحو  
عهدٌ حضور أن يكون حاضرا  
ثانية لام الحقيقة ترى  
لام الحقيقة ولا م الجنس  
ولام عهد الذهن واستغراق

(1) الت قول المختار الاستثناء.

(2) الت قول المختار (كان وإخترتها).

من حيث هي فهي لها حقيقه  
كالذيب بعد الأكل ذهنياً يرد  
إلى حقيقى وعرفي علم  
وضعاً فلاؤل جاء بالثبات  
أعني به الإنسان يا ذا الفخر  
فلام الاستغراق عرفاً ألفاً  
أهل أمانة وخبر وورع  
يختلف البيان فافهم وارو  
فادع لشيخ عارف صدوق<sup>(١)</sup>

فإن تشر بها إلى الحقيقة  
 وإن لها أشير في ضمن فرد  
وأما الاستغراق فهو ينقسم  
فإن يك اللفظ يعم المفردات  
وذاك مثل آية في العصر  
إإن يعمها ولكن عرفاً  
كقولنا إن الأمير قد جمع  
فبان أن عهد أهل النحو  
أفاد ذا العلامة الدسوقي

### السبك العجيب :

يقول العلامة محمد العاقب، في تقريره هذا النظم :  
نظام الدر بالسبك العجيب  
باب النحو يحسن بالأربib  
له ملك الجماجم والقلوب  
أديب من أديب من أديب  
طريق الحق سافية الجبوب  
على وجه البسيطة من عريب

كفى الطلاب عن مغنى الليبيب  
فما جهل الأربib لما حوى من  
تبدي من نتائج فكر ملك  
إمام من إمام، من إمام  
كسا معنى العدالة مذ تولي  
فما عبد الحفيظ له مدان

وقد بدأ نظمه قائلاً :

سُّمِّا له والعلوي المنتمى  
من اللغات ما انتمت إلى العرب  
على رسول مجتبى ومقتدى  
عوناً يكون رفعه وشاناً  
معانى الحروف للتبيين  
مع قواعد لها يصبو الأربib  
واسطتي في مطلبى محمد  
تفيد كل منه وسائل

عبد الحفيظ قال وهو ارتسم  
الحمد لله الذي قد انتخب  
ثم الصلاة والسلام أبداً  
وبعد إني أطلب الرحمنا  
على الذي قد رمت من تدوين  
أعني الذي ثبت في مغنى الليبيب  
عوناً يكون فضله لا يجد  
وريما زدت هنا مسائل

(١) القول المختار (المقعر لأجله).

مما انطوت عليه كتب الأقدمين  
بدر العلا التهامي المكناسي<sup>(1)</sup>

مما أفادنيه درس التقين  
كشارحه، والفقيه الراسي

وإن إقدامه على نظم المغني جعل آفاقه تتسع في الفكر النحوى، ويرى في نفسه نزعة إلى الوقوف عند وظائف حروف المعانى، وأدوات الإعراب. وكثيراً ما استطرد في شرحه نماذج من هذا النظم، تناول فيها اختصاص الحروف، وعمل "إن" وأحكام "أى". وقواعد ابن هشام نوره منها مقتطفات مع نماذج من شرح محمد الأغظف الشنقيطي وحاشية الروداني الادريسي.

فال قال في ضوابط اخصاص الحروف :

حكم الذي ومعه نزعنا  
مدخله قبل به ما عهدا  
فالنبي نال أخذة من فعل  
إذ خلوص الفعل فيه يلفى<sup>(2)</sup>

وهاك ضابطاً تجده جاماًعاً  
فإإن يكن أفاد معنى زائداً  
أعمل كالنبي بلم للفعل  
إلا فأهلمه كسين سوفاً

رفعاً له اعتمد وهذا مشتهر  
رفعهما من بعده أيضاً سما<sup>(3)</sup>

وفي إعمال "إن" يقول :

وانصب بأن المبدأ اسماء والخبر  
وريما نصب جرأين كما

نظمتها تذكرة محققة  
كحذفه وذكره نلت التقى  
فادع لمن أفادها ونصحا

ومن أنظمه في أحكام "أى" قوله :  
لأى أحكام أنت مفترقه  
إن يحذفا أو يذكرا اعرب مطلقاً  
وعكس ذي فيها البناء قد وضعا

ج) نماذج من نظمه لقواعد المغني :

ونوره الأمثلة التالية : من نظم المؤلف لها دون استقصائها، لتوضيح منهج الناظم  
والشارح والمحsti :

(1) القول المختار (باب المعرفة والنكرة)، قارن هذه المنظومة بما يأتي من تحقيق مختص بابه الشنقيطي في "الـ"  
ونظمه لمحمد الحسن بن أحمد الخديم.

(2) القول المختار.

(3) فتح الصدح 2 ص 168 وما بعدها.

## القاعدة الأولى :

يقول الناظم :

وريما حكم للشيء بما أشبه لفظاً ثم معنى أو هما

ويقول الشارح : إن من أمثلة هذه القاعدة، زيادة الباء في خبر "أن" المفتوحة في قوله تعالى : «أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقدر» (الأحقاف - الآية 32). ومنها حذف خبر المبتدأ بعد إن ولكن وأن اكتفاء بخبرها عن خبر المبتدأ بعده نحو : "إن زيداً قائم وعمر" وهذا هو معنى قول ابن مالك : وجائز رفعك معطوفاً على منصوب إن بعد أن تستكملأ

وفي آخر نظم هذه القاعدة يقول الناظم :

كذاك ما أعطي حكم الشيء أي لشبيه لفظاً ومعنى يا أخي

ويقول الشارح إن من ذلك رفع أفعل التفضيل قياساً له على أ فعل التعجب لأن لفظهما ومعناهما واحد، ومنه تصغيرهم أ فعل التعجب في قول الشاعر :

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا من هؤلياكن الضال والسمرا

ويعلق المحشى الروداني على الشارح في هذا البيت فيقول : قوله شدن : شُدُونْ الظبي قوته، واستغناوه عن أمه، والضال السدر البري، والسمرا كعصف من شجر الطلح.

والبيت من قصيدة للعرجي على قول العيني ومنها :

حوراء لو نظرت يوماً إلى حجر لأثرت سقماً في ذلك الحجر

إلى أن يقول :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاً منكن أم ليلى من البشر

وبعده "ياماً أميلح" البيت.

## القاعدة الثانية :

يقول الناظم :

وريما أعطي شيء حكم ماجاوره كجحر ضب فاعلما

ويعضم أنكر ذا وجعل ما بعد ضب صفة له حلا

ويقول الشارح : يعني أن القاعدة الثانية هي إعطاء شيء حكم ماجاوره قوله : هذا جحر ضب خرب، وخراب نعت لجحر

مثل قول امرء القيس :

كأن أبانا في أفنان ودقه      كبير أناس في بجاد مزمل  
ومنه في العطف نحو "وحور عين" بالجر بمحاورة المجرور، وهو معطوف على "ولدان"  
فاعل يطرف (إشارة إلى الآيتين 19 و25 من سورة الواقعة) : ثم ذكر أن السيرافي والبرد  
تأولاً "خرب" نعتاً لضبٍ.

القاعدة الثالثة :

لغيره فاحكم به فيما جرى      واللفظ إن يشرب لمعنى ظهرا  
لعلة بينة أبينا      وسميئته إن يعني تضمينا  
نحوي أو بياني نلت الأرب      وهو على قسمين في نهج العرب  
حالا من الفعل الذي قد سلك      فأول جعلك ما قدر تركا

ومثل الشارح لهذه القاعدة بعدة آيات منها، ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾  
(البقرة - الآية 233)، بتعدية تعزموا لأنها تضمنت معنى تنوّع. ﴿ ولا تأكلوا أموالهم  
إلى أموالكم ﴾ (النساء - الآية 2)، أي لا تضموها إلى أموالكم، ومن التضمين في  
الشعر قول أبي كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مزءودة      كرها وعقد نطاقها لم يحلل

وقد أتى الروداني بأبيات أبي كبير الهذلي التي أولها :

جلد من الفتیان غير مثقل      ولقد سرت على الظلم بعشم  
حبك النطاق فشب غير مهبل      من حملن به وهن عوائد

حملت به البيت :

سهدأ إذا مانام ليل الهوجل      فأنت به حوش الفؤاد مبطنا

القاعدة الرابعة :

للاختلاط أو تناسب بـدا      وغلبوا شيئاً مهما وردا  
والقمرین العمرین، الخافقین      كالشرقين المغررين الأبوين

وما مثل الشارح به في القمرین، قول المتني :

فأرتنی القمرین في وقت معا      واستقبلت قمر السماء بوجهها

قال الروداني. وقبل هذا البيت :

في ليلة فارت ليالي أربعاء      نثرت ثلاث ذوابـب من شعرها

ثم قال : وكأنه معرض بقول الشارح، إنهم الشمس والقمر، إن القمر يسطع في صفاء وجهها، كما قال الشاعر :

ألفيت وجهك في سناء غريقا  
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه

القاعدة الخامسة :

وعبروا بالفعل عن أمر وقوعه الإشراف في المشهور  
إرادة له وقدرة نعيم بثالث من بعد شرط ملتزم

يقول الشارح : يعني أن العرب يعبرون بالفعل عن أمور أحدها وقوعه وهو الأصل ولا يحتاج إلى تفسيل، والثاني مشارفته نحو ﴿وإذا طلقت النساء فبلغن أجلهن﴾ (البقرة - الآية 229) أي فشارفن بلوغه، لأن الإمساك لا يكون إلا قبل انتهاء، أجل العدة ومثل له في الشعر بقوله :

إلى ملك كاد الجبال لفقده تزول وزال الراسيات من الصخر

الثالث : إرادته نحو قوله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله﴾ (النحل - الآية 98) أي إذا أردت قراءة القرآن. والرابع القدرة عليه نحو قوله تعالى : ﴿ وعدنا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء - الآية 104) أي قادرین ومثل المحشی لوقوع الفعل : بنحو قام زید، وضرب زید عمرا.

القاعدة السادسة :

قال الناظم :

وعبروا عما مضى والآتي  
لأجل ذا رد على الكسائي  
إذ أعمل اسم فاعل للماضي  
أجيب عنه بالحكاية وذى

ومثل الشارح الحاضر في المستقبل بقوله تعالى : ﴿ وإن ربك ليحکم بينهم يوم القيمة﴾ (النحل - الآية 124). لأن لام الابتداء تصير المضارع للحال، ومن قوله : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس - الآية 81)، ومنه عند الجمهور. ﴿ وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ (الكهف - الآية 18). أي يبسط وفي هذا رد على الكسائي الذي قال إن اسم الفاعل الذي يعني الماضي يعمل اعتباراً بمضي القصة، ويقول الجمهور إنه على تقدير حكاية الحال.

ومن حكاية المستقبل قوله عز وجل : ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ (البقرة - الآية 72).

ومن حكاية الماضي في الحال قول الشاعر :

يغشون حتى ما تهر كلا بهم      لا يسألون عن السواد المقبل  
برفع تَهِرُ على الحال.

وأورد المحتسي أبيات حسان التي قبل هذا البيت، وقال إنها قيلت قبل تحريم

الخمر :

قتل قلت فهاتها لم تقتل      إن التي ناولتني فرددتها  
بزجاجة أرخاهما للمفصل      كلتاها حلب العصير فعاظني

#### القاعدة السابعة :

وجعلوا التقدير فيما قدرًا      وربما لفظ يجي مقدرا  
وآية الظهور فيما حررا      ومنه آية برد الافترا

فقال الشارح : إنهم يقدرون لفظاً من لفظ آخر ويقدرون لفظاً آخر من المقدر، نحو

﴿ وما كان هذا القرآن أن يفتري ﴾ (يونس - الآية 37) فـ "أن" والفعل في تأويل مصدر أي افتراء، والمصدر مؤول باسم المفعول، وكذلك. ثم يعودون لما قالوا، فـ "ما" والفعل في تأويل مصدر أي لـ "قولهم"، والمصدر مؤول باسم المفعول للمقول فيهن.

#### القاعدة الثامنة :

يغتferوا في أول كما انحتم      واغتferوا لدی أواخر ولم  
ورب صالح وما عليها      ككل شاة قل وسخلتیها  
فهكذا روی عن ذی معرفه      عطف يا أخي من ذی معرفه

ويقول الشارح : يغتferون في الأواخر ما لا يغتferون في الأوائل كقولهم كل شاة وسخلتها بدرهم، فسخلتها معرفة معطوف على شاة والعامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف، وـ "كل" لا تضاف لمعرف مفرد فيجب أن يغتfer في التابع ما لا يغتfer في المتبع، وهو

"وأي فتى هيجة أنت وجارها"

فيجارها معطوف على فتى المجرور بأي وهي لا تضاف إلى معرفة مفردة فيجب أن تقدم، وكذلك رب صالح وأخيه، نحو ﴿ إن نشأنزل عليهم من السماء آية فظللت أعناقهم لها خاضعين ﴾ (الشعراء - الآية 2). "فظللت" معطوف على جواب الشرط وهي لا تصلح أن تكون جوابا لأن فعل الشرط إذا كان مضارعا لا يكون الجواب ماضيا إلا في الشعر.

ويعلق المحشى قائلاً : (قوله إلا في الشعر) ذهب الفراء إلى أن ذلك يكون في النثر، واختاره ابن مالك مستدلاً بقوله صلى الله عليه وسلم : «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له».

#### القاعدة التاسعة :

توسعوا في الظرف وال مجرور  
لأجل ذا قد قيل في المسطور  
فصل لفعل ناقص قد ذكرها  
عن اسمه خبره قد سطرا

ويقول الشارح : يعني أن العرب يتسعون في الظرف وال مجرور ما لا يتسعون في غيرهما ، ولذلك فصلوا بهما الفعل الناقص من معموله نحو كان في الدار عندك زيد غالساً ، وذكر الناظم والشارح أمثلة من هذا التوسيع نحو "ما أحسن في الهيجاء لقاء زيد" وكقول الشاعر :

ولا تلحنني فيها فإن بحبها      أخاك مصاب القلب جم بلا بلده  
وقول الآخر :

أبعد بعدي تقول الدار جامعة      شملي بهم أم تقول بعد محظوما  
ففصل بين همزة الاستفهام و "تقول" بالظرف.

وعلق المحشى منبهأً على مذهب ابن السراج وأبي علي في جواز إيلاء كان وأخواتها معنون خبرها نحو كان طعامك يأكل زيد ، وجوزه الكوفيون مطلقاً مستدلين بقوله :  
قنافذ هداجون حول بيوتهم      بما كان إياهم عطية عودا

وفي معرض وجوب باب الترتيب في باب "إن" إذا لم يكن الخبر ظرفاً أو جاراً  
ومجروراً قال المحشى : وما أحسن ما أنشده بعضهم في هذا المعنى :

كأني من أخبار "إن" ولم يجز  
له أحد في النحو أن يتقدما  
إليك فأضحي في علاك مقدما

ولما استشهد الشارح بقول الشاعر :

و قالوا تعرفها المنازل من مني  
و ما كل من وافي مني أنا عارف  
قال المحشى وبعده :

ولم أنس منها ليلة الجزء إذا مشت      إلى أصحابي منيغ وواقف  
وذكر أنه لمزاحم بن الحرف العامري العقيلي ، الذي كان جريراً يشيد بشعره .

#### القاعدة العاشرة :

والقلب في شعرهم كثير  
ومنه بيت شعرهم مشهور  
"ومهمه مغبرة أرجاؤه"  
كأن لون أرضه سماوة  
وين الشارح أن أصل التشبيه في البيت كأن لون سمائه لغيرتها لون أرضه فعكس  
التشبيه مبالغة.

وقال المحشى، وبعد البيت :

داع دعا لم أدر ما دعاؤه      وصاحت في ليلة أصداؤه

#### القاعدة الحادية عشر :

شابهه هذا لديهم ينتمي  
إلا" و"إلا" حكم "غير" ينمى  
ثم أورد الناظم زيادة على غير و"إلا" إهمال "أن" المصدرية حملها على "ما" وإعمال  
"ما" حملها على "أن" في نحو قوله صلى الله عليه وسلم : «كما تكونوا بولى عليكم»  
وكذلك إهمال "إن" حملها على لو ، ومثل لها الشرح بقوله : «فإن لا تراه فإنه يراك».

وقول الشاعر :

لويشا طار بها ذو ميعه      لاحق الآطالم نهد ذو خصل  
وتعقب المحشى استدلال الشارح بحديث : "كما تكونوا" أن الأولى أن تكون النون  
حذفت للتخفيف وقد جاء ذلك نظما ونشرأ ، وأورد أبياتاً في حذف نون الرفع لم يذكر  
قائلها وهي :

وقاية كمثل تامبروني	ونون رفع حذفت لنون
ولمناسبة فعل ما صحب	ونون توكييد وللوزن سلب
"لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا"	مؤخراً ففي الصحيح دوننا
"أبيت أسرى وتبينتي تدلّكي"	أو متقدماً عليه وحكي

وفي ختام القاعدة الحادية عشر يقول الناظم :

بعض معناه فشيء قد علا	أما دخول أحرف الجر على
أنت لها لطال أمر المثبت	ولو تتبعنا الشواهد التي
فأعن به فإن ذاك غایه	وفي الذي ذكرته كفايه

وذكر الشارح أن تعاقب حروف الجر مقياس عن الكوفيين وأورد أمثلة منها الباء  
معنى "عن" في قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان - الآية 59).

واللام يعني "في" نحو ونضع الموازين القسط ليوم القيامة والباء يعني "على" في نحو **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنَهُ بِقُنْطَارٍ﴾** (آل عمران - الآية 74).

وقد حاولت استبيان مواضيع هذا التعاقب ووضعت له جدولًا يتضمن نتيجة ما اطلعت عليه فلاحظت إن "إلى" تأتي بمعنى "في" و"اللام" وأن الباء تأتي بمعنى "إلى" و"في" و"على" و"عن" ومن، وأن "في" تأتي بمعنى "إلى" وبمعنى الباء، وعلى، وأن "على" تأتي بمعنى الباء ومعنى "في" وعن، وبمعنى اللام، وأن "عن" تجيء بمعنى الباء، و"على" و"في"، وأن اللام تأتي بمعنى "إلى" و"في" و"عن" ومن. وأن "من" تجيء بمعنى الباء ومعنى "في" و"على" وعن واللام.

والجدول التالي يعطي الأمثلة على هذا التعاقب :

من	اللام	عن	على	في	باء	إلى	
	ومن يسلم وجهه إلى الله - الأربيل			بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا قُتِلْتُمْ فَلَا تُنَاهَىٰ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَرْكُنْ بِالرَّوْعِيَّةِ كَانَىٰ إِلَيْكُمْ مُطْلَقاً بِهِ الْفَلَاقُ أَجْرُوبَ			إلى
عينا بشرب بها عباد الله	ما سال به خيرا	ومن أهل الكتاب من إن تسامنه بقطار لا بردة إليك				باء	
		ولصلحتكم في جنوح الخل	ولصلحتكم في جنوح الخل	دخلت امرأة النار في هرة	دوا آيديهم في أفواهم بدروك	في	
إذا اكتالوا على الناس	ولتكروا الله على ما هذاكم	إذا رضيت على بنو ثمير، بعمر الله أعجبني رضاها		ولترفرد علينا ـ وابحروا ما تتلوا ـ الشيطاني على ملك ـ سليمان ـ ودخل المدينة على ـ حين غفلة	ـ وإنكم لتصرون عليهم ـ مبهجين ـ حقق على أن لا ـ أقول على الله إلا ـ الحق	على	
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده	وما نحن بوارك آهتنا عن قوله		فانيا يدخل عن نفسه		رموه عن قوس واحدة	عن	
سمعت له صرخا ـ لنا الفضل في الدنيا، ـ وانفك رائم، وتنمن ـ لكم يوم القيمة ـ أغفل		ولا أقول للذين تزدري ـ أعينكم		ونضع المقطط اليوم ـ القيمة	ـ ـ ديخرون للأذقان ـ وتله للجبن	اللام	
	ما خطبناهم	فويل للقاسية قلوبهم ـ من ذكر الله	ـ ـ قد كانوا في غفلة ـ من هنا	ونصرنا من القوم ـ الذين كذبوا	ـ ـ أروني ماذا خلقوا من ـ الأرض	من	

## الباب الرابع

# مدرسة ابن مالك في المحاظر الشنقيطية

### 1. محاظر بلاد شنقيط :

محاظر بلاد شنقيط ظاهرة غير مألوفة، إذ كيف تتصور جامعة يُدرس فيها بعمق وإتقان، جميع العلوم الإسلامية التقليدية، من علوم القرآن والتوحيد والسيرة النبوية والفقه وأصوله وقواعده، وعلوم اللغة من نحو وصرف، وبلاغة، وأدب، وفي أغلب الأحيان يقوم عالم واحد بتدرис هذه المواد، على مدى أكثر من اثنين عشرة ساعة في اليوم الواحد. أما الطلبة فإنهم، كما يقول أحدهم :

تلاميذ شتى ألف الدهر بينهم  
يبيتون لا كِنْ ما لديهم سوى الهوا      ولا من سرير غير أرمدة غُبر

يعتاقبون في الصباح على شيخ المحظرة، جماعة، أو فرادي، لتلقي دروسه الشفوية، منتقلًا من مادة إلى مادة، دون أن يضطر إلى القاؤه نتيجة لاختلاف الفنون التي يقرؤها. ولقد اشتهرت مجموعة من هؤلاء الشيوخ الموسوعين الذين في إمكان كل واحد منهم أن يقوم بعلمه وتدرسه مقام عدة أساتذة متخصصين، ومن نماذجهم قديماً، الشيخ بلا بن الفاضل الشقروي الذي يقول فيه العلامة حُرمه بن عبد الجليل.

وهو فرد خالد كل نبيل  
مستفاثاً لكل خطب جليل  
شاردات تفوق أيدي العقول  
ـ له ذي غلة شفاء الغليل  
ـ كان بلا دليل ذاك الرعيل  
ـ في عظام الجليس مثل الشّمول<sup>(1)</sup>

واعتبر في شخص تجمّع فيه  
سيّد، وهو سادة حين يدعى  
إنّ بلا مشايخ حين تعدو  
يسعف السائلين عنه بما في  
إن يسر لانتداب مجد رعييل  
ـ شعره مطرب حمياء تسرى

(1) محمد المختار ولد اباه "الشعر والشّعرا، في موريتانيا" ص 236.

وعندما يأتي الليل تتعالى أصواتهم "بتكرار" الدروس اليومية، بإعادتها والتذكرة فيما غمض منها أو نسي.

وهكذا كان دأب هذه الجامعات المتنقلة، الشاملة في منهجها ومقرراتها، وإن كان بعضها يغلب عليه الاختصاص في بعض العلوم، مثل المحظرة الفقهية لأهل محمد سالم المجلسين، والمحاظر القرآنية في تحجكانت وتنواجيو ومسومه والأقلال، والمحاظر النحوية المتفرعة عن المدرسة البونية.

لقد قام علماء المحاظر بصناعة تحويلية، انتزعوا أصولها الأولى من كتب ابن مالك، ثم استمدوا فروعها من أدوات ابن هشام، وأعادوا إليها تنبيهات الأشموني، وتخريجات ابن الدمامي فصنعوا من هذا المزيج مجموعة هائلة من القطع المتنوعة، قدموها بضاعة منظومة في دروسهم الشفوية، حتى استطاعوا بذلك خلق ثقافة نحوية نزلت عن طور الاختصاص العلمي إلى مستوى الأدب الشعبي، فصارت تمارس لذاتها، ويتذوقها الناس في المجالس، وإن كانت قد ابعت من أهداف النحو الأساسية بسبب استقلالها عن الدراسة اللغوية عموماً، فأضحت تغذى نوعاً من الترف الفكري.

لقد سار هؤلاء العلماء على خطين متوازيين : وهما خط التبسيط، معتمدين في ذلك على الأجرمية، وما يدور حولها من أنظام وشروط والخط الثاني استهدف تعميق الدراسة النحوية عن طريق خلاصة ابن مالك، مع إعطاء أهمية خاصة لكتاب ابن هشام.

ذلك أن مدرسة ابن مالك لم تتضمن في نصوص إمامها مقدمة للمبتدئين أو للعامة على منوال إيضاح الفارسي ولعل ابن جني. فكانت خلاصته لنحو العلماء، وتسهيله لذوي الاختصاص، وقد حاول العلامة المختار بن بونا سد هذا الفراغ، فكتب مقدمة مبسطة اقتصر فيها على المعلومات الأولية الضرورية للمبتدئين، غير أن هذا العمل لم ينفع من رواج مقدمة ابن آجروم، التي ظلت نقطة انطلاق تعلم النحو بالنسبة للصغار، ووضع عليها الشناقة نحوها من أربعة عشر شرعاً، ونظمت عدة مرات.

ومن أوائل الذين اهتموا بهذه المقدمة الشيخ محمد بن سعيد اليدالي المتوفى عام 1166هـ<sup>(١)</sup> والعالم أند عبد الله بن أحمد المحجوبي (ت 1172هـ) والطالب محمد بن الطالب أبو بكر الصديق البرتلي الولاتي (ت 1219هـ) وسيد عثمان بن اعمر بن سيداتي

(١) محمد اليدالي الديعاني (1096-1166هـ) من أوائل وكبار العلماء، المؤلفين، جمع بين العلوم الشرعية والشعر واللهجة والأداب والتاريخ. له كتاب "الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز"، وكتابه "شيم الزوابيا" من أول مصادر تاريخ القبلة، ترجم له البرتلي في "فتح الشكور" (ص 122)، والشنقيطي في "الوسيط" (ص 223)، ومحمد المختار ولد اباه "الشعر والشعراء" (ص 76) ومحمد بن ولد اباه في مقدمة كتاب "آثار اليدالي التاريخية".

(ت 1227هـ) و محمد بن محمد الصغير ابن انبوجة العلوي التشيتي (ت 1275هـ)<sup>(1)</sup>، وقال ابنه سيدى عبد الله "ان شرحه للأجرمية شرح نفيس جداً وأنه جمع مضمون غالباً ألفيه ابن مالك وزاد عليها بأحسن سبك على ألطاف عبارة وأحسن نظام" ، ومن شرحاها أيضاً محمد البوصيري ومحمد المختار بن جميل الجكنى وسنرى شرح الشيخ سيدى الكبير لها. ثم تم نظم هذه المقدمة من قبل محمد بن ابْ التشيتي، المتوفى سنة 1159هـ وله وأشار سيد محمد بن ايجيل بقوله :

ومن نجل ابْ قد توارت مسائل من النحو والتصريف برهانها جلى<sup>(2)</sup>  
ويبداً هذا النظم بقوله :  
قال عبيد ربه محمد اللَّهُ فِي كُلِّ الْأَمْوَارِ أَحْمَدٌ  
إِلَى أَنْ يَقُولُ :

وبعد فالقصد بهذا المنظوم تسهيل منتشر ابن آجروم  
وامتزج النظم بالمقدمة، فصار النظم يعرف "عبيد ربه". وشرحه عدة علماء، منهم  
سيدى عيسى بن أح�اد الجعفري الولاتي ومحمد يحيى بن سليمان اليونسي (ت 1384هـ)  
ومحمد حبيب الله بن مايا بي الجكنى (ت 1354هـ)<sup>(3)</sup> ومحمد عال بن سعيد المشهور بـعَيْـ،  
وذلك في كتاب "المنبه على عبيد ربه"، ومحمد مولود بن احمد قال اليعقوبي الموسوي.  
ولقد نظمها باللغة الحسانية، العالم الأديب محمد الحافظ بن السالك بن الطلبة  
نظمأً سماه : نحو الأجرمية في الأثواب الحسانية بدأه يقول :

الحمد لله الذي القى يوماً  
واسلاة مولانا الكريم أذوم  
وإله وأصحابه النجوم  
هذا نبغي ننظم آجروم  
إياك تنفع بي الناس اليوم  
يفهموه، أكلام حسان مفهوم  
الله حمد ما انجد انحد

والسلام حيث يدوم على عبد  
الهدى كاملهم، وبعده  
بكلامن احن البيظان وابعد  
واياك إيجد يعرظوه ويگد  
كامل عند الشعب اعلى گد

وكما كانت الأجرمية هي المدخل الأول في تدريس النحو، اعتمد الشناقطة مؤلفات ابن هشام، من بين المقدمات الموصولة إلى دراسة النحو المعمقة. فاستهتمت علماء شنقط،

(1) ابن انبوجة : "ضالة الأديب" (مخطوط).

(2) البرتلي : فتح الشكور (ص 124).

(3) المختار بن حامد : "الحياة الثقافية" (ص 65)، راجع كذلك يحيى بن البراء، "ألفية ابن مالك" (ص 44).

فاهتموا بثلاثة من كتبه المتداولة بينهم، ودرسوها "قطر الندى وبل الصدى"، وأقراؤه للطلبة، فكان من المقررات التدريسية عند النحوي عمر بن بابا الولاتي، وأخذه عنه الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الحرشي<sup>(1)</sup>، ونظمه أبو بكر الطفيلي المسلمي (ت 1116هـ) التشيتي نظماً جيداً<sup>(2)</sup>، واستأثر كتاب "المغني" باهتمام بالغ من قبلهم من لدن عهد ابن الأعمش (ت 1107هـ) إلى العلامة الأديب المرحوم الشفيع ابن المحبوبى مروراً بابن الحاج احمد الله والشيخ محمد المامي وعبد الله التكلاوى، الذى نظمه نظماً وصف بأنه في غاية الجودة. وكتب عليه محمد البرناوى كتاباً سماه "فتح المرام على ابن هشام"، كما أنهم وجدوا في "المغني" مادة طريفة في معانى الأدوات النحوية، فنظمها محمد بن موسى بن أبيجل الزيدى التشيتي<sup>(3)</sup>، ومحمد بن محمد الصغير بن انبوجه<sup>(4)</sup> والفقىه محمد يحيى الولاتي وسيدي محمد بن الأغظف الوسري الحوضى، الذى وضع شرحاً لنظم السلطان المولى عبد الحفيظ للمغني، وكنا قد تناولناه بالبحث. ونظم العلامة محنض بابه بن اعبيد باب الجمل والقواعد العامة. وكان توضيح ابن هشام من بين شروح الخلاصة التي أفادت الشناقطة بصورة عامة، ومن ذلك أن طرة منيرة الشمشوى<sup>(5)</sup> المعروفة بـ"الدلالة على الخلاصة" ليست في الحقيقة إلا ترتيب كتاب "توضيح ابن هشام".

## 2. أدبيات الخلاصة :

وفي مستهل القرن الحادى عشر بدأ تدرس الخلاصة، في المراكز العلمية في شنقيط، وفي مدينة ولاته، وتشيت، وانتقلت إلى المحاظر البدوية.

لكن استحكامها في المحاظر لم يتم في الحقيقة إلا في القرن الثاني عشر، في هذا العصر شهدت البلاد تحولاً ثقافياً جذرياً، سببه استكمال تعریب القبائل التي كان بعضها يتحدث باللغة البربرية، وتوسيع نطاق الدراسات اللغوية والنحوية، بعد ما ظلت الثقافة الشنقيطية برهة من الزمن، ثقافة ترتكز على دراسة علوم القرآن، والفقه.

(1) البرتلى : فتح الشکور، ص 66.

(2) فتح الشکور، ص 76.

(3) فتح الشکور، ص 5.

(4) "ضاللة الأدب" (مخاطرط).

(5) من أكابر النحاة في القرن (12هـ)، رحل من القبلة إلى ولاته، وبث النحو فيها، ومن أشهر من أخذ منه فيها الإمام عمر ممّ.

## أ) انتشار الخلاصة :

ومن أسباب انتشار الخلاصة، كونها تلائم حاجة المثقف الشنقيطي إلى نظم شامل يسهل حفظه، نظراً لتعذر وجود وسائل الكتابة وبالخصوص الورق، واستحالة الكتابة ليلاً لعدم توفر وسائل الإنارة، فكان لا بد من الاعتماد على الحفظ وهذا من خصائص التربية الإسلامية من عهد الشافعي الذي يقول :

علمي معي أينما يممت يتبعني صدري وعاء له لا جوف صندوق  
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق  
لكن الحافظة لها حدود، وهي إذ تحتاج زيادة على النظم، إلى مذكرات، مثل الرُّموز، وعبارات الاختصار، وهذه أيضاً من ميزات الثقافة الإسلامية، كاستعمال الحروف التي تشير إلى معلومات يستعيدها الذهن، مستعيناً بمثل ما نشاهده اليوم في الحاسوبات الإلكترونية من ذلك مثلاً، قول النحاة إن حروف الزيادة يجمعها قوله : "سألتمنيهما"، وإن حروف الهمس، يجمعها قوله : "حث شخصه فسكت". ولقد استعمل ابن مالك هذا النوع جميعاً قال : أحرف الإبدال "هذات موطياً".

وفي نظمه في بعض الأحيان يحرص على حشر مجموعة من الألفاظ الدالة على الحكم في بيت واحد، بحيث لو أنها نشرت لاحتاج التعبير عنها لعدة أبيات مثل قوله في التمثيل لأنواع البدل :

كزْرَهُ خالداً وقبْلَهُ اليدَا واعرفه حقَّهُ وخذ نبلاً مَدَى

ومن طرق الاختصار المعهودة عند ابن مالك، ذكر مجموعة من الأحكام في باب من الأبواب، ثم يحيل عليها مجموعة أخرى بواسطة القياس، مثل ما قال في أفعل التفضيل لأنواع البدل :

صُغْ من مصوغ منه للتعجب أفعل للتفضيل وأب اللذ أبي

ويقول في مواضع آخر :

يعطى اسم مفعول بلا تفاصيل وكل ما قرر لاسم الفاعل

وقال :

ونعتوا بحملة منكرا فأعطيت ما أعطيته خبرا

وأمثلة هذا النوع كثيرة في الخلاصة، نكتفي بالإشارة أن نقول إن علماء شنقيط كانوا مالكيين في الفقه. وننعدى على ابن مالك الذي يقول في باب النسب من الخلاصة :

رُكْب مِزْجًا وَلِشَانٍ تَمَّا  
أَوْ مَا لَهُ التَّعْرِيفُ بِالثَّانِي وَجَب  
إِضَافَةً مُبَدِّوِةً بِابْنِ أَوَابٍ  
فَنَقُولُ إِنَّهُمْ - ابْنُ مَالِكَيْنِ فِي النَّحْوِ.

وهذا ما يدعونا أن نستعرض بإيجاز، لحة عن تاريخ هذه المدرسة، وعن أسباب انتشارها في حاضر شنقيط ومحاظرها وعن روادها وحملتها، وعن خصائصها.

### ب) المقررات المنهجية في المحاضر :

ويمكن المقارنة بين مكانة خلاصة ابن مالك ومختصر الشيخ خليل في الفقه من حيث رواجهما في موريتانيا ولو كانت هذه المقارنة غير دقيقة، لأن علماء شنقيط عرفوا قبل مختصر خليل وبعده أمهات الفقه المالكي مثل المدونة، ورسالة ابن أبي زيد والكافي لابن عبد البر، وبيان ابن رشد، ولكن قد نتساءل هل عرفوا كتاباً في النحو قبل كتب ابن مالك.

إنما لا نرى أثراً يذكر لكتاب سيبويه، ويقال إن المكودي المتوفى سنة 807 هـ، كان آخر من أقرأ كتاب سيبويه في المغرب، ولا نرى أيضاً ذكراً للمدونات النحوية التي جاءت بعده، والنصول المذكورة في هذا الباب تقتصر على ذكر ملحة الإعراب للحريري، وهي نظم مختصر جداً، أو مقدمة ابن آجروم.

فالكتاب الذي اعتمدته الشفافة الشنقيطية هو الخلاصة، مع اهتمام بالكافية، والتسهيل، وفريدة السيوطي وأخيراً بكل ما كتب ابن مالك مما هو موجود عندهم مثل الثالث، والمصور والمحدود ولامية الأفعال.

وأغلبظن أن اعتماد هذا الكتاب كان أواخر القرن العاشر الهجري بعدما تقرر رسمياً في المغرب، بأمر من المنصور الذهبي، وتابعه على ذلك المولى محمد بن عبد الله، وصارت "الخلاصة" و"التسهيل" منهجاً مدرسياً في المغرب على عهده.

ثم ظهر "الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصوصة" للمختار بن بونا الحكني الشنقطي، ولقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً، فطبع في مصر سنة 1327 هـ مع أن النسخ يتنافسون في كتابته، واقتئانه.

فكتاب "الجامع" و"التسهيل وشروحه"، وكافية ابن مالك وفريدة السيوطي، ومقدمة ابن آجروم وملحة الأعراب، هذه هي الأسس المعرفية لمدرسة النحو في شنقيط. وإذا كانت هذه المدرسة قد اقتصرت على هذا العدد المحدود من الكتب فكيف يمكنها أن تتميز بخصائص معينة؟

و قبل الجواب على هذا السؤال ينبغي أولاً أن نذكر أن ابن مالك جمع بين آراء المدارس النحوية السابقة، من بصرىين وكوفيين وأندلسيين وأنه اجتهد في اختيار مذهب وسطٍ بين أئمة النحو الذين سبقوه، وأنه اجتهد في توسيع أفق النموذج اللغوى باعتماده الحديث النبوى خلافاً لأوائل النحاة الذين كانوا يعتقدون أنه روى بالمعنى من طرف علماء لم يكونوا مختصين في اللغة، ونعتقد أن ابن مالك صاح غلطًا فادحًا ارتكبه أسلافه الذين لم يكونوا من أهل الحديث.

### ج) خصائص المدرسة النحوية الشنقيطية :

أما خصائص المدرسة النحوية الشنقيطية، فنوجزها في اثنين :  
إحداهما : لقد رأينا أنها تعتمد على الحفظ، وتعمل لذلك وسائل الشعر، والنظم، والاختصار والرموز.

الثانية : أن طلابها يتعاملون مع مادة الخلاصة، على أنها ليست علماً فقط، وإنما يرون فيها نوعاً من الفن، وذلك بتحويل المادة إلى قضية شبه أدبية، وكلما صعبت المسألة، اجتهدوا في تبيينها، وإعطائها شكلاً يقربها من الذهن والذوق.

وال الأمثلة التالية توضح طريقة ت traitement في التعامل معها .

يقول ابن مالك :

وارفع بواو وببا اجر وانصب سالم جمع عامر ومذنب  
وشبه ذين ويه عشروننا وبابه الحق والأهلوна

وتعليقًا على شبه ذين يقول العلامة ابن بونا :

"من كل علم أوصفة أو مصغر، لذكر عاقل حال من تاء التأنيث ويشترط في العلم الخلو من التركيب على التفصيل السابق وشذ قوله :

منا الذي هو ما إن طر شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب

وقوله :

فما وجدت نساء بنى تميم حلائل أسودين وأحمرينا

ويستثنى مما فيه تاء التأنيث ما كان علماً من الثلاثي المعوض من فائه أو لامه هاء التأنيث كعدةٍ وسنةٍ وثيبةٍ ما لم يكتُر قبل العلمية كشفةٍ أو يعتل ثانيةٍ كديةٍ. وصار هذا التعليق يعرف بطرة "شبه ذين"، ونظراً لما فيه من التعقيد اجتهد بعض الطلبة الموريتانيين

في توضيجه وتقربيه، حتى نظمه محمد بن سيدى بن محمد الفاضلى الديانى (ت 1306هـ) نظماً أوله :

نظمت من طرة شبه ذين  
منظومة كالدر واللجن  
نافعة قاصر الأصغرين  
وذا جهالة وشبه ذين  
إلى أن يقول :

والعانسون بعد طر شاربه  
محض شذوذ قد أبىغ غاربه  
وأحمرينا مع أسودينا  
من الشذوذات اللوا درينا<sup>(1)</sup>  
المثال الثاني : يقول ابن مالك في باب التنازع :

وأظهر ان يكن ضمير خبرا لغير ما يطابق المفسرا

وفي هذا البيت تعقيد بسبب الأمثلة التقديرية، والتي قد خرجت عن الأسلوب الذي يفهم بسهولة، والمثال الذي أعطاه ابن مالك في البيت التالي يوضح نوعية هذا التعقيد حين قال :

نحو أظن وبطناني أخا زيداً وعمراً أخوين في الرخا

والطلبة الموريتانيون يسمون هذا البيت "بيت الفرس"، ويقال إن أحد الطلبة يوماً ركب على فرس وقال : ساعطي هذا الفرس لمن استطاع أن يفسر لي معنى هذا البيت.

ومن ذلك اليوم سمي "بيت الفرس"<sup>(2)</sup>

ومن عادة التلاميذ أن يقولوا إن الطالب، إذا ركب الفرس واكتحل وأخذ الهراء، فقد عرف النحو. وركوب الفرس يعني فهمه لباب التنازع، أما الاكتحال فهو عبارة عن تمكنه من أحكام أفعل التفضيل، لأن في هذا الباب، بيتاً يسمى بـ "بيت الكحل" وهو قول ابن مالك :

ورفعه الظاهر نز ومتى عاقب فعلاً فكثيراً ثبتا

فالتركيب الذي يمثل الشاهد على البيت هو : "ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد".

وقد ضمن الأديب العالم المختار بن الأمين الفاضلي هذا البيت تضميناً طريفاً في بيتهين أرسل بهما إلى مريم نفيسة بنت بدّي العلوية، يضرم فيهما طلب كحلٍ، وهما :

(1) راجع يحيى بن البحرا : ألفية ابن مالك.

(2) المرجع نفسه.

لا يرفع المريد للأشيخ من حاجاته إلا الذي منها بطن ورفعه الظاهر نظر ومتى عاقب فعلاً فكثيراً ثبتا  
 أما أخذ الهراءة فيدل عندهم على معرفة ما طرأ على جمع هراوة من إبدال وإعلال، حيث أنها انتقلت من "هرائي" على وزن قلائد.  
 إلى "هردوا"؛ مروراً بهرائي، ثم هرائي، ثم هراءً وأخيراً "هردوا" لقول ابن مالك :  
 "وفي مثل هراوة جعل واوا ....."

ولكل من هذه التغييرات قواعدها ونصوصها الخاصة بها.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد الله بن محمودا الحسني البعمري، مخاطبا بعض تلامذته، الذين قال إنهم هددوه بالضرب عندما تزوج بإحدى نسا، الحي :

من آل ليلي حمانى أن ألم بها	خوف الهردوا وإنفاذ الوعيد بها
مرأى الدبابيس في أيدي حواجبها	وقد حمانى من مرأى حواجبها
إعمال تصريفها للموعدين بها	كي لا تعمل فيمن كان يعملها
فالضرب منهم لثلثي لا يليق بهم	بل لا يليق بنا بل لا يليق بها

لقد استقر إذن اختيار أساتذة النحو وطلابه في بلاد شنتيط على كتابي الخلاصة والجامع لأنهم وجدوا فيهما السمات التالية :

1. سلاسة النظم وسهولة حفظهما لمن يريد الاقتصار على الأهم.  
 2. وجدوا في الجامع المعابر للزيادة في التعمق، لمن أراد منهم التخصص في النحو.

3. وجدوا الشرة اللغوية والأدبية في شواهدها الشعرية، حتى أن أحدهم كتب عن هذه الشواهد كتاباً، مازال مخطوطا في أربع مجلدات عن التعريف بهذه الشواهد، وقاتلها. وهذا الكتاب لا يقل قيمة عن كتاب السيوطي في شرح شواهد المغني، وابن السيرافي في شواهد سيبويه، والكتاب يسمى عقل التوارد على شرح الشواهد لمحمد بن الغزالى الشقروي الحسني.

4. وصارت مواضع من الخلاصة من أمثلتهم، ونواترهم ونكتهم، فكثيراً ما تسمع عند العامة :

- وحذف ما يعلم جائز.
- وعلقة حاصلة بتتابع، كعلقة بنفس الاسم الواقع.
- وإن بشكل خيف ليس يُجتنب.
- وما أبىح أفعل ودع ما لم يبح.

ومن نوادرهم قصة : "وامنع هنا إيقاع ذات الطلب"  
ذلك أن سيدة استضافت فتية من إحدى المحاظر، ولما قدمت اليهم قدحاً من لبن  
الإبل أنسد أحدهما قول ابن مالك في باب النعت : "وامنع هنا إيقاع ذات الطلب".

فأجابته السيدة قائلة : ليس الأمر كما تظن، وإنما هو رسول خُلَيفات هذا يومها من  
الشرب، ولم تصدر من المعاطن إلا قبل قليل. فخجل الفتى من قوله ومن اتهامه الكاذب  
لربة المنزل أنها مذقت لهم الحليب، كما فوجئ بأنها أدركت ما يريد أن يخفيه عليها  
بإنشاده لبيت الخلاصة، مشيراً إلى شاهد البيت المعروف وهو :

حتى إذا جنَّ الظلام واختلط ط جاءوا بذلك، هل رأيت الذيب

ومن هذه النوادر قصة القاضي الذي جاءته امرأة تقول : إنها تشكو الضرر من  
زوجها وتريد رفعها عليه، وهي تعني الطلق، فقال ماسمك قالت فلانة بنت الواقف  
فقال : لها اذهبي، فأنت مرفوعة، رفعك ابن مالك في باب الفاعل حين قال :  
وقد بيع الفصل ترك التاء في نحو أتي القاضي بنت الواقف

ومنها كذلك اصطلاح لفظ "الحنكلة"، وهي تعني عندهم عدم فهم تركيب الكلام.  
وأصل اشتقاق هذا الاصطلاح أن أحد الطلبة سأله أستاذه قائلاً : ما معنى "حنكل" في قول  
ابن مالك :

وركب المفرد فاتحأ كلا حول ولا قوة ... الخ

فأجابه الأستاذ : حنكل معناه : الخطأ في الفهم.

#### د) الأحاجي والألغاز :

ومن أدبيات الخلاصة ما كانت تشير من اعتناه بالأحاجي والألغاز، فلم تك الشروح  
والحواشى هي وحدها التي استأثرت باهتمام النحوين في شنقيط. ولم يقتصروا على أنظام  
مسائل الخلاف، ونوادر الأحكام، بل إنهم مع ذلك تناولوا الألغاز والأحاجي لتحريرك أذهان  
الطلبة وإعطاء مادة التدريس نوعاً من الحيوية.

وهم لم يكونوا بدوا في هذا المجال، فقد ساروا على منوال القدماء، وما جرى بينهم  
في المناظرات المعروفة. ذلك أن الأحاجي النحوية قديمة، وأقسامها متعددة.

وقد اشتهر بها من النحوين علم الدين السخاوي الذي يقول في لغز صيام وباز :

وما اسم جمعه كال فعل منه      وما اسم فاعل فيه كفعل  
له وزنان يفترقان جمعا      ويتحدان فيه بعد فصل

وفي قولهم "ذهبت بعض أصابعه وقولهم عجبت من ضرب زيد عمرو" يقول :  
ما اسم أضيف فرسته إضافته  
مؤنثاً وهو بالذكر معروف  
وما الذي هو بالتنوين ذو عمل  
غير أنه من أشهر ما عرف في هذا الباب أرجوزة فرج بن لب الاندلسي المشهور، ثم  
سلك العلماء الشناقة هذه الطريق. ومن أمثلة هذا النوع، ما ي قوله المختار بن بونا مخاطباً  
بني ديمان :

إليكم مرید النجيات من العضل  
وسعيکم المفضي إلى مرتقى الأمل  
إذا صححا أو واحدا أو يرى بدل  
يرى فيه لحن فاحش ليس يحتمل

ألايا بنی دیمان لا زال يرتاحل  
محبكم المختار قدماً سبیلکم  
أسائلکم ما عین لفظ ولا مه  
من احداها لفظ لأخرى مغاير

وقد أجابه العلامة محض باه :

لعل مراد الشيخ " جاء " ومن لنا  
واما اسم اذا ما أسنده لمضممر  
بحرف يثنيه ويجمع من عقل  
فخفض وإن للظاهر ارتفع المحمل

ومن ذلك أيضاً أسئلة عبد الوود بن عبد الله لتلميذه محمد عالي بن سعيد المشار  
إليها في الحديث عنه. ويقول محمد فال بن محمد بن احمد بن العاقل :

ما كلمة سلبت إنشاءها فقدت  
وصوفة بعد إنشاء بإنشاء  
وأجابه ابن أخيه العلامة محمد فال بن عبد الله بن اباه بقوله :

يا صاحبي أرأيت إن أفتکم  
بها على رغم تقصيري وإعيائي  
وهو يعني أنها "رأيت".

ويقول العلامة محمد بن المحبوبي :

قل للنحاة إذا مررت بجمعهم  
لفظين أيهما رفعتم جئتم

والسؤال هنا يتعلق بما إذا تعدد الظرف أو الجار وال مجرور الصالحان للخبرية واجتماعها  
مع الحال، وهي المسألة التي أشار لها ابن بونا بقوله : "والحال فيها كزهير كاتباً".

ومنها كذلك في لغز "كلمه" :

يا قارئا ألفية ابن مالك  
لفظ بديع الشكل في نظامه

في أي بيت جاء في كلامه

وإن تشا فقل ثلاث واسم حروفه أربعة تضم  
مركب من كلمات أربع وهو إذا نظرت فيه أجمع  
وقد ذكرت لفظه لتفهمه وصار بالتركيب بعد كلامه  
وقد نظم شيخنا العلامة القاضي محمد بن محبذن قال بن أحمد قال التندغى  
طرائف من هذا النوع سنورد بعضها . ونود قبل ذلك أن ننوه بما لهذا الشيخ من " رهbanie " في العلم والتعليم والتاليف والنظم .

لقد ورث العلامة محمد بن احمد قال محظرة والده العالم الورع محبذن قال بن  
أحمد قال . واستمر نشاطها على يده ، وزاول تدريس الطلاب ، وألف الكثير . ونظم في  
مسائل الفقه ، والخلاف ، والسيره النبوية ، وله في النحو أبحاث قيمة . فقد كان من بين الذين  
شرحوا احمرار ابن بونا ، ووشحه بنظم يقول في أوله :

دونك من مسائل النحو جمل	لا تالُ في تحصيلها ولا تملَ
فييهن توسيع لطرا ابن بون	بعض ما خفي منها قد يبين
وربما أفاد ما قد اهملت	ونكت وطرر قد أشكلت

ولقد ناقش ابن بونا في إعمال " ما " لما استشهد بقول الشاعر :  
 فما باس لو ردت علينا تحية قليل لدى من يعرف الحق عابها  
 فقال : إن " ما " هنا حرف نفي جاء قبل فعل ماض سكن ثالثه مثل قول الأخطل :  
 فإن أهجه يضجر كما ضجر بازْل من الأدم دَبَرَتْ وجنتاه وغاربه  
 وناقش ابن مالك في إضافة " إذا " للجمل فقال :

أضف " إذا " للجمل الاسمية	وخصها ابن مالك الفعليه
إذا السماء انفطرت من كثر	واجعل صحيحا ما أتي في الذكر
ذكره الخليل مع طرفة	الاعشى وفي الشعر أتي بكثرة
أما ألفازه فبدأها بقوله :	

سألتكم أهل اللغة عقدا وحل	عن شكلة مكان جملة تحل
والشكل في النكرا لمبتدا شمل	قل اي الوفا لكننا في الله الأمل
واسم وجوبا عينه جاء محل	لام ولا مه مكان العين حل
وفاء كلمة يرى قد استقل	إذ أن الامر لانفراده وقل
وناسخات المبتدأ بالجر عل	دار يحيلها وربما فعل

جزم بحذف مع سكون مُدْبَل بُعِيَّدَه مُعْتَل آخر تُبَل  
 وَتَاءُ تَأْيِثَه أَمَاطَتِ الشَّقْل فَأَطْلَقَتِ عن الصِّيَارِيفِ الْعُقْل  
 وَيَعْدُ هَذِه الْمَقْدَمَةُ التَّمْهِيدِيَّةُ، نَبْدَأ بِعِرْضِ مَوْجَزٍ عَن النَّحَاءِ الْأَوَّلَيْنِ فِي الْمَدَارِسِ  
 الشَّنْقِيَطِيَّةِ.

### 3. النَّحَاءُ الْأَوَّلَيْنِ : الطَّالِبُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَعْمَشِ الْعَلَوِيِّ وَانْجِبَانُ الْحَسِيبِلَوِيِّ :

مِنْ أَوَّلَيْنِ النَّحَاءِ فِي أَقْطَارِ شَنْقِيَطٍ تَحْدُثُ الْمُؤْرِخُونَ عَنِ الْفَقِيهِ الْمُخْتَارِ النَّحُويِّ بْنِ الْفَقِيهِ اَنْدَغِ مُحَمَّدِ الْوَلَاتِي (ت 922هـ)<sup>(1)</sup>. كَمَا ذَكَرُوا مُحَمَّدَ بَابَا بْنَ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ بْنَ حَبِيبِ اللَّهِ (ت 1014هـ)، وَلَكِنْ لَمْ تَظَهُرْ الْمَوْلَفَاتُ إِلَّا فِي عَهْدِ ابْنِ الْأَعْمَشِ وَانْجِبَانَ.

#### أ) ابْنُ الْأَعْمَشُ وَشَرْحُ الْفَرِيدَةِ :

وَفِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْخَادِيِّ عَشَرَ أَلْفَتُ أَوَّلَيْنِ الْكِتَابِ النَّحُويِّ فِي هَذَا الْقَطْرِ، مُثْلِّهُ "شَرْحُ فَرِيدَةِ السَّبِيُوطِيِّ" لِلطَّالِبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَعْمَشِ الْعَلَوِيِّ الشَّنْقِيَطِيِّ ابْنِ الْأَعْمَشِ، وَمِنْ الْمُعْرُوفِ أَنَّ الطَّالِبَ مُحَمَّدَ هَذَا كَانَ عَلَى صَلَةٍ وَثِيقَةً بِالْعَالَمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ عَيْسَى الْبُوْحُسْنِيِّ، وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمَا مَرَاسِلَاتٌ شِعْرِيَّةً أَوْرَدَهَا صَاحِبُ "فَتْحِ الشَّكُورِ" وَفِيهَا يَقُولُ الْبُوْحُسْنِيُّ :

أَسِيدَنَا إِنْ عَاقَ عَمًا أَرِيدَه  
 وَحَالَتْ صِرُوفُ الدَّهْرِ دُونَ إِرَادَتِي  
 فَإِنْ اعْتَقَادِي فِي الْمُحْبَةِ صَادِقٌ

وَكَانْ جَوَابُ ابْنِ الْأَعْمَشِ :

بَنَا ضَعْفَ مَا تَشَكَّوْ مِنَ الْحُبِّ دَائِمًا  
 عَسَى طُولُ هَذَا الْبَعْدِ يَعْقِبُ رَاحَةً

وَيَذَكُرُ ابْنُ الْأَعْمَشُ أَنَّ شَرْحَهُ الَّذِي سَمِعَهُ بِالْمَنْزَلِ الْعَدِيدَةِ، اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى الْمَطَالِعِ السَّعِيَّدَةِ لِلْسَّبِيُوطِيِّ نَفْسَهُ، كَمَا بَيْنَ أَنَّهُ يَوْرِدُ نَصَّ التَّسْهِيلِ بِلِفَاظِهِ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى الْمَسَأَةِ، وَأَنَّهُ تَكُلفُ مَا تَيْسِرُ لَهُ مِنَ النَّقْولِ ذَاكِرًا عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ قَلْةِ اطْلَاعِهِ، وَيُطْلَبُ مِنْ قَارئِهِ التَّسَامُعُ مُتَمَثِّلًا بِيَقُولِ الْقَائِلِ :

أَسِيرُ خَلْفَ رَكَابِ الْبَحْثِ ذَا عَرْجٍ  
 فَإِنْ لَحِقْتَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا  
 وَإِنْ ضَلَّتْ بِقَفْيِ الْأَرْضِ مُنْقَطِعًا

(1) فَتْحُ الشَّكُورِ : 113

(2) فَتْحُ الشَّكُورِ : 160

كما أن تلميذه محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي كان من علماء النحو المشهورين (ت 1098هـ)، ومن شيوخ عمر بن بابا بن علي بن اند عبد الله الولاتي (ت 1145هـ) الذي تخرج على يده إمام النحاة في ولاته، العالم الكبير عمر مم (ت 1201هـ)<sup>(1)</sup>.

### ب) المختار بن الأمين، الملقب "أنجيبان"، وكتاب شافي الغليل :

وفي هذا العهد يظهر كتاب بالغ الأهمية في تاريخ النحو في هذا القطر ألا وهو كتاب: "شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل" للعالم المختار المعروف بـ "أنجيبان" الحبيباتي، وأهمية هذا الكتاب تكمن في كونه جمع في مجلد واحد مضمون أمهات كتب مدرسة "ابن مالك"، فلخص في شرحه للخلاصة توضيح ابن هشام وتصریح خالد الأزهري، ونصوص الأشموني وتنبيهاته التي كانت مرجعه الأول وأراء ابن الدمامي في شرح التسهيل وربما نقل من مساعد ابن عقيل، وقد كانت تلخيصاته ونقوله محكمة، متکاملة وشاملة مع أنه كان قوی المنهج في عرضه لمجمل المسائل في أوائل الأبواب وفي تفاصيلها أثناء هذا العرض ويدل هذا الكتاب على أن مدرسة ابن مالك توطدت في عهده واستكملت أسسها ومناهجها.

توجد من هذا الكتاب نسخة قد تكون فريدة، من خط العالمين سیدی بن عبد الله ومحمد بن ابیه الحبیبات. وكتب في أولها هذه الأبيات :

كل الذي تبتغي مما تأصل من	مسائل النحو، ذا المجموع يحويه
فهاكه جاماً لما تفرق من	كتب النحاة فلا شرح يساويه
شرح بدیع غریب لا نظیر له	مهذب فاز بالمطلوب حاویه

غير أن كتاب "شافي الغليل" يوحی بأسئلة يتطلب الجواب عنها مزيداً من البحث والتنقیب، منها :

أولاً : ما يدور حول معرفة تاريخ كتابة هذا المصنف ومعرفة من هم شيوخ مؤلفه.  
ثانياً : هل اطلع العلامة المختار بن بونا على هذا الكتاب وما هو مدى تأثره به في جامعه؟ ولعلنا نجد جزاً من الجواب عند العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزي الذي يقول في ميميته المشهورة :

ولم يشعر المختار منشي احمراره	لسي عباد الله من نحوه الظمي
ولا شیخه انجیبان من کان عنده	له فتح الرحمن في النحو والعلم <sup>(2)</sup>

(1) فتح الشکر : 138 و 190.

(2) دیوان المختار بن بونا : 15.

إذ يقرر أن الجبنان من أشياخ المختار بن بونا، مع أن بعض الروايات الشفهية تتحدث عن علاقته بمحمد سعيد بن تكدي النحوي الذي قيل إنه أول من أقرأ النحو في مناطق جنوب شنقيط، وفي بعض الإجازات يذكر أن سنته في النحو يتصل بالأشموني عن طريق علوي، وسودانيين لم يعرف اسم أي منهم.

أما منهج كتاب الجبنان فيتلخص فيما يلي :

أولاً : توضيح المسائل التي تتعلق بالباب إجمالاً : فمتي يذكر مثلاً "باب الحال"، يقول سري في هذا الباب حدها ثم صفاتها، ثم تخصص صاحبها، ثم الترتيب بينها وبين عاملها، ثم تعددتها، ثم توكيدها لغيرها ثم انقسامها إلى مفرد وجملة وظرف، ثم حذف عاملها.

ثانياً : بعد مقدمة الباب يشرع في شرح نص الخلاصة، معتمداً أولاً على نصوص الاشموني، متضمناً أكثر تنبئاته، ثم يضيف ملخصاً في توضيح ابن هشام وتصريح خالد الأزهري، ثم يرجع إلى التسهيل مع ابن الدماميني، ومساعد ابن عقيل، وربما نقل عن المكردي وعن أبي حيان، وما نقل عن أبي حيان في اعتراضه على ابن مالك في "التسهيل"، قوله إن في ذكر الخلاف في الاعراب بحذف النون تطويلاً في هذا المختصر، ولا يستفاد منه حكم نطقي ولا حكم في اختلاف معنى.

ثالثاً : يكثر في أثناء شرحه من الأمثلة وال Shawāhid القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأثار الصحابة، فقد استدل على دخول اللام على خبر كان بما روى عن أم حبيبة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم "إني كنت عن هذا لغنية" ويظهر في هذا الاتجاه تمسكه بمبادئ مدرسة ابن مالك. كما أنه أكثر من الشواهد الشعرية، مع التنبية على ما قيل فيها من خلاف في النقل والتفسير، فعند إيراده لقول الشاعر :

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنا قوماً هما أخوان

قال : "قع لابن هشام غلط في مغنيه في هذا البيت، أوجب ارتکابه تعسفاً لا حاجة إليه وقد بینا ذلك في الحاشية التي كتبناها عليه، قاله الدماميني".

ومع سعة معرفته اللغوية، وال نحوية، فالذى يظهر أنه لم يطلع على كتاب سيبويه، ولم يعز له بصفة مباشرة، حتى أنه روى بعض شواهده بطريقة تخالف ما في الكتاب مثل ما وقع في قول الراجز :

قد سالم الحيات منه القدماء

فإنه اتبع الذين اعتقادوا نصب الفاعل وهو "الحيات" بينما هو مرفوع في الكتاب، واستشهد به سيبويه في نصب "الأفعوان"<sup>(١)</sup>.

وهذا الكتاب يحتاج إلى تحقيق ونشر، نظراً لأهميته التاريخية وقيمتها العلمية، فمن الغريب أن يظل مجاهلاً إلى الآن وأن يبقى مؤلفه مغموراً مغموس الحق، بالرغم مما يتميز به من إحكام في المنهج وصحة في المعارف.

كما نستغرب أيضاً أن ابن بونا الذي نعتقد أنه من تلامذته لم يصرح بالعزو له وأغرب من ذلك أن حفيده عبد الوودود بن عبد الله لم يشر إليه في كتبه وأنظame.

#### 4. المختار بن بونا (المعلم الثاني) :

##### أ) جانب من حياته :

هو المختار بن محمد سعيد، المعروف بابن بونا الجكنني، المتوفى سنة 1220 عن عمر طويل جداً، يختلف فيه المؤرخون بين 120 و 140 سنة. يقول أحدهم :

توفي ابن بونا عام "شكر" وعمره "فيق" بدون تكرر

ويقول آخر :

وعن ثقات عن ثقات عاشا  
نيفاً بعيد مائة معاشا  
وأثبتو بالحق أن النيفا  
"ميم" بعيدها وقبرت الحيفا

درس ابن بونا على عدة شيوخ، نعرف منهم المختار بن حبيب الجكنني والجبنان الحبيلي، ومحمد بن بوحمد الجلسي، وخديجة بنت العاقل الديمانية، وكانت له صلة بابن رازگه ومحمد بن بابانا العلوين<sup>(٢)</sup>.

لقد كان غريباً في حياته التي طالت أكثر من قرن كامل، ذلك أنه لم يستغل بالدراسة إلا بعد ما تجاوز عمر الصبا، وتلقى الشتائم والتجریح بالجهل، فقرّ من بيت أبيه ليتعلم. وإلى صعوبة تعلمه في البداية، أشار الشيخ محمد المامي بقوله :

كان ابن بونا ببادي أمره حجراً فصار من بعد منسوباً إلى حجر

ثم تحكي الروايات أنه بعد ما مكث مدة لا يفهم ما يقرأ، استغرق في النوم إثر حادثة غريبة، ولم ينتبه إلا بعد عدة أيام، خرج من سباته منهوك القوى البدنية، لكنه

(1) الكتاب : 287/1

(2) راجع في عدد شيوخه، وفي تفاصيل ترجمته المقدمة الهامة التي كتبها محمد محمود ولد محمد الأمين لتحقيقه ديوان المختار بن بونا.

حافظاً كل ما في أواح التلاميذ. تم انتقال إلى أحد شيوخ بنى ديمان، وأقام في خباء منفرد يستعير منه الكتاب لفترة قصيرة ثم يرده وقد استوعب ما فيه، وحينما غادره ظهر أمره، حتى أن أربعين من تلامذة هذا الشيخ صحبوه فنشأت محظرته المتميزة، التي يقول عنها أحد تلاميذه وهو العالمة حمرة عبد الجليل العلوي عنها :

حالات بدر لم يشبهها غيرها  
كنا مع البوني في عرصاتها  
والكاتبي والأشعرى وأشهب<sup>(1)</sup>  
فيها تجمَّع سيبويه وب يوسف  
ويخصه العالمة حمرة بقوله :

من سهل التسهيل بعد صعوبة  
وأغنى عن الشيخ السنوسى منطقاً  
فانت أبو عذر العويس الذى نبا  
ومن شخص التلخيص دراً منظماً  
وعُلِّم كلام من يرى تكلماً  
شباً كل فهم دونه وتتلماً<sup>(2)</sup>

ويقول عنه ابن الأمين في كتاب الوسيط أنه : طوق بعلمه كل عاطل، ووردت هيمُ الرجال زلآله فصدر منه كلهم وهو ناهل، لا يوجد عالم بعده إلا وله عليه الفضل الجليل، بما استفاد من مصنفاته وتلقى من مسنداته، ويكتفي أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه، وكفى الناس مشقات مُؤْنَة، وكانوا لا يتتجاوزون قبله ما في "الألفية" وشروحها، مع عدم معرفة الذي يمكن للطالب أن يخزن في ذهنه بها وما يكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك، حتى نظم لهم ما تخلَّف عن الألفية مما تضمنه التسهيل وألصق كل شذرة بما يناسبها، وضم إلى ذلك طرته المفيدة وأتى على كل مسألة بالشاهد من كلام العرب"<sup>(3)</sup>.

جمع هذا العالم الفذ بين التدريس والتأليف، كانت صفاته العلمية والاجتماعية تمثل النموذج الأمثل لشيخ المحظرة. كان بارعاً في اللغة والتوحيد، وأستاذًا في النحو، بدأ دراسته بتسهيل ابن مالك، وشروحه وجال يطلبها في كل مكان واشتهرت رحلاته في البلاد بحثاً عن شرح ابن الدمامي، ويعكي أنه مرة قدم على محظرته العلويين، وناشدهم إعارة هذا الكتاب في أبيات منها :

أتيتكم يا قضاة العلم والدين ولبس لي غرض غير الدمامي<sup>(4)</sup>

(1) الوسيط : 25.

(2) ديوان حمرة : 98.

(3) الوسيط : ص 97.

(4) راجع محمد محمود ولد محمد الأمين ديوان المختار بن بونا ص 31-39.

كما يُحكي أنه التقى بعالم شنقيطي آخر، وهو محنض بابه الدياني، وكانا يتدارسان "شرح التسهيل"، وذكر العلامة المختار بن بونا لمحنض بابه أنه لم يفهم بيته ورد في شواهد هذا الكتاب وهو قول الشاعر :

مشين كما اهتزت رماح سفهت      أعلیها "من" الرياح النواسم

وهو من الرياح النواسم. وانتبه محنض بابه إلى التصحيح في البيت، وصححه للعلامة المختار<sup>(1)</sup>.

وكانت في طبع ابن بونا حدة عَبَرَ عنها بقوله المشهور : أنا رجل شقاق لا رجل وفاق. ولذلك كانت حياته حافلة بالعلم وبالمشاكل، وعرفت خلافات حادة مع أعلام من معاصريه، كالشيخ سيدي المختار الكنتي، الذي خالقه في التصوف، خاصة لقول ابن بونا في "الوسيلة" :

وقطعنا بما به الولي      أخبر كفرًّا، عكسه النبي

كما اختلف خلافاً طويلاً مع قبيلة اليعقوبيين الذين استدعوه للتدريس وجرى بينه معهم كثير من المساجلات كان خصمه فيها تلميذه المجيدري بن حب الله ذو الشهرة الواسعة. والذي عارض علم الكلام والمنطق ودعا إلى الاقتصار على القرآن الكريم والحديث، بينما دافع المختار عن المنطق وعلم الكلام ، وكان في صف كل واحد منهما أنصاره من تلاميذه وبني عمه، فوق إلَى جانب المختار حرمه بن عبد الجليل والإمام بن ماناه، وإلى جانب المجيدري المامون بن محمد الصوفي ومولود بن أحمد الجواب.

وإليه يشير الشيخ المختار في قصيده التي يخاطب بها بني يعقوب :  
على رسلك أربع يا ابن حبَّل إنما      يقدم هذه الناس منا المقدما  
إلى أن يقول :

على أنه في النوم منه تعلمـا      إلى ولد الخطاط أهـدـى بـعـيـرهـ  
له يقظة كـيـمـا يـعـيـهـ وـيفـهـماـ  
ليـاليـ أـجـلـوـ ماـ عـلـىـ النـاسـ أـظـلـمـاـ  
بـدـرـيـ وـأـسـقـىـ بـارـدـيـ كـلـ أـهـيـمـاـ<sup>(2)</sup>

.281 (1) الوسيط :

.237 (2) الوسيط :

ولم تقتصر مشاكله على منازعة اليعقوبيين، بل إن تلامذته كانوا يشكون من كثرة  
تنقله وترحاله. وفي ذلك يقول بعضهم :  
 تلاميذه مأوى لنصب المدارس  
 على ظهر مفتول الذراعين عانس  
 يهدم جحر الضب في رأس مادس<sup>(1)</sup>  
 ولقد كان الشيخ لا يرى غضاضة في دوام تجواله، لأنه يرى أن مدرسته فوق متون  
 ركابه، وفي ذلك يقول عن قومه الجكتينين :  
 أجلُّ ذا العصر قدرًا دون أدنانا  
 ونحن ركب من الأشراف منتظم  
 قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة  
 بها نبين دين الله تبيانا<sup>(2)</sup>  
 وما جرى بينه وبين تلميذه العلامة حرمته قوله في شأن زرع وعده به، وطال  
 انتظاره :

ولكنما إنجاز ميعادك الفصل  
 فزرعك لم يشخص إلى لناظر  
 لك الفضل إن واعدت يا حرم والفصل  
 فأجابه حرمته بقوله :  
 هنيئاً لشيخي قوله فيَّ والفعل  
 وإنني أمرؤ في هنوة الشیخ إن هفا  
 فلاتك عنون الدهر يا شيخ إنه  
 لأبنائه في كل حادثة شكل<sup>(3)</sup>

### ب) محظرة ابن بونا وتلامذته :

جمع ابن بونا في محظرته المتميزة كل ما وجد من شروح كتب ابن مالك مثل شروح  
 ابن الدمامي، والمرادي وابن عقيل على التسهيل وشرح الأشموني. وما عليها من حواش  
 وتعاليق، وتصريح الأزهري على توضيح ابن هشام.

والتف حوله فريق من نبهاء الطلبة الذين كانوا له خير عنون على تحقيق مشروعه  
 النحوي. لقد درس على ابن بونا جمع غفير كان المتصدرون للتدريس منهم يُعدون  
 بالعشرات، وقد أحصى محقق ديوانه واحداً وعشرين شيئاً من هؤلاء الخريجين، منهم  
 المجيدري بن حب الله اليعقوبي (ت 1204هـ)، وسيدي عبد الله بن الفاضل الباركلي

(1) ديوان المختار بن بونا : 136.

(2) الوسيط : 282.

(3) ديوان المختار بن بونا : 142.

(ت 1209هـ)، وعبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي، ومحمد بن عيدو الجكنى، والمامون بن محمد الصوفى اليعقوبى (ت 1232هـ)، وغالي بن المختار فالبىوصادى (ت 1200هـ)، حرمه بن عبد الجليل العلوي (ت 1243هـ)، مولود بن أحمد الجواب اليعقوبى (1243هـ)، وبلا بن الفاضل الشقروى (ت 1274هـ)، واديجه الكليلى (ت 1274هـ)، وسيدي عبد الله بن احمد دام الحسنى (ت 1286هـ)، والمختار بن سيد احمد بن سيد الهايدى التمدى والهاشمى بن الأمين البدمسى، وفحف بن المختار المسومى<sup>(1)</sup>.

الذى ما زالت مدرسته قائمة إلى اليوم هو الذى يقول فيه ابن بونا :

حلفت برب الراقصات إلى منى      لقد فاق هذا العصر كلهم فحف  
لقد فاقهم علمًاً ودينًاً درايَةً      وزاد على ذا أنه لم يكن "يحفو"<sup>(2)</sup>

ومن الجدير بالذكر أن حفيده الحاج ابن فحف من أعلام العلماء المعاصرين وهو من شرح الألفية شرحاً سماه تنوير الموالك في شرح ألفية ابن مالك.

ومن بين المشايخ الذين درسوا عند ابن بونا سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي، الذي اشتهر علمه وصلاحه. والذى أنشأ في تكانت مدرسة ذات صيت شائع، فتخرج منها عشرات العلماء، فمنهم العلامة عبد الله بن سيدي محمود الحاجى، وسيدي محمد بن طحيب، وعبد المالك بن عمر العلوي، وعمر الجكنى، ومحمد ابات، وأحمد بن محمد شيخ والعلامة محمد الأمين بن احمد زيدان، والأمين بن سيد أحمد، والطيب بن محمد الحاج وقد أسس هذا الأخير محظرة خاصة.

ومن بين تلامذة ابن بونا اثنان قاما بدور قيادى في تدريس النحو، هما : العالمة حرمة بن عبد الجليل العلوي الذي يعزى إليه قوله إنه لو أخذ ما نظم من احمرار ابن بونا لم يبق له ما يسمى عليه. والعالم الثانى هو بلا بن الفاضل الشقروى الحسنى.

غير أن إسهام هؤلاء التلاميذ لا ينقص شيئاً من مقدار العمل الذي قام به "المعلم الثاني" رئيس المحظرة الشيخ المختارين بونا، يشهد بذلك ما تركه من آثار.

#### ج) مصنفاته :

وقد ترك ابن بونا عدة مؤلفات، منها "مقدمة في النحو"، و"سلم الطالبين إلى قواعد النحوين" و"نظم الجمل" و"تبصرة الأذهان" في البلاغة و"تحفة المحقق" في المنطق، و"مبلغ المأمول إلى قواعد الأصول"، و"درر الأصول" كذلك، و"وسيلة السعادة" في

(1) ديوان المختار بن بونا : 120 (مع اختلاف في الرواية).

(2) ديوان المختار بن بونا : 43-46.

التوحيد، وهي أكثر من ألف بيت، وديوان شعر. غير أن أهم كتبه هو كتاب "الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصوصة".

لقد قسم ابن بونا إنجازه هذا إلى قسمين :

القسم الأول : التذليل المعروف بـ"الإحمرار" وفيه إضافات مساعدة تناولت جميع أبواب النحو في الخلاصة، مع زيادة فصول حذفها ابن مالك في "الخلاصة" مثل الموصول الحرفي، والتاريخ، والقسم، والهجاء، ومخاجر الحروف وبعض التصريف، مثل الإلحاد والقلب نحو فيها نحو الإمام السيوطي ولو كان هذا الأخير جد في عدم تجاوز الألف بيت وفي هذا الأحمرار حافظ ابن بونا على استعمال "النظم" مراعاة لأصول الثقافة الشنقيطية، وزعمتهم للتوصيل إلى الحفظ عن طريق "الأنظام".

وقد سبق أن رأينا أن خلاصة ابن مالك، اشتملت على جل مهمات النحو، وقربت أصاصيه بأسلوبها الموجز، وبساطة البذل بوعدها المنجز. فصارت عمدة الطلبة في شنقيط ومحور المعارف النحوية، وموضوع المقررات الدراسية، ومنطلق الأبحاث التخصصية، فبلغت شروحها، والحوالشي والطرر والتعليقات عليها أعداداً يصعب حصرها. وجاءوا التعامل معها، شيوخ العلماء ونوادي الطلاب، فامتزجت بشقاقة جمهور الشعب وعوامه. وإذا كان لجمال الدين بن مالك، الذي يسميه الأستاذ يحيظي بن عبد الوود "إمام الملة"، الفضل الأول في انتقاء عمل تربوي بديع، استهوى به أفتدة الدارسين، فإن الفضل الأخير يعود إلى "المعلم الثاني" بعده المختار بن بونا في فرض "منظومة" مدرسة ابن مالك على جميع طبقات النحوين في شنقيط.

لم يكن العمل الذي قام به ابن بونا هيئاً في إنجازه، ولا سهلاً في استيعابه. فهو لم يدع الناس ليأخذوا من ألفية ابن مالك ما يستطعون. ولكنه أعاد في كتابه الجامع بناء أسس مدرسة ابن مالك. فرد إلى الخلاصة ما استبعدها من أقوال "إمام الملة" في الكافية والتسهيل، وضغط بعنف شديد على شراح كتب المدرسة، وما لهم من تتبيله، وتأويله وتفسيره.

وبالإضافة إلى "التسهيل" - المصدر الأساسي للطريقة والإحمرار، كان ابن بونا يقتبس من الكافية، ومن أمثلة ذلك قوله في إعمال المصدر :

وأهم المحدود والمؤخر مصغرًا منحذفًا والممضى  
وما يتتابع والاجنبي فصل  
وهو في الكافية :

وأهم المضمر والمحدود  
ورب مجموع محدود عمل  
 وبالسماع لا القياس قد نقل

وفي هذا الباب أيضاً يقول ابن بونا :

فلك في التابع أن تقولا  
كحب ذي الحسنة قد أودى به  
إذا اكتفى بجره المفعولا  
بجره ورفعه ونصبه  
وفي الكافية :

فاعله كقصد راحة الدلف  
والرفع إن جاءك فاعذر قائله  
إن لمفعول أضيف وحذف  
فاجر أو انصب تابع المضاف له

أما القسم الثاني : فهو المعروف بـ "الطرة" ، وهي عبارة عن مجموعة من  
الحواشي، وُضعت في جمل مختصرة، تتكرر فيها مصطلحات تشير إلى مواضع الإطلاق  
والتقيد، ومحال الرفق والخلاف. وبين الاستعمالات الشاذة، والنادرة والمؤولة،  
شواهدها.

وهذه الطرة يمكن أن شبها بعقبات الحاجز التي توضع عن قصد في  
مصادين السباق، واجتيازها يستدعي تمرسا في مقاصد النحاة، وترنا على البحث  
في تدليل صعوباتها. وإنيرى علماء الشناقة في فتح أقفال هذه الطرة، وكان من  
أول من تصدى لها العلامة عبد الوودود بن عبد الله الحيبلاوي، في كتابه المشهور  
المعروف بـ "روض الحررون من طرة ابن بون" ، ففك رموزها، وترجم طlasمهما فكل ما  
قال "ابن بون" "مطلقاً" ، أو "على الأصح" أو نحو ذلك. جاء عبد الوودود، وبين مقتضى  
الإطلاق، ومقابل الأصح والتخيير وأطراف الخلاف في الحكم النحوية.

بيد أن هذا لم يكن كافياً، لمعالجة مشاكل الطرة عند الدارسين فتوالت عليها  
الحواشي، والتعليقات، والتقيدات نثراً ونظمًا؛ فجاءت سلسليات يفسر بعضها بعضاً،  
دون أن تصل في الآخر إلى المتن النهائي، لكثر استعمال رموز وإحالات تحتاج بدورها إلى  
تعليق وتفسير.

ونزيد هنا أن نورد نموذجين يدلان على ما قدمنا من حرص ابن بونا على استيعاب  
أقوال ابن مالك، حتى أدى به ذلك إلى إيراد مسائل قد لا يوجد لها شاهد في كلام العرب  
وفرض أخرى ربما لا يُحتاج لها :

أولاً : لقد أورد من أسماء الأصوات لزجر الحيوان نحوه من خمسين اسم صوت،  
قال عنها إن كلها مصحح ومدروس بينما لم ترد شواهد الاستعمال إلا  
نحو عشرة منها.

ثانياً : و في باب التسمية بلفظ كائن ما كان، تابع ما أورده بعض النحاة من تقديرات بعيدة عن الاستعمال العادي. فمن ذلك قوله :

وَكُلُّ حِرْفٍ بِتَضْعِيفِكَ مَا      مَجَانِسًا تَحْرِيكَهُ قَدْ عَلِمَ  
وَإِنْ يَكُنْ مِنْ كَلْمَةٍ فَكَمَلَ      عَيْنًا بِفَا، وَفَا بِعَيْنٍ وَاجْعَلَ  
لَامًا مَكْمَلًا بِواحْدَدِ الْخَ

وهو يعني أنك إذا سميت شخصاً ببناء المتكلم من قوله قمت : تقول "ثُو" وإن سميته بـ "ق" أو "ت" من الكلمة قتل، قلت "قت" ولا يخفى ما في هذه التقديرات من التكليف والبعد. وسنسوق من هذا الباب مزدجاً من جهود النحاة الشناقة في إكمال وتوضيح بعض أبواب الطرة، وهو مأخوذ من كتاب تسجيل التكرار بشرح الإحرamar لابن أخيña العلامة محمد فال بن عبد الله بن اباه.

مع أن بعض الأبواب المزددة على الخلاصة، كانت مفيدة مثل باب تتميم الكلام، التي أورد فيها أدوات الاستفتاح والاستفهام، ومعاني "قد" الحرفية، أو أحرف الجواب، ومعنى "كلا".

وخلال القول أن جامع المختار أصبح في بلاد شنقيط كلها المرجع الأساسي في التدريس، والمطلق المعتمد في البحوث التحوية، فصارت كل الدراسات تدور حوله، تفسر غواصات الفاظه، وتبين دقائق معانيه، وتخصص عمومه، تقيد إطلاقه : وتشرح شواهده من الحديث والشعر، حتى نشأ عن هذه الحركة مجموعة من المصنفات تفرعت كلها من بحر الجامع البوسي، بدأت بروض الحرون، ووصلت إلى حواشي أستاذ الأستاذ العلامة يحظيه بن عبد الرود.

وقد صور لنا سيدى عبد الله بن انبوجه ما وصل إليه الجامع من انتشار وأهمية منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقال إن والده سيدى محمد قد درس "الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة"، المعروف الآن بـ "طرة بن بونا" الذي عكف عليه الطلبة في هذه الأزمنة واشتغلت به الفكر والأفهام، وصار الناس فيه ما بين شارح و مختصر و مقتصر و مبين لنكته، وما بين مشتغل به حفظاً و تدريساً<sup>(1)</sup>. وهذا هو نموذج من أبوابها المذكورة آنفاً.

(1) ضالة الأديب (مخظوظة).

## د) نموذج من شرح الاحماد في الأبواب المزيدة :

باب "التسمية بلفظة كائن ما كان" :

وجعل بعضهم ما هنا مصدرية، قال الفارسي "ما في قوله لأضربيه كائناً ما كان مصدرية، و"كان" صلتها وهي مرفوعة بكائن وكلاهما على التمام، والتقدير كائناً كونه، وقيل كلاهما على النقص وما موصولة استعملت لمن يعقل في المثال كما استعملت له في "لاسيما زيد" وفي كان ضمير هو اسمها وما خبرها أي كان هو الذي كان هو إياه، ويجوز كون ما "نكرة" موصوفة بكان وهي تامة وما خبرها كان والتقدير لأضربيه كائناً شيئاً ما كان أي شيئاً وجد، والمعنى لأضربيه كائناً بصفة الوجود مطلقاً من غير نظر إلى حال، دون حال ولعل هذا أولى من المذكورين فيه أو من المساعد أي من غير تفريق بين كون اللفظ مفرداً أو مركباً أو جزءاً :

(ص) "لما به سمي مما صحبه إعمالاً أو اتباعاً أو ما ركبها" "ما قبلها كان له".

(ش) "لما به سمي" من لفظ يتضمن إسناداً نحو برق نحره، وتأبطة شراً، أو زيداً أو عملاً وهذا عام بعد خاص إذ كل متضمن إسناداً متضمن عملاً، ويشمل الرفع نحو قائم أبوه، والنصب نحو ضارب أبيه، والجر نحو غلام زيد، فكل هذه يجري الأول فيها بحسب العوامل على ما كان عليه قبل التسمية وبقى الثاني على ما كان عليه قبل التسمية، ولما كان العمل أعم من الإسناد استغنى الناظم عن ذكر الإسناد قبل العمل لا كما فعل في التسهيل أو "اتبعاً"، نحو زيد قائم، وزيد وعمرو، فتسمى بالموصوف وصفته، والمعطوف والمعطوف عليه، فيكون الأول بحسب العوامل والثاني تابع له، أو سمي بمركب من حرفين نحو إنما وليتها، أو حرف باسم نحو يا زيد وأنت فإنه مركب من أن وهي اسم، وتاء الخطاب وهي حرف، أو حرف وفعل نحو أضربيوا في لغة أكلوني البراغيث، فلما سمي به من هذه الأشياء ما كان له قبل التسمية، يعني أنه يثبت لما سمي به من الأمور المتقدمة ما ثبت له قبل التسمية المتضمن لتركيب شأنه الحكاية والتضمن للعمل يعرب وكذلك الإتباع.

(ص) ... ولم يضف : ولم يصغره واحد ما انعطف.

يعني أنه لا يضاف ولا يصغر ما سمي به من الأشياء المتقدمة، لأنه إما جملة أو شبهها، والجملة لا تصح إضافتها ولا تصغيرها، وكذا ما شبه بها، وكذا كل شيء ولا يجمع، ويحكي المعطوف بحرف دون متبع نحو فريد ثم عمرو فإن نقل من رفع أو نصب أو جر حكي بحاله، لأنه لا متبع له فيتبعه، ويعرب ما سوى ذلك نحو زيد وإن وقام

ويقوم وقム مجردات من الضمائر فإن كان مثنى أو مجموعاً على حده أي جمع سلامة بالواو والنون أو الياء والنون أو جاريا مجرى أحدهما مطلقاً كاثنين فيما هو جار مجرى المثنى، وعشرين فيما هو جار مجرى المجموع على هذه مطلقاً، أي عن غير تقيد بحالة احتزز بذلك من كلامنا إلا في حال إضافتها إلى الضمير فقط، ما كان له قبل التسمية فيعرب المثنى وما جراه مجرى بالألف رفعاً والياء نصباً وجراً ويعرّب المجموع على حده، وما جرى مجراه بالواو رفعاً والياء نصباً وجراً أو جعل المثنى وموافقه كعمران ويعرّب على النون إعراب ما لا ينصرف إلا مثل "ذان" مسمى به لأن الف "ذان" وإن كانت زائدة عاقتـبـ ألف ذـاـ التي هي عين فجرتـ مجرـى الأصلـ والمجموعـ وموافقـهـ كـغـسلـينـ فيلزمـ اليـاءـ لأنـهـ ليسـ فيـ العـرـبـةـ اسمـ مـفـرـدـ آخرـ نـونـ زـائـدةـ بـعـدـ واـوـ،ـ وأـمـاـ زـيـتونـ فـنـونـهاـ أـصـلـيـةـ :

(ص) وأجر حاميم كهابيل ولو ونحوه تضعيـفـ ثـانـيـهـ روـواـ

(ش) يعني أنه يجري في نحو حاميم وطاسين وباسين مجرى هابيل فيعرب وينعـ منـ الـ صـرـ للـ عـلـمـيـةـ وـشـبـهـ الـعـجمـةـ قالـ :

يذكرني حاميم والرمـعـ شـاجرـ فـهـلاـ تـلاـ حـامـيمـ قـبـلـ التـقـدـمـ

وـالـعـنـيـ بـهـذاـ مـحـمـدـ بـنـ طـلـحةـ وـكـانـ أـمـرـهـ أـبـوـهـ بـالـتـقـدـمـ لـلـقـتـالـ يـوـمـ الـجـمـلـ فـنـتـرـ دـرـعـهـ بـيـنـ رـجـلـيـهـ وـكـانـ كـلـمـاـ حـمـلـ عـلـيـهـ رـجـلـ قـالـ نـشـدـتـكـ بـحـامـيمـ حـتـىـ حـمـلـ عـلـيـهـ العـبـسـيـ فـقـتـلـهـ فـأـنـثـاـ يـقـولـ :

قليل الأذى فيما ترى العين مسلم	وأشـعـثـ قـوـامـ بـآـيـاتـ رـبـهـ
فخر صريعاً لليدين وللفم	شكـكـتـ لـهـ بـالـرـمـعـ جـبـ قـمـصـهـ
عليـاـًـ وـمـنـ لـاـ يـتـبـعـ الحـقـ يـظـلـمـ	عـلـىـ غـيـرـ شـيـءـ غـيـرـ أـنـ لـيـسـ تـابـعـاـ
	يـذـكـرـنـيـ ...ـ الـبـيـتـ .

فلما رأه على استرجـعـ وقالـ : إنـ كـانـ لـشـابـ صـالـحـاـ ثمـ قـدـ كـثـيـباـ.

وـإـنـ كـانـ مـاـ سـمـيـ بـهـ عـلـىـ حـرـفـينـ ضـعـفـ ثـانـيـهـماـ إـنـ كـانـ حـرـفـ لـينـ،ـ فـلـوـ سـمـيـ بـلـوـ أـوـ "ـفـيـ"ـ أـوـ "ـلـاـ"ـ قـلـتـ قـامـ لـوـ وـفـيـ لـاـ،ـ وـإـنـاـ ضـعـفـ لـأـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ اـسـمـ مـعـربـ آـخـرـ لـينـ مـحـركـ،ـ وـيـجـبـ قـلـبـ الـأـلـفـ الـتـيـ زـيـدـتـ فـيـ لـاـ هـمـزةـ،ـ وـمـنـ الـعـرـبـ مـنـ يـهـمـزـ الـذـكـرـ فـيـقـولـ لـئـوـ،ـ وـإـنـ كـانـ ثـانـيـهـماـ لـيـسـ بـلـينـ،ـ نـحـوـ "ـمـنـ وـقـدـ"ـ جـعـلـ الإـعـرـابـ فـيـ آـخـرـ بـلـاـ تـضـعـيفـ :

(ص) وـكـمـلـ حـرـفـاـ بـتـضـعـيفـكـ ماـ مجـانـسـاـ تـحـرـيـكـهـ قـدـ عـلـمـاـ

(ش) وإن كان ما سمي به حرفًا واحدًا كمل بتضعيف مجاز حركته، إن كان متحركًا، كما إذا سميت بتاء المتكلّم من قوله قمت فيقال تو وبالكاف من أكرمك بفتح الكاف، فيقال كاء بـألف ممدودة وبالكاف من أكرمتك بكسر الكاف فيقال كي.

(ص) وإن يكن من الكلمة فكمel عيناً بـفـا وـفـا بـعـين وـاجـعـل

لاماً مـكـمـلاً بـواـحـد ....

(ش) يعني أنه إن كان الحرف الواحد المسمى به بعض الكلمة، وهو ساكن فكمله بالحرف الذي قبله على رأي، فتقول في التسمية بتاء من قتل قت وبهمزة الوصل على رأي سيبويه، فتقول في التسمية بتاء الساكنة من قتل مثلاً إـتـ، واستشكل بأن الحرف الأخير يتحرّك بحركات الإعراب فكيف تبقى همزة الوصل مع ذلك ولا يقال الحركة عارضة لأنـا نقول معنى عروضها أنها حدثت بعد أن لم تكن وإن شئت لم تات بها، والإعراب لازمـ لـابـدـ منهـ، ولوـ كانـ الحـرـفـ السـاـكـنـ كـلـمـةـ مـسـتـقـلـةـ نحوـ تـاءـ قـامـتـ جـلـبـ لهـ هـمـزـةـ الوـصـلـ لاـ غـيرـ، وكـذـاـ التـنـوـينـ، وـنـونـ التـوـكـيدـ الخـفـيـفـةـ وـنـحوـ ذـلـكـ، وإنـ كانـ الحـرـفـ الواـحـدـ المـسـمـىـ بهـ متـحـرـكـاـ وجـبـ تـكـمـيلـهـ اـتـفـاقـاـ بـالـقاـءـ إنـ كانـ عـيـناـ فـإـنـ سـمـيـتـ بـالـقـافـ مـنـ قـتـلـ فـتـقـولـ قـتـ أـيـضاـ، وـيـكـمـلـ بـأـحـدـهـماـ إـنـ كانـ لـامـ فـإـذاـ سـمـيـتـ بـالـلـامـ مـنـ قـتـلـ فـلـكـ أـنـ تـقـولـ قـلـ أوـ تـلـ وـلـاـ يـكـمـلـ بـالـتـضـعـيـفـ الـمـسـتـعـمـلـ فـيـمـاـ لـيـسـ بـعـضـاـ خـلـاـفـاـ لـسـيـبـوـيـهـ وـالـخـلـلـ فـعـنـدـهـماـ إـذـاـ سـمـيـتـ بـالـقـافـ الـمـضـمـوـمـةـ مـنـ قـتـلـ تـقـولـ قـوـ وـبـالـقـافـ الـمـفـتوـحـةـ قـاـ وـبـالـقـافـ الـمـكـسـوـرـةـ مـنـ قـتـالـ قـيـ.

(ص) "... وإن حذفت من فعل فجيئه زـكـنـ".

(ش) يعني أنه يجبر الفعل المحذوف آخره أو ما قبل آخره، والمحذوف الفاء واللام أو العين واللام بـردـ المحذوفـ عندـ التـسـمـيـةـ بـهـ، مـثـالـ الأـلـفـ وـهـوـ ماـ إـذـاـ كـانـ الفـعـلـ مـحـذـوـفـ الآـخـرـ نـحـوـ يـرـمـ منـ قـولـكـ ياـ يـرـمـ فـتـرـدـ إـلـيـهـ ماـ حـذـفـ مـنـهـ، وـقـنـعـهـ مـنـ الـصـرـفـ، فـتـقـولـ هـذـاـ يـرـمـيـ وـمـسـرـتـ بـيـرـمـيـ وـالـتـنـوـينـ فـيـهـ لـلـعـوـضـ نـحـوـ جـوـارـ وـتـقـولـ رـأـيـتـ بـيـرـمـيـ كـمـاـ تـقـولـ رـأـيـتـ جـوـارـيـ وـمـثـلـهـ يـغـزـوـ إـلـاـ أـنـ هـذـاـ تـقـلـبـ فـيـهـ الـوـاـوـ يـاءـ لـمـ ثـبـتـ أـنـ الـأـسـمـاءـ الـمـتـمـكـنـةـ لـيـسـ فـيـهـ ماـ آخـرـهـ وـأـوـ قـبـلـهـ ضـمـةـ، فـتـقـلـبـ هـذـهـ الـوـاـوـ يـاءـ وـيـكـسـرـ ماـ قـبـلـهـ. وـأـمـاـ "ـيـخـشـيـ"ـ عـلـمـاـ فـتـرـدـ إـلـيـهـ الـأـلـفـ فـتـقـولـ يـخـشـيـ بـالـأـلـفـ غـيرـ مـنـونـةـ فـيـ الـأـحـوـالـ كـلـهـاـ كـعـذـارـيـ وـمـدـارـيـ وـمـثـالـ الـمـحـذـوـفـ مـاـ قـبـلـ آخـرـهـ وـهـوـ لـيـنـ كـيـقـلـ وـبـعـ وـيـخـفـ فـتـكـمـلـ لـزـوـالـ الـمـقـضـيـ للـحـذـفـ وـهـوـ التـقـاءـ السـاـكـنـيـ أـوـ الـفـاءـ وـالـلامـ كـبـيـعـ وـالـعـيـنـ كـيـدـ فـيـكـمـلـ الـجـمـيـعـ بـرـدـ الـمـحـذـوـفـ مـنـهـ عـنـ التـسـمـيـةـ بـهـ :

(ص) وـهـمـزـةـ الـوـصـلـ مـنـ الـفـعـلـ اـقـطـعـ وـاجـعـلـ كـمـنـ زـيـدـ كـعـدـ الـأـلـمـ

(ش) يعني أن همزة الوصل تقطع إن كان ما سمي به فعلا نحو انطلاق لأنه صار اسمًا، وما جاء من الأسماء بهمزة الوصل قليل لا يقاس عليه، واحتزز من الاسم كانطلاق مسمى به فلا تقطع همزته، وقال ابن الطراوة يقطع لأن همزة الوصل إنما كانت فيه حين كان جاريًّا على الفعل وقد خرج عن ذلك بالعلمية، قاله في المساعد. واجعل كمن زيد الخ يعني أنك إذا سميت بحرف جر و مجروره والجاري على أكثر من حرف نحو من وعلى وحتى وكذا ما أشبه الحرف كأن يسمى بعن الأسمية فإنها شبيهة بعن الحرافية فلك وجهاً، أحدهما وهو الأجد أن تضيفه إلى مجروره معاملاته بما تعامله به لو كان مستقلًا بالتسمية، وتعريره كما تعرّب المضاف في عبد الأربعين وغلام زيد فتقول جاء من زيد بضم النون مخففة وعلى هذا الوجه اقتصر سيبويه، واستثنى الجمهور من ذلك ما كان ثانية حرف علة نحو في زيد ولم يجيزوا فيه هذا، وعيينا فيه الوجه الثاني وهو الحكاية خلافاً للمبرد والزجاج القائلين بجواز إعراضهما على الوجه الأول وهو إعراب التضاديين، والوجه الثاني لحكاية فتاتي بالحرف و مجروره على الحالة التي كان عليها قبل التسمية :

(ص) وفو فما ذو ذوا يصير      وقييل ذو ذوا وهذا أشهر

(ش) هذا البيت استثناء مما كان قدّمه من أنه إذا سمى ثانية حرف لين فإنه يضعف، وحاصله أن يجعله فو عند التسمية به فما وكان القیاس أن يرد فو إلى أصله وهو فوه لقولهم أفواه لأن العرب حكموا في الإفراد بغير ذلك وهو أن يبدل من عينه ميم فاتبعناهم فيما فعلوه قاله الدمامي، قال في المساعد وذلك لأن العرب حين أفردته قالت كذلك ولو لا هذا كان يرد إلى أصله وهو فهو جمعه على أفواه، وفي ذو عند التسمية به مذهبان فسيبويه يرى أن ذو من باب طوب فإذا سمى به قلت ذوي كفتى والخليل يرى إنه من باب قوة فإذا سميت به قلت ذو بتشدد الواو مثل جواه ونص كلام التسهيل ويجعل فوفها ذو المغرب ذو أو ذوا وأخواه أي ذا وذى ذوى أو ذوا وقوله العرب احتزز به من ذو الطائية في اللغة الفصحي فلو سميت بها لضعفها كما تضعف لو ما تقدم آنفاً عند قول الناظم : " ولو ونحوه تضييف ثانية رروا ".

(ص) وحذف هـ السكت وأدغمـنـ ما      فـكـ لـجـزـمـ أو لـوقـفـ ما عـلـمـا

(ش) يعني أنك إذا سميت بارمه حذفت هـ السكتـ ما يعني فيه وردـتـ اليـاءـ كما تقدم عند قوله وهـمـزةـ الوصلـ منـ الفـعـلـ اـقطـعـ الخـ وأـعـلـتـ إـعـلـالـ جـوارـ وـيـدـغـمـ المـفـكـوكـ للـجـزـمـ، وـلـلـوقـفـ فـلـوـ سـمـيـتـ بـالـفـعـلـ المـجـزـوـمـ منـ قـولـكـ لمـ يـرـدـ قـلتـ جـاءـ يـرـدـ وـرـأـيـتـ يـرـدـ وـمـرـرـتـ بـيـرـدـ غـيـرـ مـصـرـوـفـ وإنـ سـمـيـتـ بـفـعـلـ الـأـمـرـ منـ قـولـكـ أـرـدـدـ قـلتـ جـاءـ رـدـ وـرـأـيـتـ رـدـ وـمـرـرـتـ بـرـدـ مـصـرـوـفـاـ وـحـذـفـتـ هـمـزـتـهـ لـعـدـمـ الـحـاجـةـ إـلـيـهاـ لـتـحـركـ الـأـوـلـ عـنـ الـإـدـغـامـ :

(ص) وأـسـلـمـتـ وـأـسـلـمـواـ وـيـسـلـمـانـ      الـحـقـ بـمـسـلـمـةـ أـوـ بـمـسـلـمـانـ

(ش) يعني أنك إذا سميت بنحو أسلمت ما لحقته تاء التأنيث الساكنة ولم يكن محتملاً لضمير فإنك تلحقه لسلمة فيمنع من الصرف فتقول قام أسلمت ورأيت أسلمت ومررت بأسلمت وتبدل تاءه هاء في الوقف، وإذا سميت بأسلماً وسلامان ما اتصل به علامة الاثنين على لغة أكلوني البراغيث "ويعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار" فمن جعل تلك الحروف علامة ثنائية الفاعل أو جمعه فهي عندهم حروف لا أسماءً فعلى هذه اللغة تلحق ما سميت به من نحو أسلماً وسلامان بالثنى وتعريه إعرابه، فتقول جاءَ أسلمان وسلامان ورأيت أسلمين وسلامين ومررت بأسلمين وسلامين، وكذا الحكم فيما سمي من أسلموا وسلامون فتلحقه بجمع المذكر السالم تقول جاءَ أسلمون وسلامون ومررت بأسلمين وسلامين ورأيت أسلمين وسلامين.

وكان هذا استثناءً مما كنا قدمنا أن ما سمي به من حرف و فعل لا يتغير بما كان له قبل التسمية :

(ص) وكفعلن اعرب ولن ينصرفاً      هذا إذا جعلت هذه أحرفًا

(ش) يعني أن ما كان كفعلن ويفعلن في لغة أكلوني البراغيث معرب غير منصرف للعلمية وشبه العجمة إذ لا يوجد في الأسماء العربية ما آخره، نون النسوة أو للتأنيث اللغطي كفاظمة، قال الدمامي في قلت النون لتأنيث الجمع فلا ينبغي أن تعتبر في منع الصرف، قلت قد اعتبرت تاء عرفات في لغة من قال مررت بعرفات وهي لتأنيث الجمع وأذرعات في لغة من منع الصرف قوله إذا جعلت هذه أحرفًا أي في لغة أكلوني البراغيث وهو قيد راجع للجميع وإن جعلت ضمائرها فحكمها الحكاية كما تقدم :

(ص) وإن دعوا مذكراً ببنت أو      أخت فصرفه ومنعه رروا

(ش) يعني أنه إن سميت مذكراً ببنت أو أخت فصرفه مروي عن الأكثر لأن ما قبل التاء ساكن صحيح ولأن التاء التي في آخره يوقف عليها بالباء، فلهذا قال سيبويه والأكثرون بالصرف وهذا بناءً منهم على أن التاء فيهما للإلحاق بجذع كتاء عفريت لا للتأنيث وقيل يمنع من الصرف للتأنيث والعلمية :

(ص) ورد هنـتا وما ذـكر      من اسم حـرف فهو مـوقـفـاً يـقرـ

(ش) يعني أن هنـتا إذا سـميـ به وجـبـ تحـريكـ وـسـطـهـ، وـتـقـلـبـ تـاءـهـ فيـ الـوقـتـ هـاءـ ومنـعـ منـ الـصـرـفـ وـالـفـرـقـ بـيـنـهـماـ وـبـيـنـ بـنـتـ وأـخـتـ أـنـ هـنـتاـ إـذـ وـقـفـ عـلـيـهـ حـرـكـتـ نـونـهاـ وأـبـدـلـتـ التـاءـ هـاءـ فيـ الـوقـتـ بـخـلـافـ أـخـتـ وـبـنـتـ وـمـاـ ذـكـرـ منـ اـسـمـ حـرـفـ غـيـرـ مـصـاحـبـ للـعـاـمـلـ فـهـوـ مـوـقـفـ عـلـيـهـ كـمـاـ يـوـقـفـ غـيـرـهـ مـنـ نـحـوـ زـيـدـ وـعـمـرـوـ قـبـلـ التـرـكـيـبـ لـأـنـ الإـعـارـابـ إـنـاـ يـسـتـحـقـهـ بـعـدـ التـرـكـيـبـ فـإـنـ صـحـبـ عـاـمـلـاـ اـخـتـيـرـ فـيـهـ جـرـيـهـ مـجـرـيـهـ مـسـمـيـ بهـ فـتـقـولـ

كُتِبَتْ باءٌ وَتاءٌ وَقَدْ يُقالُ هَذَا باءٌ وَتاءٌ وَثَا فَلَا يَدْبَلُ يَعْرُبُ مَقْصُورًا وَهَذَا شَادٌ لَأَنَّهُ صَارَتْ اسْمًا فَيُنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَجْرِيَ مَوَازِنِهَا كَمَا سَبَقَ :

(ص) وال فعل غير مسند بعض حكى كفاف بل ذا سيبويه حركا

(ش) هَذَا تَتْمِيم لِقُولِهِ فِي صَدِ الْبَابِ وَيَعْرُبُ مَا سُوِّيَ ذَلِكَ وَمِنْهُ الْمُفْرِدُ الْمُبْنِيُّ  
وَالْفَعْلُ غَيْرُ الْمُسَنَدِ وَهَذَا قَدْ يَحْكِيَانِ مَعْ جَوَازِ الإِعْرَابِ أَمَّا الْفَعْلُ غَيْرُ الْمُسَنَدِ فَكَقُولُ  
سَحِيمِ الْبَرْوَاعِيِّ :

أَنَا إِبْنُ جَلَا وَطَلَاعَ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعُ الْعَامَةَ تَعْرُفُونِي

فَإِنْ جَلَا قَدْ جَعَلَ اسْمًا لَأَبِيهِ وَلَا ضَمِيرَ فِيهِ وَلَمْ يَعْرُبْ إِنَّمَا قَالَ "بَعْضٌ" لَأَنَّهُ قَيْلَ إِنَّهُ  
باقٌ عَلَى فَعْلِيَّتِهِ وَإِنْ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتَرٌ فِيهِ وَالْجَمْلَةُ صَفَةٌ لِمَحْذُوفٍ أَيْ أَنَا إِبْنُ رَجُلِ جَلَا  
وَقَيْلَ سَمِيَّ بِهِ وَالضَّمِيرُ وَالْمُسْتَتَرُ فِيهِ فَهُوَ جَمْلَةٌ مَحْكِيَّةٌ، وَقَالَ عِيسَىٰ هُوَ مُفْرِدٌ كَمَا قَدَمْنَا،  
وَلَكِنَّهُ مَنْعُومٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْوَزْنِ وَالْعُلُمَيَّةِ. وَقَدْ يَحْكِيَ الْمُفْرِدُ الْمُبْنِيُّ مَسْمِيًّا بِهِ كَصَادٍ وَقَافٍ  
إِذَا جَعَلْتَ اسْمَاءَ لِلسُّورِ فَإِنَّ التَّقْدِيرَ هَذِهِ صَادٌ وَهَذِهِ قَافٌ، تَحْكِيُ الْلَّفْظُ مَعَ أَنَّهُ مَسْمِيٌّ بِهِ  
وَقَدْ صَحَبَ عَامِلًا، وَاسْتَشَكَّلَ بِأَنَّ هَذِهِ الْاسْمَاءِ لَيْسَتْ مَجْمِعًا عَلَى بَنَائِهَا بَلْ الرَّاجِعُ كُوْنُهَا  
مَعْرِيَّةً وَلَأَنَّهُمْ نَصَوا عَلَى أَنَّ مَا كَانَ مِنْ اسْمَاءَ السُّورِ ثَنَائِيًّا جَازَ فِيهِ الإِعْرَابُ وَالْحَكَائِيَّةُ،  
ذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْكَشَافِ وَقَالَهُ فِي الدَّمَامِيَّيِّ، قَالَ فِي الْمَسَاعِدِ وَسِيبُويَّهُ يَحْرُكُ عَلَى  
تَقْدِيرِ هَذِهِ صَادٍ أَوْ أَقْرَأً وَذَكَرَ سِيبُويَّهُ فِي قِرَاءَةِ صَادٍ وَقَافٍ بِالْفَتْحِ أَنَّهُمَا اسْمَانِ لِلسُّورَةِ  
لَكِنْ بَنِيَا عَلَى الْفَتْحِ لِكُوْنِهِمَا غَيْرَ مُتَمْكِنَيْنِ تَشَبِّهُبَا بِكَيْفِيَّتِهِمَا عَدْمِ تَمْكِنَهَا فِي بَابِ  
الْإِسْمِيَّةِ، قَوْلُهُ "حَرْكَا" حَرْكَةُ إِعْرَابٍ أَوْ بَنَاءٍ مِنْنَا أَوْ غَيْرِ مِنْنَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ السُّورَةُ أَمْ لَا  
تَنْبِيَهٌ.

وَيَنْزَعُ مِنَ الْأُولَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَكَذَا مِنَ الَّذِي وَالَّتِي وَاللَّاتِي وَاللَّاتِي وَيَجْعَلُ الْيَاءَ  
مِنْهُنْ حَرْفُ إِعْرَابٍ إِنْ ثَبَتَ قَبْلَ التَّسْمِيَّةِ، فَإِذَا سَمِيتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ نَزَعَتْ "أَلْ" لِأَنَّهَا زَانِدَةٌ  
بِدَلِيلِ زَوْلِهَا مَعَ بَقَاءِ الْمَوْصُولِيَّةِ فِي قِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ صَرَاطَ لَذِينَ، وَقَيْلَ إِنْ جَعَلَ لِلتَّعْرِيفِ  
أَزْيَلَتْ وَلَا أَبْقَيَتْ وَتَجْعَلُ الْيَاءَ مِنْهُنْ حَرْفُ إِعْرَابٍ إِنْ ثَبَتَ قَبْلَ التَّسْمِيَّةِ، إِنَّمَا أَعْرَبَتْ  
لِزَوْلِ الْمُوجِبِ الْبَنَاءَ وَهُوَ شَبَهُ الْإِفْتَقَارِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْيَاءُ مَشَدَّدَةً أَعْرَبَ مَا هِيَ فِيهِ بِالْحَرْكَاتِ  
الظَّاهِرَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَخْفَفَةً أَعْرَبَ كَالْمَنْقُوشِ، فَنَقُولُ عَلَى الْأُولَى جَاءَنِي لِذِيٍّ وَرَأَيْتَ لِذِيٍّ  
وَسَرَرْتَ بِلَذِيٍّ، وَفِي الثَّانِي جَاءَنِي لِذِيٍّ وَرَأَيْتَ لِذِيٍّ وَسَرَرْتَ بِلَذِيٍّ، كَمَا تَفْعَلُ يَشْجُ وَإِنْ لَمْ  
تَثْبِتِ الْيَاءُ قَبْلَ التَّسْمِيَّةِ فَمَا قَبْلَهَا يَجْعَلُ حَرْفُ إِعْرَابٍ وَيَكُونُ كَبَابٍ يَدْ وَدَمْ<sup>(١)</sup>.

(١) راجع المساعد، ج ٣ ص 45 وما بعدها.

وفي هذا الباب نجد مثالين اثنين أحدهما يبين كيف نظم ابن بونا جميع أحكام التسمية بلفظ كائنا ما كان من تسهيل ابن مالك، ولم يترك منها سوى حذف الألف واللام من الذي وشبهه في هذا الموضوع، والثاني يبين كيف لخص العلامة محمد قال بن عبد الله أقوال شراح التسهيل في هذا الباب، مع استكمال كافة أحكامه المعروفة.

## 5. ابن الحاج احتماء الله الغلاوي<sup>(1)</sup> :

ولقد كان من مشاهير تلاميذ ابن بونا الجكنى من شنقيط العلامة عبد الله بن الحاج احمد حمى الله القلاوى البكري وهو من أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح<sup>(2)</sup>.

درس القرآن والحديث على علماء قبيلته الأقلال : كما أخذ عن أخواه من أبناء بارك لله الشمشوين، مثل العلامة سيدى عبد الله بن الفاضل (ت 1209هـ) والبخاري بن مولود. وكان عمدته في النحو "العلم الثاني" المختار بن بونا<sup>(3)</sup> مع أنه بين أنه أفاد من مفید والده في النحو إذ ذكر في نظمه الريانى قوله :

يقول عبد الله بعد حمده مصليأً على الرسول عبده

دونك في الأعراب ريانياً أرجوه أن يوسط الذكيّا

ضمنته المفید والنقايم بالجذ منهما لذى البدايي

وفي شرحه يقول إن المفید تأليف أبيه، والنقاية تأليف السيوطي<sup>(4)</sup>.

لقد برع العلامة عبد الله بن الحاج أحمد في جميع العلوم الشرعية التي تناولها بالشرح والنظم. وله أرجوزة في متشابه القرآن، ونظم في إعراب منصوباته، وشرح نظم ابن بري في قراءة الإمام نافع، ونظم في اختصار ابن بري على ما به الأخذ وشرحه، وله تعليق على صحيح البخاري ونظم في المسلسلات. كما نظم مختصر الأخضرى في الفقه، ورسالة ابن أبي زيد القىروانى. ويقول في أول هذا النظم :

قال أبو محمد عبد الله لينظم النثر الذي جلا حلاه

(1) ترجمته : فتح الشكور : 170-173، تحقيق الريانى : 6.

(2) تحقيق الريانى في الأعراب : 7.

(3) تحقيق الريانى، فتح الشكور : 171.

(4) تحقيق الريانى : 17.

وفي هذا النظم تتجلّى براعته الأدبية، ومسحته الفكاهية، مع ماله من جدّ ورصانة  
ويصف نظمه هنا قائلاً :

أني وزآن ولست شاعرا  
فتأتارة يرقص من تذكيري  
طوراً أخو جدّ وطوراً عابث  
وابن نباتة وبالحريري

وما يبين ميله الأدبي، ونهجه اللغوي قوله في هذا النظم :  
ولم أكن جذيل هذا الفن      ولا عليّ لومه لأنّي  
شغلت بال نحو وبالبيان      وإن هذان لسحران<sup>(1)</sup>

ومن طريف ما يؤثر عن هذا العالم اعتناؤه الخاص بآثار الشاعر العلوي سيد  
عبد الله بن محم المعرف باين رازكة. فقد شرح ابن الحاج حماه الله ثلات قصائد من شعره  
وهي فائته في نعل النبي صلى الله عليه وسلم التي مطلعها :

غرام سقى قلبي مدامته صرفا      ولما يقم للعذل عدلاً ولا صرفا  
وحائته في مدح محمد ابن المولى اسماعيل التي أولها :  
دع العيس في البيداء تذرعها شطحا      وسمها بحور الآل تسجّها سبحا  
ومنها مرثيته لأحمد بن يوسف البوحسني التي استهلها بقوله :  
هو الأجل الموقوف لا يتخلّف      وليس يرد الفائت المتأسف

وشرح نظماً لابن رازكه في البلاغة لخص فيه مفتاح السكاكي، ويعرف بالسيديبة.  
وأهم ما كتب ابن الحاج حماه الله في النحو، شرحه للألفية، وشرحه للكافية،  
وتعليقه على الشواهد النحوية، ونظم جمع فيه كثيراً من أحكام المغني وقصيدة رملية في  
النحو، ومقدمة للمبتدئين سماها "الاستعانة"، وأرجوزة مشهورة تسمى "الرياني في  
الإعراب"<sup>(2)</sup> قام بتحقيقها الأستاذ محمد الأمين بن عبدي، نذكر هنا ملخصاً عنها :

لقد رتب ابن الحاج أحمد بن احماء الله نظمه في الرياني ترتيباً قريباً من نهج ابن  
مالك في الألفية فبدأ بالكلام عن الكلام، والمعرب والمبني وعلامات الإعراب، والنكرة  
والمعرفة، والموصول، ثم انتقل إلى المرفوعات، كالمبتدأ ونواصخه، والفاعل ونائبه وانتقل  
إلى النصوصيات كالمفاعيل، والاستثناء والحال والتمييز، وختم النصوصيات بفروع الفعل في  
العمل أي إعمال المصدر واسم الفاعل واسم المفعول.

(1) تحقيق الرياني : 9-10.

(2) تحقيق الرياني : 12-14، فتح الشكور : 172.

ثم تحدث عن التوابع والنداء والعدد، وعقد فصلاً للقواعد العامة يعتبر من أهم ما في هذه الأرجوزة.

لقد كان الناظم في أرجوزة الريانبي يميل إلى الاختصار الشديد إذ أنه في بعضه لم يخصص لبعض الأبواب إلا بيتاً واحداً، فعن المفعول لأجله يقول :

وينصب المصدر مفعولاً له كصمت خوفاً، إذ أبان العله

وعن المفعول معه اكتفى بالبيت الأول من الألفية مع تحويل بسيط وهو قوله :  
ونصبوا بالواو مفعولاً معه في نحو سيري والطريق مسرعه  
وعن الظرف يقول :

والظرف وقت أو مكان انتصب كفوق أو تحت ومع والمنتصب<sup>(1)</sup>  
أما الفصل الذي خصصه للقواعد العامة فيقول فيه :

والفصل بالظرفين حيث حرمـا	يحوـز حذـف كل ما قد عـلـما
مـنـعـ إـجـمـاعـاـ وـيـانـعـكـ اـسـ	وـكـلـ ماـ يـوـقـعـ بـالـتـبـاسـ
حـتـمـاـ وـمـاـ قـيـدـ حـتـمـاـ يـظـهـرـ	وـكـلـ كـوـنـ مـطـلـقاـ يـسـتـتـرـ
وـافـصـلـهـ الـاـ مـصـدرـاـ فـكـالـصـلـهـ	وـعـامـلاـ صـرـفـ قـدـمـ عـلـمـهـ
وـكـمـ وـشـرـطـ أـوـلـ الـكـلامـ	لـمـاـ التـعـجـبـ وـالـاسـتـفـهـامـ
أـبـتـ أـمـاـ أـنـتـ يـاـ اللـهـمـاـ	وـعـوـضـ مـعـ المـعـاضـ ذـمـماـ
فـهـوـ عـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـ إـعـرـابـ	وـمـاـ بـهـ سـمـيـ منـ أـبـوابـ
كـساـكـنـ وـتـاءـ ذـيـ التـاءـ وـالـأـلـفـ	وـالـمـثـلـ إـنـ طـرـاـ عـلـىـ مـثـلـ حـذـفـ
وـبـلـصـريـ مـعـ تـقـدـيرـ شـأـنـ لـاـ يـحـجـعـ <sup>(2)</sup>	وـحـجـةـ التـحـوـيـ أـضـعـفـ الـحـجـجـ

ولقد جمع الناظم في هذه الأبيات نحواً من ثلث عشرة قاعدة، قال انه لم يسبق لترجمتها في التصانيف المتداولة. ولقد أبرز في شرحها جميع الجزئيات التي تندمج تحت كل قاعدة. كما توضحه الأمثلة التالية :

1. وفي قاعدة حذف ما علم، تحدث عن حذف "كان" وإبقاء الخبر. وحذف أحد معنولي "علمت"، وحذف الفضلة، وحذف معمول الحال، والحالات التي تحذف فيها "رب" وحذف ما يلي المضاف، وفي هذا الجزئيات استقصى في شرحه لهذا النظم كل ما ذكر ابن مالك جواز حذفه.

(1) تحقيق الريانبي : 49.

(2) تحقيق الريانبي : 72-63.

2. وفي قاعدة الفصل بالظرف والجار وال مجرور، استعرض في الشرح أحكام الفصل بهما بين العامل والمعمول، والمستثنى والمستثنى منه، ونحوهما مستدلاً دائمًا بأبيات ابن مالك في الألفية.

3. وفي قاعدة ما منع لخوفليس : ذكر أمثلة في تقديم الخبر، وتأخير المفعول، وشكل الفعل المبني للمفعول وأعطي تحت هذه القاعدة ثلاثة عشر حكماً ثم سار على هذا النهج في شرح هذه القواعد وسرد تطبيقاتها العملية انطلاقاً من المسائل المذكورة في الخلاصة، مع التأثر الواضح بأساليب الفقهاء في استنباط القواعد الفقهية، وما يبرهن على هذا التأثر قوله في شرح عدم جمع العوض والمعاض، قال : إنها قاعدة فقهية مستشهدنا بقول الزقاق :

..... وأن لا يجمعـا للشخص بين العوضين فاسمعـا<sup>(1)</sup>

لقد جمع نظم "الرياني" أهم مسائل النحو في عبارات وجيبة وواضحة في آن واحد، وقد أتم شرحته بالاختصار، والاقتصر على إعطاء الأمثلة التطبيقية، فجاء خير سُلم للطلبة قبل دراسة ألفية ابن مالك، فيمكن أن يعتبر الكتاب المدرسي الأمثل بعد الأجرمية في المرحلة الثانوية. ونلاحظ أنه لم يتعرض لمسائل التصريف، وأبنية الجموع، المألوفة في كتب النحو بل اقتصر في هذه الأرجوزة على إيراد الأحكام العامة المجمع عليها.

ولقد نلاحظ كذلك نزعته الأدبية وأسلوبه الشعري، في بعض أبياته، وفي أمثلتها

قوله : المبتدأ ارتفع تبها والخبر روح لمعنى المبتدأ كالله بر<sup>(2)</sup>  
وقوله : والحال والنعت لدى الموارد كخبر تسقى بما واحـد  
وريما أفرـد أو تعـدـا<sup>(3)</sup> كل يجيء جملـة أو مفرـدا

كما نلاحظ أيضًا التصاقه الوثيق بنظم الخلاصة. مثل قوله :

وبعد ما وليس جر الـبا الخبر<sup>(4)</sup>. إعمال ليس ما كـ "ما هذا بـشـر"  
وقوله : لأنـ أنـ ليـتـ لـكـنـ لـعـلـ كـأنـ معـ لاـ عـكـسـ كانـ فيـ العـلـ

(1) تحقيق الرياني : .71

(2) تحقيق الرياني : .37

(3) تحقيق الرياني : .54

(4) تحقيق الرياني : .41

(5) تحقيق الرياني : .42

## 6. محاضر التدريسين :

### أ) محاضرة حرمي بن عبد الجليل<sup>(1)</sup> :

يقول صاحب الوسيط عن حرمي بن عبد الجليل (ت 1243هـ) إنه : "علامة عصره وأعجوبة دهره"<sup>(2)</sup> كان من أجل تلاميذ ابن بونا، وشاركه في نظم احمراره حتى قال : لو أخذت ما نظمت لم يبق منه ما سمي عليه. وجلس للتدريس بعد ابن بونا، فتخرج على يده علماء أجياله أمثال الشيخ سيدي بن المختار بن الهيبة، ومحنض بن سيدي عبد الله الشقروي<sup>(3)</sup>، وكان مع علمه شاعراً مجيداً، وقد أوردنا له مقطوعات في مدح شيخه ابن بونا، والعتاب عليه مرة أخرى.

ومن عجيب أمره أنه ضعف بصره في آخر أيامه، فلم يعد يميز الأشخاص ولكنه بقي يطالع الكتب حتى قال فيه جدنا بايه بن أحمد بيبيه :

أغناه نور القلب عن نور البصر      يطالع الكتب ولا يرى البشر<sup>(4)</sup>

ومع حرصه على كتبه، فإن له أبياتاً يخاطب فيها الشاعر امحمد بن الطلبه الذي استعار منه كتاب تبصرة الحكماء فقال له :

يا ابن المشائخ والأشياخ أسلاقه  
لكن تبصرة الحكماء مدخلة  
من أخلف الظن للعافين حار به  
ومن أغوار سواد العين أتلفه

وعلى مثال شيخه ابن بونا، فإنه كان أيضاً على صلة بتلاميذه، يمدح الأولياء منهم ويعرض بالذين لم يعرفوا حقه ونسوا فضله. وبعزى له في الاثنين منهما، أحدهما اسمه عبد الخير والثاني اسمه الفتى مع أن هذه الأبيات تنسب في روایات أخرى لغيره :

إضافة عبد الخير للخير محضرة  
وأم حكيم أولعت باقتفارائه  
ولم ينسه طول الزمان شبوخه

(1) ترجمته : فتح الشكور 93-94، الوسيط : 30-24.

(2) الوسيط : 24.

(3) الوسيط : 25.

(4) ديوان حرمي : 87.

(5) ديوان حرمي : 99.

ومن أخذ عنه في القراءات والعربية أحمد ابن البخاري التندغي (ت 1277هـ)، وأخذ عن هذا الأخير العلامة الورع الشيخ محمد فال بن أحمد فال التندغي (ت 1345هـ) صاحب المحظرة المعروفة والتي من خريجيها شيخنا القاضي محمد بن محمد فال (ت 1400هـ).

هذا ولم يبق لنا من آثار العلامة حرمة في النحو إلا القليل النذر ويعتبر أنه قد أحرق كتبه قبل وفاته تورعاً.

ومن تلاميذ حرمته العالم الشهير الكبير أحمد سالم بن الإمام الحاجي الوداني. وقد تسلسل العلم في حفدة حرمته، وانتصب منهم للتدريس أحمد بن محمد بن عبد الجليل وأخوه العلامة الأديب عبد السلام بن أبي الذي يقول موريا بتنازع العوامل، ومشيراً إلى موقع باب التنازع في الألفية :

تنازعني برقان وهنا تألقا  
فبرق لدى أرض المجاز أشيمه  
فما منها أهلت يأخذ ظاهري  
بحيث يرى الرائي هضاب المصادر

ب) مدرسة بُلًا بن الفاضل المحسني (ت 1273هـ) :

وهو الذي يقول فيه ابن الأمين الشنقيطي في كتاب "الوسيط" إنه العالم المشهور والنحوي الكبير.

وقد خاطبه جدُّنا باب بن أحمد ببيه، بقوله :  
يا رب أبق لنا بُلًا لنسأله  
عن كل سرٍّ من القرآن محتاجب  
الابن بجدها ابن الفاضل بن أبي<sup>(1)</sup>  
وعن دواوين شعر لا يفسرها

وبسبق أن ذكرنا ما ي قوله فيه زميله في الدراسة والعلم، الشيخ حرمه بن عبد الجليل. وإذا كان هذا العالم لم يترك أثراً مكتوباً معروفاً، فإنه بث في صدور الرجال علماً جمِّاً. وكان أكثر الذين درسوا عنده من مشاهير النحوين واللغويين والشعراء. نذكر منهم على سبيل المثال : عبد الوهود بن عبد الله الحيبلي (ت 1265هـ). وابن عبدم الفاضلي (ت 1265هـ). واجدود ابن اكتوشن العلوي (ت 1285هـ) وهو أستاذ اللغوِي الكبير محمد

محمد بن التلاميذ التركزي، وقد ذكره في قصيده المشهورة إذ يقول :

ولا شيخنا البحر الخضم جدودنا      ولا شبهه أبوه ذو العلم والعلم

(1) الوسيط : 339

وقد أورد له ابن الأمين بيتهن يرد بهما على أحمد بابا التنبكتي في اشتراطه تخصيص الفاعل وهما :

وقول من يستوجب التخصيص  
لفاعل ليس يرى منصوصاً  
وإن يكن أحمد بابا قد جزم  
به فما تخصيصه بملتزم<sup>(1)</sup>

ومنهم زين ابن الأمين اليدالي (ت 1290هـ) وهو شيخ الأدباء العالمين زين واحمد ابني احمد. وحبيب بن الأمين الشقروري وعلى هذا الأخير درس العلامة الحارث بن محض الشقروري. والشيخ محمد بن حنبل الحسني (ت 1301هـ) وهو الشاعر المجيد، واللغوي البارع. والشيخ محمد بن أحمديد الحسني (ت 1320هـ) استاذ العالمين ابني الغزالى الأمين وأخيه محمد<sup>(2)</sup>.

ولقد أسمهم الشيخ بلا في ترسیخ اللغة العربية في أوساط قبيلته الحسينيين، حتى صارت فيهم سلیقة يرضعونها من ثدي أمهاتهم، مصداقاً لقول الشاعر محمد بن السالم البنعمري الحسني :

النحو علم كفاني من تعلمه  
ملج الثدي ثدي الأم من حسن  
ويقول في موضع آخر :

مصدقأني كريم العيص منتب  
إلى قريش بيوت العز والجدل  
نسجي القريض واحكمامي قوانيه  
ولا أميّز بين العطف والبدل

ومن يطالع شعر الشيخ محمد بن حنبل، وابن السالم، ومحمد النأن ابن المعلى ومحمد حامد بن آلا يدرك مدى مقدرتهم على التصرف في أساليب اللغة العربية.

(1) الوسيط : 82.

(2) يحيى بن البراء، على الأنفاس : 107.

## 7. عبد الوهود بن عبد الله يروض هرون ابن بونا :

### أ) صلاته حياته :

الخطورة التي تلت عمل مؤلف الجامع، قام بها عبد الوهود بن عبد الله بن أحمد ابن الخبستان، المتوفى سنة 1268هـ، وقال عنه أبو بكر بن احتجاب الفاضلي :

وفاة زين العلما بال المغرب وعام "شرح" بهذا المذهب

عبد الوهود نجل عبد الله الأبي جالي خبايا كل فن غيوب

حتى ينال منه أقصى مطلب لبحثه في الذوق غير الأجنبي<sup>(1)</sup>

ويقول عنه صاحب الوسيط : "تحوّي شهير، وانفرد به من غير نظير، وأوضح

أسراره وأعلى مناره، ويبلغ مبلغا لم يبلغه غيره في عصره"<sup>(2)</sup>.

تربي عبد الوهود في بيت اشتهر بالعلم والتعليم، فجده المختار الخبستان هو صاحب كتاب "شافي الغليل" الذي تحدثنا عنه آنفاً، واتصلت حلقة تدريسه بحفيده الذي كان غاية في الذكاء والدقة في البحث، فبالرغم من أنه توفي في سن مبكرة، إذ أنه لم يبلغ حد الأربعين، فقد انتشر صيته وعلمه، وانتظمت حوله محظرة مشهورة، وشاعت أنظامه وقصائده، ومؤلفاته، وكان كل نشاطه مرتكزا على علوم اللغة والنحو.

ومن طريف ما يخاطب به بعض طلبه المعروفين باسم "ميجات" قوله :

تعيرني "ميجات" بالجهل ضلة فقلت لهم لم تقذفوني بدائيأ

إلى أن يقول :

وعلمتكم نحوي وأسماء أهله وعلمتم تصريفي المتساميما

ومن أشهر آثاره "روض الحرون من طرة ابن بون"، وله قصيدة في محفوظات

المصادر.

### ب) نماذج من أنظمامه :

ومن أمثلة أنظمامه الكثيرة نورد نماذج في تلخيصه لإعراب ما بعد "حتى" والمقارنة بين "إن" و"لا"، وأحكام "لدن"، وإعمال جمع التكسير، وحالات "كل"، وتخرير قول النابغة :

كليني لهَمْ يا أميمة ناصب

(1) منظومة ابن احتجاب : 60-61. تحقيق خديجة بنت الحسن، وهي البيت الثاني "عبد الله" تقرأ بلا هاء.

(2) الوسيط : 374.

والخلف في وزن لفظة "أشياء" ومواضع جر الفاعل وحذفه.

وقد نظم أحكام "حتى" بقوله :

تلخيص مسألة حتى يافتسى  
ونصب ما استقبل، والوجهان  
كشتريت حتى يجيء الأجل

وهو يشير إلى قول العرب شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه، وإلى قوله تعالى : ﴿فَقَاتُلُوا الَّتِي تَبْغُى حَتَّى تُنْفَيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات . الآية : 9) وقوله جل وعلا في سورة البقرة : ﴿حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ عَامَنُوا مَعَهُ﴾ (الآية : 212).

وفي مقارنة "لا" بيان يقول :

ووافقت "لا" إنُ في التقييد  
 وإن تناقضًا فربما حمل  
 وبالتصدر فصار العمل  
 كأنه خص بما قد ظهر  
 وباسمها المفرد قبل ينبني  
 سما ذه وأنها لاتعمل  
 لا" سبعة شروطها فلم تجر  
 وانف بها ، والنفي للجنس؛ وصل

وله في معانٍ لدُنْ :

"لدن" كـ "عند" ولكن زادت ان لها  
وبالإضافة أحياناً إلى جُملٍ  
كذاك إفرادها من قبل غدوة مع

<sup>(1)</sup> راجع المعنى، 170، شرح الاشموني، 297/3 - 299.

(2) شرح الاشخاص : 2/3-4

٢٦٤/٢ : شرح الأشئرة (٣)

وله في اعمال جمع التكسير :

للمجاورة، التمييز للعدد  
أو الشذوذ قياساً والسماع زد  
وغيره فيه تخليط فلا تزد<sup>(1)</sup>

صحح لإهمال تكسير وقلته  
وكشرته لدى إهمال قلته  
قال الدماميني ذا فاشدد يديك به

وله في أحكام المضاف إلى كل :

فروع معناها ولفظها يفسي  
وعُد مما شَذَّ بَيْتُ عنْتَره  
فجوز الوجهين لامخافته  
كل العوامل كقطعها الجلى  
غير ابتدأ كفاعل لـ "يصدر"<sup>(2)</sup>.

وإن تضف "كل" إلى المعرف  
وإن إلى تُكْرِرِ فروع النكارة  
وإن قطعتها عن الإضافه  
وإن أضفتها لمظهر يليسي  
وإن لمضمِّر ففيه يندر

وبيت عنترة المشار إليه هنا هو قوله :

جاتت عليها كل عين ثرة

فتركتن كل حديقة كالدرهم

أما فاعل يصدر فهو يشير إلى قول الشاعر :

فيصدر عنها كلنا وهو ناهل

تميل إذا مالت عليها دلؤهم

ومن غرائب الأحكام التي نظمها قوله :

والمرء جر ونصب غير محظور  
تجر فسگن وضم غير محذور  
وإنما اختلفا شكلاً بتعبير  
كافاه من درهم أو من دنانير  
كافاه فافهم إشارتي وتعبيري<sup>(3)</sup>

"قد عامراً درهم" فالمال مرتفع  
وإن نصبت فسكن دال "قد" ومتى  
و الجنس "قد" في كلا الامرين متعدد  
فمعنى الاول حسب المرء ما جمعت  
والثاني معناه يكفي المرء ما جمعت

وفي تخرج فتح تاءً أميمَةً في قول النابغة :

كليني لهم يا أميمَةً ناصب

(1) شرح الاشموني : 65-66/4.

(2) المغني : 257-264.

(3) المغني : 226.

يقول عبد الودود :

فأقحموا النساء ما اعتدوا بها زعموا  
وال النساء ما قبلها بالفتح متسم  
والفتح سوجه الإتباع يا حكم  
فتتحة الميم ما بال النساء يرتسم  
أولاً ففتحتها للنصب عندهن  
من أن تثونها التائث والعلم  
"باريج" فافهمن تفرز بالعلم يانهم<sup>(1)</sup>

في يا أميمة خلف هل مرخمة  
والفتح لما أتت من قبل تا حذفت  
والفارسي له قوله : زائدة  
وأقحمت بينما ميم وفتحتها  
واليم تفتح إتباعاً لها أبداً  
لأنَّ موضعها نصب وينعها  
وقيل تبني على فتح وشاهده  
والشاهد المشار إليه قوله الراجز :

يا ريح من نحو الشمال هببي

والملاحظ أن هذه المباحث ابتعدت عن المقاصد النحوية، فأدت إلى كثیر من التقادير  
النظيرية، التي لانعتقد أن النابغة الذبياني كان يفكر فيها حينما تلفظ بفتح هذه النساء.  
وله في وزن أشياء من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألو عن أشياء »  
(سورة المائدة . الآية 101).

لا تلهينك عنه الإبل والشَّاء  
في الأصل فعلاً وهي الآن لفقاء  
بأفعاله وهي الآن أفعاله  
بحذف لام فهو الآن أفعاء  
ومثل هين على ما قال فراء  
إذ أتقىء له وزن وشجراء  
داعي امتناع إذا لم تجر أنباء  
عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء »<sup>(2)</sup>

مسائل أنت بدون ليس  
أو من كمثل من بشير فاعلما  
في قوله جل كفى فلتتعلما

في وزن أشياء خلف فاحفلن به  
أما الخليل وعمرو فهي عندهما  
وقال الاخفش والفراء متزن  
بقلب همزته ياء ومحتمل  
وعند الاخفش مثل البيت مفرد  
ومنعه في كلا الوجهين متوجه  
وعن على كأجمال وليس له  
وقل لمن يدعى شيئاً بمعرفة  
وله في جر الفاعل وحذفه يقول :  
وجر فاعل أتي في خمس  
يجر باللام كهيئات لما  
وجاز أن يجره الباء كما

(1) المساعد : 2/ 557-558، شرح الاشموني : 3/ 173-174.

(2) البحر المحيط : 4/ 32.

أجرره بالمصدر إن أضيفا  
وجريدة جر التوهم ذكر  
عن بعضهم كحين هاج الصبر  
وحذف فاعل أتى في أربع  
مسائل على القياس فاسمي  
في الحصر والنائب ثم المصدر  
ونحو "أسمع بهم وأبصر"<sup>(1)</sup>

وقوله "حين هاج الصبر" إشارة إلى بيت طرفة :

بجفان تعترى نادينـ من سديف حين هاج الصبر  
وهو الذي لغز به الدماميني لعلماء الهند فقال :

فما فاعل قد جر بالخض لفظه صريحاً ولا حرف يكون به الجر<sup>(3)</sup>  
وهذه أمثلة من أنظمه التي صارت غاذج للنحوين الشناقة من بعده.

#### ج) روض الحرون :

أما روضه الحرون من طرة ابن بون فقد مثل دراسة محكمة في منهجه لأنه تتبع كل ما ذكر فيها من عبارات الترجيح، مثل قوله : "على الأصح" أو على "الأظهر" أو "مطلقاً" أو مؤول، وبين مقابل كل هذه التخريجات" ولقد أوضح منهجه هذا يقول :

"فلما كان تقييد الشيخ ابن بون على الألفية وعلى تoshiحه إياها ظاهر الإفادة والمزيد، وبه اشتغال أهل هذه الجهة إلا أن فيه إطلاقات، وتأويلات، وتخريجات لا يدرى مقابلها أبداً، سألهي بعض أهل العصر تأليفاً بين لغزه، وفتح عوি�صه ورمزه، وبعد تردد توكلت على الله وكتبت".

وقد اعتمد في دراسته على ابن الدماميني الذي يشير إليه بـ (د) وعلى شرح ابن عقيل ولوه يرمز بـ (ع) وعلى خالد الأزهري في تصريحه على توضيح ابن هشام، ويشير له بـ (خ) واللاحظ أن هذه هي الكتب التي لخصها جد والده المختار الجبنان بن الفقيه في شافي الغليل، وقد لاحظنا من قبل غرابة كونه لم يعز لهذا الكتاب، شأنه في ذلك شأن ابن بونا.

وها هي غاذج من ملاحظاته حول عبارات ابن بونا.

(1) المساعد : 386/1، التصريح : 270/1، شرح الاشموني : 2/44.

(2) حاشية الصبان : 2/44.

(3) راجع الأشيا، والنظائر : 4/252-253.

لقد استعمل ابن بون "على الأصح" في عدة مواضع : منها جواز حذف اسم إن وخبرها . ويقول عبد الوهود ، إن مقابله هنا هو رأي من يقول باختصاص حذف الاسم في الشعر ، ومن يشترط تنكير الاسم لجواز حذف الخبر وهم الكوفيون ومنها التخيير في نصب أو جر التابع لمضاف المصدر المشار إليه بقول ابن مالك :

واجرر أو انصب تابع الذي انخفض

ويقابل الأصح هذا قول سيبويه بمنع مراعاة محل المجرور .

ومنها قول ابن مالك : وكخلا حاشا . ويقابل الأصح أيضاً قول سيبويه أن حاشا حرف وأنها تجر أبداً .

كما أن له استدراكات على تصحيح ابن بونا نذكر منها مثالين :

الأول : بعد قوله :

و"غير ما زيد أو استثنى لعل      ورب لولا علقن بذى العمل"  
قال عبد الوهود وهذه المسألة ليست في التسهيل وإنما ذكرها الأشموني في  
خاتمة حروف الجر ولم يذكر الأشموني خلافاً في عدم تعلق لعل . ولعل  
الصواب أن على "الأصح" بعد : وغير ما زيد أو استثنى<sup>(1)</sup> .

الثاني : عند قوله :

ومع ما يجي كجير لا يجب      وجير دون قسم بها أجب

فبعد قول ابن بونا هنا "على الأصح" قال عبد الوهود : لم يُذكر في التسهيل ولا  
المغني ولا القاموس قول باختصاصها بالقسم كما توهنه العبارة ، ولعله من زيادة الناس .  
ومن أمثلة إطلاقات ابن بونا التي أوضحها عبد الوهود . موضع كسر همز "إن" إذا  
ما حلّت محل الحال ، وبين صاحب الروض أنها تكسر مطلقاً سواء اقتربت بالواو أو لا ،  
وبعد قول ابن بونا :

ومع ما ضارع والحين احتذى      جعلك من وما وأيا كالذى

قال عبد الوهود : إن محل الإطلاق هنا التسوية بين هذا الحكم في الشعر وفي  
غيره . وفي باب الظرف استدرك عليه في إطلاقة بعد الأبد والدهر في قوله :  
وهكذا الأبد والدهر إذا      عرف والنهار والليل كذا

(1) راجع ابن بونا : الجامع ص 176 والأشموني ص 236.

فقال عبد الوهود : هذا الإطلاق ليس في التسهيل ولا في الدماميني ولا ابن عقيل.

وعند قول ابن بونا : "اختيارا على الأظهر" في اسمية "عن" قال عبد الوهود ، "وهو قول الأخفش ويقابلة قول سيبويه" إنه لا يكون اسم إلا في الضرورة .

أما تخرير التأويلات، فمن أمثلته تخرير الشواهد في نيابة ضمير المصدر في قوله :

فيالك من ذي حاجة حيل دونها  
وما كل ما يهوى أمرؤ هو نائله

وقوله :

يُغضي حيا ، وينغضي من مهابته      فما يكلم إلا حين يتتسـ

وقوله :

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل      يسوك وإن يكشف غرامك تدرـ

فقال عبد الوهود بأنها مؤولات بأن النائب في الجميع ضمير مصدر معرف بلا مـ  
العهد أو مصدر منكر مخصوص بالظرف وشبهه . فالتقدير : "حيل هو" ، "أو حيل دونها" ،  
ويتعتلل "عليك اعتلال" . ويغضي "اغضا" واحتیج للتأويل لأن الظاهر في البيت الأول  
نيابة ظرف غير متصرف، وفي البيت الثاني نيابة المفعول، وفي البيت الأخير نيابة مصدر  
دل عليه عامله .

هذه الأمثلة تعطي صورة مقتضبة عن منهج عبد الوهود في هذا الكتاب الذي قال  
عنه صاحب الوسيط "إنه لا يستغني عنه نحو في بلاد القبلة"<sup>(1)</sup> لأنـ رسم لشيخ المحاظـ  
دائرة خطة الدرس، وبين أوجه الخلاف وأسس الاختيار الذي اعتمدـ ابن بونـا . وفتح الطرق  
أمام الأنظمـ التي انطلـتـ في روـضـهـ، مثلـ ما سـنـرـاهـ عندـ الحـسـنـ بنـ زـينـ وـابـنـ عـبدـ.

ونشير في الختام إلى ما قالـهـ عبدـ الوـهـودـ فيـ شأنـ هـذـاـ الكـتـابـ : "وـكـأـنـيـ بـبعـضـ  
المعـاصـرـينـ وـقـدـ شـرـعـ يـقـدـحـ فـيـ جـمـعـهـ جـهـراـ، وـبـوـلـيـهـ الـظـهـرـ وـالـذـفـرـيـ، زـاعـمـاـ أـنـ المعـاصـرـينـ لاـ  
يـأـتـونـ بـفـائـدـ أـبـداـ وـمـاـ ذـاكـ إـلـاـ رـيـاضـ وـحـسـدـاـ وـلـلـهـ دـرـ القـائـلـ :

قلـ لـمـنـ لـاـ يـرـىـ الـمـعـاصـرـ شـيـئـاـ      وـيـرـىـ لـلـأـوـائـلـ التـقـديـمـاـ  
إـنـ ذـاكـ الـقـدـيمـ كـانـ جـدـيدـاـ      وـسـيـلـفـيـ هـذـاـ الـجـدـيدـ قـدـيمـاـ

(1) الوسيط : 374

## 8. بعض المحاضر الموازية للمدرسة البوئية :

لقد ميز الأستاذ يحيى بن البراء عن حق بين اتجاهين واضحين في النحو الشنقيطي: أحدهما هو الاتجاه المتعمق الذي أسسه ابن بونا الجكنى وواصله أتباعه من بعده، والثاني هو الاتجاه النصي الذي اقتصر أصحابه على خلاصة ابن مالك فأحكموا دراستها وأضافوا إليها قواعد ابن هشام التأليفية دون تبني جامع ابن بونا ومصادره المختلفة.

ومن أبرز أعلام هذه المدارس الموازية محض بابه بن اعيبيد الديماني والشيخ سيديا الكبير.

### أ) محض بابه بن عبيد الديماني<sup>(1)</sup> :

لقد كانت محظرة محض بابه بن اعيبيد أكثر اهتماماً بالدراسات الفقهية، فارتبطت بكتابه "الميسر على المختصر" وأشتهر شيخها نقبيها وقاضياً، مع أنه كان نحوياً وشاعراً. أخذ النحو في صباحه، ودرس الخلاصة على الشيخ عبد الله التسكلاوي، ومن حرصه على التحصيل والإنشاء، فكان يدرس النحو في عطل الأسبوع، أيام اشتغاله بتدريس القرآن الكريم، ثم يكتب دروسه في شكل طرة على الألفية، ولقد سبقت الإشارة إلى لقائه بالشيخ المختارين بونا ومحادثهما في شأن شواهد ابن الدماميني، وفي معرض هذه المحادثة يبدو ما للشيخ محض بابه من تطلع إلى الدراسات اللغوية، وما يمتاز به من نباهة وذكاً، وبعدما انتصب للتدرس في محظرته التي دامت زهاء سبعين سنة، اتسعت آفاقه النحوية، ونظم بعض المسائل مثل : محفوظات المجموع<sup>(2)</sup>.

ومن كتاب المغني بن هشام نظم فصلي القواعد والجمل. ومن نظمه في الجمل نورد الآيات التالية :

ففي مقدمته يقول :

بفضلله، وشكراً له مننا	الحمد لله الذي علمنا
على النبي أحمد التهامي	ثم صلاته مع السلام
تبع نهج الحق في أي زمان	وإله وصحبه وكل من
حاوية لشرح أمر الجملة	وبعد فالقصد نظم جمله
والله استعين في أمري	وشبهها من ظرف أو مجرور

(1) راجع ترجمته في الوسيط : 236.

(2) الوسيط : 236.

وفي حد الجملة الاسمية والفعلية يقول :

وَمَا بِفُعْلٍ صَدِرَ بِسْمًا فَاسْمِيَه

وَعِنِ الْجَمْلَهِ الْكَبْرِيِّ وَالصَّغْرِيِّ يَقُولُ :

سِمًا فَكُلُّ ذَاكَ كَبْرِيَ فَاسْمِنْ

خِيرِهِ الْمُفْرَدُ فَاقْفَ الْعَلَمَه

وَحِيشَمًا أَخْبَرَ بِالْجَمْلَهِ عَنْ

وَعَجزَ صَغْرِيَ وَقِيلَ هِيَ مَا

وَيَذْكُرُ الْجَمْلَهُ لِيَ لَهَا مَحْلٌ لِيَعْرَابَ قَائِلًا :

فَمَا لَهُ قَطْعًا فِي الْأَعْرَابِ مَحْلٌ

وَقِيلَ مَا نَالَ الْمُفْسِرُ تَنْلٌ

فِي اسْمٍ وَحْرَفٍ مَعَ أَلْ مَنْقُولًا

كَقُولَهُ "وَانَهُ لِقَسْمٍ"

إِنْ كَانَ غَيْرَ جَازِمٍ كُلُّهُ، إِذَا

أَوْ أَتَبَعَتْ لِبَعْضِهِ هَذَا فَاعْلَمُ

مَوْضِعُهَا لَا يَصْلُحُ الْمُفْرَدُ لَهُ

وَمَا أَتَى مَسْتَأْنَفًا مِنَ الْجَمْلَهِ

وَجَمْلَهُ التَّفْسِيرِ مَا لَهَا مَحْلٌ

كَذَاكَ جَمْلَهُ أَتَتْ مَوْصُولًا

كَذَاكَ ذَاتِ الْاعْتِرَاضِ تَعْلَمُ

وَمَا أَتَتْ جَوابَ شَرْطِ فَكَنَا

كَذَا إِذَا أَتَتْ جَوابَ قَسْمٍ

فَتَلْكَ سَبْعَ جَمْلَهُ مَكْمُلَهُ

وَمَا عُرِفَ مِنْ تَقْرِيرَاتِ النَّحْوِيَّةِ، مَا كَتَبَهُ فِي مَعْنَى : "أَلْ" وَقَدْ نَظَمَهُ العَلَمَهُ

الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدُ الْخَدِيمُ فَقَالَ :

عِنْدَ الَّذِينَ حَقَّقُوا الْبِيَانَ

تَجَرَّدَتْ طَورًا لَدِيِّ الْإِيَّارَادِ

خَيْرُ مِنَ الْمَرْأَهُ فِي الْمَعْنَى يَدْلِ

عَلْمُ جَنْسٍ عِنْدَ جَلْهُ مِنْ خَلَاءِ

فَهُوَ طَبِيعَهُ أَهْلُ الْمَنْطَقَهِ

يَبْدِي ضَمِيرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ

مُوْجَودَهُ فِي ضَمْنِ الْأَفْرَادِ لَتِي

فَصَحَ الْاِسْتِثْنَاهُ لَذَا مِنْهُ نَعْمَ

وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرَ وَرَدِ

كُلُّ لَدِيِّ إِضَافَهُ لَنَكَرَهُ

"أَلْ" لِإِلَشَارَهُ أَتَى بِيَانًا

فَلِلْحَقِيقَهُ عَنِ الْأَفْرَادِ

كَمَا عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ

نَظِيرُ ذَا الَّذِي عَلَيْهِ دَخْلًا

عَلَيْهِ بِالْحَكْمِ مَتَى مَا تَنْطَقُ

كَقُولَهُ الْخَلِيلُ مَثِيلُ الْمَاءِ

طَورًا بِهِ يَشَارُ لِلْمَاهِيَّهِ

فَهُوَ لِلْاِسْتِغْرَاقِ وَالْمَدْخُولِ عَمَّ

مَثَالُ ذَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ اَطْرَادِ

نَظِيرُ ذَا الْمَدْخُولِ عِنْدَ الْمَهْرَهِ

(1) المغني : 492.

(2) المغني : 497.

(3) المغني : 500-558.

قضية كلية عنهم بدا  
 كجمع الصاغة صاغة البلد  
 وما سواه ليس بالمجاز  
 لكونه خصائص الجنس شمل  
 موجودة في البعض من أفراد  
 زجاجة ونحوه بالوادي يفسي  
 قضية شخصية حكم إذن  
 فهو للجنس إذن ليسبني  
 وهو قد مر على اللنسم  
 نكرة معنى ولفظاً معرفه  
 مهما اعتبرت ذينك الوجهين  
 للنعت محتملة والحال  
 لديه مثل علم الأجناس  
 مهمملة في قوة الجزئيه  
 لذا كما محنض باب قد نقل  
 لذلك الحكم عليه أبدا  
 وذاك الاستغراق عرفيأ ورد  
 وتارة يكون ذا مجاز  
 كيأن تقل مبالغأ هو الرجل  
 وهو ل Maherية أيضاً باد  
 فإن عين فلعهد نحو في  
 مدخلوه كعلم الشخص فعن  
 وإن يك البعض سوى معين  
 وذا كقول الشاعر الحليم  
 مدخلول هذا عند أهل المعرفه  
 لذاك صح وصفه بتبيين  
 وبعده الجملة في ذا الحال  
 وذلك المدخلول بعض الناس  
 عليه حكمنا إذن قضيه  
 أخاف أن يأكله الذئب مثل

ولقد تسلسل العلم في بيت الشيخ محنض بابه ووسطه. فمن حفته الأديب الكبير،  
 والشاعر المجيد، والمؤرخ المحقق، المختار بن حامد بن محمد بن محنض بابه. وكان من له  
 اليد الطولى في النحو واللغة والمنطق، وابن أخيه العالم محنض بابه ابن أمين الذي نظم  
 "لامية" بدعة في النحو والتصريف، يقول فيها :

عليهم ل الكلام العالمين علا  
 وسهلوها بحسن الضبط للجهلا  
 لاسم و فعل و حرف كابن يا ابن جلا  
 يكون متصلة طوراً ومنفصلأ  
 وهن غبن عن الضيف الذي نزلأ  
 ذات دعوه كزيد راكب جملأ  
 مثل البخيل وبيست خلة البخلا  
 على سوى الذات مثل الكبر والخيلا  
 أو المرام أي الأمر الذي حظلا  
 كلام قوم كتاب الله قد نزلأ  
 وجلة العلماء أبدوا قواعده  
 وهو عندهم في الأصل منقسم  
 والاسم إما ضمير وهو عندهم  
 كانت قمت وهم في البيت قد جلسوا  
 أو ظاهر باسم عين حيث دل على  
 وباسم عين إذا كانت دلالته  
 وراكب وصف عين لا اسمها وكذا  
 وقد دعوا وصف معنى ما الجلي حكى

فثم إيجاز حذف للعقلول جلا  
تعلق بسوى أفعال من عقلا  
فيها للأكل فجانب من لها أكلا  
إيجاز قصر متين اللفظ قد جرلا  
أو الأسماء ومحترمه يستوجب العملا  
من ذاك عاماً إلا "من" وإن "مع" لا"  
لكن لها عند فقد الفعل الاسم تلا  
أمر كتب يُمحى مما جنحت خلا  
ثم أطال في أحكام الفعل، وتصاريفه، وصيغه مع الضمائر، ونونى التوكيد،  
وإعرابه، وبنائه، ورتب كل هذه الأحكام ترتيباً منسقاً واضحاً، وتتابع كلامه في الجموع،  
واسم الجنس وعاد إلى الفعل الذي لم يسم فاعله، وختم القصيدة بأحكام الجمل وإعرابها :  
والقصيدة تقع في نحو مائتين وخمسين بيتاً، وهي مفيدة وممتعة.

### ب) الشيخ سيديا الكبير<sup>(١)</sup> :

إن شهرة هذا العالم العلّم تغنى عن التعريف به ونكتفي بالذكر بما قاله عنه جدنا  
باباً بن أحمد ببيه العلوى :

فإنك أنت الغوث لا شك والقطب  
وأنت سراج للبرية لا يخبو  
وأصبح يشكو عند ترحالك الغرب  
وعندك علم لا تحيط به الكتب  
للك طائر الميمون والمنزل الرحى  
وأنت حسام قاطع كل شبهة  
أضاءت بلاد الغرب لما أتيتها  
وجئت بكتب يعجز العيس حملها

أخذ الشيخ سيديا علوم اللغة والنحو والفقه عن العلامة حرمه بن عبد الجليل  
العلوي، وتربي على يد الشيخ سيد المختار الكتني، وصاحب ابنه الشيخ سيدى محمد،  
وعاد بعلم وافر وصيت عال.

فكان مأوى الطلبة والمريدين والزوار. ولم تمنعه ظائفه التصوفية من الكتابة  
والتأليف. ومن مؤلفاته تحفة الأطفال في حل عقد لامية الأفعال، وشرح المقصور والمددود  
لابن مالك.

أما شرحه للأجرمية المعروض بالنفعة القيومية في شرح الأجرمية فإنه يمتاز  
بالسهولة والوضوح، مع اشتتماله على خلاصة الملاحة، فكان معييناً على معرفة قواعد

(١) راجع ترجمته الوسيط : 240.

اللغة دون الخوض في مسائل لا تهم إلا المختصين في النحو. مع أنه أطال البحث في بعض أبواب النحو مثل "لا العاملة عمل إن" ذلك أن شواهده كان أكثرها أمثلة لإيضاح القواعد، وليس لبيان ما شذ وندر. أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، وبالخصوص في أمثلة معاني حروف الجر، ونواصي الفعل وجوازه. وبعدة أحاديث نبوية. أما شواهده الشعرية فقد كان اختيارها يتم وفقاً لمعيارين اثنين : أحدهما : توضيح القاعدة، والثاني أن يكون مضمونها يدعو إلى المثل الأخلاقية والفضائل الدينية، فذكر منها ما يبحث على الصبر والمثابرة في قول القائل :

لأستهلنَ الصعب أو أدرك المني      فما انقادت الآمال إلا لصابر  
مستشهاداً فيه باستعمال "أو" بمعنى حتى. ومنها ما يدعو إلى القناعة والتعفف  
وذلك في قول الشاعر :

استغنِ ما أُغناك ريك بالغنى      وإذا تصبك خصاصة فتجمل  
وقد أورده في الجزم بإذا في الشعر خاصة وفي جزم "من" ، و"إذما" ، استشهد ببيتين  
لهما مدلولهما في التربية الأخلاقية وهما :  
ومن لا يزال يستحمل الناس نفسه      ولا يغتها يوماً من الدهر يسام  
وقول الشاعر :

فإنك إذما تأت ما أنت آمِرٌ      به تلف من إيهاد تامر آتيا  
وفي مواضيع أخرى أورد أبيات حكم ونصائح منها :  
لا تنه عن خلق وتأتي مثله      عار عليك إذا فعلت عظيم  
وهذا ما يظهر نزعته التربوية، ونصائحه الدينية، في البحث عن الاستقامة والكرم  
والتفوي. وما أورد في هذا :

حيث ما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان

وقول الشاعر :

حسبت التقى والجود خير تجارة      رياحاً إذا ما المرء أصبح ثاقلاً

وقول لبيد بن ربيعة :

الا كل شيء ما خلا الله باطل      وكل نعيم لا محالة زائل

ومن الغريب أن هذا المصنف لم ينل طريقه إلى النشر حتى الآن، بالرغم مما له من قيمة علمية عالية وتربوية فائقة، وقد قام بتحقيقه الباحث الأستاذ محمد الأمين بن العلوى.

وهذه أمثلة من هذا الشرح الذي امتاز بزج الأجرمية بنحو الألفية يقول في باب العطف . يقول المؤلف :

**باب العطف : وحروف العطف عشرة ، وهي :**

الواو : ومن معانيها المصاحبة وعطف اللاحق على السابق وعكسه ، نحو : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ (العنكبوت . الآية 29) ، وجاء زيد وعمرو بعده ، وتكلم بكر وخالد قبله .

الفاء : للترتيب باتصال كسافر زيد فعمرو .

وشم : للترتيب بانفصال كحضر سعيد ثم يشير .

وأو : ومن معانيها التخيير والإباحة بعد الطلب ، كنزوج فلانة أو اختها ، وجالس العلماء أو الزهاد . والتقسيم والإبهام والشك بعد الخبر . نحو الكلمة اسم أو فعل أو حرف ، وكلقت أباك أو أخاك .

وأم : وتكون متصلة وهي الواقعه بعد همزة التسوية والهمز المغني عن لفظ أي ، نحو : ﴿سُوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُوْمِنُونَ﴾ ، (البقرة . الآية 5) ونحو : ﴿أَقْرِيبْ أَمْ بَعِيدْ مَا تَوَعَّدُونَ﴾ (الأبياء . الآية 109) ، ومنفصلة وهي الحالية ما ذكر المتضمنة معنى "بل" مع استفهام أو دونه ، نحو إنها لإيل أم شاء ، وهذا زيد أم عمرو . أمّا الثانية : وهي ك "أو" فيما ذكر من المعاني ويمثل لها بأمثلتها فيقال تزوج إما فلانة وإما اختها ، وجالس إما العلماء وإما الزهاد .

بل . ولا . ولكن : وهذه الثلاثة إنما تعطف لفظاً لا معنى ، فاما "لا" فيعطف بها بعد الإثبات والأمر والنداء ، ك جاء زيد لا عمرو ، واضرب زيداً لا عمر ، وبما زيد لا عمر ، ومعناها قصر الحكم على ما قبلها . وأما "بل" وـ "لكن" فيعطف بهما بعد النفي والنهي نحو ﴿مَا كَانَ مُحَمَّداً أَبَا أَحَدَ مِنْ رِجَالِ الْكَمَرِ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب . الآية 40) ، وما قام زيد بل عمرو ، ولا تهجر مطيناً ولكن عاصياً ، ولا تكون بخيلاً بل كريماً ، ومعناها تقرير الحكم لما قبلها وجعل ضده لما بعدها ، وتقع "بل" بعد الإثبات والأمر فتفيد نقل حكم الأول للثاني ، كسار زيد بل عمرو وأكرم زيداً بل عمرأ . حتى : في بعض الموضع وهو إذا كان معطوفها ببعض من المعطوف عليه وغاية له كجا ، الحاج حتى المشاة وقوله :

قهرناكم حتى الكمامَةَ فأنتم تخفوننا حتى بنينا الاصاغرا

ومن فاذج عرضه الواضح قوله في التواصي : "باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر" .

وتسمى نواسخ الابتداء وهي ثلاثة أشياء :

1. كان وأخواتها وهي أفعال.
2. إن وأخواتها وهي حروف.
3. ظنت وأخواتها وهي أفعال أيضاً.

فأما كان وأخواتها فإنها ترفع الاسم وتتصب الخبر، وهي :

كان : ومعناها اتصف الخبر عنه بالخبر في الزمن الماضي. وأمسى : ومعناها اتصفه به في المساء. وأصبح : ومعناها اتصفه به في الصباح. وأضحى : ومعناها اتصفه به في الضحى. وظل : ومعناها اتصفه به نهاراً. وبات : ومعناها اتصفه به ليلاً. وصار : ومعناها التحول من حال إلى حال. وليس : ومعناها نفي الحال عند الإطلاق وعند التقيد بزمن بحسبه. وما زال، وما انفك، وما فتن، وما برح : ومعنى هذه الأربعة ملازمة الخبر عنه للخبر على ما يقتضيه الحال، ولا تعمل هذا العمل إلا بعد نفي أو نهي أو دعا، وما دام، ولا تعمل هذا العمل إلا بعد "ما" المصدرية الظرفية. (وما تصرف عنها) أي ما تصرف من كان وأخواتها من مضارع أو أمر أو غيرهما، يعمل عملها، وهي في التصرف على ثلاثة أقسام :

- أ) ما لا يتصرف بحال، وهو "ليس" "اتفاقاً" و "دام" على الأصح.  
ب) وما يتصرف تصرفًا ناقصاً وهو "زال" وأخواتها فإنها لا يستعمل منها أمر ولا مصدر.

ج) وما يتصرف تصرفًا تماماً وهو الباقى.

أما إن وأخواتها، فإنها تنصب الاسم وترفع الخبر. وهي : إن، وأن، ولكن، وكأن، ولعل، وليت.

وإن وأن للتوكيد، أي توكييد النسبة بين الجزأين نحو ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة - الآية 29) وعلمت ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة - الآية 20)، وترد "إن" لنفي الشك عنها والإنكار كقوله لمن يشك في قيام زيد إن زيداً قائم وقد ترافق "إن" معه كقوله :

ليت شعري هل للمحب شفاء من جواهن إن إن اللقاء  
وكان للتشبيه المؤكّد لأنّها مركبة من الكاف و"أن" نحو كان زيداً أسد ولا تكون  
للظنّ ولا للتقرّيب، ولا للنفي خلافاً لزاعمي ذلك.

ولكن للاستدراك وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته وإثبات ما يُتوهم نفيه من  
الكلام السابق كزيد كريم لكنه جبان وزيد ليس بكرم لكنه شجاع، وقد تكون للتوكيد نحو  
لو جاء زيد لأكرمه لكنه لم يجيء.

وليت للثمني وهو طلب ما لا طمع فيه، أو ما فيه عسر كقول الشيخ الكبير :  
ليت الشباب عائد، وقول الفقير : ليت لي مالاً فأنفق.

ولعله : للترجي في المحبوب كلعل الحبيب قادم، والتوقع في المكروه كلعل العدو داهم، وقد ترد للتعليق نحو ﴿فَقُولًا لِّيْنَا لَعْلَه يَتَذَكَّر أَوْ يَخْشَى﴾ (اطه - الآية 43) أي ليتذكر وللاستفهام نحو : ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعْلَه يَزْكُرَ أَيْ أَيْزَكُر﴾ (عبس - الآية 3).

وأما ظنت وأخواتها، فإنها تنصب المبتدأ والخبر بعد استيفاء الفاعل، على أنهما مفعولان لها، وهي : ظنت وحسبت وخلت، وهذه الثلاثة للبيتين قليلاً وللظن كثيراً نحو ﴿يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (البقرة - الآية 45)، قوله :

ظننت بأن شبت لظى الحرب صالحياً فعردت فيمن كان عنها معرداً  
وقوله :

حسبت التقى والجود خير تجارة  
وقوله :

عشية لاقينا جذام وحميراً  
وكان حسبنا كل بيضاء شحمة

وقوله :

أشكوا إليكم حموه الألسن  
ما خلتني زلت بعدكم ضمنا

وقوله :

يسومك ما لا يستطيع من الوحد  
إخالك، إن لم تغتصب الطرف ذا هو  
وزعمت للظن خاصة، قوله :

إنما الشيخ من يدبّ ديباً  
زعمتني شيخاً ولست بشيخ

ومثلها عدلت قوله :

ولكنما المولى شريكك في الغنى  
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى

وحجوت قوله :

حتى ألمت بنا يوماً ملئاً  
وكنت أحجز أبا عمر أخاثقة

ورأيت وعلمت : وهما للظن قليلاً وللعلم كثيراً عكس ظن نحو ﴿إِنَّهُمْ يَرُونَهُ  
بعيذاً ونراه قريباً﴾ (المعارج - الآية 6-7) ونحو : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾  
(المتحنة - الآية 10).

وقوله :

علمتك البذل المعروف فابعشت إليك بي واجفات الشوق والأمل

ووجدت : للبيدين خاصة عكس زعم. نحو ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير  
تمدوه عند الله هو خيرا﴾ (المزمول - الآية 18).

ومثلها دريت، كقوله :

دريت الوفي العهد يا غُرْبَةً فاغتبط فإن اغتاباطاً بالوفاء حميد

وألفيت نحو ﴿ إنهم أَفْوَا آبَاءُهُمْ ضالِّين﴾ (الصافات - الآية 69).

واتخذت وجعلت وهما للتصبير كقوله :

اتخذت غرائز إثراهم دليلاً فَرَوْا في الحجاز ليعجزونني

وخلق، ورد، وترك، وهب غير متصرف، وصيّر وأصار، وأكان، وقد تكون جعل  
للظن خاصة نحو ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إثناً﴾ (الزخرف - الآية  
(43) وسمعت ولا يكون مفعولها الثاني إلا فعل صوت نحو سمعت زيداً يتكلم<sup>(11)</sup>.

## 9. مدرسة ولاته النحوية<sup>(2)</sup> :

لقد أشرنا من قبل إلى أن مدينة ولاته العريقة قد أنجبت أوائل النحاة الشناقطة  
المعروفين كالفقير المختار النحوي بن الفقيه اند محمد الولاتي (ت 920 هـ) وأضرابه<sup>(3)</sup>.

وقد عرفت الحركة النحوية في هذه الحاضرة العلمية دفعاً كبيراً بورود منيرة بن  
حبيب الله الشمشوي (ت 1163 هـ) مؤلف "الدلاصة شرح الخلاصة"، ومن أجلاء الآخرين  
عنه العلامة عمر مم النحوي الكبير<sup>(4)</sup>.

وقد بلغت هذه الحركة النحوية الولاتية أوجهها على أيدي علمين متعاصرين كثيراً ما  
يقع بينهما لبس عند الناس، فقد كانا يحملان اسماً واحداً ويعملان في مجال واحد، فكل  
منهما يدعى محمد يحيى الولاتي، ننتصر عليهما وإن كان العلماء الولاتيون غيرهم كثير.  
إنهما فرسا رهان، اشتراكاً في أمور كثيرة، عاشا في عصر واحد وانتسباً للبلدة  
واحدة، وهي ولاته، جوهرة الصحراء ومهد العلماء والصلحاء، ومنها وفيها تلقياً معارف

(1) راجع النفحۃ القرمویۃ فی الأبواب المذکورة.

(2) راجع المختار بن حامد : الحياة الثقافية ص 198، ومحمد المختار ولد أبيه الشعر والشعراء ص 20.

(3) المصدر نفسه.

(4) راجع فتح الشکور ترجمة عمر قم.

جمة، وأعطيها علوماً وافرة، وكتباً في مجلل العلوم الإسلامية، كعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله والنحو وفروعه.

ويعتبر للمهتمين بالمؤلف والمختلف، أن يفرقوا بينهما بأن أحدهما اشتهر بتحليله بالفقية، وهو ابن محمد المختار الداودي، وثانيهما عرف بابن سليمه. غير أن الفرق بينهما يتجلّى قبل كل شيء في اختلاف النهج والمشرب فلقد كان الفقيه عالماً تقليدياً متمسّكاً بقواعد المالكية، وهو مع ذلك أصولي بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب. أما ابن سليمه فقد كان أكثر حرية في التفكير وجراة في الاجتهاد.

والذى يهمنا في هذا الفصل هو إسهامهما في الكتابات النحوية، ودورهما في إحيائهما في المدينة التي انتسبا إليها، وفي المحيط الثقافي الذي حولها.

#### أ) الفقيه محمد يحيى الولاتي<sup>(1)</sup> :

أما "الفقيه" فإن شهرته جاوزت حدود الأقليم الذي نشأ فيه. ويعود ذلك إلى دوره في تدريس سائر العلوم المعهودة في قطره، ورحلاته إلى الشرق، ووفرة تأليفه في شتى المعارف. ولقد لهج الشاعر بمدحه حياً، ورثائه بعد وفاته. فيقول أحد تلامذته، وهو محمد المختار ابن أمالة الولاتي :

لن غاب عن والات يحيى فإنها      تغيب عنها سورها وشبابها  
وغيّب عنها نحوها وبيانها      وغيّب عنها فقهها وصوابها<sup>(2)</sup>

وما رثاه به محمد السنوسي التونسي :

هو البحر عند الدرس تطغى علومه      عليه، وفي المحراب يعرفه الذكر<sup>(3)</sup>

وتسمية "الفقيه" توحّي أولاً، بانتسابه إلى فئة معينة من علماء الإسلام أمثال اللخمي وابن عرفة، وخليل ابن اسحق، صحيح أنه من هذا الطراز، لكن الفقيه الولاتي يمثل أكثر ما يتحلى به الفقهاء، وفي كنانته أكثر من سهم، وفي صدره أكثر من فن.

ومراجعة مؤلفاته التي تزيد على المائة، تبين أنه من أولئك الموسوعيين الذين علاّ كعبهم في العلوم الإسلامية المعروفة في قطره، ونقتصر هنا على ما يختص بالنحو مثل شرحه لفريدة السيوطي والذي سماه بـ "المواهب التلدية في حل ألفاظ الفريدة".

(1) راجع ترجمة محمد يحيى الولاتي في مقدمات كتبه المطبوعة، خاصة نيل السول.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

لقد أكمل هذا الشرح سنة 1296هـ، واعتمد فيه على منهج الاختصار بتقرير الأحكام وحل الألفاظ وضرب الأمثلة كقوله في باب علامات الاسم : "الإسناد" وهو الحكم عليه بوصف أو تعليقه به. نحو قام زيد، وزيد قائم، وقم، فعلامة كون زيد اسمًا، كونه محكمًا عليه بالقيام في المثالين الأولين، ومعلقاً به القيام في الثالث.

وفي كلامه عن الجر، بالحرف، والإضافة والتبعية، قال إن هذه الأمثلة اجتمعت في **(بسم الله الرحمن الرحيم).**

والمطالع لهذا الشرح يخرج منه باللاحظات التالية :

1. كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم : ففي باب الظرف وحده استشهد بنحو من ثلاثين آية، فنراه كلما وجد مثلاً في الكتاب العزيز يبدأ ذكره : وربما استدل بعض القراءات غير السبعية، مثال قراءة : **(ذَكْرٌ مِّنْ مَعِي)** (الأنباء - الآية 24).
2. كثرة الشواهد الشعرية، واللاحظ أنه يأتي بالبيت كله، ولا يقتصر على الشطر الذي فيه موضع الاستشهاد. غير أنه لا يتعرض للقائل، ولا لمعنى البيت، ففي الباب الذي أخذنا نموذجاً أتي بزهاء عشرين بيتاً.
3. الاستشهاد بالأحاديث على نمط نهج عليه ابن مالك.
4. الإكثار من الأمثلة وهي نوعان، منها ما هو للتوضيح، ومنها ما هو أمثلة قديمة.
5. مرج الباب والمنت بالشرح.
6. عزو الأقوایل إذا كان في المسألة خلاف<sup>(۱)</sup>.

ونعطي من شرحه مثلاً في باب الظرف، يقول السيوطي :

"في" باطراد وانصب الأزمنا	الظرف وقت أو مكان ضمننا
مقدراً وفي مكان قد أبوا	بناصب المصدر مطلقاً ولو
وقسه إن كان لفعلٍ وفقاً	إلا الذي أبهم والمشتقة
كالميل والفرسخ والأقطار	كذاك ما دل على مقدار
مصادر نابت عن ذي استناد	وما جرى مجرأه باطراد
نص عليه سيبويه في جمل	كزننة العرش كذا وزن الجبل

(۱) راجع المواهب النابدة مخطوط.

لم يك الفقيه الولاتي يورد أبيات الناظم مستقلة، ولكن يمزج ألفاظها بالشرح، حتى كأنهما متن واحد، لا يفصلهما إلا تبييز في الخط، أو ورود "أي" التفسيرية بعد ألفاظ النظم فيقول مثلاً :

"المفعول فيه" وهو المسمى في اصطلاح النحاة ظرفـاـ. (الظرف) في اصطلاح النحاة (وقت) اي اسم زمان (أو مكان) اي اسم مكان (ضمنـاـ) معنى (فيـ) دون لفظـهاـ (باطرادـ) مع كل فعلـ، فخرجـ بقولـهـ (ضمـنـاـ فيـ) الـظرـفـ الـذـي لمـ يتـضـمنـهاـ. وخرجـ بقولـهـ "بـاطـرـادـ" مع كل فعلـ نحوـ مـطـرـنـاـ السـهـلـ والـجـبـلـ، فـلاـ يـسـمـيـ ظـرـفـاـ لـعـدـمـ اـطـرـادـهـ مع كل فعلـ إذـ لاـ يـقـالـ مشـيـنـاـ السـهـلـ والـجـبـلـ، وخرجـ أـيـضاـ نحوـ دـخـلـتـ الـبـيـتـ، فـلاـ تـقـولـ نـمـتـ الـبـيـتـ (وانـصـبـنـ) الأـزـمـنـةـ أيـ الأـزـمـنـةـ عـلـىـ الـظـرـفـيـةـ (بـنـاصـبـ الـمـصـدـرـ) ايـ بـكـلـ عـامـلـ يـنـصـبـ الـمـصـدـرـ (مـطـلـقاـ) سـوـاءـ كـانـ الـأـزـمـنـةـ مـبـهـمـةـ نـحـوـ سـرـتـ حـيـنـاـ اوـ مـدـةـ، اوـ مـخـتـصـةـ نـحـوـ صـمـتـ رـمـضـانـ اوـ الـعـامـ وـسـوـاءـ كـانـ نـاصـبـ الـمـصـدـرـ فـعـلـاـ كـالـأـمـثـلـةـ الـمـتـقـدـمـةـ، اـمـ شـبـهـ نـحـوـ اـنـاـ جـالـسـ يـوـمـاـ اوـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ (ولـوـ) كـانـ نـاصـبـ الـمـصـدـرـ (مـقـدـراـ) كـقـولـكـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ.

(وفيـ مـكـانـ) ايـ فـيـ ظـرـفـ المـكـانـ (قدـ أـبـواـ) ايـ النـحـاةـ اـطـرـادـ (إـلـاـ) فيـ ظـرـفـ المـكـانـ (الـذـيـ أـبـهـمـ)، وـهـوـ الـذـيـ لـاـ تـعـرـفـ حـقـيقـتـهـ بـنـفـسـهـ بـلـ باـ يـضـافـ إـلـيـهـ كـمـكـانـ وـنـاحـيـةـ وـوـرـاءـ وـنـاحـيـةـ وـجـهـةـ وـنـحـوـهـاـ، فـتـقـولـ جـلـسـتـ مـكـانـ زـيـدـ وـنـاحـيـةـ الـمـسـجـدـ وـوـرـاءـ زـيـدـ وـجـهـةـ الـمـسـجـدـ، (وـ) إـلـاـ ظـرـفـ المـكـانـ (الـمـشـتـقـ) وـهـوـ الدـالـ عـلـىـ الـحـدـثـ الـمـشـتـقـ هوـ مـنـ اـسـمـهـ فـيـطـرـدـ نـصـبـهـ عـلـىـ الـظـرـفـيـةـ. (وـقـسـهـ) ايـ نـصـبـ فـيـهـ (إـنـ كـانـ) الـظـرـفـ (الـفـعـلـ وـفـقـاـ) ايـ وـاقـقـ نـاصـبـهـ فـيـ الـاشـتـقـاقـ نـحـوـ قـعـدـ مـقـعـدـ زـيـدـ، وـأـنـاـ قـاعـدـ مـقـعـدـ عمرـ، وـجـلـسـتـ مجلسـ زـيـدـ، وـقـمـتـ مـقـامـهـ، فـانـ خـالـفـهـ اـقـتـصـرـ عـلـىـ مـاـ سـمـعـ مـنـهـ نـحـوـ هـوـ مـنـيـ مـقـعـدـ الـقـابـلـةـ، اوـ مـقـعـدـ الإـزارـ اوـ مـنـزـلـةـ الـوـلـدـ فـيـ الـقـرـبـ، اوـ هـوـ مـنـيـ منـاطـ الشـرـيـاـ. وـمـزـجـ الـكـلـبـ فـيـ الـبـعـدـ.

(كـذـاكـ) ايـ كـمـاـ تـقـدـمـ فـيـ اـطـرـادـ نـصـبـهـ عـلـىـ الـظـرـفـيـةـ (ماـ) ايـ ظـرـفـ المـكـانـ الـذـيـ (دلـ علىـ مـقـدارـ) مـحـدـودـ (كـالـمـيلـ وـالـفـرـسـخـ) فـتـقـولـ سـرـتـ مـيـلـاـ اوـ فـرـسـخـاـ اوـ غـلوـةـ، وـالـغـلوـةـ مـائـةـ بـاعـ، (وـالـأـقـطـارـ) ايـ الـنـواـحـيـ الـمـحـدـودـةـ فـإـنـهاـ يـطـرـدـ فـيـهـاـ نـصـبـ عـلـىـ الـظـرـفـيـةـ. (ومـاـ) ايـ الـاسـمـ الـذـيـ (جـرـيـ مجـاهـ) ايـ مـجـرـيـ ظـرـفـ المـكـانـ (بـاطـرـادـ) معـ كـلـ عـامـلـ، وـهـيـ (مـصـادرـ) فـيـ الـأـصـلـ (نـابـتـ عـنـ ذـيـ استـنـادـ) ايـ عـنـ مـضـافـ مـحـذـوفـ وـهـوـ الـظـرـفـ حـقـيقـةـ (كـزـنةـ الـعـرـشـ) فـيـ قـولـكـ سـبـحـنـ اللـهـ زـنـةـ الـعـرـشـ ايـ قـدـرـ زـنـةـ الـعـرـشـ. (كـذاـ وـزـنـ الـجـبـلـ) مـنـ قـولـكـ أـعـطـيـتـ زـيـداـ وـزـنـ الـجـبـلـ ايـ قـدـرـ زـنـةـ الـجـبـلـ؛ (نـصـ عـلـيـهـ) ايـ عـلـىـ اـطـرـادـ نـصـبـ الـمـصـدرـ الـمـذـكـورـ (سيـبـوـيـهـ) الـإـمامـ لـأـنـهـ وـرـدـ (فـيـ جـمـلـ) ايـ تـرـاـكـيـبـ مـتـعـدـدـ فـمـنـهـ قـولـهـ صـلـىـ عـلـيـهـ

وسلم سبحن الله عدد خلقه، ورضي نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته". أي ما ذكر فهذه مصادر منصوبة على الظرفية على تقدير قدر<sup>(1)</sup>.

**ب) محمد يحيى بن سليمة (ت 1354هـ)<sup>(2)</sup> :**

أما بن سليمه اليونسي الحوضي فقد أسهם هو الآخر في إثراء المكتبة النحوية زيادة على مؤلفاته الكثيرة التي تناولت جميع العلوم الشرعية ومن أشهره كتبه في النحو مصنفه المسما "قرة العينين على نحو الشهرين"

بدأ بقوله :

الحمد لله الذي النحو جعل  
لكل علم فاتحًا به يُحل  
صلى وسلم على محمد وآل وصحبه للأبد

وهو يعني أن كل علم من علوم الشريعة، لا تُحل عقده إلا بمعرفة إعراب اللغة العربية، التي ورد بها الخطاب الشرعي. وبعد هذه الديباجة المختصرة، انتقل إلى ما سماه كتاب التمييز. مبتدئاً بقوله :

فالأسم يعرف بحسٍ وسائلٍ والخُفض والتنوين والندا وعلٍ

ثم ذكر علامات الفعل المضارع والماضي، واسم الفعل، وبين أن ما سواهما هو الحرف والمالاحظ في هذا الباب، أولاً عنوانه "بكتاب التمييز" وهو اصطلاح عند علماء الشناقطة، لمعرفة الكلم النحوي، أي كيف يميز الطالب المبتدئ بين الاسم والفعل والحرف ؟ ومنه قولهم :

لا يؤلم الضرب من لا يميز للزيرون يدعون والهندا تدعونا

ويعقب التمييز عندهم "الإعراب" وهم في هذا المصطلح لا يعنون به تغيير أو آخر الكلم بتأثير العوامل، وإنما يقصدون به، وظيفة الكلمة في الجملة.

والملاحظة الثانية، أن الناظم ذكر علامتين للأسم لم نعهدما عند سابقيه إحداهما "الحس" وفسره يقول إن من الأسماء ما يدرى بالحواس، ثم أورد "عل" من علاماته، وهذا أيضاً جديداً في منهج النحوة، لأنهم يكتفون غالباً بعموم الإسناد.

والباب الثاني عند ابن سليمه، جعله "باب الحروف"، وأتى فيه بفصول تناولت حروف الجر، والحرف النواسخ، وحروف نصب المضارع وجوازمه، وأدوات الاستثناء، وحروف العرض والتحضيض، والتبيه، والنداء، والعلف، والموصول الحرفى، وختم الباب بفصل

(1) المصدر نفسه باب الظرف.

(2) محمد يحيى بن سليمه اليونسي عالم شهير كتب في أكثر العلوم الشرعية، واشتهر بمناهج الاجتهادي المتحرر.

خاص بنون الوقاية، ونون التوكيد، ولام الجواب، والتأكيد، و"إذا" الفجائية، وأحرف الافتتاح والامتناع، وهاء السكت والوقف.

والملاحظ في هذا الترتيب هو محاولة الناظم أن يسير في تدرج منطقي يبدأ فيه بحصر حروف المعاني، مرتبًا لها حسب وظائفها. إلا أنه هنا وقع في مشكل أدى به إلى إيراد بعض الأسماء في كتاب الحروف، بينما تناول نواصي المضارع وجوازمه. وأدوات الشرط، كما اضطر إلى أن يفرق بين هذه الأدوات ومعمولاتها، ففصل عن العطف حروفه، وعن الاستثناء أدواته. فصار ترتيبه شكلياً أكثر مما هو وظيفي.

وبعد "كتاب الحروف" واصل الناظم ترتيبه بالمبني، لأنه من خصائص الحرف، وشبيهه، وأورد الموصول وأسماء الإشارة ثم انتقل إلى الأفعال الناسخة، وظن وأخواتها.

وتحت عنوان "كتاب الإعراب"، يقول ابن سليمه :

وقدَرْنَ إعراب ما اعتلَ؛ لَا "وى" نُصب، والمضاف للباء، ما حُكِي

وفي هذا البيت مثال لمحاولة الاختصار التي أخذ الناظم بها حتى أوصلته إلى قدر كثير من التعقيد؛ إذ يسهل فهم قوله : "وقدَرْنَ إعراب ما اعتلَ" لكن "لَا" نصب" تعنى إظهار النصب فيما آخره واو أو باء وهو ما عبر عنه ابن مالك بقوله :

وأبَدْ نصبَ ما كَيْدُعُو يَرْمِي

و"ما حُكِي" معطوف بلا أداة على المضاف للباء، وهو يشير إلى أحكام المضاف إلى باء المتكلم، مثل جاء، غلامي، وحكم الحكاية، في قولنا "من زيد" في حكاية القول.

بعد هذا البيت انتقل الناظم إلى "النكرة والمعرفة، وفي هذا الفصل أدرج الضمائر التي كان من الممكن أن تأتي في باب المبني الآف الذكر.

وبعد هذه الأبواب، ذكر المجرورات الثلاثة، وهي المجرور بالحرف، أو بالإضافة أو التابع، وتلتها عنده المجزومات، وقال إنها ثلاثة. وهي الأمر والمضارع وتتابع المجزوم. وأتبعها بالمرفووعات الشمانية، والتتمثل لها في الشرح مكتفياً بذكرها في النظم ثم المنصوبات الأربع عشر، ثم التوالي الخمسة.

وانطلق بعد ذلك إلى ما سماه بقاعدة الإعراب، وخصصها لمباحث إعراب الضمائر والنصب كالكاف والنون وباء المتكلم، وهاء الغائب. وأعاد ذكر المجرورات الثلاثة، وبين أن أمثلتها اجتمعت في البسملة مثل ما رأينا عند الفقيه محمد يحيى بن محمد المختار وكذلك المنصوبات. ثم رجع إلى حد الإعراب، وأحكامه في الأسماء الخمسة، وجمع المذكر السالم والمثنى، وهنا يظهر تأثره بالخلاصة، إذ يقول :

وارفع بواو وانصبِنَّ بِالْأَلْفِ      واجر بيا أباً أخاً ذا إن تضف

وبعد باب الإعراب ، خصص بيته واحداً للعدد يقول فيه :

### ثلاثة عشرة لذكر

وتاء الانشى احذف وتركيب دري

ثم خصص أبواباً مختصرة لتصريف الأفعال، وهو يعني بذلك مشتقاتها كالمصدر والمفعول والفاعل. والتعجب وأ فعل التفصيل، وبين أقيمتها وأوزانها. ثم أعقب ذلك باء عرب الجمل. ولعل الصلة عنده بين مشتقات الأفعال أن الجمل تحمل محل المفرد وذكر سبع جمل لا محل لها في الإعراب وقد نظمها بقوله :

لا تعرب الجملة في إبداء أو تفسير أو شرط أو اعتراض او

صلة أو جواب أو إن تبعت واحدة من هذه الاستثنى

ثم ذكر الجمل السابع التي تعرب مفعولاً بعد ظن أو حالاً، أو خبراً، أو نعتاً نحو جاء، رجل يحبك، أو عطفاً، نحو زيد يقرأ ويكتب ويكون محلها الجزم إذا كانت جواب الشرط، أو الجر إذا جاءت بعد إذا وحيث.

ثم جمع الإغراء والتحذير والتخصيص والمدح والذم في باب واحد. كما جمع في المسائل الصرفية أحكام الوقف والتضييق والإحالات وترقيق الراء والنسب، وجمع التكسير والإبدال في باب واحد. وختم نظمه بسائل من التصريف تعرض فيها للزيادة والحدف والنقل، وقال في آخره :

واجتنب الثقل ولبسًا والضرر أزل ورعى اللفظ والمعنى اشتهر<sup>(١)</sup>

والنظم في مجلمه اختصار مبسط لسائل الخلاصة، يقدر أن يستوعبه الطالب في شهرين وفقاً لعنوانه. وقد شرحه المؤلف شرعاً مختصراً كذلك اعتمى فيه بتوضيح الأحكام بالأمثلة دون الخوض في مسائل الخلاف، أو التعرض للشواهد، مع محاولة إعادة ترتيب الأبواب وتنسيقها بحيث يكون التدرج فيها منطقياً لأنه أراد أن يبدأ بالسهل. كما اهتم أن يجمع بين كل الأبواب التي تشملها قواعد مشتركة في الخصائص والإعراب.

## 10. مدرسة ابن عبد الغاضلي :

ومن محاظر التدرس مدرسة محمد بن عبد الله بن الأمين بن محمد، الذي اشتهر بابن عبید، أخذ عن بلا الشقري. وهو ينتمي إلى قبيلة أولاد ديان الذين قال فيهم محمد البیدالی :

ديمان في الناس تبر وغيرهم كالفارخار

في يومهم يوم عيد وليلهم كالنهار

(١) انظر قرة العينين (مخاطر) في الأبواب المذكورة.

## أ) ابن عبد الفاضلي :

لقد درس ابن عبد العلوم في أحواله من بنى الفقيه حبيب الله، وكان معاصرًاً وصديقاً لـ محمد عالي بن سعيد المشهور بـ "مع" وأفاد من عبد الودود بن عبد الله، فاستلهم منهجه وأخذ روايته، واختلطت أنظامهما حتى صار يعزى لأحدهما ما للآخر.

وبعدما تردد على مدارس بنى محمد سالم ومحاظر الصفرا والكھلاء عند بنى حبيب الله الأيجيچبيين، ثم عاد إلى قبيلة الفاضليين، وأسس مدرسته الخاصة، وعينه أمير الترارزه سيدى بن محمد الحبيب قاضياً. فاشتهر بالورع والصرامة.

وقد غالب النحو تدریساً ونظمًا على جل نشاطه. ومع أنه لم يتجاوز سن الخمسين إلا قليلاً، فإنه أثار نهضة نحوية متميزة، برع من روادها النحوى محمد بن محمذن بن المختار الفاضلى وتخرج على يده علماء تابعوا منهجه وتقاليده، منهم ابن عمته، الأديب الشاعر البراء بن بگ، والعلامة المدرس سيدى بن محمد بن الأمين، وهو والد شيخنا العلامة الأمين بن سيدى. وترك ابن عبد مجموعة من الأنظام نحوية تناولت مسائل الخلاف بين النحاة، وحول ترتيب المعرف، والأحرف الأصلية في الضمائر، وعامل النصب بعد إلإ... وحكم ما قطع عن الإضافة من الظروف وهذه أمثلة منها :

ما شاع في جنس كعبدٍ نكره  
وغيره معرفة كعنترة  
فمضمر أعرُفها ثم العلم  
واسم الاشارة وموصول متم  
وذو إضافة بها تبينا  
وما يضاف للضمير كالعلم  
والله أعرف الأسامي وأتم  
جعلت الكوفة قبل العلم  
مرتبةً اسم الإشارة اعلم  
ونجح كيسان الهمام جعلا  
مصحوب أَل قبل الذي قد وُصلا  
وللذى ادعى بقول الله جل  
من أنزل الكتب قد كان استدل  
فالوصف لا يكون إلا دون أو  
مساوي الموصوف فيما قد حكوا<sup>(1)</sup>

وله في منع اجتماع البناء والقطع في الظروف :  
ما عن إضافة من الظرف قطع  
وقد بنىته على الضم منع  
خبراً أو حالاً على ما قد رروا  
قطع عليه مع كونه وقع  
قالوا لثلا يقع البناء مع  
خالد الأزهري في المفعول فيه<sup>(2)</sup>  
موقع شيء آخر نص عليه

(1) حاشية الصبانى : 107/1.

(2) التصريح على التوضيح : 1/340.

### وله في أصول الضمائر :

مع الفروع أخذا بالأقوى  
فقط ضمير ولكي تبينا  
وكوفة عنهم خلاف ذا عرف  
واختاره ابن مالك الحبر الشهير  
لا غير عند من ببصرة سكن  
يعين إلى أن الجميع أضمرا  
لا غير وهي التي في فعلنا  
إن الجميع مضمر فانتبه  
ياء كلامها للإشباع حصل  
بكوفة من النحاة قد سكن  
قيد وعن أبي علي نقا  
وها ضمير وحدها ونونها<sup>(١)</sup>

### وله في عامل الاستثناء :

بها كعمره العظيم الشان  
أصحه ما قاله الأشراف<sup>(2)</sup>

ما بعد إلا نصب الجرجاني  
كذا أبو العباس فالخلاف

وقد استمرت مدرسة ابن عبّد على أيدي نحاة كبار من قبيلة أولاد سيدي الفاضل المعروفي بالفاضليين، وقد جمع الأستاذ محمد فال بن البناني موسوعة هامة عن هذه العشيرة ذكر فيها أسماء علمائها وشعرائها. وستنتصر على ذكر الlamعن من نحاتها.

ب) محمد بن محمد بن المختار :

ومن مشاهير نحاة الفاضلية العلامة محمد بن محمد بن المختار ومن أهم ما كتب نظمه لروض الحرون وله مجموعة أنظمة منها ما يتناول مخارج الحروف، وبعض الأحكام النحوية ومن أمثلتها :

بمشتق أتى في ست جمل  
عدد أو فرعًا، وأصلًا قد جلا  
أو وقع التفضيل فيه فانتبه<sup>(3)</sup>

والحال جامد بلا تأول  
ككونه موصوفاً أو دل على  
كذاك إن نوعاً أتى لصاحبه

.114/1) حاشية الصبان :

(2) شرح الأشموني : 143/1

.372-371/1 التصريح: (3)

وقد ترك من الموضع التي تكون فيها الحال جامدة غير مؤولة بالمشتق كالحال الدالة على سعر مثل : بعته مدا بكذا . قال في التوضيح : " وتقع جامدة غير مؤولة بالمشتق في سبع مسائل " وعدها .

وله في تقدم الحال على عاملها :

حال على عاملها الظرفي نفي  
فمنعه عند الجميع يعتمد  
في هذه مع تقدم الخبر  
ظرفا وكيف جاء زيد قدمن<sup>(1)</sup>  
ونجل برهان إن الحال تكن

وأهم عمل عُرف به ، نظمه لروض الحرون الذي بدأ بقوله :

قال محمد الذي قد انتمى  
آل محمد الكريم النجبا  
وقد تحدث ببعض النعم  
للله حمد مؤذن على الدوام  
أحمد قطب الكون في النور الأعم  
وبعد إن البعض من ذوي الطلب  
فرمت الابداء بالذي قصد  
وفي هذا النظم يقول محمد عن بعض حروف الجر .

في " رب " :

وذكرن على الأصح مرشدًا  
لا بصرة كربهم من رفقا<sup>(2)</sup>  
ومضمير جر برب أفردًا  
وجوز الكوفة أن يطابقا

وفي " من " :

لأكشر البصرة صوب المنهج  
حذف مضاف بينَ عند الملا<sup>(3)</sup>  
لبدا " الأزمنة " من ليست تجي  
وحملوا تلك الأدلة على

(1) شرح الأشموني : 182/2.

(2) حاشية الصبان : 208/2.

(3) التصريح : 8/2.

وعن "حتى" يقول :

حتى الدخول وإلى أن ينتفي  
والغير مطلقين في المقول  
من جنس ما قبلهما فيستبين  
يدخل أربعة أقوال جلا<sup>(1)</sup>  
بكي ينام ليلة حتى الصباح

لا كوفة وقول بصرة انصره  
نحة كوفة بأجلٍ مستدل  
أنهم فعلان بل إختلفا  
للام او للفعل إن أستدنا<sup>(2)</sup>

وحيث لا دليل فالظاهر في  
بغير قيد قيل بالدخول  
وقيل بالتفصيل بين ما يكون  
دخوله أو غير جنسه فلا  
ومثل السيوطى غير الجنس صاح

وفي نعم وبئس يقول :

فعلان في الأصح عند البصرة  
فأول البصرة ما به استدل  
ونجل عصفور ولم يختلفا  
في جملتيهما فهل نسبتا

### ج) البراء بن بكي الفاضلي :

برز هذا العالم الأديب والشاعر المجيد من بين تلاميذ ابن عبده، ومارس التدرّيس  
مجدداً بذاك مدرسة ابناء الفقيه الأمين، الفاضلين، وأسهم في أنظام النحو على طريقة  
شيخه في ضبط مسائل الخلاف. ومن نماذج أنظامه قوله :

منعه هو وفراء العلي  
جوازه عنهم قد استبانا  
شربي ملتوتاً سويقى على  
وبصرة قال ابو حيان  
وقوله :

جوزه على، ويحيى حظرا  
ضربي زيداً لخاذم ناصرا  
وله :

سليل طاهر له قد رضا  
وصلك أيا ما بالامر فاستمع<sup>(3)</sup>  
وصلك أن موصولة بما مضى  
وعن أبي حيان أنه منع

(1) حاشية الصبان : 214/2-215، المغني : 167-168.

(2) التصريح : 94/2.

(3) حاشية الصبان : 175/1.

#### د) الأمين بن سيدني :

ثم استمرت مدرسة ابن عبد عن طريق البراء وسيدي بن محمد بفضل ابنه شيخنا الأمين الذي كان غاية في الحفظ وإتقان القواعد النحوية، وجودة التعبير، وذا ملكة فائقة في تقريب ما بعد من المسائل، وتذليل ما صعب منها، فهو حري بأن يوصف بفريد زمانه ووحيد أقرانه، فهو من أولئك العلماء الشناقطة الذين لم ينصفه التاريخ، لأنهم اقتصروا في جل أعمالهم على التدريس الشفوي، ولم يقدر لدروسهم أن تكتب أو تدون؛ مع ما لهم من فضل في بث العلم في الصدور. ومن واجبي هنا أن أذكر ما لهذا الشيخ من منه على في التعليم وأمثال بقول ابن رازكه :

تنيت لو أعطيت في القول بسطة فاهتف فيه بالذي أنا أعرف

ولهذا الشيخ أنظام طريفة في بعض قضايا التصريف، نذكر منها :

وزنها في اللفظ تنصر علينا	أصل لـ تَبْلُونَ تَبْلُونَ
"والواو لاما بعد فتح يا قلب"	أول ما وقع فيها إن طلب
"من ياء أو واو بتحريك أصل"	فصار تَبْلِيُونَ بالياء، فقل
" وإن يكن لينا فحذفه أحق"	فصار "تَبْلُونَ" بمد فيه حق
" وحذفها لnoon توكيده وجوب"	فأكدت بالنوون ذا هو السبب
" إن تستند الفعل لواو أو ليما"	وبعد حذفها فيه حكيما
" حيلولة الفاعل ذا من أجلها	فمنع اتصالها ب فعلها
" واو وبأ شكل مجанс قفي"	تحرر الواو بضمها وفي
لم تتصل لفظاً بعين الفعل	فصارت النون بهذا الفعل

وقد كتب حفيده الأستاذ الباحث النابه يحيى بن البراء رسالة قيمة حول جامع ابن بونا كانت من أهم مصادر بعض فصول هذا الكتاب؛ ونأمل أن يفرد بجده الأمين دراسة خاصة، لجمع آثاره.

#### 11. الشيخ محمد المامي :

ليس الشيخ محمد المامي ذلك العالم التقليدي الذي يبين الأحكام في العبارات المألوفة، ولكنه المجتهد الشاعر الذي يعرض أن يفاجئ، وأن يشير، وأن يطرب، كان ذلك هجيرا في آرائه العلمية والفقهية، وإذا تناول المسائل النحوية استعمل أسلوب التمثيل الحسي، فشبهه "المصدر" بببر مشهورة ترتوي منها الأبقار. ومثل جوالب حركات المضارع بثنايا بلدة "زوك"، ميرزاً رأي ابن عصفور فقال :

بعد اعتلال وحلقيّ وتضعيف  
من بعدهما احتجبت أرض المزيريف  
تقليل فعل ابن عصفور بتعريف

نجد المشاهير في الأفعال يظهر من  
كأنهن ثنايا زوگ باسمة  
فجاءها بسارح في العين قللهُ

رغم أن هذا المفكر العبرى لم يكن النحو من مشاغله الأساسية فإنه قد استفاد من  
المباحث النحوية في مؤلفاته الفقهية المتميزة بالطرافة والإبداع، ومن ذلك قوله في القصيدة  
الدلفينية التي أبدع فيها في استعمال جموع الجمع لحاجة الروى إليها، ثم ألمح إلى ذلك  
قائلاً :

إبأي أن يسبق الرمي الطعان أو الضرب العناق أو التسهيل تلحينُ  
لابن الزيعرى وحسان محاسين  
للمح ما نقلت عنه الفعالين  
تحكيمه عن قدماء النحو أشمون  
لكنه شربت منه القلاشين  
إن لم تساعدك في رأي دمامينُ  
فرد لما بعده تسموا الأثنين<sup>(1)</sup>

ففي مراجعة حار الروى بها  
ونقل الأعلام طرا نقل إن جمعت  
فليس مرتجلاً في مذهب علم  
وللعشامين هذا مشرب عطن  
وانظر جموع مراد للمراد أخي  
إن المساعد كاسم منه ساعد في

وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتم بتبسيط الأحكام النحوية عن طريق نظمها باللغة  
الحسانية، مع استعمال صور مجازية مقتبسة من البيئة المحلية، كقوله في التمييز بين  
إضافة المصدر إلى فاعله وإضافته إلى مفعول :

مضيوف لفاعل بگرونْ      اجبيد أمسکنَ مصدر  
 مضيوف لمفعول بنونْ      واجبید الذلو إل یغبر

## 12. مدرسة محمد فال بن متالي :

لقد اشتهر العالم الورع محمد فال بن متالي بالصلاح ونشر العلم، ولدراسته قصة  
طريفة مشهورة عند الناس وهي أن علمه كان وهبياً أكثر مما كان مكتسباً. وقد أمد الله  
بقدرة على إمداد طلبه خارقة للعادة، وبروي تلامذته في هذا المجال كثيراً من الكرامات  
الملموسة<sup>(2)</sup>.

(1) انظر ديوانه المطبوع.

(2) راجع ترجمته في الوسيط ص 343.

وقد تخرجت على يده نخبة من العلماء مثل ابن القاضي عبد الرحمن والمخтар بن آلام اليدالي، كما انتسب إليه أستاذ الأساتذة يحظيه بن عبد الوود انتساباً روحياً أسمهم فيما له من إشعاع وقبول.

ورغم اشتهر ابن ماتالي بالعبادة والورع والصلاح فإنه كان لغويّاً كبيراً، وكان يعد تعلم اللغة وتعليمها من أعظم القراءات وفي ذلك يقول :

تعلم اللغة شرعاً فضل على التخلص لعبادة العلي  
يؤخذ ذا من قوله وعلماً آدم الأسماء ألم التعلم؟<sup>(١)</sup>

وقد كان تدرисه يشمل جميع المتون الإسلامية بما فيها "القافية ابن مالك" دون أن يتقييد بالجامع البوني، وله في النحو أنظام نقتصر منها على مثال واحد يتضمن شمول تصوره للعلاقة بين الأصول :

للنفي للمعنى عن الشيئين علو فضل وانحطاط الثاني واعتراض ابن مالك عليه "إلى" وذا للابتداء وضعوا جاوزه، ابن مالك اعتمد شرط إذا المانع منه لا يفي بالله أكبر أو السلام وذا اعتراض صاحب المغني دفع	جالفة أفعال دون مين "من" جرت المفضول في ابتداء عند المبرد وسيبوه بأن "من" ذي بعدها لا تقع أو المجاوزة إذ معناه وصحة اعتقاد ذي الترادف مثل التعبد لدى الإحرام وعن الاستعمال هاهنا منع
--	---

## 13. مواهب ابن حبت وكتاب الموهاب :

### أ) موسوعة الموهاب :

ونعود إلى المؤلفين مع ابن حبت الشنقيطي وإن من أوفي الشروح الموضوعة على جامع ابن بونا، كتاب "الموهاب" لمحمد بن سيد أحمد بن محمد الإمام، الملقب بحبت القلاوي. وهو موسوعة ضخمة في عدة مجلدات، وهو يشبه في جمعه ومنهجه كتاب "نتائج التحصيل" لمحمد لمرابط الدلائي : إذ أفاد منه المؤلف الكبير، واقتفي أثره في الحرص على الاستيعاب، إلا أنه لم يتبعه في تحامله على الدماميبي. وفي مقدمة هذا الكتاب يقول مؤلفه عن شروح الخلاصة السابقة له :

(١) راجع الوسيط ص 344.

"ثم إنه لما كانت تلك الكتابات متزوجة بالخلاصة، امتزاج الماء بالراح ، وامتزاج الأجسام ذوات النفوس بالأرواح، شرعت في الشرح لجميع ما هنالك والإيضاح، ضاماً إلى ذلك من الفوائد ما ينشرح له الصدر أي انتشار، ناقلاً عليه من كلام الأئمة ما يتبيّن به المرام، وينكشف عن وجوه خرائط مخدراته اللثام، ويرى كل غليل نحو ذلك المشرب وظام".

وعن عنايته بالشواهد الشعرية، يذكر أنه يورد رواياتها المختلفة ويفسر ألفاظها الصعبة، وأنه يأتي بما قبل الشاهد أو بعده، أوهما معاً، ويقول إنه ربما أعرض عن حل بعض الأبيات لابتذال معناها، أو لتعقيده حيث لا يتبيّن له الخطأ من الصواب.

ويشير إلى مراجعه العامة قائلاً : إنني اعتمدت في النقل على التسهيل وعلى ثلاثة من شروحه وهي الدماميني، والمساعد، ونتائج التحصيل، وعلى الأشموني وعلى محشيه الصبان، وربما نقلت من "حاشية الشمُّنى" و"الرصاع" ، وعلى "النكت" لسيوطي و"الأشباه والنظائر" له أيضاً، و"الارتشاف" لأبي حيان، و"شرح الكافية" للمؤلف، فما اعتمدت عليه في النقل هذه الكتب وربما نقلت عن غيرها كـ"العيني" وـ"خزانة الأدب" ، وـ"الخمسة" ، وـ"القاموس" وـ"الجوهرى" وغير ذلك، وسميت هذا الشرح "المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية"(1).

ويقول ابنه الشيخ الذي اختصره :

"إن تصنيف الوالد رحمة الله تعالى المسىء بالمواهب النحوية، على الخلاصة والكتابات البونية، لاشك أنه في التصانيف غرة الزمان في غاية الحسن، عند من تداوله من الآخوان لم يأت مصنف من سبقه بمثاله، ولم ينسج على منواله، وهو المستعمل في بلادنا بواديها والحضر، لتفسير الخلاصة ونظم ابن بونا معها وما وضع عليها من الطمر، لكنه في هذا الفن من الكتب الطوال باستجلاب الشوارد وكثرة العزو للرجال، وبالغوص في مفاوز مسائل الفن لتبیان غواصتها والمشكلات، وربما طمع به لسان القلم إلى سائر علوم الأدب لأمر اقتضى ذلك في بعض النفحات، فكان ملجاً وموئلاً للجلة أولى الانتباه. فشرعت في الاختصار، متكتلاً فيه بإيضاح النظمين، وطرهـما وخصوصاً محـامل الاطلاقات والأشهرية مما سواهما فيما اشتـملت عليه من أنواع الخلافـات ومحـالـ الشـواهد من الآيات والأـبيـات. وأـذـكـرـ غالـباً طـرـفاً من تـوجـيهـاتهـ والتـعلـيلـاتـ، وأـزـيدـ تـارـاتـ منـ الأمـثلـةـ لـلـإـيـضـاحـ وـالـكـشـفـ عـنـ حـقـيقـةـ المـسـائـةـ، وأـذـكـرـ فيهـ مـسـائلـ منـ الـأـحـکـامـ جـلـيلـةـ اـقـتضـاـهـاـ المـقـامـ، وإنـ أـضـرـتـ عـنـ كـثـيرـ مـنـ الـفـوـائـدـ الـتـيـ لـاـ تـحـصـىـ وـنـكـتـ لـاـ تـسـتـقـصـىـ"(2).

(1) انظر المواهب في المقدمة.

(2) راجع مقدمة الاختصار لابن المؤلف.

فالكتاب ليس فقط موسوعة في النحو، بل إنه موسوعة في النحو والأدب واللغة وتضمن في آخره تكملة لجامع ابن بونا، نظم فيها الأبواب التي لم يتعرض لها الشيخ المختار في أحمراره.

وقد أفاد كل الذي أتيح له الإطلاع عليه، فاختصره الحارث بن محنض الشقروي وكذلك ابنه الشيخ العلامة صاحب الرحلات.

### ب) اختصار المواهب لابنه الشيخ :

واختصار الشيخ لواهب والده يعتبر من أجود المختصرات لأنه التزم فيه بما يقول. وما احتفظ به في هذا المختصر نسبة جميع الشواهد وشرحها. واستطرد في أغلب الأحيان "الغاز بن لب" النحوية. فصار اختصاره نوعاً من التجريد لكتاب "المواهب" بدون إسهاب أو إخلال.

ونختار نموذجاً من هذا المختصر، وهو عند قول ابن مالك في باب المصدر :

والحذف حتم مع آت بدلاً من فعله كندا اللذ كان دلاً

يقول صاحب "المختصر" :

(والحذف حتم) مع مصدر (آت بدلاً من فعله)، أي عوضاً من التلفظ بفعله :

\* مهملاً : كان فعله بأن أتوا بال مصدر غير مشتقين منه فعلاً، وقسمه المصنف إلى ثلاثة أنواع :

1. إلى منكر نحو أفة وتفة، والأف : وسخ الأذن، والتلفظ : وسخ الأظفار.

2. وإلى مضاف كـ "بله زيد" أي تركه، ومنه :

تندر الجمام ضاحيا هاماتها بله الاكف كأنها لم تخلق

3. وإلى مستعمل بالوجهين : كـ "ويحه"، وـ "ويحاله"، أي : رحمة له وقال الجزولي : ويحه وويسيه كلمتا استصغار واحتقار، وقد اشتق من ويح وويسل ووييل من قال البيت الذي أنشده أبو الفتح وهو :

فما وال ولا وا ح ولا واس أبو هند

وقيل : هو مصنوع لا يعرف له قائل، وعامل ويح ووييل محفوظ :

\* أو مستعملاً : وهو إما واقع في الطلب وهو ضربان : مضاف، نحو : فضرب الرقاب، وغفرانك. ومفرد، كسيقيا، ورعيا، وهو غير مقيس عند سيبويه ومقيس عند الأخفش إن افرد ونكر كسيقيا. والطلب، قد يقع أمراً : كندا اللذ كان دلاً. في قوله :

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندا، زريق، المال ندل الشعالب

فنلا "بدل من التلفظ باندل" اندل يا زريق المال، أي : اختطفه.

\* أو دعاء : بخير، كسبـا، وضـه كـجـعا.

\* أو نهيا : نحو : لا قعودا ، ومن الأمر والنهي قولهم قياماً لا قعودا.

\* أو مستعملاً : في خبر بحسب الصيغة، إنشائي بحسب المعنى كقولهم عند ظهور أمر معجب : عجباً . وعند تذكر النعمة : حمداً وشكراً لا كفراً، وعند تذكر الشدة : صبراً لا جزعاً، أي أصبر صبراً لا أجزع جزعاً، وأعجب عجباً، وأحمد الله وأشكره لا أكفر. قال ابن عصفور ولا يستعمل كفراً إلا مع حمداً، ولا يقال " حمداً " وحده، أو شكراً إلا أن يظهر العامل على الجواز.

\* أو مستعملًا : في خبر غير إنشاني صيغة ومعنى . قال المصنف كقولك في وَعْدٍ من يعْزِّ عليك : أفعل وكرامة ومسرة . أي وأكرمك كرامة وأسرك مسراً ، وللمغضوب عليه لا أفعل ولا كيداً ولا هماً ، أي ولا أكاد كيداً ، ولا أهمنا ، ولا فعلت ذلك ورغمًاً وهواناً .

\* أو مستعملماً : في توبیخ مع استفهام أو دونه، للنفي أو لمخاطب أو غائب في حکم حاضر. قاله في التسهيل. مثال التوبیخ للنفس : قول عامر ابن الطفیل يخاطب نفسه : أغدة كفدة البعير، وموتا في بيت امرأة سلولية ! ومثال التوبیخ للمخاطب :

أعبدا حلَّ في شعبي غرباً     ألؤما لا أباً لك واغتراباً

و کقوله :

## أطريا وأنت قنسري والدهر بالانسان دواري

والقنسري : الشيخ الكبير.

ومثال التوبيخ لغائب نزل منزلة الحاضر : أَعْبَاً وقد علاك شيب. ومثال التوبيخ بدون الاستفهام، قوله :

**خمولاً وإهمالاً وغيرك مولع بتشييد أسباب السيادة والمجد**

وقال في النتائج الاستفهام في البيت مقدر، والمقدر بالاستفهام التوبيخي من أنواع مصدر الواقع في الطلب، فانظر في الأصل جعله قسيما له<sup>(١)</sup>.

(١) راجع مختصر المواهب في باب المصدر.

## ج) مقارنة بآراء المختار بن أبيه الجكنبي :

وقد سبق للأستاذ المختار بن أبيه الجكنبي<sup>(١)</sup> أن تناول نفس المسألة بطريقة أخرى

نوردها للمقارنة. قال ابن مالك :

"والحذف حتم مع آت بدلاً من فعله ... الخ"

\* مهملاً أي لم يوضع في لسان العرب، ولا يخفى أن المصدر حينئذ يحتاج إلى عامل محدود، فقد يقال أن المحدود هو الفعل المرادف، فيقدر في ويل زيد هلك زيد ويلاً، مثل قعدت جلوساً. وقد يقال المحدود الذي يقتضيه القياس ولا يلزم من كونه محدوداً صحة النطق . به قاله الدمامي

\* أو "مستعملماً" في طلب كقوله "على حين ألهى الناس جل أمرهم... إلخ" أو نهياً "نحو قياماً لا قعوداً أو دعاء" كقوله :

أسلفتها أنا منها خائف وجل يا قابل التوب غفراناً مآثم قد

أو خبراً : إنسانياً كقوله :

حمدًا لله ذا الجلال وشكراً وبداراً لأمره وانقياداً

أو غير انشائي، والمراد به الوعد كقوله :

قالت نعم وبلغواً بغية ومنى فالصادق الحب مبذول له الأمل

أو توبيخاً مع استفهام أو دونه لنفسِ كـ "أغدة كغدة البعير"، وقوله :

أعلاقة أم الوُلَيد بعدما أفنان رأسك كالثغام المحول

أو المخاطب كقوله :

أعبدًا حل في شعبي غريبًا المؤما لا أبالك واغتراباً

وووقع المصدر بدلاً من الفعل مقيس في كل ما ذكر وهو مذهب الأخفش والفراء، واختاره المصنف، والدليل على قياسه ما قاله ابن عقيل، وقيل يقايس. وليس معنى وجوب حذف العامل إذا كان المصدر بدلاً من فعله أن لا يذكر الفعل مع المصدر البة، بل معناه أنه كلما كان المصدر بدلاً من فعله أي قائم مقامه ومعطى معناه، وجب حذفه وذلك شامل لأمرتين أحدهما : ما يكون المصدر بدلاً من فعله ويصبح أن يأتي المصدر توكيداً، فحيث كان بدلاً من فعله وجب الحذف، وحيث كان تأكيداً وجب الذكر، كـ "ندلاً" فإنه يصح فيه

(١) المختار بن أبيه الجكنبي، نحوى جليل، اشتهر بالتدريس في منطقة القبلة، ومن درس عليه البحرو والدنا محمد فال بن بايه.

الأمران، والثاني ما لا يصح فيه إلا البدلية كالمهمل عامله، والمستعمل فعله في توبیخ والخمسة التي في النظم وأولها : "الحذف حتم مع آت بدلاً". وأخرها : "كذلك ذو التشبيه".

فإن قلت : نحو ندلاً مما يجوز حذف عامله لأنه يذكر مرة ويحذف مرة، قلت : ليس ندلاً الذي ذكر ندلاً الذي حذف عامله لأنه قائم مقام الفعل ومعطي معناه، وندلاً الذي ذكر عامله للتوكيد فلا يلزم حذف العامل.

وحاصل مذهب ابن مالك قياس الحذف فيما ذكر ابن بونا في طرته وما ذكر في نصه من المسائل الخمس وإذا تأملت ما سبق عن ابن عقيل من القياس في المسائل كلها علمت أن ابن مالك لم يخلط السماع بالقياس وإن قاله الدماميني وغيره.

إن تأملت أيضاً ما تقدم علمت أن اعتراض بعضهم ناقلاً من ابن هشام غير صحيح، وذلك أن ابن هشام قال عند قوله "الحذف حتم" الحكم صحيح والمثال فاسد، لأنه لا يمتنع اندل. وبيان عدم صحته أن ابن مالك لم يقل بامتناع اندل ندلاً لأنه نص على وجوب الحذف وعلى البدلية.

ونص على وجوب ذكره إن كان المصدر مؤكداً بقوله :

### وحذف عامل المؤكد امتنع

ومذهب ابن هشام أن المصدر مؤكدة سواء حذف عامله كندلاً أو ذكره كأندل ندلاً. فعلى قوله نحو ندلاً، وأنت سيراً بما يجوز حذف عامله، وإنما يجب الحذف عنده في مواضع وهي ما أهمل فعله، وما كان طلباً وتكرر نحو :

فصبراً في مجال الموت صبراً

وما أضيف إلى معنوي الفعل نحو "كتاب الله" و"ضرب الرقاب"، وما كثر استعمالهم إياه، وباب هذا السماع نحو أفعله وكراهة ومسرة، وما قُرِن بحرف توبیخ نحو :

### الؤما لا أبالك واغترابا

وفي النظم خمس مسائل، فهي عشر مسائل مستثنيات من قوله :

### وحذف عامل المؤكد امتنع

ومن مفهوم قوله :

وفي سواه لدليل متسع

أي التسع الأولى مستثنيات من قوله :

### وحذف عامل المؤكد امتنع

والأخيرة من مفهوم :

وفي سواه لدليل متسع

ونقل أكثر المؤخرين عن سيبويه منع قياس وقوع المصدر بدلاً من الفعل<sup>(1)</sup>.  
أه من تقييد المختار ابن أبيِّ.

#### 14. محمد عالي بن سيدى بن سعيد، الملقب مع الذي جمع بين التأليف والتدريس :

لقد تخرج من مدرسة عبد الودود - ابن عمه محمد عالي بن سيدى بن سعيد النحوى، المعروف بـ "مع" المتوفى سنة 1310هـ، ويقول عنه أبو بكر ابن احباب في وفيات عام "شرق" :

وفي ذه مات محمد عالي بالاسم والأقوال والأفعال  
المصدر الرجال كالآلية بعد الورود شبه الاقفال<sup>(2)</sup>

لقد كانت صلة محمد عالي بعيد الودود صلةوثيقة، تشدها وشائج قربى النسب والعلم، فكان التلميذ معجبًا بشيخه أشد الإعجاب، فقال عنه في كتاب "التبيبة" : إنه الخبر الذي ليس في منقوله غمز والبحر الذي ليس في منقوده لز، وكان عبد الودود يلاحظ في تلميذه أمارات النبوغ والذكاء، ويووجه إليه أسئلة التمرير والأحادي النحوية، فمما قاله له :

قل للذي كان بالتصريف مشتغلًا لم يخل من درسه يوماً وتكرار ما وزن نكتل وأرام وأثيبة وأينق وعرب ثم ديار وزن "نكتل" هو الذي الذي سأله عنه المازني ابن السكريت، بحضور الواثق، فغلط فيه<sup>(3)</sup>.

ثم إن "مع" قرأ أيضًا على بُلا بن الفاضل الشقروي. وواصل الأستاذ "مع" من قبيلة بني الفقيه حبيب الله دور مدرسة المختار الجبنان، وحفيده عبد الودود، فأقبل عليه أفواج طلبة العلم من كل حدب وفج. وأشاروا بعلميه وتعليميه، فيقول فيه بعضهم :

(1) هذا التقرير مأخوذ من مخطوط في مكتبة ابن أخيها العلامة محمد فال بن عبد الله.

(2) منظومة ابن احباب في تاريخ إمارة الترازنة : 79.

(3) معجم الأدباء : 761، الأشيه والناظائر : 80/5.

لمع الهمام اللوذعي الألمعي  
لا تطمحن عيناك عنه لغيره  
وكن الوعاء لما يفوه "مع" به  
سر واجمعن علومه في مجمع  
وأنس بكل حديثه وتسمع  
لا تفلتنيك كلمة من في مع

ومن أشهر الذين قرأوا عليه ابنه أحمد النحوي اللغوي الذي خلفه في مدرسته وابن أخيه الأديب الشاعر محمد بن أبياه، والعلامة محمد مولود بن أحمد فاليعقوبي، والعلماني المجلسي عبد القادر بن محمد بن سالم وبلاه والعالم الأديب الشاعر لكبيد بن جب التندغي.

### أ) كتاب التنبيه :

لم تقتصر أعمال محمد عالي على التدريس، بل إنه اشتغل أيضاً بالتأليف، ووضع على جامع ابن بونا كتاباً سمّاه، تنبئه الصغار في شرح الإحرمار، عُرِفَ في مقدمته بنسبة إلى الشريف الحسني، وبانتمائه المذهبى، فقال إنه أشعرى العقيدة مالكى في الفقه، بصرى في النحو ثم تحدث عن ظروف كتابته لهذا المؤلف الذى اقتطعه، كما يقول من أساود الهموم، وأسود الاهوال والمشاغل والتشویش، ثم صدره بالأحاديث والآثار المروية في الحديث على تعلم اللغة العربية، لأنها العلم الذي يحتاج إليه كل فن.

واستشهد بمناظرات الكسائي وأبي يوسف في مسائل استخراج الأحكام الفقهية من اللغة<sup>(١)</sup>. ثم تحدث عن نشأة النحو، وعن ترجمة ابن مالك.

واعتمد في شرحه على ابن الدماميني والحضرى والأشمونى والمكودى وابن هشام والصبان، وابن عقيل والأزهري، والشاطبى وعلى شرح السيوطي على الفريدة، ومن الغريب عدم ذكره لـ "شافى الغليل" للفقيه المختار الخجستانى.

واعتذر عن تصديبه لهذا النوع من العمل، لأنه كما يقول تواضعاً "ليس من رجال الطعان، ولكنه من رجال الإشارة بالبيان، وقد يكون الرمي بالحصى أشد وقعاً من الضرب بالعصا" وقتل بقول البوصيري.

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً ما العصى عنده وما الإلقاء

ثم طلب من عشر على طغيان قلم أو زلة قدم أن يغتفر ذلك في جنب ما قرب إليه من بعيد، ورد عليه من الشريد يقول الشاعر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوان

ولقد لقي كتاب "التنبيه" إقبالاً كبيراً في منطقة القبلة ونال عناية كبيرة من الطلبة والباحثين. واللاحظات العامة حول هذا المؤلف أنه يحتاج إلى تحقيق وتصحيح، وتخرير

شواهد، شأنه في ذلك شأن كتاب شافي الغليل، فكلاهما يشمل استعراضاً لجمل نقول ابن مالك وشروحه دون تدخل للاختيار أو الترجيح.

### ب) خروجه عن تقليد سيبويه :

ولعل "مع" هو العالم الوحيد الذي تجراً على الخروج عن النهج السيبويهي، ولم تكن اعتراضاته على إمام النحاة مسوقة في "التنبيه" بل إنه صرخ في مقدمة هذا الكتاب بتمسكه بالمذهب البصري في النحو، عطفاً على انتماهه إلى المذهب المالكي في الفقه، وإلى الأشاعرة في العقيدة. ولكنه حينما كتب رسالة حول النطق بالجيم، وانتصر فيها بقوة للجيم الشامية، اضطرب أن يعارض ماروبي عن سيبويه أن الشدة في الجيم تعني انحباس الصوت في النطق مثل الحج والحق.

فإذا كانت شخصية "مع" لا تظهر في كتاب "التنبيه" من حيث التعبير عن آرائه الاجتهادية، فإن رسالته حول "الجيم" أظهر فيها مقدرته على الاجتهد في الرأي، والدفاع عن هذا الاختيار. ومسألة النطق بالجيم ظلت من القضايا التي شغلت القراء في شنقيط، وكتب عنها الكثير، وكان منهم من ينطق مثل ما تُنطق اليوم في نجد وجنوب الجزيرة، اعتباراً للرواية. ولوصفها بالشدة، مفسراً الشدة بانحباس الصوت عند سكون الحرف، معتمداً على تمثيل سيبويه بـ"الحج" وـ"الحق"، ومنهم من ينطق بها مثل ما ينطق بها في الشارع، وفقاً لرواية أخرى، واعتتماداً على ما روي عن زكريا الأنباري أن الشدة في الحرف انحباس النفس في الصوت.

وقد اختار "مع" هذا الرأي الأخير ودافع عنه بكل ما أوتي من قوة، بينها في هذا الدفاع بالرغم من تشبيهه ببصريته، قبل أن يتخلّى عنها هنا، مردداً ما يقوله بعض النحاة : "إن الله لم يجعل لغة العرب فيما رواه البصريون". ثم قوله إنا لو فرقعنا على صحة نسبة هذا النطق إلى سيبويه، فإن سيبويه قد يخالف الجادة العظمى وبلغى قوله، أو يجعل مقابل الأصح ولعل "المجادلة" عند مع تتمثل في آراء ابن مالك لأنه استعرض سبع مسائل يرى أن سيبويه خالف الأصح فيها وهي :

1. منعه إتباع المحل في اسم الفاعل مع أن ابن مالك يقول :  
واجر أو انصب تابع الذي انخفض      كمبتغي جاه ومالاً من نهض

2. اتباعه في المصدر كقول الشاعر :

حتى تهجر في الرواح وهاجها      طلب المعقب حقه المظلوم

3. قوله بظرفية "سوى" مع أن ابن مالك يراها مثل "غير" ، فقال :  
ولسوى سوى سواء اجعلا      على الأصح ما لغير جعلا

4. منعه لجئ "أن" مع كرب، وهو قول ابن مالك مستشهادا بقول الشاعر :  
سقاها ذوا الأحلام سجلأ على الظما      وقد كربت أعناقها أن تقطعها
5. ولم يعتبر سببويه مخافة اللبس في نحو "بعت" وابن مالك يقول في هذا :  
وان يشكل خيف لبس يجتنب      وما لباع قد يُرى ل نحو حب
6. قوله إن الأسماء الستة تُعرب بحركات مقدرة على المعرف.
7. إجازته لقول : قال فلانة...

وهكذا نرى أن محمد عالي بصرى في النحو عموماً، ولكنه لا يتوانى عن العدول عن رأي سببويه في هذه المسألة، جاعلاً مرجعه الأساسي ابن مالك.

## 15. محمد تقى الله بن الشيخ ما العينين :

### أ) ملخص شخصيته :

ولقد صنف العلامة محمد تقى الله الملقب بـ محمد بوى بن الشيخ ما العينين، شرحاً لجامع ابن بونا سماه "تبين ما يعنون من الألفية وابن بون". والكتاب بديع في صنيعه، جامع بين بيان المشكل وتوضيح الغامض، واستعراض أقوال الأئمة، وشرح الشواهد وإبراد المناسبة التي قيلت فيها. فكان كتاب نحو، ولغة، وأدب.

والمعلوم أن مؤلفه من أبناء علم الاعلام وقادة الجهاد، الشيخ محمد المصطفى بن مامين المشهور بما العينين، والذي عرف بعلومه الجمة، وتأليفه في جميع العلوم الشرعية، وكانت زاويته في مدينة السماراة كعبة طلبة العلم، ورواد المریدین، ودار هجرة أهل الجهاد، ولهذا الشيخ نظم في النحو متداولاً، يحاذى مقدمة ابن آحرون.

وكتاب محمد تقى الله، لم يزل مع الأسف مخطوطاً، مع أنه جدير بالاهتمام، فعسى أن يرسل إليه من يقوم بتحقيقه ونشره. وسنكتفي هنا بنقل فقرات منه تبين منهجه في الشرح، وطريقه في العرض.

### ب) نموذج من كتاب "تبين ما يعنون" :

فيقول في الجزء الأول من باب إعراب الفعل :

"هذا باب إعراب الفعل المضارع. قال في ح<sup>(1)</sup> : أجمع النحويون على أنه إذا تجرد من الناصب والجازم وسلم من نوني التوكيد والإناث كان مرفوعاً كيقوم، وإلى رفعه

(1) ح يعني بها كتاب التصريح لخالد الأزهري، والكلام فيه ح 2 ص 229.

عند التجرد من الناصب والجازم، أشار بقوله :

ارفع مضارعا اذا يجرد من ناصب وجازم كتسعد

يعني أنك ترفع الفعل المضارع السالم من نوني التوكيد والإناث إلخ إذا كان مجردًا من النواصب والجوازم الآتية، قال في "هبة المالك" وإنما لم يقيد الناظم المضارع بالسلامة من نوني التوكيد والإناث لنصه على ذلك في باب المغرب والمبني حيث قال :

وأغروا مضارعا إن عرها

من نون توكيده مباشر ومن

نون إناث بير عن من فتن

"فاكتفى بذلك. والحاصل أن المضارع يُرفع إذا تجرد مما ذكر وينصب إذا دخل عليه ناصب ويجزم إذا دخل عليه جازم، ومثل لرفعه، لأنه المذكور أولاً بقوله "كتسعد" بضم التاء، وفتحها مع فتح العين فيهما مضارع، سعد : مبني للمفعول أو الفاعل".

"تببيه : ما ذكر، أي من رفع المضارع العاري مما ذكر مجمع عليه كما سبق وإنما الخلاف في رفعه فقيل هو التجرد من الناصب والجازم، وهو رأي جماعة منهم الفراء وفي ح أنه الأصح".

"وذهب البصريون إلى أن رافعه وقوعه موقع الاسم كيضرب من قوله زيد يضرب، فإنه واقع موقع ضارب ولذا إذا دخل عليه "لم" أو "لن" مثلاً امتنع رفعه لأن الاسم لا يقع بعدهما، ورد لانتقاده بنحو : هلا تفعل، وسوف تفعل، فإن المضارع فيهما مرفوع وليس واقعاً موقع الاسم لأن الاسم لا يقع بعد حرف التحضيض ولا حرف التنفيس".

"وذهب ثعلب إلى أن رافعه نفس مضارعته للاسم في قبول لام الابتداء، ورد بأن ذلك لا يقتضي رفعاً ولا غيره وإنما يقتضي مطلق الإعراب".

"وذهب الكسائي إلى أن رافعه حروف المضارعة، ورد بأنها كأجزاءه وجاء الشيء، لا يعمل فيه. فهذه أربعة أقوال وإلى تصحيف الأول منها وتضعيف ما بعده أشار في الطرة عند قول الناظم "ارفع مضارعا إذا يجرد"، بقوله "بذلك التجريد" وفاماً للفراء لا بوقوعه موقع الاسم كما قال البصريون ورد بقولهم هلا تفعل. ولا بنفس المضارعة كما قال ثعلب، ورد بأن ذلك لا يقتضي رفعاً ولا غيره وإنما يقتضي إعراباً ولا بحرف المضارعة خلافاً للكسائي، ورد بأنها كجزئه (هـ). ويزاده يسيرة وقوله "بذلك التجريد" متعلق بارفع".

"ثم شرع يذكر النواصب وهي أربعة عند البصريين : لن، وكـي، وأن، وإذاـن، وإلى الأول والثاني منها أشار بقوله "وبـلن انصـبه وكـي" أي انصـب المضارع بهذين الحرفين اللذين هما لن وكـي، نحو لن يقوم زيد، بـنـصـبـ يـقـومـ بـلـنـ وـعـلـامـةـ نـصـبـهـ الفـتـحةـ،ـ وـنـحـوـ لـكـيـلاـ

تاسوا على ما فاتكم <sup>﴿﴾</sup> (سورة الحديد . الآية 22) بنصب تاسوا بكٰي ، وعلامة نصبه حذف نون الجمع إذ الأصل تاسون من الأسى وهو الحزن.

"أما "لن" فلنفي الفعل المستقبل "إما إلى حد" أي غاية "ينتهي" إليها نحو <sup>﴿﴾</sup> لن نبرح عليه عا<sup>ك</sup>فين حتى يرجع اليانا موسى <sup>﴿﴾</sup> (طه . الآية 90) ، فإن نفي البراح مستمر إلى رجوع موسى "إما إلى غير حد أي غاية نحو <sup>﴿﴾</sup> لن يخلقوا ذبابا <sup>﴿﴾</sup> (الحج - الآية 71) فإن نفي خلق الذباب مستمر أبداً لأن خلقهم الذباب محال ، وانتفاء المحال متى قطعاً ، وإلا لكان ممكناً لا محالة قاله "ح" ، ثم قال : ولا تقتضي لن تأبיד النفي خلافاً للزمخري لأنها لو كانت للتثبت لكان ذكر "أبداً" في قوله تعالى : <sup>﴿﴾</sup> ولن يتمنوا أبداً <sup>﴿﴾</sup> (البقرة - الآية 94) تكراراً ، والأصل عدمه ، وتأبيد النفي في "لن يخلقوا ذباباً" لأمر خارجي لا من مقتضيات "لن" ولا تقتضي أيضاً توكيده أي النفي خلافاً للزمخري أيضاً ، بل قوله لن أقوم محتمل لأن ت يريد أنك لا تقوم أبداً أو أنك لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل ، وهو موافق لقولك لا أقوم في عدم إفاده التأكيد والتثبت (هـ) . بحذف وتغيير وزيادة يسيرات".

"وقد تاتي ، أي "لن" ، للدعاء على رأي جماعة منهم ابن عصفور ، والمراد "بكونها للدعاء ، أن يكون الفعل بعدها مقصوداً به الدعاء قال في الطرة "، وحمل عليه قوله تعالى : <sup>﴿﴾</sup> رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين <sup>﴿﴾</sup> (القصص - الآية 16) ، فلن أكون عند هؤلاء الجماعة دعاً لأن المعنى عندهم يجعلني لا أكون "قال" في "ح" ولا حجة لهم فيها ، يعني الآية ، لإمكان حلها على النفي المحضر ويكون ذلك معاهدة منه لله تعالى أن لا يظاهر أي يعين مجرماً أي مذنبًا جزاءً لتلك النعمة التي أنعم عليه بها (هـ) بزيادة يسيرة . وهذا هو مقابل الحمل المذكور في الآية ، وحمل عليه أيضاً أي على مجيء "لن" للدعاء قوله . في بحر الخفيف . :

لن تزالوا كذلك ثم لا زلت ست لكم خالدا خلود الجبال

فلن تزالوا دعاً بدليل عطف الدعاء عليه وهو لا زلت لكم الخ . "قال" "يس" قوله لن تزالوا الخ . قال الزرقاني : هو دعاء لهم بأن يستمرروا على ما هم عليه من الإنعام وقوله : ثم لا زلت... الخ . دعاء له بأن يبقى على ما هو عليه وهو راجع للدعاء لهم لكون ما هو فيه منهم . وقوله : ثم لا زلت لكم أي لإنعامكم وقوله : خالدا... الخ . أي باقياً بقاء الجبال ، قال الدمامي : وقد يقال لا يقوم بهذا البيت حجة لاحتمال أن يكون لن تزالوا كذلك خبراً لدعاء ولا يعینه كون المعطوف عليه بثم دعاء بناء على جواز عطف الإنشاء على الخبر (هـ) . "وكلام<sup>(1)</sup> د" هذا هو مقابل الحمل في البيت ، وقال الدسوقي بعد نقله ما

(1) د يعني بها لبني الدمامي .

نصه : "والحق أن احتمال الخبرية بعيد (ه)". وقد أشار السيوطي في "الكوكب الساطع" إلى ما ذكر في لن بقوله :

لـ حـرـفـ نـيـ تـنـصـبـ الـمـسـتـقـبـلـاـ  
تابـيـدـهـ عـلـىـ الـأـصـحـ فـيـهـماـ

أي المختار "قال في المواهب" والجمهور على جواز تقديم مفعول معمول "لن" عليها نحو : زيداً لن أضرب. ومنعه الأخفش الأصغر وبمذهب الجمهور استدل "س"<sup>(1)</sup> على بساطتها وعدم تركيبها من لا أن، ووجه الإستدلال به أن أن يمتنع تقديم مفعول معمولها عليها ومن قال بتركيبها الخليل والكسائي فإن أصلها عندهما لا أن فحذفت الهمزة تخفيفاً والألف للساكنين، فهي عندهما مركبة من لا النافية نظراً لمعناها ومن أن المصدرية نظراً لعملها وقال الفراء : أصلها لا النافية فأبدلت ألف نوناً ورد بأن المعهود إنما هو إبدال النون ألفاً، كـ "لنسفـعاـ" لا العـكـسـ(هـ) بـحـذـفـ وـتـغـيـيرـ وـتـقـدـيمـ وـتـأـخـيرـ.

وأما "كي" فيشرط في نصبها للمضارع أن تكون مصدرية كما في الآية السابقة، وهي «لـكـيـلاـ تـأـسـواـ» (الحديد. الآية 23) فإن "كي" فيها مصدرية وهي الناصبة للفعل بعدها بنفسها، فإن لم تكن مصدرية بأن كانت جارة وهي التي منزلة لام التعليل معنى عملاً، فليس التصب بها نفسها بل هو بـ "أن" مضمرة بعدها غالباً نحو جئت كـيـ لـأـتـعـلمـ فـكـيـ حـرـفـ وـأـتـعـلمـ مـنـصـوبـ بـأـنـ مـحـذـفـةـ،ـ أـيـ لـأـنـ أـتـعـلمـ،ـ وـمـنـ غـيـرـ الغـالـبـ قولـهـ :

فـقـالـتـ أـكـلـ النـاسـ أـصـبـحـتـ مـانـحـاـ  
لـسـانـكـ كـيـماـ أـنـ تـغـرـ وـتـخـدـعاـ

"الشاهد في "كـيـماـ أـنـ تـغـرـ" حيث أظهرت "أن" الناصبة بعد كـيـ الجارة وهو قليل ومنهم من جعله خاصاً بالضرورة وقد مر الكلام على البيت في صدر حروف الجر وتعين كـيـ الأولى وهي المصدرية إذا وقعت بعد اللام على رأـيـ "سـ" والجمهور نحو : "لـكـيلاـ تـأـسـواـ" ليـأـ يـدـخـلـ الجـارـ عـلـىـ الجـارـ وـمـطـلـقاـ عـلـىـ رـأـيـ الـكـوـفـيـنـ أيـ : فـإـنـهـ يـرـوـنـ أنـ كـيـ نـاصـبـةـ مـطـلـقاـ تـقـدـمـتـهاـ اللـامـ أـمـ لـاـ وـرـدـ بـقـوـلـهـ :ـ إـذـاـ سـأـلـواـ عـنـ عـلـةـ،ـ الشـيـءـ كـيـمـهـ،ـ بـحـذـفـ أـلـفـ ماـ الـاسـتـفـهـامـيـةـ وـإـلـاحـاقـ هـاءـ السـكـتـ وـأـلـفـهـاـ لـاـ يـحـذـفـ إـلـاـ إـذـاـ جـرـتـ،ـ كـمـ سـيـنـبـهـ النـاظـمـ على ذلك في الوقف بقوله :

وـ"ـمـاـ"ـ فـيـ الـاسـتـفـهـامـ إـنـ جـرـتـ حـذـفـ  
أـلـفـهـاـ وـأـلـهـاـ الـهـاـ إـنـ تـقـفـ  
"ـ وـتـعـيـنـ الثـانـيـةـ .ـ وـهـيـ الـجـارـ .ـ إـذـاـ وـقـعـتـ قـبـلـ "ـأـنـ"ـ كـمـ فـيـ الـبـيـتـ السـابـقـ وـهـوـ قولـهـ ،ـ  
فـقـالـتـ :ـ "ـأـكـلـ النـاسـ أـصـبـحـتـ مـانـحـاـ"ـ ...ـ إـلـخـ

(1) سـ يعنيـ بـهـ سـيـبـوـيـهـ.

وكذلك إذا وقعت قبل اللام، نحو : جئت كي لأقرأ لأن لام الجر لا تفصل بين الفعل وناصبه. فكي جارة اللام بعدها موكدة لها والنصب بأن مضمرة وفي بعض نسخ الطرة ما يفيد أن ذلك أي وقوع اللام بعد كي كثير وذلك لأن فيه - أي ذلك البعض . وكثيراً ما تلتها اللام حال كونها أي كي جارة نحو :

لَتَقْضِيْمُ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرٍ قَرِيشٍ  
كَيْ لِتَقْضِينِي رَقِيْةً مَا  
وَعَدْتَنِي غَيْرَ مُخْتَلِسٍ

"والشاهد في البيت الأول في قوله : "كَيْ لِتَقْضِيْ حَوَانِجٍ" ، وفي الثاني في قوله "لِتَقْضِينِي" فإن كي فيما جارة لتأخر اللام عنها والنصب بأن مضمرة والباء فيما أي لتقضى ولتقضيني ساكنة ضرورة ، والبيت الأول من الخفيف وقد سبق ذكره في المغرب والمبني عند قوله :

وَفَعَلَ أَمْرًا وَمَضَى بِنِي

"والثاني من المديد وقاتلته عبد الله بن قيس الرقيات، قيل وإنما سمي بذلك لأن له عدة زوجات تسمى كل واحدة منها رقية، ورقية في البيت فاعل لتقضيني ، "وَمَا وَعَدْتَنِي" مفعول "وَغَيْرَ مُخْتَلِسٍ" بالنسب صفة لمصدر مذوف، أي تقضيني ما وعدتني قضاً غير مختلس بفتح اللام وهو مصدر ميمي يعني الاختلاس، قاله العيني قال (ص)<sup>(1)</sup> ولا حاجة إلى جعله مصدرأ ميمياً بل الظاهر أنه اسم مفعول و"غير" حال من ما .

وقبل البيت :

لِيَتَنِي آتَيْ رَقِيْةً فِي خَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ مَا يَبْسُ

كَيْ لِتَقْضِينِي ... إِلَّا

"وتتعين الثانية مطلقاً على رأي بعضهم، وهو الأخفش أي فإنه يرى أن كي جارة على كل حال سواء وقعت قبل اللام أم لا، وإن النصب بعدها بأن مضمرة أو مظاهرة، ورد بقوله تعالى ﴿لَكُيْلَا تَاسُوا﴾ (الحديدة - الآية 23)، فلا يجوز أن تكون كي هنا حرف جر لدخول حرف الجر عليها وإن زعم أن كي تأكيد لللام قوله :

وَلَا لِمَابِهِمْ أَبْدَأْ دَوَاءً

رُدّ بأن الفصيح المقيس لا يخرج على الشاذ انظر (ح) قال في التسهيل : ويترجع مع إظهار "أن" مرادفة اللام على مرادفة أنَّ والمعنى أن كي إذا توسطت بين اللام وأنَّ

(1) ص يعني بها ، الصبان والكلام فيه ، ج 3 ص 283.

يجوز فيها أمران، أحدهما، وهو الراجح أن تكون مرادفة للام، أي بأن تكون حرف جر مؤكدة باللام، والثاني أن تكون مرادفة لأنّ، أي بأن تكون مصدرية وأن مؤكدة له، وكذا يجوز الأمران، أعني كونها حرف جر أو مصدرية إذا تجردت من اللام وأن معاً ومن الأول وهو ما إذا توسطت بين اللام وأن قوله :

أردت لكيما ان تطير بقريتي فتركتها شنّا ببida بلقع

"قال في (ح) بعد أن ذكر البيت ما نصه : فكي يتحمل أن تكون مصدرية لدخول اللام قبلها وأن تكون تعليلية لتأخر أن بعدها فإن كانت مصدرية فإن مؤكدة لها لمعنى السُّبُك، وإن كانت تعليلية فاللام مؤكدة لها لمعنى التعليل وكونها تعليلية أولى من كونها مصدرية لأن تأكيد الجار بالجار أسهل من تأكيد حرف مصدري بحرف مصدري (هـ)." .

"و "تطير" من الطيران والمراد هنا تذهب بسرعة، فاستعير الطيران للذهاب السريع، والقرية بالكسر معروفة وتركتها بالنصب معطوف على أن تطير، وشنا مفعول تتركها الثاني وهو بالفتح، القرية البالية والبیداء بفتح الباء والمد الأرض القفرا، التي تبيد، أي تهلك من دخلها، والبلقع القفرا، التي لا شيء فيها ." .

ومن الثاني وهو ما إذا تجردت "كي" عن اللام وأن معاً، قوله تعالى : ﴿ كَيْلَا يَكُونُ دُولَة ﴾ (الحشر - الآية 7)، قال في (ح) بعد أن ذكر الآية ما نصه : فإن قدرت قبلها، يعني كي اللام فهي مصدرية، وإن لم تقدر قبلها اللام فهي تعليلية فلفظ يكون على الأول منصوب بنفس كي وعلى الثاني منصوب "بأن" مضمرة بعد "كي" والأولى أن تكون مصدرية.

فتحصل ما ذكر أنَّ لكيْ خمسة أحوال : الأول أن تكون قبلها اللام فتكون مصدرية والثاني أن تقع بعدها فتكون تعليلية، بمعنى أنها حرف جر مقصود به التعليل، والثالث أن تقع بعدها "أن" فتكون تعليلية أيضاً، والرابع أن تتوسط بين اللام وأن، فيجوز فيها الأمران، والخامس أن تخلو من اللام وأن معاً فيجوز فيها الأمران أيضاً، وقد نظم بعضهم هذه الأحوال بقوله :

لام عليها عند جل العلما ذي اللام نحو جنت كي لأعلما مثاله جئتك كي أن تُكرما نحو "لكيما أن" أتى مُنتظما هذين فيما أن ولا ما عدما	كي مصدرية إذا تقدمت وهي للتعليق أن تأخرت أو وقعت أن بعدها عندهم ويجوز الوجهين إن توسطت والراجح التعليل ولتجوزن
--	--

"أجاز الكسائي تقديم معمول "كي" عليها نحو : جنت النحو كي أتعلم، ومنعه الجمهور لأن كي من الموصولات الحرفية ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول قاله في المواهب ثم أشار إلى الناصب الثالث بقوله : "كذا بـأي" أي وكذا أنصب المضارع بــ"أن" المصدرية دون الزائدة والتفسيرية، فلا تنصب بهما وسيأتي الكلام عليهما آخر الباب إن شاء الله تعالى، وتقع المصدرية في موضوعين الأول : الابتداء نحو ﴿ وأن تصوموا خير لكم﴾ (البقرة - الآية 184)، فتصوموا مضارع منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه حذف النون، إذ الأصل تصومون، والمصدر النسبي من أن وصلتها في موضع رفع بالابتداء وخبره خير لكم، أي وصومكم خير لكم، والثاني بعد لفظ دال على معنى غير اليقين نحو ﴿ فأرددت أن أعييها﴾ (الكهف - الآية 78)، فأعييها مضارع منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه الفتحة، والمصدر النسبي منها أي من أن وصلتها مفعول أردت، أي أردت عييها أي تعييبها.

" وــ"أن" هذه أم الباب بدليل الاتفاق على عملها دون بقية أخواتها ولأنها تعمل ظاهرة ومضمرة بخلاف أخواتها، فلا تعمل إلا في حال إظهارها وإنما لم يقدمها على لن وكي مع استحقاقها ذلك لما فيها من التفصيل المشار إليه بقوله "لا بُعدَ علم" هذا معطوف على محذوف أي وانصب المضارع بعد غير علم لا بعد علم، والمعنى أنه يشترط في نصب أن للمضارع عدم وقوعها بعد فعل العلم كما في الآيتين السابقتين ثم استمر في شرح وتوضيح الأحكام التي ذكرها صاحب الخلاصة في هذا الباب".

## 16. الحسن بن زين (تطور المدرسة البوئية) :

أخذ الحسن بن زين اللغة والنحو عن عبد الوود بن عبد الله وعندما توفي عام 1268هـ انتقل إلى شيخه بلاً بن فاضل الشقري، لاستكمال ثقافته النحوية، وقد تم له ما يريد، لم يكن الحسن بن زين نحوياً تقليدياً، بل تلقى العلوم ليعطيها مثل ما أخذها. بل إنه كان مفكراً منهجياً وصانعاً ماهراً، حرص على إضفاء صبغة من التجديد في تنظيم القضايا النحوية. فانصب اهتمامه على تقريب بعض القواعد المعقّدة سواء في أحكامها، أو عواملها، أو شروطها، وبतخريج أوجه الحكم في استعمالات لغوية خاصة. كما اهتم بالبحث في التدقيق في بعض المصطلحات، وبيان حدودها، وإبراز الفوارق بينها.

كل ذلك في أسلوبه الشعري مثل الذي رأيناه عند شيخه عبد الوود. وسنورد نماذج من أعماله الفنية في هذا المجال. كما نشير أيضاً إلى أن له نظاماً مستقلاً في محفوظات المجموع، وتشبيحاً للامية ابن مالك في الأفعال. وهكذا فإنه أعطى لتدريس النحو في القبلة دفعاً جديداً، وحيوية متميزة، وقد ساعدت الحظ أن كان من بين تلامذته،

شيخ الأساتذة يحظيه بن عبد الوهود، الذي تطورت المدرسة البوئية على يده، ووصلت به إلى أرفع المستويات، في المنهج، والتدريس والتقييد.

### أ) نماذج من نظمه :

ولقد اتبع الحسن بن زين طريقة عبد الوهود في نظم المسائل النحوية، فمن ذلك قوله في أحكام "إذا" الفجائية، مستعرضاً الخلاف في حرفتها، مع تبيين إعرابها :

يُنْمِي إِلَى الزِّيدِ وَقِيلَ ظَرْفٌ	إِذَا الْفَجَائِيَّةِ قِيلَ حَرْفٌ
فِي "بَيْنَمَا" إِذَا عَلَيْهِ تَدْخُلٌ	فَإِنْ تَكُنْ زَائِدَةٌ فَتَعْمَلُ
عَامِلٌ "بَيْنَا" قَبْلَ "بَيْنَا" تُخْفَى	وَانْ تَكُنْ لِفَجَاءَةً أَوْ ظَرْفًا
بِيَدِلٍ إِذَا لَظَرْفٌ تَنْسَبُ	فَسُرْهُ مَا بَعْدَ "إِذَا" وَتَعْرِبُ
قَالَ بِهِ كَذَاكَ نَجْلَ جَنْيِي <sup>(1)</sup>	كَمَا الشَّلْوَيْنِيَ قَرْمَ الْفَنَّ

وقوله : "يُنْمِي إِلَى الزِّيدِ مَعْطُوفٌ بِحَرْفٍ مَحْذُوفٍ، إِذَا هُوَ حَرْفُ ثَانٍ".

وتعليقًا على قول ابن مالك :

نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقِرَّ	وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٌّ
يقول الحسن :	

إِذَا لَيْسَ يَحْوِجُ عَلَى مَا يَجْلِسُ	وَكَائِنٌ مِنْ اسْتَقَرَّ أَوْلَى
آخِرٌ عَكْسٌ ذَلِكَ الْأَخِيرُ	تَقْدِيرُهُ أَيْضًا إِلَى تَقْدِيرٍ
فِي نَحْوٍ : أَمَا عَنْدَهُ فَأَحْمَدُ	وَإِذَا لَهُ تَعْيِنٌ يَطْرُدُ
أَحْمَدُ مَرْشَدًا إِلَى الصَّوَابِ	كَذَا خَرَجْتَ فِي إِذَا بِالْبَابِ
وَعِنْدَ ذَا وَجْبٌ رَدُّ الْمُحْتَمِلِ	وَلَا تَعْيِنْ لِفَعْلٍ فِي مَحْلٍ
لِيَجْرِي الْبَابُ بِهِ عَلَى سَنَنٍ <sup>(2)</sup>	إِلَى الَّذِي عَيْنَ مِنْ غَيْرِ وَهُنَّ

وفي عامل الحال في قولنا : "هذا خطيب القوم مرتفعاً" يقول :

فِي نَحْوٍ "هَذَا" خَطِيبُ الْقَوْمِ مَرْتَفِعًا	هُلْ عَالِمُ الْحَالِ "هَا" أَوْ "ذَا" وَقِيلَ مَعًا
سُوِّي الْأَخْيَرِينَ لَذَاكَمْ وَقَدْ سَمِعَا	فَجَازَ هَا رَاكِبًا ذَلِكَ الْأَمْرِيُّ عَلَى
وَخَذَهُ حَكْمًا مِنَ الصَّيَانِ قَدْ جَمِعَا <sup>(3)</sup>	هَا بَيْنَا ذَا صَرِيحَ النَّصْحِ فَاصْنُعْ لَهُ

(1) راجع "المساعد" ج 1/503.502، "الجني الداني" : 189، "المغني" : 115.

(2) راجع "شرح الأشموني" : 1/201-202، "التصريح" : 1/166.

(3) "حاشية الصبان" : 180/2.

وله في عامل ناصب "يوماً" من قول امرئ القيس : "ولاسيما يوماً بدارة جلجل" :

على سيماء قول على القول يعتلي  
بتقدير فعل قبله غير منجل  
لسيٰ كعندك مثله سيف صيق  
لسيٰ فيما في قوله من معول  
وما قبل في هم الهوامع ينجل<sup>(1)</sup>

ونصبك "يوماً" قبل دارة جلجل  
وظرفاً يراها بعضهم صلة لما  
ومن قال "ما" كفت ويوماً مميز  
يرد بأن اليوم يوم مغایر  
وذا الرد في الصبان قد جاء بينما

ونرى في هذين المثالين تأثره بحاشية الصبان على الأشموني واهتمامه بالبحث في العوامل جعله ينظم أبياتاً في عامل الرفع بعد "لولا" ، مع أن هذا النوع من التدقير يدخل في القضايا التي قال أبو حيان إنها لا تم النطق ولا المعنى :

أصلًا وقيل بأن نابت عن "انعدما"  
خروجها من مدى أشباهها لزما  
وذا به كل ناحي كوفة حكم<sup>(2)</sup>

ورفع ما بعد لولا قيل هو بها  
وضعفوا رفعه بها لأن به  
وقيل رافعه "يُوجَد" مقدرة

غير أن الفائدة تكون أكثر حينما يتعلق الأمر بضوابط شروط الاشتغال التي يقول فيها الحسين بن زين :

في سابق وكونه لم يفصل  
في الكتب إضمار لدى المتبا  
عنه ففيه بعضهم يقول  
إفراده، كذلك الافتقار  
وشرط مشغول صلاح العمل

عن سابق، وشرط مشغول به  
وشرط سابق وهو المشغول  
تقديمه، تخصيصه، الإظهار

وله في تفسير بعض المصطلحات النحوية حيث يقول :

ندر مع ما بالضعف وسما  
حاد قليلاً أو كثيراً ما ورد  
يُقس وما فشا بعكسه في  
ثبوته فيه نزاع العلما<sup>(3)</sup>

تفسير ما شذ وما فشا وما  
فذوا الشذوذ ما عن القياس قد  
والنادر القليل قيس أو لم  
آخرها الضعف وهو كل ما

ويمكن المقارنة بين هذه التفسيرات مع ما قاله الفارسي في المسائل العسكرية<sup>(4)</sup>.

(1) حاشية الصبان : 168/2.

(2) المساعد : 212-213.

(3) راجع شرح ابن عقيل (حاشية محيي الدين عبد الحميد) 516/1.

(4) المسائل العسكرية : 134.

وله أيضاً في الفوارق بين الخبر، والإنشاء والأمر :

قد فرق النحاة بين الخبر  
والأمر والإنشاء تفريقاً دُرِّي  
فسابق المعنى على اللفظ الخبر  
والا مر بالعكس والإنشاء اشتهر  
بأنه مقارن معناه للفظه وذاك فرقناه .

يعني أن للخبر معنى خارجاً عن اللفظ يحتمل الصدق والكذب، وإن الأمر طلب لتحقيق معنى معين، فهو سابق له. وابن هشام هو الذي جعل القسمة ثلاثة بقوله إن الإنشاء مقارنة اللفظ للمعنى، مثل قولنا : وهبتك ما طلبت...

وفي باب الفوارق أيضاً يقول ابن زين :

مؤنث نَدْمَانَ الْخَمُورَ بَتَا بَدَا  
وَذُو الْخَمْرِ إِنْ تَذَكَّرْ فَإِذَا كَرْهَ مُنْصَرْ<sup>(1)</sup>  
لَنَوْنَ نَدَمَى الْخَمْرَ فِي شَعْرِهِمْ أَلْفَ  
أَلْفَنَاهَ أَنَ الشَّكْلَ فِي الْجَمْعِ مُؤْتَلْ<sup>(2)</sup>

وفي إعراب قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ غَيْبٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل. الآية 61).

يقول الحسن بن زين :

فِي قَوْلِ رَبِّ الْعَرْشِ قُلْ لَا يَعْلَمُ  
فَرْفَعَ إِلَّا اللَّهُ لِلزَّمْخَشْرِي  
وَقَدْرَ ابْنِ مَالِكٍ مَنْ يَذَكَّرْ  
وَابْنِ هَشَامَ أَعْرَبَ الْغَيْبَ بَدْلَ  
وَبَعْضُهُمْ جَمَعَ دُونَ خَلْفَ

ب) توشيح الامية :

ومن أعماله المميزة في التصريف توشيحه لامية الأفعال لابن مالك وقد وضع عليه طرة فصار هو المعتمد في مناهج المحاظر الموريتانية وقد أعاد صياغته العلامة محمد سالم بن محمد عال بن عدود وفقاً للنموذج التالي :

يأتي ومكسور عين أو على فعل  
(ص) بفعل الفعل ذو التجريد أو فعل  
البيت لابن مالك كما صرح به الشيخ.

(1) راجع "التصريح" : 213/2، "حاشية الصبان" : 3/230.

(2) "القاموس المحيط" : 1499 ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ال فعل ) مبتدأ ، و (التجريد) نعت ، ( يأتي ) بفعل أو فعل ومكسور عين أو على فعل ) أحوال متعاطفة .

ثم قال الحسن بن زيد :

تضعيف ثان أو أن اليا ، آخره      أو عينه كالوقوع قلما نقا

(تضعيف ثان قلما نقا) عن العرب كليبٌ لبابٍ تلب بالفتح ، فلا نظير له فأنـتـ لـبـيبـ وـمـلـيـوبـ ذـوـلـبـ وـجـاءـ كـفـرـ وـدـمـامـةـ فـأـنـتـ دـمـيمـ أـيـ حـقـيرـ وـيـثـلـثـ مـفـتوـحـهـ كـصـدـ وـفـكـكـتـ فـكـةـ وـضـبـبـتـ الـأـرـضـ وـعـزـزـتـ النـاقـةـ ضـاـقـ إـحـلـيـلـاهـ كـأـعـزـتـ فـهـيـ عـزـوزـ وـمعـزـ . (أـوـانـ الـيـاـ آـخـرـهـ) . مـتـصـرـفـاـ لـاـ كـرـمـوـ فيـ التـعـجـبـ كـنـهـ بـالـاعـالـلـ لـأـصـالـةـ الـلـامـ فـيـ فـهـوـ نـهـيـ جـمـعـهـ أـنـهـيـاءـ أـوـ نـهـ بـالـفـتـحـ وـبـالـكـسـرـ لـلـاتـبـاعـ جـمـعـهـ نـهـونـ كـامـلـ النـهـيـ (أـوـ عـيـنـهـ) كـهـيـؤـ بـالـتـصـحـيـحـ تـنـبـيـهـاـ عـلـىـ الأـصـلـ حـسـنـتـ هـيـنـتـهـ قـ وـيـثـلـثـ لـاـ فـاؤـهـ كـيـمـنـ بـيـنـاـ فـهـوـ أـيـنـ وـكـعـنـيـ فـهـوـ مـيـمـونـ وـلـاـ الـوـاـوـ مـطـلـقـاـ كـوـضـوـ وـطـالـ وـسـرـوـ قـ وـيـثـلـثـ شـرـفـ (كـالـوـقـوـعـ) أـيـ وـقـوـعـهـ أـيـ تـعـديـهـ بـتـضـمـنـيـنـ كـرـجـبـمـ الدـخـولـ فـيـ طـاعـةـ الـكـرـمـانـيـ ، وـإـنـ بـشـرـاـ قـدـ طـلـعـ الـيـمـنـ أـيـ وـسـعـكـمـ وـبـلـغـهـ ، وـهـوـ مـنـ الـمـعـانـيـ كـمـاـ تـرـشـدـ إـلـيـهـ الـكـافـ ثـمـ قـالـ الحـسـنـ :

وـهـوـ لـمـعـنـىـ عـلـيـهـ مـنـ يـقـوـمـ بـهـ      مـجـبـولـ أـوـ كـالـذـيـ عـلـيـهـ قـدـ جـبـلاـ

وـهـوـ لـمـعـنـىـ مـنـ يـقـوـمـ بـهـ مـجـبـولـ عـلـيـهـ) كـجـبـنـ وـشـجـعـ وـطـالـ وـقـصـرـ وـحـسـنـ وـقـبـحـ (أـوـ كـالـذـيـ عـلـيـهـ قـدـ جـبـلاـ) كـشـعـ وـفـقـهـ وـفـصـحـ لـمـ كـانـتـ الـثـلـاثـةـ لـهـ كـالـطـبـعـ .

## 17. محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي وشواهد الحديث :

محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي ، المتوفى سنة 1323هـ ، وهو من يقول عنه العـلـامـ المـختارـ بـنـ الـمحـبـيـ :

وـ "جيـسـقـ" قد صـارـ فـيـ اـسـتـفـالـ	اـذـ مـاتـ فـيـهـ نـجـلـ اـحـمـدـ فـالـ
مـحـمـدـ مـوـلـودـ أـعـنـىـ الـمـوسـوـيـ	مـنـ كـانـ ذـاـ عـلـمـ وـفـضـلـ مـوـسـوـيـ
مـنـ كـانـ يـسـقـيـ الـبـرـ كـلـ ظـامـ	مـنـ الشـرـوـحـ وـمـنـ الـأـنـظـامـ
وـمـنـ فـوـائـدـ لـهـ لـمـ يـسـبـقـ	مـعـتـصـمـاـ بـالـلـهـ ذـاـ تـعـلـقـ

وكان الشيخ محمد مولود من دعائيم المدرسة اليعقوبية ، التي مزجت بين الفقه ، والأدب ، واللغة ، وعرف الموسويون كذلك بجودة الشعر والتخصص بالقضاء ، فقال عنهم الشاعر ابن أحمد يوره :

حـكـمـ الـقـضاـءـ بـكـلـ حـكـمـ فـيـصـلـاـ      وـالـمـوـسـوـيـونـ الـأـلـىـ قـدـ فـصـلـواـ

فبرز منهم الشاعر الكبير محمد بن الطلبة الذي نظم التسهيل نظماً لم يصلنا منه إلا بيت واحد هو قوله في باب الإضافة :

وقد يضيفون لأدنى ملتمس ككوكب الخرقاء لاح كالقبس

واشتهر من اليعقوبيين علماء بارزون في اللغة والأداب من ذلك مولود بن أحمد الجواد صاحب "سقاية المفتل" في تصريف الأفعال، وهو من أول من ألف في أصول الفقه في وسطه، وقد رأينا أنه من تلامذة المختار ابن بونا، وقد جرت بينهما مساجلات معروفة مثل ما جرى بين المختار هذا والعلامة المجيدري بن حب الله اليعقوبي.

واشتهر محمد مولود بكتابه في الفقه المعروف بالكافاف<sup>(١)</sup>، وبمجموعته من المؤلفات أكثراها في الرقائق والزهد مع أنه كان مع ذلك نحوياً ماهراً درس على العلامة الشيخ محمد فال بن متالي التندغى وعلى الحسن بن زين، واخذ أيضاً عن والده، صاحب الأنظام الفقهية الطريفة.

ودرس عليه القارئ اللغوي حبيب بن الزايد ومحمد بن محمد البخاري الذي كان حافظة كتبه واهتمامه محمد مولود بالنحو، ارتبط بإعراب القرآن ويتخرج أحاديث الشواهد.

ومن نماذج أنظمه قوله في إعراب قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لِيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (هود - الآية 8).

في يوم يأتيهم ثلاثة : مبتدأ  
وان تقل ذو الابتداء يرفع  
وقيل مفعول به ليعرفون  
او متعلق بليس إذ يصح

وتناول محمد مولود شواهد النحو والحديث في رسالة سماها : "إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار" ويقول في مقدمتها :

"ألا أني رأيت إقبال الناس على شواهد النحو من الشعر ضبطاً وشرحاً، وتركهم غيره، فشق علي ترك ذلك في القرآن وال الحديث واعتبرتني لهما غيرة، ففهمت بهما ووعدت بعض الإخوان بذلك وعدا ثم نظرت فإذا شواهد الآي كثيرة جداً، وأنا في شغل عنها لم أجده منه بدأ، ولها في إقليننا حفاظاً وحذاق، والحديث شواهد يسيرة، وشروحه نزيرة ولا أعلم له حفاظاً في القطر مع أنه يجب حفظه ومعرفة علومه، وكذا يجب إقامته، ولذا يجب تعلم النحو واللغة على قارئه لأنهما وسيلة تقويه".

(١) طبع هذا الكتاب مؤخراً طبعتين إحداهما يشرح المؤلف والثانية يشرح العلامة محمد الحسن بن أحمد الخديم.

لقد استعرض محمد مولود في هذه الرسالة نحواً من مائة من الأحاديث والآثار من شواهد جامع ابن بونا، مرتبة على تبويبه. واعتاد أن يعطي أصل الحديث من كتب النحو، وربما عزاه إلى بعض كتب الحديث، وبالخصوص إذا كان في صحيح البخاري. وفي بعض الأحيان يبين أن الكتاب المعزوله الآخر لم يحضره، وذلك لقلة كتب الحديث في عهده. ومن عادته أن يبين موضع الاستشهاد، وأقوال الصحابة، بل أورد أيضاً بعض الأمثلة التي ترددت في كتب النحو ليطلع على أنها من كلام العرب وليس من الآثار. وقد حفظت هذه الرسالة في جامعة انواكشوط من طرف الباحث عبد الله بن خيار العلوي.

وما تزال مدارس اليعقوبيين سائرة على هذا النهج، وتقوم بتدريس العلوم الشرعية واللغوية، نذكر من بينها على سبيل المثال مدرسة العلامة محمد الحسن بن أحمد الخديم حفيد مولود بن أحمد الجواد.

وقد سبق أن ذكرنا نظمه لبحث محنض بابه بن اعبيد في معاني آل كما أوردنا قطعة من نظمه في تراجم النحاة، وله مجموعة من الأنظم النحوية منها :

ضرورة فكان كالشعر المثل	في نظر النحاة الأمثال محل
مبنيّة ولإيجاز قد يصار	ووجه هذا أنها على اختصار
في قولهم أطرق كرأ إذ رخما	خصوصاً أن قصد سجعها كما
ندائه قد اعتراه الحذف	فيه اسم جنس وكذاك حرف
لكونه به على ذا يستدل	من أجل ذاك ليس يصلح المثل

## 18. مدرسة يحظيه بن عبد الوهود:

### أ) أستاذ الأساتذة يحظيه :

جمع لهذا العالم الجليل نحو العالمين : الحسن بن زين ومع، فكان يقول إن الحسن كان خيراً بأبيات السود أي بنصوص ابن مالك، وإن مع كان ماهراً بالأبيات الحمراء أي في نصوص ابن بونا، فإنه هو كان عارفاً بالأسود والأحمر.

"وينتمي يحظيه بن عبد الوهود من أسرة مشهورة بالنبل والصلاح. ولم يبحه يحظيه بن عبد الوهود إلى السفر بعيداً من طلب العلم نتيجة تعدد العلماء في محبيته الخاص حيث قرأ المعلمات الست على العلامة سيدى بن زين، ثم انضم إلى محظرة الحسن بن زين المشهورة بتفوقها في ميدان الدراسات النحوية، وقد مكث في هذه المدرسة أطول فترات تعلمه حيث أتقن فيها علوم النحو والصرف، وقد فطن شيخ هذه المحظرة إلى ذكائه وأعجب به حيث كان كثيراً ما يكل إليه تدريس الطلاب وفك بعض الألغاز العلمية التي بطرحها التلاميذ من حين لآخر على عميد المحظرة.

وقد قرأ التوحيد على عمه عبد الله، والمنطق على العلامة الحسن بن أحمد محمود، ثم توجه إلى محظوظ المختارين ألمًا (ت 1308هـ) وقد مكث فيها ببرهة من الزمن درس خلالها على هذا العالم الجليل علم البيان، كما أخذ طريق الشاذلية عن محمذن فال بن متالي لكن بواسطة المختارين ألمًا، وفي ذلك يقول العلامة محمد عالى بن عبد الوودود، وهو من أشهر خريجي محظوظ يحظيه :

لَكُنْ عَلَى وَاسْطَةِ الْمُخْتَارِ نَجْلُ الْمَا عَلَمِ الْمُخْتَارِ  
جَدُّ الَّذِينَ خَتَمُوا بَنِيهِ فَنُوهُنَّ مَا شَتَّتَ مِنْ تَنْوِيَهِ

وبعد أن أكمل يحظيه دراسته لأهم علوم عصره، وجلس للتدريس في محظوظة التي استقطبت طلاب المعرفة من جميع النواحي فترة من الزمن تناهز خمس سنوات، ما لبث أن أحس برغبة جامعة تغريه بالاستزادة من المعرفة التي كلما تعمق فيها الإنسان شعر بفاجح جهله.

وهكذا فقد سافر يحظيه من جديد نحو محظوظة أهل محمد سالم المجلسين في تبرس، ولم يكن أحد يصدق ذلك، والمدرسة المذكورة توجد في أقصى الحدود الشمالية للمنطقة التي يسكنون بها، إلى جانب ما يتربّط على السفر من مشقة ومكث مع شيخها سنتين وسبعة أشهر لم يكن يشتغل فيها بغير طلب العلم، وكان يلزم خيمة التلاميذ لا يكاد يخرج منها إلا إلى المسجد. وكلف نفسه مشقة التحصل في كل أيام الأسبوع، إذ كان يرفض الاستمتاع بالعطلة الأسبوعية للمحظوظة وكان القوم بدوا رحلا ينتجعون أماكن الكلا، ويدرس شيخ المحظوظ وهو راكب على ظهر دابته المملة بصناديق الكتب، بينما يسير الطلاب على أقدامهم بمحاذاة الجمل الذي يقل عميد المحظوظة، وهكذا فقد كانت هذه المدرسة متنقلة، ومع ذلك فقد صمد يحظيه أمام هذه الظروف.

وكتيراً ما كان يردد الأبيات التالية :

وَلَمْ تَكْ مِنْ أَدْرِكَ الْمَجْدَ بِالْمَنْيِ  
وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْبَنِ النَّوَاصِبِ  
لَبَسْتَ لَهُمْ كَدْرَ الْعِجَاجِ إِنَّمَا  
تَرَى صَافِيًّا أَنْ لَا تَرَى الْجَوَاصِيفَا

وخلال مقامه في مدرسة أهل محمد سالم، أعاد يحظيه دراسة الفقه حتى أتقنه وأجاده، كما كان يدرس طلاب هذه المدرسة النحو.

بعد هذه الرحلة الشاقة عاد العلامة يحظيه إلى مسقط رأسه حيث أسس محظوظته من جديد، وواصل مزاولة نشاطه العلمي الذي تجسد أساساً في التدريس والقضاء.

فمحظرته في القبلة ظلت أكثر من نصف قرن نوابغ الطلبة ومصدر أعلام الأساتذة، ابتكر لها شيخها الفذ منهجاً في الدراسة يجمع بين التوسيع في دراسة النصوص باستقصاء كل الأقوال في شروح الخلاصة، مع الحرص على ترسيرها في الذهن وحفظها عن ظهر قلب، فكان نتيجة هذا المنهج أن المتخرين الذين استكملوا مقرراتها كانوا صفة من بين مئات الطلبة ، وهذا ما يفسر لنا أن فروعها قد تأصلت في مدارس ذات أصول ثقافية فاستطاع المترجح من محظوظه يحظيه أن يجددها وأن ينميها ومن بين هؤلاء الأعلام، ممّ الحكيني، صاحب الأنظام الرائعة وأحمد بن كادا المشهور بكتابه، المعروف بالكداية والعالم الورع محمد سالم بن علماً وابن عمّه العلامة محمد بن المحبوي (ت 1335هـ)، وشيخنا محمد علي بن عبد الوود المبارك (ت 401هـ)، والشيخ محمد حامد بن آلا الحسني، وابنه هو التاء الذي خلفه في محظرته<sup>(١)</sup>.

ولقد اعتناد الأستاذ يحظيه أن يشارك طلبه في المباحث والأنظمة وما روى له قوله:

مشترك الموصول عند العلما  
أيُّ وأل، وذا وذو ومن وما

ويقول في تأخير العطف :

خبر من قبله لتقتي  
موراً معبداً وذا اعتلال  
وقد يكونان بلا استواء  
تأخيراً أو عطفاً أجز في المنعطف  
يدا أبي العباس والصيوفا"

وقدرن تأخيره أو أحذف  
في موهم العطف بلا استكمال  
وقد يكونان بالاستواء  
وان على النصوب منصوب عطف  
"إن الريبع الجود والخريفا  
ومنها :

أ فعلة أ فعل ثم فعله  
بشتت ذا المعطوف ليس جمله  
فإن تكن سوابق الحمام  
فبالسلام ثمت السلام

قول ابن مالك امام الملته  
ثمت أفعال جموع قلته  
وقول شاعر أخي تهيم  
ساقتهم للبلد الحرام

وأكثر تلامذة يحظيه قد أسسوا مدارس مستقلة مثل أبي بن حيمود الحكيني الذي كان بارعاً في تدريس المتنون والحسن بن أبي الحكيني والشيخ محمد حامد بن آلا، وشيخنا محمد علي بن عدوة، الذي كان المحلي في ميدان التدريس والأداب والشعر، وقد تخرج على يده كثير من مئات التلاميذ، وكان يحظيه يفخر بتلميذه هذا الذي بلغ رتبة الاجتهاد في حياة شيخه.

(١) مدرسة يحظيه إعداد محمد بن محمد يحيى بن ادوه.

وما يروى في هذا الصدد أن تلميذاً لمحمد عال أثار إعجاب الشيخ يحظيه فسأل أي تلاميذي هذا؟ فقيل له إنه تلميذ محمد عال بن عبد الودود فأنشد قول ابن مالك :

### كعلقة حاصلة بتتابع كعلقة بنفس الاسم الواقع

ومن شعر الشيخ محمد عال في وصف محظرة شيخه يحظيه قوله :

وكم تعاطى بها الإخوان في طرب  
ترى ابن يوسف محثناً بجانبه  
ترى الجسويني والشيخ الإمام بها  
فيها الجنيد وأصحاب الجنيد على  
فيها عليٌّ وعمرو لا يروعها  
لا يختشي ابن يزيد يوم نائبة  
من راح علم مداماً قرقفاً أنفاً  
ينحو بها الأشعري الكامل الشرفاً  
بين التعادل والترجيع قد وقفاً  
ما سنه أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ والخلفاً  
زُبُورٌ وَأَشِ إذا ما دب وازدلفاً  
فيها ابن يحيى ولا يحيى بها حلفاً

ومن أنظم الشیخ محمد عال في النحو قوله في إعراب "أولى له" :

أولى له مبتداً جاء على  
فعلى بالحاق وقيل أفعالاً  
لذاك لا يصرف في الكلام  
فقد أتى أدلة غير منصرف  
أو هو من أسماء الأفعال يعد  
ونشر ذا يفوح من تلقاء  
كتاب إعراب أبي البقاء

ومازالت محظرة آل عدود قائمة بدورها التعليمي على يد أبنائه، النباء الشیخ محمد يحيى والشیخ محمد سالم الذي أشرنا إلى صياغته لتوسيع الحسن بن زين علي لامية الأفعال لابن مالك .

ونورد نبذة موجزة عن بعض مشاهير تلاميذ أستاذ الأساتذة يحظيه بن عبد الودود، مثل ابن الأمين الشنقيطي، وأحمد بن كداح، ومحمد الجكنى وأحمد بن أحمد والشیخ محمد سالم.

### ب) ابن الأمين الشنقيطي (ت 1333هـ) :

لقد اشتهر أن أحمد بن الأمين العلوى الشنقيطي كان من أخذ على الأستاذ يحظيه بن عبد الودود، ولو كنا لا نعرف مدة إقامته في مدرسته، وماذا قرأ عليه، ومع ذلك فإننا نفترض أنه اكتسب منه ولو عه بالبحوث اللغوية وال نحوية<sup>(1)</sup>.

(1) راجع ترجمة ابن الأمين في مقدمة الطبعة الأخيرة لكتاب "الوسط".

شهرة ابن الأمين الشنقيطي ترجع إلى كونه مؤلف كتاب "الوسط في تراجم أدباء شنقطي"، فقد بين هذا الكتاب جانباً من مقدراته العلمية وبالخصوص سعة باعه في العلوم العربية، وقد تكفي قراءة ترجمته لابن التلاميد الشنقيطي لإدراك توجهه في العربية والنحو. لقد انتصب ابن الأمين الشنقيطي خصماً عنيداً لابن التلاميد الشنقيطي. ودارت بينهما معركة مفتعلة في مسألة غير ذات أهمية، وهي حكم صرف "عمر" وكلاهما هول فيها أشد تهويل. قال ابن التلاميد إنها جمع عمرة، ومنع من منع صرفها، وخطأ كل النحاة فيها ابتداء من سيبويه إلى ابن مالك وأتباعه، وأشار هذا الرأي حفيظة ابن الأمين، وتحامل بعنف على مواطنه ابن التلاميد، ويرى أقلامه لتفنيده في رسالة سماها "الدرر في منع عمر".

والذي يهم في الموضوع هو إشارة إلى أن ابن الأمين، كان من كبار النحاة واللغويين، فلقد قام بشرح المعلقات العشر، والمقصور والمدود والمثلث لابن مالك، "وليس في كلام العرب" لابن خالويه. وأمالي الزجاجي، وله "الدرر اللوامع على همع الهوامع"، ويقول عن سبب تأليفه لكتاب الدرر :

"إن الحافظ جلال الدين السيوطي خدم لغة العرب خدمة قصر عنها معاصره ولم يفتئ فيها سابقه، ومن أجمع ما ألف، وأنفع ما صنف همع الهوامع على جمع الجوابع لولا بتر شواهد، فإنه كثيراً ما يأتي بشطر بيت، أو بكلمة أو كلمتين منه، وإنما فعل ذلك اتكالاً على الحفظ لما علم في أهل زمانه من سيلان الأذهان ولأنه ألف كتابه هذا للعلماء، ولم يؤلفه لصغار الطلبة، فندبني من حركته محبتة لنشر الكتب المقيدة إلى تذليله بما يروض شواهد، وربما أتيت ببحث اقتصره أو تركه اعتماداً على ما مر بيانيه مع نسبة الشاهد إلى قائله، ولم أتعرض لترجمته غالباً. وسميت الدرر اللوامع على همع الهوامع".

ويقول ابن الأمين إنه لم يتأل جهداً في تصحيح النقول التي أوردها السيوطي والسعى إلى تتميم الأبحاث التي اختصرها، وربما بين اعتماده على غير المشهور في موضع منها، والتزم ابن الأمين بذكر وجه الاستشهاد في الشواهد ثم عرض آراء النحاة وتخرير الشواهد دون الاهتمام بترجمة قائلها. لأن كتاب الدرر وضع أولاً لتوضيح الشواهد وتخريرها. ولقد بذل فيه جهداً كبيراً، مستعيناً بشواهد سيبويه، وشرح الأعلم الشنتمري لها، المعروف بـ "تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب" في علم مجازات العرب، وكتاب "الفصول والجمل" لمحمد بن هشام اللخمي (ت 577 هـ)، وشرح شواهد الرضي على كافية ابن الحاجب، لعبد القادر البغدادي، وشرح شواهد الألفية لمحمود بن

أحمد ابن موسى العيني وشرح شواهد المغني للسيوطى، كما رجع إلى دواوين اللغة والأدب المعروفة.

لكن اهتمامه الأول بالشواهد لم يمنعه من تناول المسائل النحوية، لأنه التزم أن بين الوجه الذى استشهد به السيوطي في الهمم، ثم يستعرض آراء النحويين في الموضوع، ثم يبدو من عرضه ميله إلى البصريين، ولاسيما إذا كان الرأى معتمداً لدى ابن مالك الذى تابعه في عدة أصول نحوية مثل الاستشهاد بالقراءات وبالحديث النبوى الشريف وفي بيان ما لا يقاس عليه كالضرورة الشعرية.

ويذكر الأستاذ يحيى محمد محمود في رسالة عن ابن الأمين أنه استخلص من منهجه من خلال ما خلَفَ من الآثار قواعد عامة أغلبها من مقدمة "كتاب الدرر في منع عمر" ومنها :

1. أن النحو الآن قد استقر فلا يحدث فيه شيء، يعني أن باب الاجتهاد فيه قد أغلق.
2. ليس كل ما سمع عن العرب يقاس عليه.
3. القياس لا يصار إليه مع وجود السماع.
4. الطارئ يزيل حكم الثابت : فلفظ الاستفهام إذا طرأ عليه معنى التعجب صار خبراً.
5. ما يقبح في العلة لا يقبح في المعلول<sup>(1)</sup>.

وإعجاب ابن الأمين بعمل السيوطي لم يمنعه من نقاده ومخالفته في قضايا معينة منها في معرض قول الشاعر :

أنت الجواب الذي ترجى نوافله وأبعد الناس كل الناس من عار

ان السيوطي استشهد به على جواز إضافة "كل" إلى اسم ظاهر مثل المؤكد ويقول الشنقيطى إن الذي ذكره النحويون أن "كلا" في التوكيد تضاف إلى ضمير المؤكد. وأما ما استشهد به فلا حجة فيه لأن "كل الناس" نعت لاتوكيد، وهو نعت يبين كلام المنعوت<sup>(2)</sup>.

ووافق هنا أبا حيان، واتهم ابن هشام بالتحامل على أبي حيان، لكنه في موضع آخر يخالف أبا حيان ويقف مع ابن مالك - على غير عادته - وهو أن الضرورة ما وقع في الشعر وليس ما لا محيد عنه للشاعر<sup>(3)</sup>.

(1) ابن الأمين وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية: 185 - 186.

(2) الدرراللواامع شرح هومام: 155/2 (عن طريق الرسالة المذكورة).

(3) الدرراللواامع : 191/2.

واستشهد السيوطي للاستناف بالفاء بقول الشاعر :

الشعر صعب وطويل سلمه  
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
زلت به إلى الحضيض قدمه  
يريد أن يعرمه فيعجمه  
ويقول ابن الأمين :

"وما في الهمم مختصر من المغني، والتحقيق أن الفاء في ذلك للعاطف، وأن المعتمد في العطف الجملة لا الفعل<sup>(1)</sup>".

واستشهد على أن الفاء ترد بمعنى "إلى" بقول أمي القيس :

قفأ نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقوط اللوى بين الدخول فحومل  
ويقول ابن الأمين إنه استشهد بقول الشاعر - على عكس ما قال آنفاً :  
يا أحسن الناس من قرن إلى قدم ولا جمال محب واصلٍ تصلُّ  
والأصل ما بين قرن فحذف "بين" وأقام "قرنا" مقامها - هذه عبارة المغني - ومنه تعلم  
أن في الهمم سقطا ، والأصل ما بين قرن إلى قدم<sup>(2)</sup>.

كما نبه الأستاذ يحيى محمد محمود أحمد معلوم في رسالته عن ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية، أن المؤلف توسع في استطراد القصص والروايات والحكايات الأدبية في المناسبات التي تعن له . ومن ذلك ما ذكره من قصة لمبيد العامری مع نادي قريش وقصة عروبة بن الورد وطلاقه لزوجه سلمى تحت تأثير السكر . وقصة الحاجاج مع غلام أبي عمرو بن العلاء الذي كان شاعراً . وقصة ميسون الكلابية مع معاوية . وذلك حين تسرب إليها فقالت :

لَبِيتُ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مَنِيفِ  
وَلَبِسُ عَبَاءَ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَبِسِ الشَّفَوفِ<sup>(3)</sup>  
ومن ذلك أيضاً وصية الخطيبة عند وفاته .

ويبرز كتاب الدرر اللوامع في طليعة الكتب التي جمعت بين اللغة والنحو والأدب مظهراً لما لمؤلفه من قدم راسخة في هذه العلوم ومن عناية وتقدير لجهود الإمام السيوطي في خدمة اللغة العربية.

(1) الدرر اللوامع: 2/171.

(2) الدرر اللوامع: 2/170.

(3) ابن الأمين وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية : 75.

## ج) أحمد بن كَدَاء (أحمد بن بَابُو)

هذا النحو المبدع يعدمن الطبقة الأولى من تلاميذ شيخ الأساتذة يحظيه بن عبد الودد. واشتهر في حياة شيخه بكتابه المعروف بـ "الكَدَاهِيَّة". وهو عبارة عن مجموع من الأنظام والمواishi التي تدور كلها حول مسائل جامع ابن بونا.

وقد أجازه أستاذه يحظيه بما نصه : «**لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا**» (البقرة - الآية 158)، «**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ**» (البقرة - الآية 282)، إعلموا وأعلموا مستنسحا شاوركم، ومستخبراً حاوركم وخالي ذهن جاوركم بأنني أوريت لاحمد بن بَابُوا فقبس وأوحيت نفس ونجحت فضرس فصار مني في التوابع بدلاً ليس بعضاً ولا مبانياً ولا مشتملاً :

واسطة هو المسمى بدلاً (مطابقاً)

منحصر في (محو بالأصل)

(محو بالأصل)

وخبر المحصور قدم أبداً

يحظيه بن عبد الودد تيب عليهما

وكُتِبَ تحتها وأنا كذلك محمد قال بن محمد بن أحمد بن العاقل

ولابن كَدَاء أشعار تعليمية وأنظام كثيرة وجيدة منها في معاني النحو التي بينها

أولاً بأنها : القصد، والمثل، والجهة، والمقدار، والقسم، والبعض، قال :

تناهز نحو ألف أو هي أكثر

ونبحوك يا شيخ بالنحو أجد

تابع المقصود في الحكم بلا

مبتدأ بلام جنس عَرْفَا

وما لنا إلا اتباع أح마다

وكتب تحتها أنا كذلك محمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل

ولابن كَدَاء أشعار تعليمية وأنظams كثيرة وجيدة منها في معاني النحو التي بينها

أو هو في الشكل جا قولان للقدما

فأبطلوا قول من بما مضى حكما

مفادة أن فيه القبح قد لزما

والرُّدُّ من ذينك الردين قد علموا

والجمع متهد لافرق بينهما

فصاعدا وابنذر عنك ما زعموا

ومثل ذا غير مقبول لدى العلماء

أفراد كالجوزا لا كذا بني كرما

من ردهن ولاك اقعن بما ظمما<sup>(1)</sup>

نون المثنى من التنوين جا عوضاً

وباعتراض الحروف والثبات مع الـ

وقد أجاب الرضي عن الثبات بما

ومنهما بعض من مضى يعوضه

وحكم نون المثنى في الذي ذكروا

وقال بعض بتتنوينين جا عوضاً

إذ ربما اعتريض من ألفين حينئذ

بل هي لدفع توهם الإضافة والـ

وقد أتى غير ما قد جاء منتظمًا

(1) حاشية الصبان : 1/87-88.

ويقول في باب التعجب :

أمر وفي البصري للمضي  
يلزم ضعف المذهب البصري  
وهو فعل عند أهل البصرة  
أقوى الأدلة على الفعلية<sup>(1)</sup>

أفعل به في المذهب الكوفي  
وسمجيء الأمر للمضي  
وأفعل اسم عند أهل الكوفة  
نون الوقاية لأهل البصرة

ويقول في باب الإضافة :

كالضارباك وضاربوك عندهم  
فالجر والنصب جائزان فيه معاً  
وإن يك الوصف مفرداً فنصبكمه  
والعكس للأخفش الأسمى وقال به  
مع ذي الأداة يرى عمرو مقالهما  
أما الذي قاله الفرا جوازهما

ويقول في الخلاف بين الخليل وسيبوه في همز "ال" :

مال الخليل ثم سيبويه  
وعند سيبويه همز وصل  
همز ادرجى عن كونه بعض ادرجى  
وهي سبع هاكمها بالمرز  
كذا ثبواتها في مثل الامر  
لفظ الجلالة وفي الإيلاء  
عن كل ذا أجاب سيبويه  
فمثله على مع لعلى  
كذا في الاستفهام لبس الخبر  
لفظ الجلالة كالاصل اتصف  
باللف والنشر المرتب الجواب  
ما كثر استعماله قد خففوه

آل حرف تعريف هذا إليه  
وهمزها عند الخليل أصلٍ  
والاعتراض انف بأن لم يخرج  
مُرجح الخليل فتح الهمز  
فيزيد صرف الحرف والحرف برى  
كذا في الاستفهام مع نداء  
به، كذا تذكر عليه  
فخلف الأصل خلف الأصل  
وبعرض الفتح في كالاحمر  
به، وإن لم يجد أن يعرفنا  
وبالتذكرة لطول الاصطحاب،  
جواب من قال بوصف حذفه

(1) التصريح : 87-88.

(2) التصريح : 30-31، حاشية الصبان : 246-247.

كما أتى عن قد عبارة بقد  
توافقا فيه وفي الهمز انفقد<sup>(1)</sup>

يني دونها سوام أهل التعلم  
سوى من رعى ما ليس منها بعلم  
على قول حبر في العلوم مقدم

محلأً وحيثما تفهمت يفهم  
يصادفه من معرب متفهم  
إذا لم يصادف من يُجرّ بمقدم<sup>(2)</sup>

لذا عبارة الخليل أله فقد  
والثاني بالألف واللام وقد  
ومن قوله في الألغاز :

أيا راعياً في النحو كل حديقة  
عرفنا معنى ليس يدرك كنهه  
مضاف إليه جُرُّ لا بإضافة

فأجابه أحمد بن أمينو :  
تعايي بمكني يجرّ بمقدم  
جواب المعايي لا "أبالك" قل من  
سوى ابن هشام من يُجرّ بمقدم

#### د) احمد بن اجمد :

لقد اشتهر من أبناء اجمد عمالان أدبيان أحدهما أحمد صاحب الأنظام  
الطريفة، الثاني زين إمام محظرة مشهورة كان لها دور متميز في القرن الماضي.  
ونورد نموذجاً من نظم أحمد في أحكام "لا جرم" :

لا غير في كتاب رافع السما  
أربعة الأقوال تقتفيها  
فعل مفسر بحق فاعلما  
لسبيوه والخليل ذا يضم  
وأن "لا" زائدة وتنصبا  
مفعلنها أصح لهذا الحال  
لعمل من السياق قد فهم  
ركبتا معناهما حقاً فقد  
ولا محالة وجُلُّ الفرا  
وفي الدماميني ذاك حقاً  
والنصب أشهر على القول الرضي<sup>(3)</sup>

وخمسة قد وردت لا جرم  
وقد روى المفسرون فيها  
أولها النفي بـ "لا" وجرما  
وأنَّ والصلة فاعل جرم  
والثاني أنها تعنى كسبا  
أن مع الصلة في محل  
ومضرم يعود فاعل جرم  
أو أن لا جرم كلمتان قد  
أو رادفت لأبد عند الفرا  
قد غالب استعمالها كحقا  
وانصب محل ما تلاها وانخفض

(1) التصريح : 148/1.

(2) التصريح : 240/1.

(3) المصباح النير : 69.

## هـ) مم الجكنى :

مكث أحمد محمود بن عبد الحميد الجكنى المعروف بِمَ (ت 1362هـ) في مدرسة الأستاذ يحظيه عشرين سنة، فاستوعب مقرراتها، وأغنى بحوثها ودراساتها، وقيد شواردها بأنظامه البدعة. ثم تصدر للقراء في حياة أستاذة، وتخرج على يده علماء، مرموقون أمثال العلامة الحسن ابن ابا والإمام بده بن البوصيري، ومن أصدق ما قيل فيه، ما رثاه به أحد تلاميذه :

أهم حل في الأحساء جم  
نعوا مبدي خفايا كل فن  
أقبرا بالسديرة حل فيه  
وقد جمع أنظمه النحوية سميةٌ مم بن محمد.

وتدل هذه الأنماط على سعة اطلاعه، وعلى اهتمامه بمسائل الخلاف العالى في النحو وعلى محاولته لاستكمال بعض المباحث التي وردت بصورة جزئية في خلاصة ابن مالك، ثم تصدى كذلك لبيان اعراب بعض الآيات القرآنية، والأبيات الشعرية وقد أعطى أهمية خاصة لأسلوب نظمه متبعاً في ذلك طريق القوم، أعني عبد الوودود والحسن بن زين ومن لف لفthem ونورد هنا بعض النماذج من هذه الأنماط الكثيرة منها في أعمال اسم الفاعل<sup>(1)</sup> :

من اسم فاعل بلا امتلاء	ويعمل الماضي لدى الكسائي
في قول ربنا تعالى "باسط" <sup>(2)</sup>	ولا له حجة إذ يغالط
وذاك للاخفش لو لم يعتمد	وكوفة تعامله كما عهد
بنحو ما أوله "خبير" <sup>(3)</sup>	واحتاج في إعماله الأخير
حمله بعض رجال الخير	وذا على التقديم والتاخير
وليس حجة له "سويرا" <sup>(4)</sup>	ثم الكسائي يعمل المصغرا
وافقه بعض الآلى تأخرها	وحيث لم يحفظ له مكبّر
وهو كميٍّ بعده عصير <sup>(5)</sup>	شاهد ذاك عندهم شهر

(1) راجع لهذا البحث : المغني : 314، البحر المحيط : 213/5

(2) إشارة إلى قوله تعالى : «وَكَلِمَهُمْ بِاسْطِ ذَرَاعِهِ بِالْوَصِيدِ» (الكهف. الآية 18)

(3) إشارة إلى قول الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيًا مقالة لهبي إذا الطير مررت

(4) إشارة إلى قول العرب : "أظنني مرتحلاً وسويراً فرسخاً".

(5) إشارة إلى قول الشاعر :

فما طعم راح في الزجاج مدامه ترقق بالأيدي كميٍّ عصيرها

إذ "فاقت"<sup>(١)</sup> إعمالها مفقود  
وبعضهم يقول ذاك ليس له<sup>(٢)</sup>

أيمة الكوفة لا ولا  
ما للجمال مشيها وئيدا"<sup>(٣)</sup>  
بأوجهه في الكتب كلها جلي  
خبره، والحال منه خلف  
وابن بونا ذي ارتفاع الرتبة  
عن خبر كالحال والمفعول"<sup>(٤)</sup>  
كسيرها إذ رفعت بـ"فاقت"<sup>(٥)</sup>  
قد أبطلوا الثلاثة المعروفة  
ولا يخرج على الذي ندر  
عن رفعه إلى المجراره بدل  
حکاه بالوجهين من تقدمها  
بعدم الهمز ولابن مالك  
همزاً كمن ذا أسعيد أم على"

وعده ذا صفة منقوص  
وبعضهم قبل الصفات أعمله  
ويقول في تقديم الفاعل :

"وبعد فعل فاعل" و قالا  
لقومه إذ رد النشيدا  
وذا لدى البصرة ذو تأول  
فمشيها مبتداً منحذف  
نظيره ذلك "ونحن عصبه"<sup>(٦)</sup>  
وربما استغنى بالمعمول  
أو هو من ضرورة القصائد  
أو هو من ها بدل والكافه  
بأن الاول ندوره ظهر  
والثاني طاع تركه لم عن دل  
أو نصبه مفعولاً اطلق كما  
ثالثها قد أبطلوا كذلك  
"وبدل المضمن الهمز يلي

وفي هذا النظم لا نراه يميل إلى البصريين ولو أنه قال إن تاويلهم جلي للشاهد الذي استدلوا به.

ومن نماذج استكماله لبعض الأبواب، نظمه في الامالة الذي يقول فيه :  
من أوجهه ينظر في الإمساله  
من رامها فليلقين بالله  
وحكمها، وهكذا الأسباب،

(١) إشارة إلى قول الشاعر :

إذا فاقت خطباء فرخين رجمت ذكرت سليمي في الخلط المزاييل

(٢) راجع حاشية الصبان: 293-294، التصريح : 65/2-66.

(٣) هذا صدر بيت من الرجز، وعجزه : "أجنداً يحملن أم حديداً".

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يوسف : "لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عَصْبَةٌ" في قراءة من نصبيها.

(٥) إشارة إلى قول النابغة :

فلابد من عرجاء، تهوي براكب إلى ابن الجلاح سيرها الدهر قاصد

موانع، موانع الموانع  
والفتح من كسر وباء فاعترف  
خوف التنافر لدى الثقات  
من أهل نجد والجوار ظاهر  
فإنه ورد في الخلاصه<sup>(1)</sup>  
وفي عامل نصب "ثمود" من قوله تعالى : ﴿وَأَمَا ثَمُودٌ فَهُدِيْنَاهُمْ﴾ (فصلت - الآية 17).

يقول مُحَمَّدُ الْجَكْنِي :

بفعل بعد فاء لا يَبْيَن  
فليست وَسْطَ مركزها تكون  
متى يدعوا ببلادهم يهونوا<sup>(2)</sup>  
حب النبي المصطفى بما استتر  
ونصب ثمود يعرف باشتغال  
ولا ذي الفاء تمنع ذا لضعفِ  
فهانت عند ذاك " وإن قوماً  
وتعليقًا على بيت ابن بونا :  
ونصبوا في نحو حسيبي وعمر  
يقول مم :

لذا لقاء الخود في يوم الرخا"  
على المعية لدى الرمخشري  
والكاف في محل نصب بعده  
وابن عطية وذا غير الأصح<sup>(3)</sup>  
الفارسي ناصب سريلالا<sup>(4)</sup>  
هذا الذي وجدته مرويَا<sup>(5)</sup>  
وخلالاً من نحو "حسبك وخا  
تنصبها حسبك لا بمضر  
وإنما "حسب" اسم فعلٍ عنده  
وأيد الزجاج ماله جنح  
واسم الاشارة على ما قالا  
وإنما ناصبه مطويَا

(1) راجع المغني : 758 ، التصريح : 271/1 ، شرح الأشنوني : 2/46.

(2) راجع شرح الأشنوني : 220/4 : 221-222.

(3) راجع المغني : 82. (4) راجع ارتضاف الضرب : 291/2.

(4) راجع ارتضاف الضرب : 291/2.

(5) إشارة إلى قول الشاعر :

هذا ردائِي مطويَا وسريلالا  
لا تحبسنَك أنوابي فقد جمعت

والملاحظ هنا هو كثرة الحالات على الشواهد التي يشير إلى جزء من أبياتها. ومن بديع أسلوبه في النظم قوله :

فيه الضمير يُوجَد  
لَا إن قصدت القسورة  
من كاف شبه علمًا  
من الضمير مقتره<sup>(١)</sup>

ونحو "زَيْدٌ أَسَدٌ"  
إذا الشجاع يقصد  
وإن يكن قد حسما  
ووجدت منه أرسما

#### و) محمد سالم بن آلمًا :

اشتهر هذا الشيخ بالزهد والورع والعلم، ورث العلم من بنى أبيه، ودرس على علماء عصره مثل ابن عممه محمد بن المحبوي، ومحمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل، وتخرج من مدرسة الأستاذ يحظيه بن عبد الرودود المشهورة، وأسس محظرة متميزة في التربية والتعليم. ويقول فيه تلميذه محمد ابن اجفع عبد الله: واصفًا براعته في التدريس :

وكلَّ قَرْمٍ إِلَى إِقْرَائِهِ قَرْمٌ  
فَإِنْ أَتَتْ طَرَةً الْمُخْتَارَ أَقْرَأَهَا  
وَإِنْ أَتَاهَا "خَلِيلٌ" يَوْمَ مَسَأْلَةٍ  
فِي النَّحْوِ وَالْفَقْهِ شِيخِي لَا نَظِيرٌ لَهُ

وفي تضمين البيت الأخير يشير الشاعر إلى تدرس مختصر خليل بن إسحق، وقد حرر الشيخ محمد سالم ابن آلمًا عدة مسائل نحوية في رسائل وأنظام قصيرة، فمن ذلك ورقات سماها "كشف الحجاب عن طرة الإعراب" و"شافي السرائر في أحمرار الضمائر"، كما شرح نظم محنض بابه بن اعبيد في الجموع.

ومن أنظمه في "لات هنَا" :

هَنَا الَّذِي فِي شَأنِ الْاَهْمَالِ ثَبَتَ  
مَا بَعْدَهَا ارْدَدَهَا سَيِّذْكُرُ  
لَهُ مِنَ النَّصْبِ، وَأَيْضًا يَلْزَمُ  
أَنْ انْحِذَافَهُ اشْتَرَاطٌ قَدْ وَقَعَ  
مَعْرُوفٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ يَانِبَهَ<sup>(٢)</sup>

الْأَصْحُ فِي "لات" إِذَا تَقْدَمْتَ  
وَمَنْ يَقُلُّ "هَنَا سُمَا" وَالْخَبَرُ  
وَهُوَ خَرُوجُ الظَّرْفِ عَمَّا يَعْلَمُ  
عَدْمُ حَذْفِ أَحَدِ الْجَزَئَيْنِ مَعَ  
وَعْلَمُ أَيْضًا بِمَا لَفِظَ بِهِ

(١) راجع ارتشاف الضرب : 285/2 - 286، شرح الأشنوني : 136/2 - 137، التصريح 1/343.

(٢) راجع التصريح : 1/160.

ومن قوله في الزهد، ومجاهدة الرياء :

أعني بذلك تلبيساً بتدرис  
لله، رغم خدн اللعن إبليس  
إلا لترفيع قدر ثم ترئيس  
لطاعة لم تشـب يوماً بتـدلـيس

للله قد تبت من مجموع تلبـيس  
رأـيه يحسب أنـ العلم أـقرـئـه  
وذاك زور فإـني لـست أـقرـئـه  
والله أـسـأـل عـفـوا شـامـلا وهـدى

## 19. محمد فال بن محمد :

ينتمي العـلامـة محمدـ بنـ محمدـنـ (تـ 1334ـهـ)، إـلىـ مـدـرـسـةـ آـلـ العـاقـلـ التـيـ  
أـنـجـبـتـ شـجـرـتـهاـ الطـيـبـةـ فـرـوعـاـ بـاسـقـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـأـدـبـاءـ وـالـشـعـرـاءـ.

وقد برز محمد فال في عـلـومـ القرآنـ الـكـرـيمـ وكـذـلـكـ فـيـ الفـقـهـ وـأـصـولـهـ وـالـكـلـامـ وـالـمـنـطـقـ  
وـهـوـ مـعـ ذـلـكـ لـغـوـيـ بـارـعـ وـشـاعـرـ مـجـيدـ، لـهـ قـصـائـدـ فـيـ التـوـسـلـ وـالـمـدـيـحـ نـذـرـهـ مـنـهـ فـيـ تـورـيـةـ  
تشـبـهـ قـوـلـ الحـرـيرـيـ :

عيـنـهـ فـانـشـنـىـ بـلـاـ عـيـنـينـ  
وـالـعـيـنـ غـائـبـةـ إـلـاـنـسـانـ مـنـ رـمـدـ  
وـتـلـكـ فـاضـتـ بـمـاـ لـيـسـ بـالـشـمـدـ

جـادـ بـالـعـيـنـ حـينـ أـعـمـىـ هـوـاهـ  
قـوـلـهـ : وـرـيـقـهـ حـينـ مـسـ العـيـنـ نـاضـبـةـ  
مـنـ يـمـنـهـ زـالـ مـاـ بـالـعـيـنـ مـنـ رـمـدـ

وـكـانـتـ تـورـيـةـ العـلـامـةـ مـحـمـدـ فـالـ أـجـودـ حـبـكـاـ وـأـشـرـفـ مـوـضـوـعـاـ، إـذـ قـالـ، وـهـوـ يـعـنـيـ  
الـنـبـيـ ﷺـ .

وـكـانـتـ لـهـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ بـحـوثـ نـحوـيـةـ دـقـيقـةـ، نـسـوقـ مـنـهـ . عـلـىـ سـبـيلـ المـثالـ .  
قـوـلـهـ فـيـ ضـبـطـ مـاـ يـكـونـ بـهـ الـجـوابـ عـنـ "ـكـمـ"ـ وـمـتـىـ الإـسـتـفـهـامـيـتـيـنـ :

لـكـمـ جـوابـاـ كـماـ أـتـىـ جـوابـ مـتـىـ  
وـمـاـ كـدـهـرـ وـحـينـ لـاـ يـجـابـ بـهـ  
أـمـاـ مـتـىـ فـبـمـاـ كـالـأـرـبـعـاءـ، أـتـىـ  
وـلـيـسـ كـلـ فـتـىـ يـدـرـيـ حـقـيقـةـ ذـاـ

(١) راجـعـ المسـاعـدـ : 265/١ـ، شـرحـ الأـشـمـونـيـ : 1ـ، 256/١ـ.

## خلاصة :

بعد هذا العرض التاريخي تتضح لنا معالم النهضة النحوية في المحاظر الشنقيطية، التي بدأت أولاً في المدن القديمة ثم انتقلت إلى مجموعة من المراكز يصعب حصرها، وقد أحصى منها المرحوم المختار بن حامد عدة مئات في كتاب حياة موريتانيا الثقافية. واللاحظ أن هذه المراكز مازالت اليوم محافظة على تقاليدها التعليمية، مستمرة في بحوثها وأنظمتها والمحاظر التي تحدثنا عنها لم تزل قائمة اليوم على النهج التوارث، ونذكر منها هنا عدداً قليلاً على سبيل المثال فقط:

ففي قبيلة تجكانت التي ينتهي لها المعلم الثاني المختار بن بونا توجد اليوم محاظر كثيرة، بعضها شامل، وبعضها متخصص في علوم القرآن والدراسات الفقهية، بل إن فيها عشيرة تعرف بهذا الاسم أي المحاظر.

ومازالت أيضاً محظرة آل فحفو المسومي وقد رأينا أن جد هذه الأسرة من نوابغ تلامذة المختار بن بونا، وشيخ هذه المحظرة هو العالم الجليل الحاج بن فحفو مؤلف كتاب تنوير الحالك على ألفية ابن مالك.

وفي الحوض الشرقي نجد مدرسة أهل بيته، يتدربونها لأكثر من قرن شهدت ازدهاراً كبيراً في عهد الشيخ محمد بن بيته وخاصة علوم العربية إلى جانب القرآن والفقه حيث جلب لها الشيخ العلماء من كل مكان من أمثال محمد محمود ابن أفلواط اليعقوبي وابن متال الحسني لكن أوج مجد هذه المحظرة جاء في عهد الشيخ المحفوظ بن بيته الذي بدأ التدرس فيها وهو في سن العشرين وازدهرت العلوم بشتى أصنافها فكان للنحو واللغة مكان بارز بين العلوم التي تدرس فيها. وكان يدرس النحو الشيخ نفسه والشيخ محمد سالم بن الشين الدكوجي.

ومازالت هذه المحظرة تواصل عطاءها إلى اليوم مستقبلة الطلاب من كل حدب وصوب. وما زال لتدريس النحو مكانته بين العلوم ويدرسه باتقان الشيخ محمد بن المحفوظ والشيخ عبد الله بن بيته.

ونجد أيضاً نادجاً العطا، المتواصل في محظرة أهل الشيخ سيديا التي يتولى التدرس فيها الشيخ يحيى بن الشيخ سيديا المختار بن الشيخ سيديا.

أما المدارس المتفرعة عن محظرة يحظيه فهي أيضاً متعددة، وتتجذر الإشارة إلى أن أحد تلامذته المباشرين مازال يمارس التدرس على النحو المتعارف وهو الشيخ أحمد بن محمد فال الحسني، شيخ محظرة تتجفماجك، بينما يواصل كل من محمد فال بن محمد سالم ابن ألماء واباه بن محمد عال بن نعمة دوره والديهما الجليلين.

وفي أحيا العلويين يقوم ابن أخيانا العلامة محمد فال بن عبد الله بن اباه، بدراسات معمقة ومبتكرة في النحو زيادة على المتون الإسلامية الأخرى، وهو من الذين قاموا بشرح احمرار ابن بون شرحاً موسعاً سماه بتسجيل التكرار بشرح الإحرمار، وقد سقنا منه هنا نمذجاً.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ محمد فال يروي جامع ابن بونا بسند عال جداً، إذ أجازه فيه محمد بن المختار بن أحمد فال (ت 3974هـ) عن أبيه محمد المختار (1248-1342هـ) عن بلا (ت 1275هـ) عن المختار بن بونا (ت 1221هـ).

وقد رأينا أن نلحق بهذا الفصل لائحة أولية بأسماء المؤلفين من الشناقطة في النحو.

# المحتوى

## مسودة قائمة المؤلفين في النحو من الشناقطة

### ملاحظة :

لا يخفى أن هذه القائمة تحتاج إلى دراسة، واستكمال، وبيان محتوياتها، ومظان وجود مخطوطاتها. ولجاجتها إلى هذا الاستكمال، عبرنا عنها بالمسودة.

### 1. شراح الألفية :

- |                                |   |
|--------------------------------|---|
| شرح                            | - محمد امبارك اللمنوني.                                 |
| تعليق                          | - محمد محمود بن الوائقي التندغبي.                       |
| طرة                            | - الشيخ محمد بن أحذني.                                  |
| شرح                            | - الطالب أهتم بن محمد التنواجي (1210هـ).                |
| شرح                            | - عبد الله بن الحاج حماه الله.                          |
| تعليق                          | - البشير بن امبارك اليدمسي.                             |
| شرح                            | - الحاج البشير بن عبد الحفيظ الرقيبي.                   |
| شرح                            | - الحاج بن فحفو المسمومي.                               |
| حاشية                          | - الشيخ حبيب الله بن حرمه التاكنطي (1337هـ).            |
| تعليق                          | - الشيخ سيدى بن الشيخ أحمد بن اسليمان الديانى (1364هـ). |
| تعليق                          | - ابن حنبل ابن البشير اليدمسي.                          |
| شرح                            | - أحمد بن أمين التندغبي (1327هـ).                       |
| عمدة السالك على خلاصة ابن مالك | - أبوى اعمير بن الإمام محمد عبد الله المحجوبى.          |
| شرح                            | - باب بن حمدى الحاجى .                                  |
|                                | - زين بن أجمد البدالى (1359هـ).                         |

### 2. شراح الكافية :

- عبد الله بن الحاج حماه الله (1209هـ).

### 3. شراح الأمية الأفعال :

- |       |                                 |
|-------|---------------------------------|
| تعليق | - محمد بن عبد الله القناني.     |
| شرح   | - محمد المختار بن اجميل الجكنى. |

- أبو بكر بن أحمد باب التنديغي (1358هـ).
- باب بن أحمدى الحاجى.
- طرة الشريف سيد أحمد بن الصبار المجلسى (1340هـ).
- الشيخ سيدى الكبير.
- العم بن أحمد فال.

#### **4. شواح المقصور والممدود :**

- البشير بن امبارك اليمدمسي (1354هـ).
- محمد بن عبد الله القناني.
- أحمد بن جبت.
- أحمد محمود بن بداه الحسني.

#### **5. شراح الفريدة :**

- سيد محمد بن علي بن الطالب بيكم المعجوبى (1337هـ).
- محمد بن المختار بن الأعمش (1107هـ).
- الطالب عبد الله بن الحاج محمد الرقيق العلوشى (1220هـ).
- أنبوى اعمر بن الإمام محمد عبد الله المحجوبى (1260هـ).

#### **6. شراح الألغية والاحموار :**

- سيد محمد بن حبت (1288هـ).
- محمد بن يحيى بن سليمان (1354هـ).
- الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ أحمد تاج العارفين.
- الشيخ محمد تقى الله بن الشيخ ما العينين (1320هـ).
- الأمين بن الغزالى الشقروى .
- الشيخ بن حبت (1299هـ).
- الإمام بن البشير العلوى.
- محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكنى (1335هـ).
- محمد محمود بن سيد أحمد بن الهاوى.
- محمد فال بن عبد الله بن اباء

#### **7. أصحاب أنظام مستقلة في النحو والتصريف :**

- أحمد بن ابات التزاري (1352هـ).
- أحمد بن احبيب اليمدمسي.
- أحمد بن سيد أحمد الجكنى (1393هـ).

- ألفية في النحو.
- منظومة في الجمل النحوية.
- ألفية في العربية.
- نظم في النحو.
- نظم في النحو.
- منظومة في الجمل.
- قصيدة في نقل الهمز ووصله.
- نظم أدوات مغنى اللبيب.
- نظم مغنى اللبيب.
- النظم الزاهي في النحو.
- نظم مغنى اللبيب.
- نظم قواعد النحو.
- نظم أدوات المغني ونظم في التصريف.
- منظومة في التصريف والنحو.
- منظومة في مخارج الحروف.
- منظومة في أوزان الفعل وتصاريفه.
- نظم قطر الندى.
- أحمد بن العمر التندغي (1275هـ).
- سيد محمد بن موسى بن ايجل الزبيدي (1117هـ).
- الشيخ سيد المختار الكتني (1224هـ).
- الشيخ محمد أحمد بن الرياني التندغي.
- الشيخ محمد بن حنبل (302هـ).
- محمد العاقد بن مایابی.
- الطالب محمد بن الطالب اعمير الخطاط (1165هـ).
- سيدي محمد بن محمد الصغير بن امبوحة.
- عبد الله بن الحاج حماه الله.
- محمد الأمين بن الشيخ أحمد الجكنى.
- محمد بن المختار بن الأعمش.
- محمد بن يحيى بن سليمان.
- محمد يحيى الولاتي.
- محمدن فال بن أحمد فال (1345هـ).
- محمد سالم بن آلام محمد مولود بن أغشمت (1327هـ).
- الشيخ ماء العينين.
- أبو بكر بن الطفيلي المسلمي التشيتي (1116هـ).

## 8. أصحاب مؤلفات متفرقة في النحو :

- تألíf في النحو.
- عون الطالبين في النحو.
- شرح النظم ا Zahie.
- مقدمة في النحو.
- مقدمة في النحو مثل الأجرمية.
- تألíf في النحو.
- مختصر في النحو.
- شرح سلم الطالبين.
- الحجاب عن قواعد الأعراب.
- هداية المبتدئين في النحو.
- شرح التحفة الوردية في النحو.
- الزبدة في معاني الحروف.
- شرح نظم مولاي احفيظ.
- شرح نظم أبي بكر بن الطفيلي في النحو.
- ابن عمر بن سيد المصطفى.
- أحمد بن محمد الحاجي (1351هـ).
- الإمام مالك بن أحمد الأفرم الجكنى.
- باب بن حمدي (1316هـ).
- محمد البیدالی.
- محمد بن المختار بن الأعمش (1107هـ).
- محمد فال بن محمدن بن أحمد بن العاقد.
- محمد عبد الله بن البشير المالكي (1395هـ).
- محمد سالم بن أسا.
- الشيخ ماء العينين.
- محمد حبيب الله بن مایابی (1364هـ).
- الشيخ محمد المامي.
- محمد الأغظف بن أحمد مولود الوسري.
- الشريف محمد بن الإمام أحمد التشيتي.

- محمد فال بن محمد بن العاقل.
  - أحمد بن الشري夫 بن المختار بن محمد التشتبي.
  - أحمد بن كداده.
  - بويه بن أحمد مولود الزعيمي (1208هـ).
  - الشريف محمد بن الإمام أحمد التشتبي (1208هـ).
  - الشيخ ماء العينين.
  - عبد الله بن اربه التمكناوي.
  - أحمد بن محمد الكمبلي (1353هـ).
  - الشيخ سيداتي بن الشيخ ماء العينين (1320هـ).
  - محمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل.
  - محمد بن محمد فال التندفي.
  - محمد بن الفزالي (1362هـ).
  - محمد مولود.
  - عبد الله بن الحاج حماد الله.
  - بلا (1223هـ).
  - محمد الأمين بن أحمد زيدان الحكاني.
- تحفة الأطفال في توكيد الأفعال.  
شرح الرمامي.  
هبة اللطيف في شرح منظومة المكردي في التصريف.  
شرح البسط والتصريف.  
الأوزان الصرنفية التي يبني فعل الأمر منها على حرف واحد.  
تحفة الأطفال في تصريف الأفعال.  
رسالة في التصريف شرح المحراد.  
معين الإخوان شرح سفاعة الظمآن في تصريف الأفعال لمولود اليعقوبي.  
رسالة في الجيم.  
رسالة في الجيم.  
عقل الشوارد على شرح الشواهد.  
الشواهد من الحديث.  
تعليق على الشواهد.  
غريب القرآن / عجالة الراكب.  
شرح تبصرة الأذهان في البيان / تحفة المحقق في المنطق.

**القسم الرابع**

**النحو والجهد المعاصر**



## الباب الأول

### **اللسانيات والنحو العربي**

لقد تعرض النحو العربي عبر تاريخه الطويل إلى محاولات استهدفت التأثير على بنائه الأساسية، أو على مناهجه في الوصف والتعليق والتقييد. وأول هذه المحاولات، تمثلت في السعي إلى ربطه بالمنطق الأرسطي في القرن الرابع الهجري واشتهر دفاع أبي سعيد السيرافي عن استقلال المنهج النحوي، كما أن بعض نظرياته أمثال الرمانى تصوروا للنحو منطقه الخاص به، الذي صاغه أبو موسى الجزوئي في قانونه.

المحاولة الثانية، هي إخضاع الفكر النحوي إلى منطق متكلمي الأصوليين. اعتباراً للقرابة التي تجمع بين أهدافهما العامة في تحليل الخطاب الإسلامي، اعتماداً على لغة القرآن الكريم. ونظراً لما تقدمه القراءات من مجال خصب للدراسات النحوية واللغوية، فسهل على ابن جنى وابن الأنباري والسيوطى أن يضافوا على أصول النحو دلائل السماع والقياس والتعليق. وهو ما أثار حفيظة ابن مضاء، الذي حرص على أن يظل النحو وسيلة لاستعمال اللغة استعمالاً وظيفياً من حيث الفهم والتعبير. ثم كان تنظير ابن مالك موفقاً لأنه قدم النحو على عدة مستويات تستجيب لطبقات الدارسين.

وفي العصر الحديث، تطورت الدراسات اللغوية، واستحدثت طرق جديدة في البحث مما نشأ عنه ما يدعى اليوم باللسانيات. وكان من الطبيعي، أن يمتد نوع من الصلات بين هذا العلم الحديث وبين علوم اللغة العربية بما فيها النحو.

والذى يعنينا في هذا، هو مدى تأثير اللسانيات الحديثة على النحو العربي، أو بالأصح مدى تأثره بالنتائج العلمية التي توصل إليها نحاة العرب القدماء. ويجدر بنا أن نبدأ بكلمة تمهيدية، ومختصرة، عن هذا المنهج الجديد.

## 1. قضية اللغة :

لقد شغلت اللغة جانباً كبيراً من تفكير الإنسان، منذ فجر التاريخ. واقتربت نشأة الخلق والكون بالكلمة، وبين الدين قداستها، وعرفت الحضارات قوتها. وأجمع البشر على أن النطق هو ميزة الإنسان، الذي علمه البارئ البيان، وعلم آدم الأسماء. وابتكر اللغات وأصولها كان موضع اهتمام بالغ من طرف الفلسفه، والمورخين، وعلماء الطبيعة. وتساءلوا هل هي توقيف من الله مثل ما يقول ابن فارس، معتمداً على ما يروى عن ابن عباس أم هي إصطلاح تواضع عليه الناس فتكلموا بلسان واحد قبل ما أصابهم في برج بابل.

وحاول المحدثون من جديد، حل ما يكتنف نشأة اللغات من لغز. اعتماداً على مراقبة تطور اللغة عند الأطفال، وعلى دراسة الشعوب البدائية؛ وقدمو نظريات متضاربة بعضها يجعل اللغة بدأت بمحاكاة الأصوات المسموعة في الطبيعة، وبعضها يعود بها إلى ضرورة التعبير عن الانفعالات الداخلية من فائض فرح أو ألم أو استغراب، ومنهم من يراها وليدة حاجة التواصل عند الإنسان في حياته الاجتماعية.

غير أن الباحثين لما بحثوا في أصول اللغات وجدوا مسائل شديدة التعقيد لا تخضع لوسائل البحث التجريبية. فكادوا يجمعون على أن اللغة جاءت نتيجة لواحة بشريّة مع الاعتراف بأن قضية التوفيق والاصطلاح، تعني فلاسفة اللغة، وليس من صميم مباحث النحو الذي يتناول بالوصف والتقويم قواعد لغة معينة، قد كمل بناؤها. وعرف نظامها.

ولقد اعتنى نهاد العرب قديماً، بالبحث في أصول اللغة العامة وبالإشارة إلى تحديد مفاهيمها الأولية، فتحدثوا عن الكلام، الكامن "في الفؤاد" لكن نحويته لا تبرز إلا إذا كان لفظاً مركباً مفيداً بالوضع.

ثم قسموا وحدات الجملة النحوية إلى الكلم وهو الأسماء والأفعال والمحروف.

## 2. دوسوسير ونشأة علوم اللسان :

وفي أوائل القرن العشرين، تركزت الدراسات اللغوية عند علماء الغرب، في مباحث اللسانيات التي كان من روادها فردناند دي سوسيير. وقد حاول هذا العالم، في محاضراته التي جمعت بعنوان "دروس في اللسانيات العامة" أن يبرز مجموعة من القواعد اللغوية العامة، استنبطها من تحليلات علمية قام بها، استهدفت دراسة مكونات اللغة، ليز ما يعود منها إلى الظواهر الفيسيولوجية، كانطلاق الصوت من جهاز الفم وتلقيه من جهاز السمع. ثم إلى الظواهر الفزيائية مثل ارتجاجات الصوت المنطلق من الأفواه إلى الآذان. وأخيراً إلى الظواهر النفسانية مثل اقتران الصورة السمعية بفهم المنطق، ثم لاحظ

دوسوسيير ما تضمنته اللغة من ارتباطات بين وجوهها المتعددة، فقال : "إنها نسق قائم في كل لحظة ومتتطور مع الزمن، لكنه يستحيل فصم تصورها عن تاريخها مثل ما يدور في لعبة الشطرنج، كما أن لها جانباً فردياً وأخر اجتماعياً ولكنها مرتبطة والارتباط الثالث هو الملحوظ بين التلفظ والفكر" <sup>(١)</sup>.

كما فرق دوسوسيير بين اللغة بصفتها مؤسسة مستقلة وبين الكلام الذي هو مشابهة تعبر عن إرادة معينة.

وانطلاقاً من نظريات دوسوسيير اللغوية جدّ الباحثون في اللغويات إلى إصدار علم جديد أطلقوا عليه : اللسانيات، (ومنهم من يقول الألسنية) أو علوم اللسان. وأرادوا له أن يكون مستقلاً في منهجه مختصاً بقواعد العامة، وبصطلاحاته الخاصة، ثم أنهم فرضوه على النحو فرضاً.

ومع أن علم النحو ليس مادة سهلة في حد ذاتها؛ لأنها وسيلة معرفة لغته التي تنطبق عليها؛ ولا يتم استيعابها إلا بإحكام هذه اللغة، فالدارس للغة لا يمكن أن يتلقنها إلا إذا عرف نحوها، ولن يعرف نحوها إلا إذا أتقنها. وهذا "الدور" من أخرج الصعوبات المنهجية التي تواجه دارس النحو، زد على ذلك دقة المفاهيم التحوية وغموضها، ووفرة المصطلحات واختلافها وتعارض النظريات في الأفiseة والتعاليل.

وكأن النحو لم يكتف بهذه الصعوبات الطبيعية، فها هي اللسانيات الحديثة تضع عليه أثقالاً تنوء بها العصبة أولى القوة، فيقول زعماً لها إنه لابد من مراجعة أسس التراث النحوي، ووضع تصور جديد مبني على وجود نحو علمي بجميع اللغات، ولا بد من تقبل نظريات جديدة تحمل أسماء البنية والتوصيلية التوليدية، ولا بد من تقبل مصطلحات جديدة، ورموز حرفية للقيام بعمليات ماثلة لتلك التي نراها في المعادلات الرياضية، ولا بد من تصور مشجرات تمثل رسوماً بنائية لقواعد الجديدة التي علينا أن ندرسها. وما يزيد من هذه المصاعب، حدة الشقاق بين زعماء المدارس اللسانية، واعتبار كل واحد منها هو صاحب الحق الأصوب.

وبعد ارتکاب كل هذه المراقب الصعبة، ومجاوزة عقباته الجمة فإننا لا ندرى إلى أي شاطئ سنصل، وعلى أي نتيجة سنحصل.

وما يزيد تعقيد مباحث اللسانيات أن الذين كتبوا عنها من المثقفين العرب، تفرقوا شيئاً وطائفـ، بحسب انتتمائـهم إلى المدارس الغربية المختلفة فيما بينـها، وبعضـهم انطلق

(١) راجع مجلة الفكر العربي، العدد 9-8 "الألسنية أحدث العلوم الإنسانية" ص 104.

من هذه المدارس وبحث في النحو العربي افتراضًا أن نظريات مدرسته اللسانية قابلة للتطبيق في كل لغة. ومنهم أساتذة وباحثون سعوا إلى تجديد مناهج النحو، واستههوا بهم النظريات اللسانية الحديثة، فحاولوا على ضوئها، إعادة تنظيم المعرف النحوية اعتماداً على المعطيات العلمية المتاحة عند علماء اللسانيات.

وإن من يقرأ ما كتبه بعض نحاة العرب عن اللسانيات، تبادر إلى ذهنه، عبارة أحد المستشرقين، الذي وصف التعرّيب بأنه "حصان طروادة للتغريب"<sup>(1)</sup> وهو يعني أن مصطلحاتهم مترجمة من لغة غير العربية، وأن إدراك مفاهيمها يتوقف على دراسة النظام الذي وردت في ضمته، وإذا طالعتنا مصطلحات أخرى مثل المورفام والمكون الفونولوجي. فإنه يتضح لدى القارئ أن عليه أن ينتقل فكريًا من مأثور النحو العربي إلى تصور بنية النحو في محيط فكري بعيد عما ألفه من قبل. وإذا جأ القارئ في اللسانيات إلى كتابات علماء معروفين برسوخ القدم في النحو العربي مثل الدكتور عبد المهربي فإنه قد يقرب شيئاً ما مما عهد إلا أنه مع ذلك سوف يقرأ عن "اللفاظم" و"الصواتم"، ويلاحظ أن الكاتب مضطر في أغلب الأحيان أن يضع إزاء المصطلح مقابلة في اللغة التي ترجم منها<sup>(2)</sup>.

وإن في هذه المحاولات التجريبية، دليلاً على أن نحو اللسانيات لم يمتزج بعد بجسم النحو العربي، ولستا نdry هل سيتقبل النحو العربي تلك العناصر الأجنبية التي يحاول اللسانيون أن يزرعوها في جسمه لأن السؤال الوارد في هذا الميدان هو : هل النحو العربي في حاجة إلى تطبيق النظريات البنوية أو الوظيفية أو التوليدية التحويلية ؟.

ولعل الدكتور عبد الراجحي يجيب على هذا السؤال بالإيجاب معتقداً أن المقارنة بين الدراسات اللسانية تعين على التحرك نحو منهج علمي لدراسة اللغة العربية، وبعده في هذا الرأي الدكتور ميشال زكريا، الذي يقول :

"إن النظريات الألسنية العلمية الحديثة تكون في نظرنا التقنية المتقدمة التي نتسلى بها لسرر قضايا اللغة وتفسيرها وتوضيحها" ويزيد قائلاً :

"فالخليل وسيبويه وأبن جني قد حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطرفة جداً بالنسبة لعصرهم، مما يبين لنا أن المفاهيم الألسنية المتقدمة ليست دخيلة على التراث العربي. فالمطلوب الآن هو إعادة النظر مجدداً في طائق التحليل اللغوي العربي

(1) راجع وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، ص 142.

(2) راجع أهم المدارس اللسانية.

على ضوء التطور العلمي الحاصل في مجال الألسنية الحديثة والسعى إلى إيجاد ألسنية عربية تغدو قادرة على تفهم قضايانا اللغوية<sup>(١)</sup>.

### 3. مدرسة تشومسكي:

وبما أن أكثر الباحثين العرب تأثروا بمدرسة تشومسكي النحوية فإننا سنعطي لمحة عنها هنا :

لقد أحدث تشومسكي ثورة في اللسانيات لأنه قوض دعائم علم اللغة الحديث الوصفي، وأقام بناء يختلف عنه في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة. لقد درس افرام نوעם تشومسكي علم اللغة والرياضيات والفلسفة في جامعة بنسلفانيا، وزاول النشاط السياسي في الجماعة اليهودية الراديكالية، فكان يميل إلى الاشتراكية، وقد أثرت نزعته الثورية في السياسة على توجهه اللغوي.

نشأ تشومسكي في مدرسة تطبق طريقة بلومفید في البحث اللغوي، التي أرادت أن يكون علم اللغة مستقلًا، يرفض كل المواد التي لا تخضع للملاحظة المباشرة، وللقياس الطبيعي، واعتبر دراسة "المعنى" أضعف نقطة في علم اللغة، وحاول إخراجها من نطاق البحث، وقصره على الأصوات والنظم على أساس شكلي.

رفض تشومسكي هذا المنحى الذي يعامل الإنسان باعتباره آلة تتحرك حسب قوانين تحددها مواقف معينة، واعتبر أن النحو الوصفي عند بلومفید لا يمثل إلا أنماطًا شكلاً، لا تقدم شيئاً يتصل بالإنسان بصفته إنساناً.

فالإنسان إذا ما جرد من المعنى، ومن العقل، في وصف سطحي لملكته اللغوية، فإنه يسقط في مستوى المادة، بينما ينبغي أن يكون الهدف من الدراسة اللغوية أن تعيننا على فتح طبيعته البشرية. أو ما نرى الأطفال في سن خاصة يستطيعون أن ينطقو كل يوم مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل ؟ ويستطيعون أن يفهموا جملًا لم يسبق لهم أن سمعوها، مما يدل على وجود أصول عميقة في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة، فعلينا أن نبحث عنها وفيها بالعمق، وهو يرى نتيجة لذلك أن هناك مبادئ مشتركة في كل اللغات الإنسانية تمثل عنصرًا أساسياً من الطبيعة البشرية، ووصف البنية السطحية لا يصل إليها، فلا بد أن نسعى إلى معرفة بنيتها العميقـة.

(١) ميشال زكريا : الألسنة التحويلية والتوليدية وقواعد اللغة العربية، ص. 5.

وعلى هذا الافتراض، تبني تشومسكي نظرية، تقوم على المبادئ التالية :  
أولاً : إن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (أو من الرموز الكتابية) ومع ذلك فإنها تنتج جملًا لا نهاية لها.

ثانياً : ولهذه اللغة جانبان، أحدهما الأداء اللغوي الفعلي، فهو ما ينطق به الإنسان فعلاً، وهو يمثل "البنية السطحية" للكلام الإنساني والجانب الثاني هو "الكفاءة الكامنة" عند المتكلم والسامع وهي التي تثل "البنية العميقة للكلام".

ولقد تأثر تشومسكي على ما يبدو بآراء ديكارت في تصور ملكة اللغة عند الإنسان، وبقولات همبولت في الجانب الخلاق من خصائص اللغة.

وما ابتدعه تشومسكي طرقه في التحليل النحووي الذي يهدف إلى وصف شامل للغة، يشمل الفونلوجيا، والنظم والدلالة، واقتصر ثلاط طرق إحداثها سماها : "final state" وأعطى منها تطبيقات باللغة الإنجليزية والطريقة الثانية تتعلق بشكل الجملة والطريق الثالثة هي التي اشتهرت بطريقة النحو التحويلي وهي تشبه إلى حد كبير ما جاء في النحو العربي وأهم قواعدها قواعد الحذف، والإعلال، والتوضع، والاختصار والزيادة وإعادة التركيب<sup>(1)</sup>.

#### 4. المنطق والنحو الصوري عند الدكتور طه عبد الرحمن :

انطلاقاً من نظريات تشومسكي في البنية التركيبية ظهرت فكرة إنشاء "نحو صوري" يعتمد في منهجه على المقولات المنطقية، وفي تطبيقه على العمليات الرياضية، ونورد كمثال عن هذا النوع، ما كتبه الدكتور طه عبد الرحمن في كتاب المنطق والنحو الصوري الذي ابتدأ بتقديم نماذج من صياغة المنطبقين للتعبير اللغوية وعن مدى إفادته اللسانيين منها.

فأعطي لتمثيل ذلك رموزاً للفعل المحمول، لازماً أو متعدياً، ورموزاً للاسم المفرد معروفاً أو منكراً أو مثنى أو جمعاً، ورموزاً لأنواع الجمل، ثم بين أصناف الدلالات والقواعد للتركيب المتاحة بين الرموز التي تمثل اللغة المحمولة. من ذلك تحديد أبجديية معينة، ووضعها في مجموعة "متواليات" على النسق الرياضي وبينها قواعد تؤدي تركيب الجمل وفق ترتيب هذه "المتواليات".

(1) المصدر السابق في فصوله المختلفة.

ثم تناول أنواع النحو الصوري، وخصائص اللغات التي تنشأ عنها مع تطبيق بعض النتائج على جمل اللغة العربية.

وخصص باباً مستقلاً للتعریف بنحو صوري جديد وهو النحو المقولي الذي يستند في بنائه على مقولات أصلية تشتق منها مقولات فرعية<sup>(1)</sup>.

## 5. آراء الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري :

وقد اختلفت نظرية معتنقى ومناصري مدرسة تشوسمكى حول اللغة العربية، وحول توظيف التراث النحوي، في وصف اللغة العربية، فنلاحظ أن الأستاذ الفاسي الفهري يعتقد :

أولاًً : أن اللغة العربية لا تتميز بخصائص لا توجد في لغات أخرى بل تضفيها القواعد والمبادئ التي تضبط غيرها من اللغات.

ثانياً : أن توظيف التراث في بناء نحو يصف اللغة العربية غير ضروري.

ثالثاً : أن الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء غير لائقة في كثير من الأحوال. ولقد أوضح هذه المقولات في النصوص التالية :

### أ) تصوّر خاطئ للغة العربية :

"ليست العربية كما يدعي بعض اللغويين العرب لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، ومن ثمة لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات "الغربيّة" التي بنيت لوصف لغات أوربية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية. فاللغة العربية بصفتها "لغة" تنتهي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية)، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات. وكونها عربية لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أي لغة من اللغات. بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلاً في لغة أخرى، هندو أوربية كانت أو غير هندو أوربية"<sup>(2)</sup>.

### ب) تصوّر خاطئ للتراث : يقول الفاسي الفهري :

"ننتظر من البحث اللساني العربي أن يهتم بجوانب ثلاثة أساساً : حاضر اللغة العربية، وتاريخها، وتاريخ البحث فيها، والجانب الثالث هو ما ندعوه أحياناً بالتراث (اللغوي/النحو/البلاغي) وبالفعل، فقد سار البحث اللساني في اتجاهين" :

(1) راجع طه عبد الرحمن : المنطق والنحو الصوري طبعة بيروت 1983.

(2) راجع في اللسانيات واللتانيات العرب ص 18.

- اتجاه أول، أسميه بـلسانيات الظواهر : تجسد في محاولة بناء أنحاء (أو أجزاء منها) للغة العربية الحالية، أو للهجات العربية الحالية. إلا أن قليلاً جداً من الأبحاث ما اهتم بنحو اللغة العربية القديمة. وهذا الاتجاه برمته غير منتشر على كل حال في العالم العربي بل جل متزعميه يوجدون في الغرب أو درسوا هناك.

- اتجاه ثانٍ، اهتم بدراسة التراث النحوي/اللغوي / البلاغي، واقتصرت القراءات متعددة لهذا التراث، وهذه القراءات على نوعين : قراءات تقف عند شرح المادة الموجودة في التراث وتنظيمها، وقراءات تحاول أن تنتقل مما هو موجود في هذا التراث بغية عصرنته والخروج به إلى الحاضر. القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث وإحيائه وتسهيل الاطلاع عليه، والقراءات من النوع الثاني تريدها مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم، علماً بأن هذا العمل يكون ضرورة، ذا أبعاد نظرية محدودة، وإنه لابد من احتياطات منهجية على النتائج التي يصل إليها مثل هذه الأبحاث، نظراً لأن القارئ غالباً ما سقط فيما هو محملاً به من تصورات، ويجد في التراث ما لم يكن فيه في ظروفه التاريخية، وما لم يكن في المنظومة المعرفية لعصره.

"إذاً التراث في تصورنا إما معطيات اللغة الموصفة، وإما مفاهيم وصفية، أو أصول وتأملات وعلى هذا نضطر إلى التفريق بين النسق الفكري وبين المعطيات، ودراسة المعطيات الموجودة في هذا التراث يمكن أن تستعمل لبناء نحو اللغة العربية القديمة. ودراسة النسق المفاهيمي النحوي / اللغوي يهدف إلى التاريخ للتفكير (او الإبستمولوجيا). إلا أنه، خلافاً لما يعتقد، ليس هناك ضرورة إلى المعطيات الموجودة في النحو القديم، بل يمكن أن تستغني عنها باستعمال النصوص القديمة. وعلى كل حال لا يمكن ان يكتفي بها، علاوة على أنه يجب استعمال المنهج النقدي لغريبة ما هو معطى فعلي وما هو منتحل. فالخطأ الأول في تصور التراث هو الاعتقاد أن لابد من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية. ونصحح ذلك بالقول إن التوظيف غير ضروري حين يتم هذا التوظيف لا يمكن أبداً أن يكون توظيفاً في نحو اللغة الحالية، لأن هذا يؤدي إلى خلط بين نسقيين مختلفين".

وهذا خطأ ثان. أما الخطأ الثالث، فهو اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بعبارة أخرى إلى الفكر النحوي العربي القديم. وقد بينت في عدة مناسبات أن هذا التصور خاطئ، وأن الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أي امتياز في وصف العربية بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال"<sup>(1)</sup>.

(1) المصدر نفسه ص 20.

ج) تصور خاطئ لبعض التطبيقات النحوية لمنظور النحاة في صدارة أدوات الاستفهام، التي عبر عنها الفاسي بالبني الاستخارية :

يقول الفاسي : الاستفهام في اللغة العربية إما بحروف (الهمزة وهل) أو بأسماء (من، مَا، متى....) وتخص الأسماء باستفهام التصور بينما تكون الحروف للتصديق أصلاً، وتكون الهمزة للتصور أيضاً. وفي منظور النحاة هذه الأسماء والحرروف لها الصدارة، وإن كان هذا - فيما أعتقد - غير صحيح في جميع الأحوال، فالأسماء التي اعتبرها مركبات اسمية أو حرفية أو ظرفية (لأنها تقوم مقامها)، قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن تتصورها وذلك في نوعين من الاستفهام : الاستفهام - الصد - (وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظاً على الرتبة فيها) والاستفهام المتعدد (وهو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون) ونجد أمثلة لذلك فيما يلي :

جاء من ؟ (بنبر من) - من ضرب بماذا ؟ .

فإذا عرفنا من يرجع له الفضل في ما إذا أمكن أن نحكم بتبصر. وهذا ما يوحى بأن المركبات الاسمية أو الحرفية الاستفهامية توجد أصلاً في داخل البيئة الجملية ثم تنتقل إلى مكان وصفه بعض النحاة بأنه صدر الكلام، ولكن هذا يحتاج إلى تدقيق<sup>(1)</sup>.

## 6. اللسانيات الوظيفية وأراء الدكتور أحمد المتوكل :

ومن الباحثين في هذا الميدان، الدكتور أحمد المتوكل الذي سعى إلى إنشاء تيار مستقل عن المدرستين التقليديتين. مدرسة الوصفيين البنبيين ومدرسة النحو التوليدية التحويلية، فكانت جهوده منصبة على ما سماه باللسانيات الوظيفية.

وفي كتابه عن المدخل النظري للسانيات الوظيفية قدم عينات من التحليلات المقترحة في إطار النحو الوظيفي لبعض الظواهر المركزية في اللغة العربية، وتنميطاً للجملة العربية، نورده فيما يلي :

يقول الأستاذ المتوكل حول تنسيط الجمل في اللغة العربية : تنقسم الجملة من حيث عدد الحمول التي تتضمنها قسمين : جملة "بسيئة" وجملة "مركبة" تنتمي إلى القسم الأول الجمل التي تتضمن حملاً واحداً في حين تنتمي إلى القسم الثاني الجمل المتضمنة لأكثر من حمل واحد، من أمثلة جمل القسم الثاني التالية :

(1) المصدر نفسه ص 58.

أ) سافرت هند - أتدرى ؟ - إلى مراكش.

ب) دخل خالد الغرفة وغادرها عمرو.

ج) نشر خالد كتابه الذي ألفه السنة الماضية.

د) يتمنى خالد أن تنجح هند.

ويمكن تقسيم الجمل المركبة، بالنظر إلى طبيعة ترابط الحمول التي تتضمنها، إلى الأنماط الجملية التالية :

أ) يمكن أن تتوارد في نفس الجملة حمول متعددة مستقلة بعضها عن بعض.  
ويحصل هذا النوع من التوажд بين الحمول في نفطين من الجمل : الجمل المتضمنة لحمل "اعتراضي" كاجملة (أ) والجمل المكونة من حمول متعاطفة كاجملة (ب). إلا أن ثمة فرقاً بين هذين النطرين من الجمل إذ إن الحمول المتعاطفة، رغم استقلال بعضها عن بعض، ترتبط فيما بينها بواسطة رابط بنبوبي، أداة العطف، في حين أنه لا يربط الحمل الاعتراضي بالحمل المعارض أيُّ رابط بنبوبي.

ب) في مقابل ذلك، يمكن أن يتواجد في نفس الجملة حملان مدمج أحدهما في الآخر كما هو الشأن بالنسبة للحملين المتواordin في الجملتين (ج) و(د) في هذا النمط من الجمل تنقسم الجملة إلى حملٌ رئيسي (أو حمل مدمج) وحملٌ فرعي (أو حملٌ فرعية).

وتنقسم الحمول المدمجة إلى حمولٌ تشكل حدوداً بالنظر إلى محمول الحَمْل الرئيسي وحملٌ تشكل أجزاءً للحدود. فالحمل المدمج الوارد في الجملة (د) حَمْلٌ حَدٌ إذ إنه يشكل الحد المفعول بالنسبة للمحمول الرئيسي "يتمنى" في حين أن الحمل المدمج الوارد في الجملة (ج) جزءٌ من الحد المفعول.

كما يمكن تقسيم الحمول الحدود إلى حمولٌ موضوعات وحملٌ لواحق.

تمثل للحمل الموضوعات الجملة (د) وللحمل اللواحق الجمل (أ - ج) :

أ) غادرت هند الغرفة قبل أن يدخلها خالد.

ب) غنت هند لتُطربَ خالداً.

ح) إذا دخل عمرو القاعة غادرها خالد<sup>(1)</sup>.

(1) أحمد التوكيل : اللسانسات الوظيفية، مدخل نظري.

يمكن توضيح التنميط الذي نقترحه للجمل، في إطار النحو الوظيفي<sup>(1)</sup>.

وبعد هذه الكلمة الموجزة عن مبادئ اللسانيات العامة، وموافق بعض الباحثين العرب في محاولة تطبيقها على قواعد النحو العربي، فعلينا أن نستعرض كذلك بعض آراء نحويين عرب، انطلقاً من دراسة النحو العربي أولاً، إلى استثمار مناهج اللسانيات الحديثة في دراسة اللغة العربية، واخترنا اثنين منها على سبيل المثال وهما الدكتور الراجحي وقام حسان.

## 7. اللسانيات والنحو في نظر الدكتور عبد الرؤوف الراجحي :

الدكتور عبد الرؤوف الراجحي، من النحوين العرب، الذي اهتموا باللسانيات، وقارنوا بين منهج الوصفيين والتحويلين وبين النحو العربي التقليدي. ويقول إن هذه المقارنة ضرورية في فهم المنهج عند العرب. وفي التحرك نحو منهج علمي لدراسة العربية.

وفي معرض مقارنة النحو التقليدي بالنحو الوصفي. لاحظ الراجحي، أن الوصفيين انتقدوا النحو التقليدي الآرسطي. بأنه يهتم أساساً بمعرفة العلة، بينما يكتفي الوصفيون بتقرير الحقائق اللغوية حينما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية، وأنه اعتبر الجملة الخبرية "أساس البحث اللغوي" وحدد أقسام الجملة حسب وظيفتها في هذه الجملة، أما النحو الوصفي فيؤكد على ضرورةتناول كل "النطق الملعقة" على ميزان واحد في البحث، وأن النحو التقليدي لم يميز بين اللغة المكتوبة واللغة المطبوعة، كما خلط مستويات التحليل اللغوي، فتداخل التحليل الصوتي والصرفى والنحوى تداخلاً أدى إلى التناقض في الأحكام.

ولما انتقل المنهج الوصفي إلى دراسة النحو العربي، ظهرت في المؤلفات الحديثة انتقادات ارتكزت على القضايا التالية :

أولاً : تأثر النحو العربي بالمنطق الآرسطي : وهي قضية ناقشها المؤلف، ووصل فيها إلى النتائج التالية :

أ) إن المنطق الآرسطي لم يكن معروفاً معرفة كافية أيام الخليل وسيبوبيه، ولكن ذلك لا يعني أن هذا المنطق كان بعيداً عن أيديهم في شكل ما وقال إننا لن نستطيع أن نغفل عن أوجه التشابه بين المنطق والنحو في هذه الفترة، وبخاصة في قضية التعليل، وهي تمثل عنصراً أساسياً في

(1) أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري.

المنهج النحوی عند العرب.

ب) إن تأثير المنطق الأرسطي كان أكثر وضوحاً في القرون التالية، في التصنيف والتعریف والاصطلاح.

ج) إنه من "غير المنطقى" أن يتتأثر النحو تأثراً كاملاً منهج آرسطو في المنطق لاختلاف الغاية في كل منها ومن ثم رأينا "الجملة - التي هي مقعد الدرس النحوى مختلقة اختلافاً تماماً عنها عند آرسطو" فالجملة عند آرسطو هي الجملة الخبرية والمحمول مقدم فيها على الموضوع. وفي النحو العربي قد تكون خبرية وقد تكون إنشائية.

د) إن رفض النحاة استخدام المنهج المنطقى كما تدل عليه المناظرات المنقولة في الكتب، ومخالفته النحاة لبعض آراء آرسطو كل ذلك لا يدل على أن المنطق كان بعيداً منهم ولكنه في الحق كان مد ذراعهم، ولكن القضية لا ترتبط بالأصلية والتقليد وإنما تفصل بالتملك.

هـ) إن وجود الأثر المنطقى في النحو العربي دليل على مكانة الجانب العقلى في هذا النحو، وهو جانب كان موجوداً مع الجانب النقلى، في المناخ العام السائد في البيئة الإسلامية وقت نشأة هذه العلوم وازدهارها. ووجود هذا الجانب العقلى، وخاصة في ظهره المنطقى كان عنصراً أساسياً من عناصر النقد الذى وجهه المحدثون إلى النحو العربي، غير أنه صار ضرورياً في البحث النحوى عند التحويليين.

ثانياً : إن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها. وإنما قُعد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب نص قرآنى، أو شعر أو أمثال. ولذلك لم يشمل اللغة التي يتكلّمها الناس في شؤون الحياة، وإن هذا الاختيار أدى إلى اللجوء إلى التأويل، والتقدير واعتراض التفسير والاحتکام إلى الضرورة أو إلى الشذوذ بل إلى "وضع" نصوص تستند بعض هذه الأحكام.

وبين الدكتور الراجحي في هذا الباب السياق الذي نشأ فيه النحو العربي، وأهدافه الأولى، التي هي استخلاص القوانين التي تدور عليها لغة القرآن الكريم.

ثالثاً : إن النحو العربي حدد بيئه مكانية وزمانية للغة التي تناولها التعقید، وذكر الدكتور الراجحي رأي محمد كامل حسين القائل "ونحن ما نقرّهم على

تحديد الصحيح من اللغة مكاناً بالجزيرة العربية أو زماناً بما قبل عصر التدوين، ولا نقرهم على أن كل ما ورد في عصر بعينه صحيح، فأكثروه مضطرب ومتناقض، والإبقاء عليه عبث، وعلى أن كل ما يزد خطأً، فهذا قالب من حديد وضع اللغويون لغتنا فيه لا يسمح للمحدثون لأنفسهم أن يتقيدوا به".

وبين الدكتور الرجحي الأسباب التي أدت إلى هذا التحديد، وأورد ما قاله ابن جني في ترك الأخذ بلغات قبائل معينة.

رابعاً : إن النحو العربي لم يميز بين مستويات التحليل اللغوي. فكانت كتب النحو تجمع بين دراسة الظواهر الصوتية، والصرفية وال نحوية.

غير أن هذا الجمع، مزج مرجأً كلياً بين طرق التحليل وإنما هو جمع كل القواعد التي تكون من استعمال اللغة، نطقاً وتركيباً وكتابة، ثم أنهم انتبهوا إلى خصائص كل نوع من هذه المستويات مما جعل المازني يخصص مؤلفاً للتصريف، وابن جني يفرد الصوتيات بكتابه سر صناعة الإعراب. وبالرغم من هذه الانتقادات فإن مظاهر العربية الوصفية موجودة ومتعددة منها :

أ) الحرص على سماع العرب، والتأكيد على أن السماع مقدم على القياس. واعتبارهم أن القراءة "سنة" تضفي على هذا المبدأ الوصفي، نوعاً من القداسة.

ب) اعتبار القياس استعمالاً لنظير ما سمع، وأصله ما كثر استعماله عند العرب.

ج) اعتبار أكثر اللهجات، التي لم تتأثر بلغات مجاورة غير العربية.

خامساً : لقد كان نقد الوصفيين للنحو العربي مبنياً على أنه يعني بقضايا عقلية لا تخضع للملاحظة. ولكن ما اعتبره الوصفيون نقاط ضعف في نهج النحو التقليدي، صار محل تقدير والتقاء مع المنهج التحويلي ومن هذه الجوانب :

أ) قضية الأصلية والفرعية: يراها التحويليون أساسية في فهم البنية العميقه وتحولها إلى بنية السطح" وذكروا منها الألفاظ "غير المعلمة" واعتبروها أكثر تجرداً، فجعلوا المفرد أصلاً. والجمع فرع لأنه يحتاج إلى علامة، والفعل في الحاضر أصل، وفي الماضي فرع

لأنه يحتاج إلى علامة. وقرب من هذا ما يقوله سيبويه إن الأشياء أصلها التذكير ثم تختص، والتذكير أشد تمكناً، كما أن النكرة أشد تمكناً من المعرفة.

ب) قضية العامل: والتحويليون يقررون أن النحو ينبغي أن يربط البنية العميقية بنية السطح، وهذا يقتضي فهم علاقات التأثير والتأثير بينهما. وقضية العامل تقود إلى قضية "التقدير"، التي تقررت في التحليل النحوي عند التحويليين، فإذا يرون أنه يمكن أن نفهم على ضوئها ظواهر مشتركة في جميع اللغات وهي ظواهر الحذف، والزيادة وتفسير الترتيب.

ج) قواعد الحذف: وهي معروفة في جميع اللغات، ولها أمثلة في اللغة الإنجليزية اشتهر بها التحويليون؛ وقواعدها مشهورة في النحو العربي.

د) قواعد الزيادة والإقصام: يعتبر التحويليون أنه توجد في اللغات تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق، وإنما تفيد وظيفة تركيبية، قد تعدد لوناً من ألوان الزخارف. ويعطون أمثلة قريبة من أمثلة الزوائد الموجودة في اللغة العربية.

هـ) قواعد إعادة الترتيب: إذا كان لكل لغة ترتيبها الخاص، والمهم معرفته في البنية العميقية تم البحث عن قوانين تحويلية إلى أنها في الكلام الفعلي وقد لاحظ التحويليون أن عناصر الجملة معرضة للتغير مكانها فعنوا مثل قدماء العرب، بظاهرة التقديم والتأخير.

## 8. اللسانيات واللغة العربية في نظر الدكتور تمام حسان :

لقد استهدف الأستاذ تمام حسان تنظيم قواعد اللغة العربية انطلاقاً من مبانيها الأصلية، فاعتمد في تصور هذا التنظيم على نظريات البيانات في علم المعاني وبالخصوص أفكار عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز. كما استثمر مباحث الأصوليين في تحليلهم للخطاب الشرعي ومناهجهم في ضوابط الدلالات اللغوية؛ وحاول الأستاذ تمام أن يكون هذا التنظيم منطقياً، وموازاً نوعاً ما للمقولات الغربية التي استحدثتها علماء اللسان، وما هو واضح تأثره بآراء فردناند دي سوسير في التفرقة بين اللغة والكلام، واعتبار اللغة مؤسسة اجتماعية وباختصار شديد، يمكننا أن نقول إن الأستاذ تماماً حاول :  
1. أن يعيد النحو إلى اللغة، بعد ما كان مادة منفصلة، فشملت دراسته الصوتيات والصرف، والنحو، والمعجم.

2. وأن يفرق بين النظام الصرفي والنظام النحوي، مع أن المباحث الصرفية، شملت عند بعض المواد النحوية مثل أقسام الكلام.

3. وأن يضع ضوابط لكل نظام، في أشكال ثابتة وكل شكل له اصطلاحه الخاص به.

وها هي نماذج من آرائه :

التفريق بين اللغة والكلام: يقول قام حسان "إن الكلام عمل، واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك اللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط اللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحس بالسمع نطقاً، والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام، فالذي قوله أو نكتبه كلام، والذي يقول بحسبه، ونكتب بحسبه هو اللغة، فالكلام هو المنطق، وهو المكتوب، واللغة هي الموصفة، في كتب القواعد، وفقة اللغة، والمعجم ونحوها، والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"<sup>(1)</sup>.

فاللغة إذن منظومة عرفية للزمن إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظومة تشتمل على عدد من الأنظمة (سماها بالأجهزة) يتالف كل واحد منها في مجموعة من "المعاني" تقف بآرائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو "المبني" المعبرة عن هذه المعاني، ثم في طائفة في "العلاقات" التي تربط ربطاً إيجابياً، وـ"الفروق" القيم الخلافية التي تربط ربطاً سلبياً. بإيجاد المقابلات ذات الفائدة - بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المبني.

وكما أن المعاني الصرفية غير المعاني النحوية، تجد المبني تتتنوع بين فرع وأخر من فروع الدراسات اللغوية، فالمبني المأخوذة من النظام الصوتي حروف (فونمات) وهي في النظام الصرفي وحدات صرفية (مرفمات)، ويعتمد النحو في التعبير عن معانيه وعلاقاته السياقية على هذين النوعين من المبني كالحركات، والحروف، والزوائد واللواصق والصيغ. ويدلأ من اعتماد تقسيم الكلام إلى اسم و فعل وحرف، قسمُ الدكتور قام حسان الكلم إلى سبعة عناصر وهي الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الحالفة، الظرف، الأداة.

الاسم : ثم قال إن الاسم يشتمل على خمسة أقسام، وهي :

1. الاسم المعين : كالأعلام، والأجسام، والأعراض، ومنه ما أطلق النحاة عليه اسم الجثة. الوارد في قول ابن مالك.

ولا يكون اسم زمان خبراً عن جثة وإن يفد فأخيراً.

2. اسم الحدث : وهو المصدر، واسم المصدر، واسم المرة، واسم الهيئة.

(1) قام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 32.

3. اسم الجنس : ويدخل تحته اسم الجنس الجمعي كعرب، واسم الجمع كابل ونساء.
4. الأسماء المشتقة المبدوءة بالميم الزائدة كاسم الزمان، واسم المكان واسم الآلة وليس منها المصدر الميمي.
5. الاسم المبهم : الذي لا يدل على معين، وإنما يدل غالباً على الجهات والأوقات والموازين، ويحتاج إلى تمييز بالإضافة، مثل فوقٌ وقبلٌ ونحوهما. واللاحظ هنا أنه خص الظروف بالصيغة غير المتصرفة مثل إذ وإذا وكيف.
- وذكر أن سمات الاسم تتخلص في الصورة الإعرابية، والصيغة الخاصة من حيث عدد الحروف وزنها، وقابلية للدخول في جداول الالصاق والتصرف أو الاستاد، كما ذكر من سماته أيضاً بالرسم الإملائي كما هو في التعريف بـ (ال)، أو التنوين، وباتصاله باللواصل (1) وقبوله للتضام (2) والدلالة على المسمى أو الحدث.
- الصفة** : وذكر أن أنواعها خمس، وهي صفة الفاعل، وصفة المفعول، وصفة الآلة، والصفة المشبهة وصفة التفضيل، ثم بين سماتها من حيث الصورة الإعرابية والصيغة الخاصة :
- الفعل** : وتحدث عن أنواع الزمنية، وعن اشتقاقه وسماته على نحو من الطريقة الآنفة الذكر.
- الضمير** : وهو عند ثلاثة أقسام : ضمائر الشخص، وضمائر الإشارة، وضمائر الموصول، وبين مواقعها في ضوابط التحليل التي رأيناها.
- الخوالف** : وهو يعني بها أسماء الأصوات وأفعال التعجب، وخالفتي المدح والذم، مثل نعم وجبنا واستعرض علاقتها بضوابط التحليل.
- الظرف** : واقتصره على الصيغ المبنية، مثل إذ، وإذا إذن، ولما وأيان ومتى للزمان وأين وأنى وحيث للمكان.
- الأداة** : ودرس منها حروف المعاني مثل حرف الجر، والعلف، والنوا藓 (1).
- وهذه المقطفات التي أوردناها تدل على وجود نشاط يسعى القائمون به، إلى وضع أسس لقواعد مشتركة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وليس من المستبعد أن يفيد اللسانين العرب في دراسة مباحث الدلالة وأصول النحو في التراث العربي، وأن يعين النحاة العرب المعاصرين على التدقيق في خصائص اللغة، وعمل القواعد النحوية، أما كون هذا النشاط سوف يغير من البنية النحوية التقليدية للغة العربية، فهذا ما لا نتوقعه ولا نرجوه.

---

(1) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 20 وما بعدها.

## الباب الثاني

### **محاولة تيسير النحو**

محاولة تيسير دراسة النحو العربي وتقربه ليست جديدة، فما إن ظهر كتاب سيبويه حتى أدرك الأساتذة والطلاب مدى صعوبة فهمه واستيعابه؛ فكان يقال من يرید قراءته "هل ركبت البحر؟". ثم توالت بعده مصنفات لشرحه، وبيان نكته، وأبنيته، واختصاره. وصعوبة الكتاب تعود إلى عاملين أحدهما يتمثل في تعقيد القواعد النحوية وثانيهما يعود إلى طبيعة اللغة العربية.

إن للغة العربية وضعًا خاصاً لا يشاركها فيه غيرها. فاللغات الأخرى تواكب تاريخ أمها، تنشأ معها وتختيا حياتها، وتتفنّى بفنائها، وتبقى ترايحا تاريخيا، لا يعني به إلا المختصون في الآثار، فتعد من اللغات الميتة، ثم أن تطور اللغات "الحية" يقضي باندراس بعضها وبظهور أنماط متعددة منها في الألفاظ والتركيب، وصيغ النطق. والعربية على عكس هذا، فالعربية لغة احتمت بالقرآن المجيد فحافظت بحفظه، واستمسكت بالخطاب النبوي، فبقيت خالدة بخلود الشريعة الإسلامية. فكل ما لها من ألفاظ وصيغ وتركيب، ثابت في نصوص الخطاب الشرعي غير قابل للتتطور والاندراس. ثم أن هذه النصوص، حفظت مجموع الآداب التي اتصلت بها من عهد الشعر الجاهلي إلى اليوم.

غير أن وضع اللغة العربية المتصف "بالثبات" لا يحول دون البحث عن تسهيل طرق دراستها، وتطوير الوسائل التربوية المعينة على تقريب مادتها ونحوها من الطلبة والدارسين. ونذكر هنا آراء عالمين اهتما بتيسير تعليم اللغة والنحو، وهما الدكتور عبد الكريم خليفة، والدكتور شوقي ضيف :

#### **1. آراء الدكتور عبد الكريم خليفة :**

لقد كان الدكتور عبد الكريم خليفة على صواب عندما شدد على وجوب التمييز بين قواعد العربية التي تهدف إلى تقويم لسان المشق في حياته العلمية واليومية وبين

الدراسات النحوية المتخصصة التي تتجه إلى الجزئيات والتفرعات، وإلى أوجه الوجوب وأوجه الجواز<sup>(1)</sup>.

كما يرى ضرورة التمييز بين إبراد الشواهد التي تساق لإثباتات قاعدة نحوية، وبين إبراد أمثلة تقرها من فهم المتعلم لكونها تنبع من بيئته ومتاحاته، فالتدخل في تحديد هذه المفاهيم والأهداف مما يشير التشوش والتعقيد وينأى بالتعلم بعيداً عن طبيعة اللغة ووظيفتها الحياتية<sup>(2)</sup>.

ويعتقد أن أخطر المشكلات التي تواجه العربية عدم التزام معلمي بقية المواد بالتدريس بلغة عربية صحيحة ويقول متسائلاً، "أليس من المفروض أن كل معلم هو معلم للغة ؟ وأن كل كتاب هو كتاب لغة ؟ وما عسى أن يكون حال اللغة العربية إذا عرفنا أن معظم المعلمين يدرسون بلغة تختلط فيها العامية والفصيحة، وقد يتعدى الأمر إلى بعض معلمي اللغة العربية ذاتها، حينما نجد بعضهم يعلم مادة بلغة عامية<sup>(3)</sup>؟

يدرك الدكتور عبد الكريم خليفة إن حركة تيسير اللغة انطلقت مع أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (ت 340 هـ) في كتاب الجمل. الذي كان حصيلة تجربته الفنية في التعليم إذ أنه ألفه في أواخر حياته. واستدل على الهدف التعليمي الذي قصده الزجاجي بمقالة الفارسي المؤثرة. وهو أنه لما وقف على كلام الزجاجي قال : "لو سمع أبو القاسم كلامنا في النحو لاستحينا أن يتكلم فيه". وفي هذا دلالة على وجود مستويين مختلفين من الناحية العلمية. فالزجاجي يريد أن يكون معلماً واضحاً، سالكاً أسلوب الوصف، بعيداً عن الغموض والتعقيد، بينما يتسم أسلوب الفارسي بالعمق والتمثيل المنطقي. كما أن تأليف الزجاجي لكتابه في رحاب مكة المكرمة، وطواوه بالبيت كلما أنهى باباً منه، ودعوته الله أن ينفع به الناس، دليل ثان على قصده التربوي<sup>(4)</sup>.

وقد رأينا كيف حظي الكتاب باهتمام واسع من قبل الدارسين، فكان من بين المقررات في المدارس والمشيخات، ووضع عليه كثير من الشروح والتعليق<sup>(5)</sup>.

ويقول الدكتور خليفة : "أما الكتاب التعليمي الثاني، فهو كتاب الواضح لأبي بكر الزبيدي (ت 379 هـ)، والمعلومات المتوفرة لدينا تفيد أن الزبيدي وضع كتابه هذا في

(1) تيسير العربية بين القديم والحديث : 37 و 102.

(2) المصدر نفسه : 102.

(3) المصدر نفسه : 104.

(4) المصدر نفسه : 46-45.

(5) المصدر نفسه : 46.

النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وربما كان حصيلة تجربته التعليمية عندما اختاره الحكم المستنصر بالله، صاحب الأندلس، لتأديب ولده وولي عهده هشام المؤيد بالله.

وتحجم الروايات أن الزبيدي كان من الأئمة في اللغة العربية، فكان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، وأعلم أهل زمانه بالإعراب والمعانى والتواتر ألف الواضح في النحو، واختصر كتاب العين، وكتب عن أبنية سببوبه، وفيما يلحن فيه عوام الأندلس، وله كتاب طبقات التحويين<sup>(١)</sup>.

ولقد تأثر الزبيدي بعمل الزجاجي، فاعتبر اللغة وحدة متكاملة فعنى بموضوعات التحو والصرف وتحدى عن مخارج الحروف وصفاتها، كما عالج أيضاً وجوه القواني في الانشاد والخدا، وتحدى عن الروي والوصل والردف والنفاذ<sup>(٢)</sup>.

ولقد سلك سبل البساطة والتسهيل، فلم يتلزم بمدرسة معينة، بل كان يختار من الأقوال أيسيرها، وأقربها إلى عقول الناس. وقدم لنا الدكتور خليفة مثالين على هذا النهج، أحدهما قوله في إعراب "حبذا" أن معناها المدح وأصلها حبٌّ ذا الشيء، حبٌّ "فعل ماض، وَذَا" اسم إشارة ثم كثر استعمالها حتى صار "حبٌّ" وَذَا" كلمة واحدة فصارت "ذا" كالباء من ضرب، فارتفع ما بعدها من الأسماء بها، تقول "حبذا عبد الله" ، فعبد الله رفع بحبا، وكذا حبذا الرجل وحبذا المرأة، وزعم قوم أن عبد الله ابتدأ وحبذا خبره والذي قدمت أحب إليّ".

المثال الذي قال إن نائب الفاعل، مفعول مرفوع<sup>(٣)</sup>. وفي هذا المثالين نرى ميله إلى التبسيط، واعتبار المعانى في الإعراب، وعدم التعقب للمواقف الشائعة إذا كانت غير معقولة قوله إن نائب الفاعل، مفعول يعرب عن حقيقة واقعة، وإنه مرفوع هنا، حقيقة أخرى لا مناص من الاعتراف بها. ثم إن تمثيله بحبذا الرجل، وحبذا المرأة، ملاحظة دقيقة، وهي إن "ذا" في هذين المثالين لم تعد "اسم إشارة" لأنه لم يشن ولم يؤنث. فصارت مثل الباء من ضرب.

الكتاب المدرسي الثالث هو كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وقد مر بنا الحديث عنه، والتنويه به في معرض الكلام عن مؤلفه.

(١) تيسير العربية بين القديم والحديث : 47.

(٢) المصدر نفسه : 48-47.

(٣) المصدر نفسه : 48.

الكتاب المدرسي الرابع الذي ذكره خليفة، هو كتاب اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، وقال انه وضعه سنة 384 وأصبح فيما بعد كتاب التدريس المعتمد عند المصريين، واهل المغرب والجزائر واليمن والشام. واهتم العلماء بشرحه وتخرج شواهده وقد سبق ان استعرضنا نهجه فيه أثناء الحديث عن ابن جني.

وهذا الكتابان كانا محل عناية خاصة في الأندلس، إلا أنهما أثرا ضجة وانتقاداً حمل لها أبو الحسين بن الطراوة الذي رأى فيهما تشويهاً لكتب القدامي، فالف كتاب "الإفصاح عما في الإيضاح". ثم انتصر الشلويني وابن أبي الريبع لهما، وقد بينا طرفاً مما جرى بينهم في معرض الحديث عن ابن الطروا.

وفي عهد الزجاجي، وبعده كثرت المختصرات التي ترمي إلى إعطاء الطلاب من النحو ما لا يسع جهله، مثل كتاب التفاحة لأبي جعفر النحاس، و"الهداية" لابن درستويه والمقدمة "لابن باشاذ، و"الجمل" للجرجاني، و"الأنفوذج للزمخشري" و"التوطئة" للشلويني ومقدمة ابن آجروم، وعدة الحافظ لابن مالك، و"اللمحة البدريّة" لأبي حيان، و"الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام، ولباب الإعراب للشعراني، ومقدمة ابن بونا الشنقيطي، ويقول الدكتور شوقي ضيف : "إنه لم ينل مختصر من الشيوخ ما نالته المقدمة الأجرورية في مبادئ علم العربية، وظللت لهذا المتن المختصر المحظوظ الكبرى في جميع بلدان العالم العربي من المحيط إلى الخليج. واهتمام علماء النحو في كل مكان، ووضعوا له شروحاً شتى، وهو لا يكاد يتجاوز عشرين صفحة من القطع المتوسط". إنه ظل وسيلة قيمة في بيان مقومات العربية وأوضاعها الإعرابية ليس لнациئة البلدان العربية على اختلاف أعصارهم وتفاوت أمصارهم فحسب بل أيضاً للمستشرقين الذين يريدون الوقوف على أوضاع الصياغة العربية وخصائصها النحوية<sup>(1)</sup>.

ولقد سبق أن بينا بالتفصيل عناية المغاربة بهذه المقدمة وذكرنا بعض من تناولها بالشرح والنظم والتعليق. وقد اقتصر بن آجروم في مقدمته على ما هو ضروري لتقديم اللسان، فتناول الإعراب وعلاماته، والأفعال، ومرفووعات الأسماء، والتواصخ والتوابع والمنصوبات.

وفي العهد المعاصر ظهر كتاب إحياء النحو سنة 1937، ويقول مؤلف هذا الكتاب المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى عن هدفه : "كان سبيل النحو موحشاً شاقاً، ولكن أملاً كان يزجي ويحدو في هذه السبيل الموحشة، أطمع أن أغير منهجه البحث النحوي للغة

(1) تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده : 16-17.

العربية، وأن أرفع عن المتكلمين إصرًّا هذا النحو وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة تقريرهم من العربية وتهديهم إلى حظ من فقهها وأساليبها".

ومن هذه الأصول التي أراد إبراهيم مصطفى أن يضعها في منهجه الجديد، إلغاء نظرية العامل، وكان يردد صدى ابن مضاء القرطبي، فيقول : "لن تجد هذه النظرية من بعد سلطانها القديم في النحو، ولا سحرها لعقول النحاة، وتخلص النحو من هذه النظرية سلطانها هو عندي خير كثير، غاية تقصد ومطلب يسعى إليه، ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيحة بعدهما انحرف عنها آماداً، وكاد يصد الناس عن معرفة العربية وذوق ما فيها من قوة على الأداء، ومزية في التصوير" <sup>(1)</sup>.

حاول الأستاذ إبراهيم مصطفى وضع تصور جديد للنحو ركزه على التعديل في الإعراب. فحذف الفتحة وأبقى على الضمة والكسرة، فقط. ثم استبدل المنسد إليه، بالمرفوع. وقال إن الضمة علامة الإسناد الذي يشمل المبتدأ والفاعل ونائبه، واسم "كان". وانتبه إلى أن هذا التصنيف لا يشمل المنادى المفرد المضوم. فقال إنه حرم من التنوين الدال على تنكيره ولذلك ضم آخره فراراً من شبهة الإضافة إلى ضمير المتكلم. وحاول أن يبرر النصب في اسم "إن" مع أنه منسد إليه، فقال إن أصله الرفع مثل ما هو واقع في قوله تعالى : «إِن هَذَا لِسَاحِرٍ» (طه - الآية 63). وسرى نقد الأستاذ شوقي ضيف لهذين التخريجين.

ويرى مؤلف إحياء النحو أن الكسرة علم الإضافة، سواء منها تلك المعهودة، أو التي وردت بعد حروف البر، وقد سماها بحروف الإضافة. ثم قال إن الفتحة ليست من علامات الإعراب، ولذلك فإن المفاعيل في رأيه، والحال والتمييز والاستثناء ليست سوى "تمكيلات" للفعل، غير معربة.

وفي تناوله للعلامات الفرعية في إعراب الأسماء الخمسة، وجمع المذكر السالم يقول إن الألف والواو والياء ليست حروف إعراب وإنما هي مدّ وإشاع للحركات السابقة لها، والتي هي علامة لإعراب، وقد سبق أن رأينا أن هذا من آراء المازني والزجاج. ويذهب المؤلف إلى أن الممنوع من الصرف معرب بالفتحة لأنه حرم من التنوين فأشيه المضاف إلى ياء المتكلم ولم يتعرض لنهاية الكسرة في إعراب جمع المؤنث السالم، واعترف بشذوذ إعراب المثنى <sup>(2)</sup>.

(1) تيسير النحو التعليمي قدماً وحديثاً مع نهج تجديده : 27.

(2) المصدر نفسه : 30-28.

## 2. جهود الدكتور الأستاذ شوقي ضيف في تيسير النحو :

لقد استأثرت فكرة تيسير النحو باهتمام كبير من طرف الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، ولعلها نشأت في ذهنه عند ما اكتشف كتاب الرد على النحاة، فراقته ثورة ابن مضاء فكان من حمل لواهـا، وفي طليعة المنادين بتطبيق مبادئها. كان ذلك في عام 1947، وهي الفترة التي كان المناخ فيها مهيأً لإصلاح جذري يخلص النحو من التعقيد والعسر الشديد، ويجعله دانـي القطفـ لـلـناـشـةـ. كان ذلك في حـقـبةـ كتابـ إـحـيـاءـ النـحـوـ لإبراهيم مصطفى، وتقرير لجنة وزارة المعارف المصرية وقرارات مجمع اللغة العربية حول مقترنـاتـ لـجـنـةـ المـعـارـفـ.

ظلـلتـ جـذـوةـ هـذـهـ الثـورـةـ مـتـقدـدةـ فـيـ فـكـرـ الأـسـتـاذـ شـوـقـيـ ضـيـفـ، طـبـلـةـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ، لـكـنـهـ آـثـرـ أـنـ يـتـعـالـمـ مـعـهـ بـحـمـاسـ وـرـوـيـةـ؛ ثـمـ إـنـ تـجـربـتـهـ التـرـبـويـةـ الطـرـيلـةـ، عـلـمـتـهـ أـنـ لـاـ يـنـدـفعـ بـعـاـمـ الـحـمـاسـ إـلـىـ وـضـعـ تـصـوـرـ يـصـطـدـمـ بـثـوـابـتـ هـذـاـ عـلـمـ التـيـ رـسـخـ قـوـاعـدـهـ فـيـ الـأـذـهـانـ وـالـكـتـبـ الـمـؤـلـفـةـ مـنـذـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ سـنـةـ. فـلـذـلـكـ نـرـاهـ أـوـلـاـ يـدـرـسـ مـحاـوـلـاتـ إـلـاصـاحـ التـيـ قـامـ بـهـ كـاتـبـ إـحـيـاءـ النـحـوـ، وـيـتـقـدـمـ بـحـكـمـةـ وـتـبـصـرـ، كـمـ دـرـسـ كـذـلـكـ تـقـرـيرـ مـجـمـعـ الـغـلـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـصـرـ، وـاقـتـرـاحـاتـ مـجـمـعـ دـمـشـقـ وـيـغـدـادـ.

وفي عام 1987 قدم إلى مجمع اللغة العربية، تصوراً جديداً عن تيسير النحو وتجديده، وقبل أن نعطي فكرة عن هذا التصور نبدأ بإبداء رأيه في كتاب "إحياء النحو" :

### أ) نقد شوقي ضيف لإحياء النحو :

لم يرتضى الدكتور شوقي ضيف رأي إبراهيم مصطفى في قوله بأن المنادي المفرد في مثل "يا زيد" حرم التنوين وضم فراراً من شبهة الإضافة إلى ضمير المتكلم، لأن "الأعلام جميعها ما عدا الممنوعة من الصرف منونة ولا تستطيع أن نقول إن تنونتها يدل على التنكير".

وأنكر عليه أيضاً ادعاءه أن اسم "إن" مرفوع في الأصل، ورد احتجاجه بقوله تعالى ﴿إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانِ﴾ (طه - الآية 63) وبالعطف رقاً في قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِي آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ...﴾ (المائدة - الآية 69)، فذكر تحرير الأخفش للآية الأولى، وقراءة أبي عمرو إن "هذين لساحرـانـ" ، وقراءة حفص "إنْ هـذـانـ". وقال في الآية الثانية إن النحاة اعتبروا الصابرون.. في الآية مبتداً خبره ممحـونـ وتقديره كذلك، واحتج الدكتور شوقي ضيف بإجماع النحاة على نصب اسم "إن" ووروده في آلاف الأمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي، ونلاحظ في هذا الرد، أن الدكتور شوقي ضيف، في دفعه لاستشهاد الأستاذ مصطفى إبراهيم، بحديث على رفع اسم "إن" قال : ومـعـرـوفـ أـنـ الـحـدـيـثـ

لا يحتاج به في القواعد لأن كثيرين من حملته كانوا أعلام، ولذلك لم يحتاج به سيبويه ولا غيره من نحاة البصرة والكوفة<sup>(1)</sup> ولنا في هذه المسألة رأي سبق أن بيناه في عدة مواضع في هذا الكتاب.

وما أخذ عليه، تسميته لحروف الخبر بحروف الإضافة، فقال إنه مجرد إصطلاح غير مألف، وما أظنه ييسر في النحو شيئاً. ثم قال إنه لغى إعراب ما عدا المضموم والمكسور، فلم يعد هناك مفعول به، ولا مفعول مطلق، ولا مفعول فيه، ولا مفعول لأجله، ولا مفعول معه، ولا استثناء، ولا حال ولا تمييز. واضح أن هذا الإلغاء يضيع على الناشئة معرفة وظائف هذه الكلمات في الصياغة العربية مما قد يحدث بلبلة في تصورها لأساليبها<sup>(2)</sup>.

وفي حديثه عن قول الأستاذ إبراهيم مصطفى إن الممنوع من الصرف أعرب بالفتحة لأنه حرم من التنوين تعليل واضح التكليف ويترتب عليه وعلى ما قيل في المنادي المضموم أن الاسم حين يحرم من التنوين يضم تارة كما في المنادي، ويفتح تارة كما في الممنوع من الصرف. ثم ذكر ضعف تصوراته وتعليقاته للعلامة الفرعية في المثلثي وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة.

ويأخذ عليه إخراجه للعطف من التوابع وإدخاله لباب الخبر مكانه كما انتقد رأيه في منع صرف آخر وثلاث ورباع وتعليقه فيما تحمل من نية التعريف.

وكان رأي الدكتور شوقي ضيف في مجلـل مباحث الكتاب "أنها لا تضيف تيسيراً إلى النحو، وإنما تضيف تعليلات وافتراضات جديدة؛ وهي التعليلات التي دعا ابن مضاء إلى إلغاء نظائرها عند القدما، وهو محق لأنها تخرج عن الوظيفة الأساسية للنحو، وهي دراسة الظواهر النحوية الطبيعية للصيغ العربية واستخلاص الأحكام والقواعد منها، دون الخوض في علل لا تنفع في تصحیح نطق ولا تفيد في تقویم لسان"<sup>(3)</sup>.

وبعد سنة من نشر كتاب الأستاذ إبراهيم مصطفى، كلفت وزارة المعارف المصرية لجنةً مهمة إعادة النظر في تصور النحو المقرر في المدارس.

ولقد تأثرت هذه اللجنة بآراء صاحب كتاب إحياء النحو، واتفقت معه في رأيه في علامات الأسماء الخمسة. وأخذت بفكerte في اختصار أبواب النحو فجعلتها ثلاثة. وهي باب الإسناد، ويشمل المبتدأ والفاعل ونائبه باسم كان باسم إن وباب الإضافة وباب التكملة، واختارت تسمية المسند إليه بالموضع والمسند بالمحمول. ويشمل الموضوع المبتدأ

(1) تيسير النحو التعليمي قدماً وحديثاً مع نهج تجديده : 28-29.

(2) المصدر نفسه : 29.

(3) المصدر نفسه : 30-31.

واسم كان، واسم "إن" والفاعل ونائبه، والمحمول يشمل أخبار المبتدأ والنواصخ، وقالت إن الموضوع مضموم دائمًا إلا أن يلي "إن" أو إحدى أخواتها فيفتح، وقالت إن باب التكملة يشمل جميع النصوبات مع إلغاء أبوابها جمِيعاً<sup>(1)</sup>.

ثم ألغت اللجنة الإعراب التقديرية في المقصور والمنقوص، والم المحلي في المبني، واللغت القاب الإعراب كالرفع والنصب والخفض واكتفت بالقاب البناء مثل الضم، والفتح والجر<sup>(2)</sup>.

واستحدثت اللجنة باباً جديداً سميته باب الأساليب جمعت فيه عدة أبواب معروفة في النحو كالتعجب والإغراء والتحذير، والتوكيد، والقسم، والتفضيل والنداء، والاختصاص وباب بئس ونعم<sup>(3)</sup>.

وقررت وزارة المعارف المصرية عرض تقرير اللجنة على مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأقرّ أغلب اقتراحاتها وبالخصوص إلغاء الإعراب التقديرية، ونيابة بعض علامات الإعراب عن بعضها، وتقسيم الجملة إلى ركين أساسين، اقترح تسميتها بالمسند والمسند إليه، وأقرّ مبدأ اعتبار النصوبات "تكملة" ما عدا المفعول به، كما حذر إنشاء "باب الأساليب" الوارد في أعمال اللجنة.

وطلب المجمع من وزارة التربية والتعليم أن تؤلف كتب النحو على أساس قراراته في التيسير، وتعرض على المجمع لراجعتها واستكمال ما قد ينقصها، واستجابت الوزارة لهذا الطلب، وأخذت الناشئة تتعلم النحو الميسر، لكن سرعان ما عمت الشكوى منه، وأكثرها يعود إلى الإفراط في إجمالها لأبواب النحو فانبهمت صيغها على التلاميذ فلم يستطعوا أن يستوعبوا وأن يتمثلوها تماماً دقيقاً<sup>(4)</sup>.

### ب) تيسير النحو :

وبعد نحو أربعين سنة من اكتشاف كتاب ابن مضاء، أي في عام 1987 قدم الدكتور شوقي ضيف إلى المجمع مشروعاً لتيسير النحو أقامه على أربعة أسس. ثلاثة منها تعود إلى مقتراحاته في مدخل كتاب الرد على النحو وهي :

1. تصنيف النحو تصنيفاً جديداً ينسق أبوابه بحيث تتمكن الناشئة من استيعابه وقلله.

(1) تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده : 34.

(2) المصدر نفسه : 32.

(3) المصدر نفسه : 38-36.

(4) المصدر نفسه : 45-39.

2. إلغاء الإعرابين المحلي والتقديري في المفردات والجمل كما اقترح المجمع واللجنة الـوزارية.

3. أن لا تعرب كلمة في الصيغة والجمل ما دام إعرابها لا يفيد في صحة النطق وسلامته.

4. ثم أضاف أساساً رابعاً وهو وضع ضوابط دقيقة لبعض الأبواب النحوية.  
الأساس الأول :

ففي إعادة تنسيق أبواب النحو، يقول الدكتور شوقي ضيف إنه نقل التوابع من أبواب الجمل إلى باب الاسم المفرد وتقسيماته ليبين أن التابع والمتبوع لا يمكنان جملة مفيدة على خلاف الخبر. وفي باب المرفوعات حذف معمولات النواسخ ما عدا "إن وأخواتها". و"لا" التي لنفي الجنس. فألفي في النحو الميسر، ثمانية عشرة باباً وهي: كان وأخواتها، و"ما" و"لا" العاملات عمل ليس، وكاد وأخواتها وظن وأخواتها وأعلم وأخواتها وأبوب التنازع والاشتغال والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والتعجب وأفعال المدح والذم وكنایات العدد والاختصاص والتحذير والإغراء، والترحيم والاستغاثة والندبة. وبين الدكتور شوقي ضيف أسباب حذف هذه الأبواب في صيغها القديمة، ويقول أنه لم يُخرجها من النحو، بل لا تزال مبثوثة فيه وغاية الأمر أنها ردت إلى أبوابها الأساسية ل تعرض مع صيغها المختلفة.

الأساس الثاني :

ووافق من سبقه في إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي، فلم يعد تقديرٌ متعلق الظرف والجار وال مجرور كائناً، أو مستقرأً ولا داعي أن نقدر "أن" لنصب المضارع، بعد فاء السبيبة وواو المعية، ولا التعليل ولا المحدود وكني حتى وإن، وأخذ بقرار المجمع في إلغاء تقدير النيابة في العلامات الفرعية في جمع المؤنث السالم، والمنع من الصرف وفي الأسماء الخمسة والمعنى وجمع المذكر السالم. لكنه لم يوافق اللجنة في الاكتفاء بألفاب البناء كالضم والفتح والكسر، ولم يتبع المجمع في اكتفائه بألفاب الإعراب. بل اقترح الإبقاء على المصطلحين لاختلاف وظائف كل منها.

الأساس الثالث :

الذي اقترحه المؤلف في مدخل كتاب الرد على النحوة هو أن لا تعرب كلمة ما دام إعرابها لا يفيد شيئاً في صحة النطق وسلامته. ويتصفح ذلك في أبواب الاستثناء، وأدوات الشرط، وكم الاستفهامية والخبرية، و"أن" المخففة من الثقيلة. واقتراح أن تعرب جميعاً أدوات استثناء وما بعدها مستثنى منصوباً. واقتراح المجمع هذا الرأي فيما سوى

"سوى" و"غير": إذ أقر المجمع النصب في حقهما. ويرى الدكتور شوقي أن "غير" المنصوبة في الاستثناء تعرب حالاً ويقول إنه رأي أولي، وأنه أخذ فيه بقول أبي علي الفارسي، ثم بين أنه لا حاجة تدعوه إلى تكليف إعراب أدوات الشرط، ويكتفي أن يقول إنها أداة شرط يليها فعل الشرط وفعل الجواب، ولا داعي أيضاً لإعراب "كم"، وكذلك الحال في الاسم الذي يلي "لاسيما" لأنه يجوز فيه الرفع والنصب والجر.

### ج) الضوابط والتعريفات :

#### الأساس الرابع :

وقد تناول الدكتور شوقي ضيف في هذا الأساس الرابع مراجعة بعض التعريفات منها تعريف المفعول المطلق بقوله : "المفعول المطلق اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يبينه ضريباً من التبيين" وفي المفعول معه يقترح فيحده : "المفعول معه اسم منصوب تال لواو غير عاطفة بمعنى مع" وفي الحال، اقترح : "الحال صفة لصاحبها موقته نكرة منصوبة".

وفي سنة 1981 زاد الدكتور شوقي ضيف إلى الأسس الأربع المذكورة أساسين جديدين يتناولان حذف الزوائد التي تعيق تيسير النحو وإن حذف إضافات ضرورية لتحقيق هذا التيسير على الوجه الأكمل :

#### الأساس الخامس :

اقتصر حذف مسائل الصرف العريضة، مثل "الإبدال" ما عدا الضروري منه مثل إبدال اللام في "الـ الشمسية. وإبدال الدال في مثل "حمدت" والتاء والضاد والطاء في "أفرطت" و"عرضت"، كما اقترح إلغاء الميزان الصRFي، وإعراب اللفظ المعروف في : لا حول ولا قوة إلا بالله" وحذف جواز النصب بجانب الجر في نعت المضاف إلى المصدر مثل : قراءة الكتاب الجيد مفيدة، وحذف عمل المصدر منكراً ومعرفاً بـ "الـ" ، وإعراب تابع المنادي، ومن الواجب عنده حذف صيغة عمل اسم الفاعل واسم المفعول . إذا كانوا مبتدأين . الرفع لفاعل أو نائب فاعل على الترتيب، وإنهما سداً . كما يقول النحاة . مسد الخبر.

#### الأساس السادس والأخير :

ويتمثل في إضافة أبواب جديدة يجب درسها في النحو التعليمي، وهي باب إعمال المصدر ومشتقاته لتبنيه الناشئة إلى صورها في الكلام، وباب الحروف الذي ينبغي أن يدرس دراسة مفصلة وباب ثالث ينبغي أن نفرد له صفحات في النحو التعليمي توضح غاية التوضيح وهو باب الحذف والذكر لعناصر الجملة الاسمية والفعلية، حتى ترسم في

أذهان الناشئة الصياغة العربية ارتساماً بيناً، وباب رابع ينبغي أن يدرس بالتفصيل وهو باب التقديم والتأخير لعناصر الجملة العربية، وينبغي أن يضاف إلى النحو التعليمي باباً مهماً، هما باب الجملة الأساسية (الفعالية والاسمية)، وباب أنواع الجمل وأنها تنقسم إلى مستقلة عما قبلها وخاضعة لما قبلها غير مستقلة عنه<sup>(١)</sup>.

هذا هو ملخص اقتراحات الأستاذ الدكتور شوقي ضيف التي عرضها في كتاب تجديد النحو، وشرح أنسها في كتابه تيسير النحو التعليمي قدماً وحديثاً، مع نهج تجديده.

إن المجهد الذي بذله الدكتور شوقي ضيف في تجديد النحو وتيسيره جهد قيم في تصوره ومنهجه، ليس في ذلك شك أو نزاع، إنه ثمرة تفكير عدة عقود من الزمن، ونتائج تجربة علمية غنية، لأستاذ بارع، ومتضلع في قضايا اللغة العربية، فاستوعب آدابها القديمة وال الحديثة، وواكب تطور بلاغتها وبيانها، ومدارسها النحوية. وتتابع أعمال معاصريه في المجامع اللغوية، وبحوثهم وقراراتهم حول مشكلات النحو العربي، وتعليمه للناشئة. فلا غرابة أن مقتراحته تبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه في هذا المضمار.

غير أن هذا لا يمنع من وضع تساؤلات حول نجاح هذا التجديد إذ ليس من الضروري التلازم بين الجودة والنجاح، والصراع بين التجديد والواقع صراع قديم، قد تكون الغاية فيه وليدة الصدفة، ونتيجة لظروف وعوامل قد لا تكون الجودة هي صاحبة التحكم فيها.

سؤال آخر، ليس لنا بد من طرحه، وهو أن أعمال التجديد والتيسير المقترحة لتعليم الناشئة، نتيجة فيما يبدو للتعليم الأساسي والثانوي؟ فما هو إذن مصير التعليم النحوي فيما بعد الشانوي؟ وإذا كان هذا التجديد يزيل العوائق التي تحول بين الناشئة، وبين أحكام اللغة العربية، في المراحل الأولية، فإن من الضروري أن لا يقع القطيعة بين المثقفين العرب، وبين تراثهم النحوي، وما يستتمل عليه من علم وفكرة وبحوث أنسهمت في بناء صرح الثقافة الإسلامية.

غير أن هذه الجهود العلمية القديمة تصطدم بعقبات المحافظة في التدريس القديم، وتنوع الأنماط التربوية في المدارس الحديثة، وبكونها اعتبرت إمكانية تيسير تعلم النحو دون ربطه بتيسير تدريس اللغة.

(١) تيسير النحو التعليمي قدماً وحديثاً مع نهج تجديده : 49-64.

ففي ما يسمى بالتعليم الأصلي، أو غير النظامي، لا يزال المعلمون يعتمدون مقدمة الأجرمية، مدخلاً لتعليم النحو، ومقرراً في المراحل الأولية، ثم بعد ذلك يتبع الطالب دراسته في ألفية ابن مالك، إذا ما أراد أن يتعقب في مادة النحو.

وفي المدارس النظامية الحديثة، في الابتدائي والثانوي، فإن المناهج، تتنوع مضمونها أشكالها بحسب التجربة الثقافية لكل بلد من البلدان العربية، غير أنها في أغلب الأحيان تحاول إعادة كتابة مواد الأجرمية أو الألفية، في أسلوب خاص، مع مراعاة توضيح القواعد النحوية بالأمثلة اللغوية.

ومن الوجهة النظرية، فقد يكون تيسير النحو يبر بتسيير اللغة نفسها. لأن النحو في الحقيقة ليس إلا تفسيراً للوضع اللغوي، من حيث التركيب والإعراب، ولذلك فإن الهدف الذي على أستاذ النحو أن يصل إليه، هو يقرب الطالب من النظم إدراكاً معانياً الكلامية إدراكاً صحيحاً، واستعمال اللغة استعمالاً قريباً من السليقة من حيث التركيب والإعراب.



النافذة



أنهي هذا الكتاب، وإن لم أنجزه كما كنت أتصور، ولم أقه كما كنت أمني، ولم  
هنا  
أستطيع أن أكمله حسبما ينبغي أن يكون.

لقد كتبت مقدمته قبل الشروع في بحوثه، وحاولت أن أ sis على الطريق المرسومة فيها، غير أنني ما لبست أن أدركت أنني لم التزم منهجيا بالتصور النظري الذي أعددته. ولما لاحظت الفروق بين مشروع الخطة، ونتائج البحث، فكرت أن اختار بين اثنتين: إما إعادة كتابة المقدمة، لتطابق محتوى الكتاب، أو محاولة توجيه البحث ليلاً يخرج عن الإطار المرسوم سابقاً، وذلك أنني أولاً ساورني الطموح أن أكتب تاريخاً للنحو، لا تاريخاً للنحو بل مقتراً على بيان دور مفكريهم، في بناء صرحة، وإذا كان الالتزام بهذا النهج ممكناً، من نشأة النحو إلى عهد سيبويه، فإني صدمت بتشعب الموضوع فيما بعد، وسلمت بأنه من المحال الفصل بين التحويين والنحو، غير أنني تركت المقدمة كما هي، لبيان ما كنت أتصور، وتركت البحث كما هي لبيان ما استطعت إنجازه.

وأكرر أنني أنهيت الكتاب دون أن أقه، فكلما توسيع في البحث تنورت آفاقاً جديدة بعد علي وصولها، حتى التبست على الحدود بين تاريخ النحو، الذي هو مقصدى الأول، وبين رصد قضايا النحو الأساسية، وعلاقتها منهاجاً وموضوعاً، بعلوم أخرى. مثل علوم القرآن والحديث، والشعر، والمنطق والبيان، كما أبینه فيما يلي :

## 1. النحو والتفسير :

لغة القرآن الكريم هي المثال الأعلى للسان العربي المبين. وقد كانت أساليبه في قراءاته المؤثقة النموذج الذي اعتمدته أئمة النحو في الوصف والتقييد، فقد مر بنا أن رأينا أن سيبويه استشهد بنحو ثلثمائة آية، وأن مشاهير النحويين ركزوا في مصنفاتهم على معاني القرآن وإعرابه، وقد سبق أن استعرضنا أمثلة من مواقفهم عن القراءات، واعتمادهم على الصيغ القرآنية في تحرير القواعد العامة، ورأينا قول أبي حيان إن "الكتاب" (يعني كتاب سيبويه) مرقاة إلى فهم "الكتاب"، وهو يعني القرآن الكريم.

غير أن هذه العروض، اقتصرت في هذا المؤلف على بعض آراء سيبويه، والأخفش والفراء، والمبرد والزجاج، ولاشك أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة تجاوز إطار هذا البحث التاريخي ونعتقد أنها قد تؤدي إلى فرضية مقتضاها أن النص القرآني يتضمن جميع أسس القواعد نحوية، وأن كل قاعدة نحوية ليس لها أساس في القرآن ليست من العربية في شيء.

وأعتقد أنه في هذا الاتجاه، قد يجد الباحث بغيته في البحر في المحيط لأبي حيان، كما نشير إلى أعمال النحوي الشهير المرحوم عبد الستار الجواري في كتاب نحو القرآن وكتاب الأستاذ الفاضل إبراهيم عبد الله رفيدة، الموسوم بال نحو وكتب التفسير، وكتاب الأستاذ أحمد مكي الناصري كالدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، وكتاب نظرية النحو القرآني : نشأتها وتطورها، وكتاب أدوات المعاني في القرآن الكريم للأستاذ قصار، وكتاب الشرط في القرآن للأستاذين عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطراولسي.

## 2. النحو والحديث الشريف :

يقول الرسول ﷺ : « أنا أفعح من نطق بالضاد بيد أنني من قريش واسترضعت فيبني سعد ». إنها الفصاحة النبوية، فصاحة من أوحي القرآن على قلبه، وانتمن على تبليغه، وأعطي جوامع الكلم، وتربي بين قبائل عربية لم تشبع لغتها أية شائبة.

ولقد شرحتنا في هذا الكتاب الأسباب الظرفية التي أدت إلى إحجام بعض النحاة عن الاستناد إلى مدونات الحديث في شواهدتهم، وأعطينا مثالاً عن قصة سيبويه مع حماد بن سلمة، ورأينا أن جل النحويين المعاصرين لسيبويه لم يكونوا أولى معرفة كاملة بعلوم الحديث، لأن تدوينه في ذلك الوقت لم يكتمل، وقد يكون من الغريب أن أحمد بن يحيى المعروف بشغل كان من وعاء الحديث، ومع ذلك فإننا لا نجد أثراً لإفاداته من النصوص في استشهاداته النحوية.

وبينا كيف تطورت قضية الاستشهاد بالحديث، حتى جاء ابن مالك فأعاد الأمور إلى وضعها الطبيعي، فاستشهد بالحديث في تأييد آرائه النحوية، ويرهن على نحوية كل ما ورد فيه مما اعتبره بعض النحاة غير مقيس، ومن أبدع مؤلفاته في هذا الموضوع كتاب التوضيح في شرح مشكلات الجامع الصحيح. ومن عالجه من المعاصرين الأستاذ محمد ضاري في كتاب الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأستاذ محمود فجل في كتاب الحديث النبوي في النحو العربي.

## 3. النحو والشعر :

في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً من الشعر، استشهد بها إمام النحوة دليلاً على أحکامه النحوية، ونسب الجرمي ألفاً منها إلى قائلها، وبقيت خمسون مجھولة، حيث حولها أسطورة معروفة.

ويعد شواهد الكتاب توالٍ إيرادات الشواهد الشعرية، عند علماء النحو، وعني بها كثير من الشرائح، أمثال الأعلم الشنتمرى، وابن السيرافي، والتحاس، ويدر الدين ابن

مالك، والعيني، والسيوطى، وتوجه هذه الأعمال بكتاب خزانة الأدب للبغدادى الذى تناول فيه شواهد الرضى للكافية، فصار موسوعة فى النحو والأدب، لأنه التزم فى كتابه بإيراد القصيدة التى أخذ منها الشاهد، وترجمة القائل إن كان معروفاً، والقضية النحوية التى هي محل الاستشهاد، ولقد أتى به، حسبما ذكر فى مقدمة كتابه أنه اطلع على مدونات جمة مكتنثه من القيام بهذا العمل.

ولعل من أسباب وفرة الاستشهاد بالشعر، تدوينه فى وقت مبكر، وسهولة حفظه واستحضاره، ولم يعزب عن النحويين أن للشعر خصائصه وضروراته، لمراقبة الوزن والقافية، فنبهوا على ما أسموه بضرائر الشعر، وقد أوردنا فصلاً منه، فى أصول ابن السراج، ومع ذلك فإن النحويين اعتمدوا عموماً أساساً لتقرير أكثر قواعدهم وتبشيرها، ولعل هذا أيضاً ما سرب الضعف إلى حجاجهم حتى ضرب بها المثل. ولقد أشرنا إلى ما للزبيدي من فضل في اختيار أمثلته من اللغة دون التركيز على الصيغ الشعرية التي ليست في الحقيقة نموذجاً أو مثالاً للكلام العربى العادى.

#### 4. النحو والمنطق :

العلاقة بين النحو والمنطق علاقة قديمة وحميمة إذ يلتقيان في مصطلحهما وفي غایتهما. فالنحو، آلة يعرف بها صواب تراكيب الفاظ اللغة ومعانيها في خطئها، والمنطق آلة يعرف بها صحة المعنى وتصديقه من خطئه. وكل منها يعتمد طرق الاستقراء والاستنباط. غير أنهما لا يتطابقان تماماً، فالمنطق يستند إلى الأدلة العقلية، مفترضاً وحدتها وشمولها، والنحو يستند إلى معطيات اللغة الوصفية، معترفاً بأن قواعدها قابلة للاستثناء والتخصيص. وقد تناول موضوع هذه القضية الأستاذ عبد الفتاح الدجتى فى كتابه عن النزعة المنطقية في النحو العربي (الكويت 1982م) والأستاذ الحاج عبد الرحمن صالح في كتابه عن "النحو ومنطق أرسطو". ولقد أشرنا في معرض الحديث عن الرمانى والجزولي كيف أفاد النحو من المنطق من حيث رسم المحدود، واستنباط التعليل وصياغة بعض الأقىسة. ولعل أوضح ما يبين هذه العلاقات، ما ورد في مناظرة السيرافي ومتنى بن يونس، والفرقانات التالية تلخص أوجه التشابه والتباين بينهما.

ويقول متنى فيها : " لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر، والحجة من الشبهة إلا بما حويته من المنطق ". وقال : " إن المنطق آلة من الآلات يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، وإنه بحث عن الأغراض المعقولة والمعانى المدركة ". وقال : إنه " لا حاجة بالمنطقى إلى النحو، وبالنحوى حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ فإن مرّ المنطقى باللفظ

فبالعرض، وإن عَبَرَ النحوِي بالمعنىِ في العرضِ، والمعنى أشرف من اللفظِ، واللفظُ أوضح من المعنى" وقال : إنه "يكفيه من اللغةِ الاسمُ والفعلُ والحرفُ فإن هذا القدر يبلغه إلى الأغراض التي هذبها له اليونان".

وكان ملخصُ أجوبة أبي سعيد السيراني : "إن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المأثور والإعراب المعروف، إذا كنا نتكلّم بالعربية، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل وإذا كان النطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها، وأصطلاحهم عليها، وما يتعرّفون به من رسومها وصفاتها من أين يلزم الترك، والهند، والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويأخذونه حكماً لهم وعليهم وقاضياً بينهم".

ويقول أبو سعيد : "إن المنطق والنحو واللغة والإفصاح والإعراب، والإنباء والحديث والإخبار والاستخبرار، والعرض والتمني والحضر، والدعا والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة". وأعطى أمثلة عن ذلك ثم بينَ أن من عرف الاسم والفعل والحرف فquier إلى معرفة وصفها وبنائتها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، ومحاج إلى معرفة حركات هذه الأسماء والأفعال والحرف، لأن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحرّكات.

ثم قال لمناظره : "إن تفخيّمك للمنطق لا يعني عنك شيئاً وأنت تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعوا بها إلى الحكمة اليونانية، (وهو يعني أحكام الواو) ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل اللغة بكمالها، وإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه".

## 5. النحو والبيان :

لهذا الموضوع أهمية خاصة، وبما أنني لم أطرق إليه في الكتاب، فإنه من المناسب أن نتدارك هذا النص بعرض موجز عن علاقة النحو بالبيان، وذلك بتلخيص ما أورده ابن الأثير في كتاب المثل السائر حيث يقول : "إن علم النحو من علم البيان من المنظوم والمنشور بمنزلة أبيجد في الخط. وإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إفهام المعاني، إلا ترى أنك لو أمرت رجلاً بالقيام فقلت له "قوم" بإثبات الواء لكان المعنى مفهوماً. وكذلك الشرط لو قلت "إن تقوم أقوم" لكان المعنى مفهوماً. لكن قد خرج عن هذه الأمثلة ما لا يفهم إلا بقيود تقيده، ولنضرب لذلك مثالاً يوضحه فنقول : أعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم إلا بعلامة، كتقديم المفعول على الفاعل، وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعُلَمَاءِ﴾ (فاطر -

الآية 28). وأما التصريف فإنه إذا لم يكن البيان عارفاً به لم تفسد عليه معاني كلامه، وإنما تفسد عليه الأوضاع".

وأعطي أمثلة من غواصاته منها تصغير "اضطراب" بـ "ضطيرب" لدى نحوى لا يعرف أن الطاء مبدلته من التاء لكن عالم التصريف يقول فيه "ضتيرب" ثم تابع رأى الذين انتقدوا على نافع قراءة "معائش" بالهمزة، وسبق أن أوضحنا غلطهم.

ثم ذكر نماذج من اللحن الخفي مثل قول أبي نواس :  
كأن صغرى وكبرى من فواقعها      حصباء در على أرض من الخطب  
و"فعلى أفعل" لا يجوز حذف الألف واللام فيها. وللبحترى أغلاط، دونها المري  
في عبث الوليد.

ويقول أبو الطيب :

أرأيت همة ناقتي في ناقة  
ترككت دخان الرمث في أوطنها  
وتكلمت ركباتها عن مبرك  
تقعن فيه وليس مسكاً أذفرا؟

ثم تعرض الكاتب لإفادات الصيغ النحوية في التقديم والتأخير في الجملة ومعاني بعض حروف العطف فقال :

"إن تقديم المفعول على الفعل، فإنه يفيد التخصيص فإذا قلت زيدا ضربت، فهو تخصيص لزيد دون غيره. وتقديم الخبر، فإذا قلت قائم زيد فإنك قد أثبتت له القيام دون غيره نحو ﴿ وظنوا أنهم مانعthem حصونهم ﴾ (الحشر - الآية 2) و﴿ فإذا هي شاهقة أبصار الذين كفروا ﴾ (الأنبياء - الآية 97). وتقديم الظرف يدل عليه كذلك. فإذا قلت أن إلى مصير هذا الأمر، فمعناه أنه يخصني دون غيره. وكذلك تقديم الأمر، مثل : ﴿ أتغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ (الزمر - الآية 64) و﴿ بل الله فاعبد ﴾ (الزمر - الآية 66). وهذا يدل على الأمر بتخصيص الله جل وعز بالعبادة.  
وإن الفاء تدل على اتصال المعطوف بالعاطف، مثل قوله تعالى : ﴿ والذي هو يطعني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ (الشعراء - الآيات 79-80). والفاء هنا استعملت لأن الشفاء يعفي المرض مباشرة. ومن ذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه إلا بالفاء. وقد يجيئ من الأفعال ما يلتبس بفعل المطاوعة، ويعطي ظاهره أنه مطاوعة ومعناه مخالف لها فيعطف عليه بالفاء مثل : ﴿ ولا تطبع من أغفلنا قلبها عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ (الكهف - الآية 28) فقوله تعالى : ﴿ أغفلنا قلبها ﴾ يعني صادفناه غافلاً، وليس منقولاً من غفل حتى يكون معناه صدداً، ولو كان كذلك لعطف عليه بالفاء. كقولك أعطيته فأخذ، ودعوه فأجاب ولا يقال كسرته وانكسر".

## 6. النحو والنهاة :

قد يكون من قبيل المستحيل محاولة حصر ما كتب العلماء في النحو، وعرضه، وتقويمه، فكان لابد من اختيار نماذج تمثل نوعية الانتاج في كل عصر، وهذا ما حاولت القيام به، بيد أنني لا أخفي أنني أشعر بقصور في جانبين، أحدهما : أن النماذج المثبتة في الكتاب لم تشمل بعض الأقطار التي كان لها دور بارز في النشاط التحوي. وتظهر هذه الخاصة، فيما كان ينبغي أن تقول عن علماء القبروان، وبجاية وتلمسان واليمن.

فلم نذكر مثلاً أعمال أبي القاسم إبراهيم بن عثمان بن الوزان القيراني (ت 340هـ) الذي قيل إنه كان يحفظ كتاب سيبويه، وإنه لو قيل إنه أعلم من البرد وثعلب لصدق القائل. وكذلك أحمد ابن عبد الرحمن أبو بكر الخولاني (ت 132هـ)، وأبو بكر بن محمد بن قاسم المرسي (ت 718هـ)، وأبو إسحق برهان الدين الصفاقي، لأن كل هؤلاء العلماء لم نطلع من آثارهم على ما يبرز دورهم في تاريخ النحو. واعتراضنا أيضاً نفس المشكلة عندما أردنا أن نتحدث عن إبراهيم بن محمد بن أبي عباد وإسماعيل بن أبي بكر اليمنيين، وعلى بن سليمان الحيدرة اليمني، مؤلف كتاب "كشف المشكّل" الذي طبع أخيراً بتحقيق الدكتور هادي عطية مطر<sup>(١)</sup>، وقد ذكر المحقق في مقدمته مجموعة من علماء اليمن لم تكن مؤلفاتهم شائعة بين الناس.

ومن أعلام النهاة الذين لم يستوفوا حقهم من العناية هنا الرضي الاسترابادي، شارح كافية ابن الحاجب، ولقد خصصت له الأستاذة أميرة علي توفيق بحثاً مستفيضاً طبع في الرياض سنة 1398هـ، ومحمد جار الله الزمخشري، وشارح مفصله ابن يعيش الخلبي، لأننا اكتفيتنا بالدراسات القيمة التي قدمها فاضل الشمرانقي، عن الأول والدكتور شوقى ضيف وعبد العال عن الثاني، وليس هؤلاء وحدهم هم الذين أغفلوا في هذا الكتاب.

(١) ويقول الحيدرة عن كتابه هذا :

صنفت للمتأدبين مصنفأ  
سميت بكتاب كشف المشكّل  
سيف الأوائل مع تأخر عصره  
كم آخر أزري بفضل الأول  
ليس المقيد كالكلام المرسل  
قيدت فيه كل ما قد أرسلوا

## 7. النحو والمستشارون :

ومن الجوانب التي لم تأخذ ما تستحق من عناية أعمال المستشرين في بعث التراث النحوي، ولقد قتلت جهودهم في ميدانين، أحدهما نشر بعض الكتب النادرة للنحو وتحقيقها ثانية اعتماد منهجية عصرية في القيام بالبحوث وفي عرضها، مما أفاد الباحثين العرب.

ففي مجال تاريخ النحو، نشير إلى كتاب "مدارس العرب النحوية" لـ (فلوجل عام 1870)، وكتاب "تطور النحو العربي" لـ (بركشتراوس) والذي قام رمضان عبد الوهاب بترجمته.

كما أنهم أيضاً عنواً بنشر بعض الكتب النحوية وتحقيقها مثل فعل شاد، وكارا دي فون لكتاب "سيبوية"، وقد كانت الأجرامية محل اهتمام بالغ من قبلهم، فتناولوها بالبحث والنشر والترجمة.

ولكارل بروكلمان دراسات عن كتاب "المفصل" للزمخشري، وكتب مجموعة منهم كتابات مستقلة في قواعد اللغة العربية، من بينهم بردرود الكلاء وتيودور نولوكه، والبرتغالي دي سوسا، والفرنسي برون، والإيطالي فاكسين، والروسي ريكندراف.

ولا أرى كل هذه الجهود التي بذلها العلماء شرقاً وغرباً، من العرب والمعجم، إلا خدمة قيضاها الله للغة والقرآن الكريم، سواءً أكانت مقصودة أو غير مقصودة، فساعدت في فهمه وتفسيره، وتدير معانيه، واستبيانه وجوه إعجازه، وإنني لأرجو أن يجعل الله هذا العمل المتواضع إسهاماً في هذا الجهد العام، والله الموفق.



## **فهرس الآيات القرآنية**

### **حرف الألف**

384 .....	﴿آتوني أفرغ عليه قطرا﴾
111 .....	﴿أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾
245 .....	﴿اجعل هذا بلداً آمناً﴾
245 .....	﴿اجعل هذا البلد آمناً﴾
327 .....	﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾
58 .....	﴿أخرج شطأ﴾
413 .....	﴿إذا جاءك المؤمنات يبأعنك﴾
413 .....	﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾
413 .....	﴿إذا طلتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾
284 .....	﴿استغفوا لهم أو لا تستغفروا لهم﴾
122 .....	﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾
53 .....	﴿أفحكم الجahلية يبغون﴾
580 .....	﴿أغير الله تأموروني أعبد أيها الجahلون﴾
50 .....	﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾
485 .....	﴿اقرِبْ أمر بعيد ما توعدون﴾
105/46 .....	﴿ألا إلهم تثنوني صدورهم ليستخفوا منه﴾
111 .....	﴿الر كتاب أحكمت آياته﴾
327 .....	﴿إلا أمرأته قدرناها من الغابرين﴾
198 .....	﴿أليس الله بكاف عبد﴾
342 .....	﴿أمر ماذا كنتم تعملون﴾
255 .....	﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلامها﴾

135 .....	﴿ إنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرْرَوْر ﴾
51 .....	﴿ إِنْ كَانَ قَوْيِصَهُ قَدْ مِنْ دَبْرٍ ﴾
51 .....	﴿ إِنْ كَانَ قَوْيِصَهُ قَدْ مِنْ قَبْلٍ ﴾
433 .....	﴿ إِنْ نَشَأْ نَزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ﴾
135 .....	﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبَاً ﴾
153 .....	﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أُرْبِى مِنْ أَمَّةٍ ﴾
486 .....	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
159/67 .....	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مِثْلًا مَا بَعْوَذَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾
566/154/118 .....	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَى ﴾
529 .....	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾
120 .....	﴿ إِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
154 .....	﴿ إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانَ ﴾
46 .....	﴿ أَنَّ اللَّهَ بِرِيعِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾
250 .....	﴿ أَنْ عَلَيْهِمْ لِعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾
112 .....	﴿ إِنَا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نَدْعُوكُمْ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ ﴾
432 .....	﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
113 .....	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرْدَنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
578 .....	﴿ إِنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعُلَمَاءِ ﴾
339 .....	﴿ إِنَّهُ لَحَقٌ مُثْلٌ مَا أَنْكُمْ تَنْطَقُونَ ﴾
235 .....	﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مَجْرِمًا فَإِنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾
488 .....	﴿ إِنَّهُمْ أَفْوَى أَبْعَاهُمْ ضَالِّينَ ﴾
487 .....	﴿ إِنَّهُمْ يَرُونَهُ بَعِيدًا نَرَاةً قَرِيبًا ﴾
151 .....	﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
78 .....	﴿ اتَّهُوا خَيْرَ الْكُمَرِ ﴾
119 .....	﴿ أَوْ كَالَّذِي مُرْعَى قَرِيبَةً ﴾
190 .....	﴿ أَوْ كَفَارَةً طَعَامَرْ مَسَاكِينَ ﴾
351 .....	﴿ أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرَ فَإِنَّهُ رَجْسٌ ﴾
	﴿ أَوْ لَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَرِيْعِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ ﴾
430 .....	

﴿أَيُعْدَ كُمْ إِذَا مَتْرُ وَكَنْتُمْ تَرَا بَأْ وَعَظَامًا أَنْكَمْ مُخْرَجُون﴾ ...	135
﴿أَيُهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عَتِيَا﴾ ..... 67	

### حرف الباء

﴿بَئْسٌ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفِرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِغَيْرِهِ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ..... 113
﴿بَعْدَ مَا كَادَ تُرِيقَ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ ..... 89
﴿بَعْذَابٌ بَيْسٌ﴾ ..... 49
﴿بَغَيَا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ..... 114
﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوْعِدُونَ﴾ ..... 121
﴿بَدْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ..... 393
﴿بِمَلْكِنَا﴾ ..... 56

### حرف النساء

﴿تَجْدِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ ..... 153
﴿قَمَّا مَا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ ..... 51
﴿تَنْبَتْ بِالدَّهْنِ﴾ ..... 119

### حرف الجيم

﴿ثَلَاثَةِ أَتَهُ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعَا﴾ ..... 245/132
﴿ثُرْلَمْ تَكْنَ فَتَنَتْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رِبُّنَا مَا كَنَا مُشْرِكِينَ﴾ ..... 91
﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغْاثُ النَّاسُ﴾ ..... 245

### حرف العين

﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ..... 58
﴿جَزَاءُ سَيِّئَاتِهِمْ بِمِثْلِهَا﴾ ..... 119

### حِرْفُ الْحَاءِ

151 .....	﴿ حاش لله ﴾
120 .....	﴿ حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ﴾
120 .....	﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾
474/111/57/53 .....	﴿ حتى يقول الرسول ﴾
284 .....	﴿ الحرج ذلك ﴾
51 .....	﴿ حملت حملًا خفيفاً فمررت به ﴾
78 .....	﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

### حِرْفُ الْخَاءِ

60 .....	﴿ خاشعاً أبصارهم ﴾
----------	--------------------

### حِرْفُ الدَّالِّ

189 .....	﴿ ذق إنك أنت العزيز الكبير ﴾
490 .....	﴿ ذكر من معى ﴾
50 .....	﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد ﴾
102 .....	﴿ ذو مرة فاستوى وهو بالافق الأعلى ﴾
284 .....	﴿ ذي المعارج تعرج ﴾

### حِرْفُ الرَّاءِ

512 .....	﴿ رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾
282 .....	﴿ الرابع بما ﴾

### حِرْفُ الرَّاءِ

111 .....	﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾
-----------	-----------------------------------

## حرف السين

- 245 ..... ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾  
 285 ..... ﴿ سواء عليهم أذى رهم أمر لم تندر هم لا يؤمنون ﴾

## حرف الشين

- 284 ..... ﴿ الشمس سراجاً ﴾

## حرف الطاء

- 282 ..... ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾

## حرف الظاء

- 51 ..... ﴿ ظلت عليه عاكناً ﴾

## حرف الغين

- 368 ..... ﴿ غير ناظرين إناء ﴾  
 245 ..... ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

## حرف الفاء

- 57 ..... ﴿ فإذا برق البصر ﴾  
 432 ..... ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ﴾  
 579 ..... ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾  
 516 ..... ﴿ فأردت أن أعييها ﴾  
 367 ..... ﴿ فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾  
 435 ..... ﴿ فأسأل به خبيراً ﴾  
 238 ..... ﴿ فامشو في منهاكها ﴾  
 485 ..... ﴿ فأبغيناها وأصحاب السفينة ﴾  
 54 ..... ﴿ فإن خفترم ألا تعذلو فواحدة ﴾  
 487 ..... ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات ﴾

﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ هُوَ الْحَمِيدُ﴾	112 .....
﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	112 .....
﴿إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	113 .....
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .	235 .....
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَمِ الْبَحْرِ فَانْفَلَقَ﴾	319 .....
﴿فَأَوْفُوا الْكِبِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾	121 .....
﴿فَبِدَا بِأُوْعِيْتَهُمْ قَبْلَ وَعَاءَ أَخِيهِ﴾	389 .....
﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَذَّتْ لَهُمْ﴾	242 .....
﴿فَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾	58 .....
﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾	112 .....
﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بَسُورٍ﴾	119 .....
﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	137/66 .....
﴿فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلُّفُ إِلَّا نَفْسُكَ﴾	325 .....
﴿فَقُولَاهُ قُولًا لِيَنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	486 .....
﴿فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْفَيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾	474 .....
﴿فَلَا رُفْثٌ وَلَا فَسُوقٌ وَلَا جَدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾	57 .....
﴿فَلَعْلَكُمْ بَاخِعُ نَفْسُكُمْ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْفًا﴾	..... 114 .....
﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرَ﴾	119 .....
﴿فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾	51 .....
﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾	254 .....
﴿فَمَا كَانَ دُعَوْاهُمْ إِذْ جَاءُهُمْ بِأَسْنَا﴾	325 .....
﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَى يُضْلَلُ وَلَا يَشْقَى﴾	57 .....
﴿فَمَنْ جَاءَ لَهُ مَوْعِظَةً مِّنْ رَبِّهِ﴾	111 .....
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾	253 .....
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾	254 .....
﴿فَيَغْفِرُ مِنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مِنْ يَشَاءُ﴾	54 .....

## حرف القاف

255/254 .....	﴿قالت أخراهم لأولاهمر﴾
327 .....	﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾
88 .....	﴿قالوا سلاماً قال سلام﴾
111 .....	﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾
119 .....	﴿قد أئبشكمر بخير من ذلكمر﴾
50 .....	﴿قد إن كان آباءكم وأبناؤكم﴾
246 .....	﴿قد إن كانت لكم الدار الآخرة﴾
54 .....	﴿قد إن صلاتي ونسكي ومحبتي ومحاتي لله رب العالمين﴾
305 .....	﴿قد إن الهدى هدى الله﴾
519 .....	﴿قد لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾
235/146/49 .....	﴿قل هو الله أحد﴾
51 .....	﴿قميصه قد من ذبر﴾

## حرف الكاف

89 .....	﴿كاد تزيغ قلوب فريق منهم﴾
84 .....	﴿كل حزب بما لديهم فردون﴾
48 .....	﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾
352 .....	﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول﴾
515 .....	﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾

## حرف اللام

340 .....	﴿لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً﴾
119 .....	﴿لا أقسم بيوم القيمة﴾
58 .....	﴿لا تأخذ سنة ولا نوم﴾
396 .....	﴿لا تضار والدة بولدها﴾
424/326 .....	﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
327 .....	﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيمًا إلا قيلاً سلامًا سلامًا﴾

396 .....	﴿ لا يمسه إلا المظہرون ﴾
51 .....	﴿ لشأ يعلم أهل الكتاب ﴾
325 .....	﴿ لتأتني به إلا أن يحاط بكم ﴾
143 .....	﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾
255 .....	﴿ لست كأحد من النساء ﴾
120 .....	﴿ لعلى مدى أو في ضلال مبين ﴾
101 .....	﴿ لكن الراسخون في العلم ﴾
236 .....	﴿ لكننا سو الله ربنا ﴾
514/513/511 .....	﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾
143 .....	﴿ لم يبلغوا الحلم ﴾
341 .....	﴿ لم يكن شيئاً مذكورة ﴾
169 .....	﴿ مسجد أسس على التقوى من أول يوم ﴾
511 .....	﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾
511 .....	﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾
154 .....	﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾
340/178/122 .....	﴿ لو لا أخرتني إلى أجل قريب ﴾

### حرف الميم

56 .....	﴿ ما أخلفنا موعدك بملكتنا ﴾
47 .....	﴿ ما ودعك ربك وما قلنا ﴾
.....	﴿ ما أشركتنا ولا آباؤنا ﴾
485 .....	﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله ﴾
238 .....	﴿ ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض ﴾
110 .....	﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً ﴾
58 .....	﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾
284 .....	﴿ مرر بهتانا ﴾
68 .....	﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ﴾
245 .....	﴿ منامكم بالليل ﴾

## حرف النون

284 .....	﴿نَخْسَفَ بِهِمْ﴾
244/50 .....	﴿نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ وَإِلَهٌ أَبِيكُمْ﴾
143 .....	﴿النَّارُ وَعِدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

## حرف الهاء

384 .....	﴿هَؤُمَرْ أَقْرَؤُوا كِتَابِيَهُ﴾
132/60/57 .....	﴿مُؤْلَءُ بَنَاتِي هُنَ أَطْهَرُ لِكُمْ﴾
153/151/144 .....	﴿هَذِهِ بِضَاعْتِنَا رَدَتْ إِلَيْنَا﴾
236 .....	﴿مَلِ تَسْتُوِي الظُّلْمَاتُ وَالنُّورُ﴾
58 .....	﴿مَلِ ثُوبُ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
256/255 .....	﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾

## حرف الواو

132/117/77 .....	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ﴾
377/316/151 .....	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجِزِي نَفْسٌ نَفْسًا شَيئًا﴾
112 .....	﴿وَاتَّخِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
120 .....	﴿وَأَخْذُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصِّحَّةَ﴾
253/236/111 .....	﴿وَأَخْذُنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِسْ﴾
49 .....	﴿وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيَّيْنَ مَا أَتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْكَمَةٍ﴾
111 .....	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ﴾
143 .....	﴿وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾
66 .....	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتَرْفِيَهَا﴾
121/119 .....	﴿وَإِذَا جَاءَكُ الَّذِينَ يَوْمَنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾
70 .....	﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
432 .....	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَغْنُ أَجْلَهُنَّ﴾

﴿ وأرنا مناسكنا ﴾	58 .....
﴿ وسائل القرية التي كنا فيها ﴾	85 .....
﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾	102 .....
﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾	534 .....
﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ﴾	54 .....
﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾	515/306 .....
﴿ وإن خفتم ألا تقسروا في اليتامى ﴾	51 .....
﴿ وإن كان ذو عشرة فنظرة إلى ميسرة ﴾	167 .....
﴿ وإن يك كاذباً ﴾	59 .....
﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾	367 .....
﴿ وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيمة ﴾	432 .....
﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نستيقنكم بما في بطونه ﴾	411/111 .....
﴿ وأن الله بكل شيء عليم ﴾	486 .....
﴿ وأن الله على كل شيء قادر ﴾	486 .....
﴿ وأن المساجد لله ﴾	182 .....
﴿ وإن أواياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾	301 .....
﴿ وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر ﴾	406 .....
﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثاً ﴾	489 .....
﴿ وجع الشمس والقمر ﴾	236 .....
﴿ والحرث ذلك ﴾	284 .....
﴿ وحور عين ﴾	..... .....
﴿ ود كثیر من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً ﴾	150 .....
﴿ ودت طائفة ﴾	58 .....
﴿ ودوا لو تذهبون فيدهنون ﴾	191 .....
﴿ وزلزوا حتى يقول الرسول ﴾	111 .....
﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ﴾	245 .....
﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به وأمسجد الحرام ﴾	376 .....
﴿ وظنوا أنهم مانع لهم حصونهم من الله ﴾	579 .....

432 .....	﴿ وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾
295 .....	﴿ وفجرنا الأرض عيونا ﴾
253 .....	﴿ وفريقاً حق عليهم الضلاله ﴾
253/252 .....	﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾
255/254 .....	﴿ وقالت أولاهما لآخرهم ﴾
51 .....	﴿ وقرن في بيوتكن ﴾
54 .....	﴿ وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾
48 .....	﴿ وكل شيء فعلوه في الزر ﴾
432 .....	﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾
252 .....	﴿ ولا تأنتم عابدون ما أعبد ﴾
326 .....	﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة ﴾
431 .....	﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾
325 .....	﴿ ولا تؤمنوا إلا من تبع دينكم ﴾
119 .....	﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾
580 .....	﴿ ولا تطبع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾
431 .....	﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾
529 .....	﴿ ولا تنكحوا الشهادة ﴾
284 .....	﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾
339 .....	﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آباءكم ﴾
122 .....	﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾
245 .....	﴿ ولا يتمنونه أبدا ﴾
54 .....	﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾
.....	﴿ والذى هو يطعمني ويستقين ﴾
253 .....	﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾
432 .....	﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾
301/298 .....	﴿ والله على الناس حج البيت ﴾
341 .....	﴿ ولم أك بدعايتك رب شقياً ﴾
511/245 .....	﴿ ولن يتمنوا ﴾
.....	﴿ ولهم فيها أزواج مظهرة ﴾

190	﴿ والليل إذا يسري ﴾
198	﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾
198	﴿ وما أنت بهؤمن لنا ﴾
132	﴿ وما أئنكم بمصرخي ﴾
488	﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً ﴾
325	﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾
326	﴿ وما كان ملؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ﴾
433	﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى ﴾
113	﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله ﴾
325	﴿ وما محمد إلا رسول ﴾
424/326	﴿ وما منع الناس أن يؤمّنوا إذ جاءهم الهدى ﴾
325	﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾
151/71/51	﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمّنون ﴾
325	﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾
413	﴿ والمظلقات يتربصن بأنفسهن ﴾
436	﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمهن بق Gallagher يؤدّي إليك ﴾
51	﴿ ومن الليل فسبحه وإذار السجود ﴾
152	﴿ ومن يرتد منكم عن دينه فيموت وهو كافر ﴾
119	﴿ ومن يرد فيه بالحاد بظلمه ﴾
152/151	﴿ ومن يقتت منكرون لله ورسوله ﴾
339	﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرميه بريثها ﴾
253	﴿ ومنهم من حقت عليه الضلاله ﴾
152	﴿ ومنهم من يستمعون إليك ﴾
152	﴿ ومنهم من ينظر إليك ﴾
246	﴿ وبحدركم الله نفسه ﴾
113	﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾

## حرف الياء

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ 105  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبْدِلُكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ 476  
57 ..... ﴿يَا بَشِّرِي﴾  
65/54 ..... ﴿يَا جَبَالُ أَوْيَمْعَةَ وَالظِّيرِ﴾  
54 ..... ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾  
58 ..... ﴿يَا زَكْرِيَا إِنَا نُبَشِّرُكَ﴾  
393 ..... ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾  
58 ..... ﴿يَا صَالِحَ أَئْتَنَا﴾  
56 ..... ﴿يَا لَيْتَنَا نَزَدَ وَلَا نَكَذَبَ﴾  
119 ..... ﴿يَخْرُجُ لَنَا مَا تَنْبَتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلَاهَا﴾  
246 ..... ﴿يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾  
487 ..... ﴿يَظْنَوْنَ أَنَّهُمْ مَلَاقُو رَبِّهِمْ﴾  
521 ..... ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾



## **فهرس الأحاديث النبوية**

### **حرف الألف**

254 .....	«أحدهما كاذب فهل من تائب ؟ .....»
246 .....	«أحسنوا الملا كلكم سيروى» .....
	«أربت لو كان عليها دين أكنت تقضيه ؟ قالت نعم ، قال دين الله
56 .....	أحق بالقضاء » .....
376/333 .....	«إن يكته فلن تسلط عليه ، وإلا يكته فلا خير لك في قتله» .....
202 .....	«إن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف» .....
346 .....	«إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة المصرون» .....
451 .....	«إني كنت عن هذا لغنية» .....
246 .....	«إني لأنسى لأنس» .....

### **حرف الخاء**

411 .....	«خير النساء صالح نساء قريش أحباه على ولد في صغره» .....
-----------	---

### **حرف الدال**

47 .....	«دعوا الحبسة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم» .....
----------	---

### **حرف السين**

492 .....	«سبحان الله عدد خلقه ورضي نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» .....
-----------	--

### **حرف الصاد**

247 .....	«صفر ردائها وملء كسانها» .....
-----------	--------------------------------

## حرف العين

- |           |                               |
|-----------|-------------------------------|
| 244 ..... | «العلاء وسهيل عن أبيها» ..... |
| 247 ..... | «على حمار أتان» .....         |

## حرف الفاء

- |           |  |
|-----------|--|
| 435 ..... | «فَإِنْ لَا ترَاهُ فَإِنَّهُ يرَاكُ» ..... |
| 413 ..... | «فَهَنَّ عُوَارٌ عِنْدَكُمْ» .....         |

## حرف القاف

- |           |                         |
|-----------|-------------------------|
| 247 ..... | «قِبْحَا يَرِيهِ» ..... |
|-----------|-------------------------|

## حرف الكاف

- |           |                                       |
|-----------|---------------------------------------|
| 247 ..... | «الكافر يأكل في سبعة أماء» .....      |
| 376 ..... | «كل ذي ناب من السباع حرام» .....      |
| 246 ..... | «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ..... |
| 435 ..... | «كما تكونوا يولى عليكم» .....         |
| 246 ..... | «كن أبا خيثمة فكانه» .....            |

## حرف اللام

- |               |  |
|---------------|--|
| 435 .....     | «لَا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا» .....                                  |
| 56 .....      | «لعله نزعه عرق» .....  |
| 307/184 ..... | «لولا قومك حديثوا عهد بالإسلام لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم» ..... |
| 94 .....      | «ليس أبا الدرداء» .....  |

## حرف الميم

- |           |  |
|-----------|--|
| 395 ..... | «ما لم تصفر الشمس» .....                           |
| 247 ..... | «من صام رمضان إيماناً واحتساباً» .....             |
| 30 .....  | «من كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار» ..... |
| 434 ..... | «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له» ..... |

## حرف الهمزة

..... «هل لك في بنت أبي سفيان ؟ فقال أصنع ماذا ؟»

## حرف الواو

247 ..... «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً»

## حرف الياء

- «يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن،  
لا أدري أي ذلك قالت أسماء» ..... 344/30
- «يتغايرون فيكم ملائكة بالليل والنهار» ..... 246/52  
«يجمع الأولين والآخرين» .....



## فهرس الشواهد الشعرية

باب المسئنة

## فصل الهمزة المفتوحة

**بالخبر خيرات وإن شرافاً ولا أريد الشّرّ إلا أن تُّنا** 93

## **فصل الهمزة المضمة**

- |                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| فلا فقر يدوم ولا غباء   | سيغبني الذي أغناك عنِي      |
| فain الشیخ يهدمه الشیاء | إذا كان الشیاء فأدلفلائقوني |
| کأن لون أرضه سماوہ      | ومهمه مغيرة أرجاوه          |
| من جواهن إن إن اللقاء   | ليت شعري هل للمحب شفاء      |
| إلا رواك دجمرهن هباء    | بات وغیر آیهن مع البلى      |
| 514                     | ولاللما بهم أبدا دواءً      |

## **فصل الهمزة المكسورة**

**قد علمت أخت بني السعلاء أن نعم مأكول على الخواء** 320

باب الباب

- أنا أبو دهبل وهب لوهب من جمع والعز فيهم والنشب 209  
يا من يدل عـزباً على عـزب 143

## فصل الباء المفتوحة

- |     |                                |                             |
|-----|--------------------------------|-----------------------------|
| 161 | من الريح فضل لا جنوب ولا الصبا | وماله من مجد تليد ولا له    |
| 338 | كميش إذا عطفاه ماء تحبها       | وردت بمثل السيد نهد مقلاص   |
| 112 | يضم إلى كشحية كفامخضبا         | تبئ، حلام منهم أسيفاً كأنما |

- أَلْوَمَا لَا أَبَالْكَ وَأَغْتَرَابَا 505/504  
 فَلَا كَعْبَا بَلْغَتْ وَلَا كَلَابَا 397  
 وَلَا بِفَزَارَةِ الشِّعْرِ الرَّقَابَا 70  
 خَلَافُ الْأَنْيَسِ وَحْوَشَا يَبَابَا 426  
 إِنَّمَا الشَّيْخُ مِنْ يَدِبِ دَبِيبَا 487

أَعْبَدَ أَحَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبًا  
 فَغَضَ الْطَّرِفُ إِنَّكَ فِي نَمِير  
 فَمَا قَوْمِي بِشَعْلَبَةِ بْنِ حَصْن  
 فَمُوشَكَّةُ أَرْضَنَا أَنْ تَعُود  
 زَعْمَتْنِي شِيخَا وَلَسْتُ بِشِيخ

### فصل الباء المضمومة

- إِلَى الشَّرِ دُعَاءُ وَلِلشَّرِ جَالِبٌ 56  
 فَإِنِي وَقِيَارٌ بِهَا لِغَرِيبٍ 118  
 شَفِيعٌ إِلَى بَيْضِ الْخَدُودِ مُدْرِبٌ 142  
 لَمَنْ جَمْلٌ رَخْوُ الْمَلَاطِنْجِيْبٌ 161  
 رَجَالٌ فَبِذَنْبِهِمْ وَكَلِيبٌ 261  
 فَحَقٌ لِشَائِسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْبُ 281  
 قَلِيلٌ لَدِيْ مِنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ عَابِهَا 448  
 تَطْلُبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ 315  
 وَالمرءُ عَنْدَ الرَّشِيْ إِنْ يَلْقَاهَا ذَنْبٌ 192  
 وَالْعَانِسُونَ وَمَنَا الْمَرْدُ وَالشِّيْبُ 443  
 رَأَكَثِرُهَا وَأَطْيَبُهَا 158  
 أَكَثِرُهَا وَأَطْيَبُهَا  
 يَصْبِحُنَ إِلَاهُنَ مَطْلُبٌ 159  
 فِيْكُمْ عَلَى تَلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبٌ 67  
 وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبَّوا 213/120  
 وَلَا مَخَالِطُ الْلَّيْلَانَ جَانِبَهُ 243

فَإِيَاكَ إِيَاكَ الْمَرَاءُ فَإِنَّهُ  
 فَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَهُ  
 وَغَيْرَهَا عَنْ وَصْلِهَا الشِّيْبُ إِنَّهُ  
 فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ  
 تَعْفُقُ بِالْأَرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا  
 وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبِطَ بِنَعْمَةٍ  
 فَمَا بَاسٌ لَوْ رَدَتْ عَلَيْنَا تَحْيَةٌ  
 فَرَاشَةُ الْمَلَمْ فَرَعُونُ الْعَذَابُ وَإِنْ  
 هَذَا سَرَاقَةُ الْقُرْآنِ يَدْرِسُهُ  
 مَنَا الَّذِي هُوَ مَا إِنْ طَرَ شَارِبَهُ  
 وَمَصْعَبُ حِينَ جَدَ الْأَمْرُ  
 وَأَنْتُمْ حِينَ جَدَ الْأَمْرُ  
 لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي الْغَرَانِيْ هَلْ  
 عَجَبٌ لِتَلْكَ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي  
 حَتَّى إِذَا قَمَلَتْ بَطْوَنَكُمْ  
 وَاللَّهُ مَا لَيْلَيِ بنَامٍ صَاحِبَهُ

### فصل الباء المكسورة

- وَلَا كُلُّ مَوْتٍ نَصْحَهُ بِلَبِيبٍ 48  
 وَلِيلٌ أَقْاسِيَهُ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ 475/473/86  
 تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَتْ بِأَثْوَبٍ 255  
 يَسُوكُ وَإِنْ يَكْشِفُ غَرَامَكَ تَدْرِبٌ 479  
 فَنَدَلا زَرِيقُ الْمَالِ نَدَلُ الشَّعَالِ 503  
 فَازْهَبُ وَمَا بَكَ وَالْأَيَامُ مِنْ عَجَبٍ 117  
 وَقَدْ تَرَكْتَكَ ذَا مَالَ وَذَا نَشَبَ 237

وَمَا كَلَ ذِي لَبٍ بِمَؤْتِيكَ نَصْحَهُ  
 كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبَهُ  
 إِذَا مَا جَرَى شَأْوِينَ قَدْ بَلَ عَطْفَهُ  
 وَقَالَتْ مَتَى يَبْخُلُ عَلَيْكَ وَيَعْتَلُ  
 عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسُ جَلَ أَمْوَرَهُمْ  
 الْيَوْمُ أَصْبَحَتْ تَهْجُونَا وَتَشْتَمَنَا  
 أَمْرَكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلَ مَا أَمْرَتْ بِهِ

581	حصباء در على أرض من الذهب	كأن صغرى وكبرى من فواعها
175	وعبط المهارى كومها وشبوبها	ورثت أبي أخلاقه عاجل القرى
407	عدد القطر والحضر والتراب	ثم قالوا تحبها قلت بهرا
316	لابت وأنت غربال الإهاب	فلولا الله والمهير المفدى
252	فإن الحوادث أودى بها	فإما تريني ولبي لمة
305	كزحلوف من الحطب	ومتنان خططاتان
476	ياربع من نحو الشمال هبى	
142	ماذا رسول ناصح فمبلاع	
97	عني عليه غير قول الكاذب	
	حكم بأردية المكارم محتبى	كم فيهم ملك أغرو سوقة

## باب النساء

### فصل النساء المضمة

437	حتى ألمت بنا يوما ملمات	وكنت أحجو أبا عمرو أخاثقة
78	يدل على محسنة تبيت	ألا رجلا جزاه الله خيرا
	سائلبني أسد ما هذه الصوت	يا أيها الراكب المزجي مطيته
180	ترفع عن ثوبى شماليات	ربما أوفيت في علم

### باب النساء المكسورة

532	مقالة لهبى إذا الطير مررت	خبير بنو لهب فلاتك ملغيا
127	في رأب ما أثأت يد الغفلات	ألا عمر ولی مستطاع رجوعه
286	فأبعدك عن الله من شيرات	إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
97	حتوف المنايا أكثرت أو أقلت	فلست أبالى بعد يوم مطرف
282	كأنى عالم بالترهات	أرى عيني مالم ترأيه
230	فلبونه جربت معا وأغدت	من كان أشرك في تفرق فالراج
413	واستعجلت نصب القدر فملت	وإذا العذارى بالدخان تقنعت
211	تدلت اللمة من لماتها	على حروف الدهر أود ولاتها
212	بنت ثمانى عشرة من حجته	كُلف من عنائه وشقق وقوته

## باب الجيم

### فصل الجيم الساكنة

281	لام إِنْ كُنْتَ قَبْلَتْ حَجَّتْ	فلا يزال شامخ يأتيك بع
-----	----------------------------------	------------------------

## فصل الحيم المكسورة

- أما النهار ففي قيد وسلسلة  
إنني أتيحت لي يمانية  
خالي عويف وأبو علچ  
يحدو ثماني مولع بلقاها
- والليل في قعر منحوت من الساج 97  
إحدى بنى الحارث من مذحج 253  
المطعمان اللحم بالعشيج 280  
حتى همن بزيفة الإرتاج 72

## باب الحاء

### فصل الحاء المفتوحة

- سأترك منزلي لبني تميم فألحق بالحجاز فأستريحا 162

### فصل الحاء المضمة

- ليبك يزيد ضارع لخصومة 163  
يا بوس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا 86  
الآن جيران العشية رائج 111

### فصل الحاء المكسورة

- وأدنيتنى حتى إذا ما سببتي بقول يحل العصم سهل الأباطح 60

## باب الدال

### فصل الدال المفتوحة

- قنافذ هداجون حول بيوتهم  
ظننت بأن شبت لظى الحرب صالبا  
أتو عدنى بقومك يابن حجل  
فزجرتها بمزجة حمدا الله ذا الجلال وشكرا
- يما كان إياهم عطيه عودا 434  
فعردت فيمن كان عنها معردا 487  
أشبابات يخالون العبارا 97/70  
زوج القلوص أبي مزاده 213/117  
وبدارا لأمره وانقيادا 505

### فصل الدال المضمة

- فلما مضى عامان على انفصاله  
فقلت عساها نار كأس وعلها  
دررت الونى العهد يا عرو فاغتبط  
وقد علم الأقوام ما كان داؤها  
إذا ما الخبر تأدمه بلح
- عن الضرع واحلولي دمائنا يرودها 46  
تشكى فاتي نحوها فأعودها 136  
فإن اغتابطا بالوفاء حميد 488  
بتهلان إلا الخزي ومن يقودها 97  
فذاكأمانة الله الثريد 95

أتأني أنهم مزقون عرضي  
ولست بسائل جارات بيتي  
أبني لبيني لستم بيد  
فلا بد من عوجاء تهوي براكب

## فصل الدال المكسورة

343	ورقى نداء ذا الندى في ذرى المجد	كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد
281	فزووجك خامس وأبوك ساد	إذا ما عدا أزبعة فرسول
396	حتى إذا مددته فشده	قال أبو ليلى لحبل مده
386	صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند	وقائلة ما بال دوسر بعدنا
377	جهارا فكن في الغيب أحفظ للود	إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب
504	بتتشييد أسباب السيادة والمجد	خمولا وإهمالا وغيرك مولع
	يسومك ما لا يستطيع من الوجد	إخالك إن لم تغضض الطرف ذا هوى
191	لم أحص عدتهم إلا بتعداد	كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
191	لو لا رجاوأك قد قتلت أرلادي	ماذا ترى في عيال قد برمت بهم
	له صريف صريف القعرو بالمسد	مقذوفة بدخيس النحض بازلها
67	إلى حمامتنا ومثله فقد	قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
159	بما لاقت لبـون بنـي زـيـاد	ألم يأتـيك والأـنبـاء تـنـمى
160	ومسـحت بالـلـثـتـين عـطـف الإـثـمـد	كتـنـوا رـيش حـمـاما نـجـدية
160	ويـصـرـنـ أـعـدـاءـ بـعـيـدـ وـدـادـ	وـأـخـوـ الغـوانـ متـىـ يـشـأـ يـصـرـمنـهـ
	بيـنـ ذـرـاعـيـ وجـبـهـ الأـسـدـ	يـاـ منـ رـأـىـ عـارـضاـ أـرـقـتـ لهـ
503	ولا واسـأـبـوـهـ نـزـدـ	فـاـوـلـ وـلـاـ وـاحـ
196	وـجـرـحـ اللـسـانـ كـجـرـحـ الـيدـ	وـجـرـحـ اللـسـانـ كـجـرـحـ الـيدـ

باب العذال

فصل الذال المفتوحة

فمات عشقا فكان مادا 306  
فعاتبوه فذاب شوقا  
ودان لك العياد فكان مادا 306  
فععدك قد ملكت الأرض طرا

## باب المرأة

### فصل المرأة الساكنة

- ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر 119  
 ومن تكونوا ناصريه ينتصر 427  
 ومن الحب جنون مستعر 159  
 فقلت هبت ألا تنصر  
 أكب على ساعديه النمر  
 وسديف حين هاج الصبر 477
- إلى الحول ثم اسم السلام عليكم  
 من أمكم لرغبة فيكم ظفر  
 أصحوت اليوم أم شاقتكم هر  
 فأنشب أطفواره في النساء  
 لها متنتان خططات كما  
 بجفان تعترى نادينا

### فصل المرأة المفتوحة

- على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا  
 صحاحا ولا مستنكرأ أن تعقرا 136  
 حبلن ولو كانت قواعد عقر 413  
 تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا 485  
 عشية لاقينا جذام وحميرا 487  
 إذ لم تزل لاكتساب الحمد مبتدا 375  
 بعيد المشيب كفى ذاك عارا 160  
 فطيره الشيب عنني فطارا 202  
 نقلت يدا سرحها وخفاما مجمرا 582  
 دأب بكار شايحت بكارها 98  
 أنعتهن آيرا وأكمرا 98  
 إياكمما أن تكسباني شرّا 212  
 331
- حراجيج لا تنفك إلا مناخة  
 فليس بمعرفة لنا أن نردها  
 ولو أن ماسفي بطنه بين نسوة  
 قهرناكم حتى الكماة فأنتم  
 وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة  
 بلغت صنع أخ بر إخالكه  
 فكيف أنا وانتحال القوافي  
 زمان علي غراب غداف  
 رأيت همة ناقتي في ناقة  
 إذا رأتني دأبت بكارها  
 أنت أغيار ارعين الخزارا  
 في الغلامان اللذان فرزا  
 يا جارتاما أنت جاره

### فصل المرأة المضمومة

- حسين عبيطات السدائف والخمر 108/68  
 كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر 191  
 أو أصرركم والرحم بالغريب تذكر  
 به أنت من بين الجوانب ناظر 161  
 ثلاث شخصوص كاعبان ومعصر 163  
 ونصف نقايرتج أو يتمرمر 231
- غداة أحلت ابن أصرم طعنة  
 وطرفك إما جئتنا فاحبسنه  
 خدوا حظكم يا آل عكرم واذكروا  
 وإنني متى أشرف على الجانب الذي  
 وكان مجني دون من كنت أتقى  
 ترى خلقها نصف قنادة قوية

لئن كان إياه لقد حال بعدها  
ومثلك رهبي قد تركت رذية  
فلما خشيت الهون والغير ممسك  
فقلت تحمل فوق طووك إنها  
وقد زعمت ليلي بأنني فاجر  
ياتيم تيم عدي لا أبا لكم  
مستقبلين شمال الشام تضربنا  
فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم  
إن امرأ غرہ منك واحدة  
مثل القنافذ هداجون قد بلغت  
خل الطريق لمن يبني المنار بها  
لما رأى طالبوه مصعبا ذاعروا  
جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر  
فمن يك سائلا عنى فلابنى  
فما طمع راح في الزجاج مدامه  
وكنت هناك أنت كريم قيس  
طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت  
إن يقتلوك فلابن قتالك لم يكن  
فتذكر رب الخورنق إذ فك  
هون عليك فلابن الأمرور  
قامت تبكيه على قبره  
لم يغذها الرسل ولا أيسارها

## فصل الراء المكسورة

97/60	وَجْنَبِيهِ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ثَائِرٍ	مَتَى تَرْ عَيْنِي مَالِكٌ وَجْرَانِهِ
484	فَمَا انْقَادَتِ الْأَمْمَالُ إِلَّا لِصَابَرٍ	لِأَسْتَسْهَلَنِ الصَّعْبُ أَوْ أَدْرَكَ الْمُنْتَى
281	مِنْ بَعْدِ مَا يَعْتَرِي قَلْبِي مِنَ الدُّكَرِ	يَا لَيْلَتِ لِي سَلْوَةٌ تَشْفِي النُّفُوسَ بِهَا
142	سُوَاسٌ مَكْرَمَةٌ هُمْ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ	هِينَوْنَ لِيْنُونَ أَيْسَارٌ نَذُوقُ كَرْمَ
142	بَشِيبٌ رَأْسِيٌّ وَمَا بَالشِيبِ مِنْ عَارٍ	إِنِّي هَزَّتْ مِنْ أَمْ الْفَمْرِ إِذْ هَزَّتْ
332	يَا أَشْبَهُ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ	كَمْ قَدْ ذَكَرْتَكَ لَوْ أَجْزِي بِذَكْرِكَمْ
411	يَوْمُ الصَّلِيفَاءِ لَمْ يَوْفُونَ بِالْجَارِ	لَوْلَا فَسَارَسْ مِنْ تَيْمٍ وَإِخْوَتِهِمْ

من هؤلئك الضال والسمير 430  
وأبعد الناس كل الناس من عار 527  
بشعيبة بن نوقل بن حسر 97  
بأحمل للمحامد من حمار 305  
أقوين مذحج ومذدهر 212/169  
فـالآن حين بدون للناظار 124  
ما ليس ينجيه من الأقدار 127  
جيـش إليـك قـوادم الأـکوار 158  
ولـقد نـهـيـتك عن بـنـات الـأـوـبـر 229  
سـمـ العـدـاـة وـآـفـةـ الجـزـر 67  
وـإـنـماـ العـزـزـة لـلـكـاثـر 204  
حـرـاسـ أـبـوـابـ عـلـىـ قـصـورـها 229  
فـلـبـىـ ولـبـىـ يـدـيـ مـسـسـورـ 97  
نعم، وـفـرـيقـ لأـيمـنـ اللـهـ ماـ نـدـري 285  
أـبـلـجـ مـثـلـ الـقـمـرـ الـبـاهـرـ 407  
تـزـوـلـ وـزـالـ الرـاسـيـاتـ مـنـ الصـخـرـ 432

يا ما أـمـيلـعـ غـرـلـانـاـ شـدـنـ لـنـاـ  
أـنـتـ الجـوـادـ الذـيـ تـرجـىـ نـوـافـلـهـ  
هـيـ اـبـنـتـكـ وـأـخـتـكـ زـعـمـتـ  
وـمـاـ المـولـىـ إـنـ عـرـضـتـ قـفـاهـ  
لـمـنـ الـدـيـارـ بـقـنـةـ الـحـجـرـ  
قـدـكـنـ يـخـبـأـنـ الـوـجـوـهـ تـسـتـرـاـ  
حـذـرـ أـمـورـاـ لـاـ تـضـيـرـ وـأـمـنـ  
فـلـتـأـتـيـنـكـ قـصـائـدـ وـلـيـرـكـبـنـ  
وـلـقـدـ جـنـيـتـكـ أـكـمـنـاـ وـعـسـاقـلـاـ  
لـاـ يـبـعـدـنـ قـوـمـيـ الـذـيـنـ هـمـ  
وـلـسـتـ بـالـأـكـثـرـ مـنـهـمـ حـصـىـ  
بـاعـدـ أـمـ العـمـرـ عـنـ أـسـيـرـهـاـ  
دـعـوتـ لـمـاـ نـابـنـيـ مـسـسـورـاـ  
فـقـالـ فـرـيقـ ،ـ إـذـاـ إـذـ نـحـوـتـهـمـ  
وـحـكـمـ وـهـ فـقـضـ ئـ بـيـنـكـمـ  
إـلـىـ مـلـكـ كـادـ الـجـبـالـ لـفـقـدـهـ

## باب الزاي

### فصل الزاي المفتوحة

إن العجوز خبـةـ جـرـوزـاـ 250 تـأـكـلـ كـلـ لـيـلـةـ قـفـيـزاـ

## باب السين

### فصل السين المفتوحة

يـضـيءـ كـضـوءـ السـرـاجـ السـلـيـطـ 110  
لـقـدـ رـأـيـتـ عـجـبـاـ مـذـ أـمـساـ 97  
عـجـائزـاـ مـثـلـ السـعـالـيـ خـمـساـ

### فصل السين المضمة

هـنـيـئـاـ لـأـرـبـابـ الـبـيـوـتـ بـبـيوـتـهـمـ 97  
تـالـلـهـ يـبـقـىـ عـلـىـ الـأـيـامـ ذـوـ حـيدـ  
خـلاـ أـنـ العـتـاقـ مـنـ الـمـطـاـيـاـ 51  
وـلـلـعـزـبـ الـمـسـكـيـنـ مـاـ يـتـلـمـسـ  
بـمـشـمـخـرـ بـهـ الـظـيـانـ وـالـأـسـ  
أـحـسـنـ بـهـ فـهـنـ إـلـيـهـ شـوـسـ

## فصل السين المكسورة

لم يستطع صولة البزل القناعيس 260  
 أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس 385  
 والرحل والأقتاب والحلس 146  
 وعدتنى غير مختلس 514

فأين إلى أين النجاء ببغلتي  
 وابن الليبون إذا مالز في قرن  
 يا صاح يا ذا الضامر العنـس  
 كي لتقـضـينـي رقـية ما

## باب الصاد

### فصل الصاد المضمومة

فما ملكت مدامعها القلوص 59  
 وقفـتـ عـلـىـ الـدـيـارـ فـكـلـمـتـنـيـ

## باب الصاد

### فصل الصاد المكسورة

طويـنـ طـولـيـ وـطـويـنـ عـرـضـيـ 66  
 أـبـيـضـ مـنـ أـخـتـ بـنـيـ إـبـاضـ 211/118  
 حـانـيـكـ بـعـضـ الشـرـ أـهـونـ مـنـ بـعـضـ 130  
 ذـوـ الطـوـلـ وـذـوـ العـرـضـ 158

طـولـ الـلـيـالـيـ أـسـرـعـتـ فـيـ نـقـضـيـ  
 جـارـيـةـ فـيـ درـعـهـاـ الفـضـفـاضـ  
 أـبـاـ منـذـرـ أـفـنـيـتـ فـاسـتـبـقـ بـعـضـنـاـ  
 وـمـنـ ولـدـوـاعـاـ سـامـرـ

## باب الطاء

### فصل الطاء الساكنة

حتـىـ إـذـاـ جـنـ الـظـلـامـ وـاخـتـلطـ 446  
 جـاؤـواـ بـمـذـقـ هـلـ رـأـيـتـ الذـيـ قـطـ

## باب العين

### فصل العين المفتوحة

سـأـجـعـلـ عـيـنـيـهـ لـنـفـسـهـ مـقـنـعاـ 161  
 لـحـقـتـ فـلـمـ أـنـكـلـ عـنـ الضـربـ مـسـمـعاـ 384  
 مـنـ الـحـوـادـثـ إـلـاـ الشـيـبـ وـالـصـلـعاـ 346  
 وـلـاـ يـكـ مـوـقـفـ مـنـكـ الـودـاعـاـ 47  
 فـأـرـتـنـيـ الـقـمـرـيـنـ فـيـ وـقـتـ مـعـاـ 431

فـإـنـ يـكـ غـثـاـ أوـ سـمـيـنـاـ فـإـنـيـ  
 لـقـدـ عـلـمـتـ أـولـوـ المـغـيـرـةـ أـنـيـ  
 فـأـنـكـرـتـنـيـ وـمـاـكـانـذـيـ نـكـرـتـ  
 قـفـيـ قـبـلـ التـفـرـقـ يـاـ ضـبـاعـاـ  
 لـيـتـ شـعـرـيـ عـنـ خـلـيلـيـ مـاـذـيـ  
 وـاسـتـقـبـلـتـ قـمـرـ السـمـاءـ بـوجـهـهاـ

سقاها ذوا الأحلام سجلاً على الظما  
وقد كربت أعناقها أن تقطعا 510  
فقال : "أكل الناس أصبحت مانحاً لسانك فيما أن تغ وتخدعا"  
513 حالف ووال اليتلى ربه وخالف اليعصى ولا ترعه 356

### فصل العين المضمة

وآخر مثمن بالذى كنت أصنع ؟  
114 وحبل الصفام عن عزة المتقطع  
189 حزين على ترك الذي أنا وادع  
190 إلى ربنا صوت الحمار اليجدع  
162 وسائله باد إلى الشمس أكتع  
65 من الرقش في أنيابها السم ناقع  
255/163/137 سور المدينة والجبال الخشع  
161 إنك إن يصرع أخوك تصرع  
254 وهي ثلاثة أذرع وإصبع

إذا مت كان الناس صنفان شامت  
أتجزع أن بان الخليط المودع  
فأيهما ما أتباعن فاني  
يقول الخن وأبغض العجم ناطقا  
ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه  
فيت كأنى ساورتنى ضئيلة  
لما أتى خبر الزبیر تواضعت  
يا أقرع بن حابس يا أقرع  
أرمي عليها وهي فرع أجمع

### فصل العين المكسورة

وما بال تکلیم الديار البلافع 158  
فتتركها شنا ببیداء بلقع 514/214  
من هجو زبان لم تهجو ولم تدع 57  
اتسع الخررق على الراقع 159  
158 بين عيینة والأقرع  
أما ترى الموت لدى إرباعها 377  
يفوقان مرداس في مجمع 98

وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم  
أردت لكىما أن تطير بقربتي  
هجوت زبان ثم جئت معذرا  
لا نسب الي يوم ولا خلة  
أتجعل نهبي ونهب العبيد  
وما كان حصن ولا حابس  
مناعها من إبل مناعها

## باب الفاء

### فصل الفاء المضمة

من المال إلا مسحتا أو مجلف 59/55  
أذو نسب أم أنت بالحي عارف 434/88  
علي بنعمى بادئ ثم عاطف  
لعينيك من ماء الشؤون وكيف 298  
وما بينها والكعب غوط نفاف 377

وغض زمان يابن مروان لم يدع  
فقالت حنان ما أتى بك هاهنا  
وما زال فيكم آل مروان منعم  
أمن رسم دار مربع فمصبيف  
نعلق في مثل السواري سيوفنا

قالوا تعرفها المنازل من مني  
فحالف فلا والله تهبط تلعة  
وما كل من وافي مني أنا عارف  
من الأرض إلا أنت للذل عارف 97

فصل الفاء المكسورة

- |                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| أحب إلى من قصر منيف         | لبيت تخفق الأرواح فيه        |
| أحب إلى من لبس الشفوف       | ولبس عباءة وتقرب عيني        |
| وأني من الآثرين غير الزعانف | وما سجنوني غير أني ابن غالب  |
| نفي الراهمين تنقاد الصياريف | تنفي يداها الحصى في كل هاجرة |
| وخلاله السفية إلى خلاف      | إذا دعى السفية جرى إليه      |

باب القاف

## فصل القاف الساكنة

- جاءات به عنـس من الشـام تـلاقـ

## فصل الفاء المضمة

- |                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| من الذب عن أعراضها الحقيق | وإني بما قد كلفتني عشيرتي   |
| أخاف إذا مامت لا أنوتها   | ولا تدفنتني في الفلاة فإنني |
| ولضفاد جمه نقاائق         | ومنهل ليس له حوازق          |
| أمنت وهذا تحملين طليق     | عدس مالعياد عليك إمارة      |

## فصل القاف المكسورة

- |       |   |   |
|-------|---|---|
| 341   | وإلا فلأدركتني ولما أمزق<br>الاً مرحباً واديك غير مضيق<br>أو عبد عمرو أخا عون بن مخراء<br>بغاة ما بقينا في شفاق | فإن كنت مأكلولاً فلن خير أكل<br>إذا جئت بباب الله قال مرحباً<br>هل أنت باعث دينار ل حاجتنا<br>ولأ فاعلموا أنا وأنتم |
| 97/95 | بله الأكف كأنه سالم تخلق<br>البيتذر من تيرانها فاتقى  | تذر الجمامج ضاحيا هاماتها<br>لا تنسفين الحرب إنك  |
| 503   |   |   |
| 356   |   |   |

## باب الكاف

### فصل الكاف المفتوحة

- أعد عيالي شعبة من عيالكا 155  
 وكنت إذ كنت إلهي وحدكما  
 لم يك شيء يا إلهي قبلكما 341  
 هل تعرف الدار على تبراكا  
 دار لسعدي إذه من هواكا 161/155  
 يا أيها المائج دلوي دونكا 211  
 إني رأيت الناس يحمدونكا

### فصل الكاف المضمة

- يا حار لا أرمين منكم بداهية 420  
 لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

### فصل الكاف المكسورة

- 435      "أبيت أسرى وتبitti تدلکي"

## باب اللام

### فصل اللام الساكنة

- جزء الكلاب العاويات وقد فعل 118/48  
 رهطم مرجوم ورهط ابن المعل 282/190  
 ودعاني وأغلافيمن وغل 331  
 لاحق الآطلال نهد ذو خصل 435  
 فصيروا مثل كعصف ماكوا 119  
 وإنما يجزي الفتى ليس الجمل 145  
 علمنا إخواننا بن وعجل 215  
 شرب النبيذ واصطفاقاً بالرجل
- جزى ربه عنى عدي بن حاتم  
 وقبيل من لكيز شاهد  
 أيها ذان كلا زادي كما  
 لويساً طار بها ذو ميعة  
 ولعبت طير بهم أبابيل  
 إنما يجزي الفتى ليس الجمل  
 علمنا إخواننا بن وعجل

### فصل اللام المفتوحة

- ؟  
 كغضن الأراك وجهه حين بقلاء  
 فلم أتخذ إلا فناءك موئلا 384  
 ربaha إذا ما المرء أصبح ثاقلا 487/484  
 نح معاقالت وعاما وقابله  
 وما ارعويت وشيبا رأسى استعلا 340  
 وسوئل لو يبين لنا السؤالا 210/70  
 بها يقتدنا الخرد الخدالا 70  
 عهدت مغيثا مغنى من أجرتة  
 حسبت التقى والجود خير تجارة  
 فقال أمكثي حتى يسار لعلنا  
 ضييعت حزمي في إبعادي الأacula  
 فرد على الفواد هوى عميدا  
 وقد نفني بها ونرى عصورا

فقلت لصيبح انتجعي بلا	رأيت الناس ينتحرون غياثا
أوبعد كندة تمدحن قبيلا	قالت فطيمية جل شعرك مدحه
368 مال م يكن وأب له لينالا	ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه
ودعا فلم أمر مثله مخذولا	قتلوا ابن عفان الخليفة محرا
فأصببت حبة قلبها وطحالها	فرميت غفلة عينه عن شاته
160/47 ولا ذاكر لله إلا قليلا	فألفيته غير مستعبد
253 ولا أرض أبقى إيقالها	فلا مسزنة ودق ودقها
188 كهو ولا كهن إلا حاظلا	فلا ترى بعلولا ولا حلائلا
فهي تنوش الحوض نوشًا من على	
213 كناع الملا تعسفن رملا	قلت إذ أقبلت وزهر تهادى
534 هذا ردائي مطويًا وسرابلا	لا تحبسنك أثوابي فقد جمعت

### فصل الإمام المضمومة

نوشابه تقطع أجواز الفلا	فهي تنوش الحوض نوشًا من علا
ويوما ترى فيهن غولاتغول	فيما يجازين الهوى غير ماضي
475 فيصدر عنا كلنا وهو نامل	تميل إذا مالت عليهما دلاؤهم
484 وكل نعيم لا محالة زائل	أكل شيء ما خلا الله باطل
292 وما طاف فوق الأرض حاف وناعل	وأحسبها ما دام للزيت عاصر
229 شديدا بأعباء الخلافة كاھله	رأيت الوليد بن يزيد مباركا
434/118 أخاك مصاب القلب جم بلامبله	فلا تلحني فيها فإن بحبها
479 وما كل ما يهوى أمرؤ هو نائله	فيماك من ذي حاجة حيل دونها
51 وهاج الهوى تقويضها واحتمالها	دنا البن مني فررت جمالها
89 وليس منها شفاء الداء مبذول	هي الشفاء لدائني لو ظفرت بها
237 رب العباد إليه الوجه والعمل	أستغفر الله ذنبا لست ممحصيه
505 أسلفتها أنا منها خائف وج	يا قابل التوب غفرانا ماثم قد
260 فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل	كناطح صخرة يوماليوهنها
505 فالصادق الود مبذول له الأمل	قالت نعم وبلوغا بفية ومني
184/78 أوتنزلون فإننا معاشر نزل	إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
36 وأنت خليفة ذاك الكمال	أبوك خليفة ولدته أخرى
177 فإن الريح طيبة قبول	فإن تخل سدوس بدرهميها
93 قسما إليك مع الصدود لأمبل	إني لأمنحك الصدود وإنني

60 إِنْ يَجْعَلُوا أَوْ يَبْرُدُوا أَوْ يَغْلُبُوا لَا يَحْفَلُوا  
أَرْضَهُمْ فَوْقَ وَأَضْحَى مِنْ عَلَهُ 36

يا أحسن الناس من قرن إلى قدم  
إذا مت كان الناس صنفان شامت  
ولا حبال محب واصلِ تصل 528  
وآخر مثُن بالذى كنت أفعل 168

فصل اللام المكسورة

- موضع كفي راهب يصلى 160  
 كدت أقضى الحياة من جلل 210  
 إذا احتاج النهار إلى دليل 206  
 تذكرت ليلي في الخليط المزايil 533

كأن مهواها على الكلكل  
 رسم دار وففت في طلله  
 وليس يصح في الأذهان شيء  
 إذا فاقد خطباء فرخين رجعت

## باب الميم

### فصل الميم الساكنة

كتوم الرغاء إذا هجرت 60  
 وكانت بقية زودكتم

### فصل الميم المفتوحة

- إذا ما خشوا من محدث الأمر عظما 95  
 ويأوي إليها المستجير فيعصما 162  
 بحقل الرخامى قد عفا طلاهمما 341  
 من الناس أبقى مجده الدهر مطعمما 345  
 ولم يعن بالإحسان كان مذمما 340  
 إلا السفاه وإنما ذكره حلمما 253  
 بذى المجاز تراعى منزلا زيمما  
 شيئاً على كرسيه مععما 214

371

لاتكثري إني عسيت صائما

- شللي بهم أم تقول بعد محظوما 434  
 وببو يزيد قائم كالمؤتمه 244  
 قد سالم الحيات منه القدمما 163  
 الأفعوان والشجاع الشجاعما

### ضخم يحب الخلق الأضخم

- لا عنيز لجبة مجثمـه 130  
 وإن كانت زيارتكـم لمامـا 345

لم يبق من آل الحميد نسمـه  
 فريشي منكم وهوـي معكم

### فصل الميم المضمة

- وصال على طول الصدود يدوم 164/95  
 عشية أحجار الكناس رميم 142  
 لهنـك من برقـ على كـ دريم 282  
 ثلـاثاً وـمن يـخرـقـ أـعـقـ وأـظـلـمـ 368  
 شـديـداً سـوـارـيـه طـوـيلـاً دـعـائـمـه 60

صددـتـ فأـطـولـتـ الصـدـودـ وـقـلـماـ  
 رـمـتـنيـ وـسـتـرـ اللـهـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهاـ  
 أـلـاـ يـاـ سـنـىـ بـرـقـ عـلـىـ قـلـلـ الـحـمـىـ  
 فـأـنـتـ طـلاقـ وـالـطـلاقـ عـزـيمـةـ  
 وـكـنـاـ وـرـثـنـاهـ عـلـىـ عـهـدـ تـبعـ

فما يكلم إلا حين يبتسم 479  
 أو أمتده فـإن الناس قد علموا 160  
 أهـدى السـلام تـحيـة ظـلم 125  
 عـار عـلـيـك إـذـا فـعـلت عـظـيم 484  
 طـلب المـعـقـب حـقـه المـظلـوم 509  
 ولـيـس عـلـيـك يـا مـطـر السـلام 182  
 بـرـيـئـا مـاتـغـنـتـك الـذـمـوم 70  
 وـيـاسـرـ فـتـيـة سـمـح هـضـوـم 97  
 عـلـى فـرـتـاج وـالـعـهـد الـقـدـيم 97  
 إـذـا ارـتـقـى فـيـه الـذـي لـا يـعـلـمـه 527  
 بـكـبـدـ خـالـطـهـا السـنـام 113  
 لـوـجـهـلـ غـطـى عـلـيـهـ النـعـيم 68  
 بـحـقـ الـرـخـامـي قـدـ عـفـا طـلـاهـمـا 168  
 كـمـيـتـا الأـعـالـيـ جـوـنـتـا مـصـطـلـاهـمـا 168

يـغـضـي حـيـاء وـيـغـضـي مـنـ مـهـابـتـهـ  
 إـنـ اـبـنـ حـارـثـ إـنـ أـشـقـ لـرـؤـيـتـهـ  
 أـظـلـومـ إـنـ مـصـابـكـ رـجـلاـ  
 لـاـتـنـهـ عـنـ خـلـقـ وـتـاتـيـ مـثـلـهـ  
 حـتـىـ تـهـجـرـ لـلـرـوـاحـ وـهـاجـهـ  
 سـلـامـ اللـهـ يـاـ مـطـرـ عـلـيـهـاـ  
 سـلـامـكـ رـبـنـاـ فـيـ كـلـ فـجـرـ  
 فـكـمـ قـدـ فـاتـنـيـ بـطـلـ كـمـيـ  
 أـلـمـ تـسـأـلـ فـتـخـبـرـكـ الرـسـوـمـ  
 الشـعـرـ صـعـبـ وـطـوـيلـ سـلـمـهـ  
 قـدـ صـبـحـتـ صـبـحـهـاـ السـلـامـ  
 رـبـ حـلـ أـضـاءـعـهـ عـدـمـ الـمـاـ  
 أـمـنـ دـمـتـيـنـ عـرـجـ الرـكـبـ فـيـهـمـاـ  
 أـقـامـتـ عـلـىـ رـبـعـيـهـمـاـ جـارـتـاـ صـفـاـ

### فصل الميم المكسورة

كـخـبـطـةـ عـصـفـورـ وـلـمـ أـتـلـعـثـمـ 118  
 بـنـوـ عـبـدـ شـمـسـ مـنـ مـنـافـ وـهـاشـمـ 210  
 كـمـاـ شـرـقـتـ صـدـرـ القـنـاةـ مـنـ الدـمـ 137  
 أـعـالـيـهـاـ مـرـ الـرـيـاحـ النـوـاسمـ 454/137  
 وـلـكـنـاـ الـمـوـلـىـ شـرـيكـ فـيـ الـعـدـمـ  
 فـهـلـاـ تـلـاـ حـامـيـمـ قـبـلـ التـقـدـمـ 461  
 وـلـاـ يـغـنـهاـ يـوـمـاـ مـنـ الـدـهـرـ يـسـأـمـ 484  
 يـاـ بـؤـسـ لـلـجـهـلـ ضـرـارـاـ لـأـقـوـامـ 87  
 مـنـ الطـوـائـفـ وـالـأـعـنـاقـ بـالـوـنـمـ 97  
 بـاتـ ظـماءـ وـبـاتـ اللـيلـ لـمـ يـنـمـ 127  
 إـذـاـ اـفـتـخـرـواـ بـقـيـسـ أـوـ تـمـيمـ 242  
 كـفـىـ الـأـيـتـامـ فـقـدـ أـبـيـ الـيـتـيمـ 137  
 وـجـيـرـانـ لـنـاـ كـانـواـ كـرامـ 356/167  
 رـجـلـيـ فـرـجـلـيـ شـتـنـةـ الـعـنـاسـ 143  
 وـالـقـاطـنـاتـ الـبـيـتـ غـيـرـ الـرـيـمـ 161

وـلـوـلـاـ بـنـوـهاـ حـولـهـاـ الـخـبـطـهـاـ  
 وـلـاـ كـنـ نـصـفـالـوـ سـبـبـتـ وـسـبـنـيـ  
 وـتـشـرـقـ بـالـقـوـلـ الـذـيـ قـدـ أـذـعـتـهـ  
 مـشـيـنـ كـمـاـ اـهـتـزـتـ رـمـاحـ تـسـفـهـتـ  
 وـلـاـ تـعـدـ الـمـوـلـىـ شـرـسـكـ فـيـ الغـنـىـ  
 يـذـكـرـ حـامـيـمـ وـالـرـمـاحـ شـاجـرـ  
 وـمـنـ لـاـ يـزـلـ يـسـتـحـمـلـ النـاسـ نـفـسـهـ  
 قـالـتـ بـنـوـ عـامـرـ خـالـلـاـ بـنـيـ أـسـدـ  
 كـائـنـاـ يـقـعـ الـبـصـرـيـ بـيـنـهـمـ  
 حـتـىـ شـاـهـاـ كـلـلـ مـوـهـنـاـ عـمـلـ  
 أـبـيـ الـإـسـلـامـ لـأـبـ لـيـ سـوـاهـ  
 إـذـاـ مـرـ الـسـنـينـ تـعـرـفـتـنـاـ  
 فـكـيـفـ إـذـاـ مـرـرـتـ بـدـارـ قـوـمـ  
 أـوـ عـدـنـيـ بـالـسـجـنـ وـالـأـدـاهـمـ  
 وـرـبـ هـذـاـ الـبـلـدـ الـمـحـرـمـ

وكف المخذوب البنام 281  
فتركن كل حديقة كالدرهم 475/48  
أغضي من شتمي على رغم 230  
أني متى يتلذموا أتهدم 247  
إلا وإنني حاجزي كرمي 176  
واذكر خليلك منبني الحكم 176  
يورث الود في فؤاد الكريم 319  
أشكو إليكم حممة الألم 487

يا هال ذات المنطق التمام  
جاتت عليهما كل عين ثرة  
لولا ابن حارثة الأمير لقد  
من مبلغ الفتى عن ماكما  
ما أعطيني ولا سألهما  
دع عنك سلمى إذ فات مطلبها  
كيف أصبحت كيف أمسنت مما  
ما خلتنى زلت بعدكم ضمنا

## باب النون

### فصل النون الساكنة

وقد خفت يا بكر من طول ما 126/32  
أفكر في أمر "أن" أن أجن 164  
وصاليات كما يؤثرين

### فصل النون المفتوحة

إذا جلسوا معا ولا من سوانئنا 164  
حلائل أسودين وأحمرينا 443  
إذا عز ابن عمك؛ أن تهونا 143  
منايانا ودولة آخرينا 237  
يلقحه قوم وتنتجونه 248  
ك وقد كبرت فقلت إنه 147  
ماذا لقيت من الهوى ولقينا 332  
فرحى أن يكون ذاك وكانا 513  
كي لتففضي حوائج المسلمين  
مائنة تل إيانا 70

ولا ينطق الفحشاء من كان منهم  
فما وجدت نساء بنى تميم  
دبيت لها الضراء فقلت أيقن  
وما إن طبنا جبن ولكن  
أكل عسام نعم تحسوونه  
ويقلن شيب قد علا  
غيضن من عبراتهن وقلن لي  
إن يقل هن من بنى عبد شمس  
لتقم أنت يابن خير قريش  
كأننا يوم قررى إن

### فصل النون المضمة

تبكي على نجد لعلي أعينها 219  
وليس كل النوى تلقى المساكين 90  
إني لأجود أقواما وإن ضننا 159/99

خليلي هل بالشام عين مريضة  
فأصبهوا والنوى عالي معرسهم  
مهلا أعاذل قد جربت ممن خلقي

## فصل النون المكسوقة

- تعاطى القنى قوما هما أخوان 452  
 ومطواي مشتاقان له أرقان 161  
 بسبع رمرين الجمر أم بثمان 319  
 وإن مالكا كانت كرام المعاد 344  
 أخوها غذته أمه بليانها 375  
 ومؤمن بالغريب غير أمين 97  
 على البرية بالإسلام والدين 376  
 والشر بالشر عند الله مثلان 339/161  
 جرى الدميان بالخبر اليقين 283/137  
 وأنت بخيلة بالود عنى 162  
 وأنكرنا زعناف آخرين 317  
 متى أضع العمامة تعرفوني 465  
 ففروا في الحجاز ليعجزونى 488  
 نجاحاً في غابر الأزمان 484  
 صرف البلى تجري به الريحان 97  
 ينقضى بالهم والحزن 411  
 لست من قيس ولا قيس مني 271  
 عينه فانتهى بلا عينين 536  
 أرجاء صدرك بالأضفان والإجن 376

وكل رفيقي كل رحل وإن هما  
 فظللت لدى البيت العتيق أخيله  
 لعمرك ما أدرني وإن كنت داريا  
 ونحن أباء الضيم من آل مالك  
 فلابن لا يكنها أو تكنه فإنه  
 إلا رب من تفتشه لك ناصح  
 حشا قريشا فإن الله فضلهم  
 من يفعل الحسنات الله يشكرها  
 ولو أنا على حجر ذبحنا  
 من أجلك يالتي تيمت قلبي  
 عرفنا جعفرا وبني أبيه  
 أنا ابن جلا وطلاع الثنابا  
 تخذت غرزاً إثرهم دليلاً  
 حيثما تستقم يقدر لك الله  
 حالت وحيل بها وغير أيها  
 غير مأسوف على زمان  
 أيها السائل عنهم وعنني  
 جاد بالعين حين أعمى هواه  
 أخي حسبتك إيه وقد ملئت

## باب الهاء

### فصل الهاء المفتوحة

- فرجته بالمعكر مني والدها 282/47  
 قد بلغا في المجد غایتها 317  
 حكيم بن المسیب منتهها 332/331  
 من الشعالي ولحم من أرانيها 281/162

يابا المغيرة رب أمر معضل  
 إن أباها وأبا أباها  
 فمارجعت بخائبة ركاب  
 لها أشارير من لحم تتمرة

## باب الواو

### فصل الواو المكسورة

- وكم موطن لولي طحت كما هوى  
فليت كفافا كان خيرك كله  
192 تبدل خليلا بي كشكلاك شكله
- بأجرامه من قلة النيق منهوى  
وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى  
فإن خليلًا صالحًا بك مقتوى  
192 47

## باب الياء

### فصل الياء المفتوحة

- ولو كان عبد الله مولى مواليا  
والخيل قد تجشم أربابها الـ  
وقولك للشيء الذي لا تناله  
وقائلة خولان فانكح فتاتتهم  
بدالي أني لست مدرك ما مضى  
مررت على وادي السباع ولا أرى  
يطوف بي عكب في معدـ  
إذا ما المرء صم فلم يكلـ  
فلو كنت ورداً لونه لعسقنيـ  
فإنك إذما تأت ما أنت آمرـ
- ولكن عبد الله مولى مواليا  
شق وقد تقتـ حم الداوـ يـ  
إذا ما هو احـ طـ ولـ يـ أـ لـ لـ يـ ذـ الـ يـ  
وأـ كـ رـ وـ مـ ةـ الحـ بـ يـ خـ لـ وـ كـ مـ هـ يـ  
340/72 ولا سـ اـ بـ قـ شـ يـ إـ زـ اـ كـ اـ جـ اـ يـ  
كـ وـ اـ دـ يـ السـ بـ اـ عـ حـ يـ يـ ظـ لـ وـ اـ دـ يـ  
57 وـ يـ طـ عـ بـ الـ صـ لـ يـ فـ يـ قـ فـ يـ  
162 وأـ عـ يـ اـ سـ مـ عـ إـ لـ نـ دـ يـ  
285 ولكن ربـي سـانـنـي بـسـوـادـيـا  
484 به تـلـفـ منـ إـيـاهـ تـامـرـ آـتـيـا

### فصل الياء المضمة

- أطربـاـ وـأـنـتـ قـنـسـ رـيـ  
والـدـهـرـ بـالـإـنـسـانـ دـوـارـيـ

### فصل الياء المكسورة

- وـكـمـ مـاجـدـ فـيـهـمـ كـرـيمـ وـمـنـ لـيـثـ يـعـزـرـ فـيـ النـديـ

## باب الألف المقصورة

- شـكاـ إـلـيـ جـمـلـيـ طـولـ السـرـىـ  
صـبـراـ جـمـيـلاـ فـكـلـاـنـاـ مـبـتـلـىـ



# **فهرس الأئمَّة**

## **حُرْفُ الْهِمْزَةِ**

أبان بن عبد الحميد اللاحقي .....	127
اباه بن محمد عالي بن نعمة .....	538
الأبنى الحشني (أبو الحسن) .....	294 . 293 . 267
إبراهيم بن عبد الله رفيدة .....	578
إبراهيم بن عثمان بن الوزان القيروانى .....	583
إبراهيم بن محمد بن أبي عباد .....	583
إبراهيم مصطفى .....	568 . 567 . 21
إبراهيم بن هرمة .....	2 . 28
إبلومفيلد .....	21
ابن آجروم .....	566 . 442 . (381-379) 223
ابن أبي الربيع .....	220 . 168 . 167 . 166 . 127
.....	237 . 236 . 235 . 234 . 233
.....	295 . 294 . 293 . 239 . 238
.....	. (309-301) . 30 . 299 . 298
.....	566 . 379
ابن أبي زيد .....	466 . 442
ابن أبي العافية بن الأخضر .....	342
ابن أبي عروبة .....	94
ابن أبي هارون .....	301
ابن الأثير .....	581 . 194
ابن أحتمدام (سيدي عبد الله) .....	456
ابن أحمد يوره (أحمد) .....	570
ابن الأعمش (الطالب محمد) .....	(450-449) . 440

. 472 . 471 . 453 . 359 .....	ابن الأمين (أحمد) .....
	(528-525)
. 63 . 38 . 36 . 34 . 33 . 24 .....	ابن الأنباري .....
. 179 . 173 . 149 . 1001 . 69	
. 320 . 216 . (215-205)	
. 372 . 370 . 369 . 366 . 356	
	545
440 . 439 .....	ابن أنبوجه (محمد بن محمد الصغير) .....
440 . 439 .....	ابن أنبوجه (سيدي عبد الله) .....
566 . 166 .....	ابن بابشاذ النحوي .....
299 . 166 . 187 . 166 .....	ابن الباذش (علي بن أحمد بن خلف) .....
414 .....	ابن برهان .....
466 . 42 . 289 . 266 . 265 . 25 .....	ابن بري .....
372 . 219 .....	ابن بسام .....
294 .....	ابن بشكوال .....
. 438 . 426 . 425 . 424 . 423 .....	ابن بونا .....
. 451 . 448 . 447 . 443 . 442	
478 . 477 . 470 . (466-452)	
. 506 . 501 . 499 . 480 . 479 .....	
. 538 . 536 . 528 . 521 . 510	
	566
. 525 . 472 . 451 . 127 . 96 .....	ابن التلاميد : محمد محمود .....
	526
94 .....	ابن جرير .....
50 . 38 . 36 . 31 . 24 . 21 . 20 .....	ابن جني (أبو الفتح، عثمان) .....
. 149 . 126 . 57 . 54 . 51 .....	
. 188 . 187 . 186 . 173 . 156	
206 . (205-193) . 192 . 189	
. 263 . 261 . 234 . 233 . 225 .....	
. 367 . 365 . 343 . 314 . 274	
557 . 548 . 414 . 380 . 368	

ابن حاتم	366
ابن الحاج التجيبي	302. 283. 287. 273. 256
	400. (321). 320
ابن الحاج حماه الله (عبد الله)	(469. 466). 456. 440
ابن الحاجب	. 421. 414. 387(323-322)
	526
ابن حبنا : المغيرة	160
ابن حجر	398
ابن حزم	350. 259. 219. 28
ابن خالويه (الحسين بن أحمد، أبو عبد الله)	. 363. 186. 153. 144. 143
	526
ابن الخباز (أحمد بن الحسن)	267
ابن الخشاب	412
ابن خروف	. 257. 254. 253. 233. 166
	379. 376. 366
ابن خلكان	266
ابن الخطاط	186. 185. 173. 146
ابن درستويه	566
ابن دريد	284. 185. 180. 174. 79
ابن الدمامي	369. (356-352). 329. 313
	. 412. 411. 409. 408. 374.
	. 456. 454. 451. 450. 438
	. 478. 477. 473. 465. 464
	508. 480. 479
ابن الدهان العكيري	199
ابن رازگه	472. 453. 389
ابن رشد	442. 400. 302
ابن الرقاع	308
ابن الرماك (علي بن عبد الصمد)	289
ابن الرماد	257
ابن زاغو	387

- ابن الزبير ..... 333. 326. 294. 292. 267  
 ابن زكري (أبو العباس، أحمد) ..... 392. 391. 390. 389. 387  
 421. 420. (414-413). 394  
 ابن زكري، (أبو عبيد الله محمد) ..... 388  
 ابن الزيات (أبو الحاج التادلي) ..... 265  
 ابن السبكي ..... 373. 359  
 ابن السراج (أبو بكر) ..... 141. 130. 36. 24. 21. 20  
 172. 171. (165-156). 149  
 . 190. 184. 181. 180. 175.  
 . 269. 232. 206. 204. 194  
 . 434. 369. 365. 289. 270  
     579  
 ابن سراقة ..... 363  
 ابن سعيد ..... 292  
 ابن سعيد المدلبي ..... 273  
 ابن السكikt (يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف) ..... 507. 125. 21  
 ابن سلام الجمحى ..... 66. 50. 46  
 ابن سنان الخفاجي ..... 194  
 ابن السيد البطليوسى ..... 242. 241. (240). 167  
     579. 243  
 ابن سيدة ..... 225. 221. 194. 167. 25  
 ابن السيرافي (يوسف بن أبي سعيد)  
     ابن سينا ..... 400. 265  
     ابن الشاذكتونى ..... 105. 302  
     ابن الشاط ..... 302  
 ابن الشجري (أبو السعادات) ..... 216. 205. 199. 47. 20  
     367. 365  
         ابن شعبان المصري ..... 361  
         ابن شقيق (أبو بكر) ..... 215. 173  
         ابن شهاب الزهرى (محمد) ..... 30  
         ابن الصائغ ..... 367. 166

ابن الصلاح	373
ابن صياد	375
ابن الصنائع	.293 .287 .273 .246 .233 326 .305 .294
ابن طاهر المقدسي	498
ابن الطراوة	.(239-232) .221 .168 .21
ابن الطيب الشرقي	.388 .305 .294 .247 .246 566 .463 .375 .366
ابن عامر	420 .(416-413) .368 189
ابن عباس : عبد الله	376 .143 .46
ابن عبد البر	442
ابن عبد ربه	219 .129
ابن عبد الملك المراكشي	292
ابن عبده الفاضلي	(496-494) .471
ابن عرفة	.....
ابن العريف : الحسين	166 .26
ابن عساكر	289
ابن عصفور	.267 .166 .48 .20
ابن عقيل	343 .294 .293 .(287-273) 512 .498 .375.
ابن العلچ (أبو عبد الله)	352 .(347-343) .336 .319
ابن غازى	.477 .456 .451 .508 .356. 479
ابن غانم (أحمد بن محمد)	293
ابن فهد	417 .416 .404 .(403-397)
ابن قادم	421 .420 .419 .418. 404 .398
ابن قتيبة	371 366 320 .308 .240

ابن قدامة	.....	313
ابن قيس الرقيات	.....	514.159.152
ابن كثير	.....	
ابن الكلبي	.....	105
ابن كيسان	.....	.216.173.172.146.24
	393.274	
ابن لب	.....	447.365
ابن اللبان (شمس الدين)	.....	346
ابن مالك	.....	35.32.30.29.25.21.20
	118.102.92.89.77.52.	
	.223.221 ...2109.199.	
	.269.268.267.266.246	
	.289.286.285.274.270	
	.312.311.309.290	
	327.326.321.(320-313)	
	.332.331.330.329.328.	
	340.339.3337.336.333	
	.353.346.344.343.342.	
	.360.358.357.356.354	
	.376.375.374.366.361	
	.391.387.382.379.377	
	.446.444.441.439.438	
	.459.457.456.450.448	
	.490.483.480.478.466	
	.509.508.506.503.501	
	.525.522.519.516.510	
	.566.533.532.527.526	
	578.573	
ابن مجاهد	.....	174.53.51
ابن المرحل : مالك	.....	.307.302.294.147.36

ابن مرزوق، الحفيظ .....	416 . 398 . 387 . 383
..... 387 .....	..... 387 .....
ابن مرزوق، الكفيف .....	..... 387 .....
ابن مضاء .....	249 . 227 . 220 . 31 . 28 . 25
..... (263-257) . 251 . 250 .	..... 567 . 311
..... 267 . 265 . 166 .....	..... 267 . 265 . 166 .....
..... 311 . 294 . (0293-289)	..... 311 . 294 . (0293-289)
..... 425 . 376 . 366	..... 425 . 376 . 366
..... 139 .....	..... 139 .....
..... 281 .....	..... 281 .....
ابن مكتوم .....	365 . (354-352) 293 . 69
..... 367	..... 367
ابن الملحق المغربي .....	352 .....
ابن ملكون .....	290 .....
ابن المنير (ناصر الدين) .....	321 . 320 . 287
ابن ناظر الجيش .....	331 . 329 . 319
ابن النحاس .....	304 . 288 . 273 . 233 . 96
..... 367 . 366 . 343 . 313 . 312	..... 367 . 366 . 343 . 313 . 312
ابن النديم .....	45 .....
ابن الهاشمي الغلاوي (محمد بن أبي بكر) .....	..... 219 .....
ابن هانئ .....	..... 336 . 330 . 329 . 319
ابن هشام الانصاري .....	357 . 350 . 346 . (343-338)
..... 391 . 388 . 374 . 370 . 367 .	..... 391 . 388 . 374 . 370 . 367 .
..... 415 . 414 . 410 . 409 . 398	..... 415 . 414 . 410 . 409 . 398
..... 440 . 438 . 429 . 425 . 417	..... 440 . 438 . 429 . 425 . 417
..... 506 . 480 . 477 . 465 . 450	..... 506 . 480 . 477 . 465 . 450
..... 527 . 508	..... 527 . 508
ابن هشام اللخمي .....	526 .....
ابن هشام (صاحب السيرة) .....	265 .....
ابن ولاد .....	367 . 366 . 136 . 134

ابن يعيش .....	583 . 311 . 210
ابن يللبخت .....	293 .....
أبو إسحاق التادلي .....	(422-420) .....
أبو إسحاق الشاطبي .....	321 .....
أبو إسحاق الغافقي .....	302 .....
أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمرو .....	48 . 47 . 46 . 45 . 44 . 43 . 19 .....
	. 97 . 80 . 74 . 52 . 50 . 49 .
	375 . 282 . 160 . 98
أبو البركات بن الحاج البلفيقي .....	341 .....
أبو بكر بن أبي الأزهر .....	141 .....
أبو بكر (عاصم بن أيرب) .....	240 .....
أبو بكر بن احباب .....	507 . 473 .....
أبو بكر بن الطفيلي المسلمي .....	440 .....
أبو بكر بن العربي .....	396 . 302 .....
أبو تمام .....	581 .....
أبو جعفر بن رستم .....	44 .....
أبو جعفر الرؤاسي : محمد بن أبي سارة .....	104 . 103 . 100 .....
أبو جعفر بن خاتمة .....	.....
أبو جعفر بن صابر .....	366 .....
أبو جعفر اللبلبي .....	203 .....
أبو حاتم السجستانى .....	286 . 121 .....
أبو حاتم القزويني .....	363 . 341 . 105 .....
أبو حامد العربي بن الشيخ أبي المعاسن الفاسي .....	404 .....
أبو الحسن الأنطاكي .....	302 .....
أبو الحسن الرياحي .....	273 .....
أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي .....	156 . 44 .....
أبو حفص الأنصاري .....	433 .....
أبو حنيفة .....	179 .....
أبو حنيفة الدينوري .....	130 .....

. 210. 94. 25. 22. 21. 20 .....	أبو حيان : أثير الدين
. 293. 286. 285. 275. 273 .....	
. 313. 308. 305. 302. 294 .....	
341. (338-328). 326. 319 .....	
. 357. 356. 352. 349. 346. ....	
. 399. 397. 369. 367. 366 .....	
. 412. 411. 410. 409. 408 .....	
. 498. 420. 418. 416. 414 .....	
578. 577. 560. 519. 502 .....	
174 .....	أبو حيان التوحيدى
202 .....	أبو حية النميري
421 .....	أبو داود
94 .....	أبو الدرداء
97 .....	أبو الرئيس الشعبي
52 .....	أبو الزناد : عبد الله بن ذكوان
305. 223. 123. 68. 67 .....	أبو زيد الأنصاري (سعید راوسر)
300 .....	أبو سفيان
150 .....	أبو سليمان الوزير
193 .....	أبو صالح (السلیل بن أحمد)
311 .....	أبو صادق بن صباح
265 .....	أبو الطاهر (ظافر بن عبد الله الصقلی)
81. 73. 63. 44 .....	أبو الطیب اللغوی
193 .....	أبو عبد الله العقیلی
317. 311 .....	أبو عبد الله بن مالک المبرتلي
274. 143. 58. ....	أبو عبید (القاسم بن سلام)
. 123. 121. 110. 68. 58 .....	أبو عبیدة : معمر بن المثنى
246. 151. 150. 139 .....	
293 .....	أبو عبید الله بن عبد الفضل
481. 240. 192. 166 .....	أبو العلاء المعري
140 .....	أبو علي الدينوري

أبو علي القالي .....	308 . 240 . 20
أبو عمر الشيباني .....	376
أبو عمرو بن العلاء : زيان .....	59 . 58 . 57 . 56 . 55 . 49 . 23 . . 67 . 66 . 65 . 64 . 62 . 60 . . 100 . 98 . 80 . 74 . 73 . 69
	528 . 104
أبو الغطريف الهراد .....	97
أبو الفتوح العبدري .....	301
أبو الفرج الأصفهاني .....	356 . 308 . 174 . 44
أبو القاسم الشريف .....	403
أبو المطروق .....	107
أبو مقسم .....	193
أبو منصور الجواليقي .....	205
أبو منصور الرزار .....	205
أبو منصور ظافر .....	265
أبو موسى الحامض .....	162
أبو موسى الهاوري .....	223
أبو نزار - ملك النحاة .....	367
أبو نعيم الأصفهاني .....	404
أبو نواس .....	581
أبو هانئ .....	397
أبو يوسف .....	508 . 367 . 348 . 192 . 106 . 524
أبي بن حيمود .....	321 . 320
الأبياري (أبو منصور) .....	472
اجدودين اكتوشن .....	(531) 472
أحمد بن احمد .....	531
أحمد بن أمين .....	415
أحمد البكوري .....	(420-416) . 397 . 321 . 320
أحمد بن الحاج .....	426 .
أحمد بن حنبل .....	139

أحمد سالم بن الإمام الحاجي الوداني .....	471
أحمد الشاذلي .....	413
أحمد بن عبد الرحمن الخولاني .....	583
أحمد بن عبد السلام .....	140
أحمد بن العربي بن الحاج (أبو العباس) .....	141
أحمد بن فارس .....	141
أحمد بن كداه .....	525
أحمد الإدريسي .....	414
أحمد المتوكل .....	554
أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج .....	384
أحمد بن محمد بن عبد الجليل .....	471
أحمد بن محمد بن يوسف الدقون .....	380
أحمد بن مع .....	507
أحمد مكي الناصري .....	578
أحمد المنجور .....	404
أحمدو بن البخاري .....	471
أحمدو بن محمذن فال .....	538
الأحوص .....	93
الأخطل .....	448 . 376 . 209 . 162
الأخفش الكبير (أبو الخطاب) .....	78 . (72-69) . 66 . 63 . 27
	85
الأخفش الأوسط .....	. 110 . 81 . 79 . 68 . 23 . 20
	. 136 . 135 . 134 . (126.115)
	. 169 . 151 . 150 . 147 . 138
	. 196 . 184 . 183 . 181 . 171
	. 300 . 280 . 263 . 201 . 200
	. 357 . 342 . 338 . 311 . 302
	. 514 . 476 . 376 . 369 . 367
	532 . 578 . 568
الأخفش الصغير .....	342 . 140 . 131 . 44
إدريس الأول .....	20

إدريس المجرة .....	384
أرييندروف .....	583
أرسطو .....	580 . 556
الاسترابادي (رضي الدين) .....	583 . 526 . 321
إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة .....	30
أسماء بنت أبي بكر .....	30
إسماعيل بن أبي بكر .....	583
إسماعيل (القاضي) .....	154
إسماعيل بن هبة الله المليحي .....	326
الأسنوي (جمال الدين) .....	(352-350) . 336 . 319 . 258
الأشموني .....	838 . 426 . (378-375) . 319
	508 . 478 . 451 .
الأشهب بن رميلة .....	97
الأصمسي .....	124 . 123 . 121 . 94 . 73 . 58
	. 280 . 223 . 158 . 143 . 139 .
	367 . 305
الأصيلي .....	246
الأعرج : عبد الرحمن بن هرمز .....	57 . 55 . 54 . 53 . 52 . 45 . 30
أعصر بن سعد بن قيس عيلان .....	162
الأغشى .....	406 . 161 . 160 . 69 . 67 . 60
الأعلم الشنتمري .....	. 127 . 120 . 96 . 81 . 25 . 20
	(232-227) . 225 . 221 . 167
	579 . 526 . 295 . 294 . 261 .
الأعمش .....	58
الأعور الكلبي .....	97
افلوجل .....	583
الإفليلي (محمد بن إبراهيم) .....	227 . 25
الأقشتين (محمد بن موسى) .....	224
أم حبيبة بنت أبي سفيان .....	451 . 308
الإمام بن مانا .....	454

190. 143. 141. 99. 92. 59 .....	امروء القيس .....
. 431. 385. 367. 272. 255.	
528. 517	
70 .....	أميمة بن أبي الصلت .....
583 .....	أميرة علي توفيق .....
21 .....	أمين الخلوي .....
109 .....	الأمين بن الرشيد .....
499. 495 .....	الأمين بن سيدى بن محمد .....
456 .....	الأمين بن سيد أحمد .....
472 .....	الأمين بن الغزالى .....
453. (452-450). 449. 424 .....	انجستان : المختار بن الأمين الحبلي .....
508. 473.	
438 .....	اند عبد الله بن أحمد المحجوبى .....
266 .....	الإيلي (مجد الدين) .....

### حروف الباء

483. 470 .....	بابه بن أحمد بيه .....
581. 140 .....	البحترى .....
352. 247. 246 .....	البخاري. (الإمام) .....
466 .....	البخاري بن مولود .....
532 .....	بداه بن البرصيري .....
579. 416. 414. 377 .....	بدر الدين بن محمد بن مالك .....
(499-498) 495 .....	البراء بن بگ .....
583 .....	بروان .....
438 .....	البرتلي (الطالب محمد بن الطالب أبو بكر الصديق) ...
97 .....	البرج بن مسهر .....
584 .....	برددود .....
584 .....	بركشتراسر .....
584 .....	بروكلمان .....
412 .....	البعلي (شمس الدين) .....
579 .....	البغدادي (الخطيب) .....

البغل (مفرج بن مالك) .....	223
بلال بن أبي بردة .....	59 . 56
بُلال الشقروري .....	. 516 . 507 . 494 . 457 . 437
	533
البلقيني (سراج الدين) .....	341
البلقيني (بدر الدين) .....	341
البلقيني (علم الدين) .....	355
البلوطي (منذر بن سعيد) .....	219
البليدي .....	378
بهاء الدولة .....	159
البيهقي .....	372

### حرف التاء

التريري (أبو الحسن، علي بن إبراهيم) .....	233 . 199
تركي بن سهو العتيبي .....	294 . 267
التستري (مجد الدين) .....	346
شومسكي .....	. 551 . 550 . 549 . 21
التفازاني .....	427
تقي الدين الشبلبي .....	355
قان حسان .....	556 . 21
التنوخي (أبو إسحاق) .....	398
التنوخي (أبو الحسن) .....	404
تيدورنولدكه .....	584
التسوزي .....	366 . 286 . 125

### حرف الثاء

ثابت بن خيار الكلاعي .....	332 . 327 . 311
الشعاليبي .....	194
ثعلب (أحمد بن يحيى) .....	. 130 . 100 . 36 . 29 . 24 . 20
	153 . 152 . (148-139) . 131
	. 275 . 185 . 175 . 164 . 156 .
	583 . 578

## حرف الجيم

- الباحث ..... 259 . 204 . 125 . 109  
 جامع العلوم ..... 199 .....  
 الجذامي (أبو عثمان) ..... 267 .....  
 جذية الأبرش ..... 160 .....  
 البراري (عبد الله) ..... 422 . 421 .....  
 الجرجاني : عبد القاهر ..... 566 . 414 . 187 . 21 .....  
 الجرمي : أبو عمرو ، صالح ..... 121 . 116 . 96 . 80 . 45 . 44 .....  
 133 . 131 . 129 . (127-123)  
 . 200 . 184 . 181 . 175 . 134 .  
 579 . 363 . 284 . 263 . 201  
 . 159 . 102 . 99 . 97 . 86 . 52 .....  
 جرير ..... 343 . 255 . 240 . 191  
 الجزولي (أبو موسى) ..... 221 . 195 . 25 . 20 .....  
 311 . 294 . 289 . (272-265)  
 . 503 . 427 . 379 . 314 . 313 .  
 580 .....  
 420 .....  
 جودي بن عثمان ..... 223 .....  
 الجوطي (محمد عبد العزيز الطاهري الحسني) ..... 394 .....  
 الجوهرى (إسماعيل بن حماد) ..... 290 . 265 . 174 .....  
 الجوبيني (أبو محمد) ..... 363 .....

## حرف الحاء

- الجاج بن فحف ..... 536 . 456 .....  
 الحارث بن خالد المخزومي ..... 125 .....  
 الحارث بن ظالم ..... 70 .....  
 الحارث بن محنض الشقروري ..... 502 . 472 .....  
 حازم القرطاجني ..... 274 .....  
 حبيب بن الأمين الشقروري ..... 472 .....  
 حبيب بن الزائد ..... 521 .....

الحبيب بن محمد الحاج	456 .....
الحجاج بن يوسف	50. 49 .....
حجي (محمد)	404. 305. 302 .....
حرمة بن عبد الجليل	. 456. 455. 454. 453. 437 .....
	483. (471-470)
الخرنف الشطائي	97 .....
الحريري	536. 380 .....
حسان بن ثابت	343. 339. 209. 209 .....
الحسن بن أبي	532. 524 .....
الحسن بن أحمد محمود	523 .....
الحسن البصري	153. 151. 57. 49 .....
حسن جلاب	408. 407 .....
الحسن بن زين	532. 522. 521. (520-516) .....
الحسن بن علي بن أبي طالب	45 .....
الحسين بن علي بن أبي طالب	45 .....
الحضرمي	402 .....
الحكم المستنصر	404. 220 .....
الخلبي (نور الدين)	412 .....
الخلواني	177 .....
حماد بن سلمة	578. 94. 66. 65 .....
حماس بن قيس	244 .....
حمدون بن الحاج	418 .....
حمزة بن حبيب الزيات	376. 326. 189. 117. 77 .....
حميد الأعرج	147 .....
حميد الأرقط	90 .....
حميد بن ثور	97. 46 .....
الخiderة	583 .....
حيي بن أخطب	110 .....

## حرف الغاء

- . 450 . 421 . 414 . 380 . 374 ..... خالد الأزهري  
                   477 . 456  
                     379 ..... الخدب : أبو الحسن - علي بن محمد  
                     332 . 326 ..... خديجة الحديشي  
                     453 ..... خديجة بنت العاقل  
                     402 . 400 ..... الخسر وشاھي  
                     326 ..... الخشني  
                     160 ..... خفاف بن ندبة  
                     97 ..... خلف الأحمر  
 44 . 37 . 35 . 27 . 23 . 21 . 19 ..... الخليل بن أحمد  
 . 65 . 64 . 63 . 51 . 45 .  
 . 92 . 86 . 85 . 80 . (79-72)  
 . 115 . 109 . 108 . 100 . 98  
 . 156 . 137 . 124 . 119 . 117  
 . 232 . 231 . 194 . 184 . 171  
 . 339 . 334 . 278 . 259 . 258  
 . 530 . 513 . 476 . 423 . 343  
                     548  
 535 . 442 ..... خليل بن إسحاق

## حرف الدال

- 126 . 32 ..... داماذا (أبو غسان)  
 302 . 301 ..... الدجاج (أبو الحسن)  
                     580 ..... الدجني (عبد الفتاح)  
                     403 ..... الدرعي (محمد بن ناصر)  
 512 . 427 . 421 ..... الدسوقي  
 413 . 404 . 390 ..... الدلاني (أبو عبد الله محمد بن أحمد المنساوي)  
                     404 ..... الدلاني (محمد بن أبي بكر)  
 (413-403) . 384 . 352 . 313 ..... الدلاني (محمد المرابط)  
                     507 . 420.

الدمنهوري (السراج) .....	346
الدوري .....	59
دوسر القربي .....	376
دي سوسا .....	584
ديكارت .....	550
ديسوسيير (فرديناند) .....	558 . 547 . 546 . 21
الديي (محمد بن عثمان) .....	398

### حرف الراء

ذو الرمة .....	230 . 161 . 158 . 59 . 51
حوف الراء .....	231
الراجحي (عبدة) .....	555 . 548 . 21
الرازي : الفخر .....	322 . 21
الراعي .....	419 . 395 . 367
الرافعي (الفقيه) .....	350
رؤبة بن العجاج .....	163 . 66
الرياحي (محمد بن علي) .....	225 . (224) . 221
الريع بن ضبع .....	167
الرشيد (هارون بن محمد) .....	109 . 106
الرماني .....	181 . 180 . 149 . 82 . 24
.	186 . 185 . 184 . 183 . 182
	580 . 545 . 375 . 314
رمضان عبد التواب .....	583
الروdanî (الشريف) .....	431 . 430 . 429
الرياشي (العباس بن الفرج) .....	169 . 125 . 105
ريكندروف .....	584

### حرف الزاي

الزاھي .....	398
الزيادي (أبو محمد عبد المجيد) .....	391 . 389
الزیدی (أبوبکر) .....	241 . 221 . 49 . 28 . 25 . 21
	570 . 565 . 308 . 246.

الزبيدي (المتضى) .....	414
الزجاج : أبو إسحاق .....	138 . 130 . 124 . 91 . 25 . 24
.	149 . 143 . 140 .
181 . 175 . 173 . (156-150)	
. 302 . 231 . 229 . 228 . 184 .	
. 535 . 476 . 463 . 376 . 336	
	578 . 567
الزجاجي : أبو القاس .....	146 . 38 . 37 . 36 . 21 . 20 م
.	164 . 156 . 149 .
199 . 187 . 186 . (173-165)	
. 266 . 265 . 239 . 233 . 206 .	
. 306 . 304 . 294 . 289 . 269	
. 380 . 367 . 320 . 313 . 311	
	566 . 565 . 564 . 526
الزركشي .....	374 . 367 . 365 . 363
الزمخشري .....	. 419 . 380 . 352 . 265 . 81
	584 . 583 . 566 . 512
زهير بن أبي سلمى .....	169 . 160 . 104 . 72
زهير عبد المنعم سلطان .....	228
زياد بن أبيه .....	52 . 46 .
الزيادي : إبراهيم بن عبد الرحمن .....	201 . 200 . 125 .
زين بن أجمد .....	531 . 412
زين بن الأمين اليدالي .....	472

## حرف السين

سابير (أدوارد) .....	21
السبكي (تقي الدين) .....	367
السبكي (بها الدين) .....	389
سحيم - عبد بنى الحسحاس .....	285
سحيم بن وثيل اليربوعي .....	88
السخاوي (علم الدين) .....	446 . 398 . 373

السدي (محمد بن مروان) .....	153 . 60
السراج .....	45
سرقة الهدلي .....	282
السري الرفاء .....	180
سعيد الأفغاني .....	368 . 207 . 206
سعيد بن حسان .....	223
سعيد بن فرحي .....	380
سعيد بن المسيب .....	307
سفيان الثوري .....	94
سفيان بن عيينة .....	105 . 94
سقراط .....	33
السكري .....	177
سلمة بن عاصم .....	139
سليمان بن أرقم .....	105
سماعة النعmani .....	97
السهيلي .....	236 . 233 . 221 . 220 . 25
سيبوه .....	285 . 294 . 292 . (256-244)
	314 . 311 . 297 .
سيبوه .....	26 . 25 . 24 . 23 . 21 . 20 . 19
	. 44 . 43 . 36 . 29 . 28 . 27 .
	70 . 69 . 68 . 64 . 63 . 51 . 47
	. 79 . 78 . 73 . 72 . 71 .
	. 103 . 102 . 100 . (99-80)
	. 120 . 117 . 116 . 115 . 109
	. 127 . 126 . 125 . 124 . 121
	. 137 . 136 . 135 . 134 . 133
	. 146 . 145 . 144 . 143 . 138
	. 154 . 153 . 152 . 150 . 150
	. 165 . 164 . 161 . 157 . 156
	. 176 . 175 . 171 . 168 . 167
	182 . 181 . 180 . 178 . 177

. 200 . 195 . 190 . 184 . 183 .	
. 225 . 224 . 221 . 220 . 201	
. 232 . 231 . 230 . 229 . 228	
. 261 . 257 . 242 . 237 . 233	
. 279 . 277 . 274 . 270 . 268	
. 291 . 289 . 287 . 286 . 284	
. 313 . 311 . 306 . 302 . 294	
. 338 . 334 . 331 . 327 . 314	
. 375 . 344 . 343 . 342 . 339	
. 416 . 414 . 410 . 385 . 382	
. 464 . 463 . 462 . 445 . 442	
. 501 . 491 . 478 . 476 . 465	
. 530 . 526 . 510 . 506 . 503	
. 579 . 578 . 577 . 565 . 548	
	584 . 583
	522 .....
	495 .....
495 . 456 .....	سيدي بن زين .....
456 . 424 .....	سيدي بن محمد .....
466 . 456 .....	سيدي بن محمد الحبيب .....
438 .....	سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم .....
439 .....	سيدي عبد الله بن الفاضل .....
440 . 429 . 425 . 424 .....	سيدي عثمان بن أعمر الولاتي .....
149 . 129 . 82 . 81 . 24 .....	سيدي عيسى بن حماد الجعفري .....
242 . 186 . 185 . (180-173)	سيدي محمد الأغطف المخوضي .....
	السيوطى (أبو سعيد) .....
	545 . 344 . 269 .
. 104 . 69 . 50 . 36 . 34 . 33 .....	السيوطى .....
. 266 . 256 . 205 . 179 . 116	
. 375 . 357 . 321 . 320 . 305	
. 414 . 394 . 392 . 391 . 390	
. 449 . 445 . 421 . 420 . 415	

. 512 . 502 . 490 . 489 . 450  
. 579 . 545 . 528 . 527 . 526  
580

## حُرْفُ الشِّينِ

- شاد ..... 584  
الشار مساحي ..... 355  
الشاطبي (أبو إسحاق) ..... 403 . 402 . 399 . 397 . 369  
الشافعى ..... 440 . 321 . 197 . 108 . 20  
شجاع بن أبي نصر ..... 58  
الشريشي (أحمد بن محمد) ..... 267  
الشريف الرضي ..... 188  
شعban عبد الوهاب ..... 269 . 266  
شعبة المازني ..... 97  
الشعراني ..... 566  
الشفيع بن المعوبى ..... 440  
شقيق الباهلى ..... 97  
الشلبي ..... 355 . 21  
الشلوين ..... 266 . 238 . 236 . 234 . 220  
. 273 . 269 . 268 . 267  
. 311 . 308 . 306 (301-293)  
566 . 396 . 395 . 327  
الشلوين الصغير ..... 273 . 267  
الشماخ بن ضرار ..... 97  
الشمني (نقى الدين) ..... 374  
شوقي ضيف ..... 109 . 103 . 102 . 73 . 26 . 21  
. 257 . 188 . 178 . 173 . 116.  
. 357 . 295 . 263 . 262 . 258  
(572-566) . 563 . 374 . 359

الشوملي (علي بن موسى) .....	289
الشيباني (محمد بن الحسن) .....	107
الشيخ محمد بن حبت .....	(505-501)
الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكنتى ...	483
الشيخ سيدى المختار الكنتى .....	483
الشيخ سيديا الكبير .....	. 480 . 470 . 439 . 381
	(488-483)

الشيخ ما، العينين .....	516
الشيخ المحفوظ بن بيه .....	536
الشيخ محمد المامي .....	(500-499) . 453 . 440
الشيخ محمد بن أحمد يد .....	472
الشيخ محمد بن حنبل .....	472

### حرف الصاد

الصاحب بن عباد .....	219
الصبان .....	. 517 . 508 . 502 . 378 . 377
	518
صخر بن حبنا .....	142
الصفار .....	294 . 293
الصفاقسي (أبو إسحاق برهان الدين) .....	
الصفدي .....	389 . 326
الصوري (محمد بن يحيى) .....	140
الصيرفي (أبو بكر) .....	363
الصيرمي : أبو محمد بن عمر .....	174

### حرف الطاء

الطالب الأمين بن الطالب لبيب الحرشي .....	440
طه عبد الرحمن .....	550
الطراابلسي (محمد الهادي) .....	578
الطراح عبد الواحد .....	370
طرفة بن العبد .....	477 . 162
الطوال (أبو عبد الله) .....	343

## حرف العين

341 .....	عالي الزين الكتاني .....
326 .....	عاصم .....
376 .....	العباس بن مرداس .....
121.116 .....	عبد الأمير الورد .....
440. (435-422) .....	عبد الحفيظ (مولاي) .....
20 .....	عبد الخالق عضيمة .....
240 .....	عبد الدائم بن خير القبرواني .....
20 .....	عبد الرحمن الأموي .....
580 .....	عبد الرحمن الحاج صالح .....
398 .....	عبد الرحمن بن علي سقين .....
501 .....	عبد الرحمن بن متال .....
220 .....	عبد الرحمن الناصر .....
578 .....	عبد الستار الجواري .....
471 .....	عبد السلام بن أبه .....
96.20 .....	عبد السلام محمد هارون .....
583.578 .....	عبد السلام المسدي .....
141 .....	عبد الصمد بن العذل .....
56.53.50.46 .....	عبد العال سالم مكرم .....
379 .....	عبد العزيز بن عبد الله .....
361 .....	عبد العزيز اللمعطي .....
370 .....	عبد القادر البغدادي .....
(553-551) .....	عبد القادر الفاسي الفهري .....
507 .....	عبد القادر بن محمد بن محمد سالم .....
548.99.21 .....	عبد القادر المهيري .....
. 565. 564. 563. 28. 21 .....	عبد الكريم خليفة: .....
566	
480.440 .....	عبد الله التمكلاوي .....
. 49. 44. 43. 37. 35. 19 .....	عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي .....
66. 65. 62. 61. 57. 56. 55	
. 98. 85. 80. 79. 76. 69.	
193. 109. 100	

عبد الله بن بيه	536
عبد الله بن جعفر	308
عبد الله بن خيار	521
عبد الله بن دينار	30
عبد الله بن سيدى محمود	456
عبد الله بن عمر	50
عبد الله بن عمر القواريري	139
عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى البوحسني	449
عبد الله بن محمودا البنعمرى	445
عبد الله بن مسعود	111
عبد الله بن المعتز	140
عبد المالك بن عمر العلوى	456
عبد الملك بن مروان	308
عبد المنعم فائز	178
عبد الرودود بن عبد الله	(479-473) . 471 . 458 . 447
532 . 516 . 507 . 495.	
عثمان بن مظعون	374
العجاج	280 . 188 . 161 . 97
العيجر السلولى	161
عدي بن زيد	58
العرaci	423 . 421
العراتي (محمد بن إدريس)	413
العرجي	253
عروة بن الزبير	49
عروة بن الورد	528
العزفي (أبو العباس)	302
العزفي (أبو عبد الله)	302
العزفي (أبو طالب)	302
عاصد الدولة	187
العقباني (قاسم بن سعيد)	387
العكبرى	199

عكرمة	57
عال الفاسي	259 . 223
علان	224
علقمة الفحل	261
علي بن أبي طالب : أبو الحسن	. 98 . 46 . 45 . 44 . 43 . 19
	324 . 223 . 180 . 153
علي الأجهوري	360
علي بن محمد بركة التطوانى	384
علي بن محمد بن سمعت (أبو الحسن)	395
علي بن ميمون الشريف الحسني	380
علي النجدي ناصف	84 . 83 . 21
عمر بن أبي ربيعة	407 . 375 . 163
عمر بن بابا بن علي بن اند عبد الله	450 . 440
عمر الجكنى	456
عمر بن الخطاب	374 . 56
عمر بن شاس	97
عمرمم	488 . 450
العمريطي (شرف الدين)	380
عنبرة الفيل	52 . 49 . 44 . 19
عنز بن دجاجة المازني	230
عواد (محمد الحسن)	258
عياض بن موسى	232
عياد الشبتي	305 . 302 . 239
العيashi (أبو سالم)	404 . 23
العيashi (محمد بن أبي بكر)	404
عيسي بن دينار	223
عيسي بن عمر	65 . 64 . 63 . 62 . 60 . 44 . 43
115 . 104 . 80 . 74 . 67 . 66 .	
343 . 182 . 153 . 117 .	
العینی	579 . 526 . 514

## حرف الغين

- الغافقي ..... 267  
 غالى بن المختار فال ..... 456  
 الغندجاني : أبو الأسود .....  
 غيلان بن حرث الربعي ..... 415.98.68

## حرف الفاء

- الفارابي ..... 400.328  
 الفارسي (أبو عل) ..... 149.124.123.21.20  
 (192-185).165.155.154  
 .234.202.201.199.195.  
 .338.314.306.302.278  
 .434.430.380.376.342  
 566.564.518.460  
 الفارعة القيسرية ..... 97  
 الفارقى (سعيد بن سعد) ..... 138  
 الفارقى (أبونصر) ..... 199  
 الفاسى (أبو زيد عبد الرحمن) ..... 404  
 الفاسى (أبو المحاسن يوسف) ..... 403  
 الفاسى (عبد القادر) ..... 404  
 فاضل الشمرانى ..... 583  
 فاطمة بنت المنذر ..... 30  
 فاكسنین ..... 584  
 فتح بن موسى بن حماد ..... 265  
 فحف بن المختار المسمومي ..... 456  
 الفراء ..... 102.101.100.81.68.23  
 123.(115.109).108.103.  
 .150.147.146.145.139.  
 .200.175.154.153.152  
 .261.242.225.223.202  
 .498.337.305.282.274  
 578

99 . 96 . 60 . 59 . 55 . 52 .....	الفرزدق .....
. 243 . 177 . 167 . 163 . 159	
511 . 337	
402 .....	الفرقبي (زهير) .....
519 .....	الفیروزابادی مجد الدین .....

### حرف القاف

القاسم بن محمد بن أبي بكر .....	
395 .....	القالوسي .....
285 . 284 .....	قباوة (فخر الدين) .....
374 .....	قدامة بن مظعون .....
(327-324) . 321 . 320 . 319 .....	القرافي .....
400 .....	
170 .....	القاز (محمد بن جعفر القبراني) .....
421 .....	القسطلاني .....
404 .....	القصار .....
578 . 419 .....	قصارة (علي) .....
376 . 57 .....	قطرب .....
199 . 180 . 63 . 52 . 50 . 44 .....	القططي .....
312 . 293 . 232 .....	
398 .....	القوري (محمد بن قاسم) .....
160 .....	قيس بن عمر النجاشي .....
219 .....	قيس بن معاذ .....

### حرف الكاف

584 .....	كارادفو .....
374 . 355 .....	الكافيجي .....
507 .....	الكبيد بن جب التندغي .....
388 .....	الكتانی (محمد بن جعفر) .....
. 99 . 95 . 68 . 64 . 33 . 23 .....	الكسائي .....
105) . 104 . 103 . 101 . 100	

. 114 . 113 . 112 . (109-	
. 146 . 145 . 144 . 124 . 116	
. 225 . 223 . 175 . 154 . 153	
. 367 . 298 . 263 . 261 . 241	
. 513 . 508 . 498 . 432 . 383	
532 . 515	
110 .....	كعب بن الأشرف
381 . 307 .....	گنون (عبد الله)

### حرف اللام

528 . 484 . 282 . 159 .....	لبيد بن ربيعة
.....	العين المنقري
97 .....	لقطط بن زرارة
94 .....	لقيم بن أوس
79 .....	الليث بن عاصم

### حرف الميم

. 82 . 81 . 44 . 32 . 24 . 20 .....	المازني ( بكير أبو عثمان )
129 . (127-125) . 121 . 116	
. 136 . 135 . 133 . 132 . 131 .	
. 175 . 170 . 169 . 156 . 138	
. 280 . 279 . 274 . 242 . 189	
. 377 . 376 . 366 . 313 . 302	
567 . 557 . 507	
. 184 . 181 . 180 . 175 . 20 .....	مازن المبارك
186	
246 . 223 . 94 . 52 . 30 .....	مالك بن أنس
161 .....	مالك بن خريم
456 . 454 .....	المامون بن محمد الصوفي
63 . 45 . 27 . 26 . 24 . 21 . 20 .....	البرد ( محمد بن يزيد )
. 120 . 101 . 96 . 80 . 79 .	
. 127 . 126 . 125 . 123	
142 . 141 . 140 . (139-129)	

. 151 . 1150 . 144 . 143 .	
. 161 . 158 . 156 . 155 . 154	
. 172 . 168 . 165 . 164 . 163	
184 . 181 . 177 . 1756 . 175	
. 230 . 229 . 228 . 190 . 186 .	
. 283 . 270 . 262 . 242 . 231	
. 410 . 376 . 311 . 298 . 291	
583 . 578 . 501	
175 . 174 .....	ميرمان
580 . 269 . 179 . 175 . 149 .....	متى بن يونس
581 . 431 . 240 . 219 . 194 .....	المتنبي
130 . 129 .....	الموكل
57 . 56 .....	مجاهد
421 .....	المجرادي
52 . 456 . 454 .....	المجيدري
439 .....	محمد بن أب
461 .....	محمد بن أبي طلحة
450 .....	محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي
109 .....	محمد أبو الفضل إبراهيم
273 .....	محمد بن أبي بكر الهنتاتي (الأمير)
252 . 239 . 20 .....	محمد إبراهيم البنا
507 .....	محمد بن أبياه
384 .....	محمد بن أحمد بن جلون
413 .....	محمد بن أحمد الشاذلي
287 .....	محمد بن الأزرق الروادي الشاشي
.....	محمد بن أشفع عبد الله
45 .....	محمد بن إسحاق
453 .....	محمدا بن بو احمد
439 . 388 .....	محمد البوصيري
114 .....	محمد بن جهم السمرى
404 .....	محمد الحاج
369 .....	محمد بن الحسن

502 . 424 .....	محمد بن حبّت
177 .....	محمد بن حبيب
439 .....	محمد حبيب الله بن مایابی
348 .....	محمد حسن عواد
397 .....	محمد بن الحسین بن حمامۃ الأوری النبیجی
294 .....	محمد بن خلف بن صاف
169 .....	محمد بن رستم
443 .....	محمد بن سیدی بن محمد
521 . 470 .....	محمد بن الطلبة
422 .....	محمد بن العباس القباج
352 .....	محمد بن عبد الرحمن المقدی
466 . 442 .....	محمد بن عبد الله (مولای)
141 .....	محمد بن عبد الله بن طاهر
139 .....	محمد بن عبد الله بن قادم
302 .....	محمد بن علي التیجانی
472 . 445 .....	محمد بن الغزالی
524 . 448 .....	محمد بن المحبوبی
521 .....	محمد بن محمد البخاری
538 .....	محمد بن محمد المختار بن أحمد فال
439 .....	محمد بن المختار بن جميل الجکنی
440 . 439 .....	محمد بن موسی بن أبيجل الزیدی
456 .....	محمد أباث
456 .....	محمد الأمین بن أحمد زیدان
484 .....	محمد الأمین بن العلوی
423 .....	محمد الأمین بن الوقف
449 .....	محمد بابه بن محمد الأمین بن حبيب الله
(516 . 510) .....	محمد تقی الله بن الشیخ ما العینین
439 .....	محمد الحافظ بن السالک
521 . 481 . 381 .....	محمد الحسن بن أحمدو الخدیم
(536 . 535) .....	محمد سالم بن آملا
519 .....	محمد سالم بن محمد عالی بن عدود

محمد سعيد بن تكدي النحوي .....	451
محمد العاقب بن مایابی .....	428
محمد عالی بن سیدی بن سعید : مع .....	(510-507) . 494 . 447 . 439
محمد عالی بن عد ود .....	525 . 524 . 523
محمد علی سلطانی .....	96
محمد علی النجار .....	20
محمد عید .....	258
محمد فال بن بابه .....	466 . 459
محمد فال بن البناني .....	496
محمد فال بن عبد الله بن اباه .....	538 . 447
محمد فال بن محمدن بن احمد .....	(536) . 535 . 529 . 447
محمد کامل برکات .....	343
محمد محبی الدین عبد الحمید .....	341 . 20
محمد المختار بن احمد فال .....	538 . 536
محمد محمود بن آفلاط .....	536
محمد محمود بن بیه .....	536
محمد المختار بن انباله .....	498
محمد مولود بن احمد فال .....	(522-520) . 439
محمد یحیی بن سلیمة .....	(494-492) . 488 . 439
محمد یحیی الولاتی .....	(492-489) . 488 . 440
محمد الیدالی .....	494 . 438 . 389
محمد حامد بن آلا .....	524 . 472 . 136
محمد السالم بن الشین .....	538
محمد النان بن المعلی .....	472
محمدن بن محمدن فال بن احمدو فال .....	471 . 448
محمدن بن بابانا .....	453
محمدن بن السالم البنعمري .....	472
محمدن بن عیدو الجکنی .....	456
محمدن فال بن احمدو فال التندغی .....	471
محمدن فال بن متالی .....	523 . 521 . (501-500)
محمدن فال بن محمد سالم بن آما .....	538

محنض بابه بن اعبيد .....	454 . 447 . 440 . 131 . 47
535 . 521(483-480)	
محنض بابه بن امين .....	482
محنض بن سيدى عبد الله الشقروي .....	47
المختار بن آملا .....	523
المختار بن أبي عبيد .....	193
المختار بن ابيه الجكنى .....	(506-505)
المختار بن الأمين الفاضلى .....	444
المختار بن حامد .....	538 . 482
المختار بن حبيب الجكنى .....	453
المختار بن سيدى أحمد بن سيدى الهادى التمذكى .....	456
المختار بن المحبوبى .....	520
المختار النحوى بن الفقيه اندغمحمد .....	488 . 449
المدابغى .....	378
المرادي .....	336 . 313 . 185 . 170
403 . 400 . 399 . (350-347)	
456 . 416 . 414 . 408 .	
المار الأسدى .....	70
المار بن سلامة العجلى .....	164
المزيانى .....	129
المرنيسي (سيدى أحمد) .....	384
مروان بن أبي حفصة .....	69
مروان بن محمد .....	173
مریم نفیسہ بنت بدی .....	444
الزی (أبو بکر) .....	363
المستوغر بن ربیعة .....	162
مسلم بن الحجاج .....	308 . 244
مسلمة بن عبد الله الفهري .....	193
المصحفى (محمد بن هشام) .....	233
مصطفى الصادق العربى .....	403
المصمودى .....	381

المطرف الإشبيلي .....	294
معاذ الهراء .....	104 . 103 . 58
معاوية بن أبي سفيان .....	45
مغلس بن لقيط .....	97
المفعع (أبو عبيد الله) .....	131 . 130
مفرج بن مالك .....	223
المقرري .....	403
القنع الكندي .....	97 . 96
مكرم بن محمد بن حمزة .....	312
المكودي (أبو عبد الله) .....	407 . 405 . 399 . (383-38)
	451 . 442 . 419 . 416 . 414
مكي بن أبي طالب .....	53
مليح بن علاق .....	97
مم الجكنني .....	(535-532) . 524
المناوي .....	355
النصرور الذهبي .....	442
النصرور الموحدي .....	266
منيرة الشمشوي .....	488 . 440
المهدي العباسى .....	109 . 107 . 95
مولود بن أحمد الجواد .....	507 . 456 . 454
ميشال زكريا .....	549
ميمون الأقرن .....	56 . 52 . 49 . 44 . 19

### حرف النون

النابغة الذبياني .....	. 473 . 276 . 253 . 86 . 60
	476 . 475
النابغة الجعدي .....	230
نافع بن أبي نعيم .....	466 . 581 . 326 . 151 . 131
النجار (محمد علي) .....	194
النحاس .....	. 366 . 350 . 343 . 224 . 219
	579 . 566 . 367

نصر بن عاصم .....	74.57.50.49.45
نصيب .....	285
النعمان بن المنذر .....	193
نهار بن تولعة .....	242

### حرف الماء

هاجر بنت محمد المصرية .....	404.398
هادي عطية .....	583
هارون بن موسى القرطبي .....	224
الهاشمي بن الأمين اليدمسي .....	456
هشام أخو ذي الرمة .....	89
هشام بن عمروة .....	108.33
هلال الرأي .....	105
همبولي .....	21

### حرف الواو

الواشق العباسي .....	125
الودغيري (عبد العلي) .....	415.414
الوزان القيروانى .....	538
الوقيدى .....	387
الونشرسي (عبد الواحد بن أحمد) .....	398
الونقيلى (عبد الله) .....	383

### حرف السا

اليازغي (محمد) .....	405
ياقوت الرومي الحموي .....	372.186.130
يحظيه عبد الودود .....	(525-522).516.501.490
يعجبي بن البراء .....	535.532.529.
يعجبي بن زياد (مولىبنيأسد) .....	498
يعجبي بن سيدى المختار بن الشیخ سیدیا .....	114
يعجبي بن سيدی المختار بن الشیخ سیدیا .....	538

يحيى بن علي النجم .....	156
يحيى محمد محمود .....	527
يحيى بن يعمر الليبي .....	56.51.49.44
يزيد بن الحكم الكلابي .....	192
البيزيدي (يحيى بن المبارك) .....	107.106.100.95.59.58
يعقوب (القارئ) .....	326
يوسف الحنفي .....	378
يوسف بن عمر بن هبيرة .....	65
اليوسفي (الحسن بن مسعود) .....	405.403
يونس بن حبيب الضبي .....	66.65.64.63.58.56.27
.	.104.92.85.80.78.69.
.	.185.152.117.112.108
	376.278

## المصادر والمراجع :

1. آئمة النحاة في التاريخ، د. محمد محمود عالي، دار الشروق، جدة ، ط الأولى 1976م.
2. ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات النحوية واللغوية والأدبية، يحيى أحمد معلوم
3. ابن الحاج النحوي، د. حسن موسى الشاعر، دار القلم دمشق، ط أولى 1986م .
4. ابن عصفور والتصريف، فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط الثانية 1981م .
5. أبو الحسين بن الطراوة وأثره في النحو، د. محمد إبراهيم البنا، دار أبوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط 1980م.
6. أبو حيان النحوي، د. خديجة الحبيشي، مكتبة النهضة، بغداد 1966م .
7. أبو القاسم السهيلي ومذهب النحوي محمد إبراهيم البنا، دار العلم للطباعة والنشر، جدة 1985م .
8. أبو موسى الجزولي عرض لحياته العلمية، مطبعة موناستير المحمدية (د.ت.) ..
9. أخبار النحويين، أبوظاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام القاهرة (د.ت.).
10. اختصار المواهب للشيخ بن حبٍت ، مخطوط.
11. أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام ط ١ 1985م.
12. أربعة كتب في التصحح اللغوي، تحقيق د.. حاتم صالح الضامن مكتبة النهضة العربية ط 1985م .
13. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي تحقيق د. مصطفى أحمد النحاس، الطبعة الأولى 1984م .
14. أساس البلاغة للزمخشري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر.
15. الاستفقاء في الاستثناء -شهاب الدين القرافي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت 1986م .
16. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر القرطبي، تحقيق علي محمد الباقي، مطبعة نهضة مصر.
17. إشارة التعين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقى بن عبد المجيد اليماني، تحقيق د. عبد المجيد، باب، الرياض 1986م.
18. الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، تحقيق د.. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت 1985م .
19. الأصول في النحو، أبوياكر محمد بن سهل السراج البغدادي، تحقيق د، عبد الحسين الفتحي، مؤسسة الرسالة

20. أصول النحو العربي، د. محمد عيد. عالم الكتب، القاهرة 1982م.
21. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس. تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد : الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد
22. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، طبع دار الكتب المصرية..
23. الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى 1988م.
24. الألسنية أحدث العلوم الإنسانية، كلية اللغة الفكر العربي، العدد 8 - 9 . يناير 1979م.
25. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، نميشال زكريا (الجزء الأول) النظرية الألسنية، (الجزء الثاني) الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
26. الألفاظ - عبد الرحمن بن عيسى الهمданى - تحقيق د. البدراوي زهران، دار المعارف القاهرة (د.ت).
27. ألفية ابن مالك وأثرها في الثقافة الموريتانية، يحيى بن البراء .
28. ألفية المختار بن بونه، المطبعة الحسينية، القاهرة 1367هـ- بيروت 1982م .
29. الأمالي للزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
30. أمالی الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة..
31. أمالی السهيلي بتحقيق محمد إبراهيم البناء، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
32. أمالی ابن الشجري، دار المعرفة، بيروت.
33. الأمالي للقالي، طبع دار الكتب المصرية..
34. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن ،لأبي البقاء العكري- مطبعة الحلبي.
35. إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والأثار لمحمد مولود بن أحمد فالبيقي.
36. إنباء الرواة للقطبي، تحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل، مطبعة دار الكتب المصرية 1986م.
37. الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، تحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة.
38. أوضاع المسالك لابن هشام الانصاري، تحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
39. الإيضاح للزجاجي، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار التفاصي، بيروت، ط 3 - 1979م.
40. الإيضاح العصدي لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور حسين شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف.
41. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، مطبعة السعادة..

42. البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع، تحقيق د. عياد بن عبد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م.
43. بعض مظاهر التطور اللغوي، د. التهامي الراجي، دار النشر المغربية، دار البيضاء، المغرب، (د.ت).
44. بغية الوعاء، للسيوطى، تحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم طبع ونشر عيسى الحلبي.
45. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون، ونشر الخانجي.
46. تاج الدين الاسفارى و منهجه في درس النحو، د. محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية بيروت 1984م.
47. تاريخ العلماء النحويين أبو الحasan المفضل بن محمد بن مسuer التنوخي المعري، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض 1981م.
48. تبیین ما یعنون من طرة ابن بون ، محمد تقی الله بن الشیخ ماء العینین ، مخطوط.
49. تجدید النحو، د. شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة 1986 .
- 50.. تذكرة النحاة لأبي حيان ، تحقيق د. عفیف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت - ط ١ ، 1986.
51. التسهيل لابن مالك، تحقيق د. محمد كامل برکات نشر دار الكتاب العربي.
52. التصریع على التوضیح، خالد بن عبد الله الأزهري، دار الفكر بيروت (د.ت).
53. تفسیر الطبری، دار المعرفة، بيروت.
54. تفسیر القرطبی، دار احیاء التراث العربي، بيروت.
55. تفسیر الكشاف للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
56. التکللة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي. تحقيق الدكتور حسن شازلي فرهود نشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض .
57. التمهید لجمال الدين الأستنوي تحقيق محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981م.
58. تنقیح الأزهريه خالد بن أبي بكر الأزهري دار الخلیل بيروت 1992م.
59. التیسیر فی القراءات السبع لأبی عمر عثمان بن سعید لدانی تصحیح اوتوبرنزل، مطبعة استانبول.
60. تیسیر العربیة بین القدیم والحدیث، د. عبد الكريم خلیفة منشورات مجمع اللغة العربية الأردنی، عمان 1986م.
61. تیسیر النحو التعليمی قدیماً و حدیثاً، د. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة 1986م.
62. الجمل في النحو، أبو القاسم الزجاجي تحقيق د. علي توفيق الحمد مؤسسة الرسالة بيروت 1985م.

63. الجمل في النحو، عبد القاهر الجرجاني دار الكتب العلمية ، بيروت 1990 م.
64. الجنى الدانى في حروف المعانى للحسن بن أبي القاسم المرادي تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد فضل نديم نشر المكتبة العربية بحلب.
65. حاشية المصبان على شرح الأشموني، مطبعة عيسى الحلبي.
66. حاشية العدوى على شذور الذهب، دار الكتاب العربية الكبرى، مصر سنة 1335 هـ
67. حاشية يس على التصريح، مطبعة عيسى الحلبي.
68. الحجة لأبي علي الفارسي، تحقيق الأستاذة، علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبي نشر وطبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
69. حروف المعانى لأبي القاسم النجاجي تحقيق د. علي يوسف الحمد مؤسسة الرسالة (بيروت) دار الأمل (إربد) 1986 م.
70. الحلقة المقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم. طبع ونشر مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع بالكويت.
71. الحال في شرح أبيات الجمل، ابن السيد البطلوسي، تحقيق د. مصطفى إمام، الدار المصرية للطاعة والنشر والتوزيع. القاهرة 1979 م.
72. حياة موريتانيا، للمختار بن حامد : الحياة الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس.
73. حياة موريتانيا الجغرافية ، معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط.
74. خزانة الأدب للبغدادي طبعة غير محققة دار صادر، بيروت .
75. الخصائص لابن جنى، طبع دار الكتب المصرية.
76. خصائص مذهب الأندلس النحوي، عبد القادر الهيتي، دار القاسمية. بغداد 1983 م.
77. خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي عفيف دمشقية. دار العلم للملايين بيروت 74-1982 م.
78. الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني. طبع الهند.
79. الدرر اللوامع على همم الهوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي، حققه د. عبد العال سالم مكرم، في سبعة أجزاء طبع ونشر دار الرسالة، بيروت.
80. دراسات في علم الصرف، د. عبد الله درويش. مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة 1987 م.
81. دراسات في كتاب سيبويه، د. خديجة الحيدثي، دار غريب القاهرة. (د.ت).
82. دراسات في اللغتين السريانية والعربية. د. إبراهيم السامرائي، دار الجليل، بيروت 1985 م.
83. دروس في كتب النحو، د. عبد الرحيم. دار النهضة العربية بيروت (د.ت).
- 84.. دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1972 م.
85. ديوان حرمه بن عبد الجليل ، جمع وتحقيق محمدي بن التجانى.

86. ديوان المختار بن بونا ، تحقيق محمد محمود بن محمد الأمين.
87. الرباني في الإعراب ، لعبد الله بن الحاج حماد الله الغلاوي ، تحقيق محمد محمد الأمين بن عبدي.
88. الرحلة الحجازية لحمد يحيى الولاتي ، تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995 م.
89. الرد على النحاة ابن مضاء القرطبي ، تحقيق د. شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة 1982 م.
90. رسالة الجيم لحمد عال بن سيدى بن سعيد (مع) مخطوط.
91. الرمانى النحوى ، د. مازن المبارك ، دار الكتاب اللبناني - بيروت 1974 م.
92. روض الحرون من طرة ابن بون ، لعبد الودود بن عبد الله ، مخطوط.
93. سر صناعة الإعراب لابن جنى ، تحقيق المرحوم الاستاذ مصطفى السقا وأخرين. مطبعة الحلبي.
94. سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف ، عالم الكتب القاهرة 1979 م.
95. سيبويه إمام النحاة ، كوركيس عواد ، المجمع العلمي العراقي ، 1978 م.
96. السيرافى النحوى ، د. عبد المنعم فائز ، دار الفكر - دمشق 1983 م.
97. شافي الغليل من الخلاصة والتسهيل المختار الملقب انجينان ، مخطوط.
98. شذرات الذهب لابن العماد الحنفى ، طبع 1935 م.
99. شرح أبيات سيبويه ، أبو جعفر النحاس تحقيق د. وهبة متولي عمر ، مكتبة الشباب - القاهرة 1985 م.
100. شرح أبيات سيبويه ، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي تحقيق د. محمد علي سلطانى ، مطبعة الحجاز ، دمشق 1976 م.
101. شرح أقنية ابن معط ، على موسى الشوملي ، مكتبة الخرينجي ، الرياض 1985 م.
102. شرح الألفية لابن المصنف.
103. شرح التسهيل لابن مالك ، الجزء الأول منه د. عبد الرحمن السيد ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية.
104. شرح التصریح للشیخ خالد. مطبعة الحلبي.
105. شرح جمل الزجاجي لابن هشام ، تحقيق د. علي محسن عيسى مال الله ، عالم الكتب ، بيروت 1985 م.
106. شرح شافية ابن الحاچب لرضي الدين الاسترابادي ، تحقيق الشیخ محمد نور الحسن والشیخ محیی الدین عبد الحمید والشیخ محمد الزفراوی ، مطبعة حجازی بمصر.
107. شرح شذور الذهب لابن هشام ، تحقيق الاستاذ محمد محیی الدین عبد الحمید ، عدة طبعات.

108. شرح شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد المنعم الجرجاوي، دار إحياء الكتب العربية (د.ت).
109. شرح شواهد المغني للبغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دفاق، توزيع مكتبة دار لبنان.
110. شرح شواهد المغني للسيوطى، يتعليق الشنقيطي لجنة إحياء التراث العربى.
111. شرح ابن عقيل، طبع عيسى الحلبي.
112. شرح الفريدة لابن الأعمش العلوى ، مخطوط.
113. شرح الفريدة لمحمد يحيى الولاتى ، مخطوط.
114. شرح قطر الندى لابن هشام، طبعات مختلفة..
115. شرح الكافية للرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
116. شرح اللهمحة البدرية، لابن هشام، تحقيق الدكتور هادي نهر. مطبعة جامعة بغداد.
117. شرح المفصل لابن يعيش، مطبعة منير.
118. الشعر والشعراء في موريتانيا ،ء. محمد المختار ولد اباه، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1986.
119. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، للإمام ابن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة لجنة البيان العربي.
120. شواهد العيني على الأشموني ،طبع عيسى الحلبي.
121. الصاحبى أحمد بن فارس، المكتبة السلفية القاهرة 1910م.
122. صحيح مسلم، المطبعة الأميرية.
123. ضالة الأديب ، لسيدي عبد الله بن انبوجه العلوى التبشيتي > تحقيق د. أحمد ولد الحسن.
- 124 طبقات النحوين واللغويين للزبيدي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، بمصر.
- 125 . العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق، أحمد أمين و زملائه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
126. غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى إحياء التراث الإسلامى بالجمهورية العراقية، وزارة الآثار.
- 127 . فتح الودود شرح المقصور والممدود للشيخ سيدى المختار الكنتى ، تحقيق مأمون أحمد.
128. الفرق بين الحروف الخمسة ، ابن السيد البطليوسى تحقيق د. علي زوين، مطبعة العانى، بغداد 1985م.
129. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة - بيروت 1980م.

130. الفوائد الضيائية، نور الدين عبد الرحمن، تحقيق د. أسامة طه الرفاعي . مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد 1983م.
131. في اللسانيات واللسانيات العربية، إدريس السفروشني وعبد القادر الفاسي الفهري، مطبعة النجاح، الدار البيضاء 1988م.
132. القاء وس المحيط للفيروز ابادي.
133. القصيدة اللغزية في المسائل النحوية لابن لب الغزناطي تحقيق الدكتور عياد الثبيتي نشرت في مجلة البحث العلمي التي تصدرها جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
134. قطر الندى، وبل الصدى لابن هشام.
- 135.. القياس النحوبي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراته 1986م.
136. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد.
137. كافية ابن الحاچب دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ..
138. كتاب سيبويه بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، عام الكتب القاهرة 1983م.
139. كتب الألغاز والأحادي النحوية، أحمد محمد الشيخ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته 1988م.
140. كشف المشكل، علي بن سليمان الحيدره اليمني تحقيق هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد 1984م.
141. الكوكب الدرري، جمال الدين الأنطوي، تحقيق د. محمد حسن عواد، دار عمار عمان 1985م.
142. لسان العرب لابن منظور.
143. اللسانيات، مجلة معهد العلوم الإنسانية والصوتية، الجزائر، العدد 6 ، 1982م.
144. اللسانيات من خلال النصوص د. عبد السلام المدي، الدار التونسية للنشر 1984م.
145. اللسانيات الوظيفية ( مدخل نظري) د.أحمد المتوكل، مطبعة عكاظ ، الرباط 1988م.
146. اللغة بين المعيارية والوصفية. تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1980م.
147. اللغة العربية معناها وبناؤها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).
148. للمرء في العربية. لابن الأنباري تحقيق. د. فائز فارس، دار الأمل، إربد، 1990م.
149. اللهجات في الكتاب لسيبوه، صالح راشد غنيم آل غنيم دار المدى، جدة 1985م.
150. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سرزيكين، مطبعة الخانجي 1953م.
151. مجالس ثعلب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة 1956م.
- 152 . مجالس العلماء للزجاجي. تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون طبع الكويت.
153. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الإعداد 162 . 18 . 30 . 27 . 43 . 40 .

- 154 . مجموعة أنظام محمد الحسن بن أحمد الخديم.
- 155 . مجموعة أنظام محمد بن محمد فال بن أحمد فال.
- 156 . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى تحقيق الاستاذ علي النجدي، والدكتور عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- 157 . المحاظر الموريتانية وأثارها التربوية في المجتمع الموريتاني ، الصوفي بن محمد الأمين.
- 158 . محظرة يحظى بن عبد الودود ، محمدبن محمد يحيى بن الدوه.
- 159 . محمد يحيى بن ابوه ، حياته وديوانه ورحلته إلى الحج، مخطوط.
- 160 . المدارس النحوية د. شوقي ضيف. دار المعارف ، القاهرة 1972 م.
- 161 . مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر 1958.
- 162 . المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، الدكتور عبد العال سالم مكرم. نشر وطبع دار الشروق. بيروت 1980 م.
- 163 . مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوی، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - القاهرة 1955م.
- 164 . المرادي، د، علي عبود الساهي، مطبعة الجامعة، بغداد، 1984 م.
- 165 . مراكز الدراسات النحوية، د. عبد الهادي الفضلي، مكتبة المثار، الزرقاء 1986 م.
- 166 . المزهر للسيوطى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة 1957 م.
- 167 . المسائل العسكرية. أبو علي الفارسي تحقيق محمد الشاطر أحمد أحمد، مطبعة المدنى، القاهرة 1982 م.
- 168 . المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات دار الفكر، دمشق 1980 م.
- 169 . مع النحاة، صلاح الدين الزعبلاوي اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1992 م.
- 170 . معاني الحروف ، أبو الحسن الرمانى، تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، دار الشروق 1984 م.
- 171 . معاني القرآن للأخفش الأوسط، تحقيق الدكتور فائز فارس، طبع الكويت.
- 172 . معاني القرآن للفراء تحقيق الشيخ محمد علي النجار، القاهرة 1955 م.
- 173 . معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل شلبي عالم الكتب، بيروت 1988 م.
- 174 . معجم الأدباء لياقوت الحموي، نشر وطبع الحلبي.
- 175 . معجم الأدوات النحوية د، محمد انتوخى. دار الفكر، دمشق 1988 م.
- 176 . معجم البلدان لياقوت. طبع طهران.
- 177 . المغني لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك. نشر دار الفكر 1979 م.
- 178 . مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، دار الفكر ، عمان، 1984 م.

179. المقتصد عبد القاهر الجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1982.
180. المقتصب للمبرد، تحقيق الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
181. المقدمة الجزولية، أبوموسى الجзолى، تحقيق د. شعبان عبد الوهاب محمد، القاهرة 1988.
182. المقرب لابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العانى ببغداد.
183. المتع لابن عصفور تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة بيروت 1979.
184. من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر بيروت 1978.
185. المنصف لابن جني تحقيق الاستاذين، ابراهيم مصطفى ، عبد الله أمين، مطبعة عيسى المحلي.
186. المنطق والنحو الصوري، د. طه عبد الرحمن. دار الطبيعة - بيروت 1983.
187. منهاج البلاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي تحقيق د. محمد العبيب ابن الخوجة. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981.
188. منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية، مؤسسة الألى (بيروت) دار التربية (بغداد) 1975.
189. الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني، عمان 1985م. (ارجع من 14 مكرر).
190. الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني، عمان 1986م.
191. نتائج التحصيل. محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلائني، الجزء الأول، تحقيق د. مصطفى صادق العربي، نشر الكتاب والتوزيع والإعلان والمطبع.
192. نتائج الفكر في النحو. عبد الرحمن السهيلي، تحقيق د. محمد إبراهيم البناء دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)..
193. ندوة الأزيدواجية في اللغة العربية، عمان، 1988.
194. نحو الشهرين لحمد يحيى بن سليمية مخطوط.
195. نزهة الآباء في طبقات الأدباء لكمال الدين الأنباري، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر دار نهضة مصر الفجالة.
196. النشر في القراء العشر لابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت 1975.
197. نصوص في النحو الغربي، د. السيد يعقوب بكر، دار النهضة ، بيروت 1970.
198. نظم الجموع لحنض بابه بن عبيد ، مخطوط.
199. نظم روض الحرون لحمد بن المختار ، مخطوط.
200. انفح الطيب ، أحمد المقرى، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت 1988.

201. النفحة القيومية ، شرح الأجرمية للشيخ سيديا، مخطوط.
202. النهاية في غريب الحديث، تحقيق الاستاذين، محمود الطناхи، وطاهر الزواوي، نشر الحلبي.
203. التوادر لابي زيد الانصاري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، نشر دار الشروق ، بيروت.
204. الهادي في الإعراب إلى طرق الصواب، محمد بن أبي الوفاد المعروف بابن القبيضي، تحقيق د. محسن سالم العميري، دار التراث مكة 1988م.
205. همع المقام للسيوطى ، حقق الجزء الأول منه أستاذنا الأستاذ عبد السلام هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم، وبقية الأجزاء بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم.
206. واضحة المسالك ، على لامية ابن مالك ، تحقيق العم بن أحمد فال ، تحقيق الشريف بن أحمد محمود، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقطي ، القاهرة 1961 دار الخانجي
207. وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالغرب.

